

## الشعر العربي النيجيري وآفاق التطور: موشحة لعبد الرحمن عمر بَعْرَاوَا نموذجاً

د. عمر عليّ حطيجه

و

صنيفة عمر

قسم اللغة العربية، كلية التربية لولاية جغاوا- غمل

08035180034

### المقدمة

كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر إيذاناً بظهور تيارات فكرية ومذاهب أدبية، تعددت مشاربها وتنوعت مرجعياتها الفكرية، فتباينت بذلك أشكالها التعبيرية وآلياتها الفنية وفق أسس شعرية، رأى فيها أصحابها القدرة على حمل تجارب العصر الجديدة التي لا تقوى الأشكال التقليدية على حملها، مما أدى ببعض الشعراء إلى الإعلان عن ضرورة استحداث أشكال شعرية جديدة. ومن هذا المنطلق، أصبح من الضروري على الشاعر المعاصر أن يجدد في طرق تعبيره وأدواته الفنية، تماشياً مع مستجدات العصر، فكان التمرد والتحرر من القيود والأشكال القديمة هما أولى مداخل هذا العهد الجديد، الظاهرة التي مهّدت لهذا الشاعر النيجيري المعاصر "عمر عبد الرحمن بَعْرَاوَا" طريقة تسجيل عواطفه تجاه القضية في ديوانه "الببل الصداح" الذي احتوى على صورة جديدة مخترعة، وأشكال متنوعة جميلة، استوحى فيها الشاعر ذائقته الموسيقية، مما أكسب الديوان تميّزاً ملحوظاً، وطعماً خاصاً.

وعلى هذا الأساس رأى الباحثان ضرورة اختيار هذه قصيدة: "واحة الفكر" ليقفا على ما فيها من ملامح التجديد والتطور الملحق بالشعر العربي النيجيري. وستقوم المقالة على العناصر التالية:

- مفهوم التجديد عند النقاد
- التعريف بالشاعر
- أفكار القصيدة
- التصوير الفني في القصيدة
- الأسلوب واللغة
- الأوزان والقوافي ثم الخاتمة.

### التجديد عند النقاد:

كان التجديد من القضايا أو المصطلحات والمفاهيم التي ظهرت في الدراسات النقدية الحديثة، فصارت نصب أعين الدارسين العرب المحدثين. وممن أسهموا في تحديد مفهومه الدكتور عبد المحسن بدر الذي ذهب إلى أن التجديد في الأدب يعني أن يتغير الأدب ويتطور؛ ليصبح قادرًا على التلاؤم مع تغير العلاقات في مجتمع من المجتمعات، وأنّ المتغيرات الجديدة تفرض تغير الأدب بما يتلاءم معها<sup>٣</sup>.

وذهب دارس آخر إلى أنّ التجديد لا يعني تجاهل التراث الشعري والفكري للأمة، والبدء من نقطة الصفر، بل التجديد الحقّ الذي يكون عن بصيرة ووعي هو الذي يعمد إلى هضم التراث، واكتشاف كلّ جوانبه المضيئة، في البدء بالتجديد من أبعد نقطة وصل إليها ذلك التراث، فالتراث مجال التجديد ومادته الأولى<sup>٤</sup>.

وعلى ضوء ما تقدّم من أقوال النقاد والدارسين المحدثين حول مفهوم التجديد يمكن القول بأنّ (التجديد) عند النقاد يتمثّل في إعادة النظر في الموروث، وبعثه من جديد بلغة شعرية جديدة تواكب ما جدّ في العالم وثمّاشيه، وأنّ للمجتمعات دورا كبيرا في بناء حركات التجديد والنهضة الأدبية، لا سيّما أنّ الأساس الاجتماعي يربط بين العمل الفني وظروف الحياة القائمة، فمن خلال هذا الربط تظهر قيمة ذلك العمل.

### التعريف بالشاعر

هو عبد الرحمان بن عمر بن محمد طَنْ قَرَمِي، يتصل نسبه ببلُكو؛ أحد أصحاب المجدد الشيخ عثمان بن فودي رحمهم الله. ولد الشاعر سنة ١٩٩٠م بمدينة صكتو، في أسرة اشتهرت بالعلم والتعليم، ونشأ في رعاية والديه الكريمين، حيث ختم القرآن الكريم على يد والده وأخذ عنه المبادئ العلمية، ثم واصل التعلم من نفس المشرب، فقرأ مختلف الكتب في النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية والمنطق والعقيدة والتفسير وعلوم القرآن والحديث وأصوله والفقه وأصوله والتاريخ، وغير ذلك من الفنون العلمية. ثم قرأ علم التجويد على الدكتور محمد ثاني عبد الله جوس، ومن حب الشاعر للعلم لم يستنكف عن الاستفادة من أحد خصه الله بموهبة علمية حتى أنه أخذ علم القراءات على يد أخيه الصغير القارئ أمين عمر بغاراوا.

التحق الشاعر بالمدارس العصرية حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام ٢٠٠١م، وتخرج في كلية الشيخ أبي بكر محمود جومي صكتو عام ٢٠٠٤م، حاملا الشهادة الإعدادية، ثم أكاديمية خليل فوديو الإسلامية، حيث حصل على الشهادة الثانوية عام ٢٠٠٦. ثم التحق بمركز الدراسات الإسلامية في جامعة عثمان بن فودي، حيث حصل على الدبلوم في اللغة العربية سنة ٢٠١٠م، فانضم إلى قسم اللغة العربية في جامعة عثمان بن فودي صكتو حيث حصل على شهادة الليسانس عام ٢٠١٧م. وله مؤلفات في الجوانب الأدبية أكثرها منشورة كما يلي:

- أفراح وأتراح (ديوان شعر).
  - البلبل الصداح (ديوان شعر).
  - باحث عن الحقيقة (قصة تاريخية أدبية).
- لم يزل الشاعر في ريعان شبابه يواصل التعلم والتعليم، وله مجالس علمية يثقف بها الشعب في مختلف الفنون، أطال الله حياته في نفع الأمة والعلم.

### أفكار القصيدة

كان عنوان القصيدة "واحة الفكر"، نسجها الشاعر بمناسبة حفلة تخرجه في جامعة عثمان بن فودي، صكتو - نيجيريا، عام ٢٠١٧م. أنشأها على نسق الموشحات نحا فيها أسلوب إيليا

أبي ماضي في قصيدته "المساء". تأسست القصيدة على ثلاثة عشر مقطعاً، حيث استعمل الشاعر بحر الرمل كوسيلة لتوضيح درّ أفكاره تجاه ذكريات حياة الجامعة. وتشكل هذه الأفكار في الآتي:

### الحنين وطلب الوصال

توجّه الشاعر في مستهل القصيدة بكناية ينادي فيها الشعر أن يلازمه، ويجدد الوصل إليه، توطيداً لما بينهما من صلة متينة وعهد ثابت، فكّنّاه بنبت الفكر تعظيماً لشأنه وتوقيراً لمكانته، ومستحياً من تصريح باسمه إجلالاً وتكريماً، ثم أنزله منزلة عروس تفوح منها رائحة طيبة، فأنّته الحسن، كاملة الجمال، متألّأة كالبرق الساطع في الليلة الظلماء، تجذب العقول بمفاتن حسنها ومحاسن جمالها، فتملأ نفوس أصحابها بهجة وفرحة. فهي منبع الجمال، وغاية ما يتمناه الرجال. حيث يقول الشاعر:

جدّدي الوصل أيا بنت الفكر

يا عروسا هي نشر الأرج

أنت سر الحسن بل نور أغر

بل منى النفس وروح المهج أنت لوحات الجمال

أنت أحلام الرجال<sup>٦</sup>

واستمر الشاعر يعرّف نفسه بين يدي صاحبه "الشعر" يذكّرها بصحبتها ولقائهما، بأنه هو ذلك البلبل المنشد المتغنّي المترنم في مختلف أفانين القريض وواحات الفن، يفيض القريض في عرش الخيال، وتعززه القوافي في عرش الدلال. يلاحظ ذلك في قوله:

أنا ذاك الصبّ أم قد نسيت

ذلك الطائر يشدو في فنن

ذلك البلبل يوما قد لقيت

في سماء الفن في ذاك الزمن وهو في عرش الخيال

وأنت في عرش الدلال<sup>٧</sup>

ثم طفق يوضح صفة هذا البلبل المغرد، بأنه يقرض الشعر في أبهى صورته، وأوفر مغزاه، وترى ألفاظه وتراكيبه كالدّر المنتشر، مع أنه في حين الهجران غيمته العواصف المظلمة، وغشت قلبه عواكر الهموم والاضطرابات بسبب هذا الهجران القاحل، فلم يتخلص منها إلا بعد الوصل والالتزام بالوعد، ففكّ قيود قلبه وسطح فجره وتورت أقطاره، فأشرق له نهج القريض حتى سحر الناس برقة ألفاظه، وحصانة أسلوبه، وجلاء معانيه، فلا يستغني عنها أديب من الأدباء. ويشير إلى ذلك بقوله:

بلبل إن ناح في أبهى صور

ينثر الدر كظلم الفلج

هو-والقلب كليل معتكر

شعّه نورا كوجه البلج

يا له ضوء الهلال

يا له سحر المقال<sup>٨</sup>

### ذكر معالم جامعة عثمان بن فودي صكتو

لم يتوان الشاعر عن تسجيل معاناته القاصية، فينادي بأعلى صوته أن تقطع صاحبتة "الشعر" حبال هذا الهجران، ليتخلص مما يقاصيه من الآلام والاضطرابات التي سدّت أمامه نهج القريض. وقد دعاه إلى هذا الطلب والإلحاح ميل عاطفته الجياشة ليذكر معالم جامعة عثمان بن فودي بصكتو، وما يختلج في نفسه من ألم فراق الأحبة والزملاء، والوداع بهذه الجامعة الموقرة في أواخر أيامهم الدراسية. فوصف الجامعة بأنها أرض خصبة ولودا بمنتهى روعة الحقول وجودة البساتين، تدهم بثمرات طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فأنجبت عددا هائلا من النجباء في مختلف ميادين المعرفة، فأصبحت كعبة يقصد إليها طلاب المعرفة نيلا لمقاصدهم. ويلاحظ ذلك في قوله:

فارفعي بالله من ذاك الصدود

وصلي الصبّ المعنى المضطرب

يشد: يا جامعة الشوق الأكيد

واحة الفكر ويا رمل النجب أنت رمز للنوال

أنت معنى للكمال<sup>٩</sup>

وعكف الشاعر يصف هذه الجامعة بوردة الحب لدى المعشوقين تُحْضَن بكل وقاية، وتُحْفَظ بكل عناية، وتُقَدَّر بكل إجلاء في حائط شائك لا يجتازه أحد، وتنمو وتزداد نضرة وجمالا ببسمة المعشوقين، تَجَدِّدُ بالوفاء والعرفان. كما أصبحت دواء للعليل المكابد المشقات طلبا للعلم، وشفاء لمن اشتدَّ طلبه للمعرفة، عموما هي مستشفى المعارف يتداوى بها الأعداء من المرض، فهي دنيا المعرفة أو "عُغُل" الذي لا يستغني عنه طالب المعرفة. ويعدد ذلك بقوله:

أنت- والأرض كأنياب القدر

وردة الحب بأنف الأبعج

قد نماها بسمة الحسن النضر

في سياج من وفاء بهج أنت إشفاء العضال

أنت مشكاة السؤال<sup>١٠</sup>

### ذكريات الحرم الجامعي

رحل الشاعر إلى عالم الذكريات يصف أيامهم الماضية في الجامعة عندما يتجدد الوصال واللقاء مع الأحبة والزملاء، ولكن الآن تلاشت هذه اللقاءات، وكأن أجفانه الخائفة سحرتة في إثبات وتحقيق الماضي، وكأن الحلم طافه في ليل مليء بأمنيات الوصال وانصرف صدفة، مع أن فراق الأحبة والزملاء أمر لا مفرّ منه خصوصا في الحياة الجامعية. فما أحسن من تجدد الوصال بالأحبة والزملاء في المسرح الجامعي، وما أغلى من تحقيق المطالب في نهاية الدراسة حيث يقول:

ذكريات يا لها من ذكريات

كجفون السحر في جوّ الخجل

أو كحلم في ليالي الأمنيات

يا للذات الواصال هي سيف الدلّ في ساح الغزل

يا لتحقيق المنال<sup>١١</sup>

ثم أوضح الشاعر بأن ساعة هذه الذكريات من أبهى الأوقات، وأروعها في الحياة، لتمام هدوء مطبق لمواجهة الدراسات والبحوث العلمية المبتكرة من قبل المدرسين الأكفاء، فيحيط بهم طوفان علمي شاسع، ونور ثقافي واسع.

كما عمد إلى تصوير هذه اللحظات الحلوة، أهي راقصة أمامه تذكّره بأطيب أوقاتها، أم هي لحظات طافت بخياله وانصرفت كالبرق، ونسي ماجرى فيها؟ فألغى الشاعر هذه المفاجأة، ثم أثبت مداومة وصاله بصديقه الحميم بأن لا ينساه أبداً، فكيف ينساه بعد ما دامت لهما الصداقة والعرفان تحت دوحة هذه الجامعة الموقرة، والاستفادة من معينها الخالص. ومن ذلك قوله:

تلك ساعات ومن روض العمر

هي أبهى، هي صمت الخلج

حينما نصغي لبحث مبتكر

في فصول كشعاع السرج

فترى هم الثقال

وترى فجر الليال

لحظات رقصت أم ذا بريق

أم خيال زار فكري وانصرف

لست كلا لست يا خير صديق

لست أنساك من اليا للألف

كيف يا هذا الظلال؟

كيف يا هذا الزلال؟<sup>١٢</sup>

التحريض على مواصلة المشوار العلمي

دبّ الشاعر في هذا المقطع ينادي بصديقه بألطف الهمفات وأرقّ النداءات بـ"يا ابن أمي وغيره، بأن لا يتوانى في طلب العلم، ولا يكتفي بشهادة الليسانس، بل عليه أن يكمل

المشوار، ويَعْبُرُ باقي المراحل العلمية، فيحصل على درجة الدكتوراه، فعندئذ تتحقق الآمال، وتندفق الخيرات، ويستقيم له الأجواء بتربتها الخصبة وأرزاقها المتدفقة.

ثم وقف الشاعر إزاء هذه النداءات يحرض صديقه على المغامرات لمواصلة المشوار بقلب يقظ، وهمّة عالية، لأن لا تكون همته كالضباب تملأ الأجواء ساعة وتلاشى بعد حين، فلا يرى لها أثر، فالهمّة الكامنة في كسب المطالب تमित الشهوات وتزيل آثارها، فعندما اكتملت المطالب وتحققت المقاصد، أزلقت لك المعيشة بكل نعيمها، ويتحوّل موقفك من حجم الذرة إلى موقف جبل شامخ، ومن حجم النملة الضئيلة إلى جمل ضخّم. ويلاحظ ذلك في قوله:

يا ابن أمّي، يا أخي، يا ابن الظفر

في ضفاف الطهر لا لا، ولج

أكمل المشوار واعتبر ذا النهر

عنده مسك الرمال

عند ذاكم شاطئ في بهج

عنده الجوّ اللال

هكذا القلب أخي لا كالضباب

بهوه النار طموحا أجمت

تحرق الشهوة في ذاك السراب

فإذا الذرّ الجبال

فإذا الجنة عرساً أزلفت

وإذا النمل الجمال<sup>١٣</sup>

### الالتزام بالشيم المرضية ومواكبة المعاصرة

واصل الشاعر بنصائحه المثمرة وندائه الثمين تجاه زملائه، خاصة طالب اللغة العربية بالتحلّي بالأخلاق الحسنة، والشيم المرضية، فيكونون كالزهرة التي تجذب العقول، وتتلج الصدور رؤية ورائحة يشتهيها البعيد والداني، ويتزيّنون بأحسن الزيّ وأجمل الثياب، ويناضلون لمواكبة ركب الحضارة في تعلم اللغة الإنجليزية، مبتعدين عن الاستحياء والشعور بالنقص، فيشارك العصر في اتجاهاته المختلفة لرفع مستوى اللغة العربية وأصحابها إلى القمة، فيقول:



يا ابن ودّي، أنت، يا هذا الزميل

كن كزهر باسم مبتهج

حسن الأخلاق والزيّ الجميل

وإت بنت العصر بنت المرج هكذا يا ابن النضال

هكذا يا ابن النزال<sup>١٤</sup>

### الوداع مع الدعاء

اختتم الشاعر قصيدته مودّعا جامعته الميمونة، وداعيا لها بالأمن والاستقرار والخدمة البشرية، وأن تكون بمنزلة كعبة يحج إليها طلاب العلم والمعرفة، وقبله لمن أراد العلم من معينه الصافي، ويرفع شأنها وقدرها بين الجامعات. حيث يقول:

في أمان الله في نفع البشر

دمت حيّيت وباب الفرج

ملء سمع الكون موسيقى العصر

دمت في سحر حلال قبله الكل وبرد الوهج

دمت من خير مثال<sup>١٥</sup>

### التصوير الفني:

تضم قصيدة "واحة الفكر" عددا هائلا من الصور الشعرية التي تعبر عن إبداع الشاعر وتمكنه الفني، حيث تتجلى فيها صور خيالية صيغت بطريقة فنية جديدة في ظلال المعاني المتطورة حسب الظروف والأحوال المعاصرة. فاستعمل الشاعر الصور الشعرية القائمة على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بما يوافق روح العصر، دلالة على أن الشعر بلا خيال أو تصوير يظل ضرباً من التقرير الممل والسرد الجامد البارد<sup>١٦</sup>، فالصورة الفنية تتجلى في براعة الشاعر ومقدرته الإبداعية، إضافة إلى قدرته على امتلاك ناصية البيان، لتطويع قصيدته لوحة فنية موحية.

فلما أراد الشاعر بيان منزلة الشعر عنده كُنّاها بـ"بنت الفكر"، ثم ضاهاها بالعروس، كوئها ينبوعا للشهوة، وأنيسة للنفس، وقرّة للعين، ومأوى للسكينة والاطمئنان. ثم أضاف إليها صفة الورد في الحسن وطيب الرائحة ليأخذ القارئ إلى عالم الخيال في تصوير هذا المنظر الرائع والجرّ الممتع. وهذا تصوير مجازي أورده الشاعر لربط العلاقة التي كانت بينه وبين الشعر من حبّ وصداقة، فأعطاه صفة إنسانية، إشادة بأمره وتوقيرا لمكانته حيناً، ورمزا للطبيعة عشقا ومحبة لشأنه حيناً آخر، لتدوم العلاقة بينهما، ويتجدد الوصل لينقاد إليه الأوزان والقوافي كلما احتاج القريض. وبالغ الشاعر في أواخر المقطع لتحديد جمال العروس من لياقة الجسم ونضرة البشرة، ورشاقة شكلها الفاتن بالألواح الزيتية في الجمال. ويعبر عن ذلك في المقطع الأول بقوله:

جدّدي الوصل أيا بنت الفكر  
يا عروسا هي نشر الأرج

وأنت لوحات الجمال

وحشد الشاعر سلسلة من التشبيهات يصور فيها نفسيته وبراعته في القريض، فضاهى نفسه بطير البلبل في حسن هيئة منظره، وتنقلاته بين الأغصان، فوصف قريضه برقة ألفاظه، ورسامة أسلوبه، ونغمة أوزانه بصوت البلبل، وهذا التصوير الرائع يعكس مدى عبقرية الشاعر في تطريز القريض، وما يتجلى فيها من المعاني والألفاظ، كما صوّر ما يختلج في أعماق قلبه من الهموم والاضطرابات بالليل الهالك ظلمة وتشاؤما.

ثم عقد الشاعر تصويرا دقيقا لوصف الحرم الجامعي بضفاف الطهر، وكونه موردا صافيا للمعرفة والعلوم، وشاطئا يطهر الإنسان من أوساخ الجهل، فيحثّ أصدقاءه بالارتواء من هذا المعين السائغ الشراب، وتطهير أبدانهم في هذا البحر النقي الطاهر، تحريضا لتخطّي المراحل التعليمية المختلفة بمواظبة الدراسة من أدنى المرحلة إلى مرحلة الدكتوراه فتفسح له أغداق المعيشة بينها يعيها المتباينة، وتهيئ له أجواء مليئة بالوقار والاحترام. ويلمح ذلك في قوله:

في ضفاف الطهر لا لا، ولج

أكمل المشوار واعتبر ذا النهر

عند ذاكم شاطئ في بهج

عنده الجوّ اللال<sup>١٧</sup>

ومما يلمح من براعة الشاعر عقد المبالغة في التصوير، حيث صوّر حال الطالب المجتهد الدؤوب في ميادين العلم والمعرفة وما سيناله من نتائج هذا الجهد المضني، فيرتقي إلى المعالي فيحيطه فيضان الخير والبركة، وهتافات التقدير والتوقير بـ"الذرة" حقيرة الحجم، ثم أخيرا يتحوّل حجمها إلى الجبال رفعة ومكانة، أو كما يتحوّل حجم النملة إلى صورة الجمل عظمة وهيبة. والملاحظ أن الشاعر أجاد في التصوير، حيث شبّه الجماد صغير الحجم ذليل الهيئة بجماد عظيم الحجم وفور الهيبة، كما صوّر حيوانا في صنف الحشرات "النملة" بحيوان عظيم الهيبة والهيبة. في قوله:

فإذا الذرّ الجبال

وإذا النمل الجمال<sup>١٨</sup>

وعلى العموم، فقصيدة "واحة الفكر" جسدت لنا صورا كثيرة من مظاهر التجديد، فتمكنت بالوحدة الموضوعية، وتجسيد الفلسفة التفاضلية، كما استخدم فيها الشاعر أسلوبا جديدا، وهو أسلوب التساؤل ليجعل المتلقي في الصورة. ونلاحظ أن القصيدة استمدت مادتها من الطبيعة، فهذا ما ركز عليه أنصار التجديد، وهو أن تكون الطبيعة المنبع الذي يستقي منه الإنسان سبله بصفة عامة، والشاعر بصفة خاصة.

### اللغة والأسلوب

بما أن اللغة هي أداة خاصة لرسم الصورة، وللتعبير عن المعنى، فكلاهما طرفا العمل الأدبي يتشابك الحديث فيهما. من هذا المطلق، بدت في لغة الشاعر السهولة الممتعة والألفاظ السلسة التي اعتمدت على المعاني السياقية أكثر من اعتمادها على المعنى المعجمي، فظهرت اللغة الشعرية ربما سياقيا يعبر عما يدور في خيال الشاعر بطريقة تجذب العقول وتطمئن القلوب. وقد شكلت القصيدة عبر نسيج لغتها معجما لفظيا خاصا. ومن ذلك قوله: "بنت

الفكر" و"بنت العصر" و"عرش الخيال" و"عرش الدلال" و"مشكات السؤال" و"المسك الرمال" و"الجو اللال" و"ضفاف الطهر" وغير ذلك مما يظهر ثقافة الشاعر وتمكنه في اللغة. أما أسلوب الشاعر فهو صاف مبسّط، يطمئن به المتلقي، حيث تحكمه البساطة والوضوح، فكان جاريا على ما عرفه النقاد بأنه: "الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين فيها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات"<sup>١٩</sup>. فمن هذا المنطلق، استولى على بعض نصوصه أسلوب التفاؤل حيث ينظر إلى الجانب المشرق من الأوضاع، وإلى توقع أفضل النتائج للأحداث، ويلمح ذلك عندما يحرّض صديقه على مواصلة الدراسة الجامعية في مراحلها المتباعدة، والتلميح بالنتائج السارة التي سينالها في نهاية المشوار، كما حثّ صديقه في مقطع آخر على التحلي بالأخلاق الحسنة والشيم المرضية ليكون محبباً بين الناس، ومواكبة ركب الحضارة في تعلم اللغة الإنجليزية ليمشى مع العصر في جميع مواقفه. يقول الشاعر:

في ضفاف الطهر لا لا، ولج  
أكمل المشوار واعتبر ذا النهر  
عند ذاكم شاطئ في بهج

عنده الجو اللال

وفي قوله:

يا ابن ودي، أنت، يا هذا الزميل  
كن كزهر باسم مبتهج  
حسن الأخلاق والزيّ الجميل  
وائت بنت العصر بنت المرج

وفي جانب آخر، استخدم الشاعر أسلوب التساؤل، فيطرح تساؤلات خيالية لا أحد يجيب عنها، لأنها تصورات معبّرة عن نفسية الشاعر، ويلاحظ ذلك في قوله:

كيف يا هذا الظلال؟

كيف يا هذا الزلال؟<sup>٢٠</sup>

وعلى هذا الضرب سرد الشاعر أساليبه بسمات متباينة ورؤى جديدة عن مسار التجديد في الشعر لدى الشاعر، حيث يسلك مهج أنصار التجديد في أيام النهضة الأدبية الحديثة.

### الأوزان والقوافي:

كان اتجاه الشاعر في هذه القصيدة اتجاها تجديديا في الشكل والمضمون، حيث شكّل قصيدته على طراز الموشّحات، مستخدما هندسة شكلية متميزة، وسار على نهج إيليا أبو ماضي في قصيدته "المساء". فقد صنع الشاعر قصيدته على بحر الرمل، بنسيج متميّز، وهندسة رائعة في قوافي المقاطع، لأن الرمل يوافق هزات عاطفة الشاعر نحو القريض لسرعة النطق به، وهذه السرعة متتابعة من تتابع التفعيلة "فاعلاتن" <sup>٢١</sup>. وهذا يدلّ على أن الشاعر مع كونه من أنصار التجديد في هذه القصيدة، إلا أنه لم يطرح الأوزان الموروثة وراء الحائط، بل احتفظ عليها مع بعض الملامح للتغيير، كما مرّ عليه أنصار التجديد أمثال "إيليا أبو ماضي" في إعادة صياغة البحور الشعرية على طراز القديم. ويؤيد ذلك ما نصّته اللجمي: "لقد أبدع هؤلاء الشعراء في تجديدهم الشعر، ولم يقتصر تجديدهم على الأوزان التقليدية فقط، بل هدموا بعض الجدران، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بجارته يصفونها بشكل جديد ليتيح لهم التحرك بحرية أوسع من تلك القديمة" <sup>٢٢</sup>.

لقد كانت قصيدة الشاعر على نهج الموشّحات في المقاطع، وتتضح فيها هندسة شطرية مزدوجة في القوافي، حيث يتفق الشطر الأول مع الثالث في القافية، كما يضاها الشطر الثاني مع الرابع أيضا في القافية، ثم ينتهي الشطران الأخيران من كل مقطع على قافية واحدة مع التساوي في الوزن، واستعان الشاعر ببحر الرمل على طريقته الخاصة ليثبت ملامح التجديد في القصيدة. ويمثل ذلك قوله:

جددي الوصل أيا بنت الفكر

يا عروسا هي نشر الأرج

أنت سر الحسن بل نور أغر

بل منى النفس وروح المهج

أنت لوحات الجمال

### أنت أحلام الرجال

فيلاحظ استخدامه كلمة "الفكر" في البيت الأول، ولفظة "أغر" في البيت الثالث على نسيج واحد من الروي، كما يلاحظ ذلك في البيت الثاني والرابع من استعماله كلمتي "الأرج" و"المهج" بصورة متساوية الروي. وهذه هندسة شعرية أتى بها الشاعر قصد التجديد الفني، كما يمكن اعتبارها سمة متميزة في شعره.

وأما في مجال الأوزان فإنه استعان ببحر الرمل كما سبق ذكره على نهج خاص، ويلمح ذلك عند تقطيع الشطر مع العروض المحذوفة كالاتي:

جَدِّدِي الْوَصْلَ أَيَا بِنْتَ الْفِكْرَ

٠//٠/    ٠/٠//٠/    ٠/٠//٠/

فَاعْلَأْتُنْ فَاعْلَأْتُنْ فَاعِلُنْ

وعلى هذا الضرب نسج الشاعر قصيدته مستعينا بالمنهج الموروث مع الميل إلى الحاضر الحي، فإنه قد عبّرت عن ذلك إحدى النقدة في معرض كلامها عن أنصار التجديد قائله: "وظل ما قرؤوه من التراث حياً في أذهانهم، متفاعلاً مع الحاضر ... وسكبوا عناصر الموروث مع الحاضر الحي، فيبدعون نمطاً جديداً يُلبّي في آن الرغبتين المتصارعتين في الإنسان، للمحافظة على القديم، والميل إلى الحديث ..."<sup>٢٣</sup>.

### الخاتمة

دارت المقالة حول آفاق التطور في الشعر العربي النيجيري، حيث ثبت من خلال دراسة قصيدة "واحة الفكر" القمة التي وصل إليها الشعر العربي النيجيري في محاكاة منهج المتجددين في ميدان الأدب المعاصر، فصاغ الشاعر قصيدته على منهج أنصار التجديد أمثال "إيليا أبو ماضي" شكلاً ومضموناً، مما يعبر عن مواكبة ركب الحضارة الأدبية المعاصرة من قبل شعرائنا النيجيريين. وأخيراً توصلت المقالة إلى النقاط التالية:

- إن التجديد في الأدب لا يعني الاختراع، أو الإتيان بالجديد، بل هو تطوير لفكرة موجودة في الأدب الموروث لأسباب ثقافية أو غيرها.

- يعدّ الشاعر عبد الرحمان بغاراوا من الشعراء المعاصرين الذين حاولوا التجديد في الشعر العربي النيجيري خاصة والشعر العربي عامة.
- تقتصر ملامح التجديد في الشعر العربي النيجيري المعاصر في الموضوعات فقط، دون أدنى اختلاف عن شعر القدماء كثيرا من حيث الصور الفنية.

## الهوامش والمراجع

١. كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ١٢.
٢. عمر عبد الرحمن بَغَارَاوَا، البلبل الصداح (الديوان الثاني)، بدون ذكر المطبعة، ٢٠١٨م، ص: ٩.
٣. عبد المحسن بدر وشركاؤه، حركة التجديد في الأدب العربي، دار الثقافة، القاهرة مصر، ١٩٧٩م، ص: ١٧٤.
٤. نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ط: ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص: ١١٦.
٥. عمر عبد الرحمن بَغَارَاوَا، ديوان أفرح وأتراح، بدون ذكر المطبعة والتاريخ، ص: ١٢.
٦. عمر عبد الرحمن بغاروا، البلبل الصداح ، المرجع السابق، ص: ١٤.
٧. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
٨. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ١٥.
٩. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
١٠. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ١٦.
١١. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
١٢. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ١٧.
١٣. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ١٨.
١٤. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ١٩.
١٥. عمر عبد الرحمن بغاروا، المرجع نفسه، ص: ٢٠.
١٦. فوزي سعد عيسى، ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣م، ص: ٨٩.
١٧. المرجع نفسه، ص: ١٨.



١٨. المرجع نفسه، ص: ١٨.
١٩. بدوي، أحمد أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نُحضة مصر، ط/٨، ٢٠١١، ص: ٤٥.
٢٠. المرجع نفسه، ص: ١٧.
٢١. محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض القوافي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤م، ص: ٨٤.
٢٢. نبيلة الرزاز اللجمي، أصول قديمة في شعر جديد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م، ص: ١٨.
٢٣. نبيلة الرزاز اللجمي، المرجع نفسه، ص: ٢١.

## صور النقد الأدبي العربي النيجيري في القرنين العشرين والحادي والعشرين:

### آفاق التطور والازدهار

د. إسحاق صالح سليمان

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرارا كيفي، نيجيريا

08073754347،08036147883

و

د. إدريس أبوبكر إمام

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرارا كيفي، نيجيريا

07068222517،0803842417

### المقدمة

تأخر النقد الأدبي العربي النيجيري في ظهوره لأسباب ذكرها الدكتور محمد آدم في كتابه: النقد الأدبي في نيجيريا: دراسة تطبيقية، فمنها أن العلماء النيجيريين كانوا في أول أمرهم يُفضّلون ترجمة الكلمات "أكثر من اعتمادهم على فهم المعاني التي هي أهمّ شيء في اللغة العربية"<sup>١</sup>، إضافة إلى "عدم كثرة مناقشات العلماء حول القضايا اللغوية والأدبية"<sup>٢</sup>، وكان ذلك تواضعاً منهم، لا لأنهم ليسوا أكفاءً لهذه المناقشات، بل الحقيقة في أمرهم ما نصّ البروفيسور عبد الرزاق ديرمي أبو بكر في أثناء كلامه عن أهمية النقد في الأدب الإسلامي النيجيري، حيث يقول: "من الجوانب السلبية لدور النقد في الديار النيجيرية خوف صانع الأدب العربي في هذه المنطقة من طعن القراء الناقدین، فالواقع هو أن العلماء الأوائل في هذه البقعة كانوا يكتبون في ثنايا مؤلفاتهم العلوم النافعة بدون ذكر أسمائهم كالمؤلفين، وقد أنتج لنا هذا الخوف المخطوطات المتوفرة - شعراً ونثراً - المجهول المؤلف"<sup>٣</sup>.

ثم تطوّر النقد الأدبي العربي النيجيري في القرنين العشرين والحادي والعشرين بمحاولات طائفة من العلماء الذين جمعوا بين الثقافتين: الثقافة العربيّة والثقافة الغربيّة، فحرّكوا عجلة النقد إلى الأمام، حيث كانوا يبنون دراساتهم النقديّة على التجربة الشعريّة والصياغة الفنيّة، وينتهجون المناهج الموضوعيّة. ومن أعلام هذه القارة في القرن العشرين الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والدكتور علي أبو بكر، والأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادثي، والأستاذ الدكتور علي نائي سويد، والأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد، والأستاذ الدكتور محمد أول أبو بكر، والأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا، وغيرهم من النقاد النيجيريين. وأما النقد في القرن الحادي والعشرين فقد تطوّر تطوراً فائقاً على أيدي الرجال الأكاديميين، ولا يتّسع المقام للبحث هنا أن يتقّصّاهم في ممارستهم النقديّة حيال بحوثهم ومقالاتهم الأكاديميّة؛ ولكنه سيذكر بعض مؤلّفاتهم التي انبرت للنقد الأدبي في حلّته النقديّة الرفيعة الأنيقة.

بناء على هذا، يتكوّن هذا البحث من مباحث آتية:

- المبحث الأول: بداية النقد في الأدب العربي النيجيري.
- المبحث الثاني، تطوّر النقد الأدبي النيجيري في القرن العشرين.
- المبحث الثالث، تطوّر النقد الأدبي النيجيري في القرن الحادي والعشرين.

### المبحث الأول: بداية النقد في الأدب العربي النيجيري

من البديهي أن للإبداعات الشعريّة والنثريّة مساراتٍ مؤسّسةً متينةً في نيجيريا منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ومع ذلك لم تواكبها عمليّة نقدية قوية تجدر بالذكر تعميماً وكثرةً آنذاك.

وإنه من الصعب معرفة الوقت المحدّد الذي نال النقد الأدبي نصيبه الوافر وحقّق هدفه المنشود، غير أنه قد ثبت أن هناك مناقشاتٍ علميّة تقوم بمثابة النقد، وهذه المناقشات قد جرّت بين الشيخ عبد الله ثقة الفلاقي الكشناوي وأستاذه الشيخ البكري، حيث كان الشيخ البكري يرى تكفير الفلانيين من أجل عادتهم في الصحارى - قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي- من غرّز اللحم حول النار، ووقوف أولادهم الكبار حولها سحراً، وضرهم بعصا،

وطوافهم وأولادهم بالنار قائلين: "نحن وداعة الله، ثم وداعتك أيتها النار، وأنت أبونا وأمننا"<sup>٧</sup>، ويرى الشيخ عبد الله ثقة الفلاقي عدم تكفيرهم، وكما قد ثبتت أيضا أن هناك مناقشات علمية دارت بين الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمي وبين مخلوف البلبالي، وذكر السلطان محمد بلو النزاع العلمي بينهما قائلاً: "وقع له نزاع مع مخلوف البلبالي في مسائل"<sup>٨</sup>.

وقد ثبت أن هناك لمساتٍ نقدية لها بصيصٌ من الأمل في نيجيريا، وإن كانت رؤية نقدية من حيث جزئية الانطباع والتركيز على الإطار الفكري، ومن هذه اللمسات حادثة مشهورة - في الأدب العربي النيجيري - وقعت بين العالم المصطفى الماهر البرنوي حينما وصل إليه الخبر بأن مجلس الشيخ عثمان بن فودي مجتمع الرجال والنساء، فوجه العالم المصطفى البرنوي أبياته إلى الشيخ عثمان بن فودي وهو يرفض جمعه الرجال والنساء في مجلس وعظه كما في البيتين التاليين<sup>٩</sup>:

فَامَنْعَ زِيَارَةَ نِسْوَانٍ لَوْعَظَكَ إِذْ \* خَلَطَ الرَّجَالِ بِنِسْوَانٍ كَفَى شَيْنًا  
لَا تَفْعَلْنَ مَا يُؤَدِّي لِلْمَعَايِبِ إِذْ \* لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ عَيْبًا كَانَ يُؤْذِينَا

والظاهر أن في أبيات البرنوي نوعاً من النقد الاجتماعي أو الفكري في استهجان الظاهرة الاجتماعية المتنافية مع الشريعة الإسلامية، وقد دافع عن الشيخ عثمان أخوه عبد الله بن فودي وحامى عنه هذا النقد، وبيّن أنه لا يُخالط النسوة عند وعظه ولا يتركهن يُختلطن بالرجال، بل كلٌّ من الرجال والنساء يأتي إلى مجلس وعظه، ولهم مكانٌ معدٌّ له خاصة، كما بيّن علة حضورهم رجالاً ونساءً، كي لا يتركهم في الجهل، فإن الجهل أشدُّ عليهم؛ إذ يقودهم إلى الكفر بدون أن يشعروا<sup>١١</sup>.

ولا يفوت الباحثين، ذكرُ الشخصية الأدبية الناقدة باسم الشيخ عمر بن أبي بكر الكباوي، المشهور بالحاج ألفا عمر ناكركي<sup>١٢</sup>، والذي برزت شخصيته في النقد الاجتماعي بأبياته الآتية<sup>١٣</sup>:

بِحَقِّ رَبِّ الْوَرَى يَا قَوْمِ انْتَبَهُوا \* فَإِنَّ فِي دَهْرِنَا هَذَا أَبَالِيسًا  
جَاءُوا وَحَلُّوا بِأَقْوَالٍ مُحْرَفَةٍ \* وَكُلُّ أَقْوَالِهِمْ إِفْكٌ مَتَى قَيْسًا

هجموا مدارسنا سفهاً على سفح\* وصار ما زوّروا فينا وساوساً  
فقد ظهرت عبقرية هذا الناقد في الحركة العلمية، وكيف حنّكته التجارب في تدوين  
الحوادث التاريخية، وهذبته المهارات الفائقة في النقد الاجتماعي، وأحكّمته فطنائه في ممارسات  
السُّلطات السياسية.

### المبحث الثاني: تطور النقد الأدبي النيجيري في القرن العشرين

من المؤكّد أنّ النقد الأدبي النيجيري بدأ في بادئ ذي بدء بالشيخ آدم عبد الله  
الإلوري في كتابه "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية"، وحسبك قول القائل: "ليس  
مما يشكّ فيه إذا قيل إنّ الإلوري كان من الأولين الذين وضعوا اللبنة الأولى للنقد العربي في  
الدولة النيجيرية.."<sup>١٥</sup>، كما بدأ تطوّره على يدي الدكتور علي أبي بكر في كتابه "الثقافة  
العربية في نيجيريا"؛ وفقاً على قول القائل: "لعل الدكتور علي أبوبكر أول رجال نقد الأدب  
العربي النيجيري وعمل على إدخال نقدنا العربي في طورٍ جديدٍ"<sup>١٦</sup>، وحسبك قول الدكتور  
علي أبي بكر في مقدمة كتابه: "فمن هنا يتضح لنا أنه لم يتعرض أحدٌ من هؤلاء إلى الثقافة  
العربية بصورة عامة وشاملة قبلي، ومن أجل ذلك فلي كل الحق في أن أدعي أن هذا البحث  
هو الأول من نوعه.."<sup>١٧</sup>.

يكتفي البحث بالإشارة إلى الآراء النقدية المشهورة في العالم النقدي، والتي انتمى إليها  
العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية"،  
مما يدلّ على وعيه الكبير بالنقد الأدبي العربي، ومنها موافقته النقدية التي خاضت في  
مخاضات الآراء النقدية المشهورة في المضمار النقدي العربي، فأنحاز فيها إلى زاويةٍ معينة،  
واختار البحث ثلاثةً منها نموذجاً: الأول، الرأي الذي يذهب إليه بعض النقاد من أن الشعر  
أوقع شيء في ذهن المتلقّي، وأسرع رسالة إلى المرسل من النثر الفني؛ لأن "الشعر أكبر مظهر  
تجلّى فيه براعة الأديب وجودة فكره التي يمتاز بها"<sup>١٨</sup>، والثاني، الرأي الذي يذهب إلى قول  
النقاد المشهور: "أعذب الشعر أكذبه"، فقال في معرض كلامه "أعذب الشعر أكذبه ولا يجيد  
الشعر إلا من أجاد تصوير الخيال حتى ولو كان مستحيلاً"<sup>١٩</sup>، والثالث، الرأي الذي يذهب

إلى أن الشعر مكتسب؛ لقوله: "ولا يكون الأديب شاعرًا إلا بكترة حفظه للأشعار في مختلف البحور والأغراض، والمبتدأ يبدأ الشعر بالتقليد أو الاقتباس أو السرقة حتى يستقيم شعره في اللفظ والمعنى"<sup>٢٠</sup>.

ومن مواقفه النقدية أنه سبّر غورَ الأصالة الأدبية للأديب العربي النيجيري، فقال: "ولا عجب أن يصطبغ ويتشكّل في ألفاظه وأساليبه بالمقومات التي اصطبغت بها المقامات الحريّة من أدب وزهد وجد وهزل، وأن يتأثر شعرهم بأشعار امرئ القيس والنابعة كما يلاحظ في قصائد ابن فودي في تزيين الورقات على أن إنتاج علمائنا قليل بالنسبة إلى كثرتهم"<sup>٢١</sup>. والإلوري في هذه الوقفة يسبر أصالة الأديب العربي النيجيري في عمليته الأدبية، حيث بين مصادره التي يستقي منها، وهي تلك الظاهرة النقدية التي وجدت قبولاً في الأدب العربي الحديث، ويسمونه بالتناسل.

ومن مواقفه النقدية في الكتاب أنه اهتدى بثاقب وعيه النقدي إلى ملاحظاته على الآثار الأدبية الواردة في عصور الأدب العربي النيجيري الخمسة، فلاحظ على العصر البرناوي الذي "كان الإنتاج الأدبي فيه ضعيفاً وقليلًا لأنه فترة الدعوة إلى الدين الجديد وطور التأسيس والتوطيد للثقافة الجديدة، ولا ينبغي أن يرتقي فيه الأدب إلى درجة الإنتاج"<sup>٢٢</sup>، وكذلك لاحظ على العصر الونغري المحفوظ بكترة العلماء والأدباء الكبار والذي يُعدّ دليلاً على رسوخ قدم العلم والأدب في تلك البلاد منذ أزمان<sup>٢٣</sup>، ثم لاحظ على عصر المغيلي الذي زار نيجيريا بعد ازدهار العلم بها<sup>٢٤</sup>، وأفاد منه كثيرٌ من العلماء النيجيريين، وإن كان هو غير معدّ في الأدباء النيجيريين؛ لأنه "ليس من علماء البلاد وهو عربي الأصل وإن كان فيه دم بربري"<sup>٢٥</sup>، كما لاحظ على العصر الفلاني الذي عدّه أزهر العصور أدباً وعلماً؛ لأنه "مليء بأدباء وعلماء وكتّاب وشعراء، ثم يضاف إليهم العلماء من آل فودي وعلماء من تلاميذهم وأتباعهم"<sup>٢٦</sup>؛ ولاحظ كذلك على العصر الإنجليزي، حيث وجده أرقى العصور الأدبية العربية ازدهاراً، و"أما في نيجيريا فانخفض الأدب العربي إلا قليلاً"<sup>٢٧</sup>.

وأما الدكتور علي أبوبكر فقد انتهج في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا" منهجاً أدبياً يجمع بين التاريخ والتفسير والنقد، وربما كان هذا المنهج هو أكثر المناهج صحةً لدراسة الأدب، وهو الذي يمكن لشموله أن يُسمّى بالمنهج التكاملي. ومن أمثلة ذلك قوله معلّقاً على البيت التالي لعبد القادر بن عثمان: "وفي القصيدة بعض عيوب الشعر كعدم وضوح المعنى في عجز:

يا سائلي فيما أريثُ ولا أرى \* مثلاً له في تالك الأقران

فإنّ مراده بالأقران غير واضح، فهل يريد به جمع قرن بكسر القاف وهو المثل، أو يقصد بالأقران القرون، وجاء به على هذا الوزن لضرورة الشعر، وبذلك يكون مخالفاً للقياس<sup>٢٨</sup>.

وكذلك تعليقه على قصيدتي عبد الله بن فودي الجيميّة والحائيّة، حيث شهد على جميته بـ"روعة تشبيهاته واستعاراته"<sup>٢٩</sup>، وأنها "تمتاز بالكلمات الصعبة التي تبدو غريبة"<sup>٣٠</sup>، وأن حائيته هي "بكل سهولة وبساطة"<sup>٣١</sup>، وبيتها "الأولان اللذان افتتح بهما القصيدة تؤكدان لنا مرة أخرى ما ذهبنا إليه من تأثره بشعر المعلقات"<sup>٣٢</sup>، وأما قوله: "مصائب قوم عند قوم مصالح"، فـ"بمجرد قراءته يقفز إلى أذهاننا عجز بيت المتنبي الذي يقول فيه: مصائب قوم عند قوم فوائده"<sup>٣٣</sup>.

ثم عقد الدكتور موازنات لطيفة بين أشعار العلماء النيجيريين وأشعار العرب، منها على سبيل المثال، عندما يتكلم عن قصيدة الزاهد محمد سنّبو في الزهد، وازن بين بعض أبياته وبيت عمر بن أبي ربيعة وبين بيت ابن الوردي، كما يلي:

ما لها تنجزنا ما وعدت \* أتقي بالوعد ربّاتُ الحُجّال

فقال الدكتور: "يذكرنا بكل من بجره ولفظه ومعناه بيت عمر بن أبي ربيعة الذي يقول:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد \*\* وشفّت أنفسنا ممّا جُد

فإن الناظم لم يتأثر به أكثر من هذا البيت، وإنما تأثر بشاعر آخر وهو ابن الوردي في قصيدته التي مطلعها:

لا تقل أصلي وفصلي أبداً \* إنّما أصل الفتى ما قد حصل

[قارن هذه القصيدة بقصيدة الزاهد الآتي]:

اتق الله فتقوى الله \* جاورت قلب امرئ إلا وصل  
ليس من يقطع طرقاً بطلاً \* إنما من يتقى الله البطل  
واهجر الخمرة إن كنت فتى \* كيف يسعى في جنون من عقل

وبذلك يتضح لنا الشبه الكبير بين القصيدتين في البحر والقافية وتقارب المعاني والألفاظ مما يدل على تأثير أكثر من توارد الخواطر<sup>٣٤</sup>.

وهكذا كان الدكتور علي أبو بكر يسير في نقده الموضوعي، فتارةً ينقد الأبيات بالمنظور اللغوي كما كان عليه النقاد العرب القدامى، وفيئةً ينقدها مشيراً إلى مواضع الأخذ والمأخوذ، ومرةً يستحسنها مشيراً إلى مواطن الاستحسان بدون تعليل، وحيناً يتبعها بالموازنة والمقارنة. فإن دل ذلك على شيء فإتما يدل على عبقريته الفذة وأسبقته في العملية النقدية في الديار النيجيرية. ولا شك في أن الدكتور علي أبو بكر قد حمل النقد الأدبي العربي النيجيري من الطور اللغوي إلى الطور التحليلي، حيث بذل قصارى جهده ليربط أعمال علماء نيجيريا الأدبية بأعمال الشعراء العرب. وحسبك قول القائل: "وقد يُعتبر الدكتور علي أبو بكر من المطورين المعتدلين الذين انتقدوا التراث العربي النيجيري ووزنوه بالموازن العربية القديمة والحديثة"<sup>٣٥</sup>.

كذلك يُعدّ الأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنتي مؤلف كتاب "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا" من النقاد النيجيريين المعاصرين الذين لهم إسهامات كبيرة في تطوّر النقد الأدبي العربي النيجيري في القرن العشرين، ويرى البحث أن يقدم نماذج لنقده؛ ليتبين أنه ناقد موضوعي حيث أتى بنماذج من الشعر العربي النيجيري في المدح وعلّق على أبيات محمد البخاري التي مطلعها:

أصحوت أم هاجت هواك منازل \* عقى معارفها البلى وهواطل

فظهر الأستاذ الدكتور غلادنتي عند تعليقه على هذه القصيدة ناقداً معللاً في قوله: "وإذا نظرنا إلى القصيدة بأكملها يتضح لنا أن الأبيات في الجزء الأول من القصيدة أجود منها في



النصف الأخير، فالشاعر في الجزء الأول يبدو أنه أطلق زمام شاعريته فأتى بأبيات سهلة في ألفاظها ومعانيها، ولكنه في آخرها متكلف ومقيد بصفات يريد أن يصف بها ممدوحه<sup>٣٦</sup>.

وكذلك زود الأستاذ الدكتور غلادنتي الجمهور بالنقد الأدبي الحافل بالإشارة إلى مواطن الضعف التي وقع فيها صاحب النص، وعلى سبيل المثال دراسته للشعر التعليمي الذي أتى بنموذجه وهو مخطوط في مكتبة الوزير جنيد الخاصة، والذي جاء منه ما يلي:

الحمد لله الذي تعرفنا \*\* إلى عباده بما تصرفا  
وأنطق اللغات في البوادي \*\* البلغاء اللسن الهوادي  
وعم بالروائح الأيادي \*\* مع الغوادي المجتدي والجادى

فانتقد الأستاذ الدكتور غلادنتي هذه القصيدة بأنها "في الغالب تكون سهلة الألفاظ، قريبة المعنى، ولكنها لا تخلو في الغالب من التكلف لأن الناظم مقيد، لا يستطيع أن يسبح في بحر خياله، ولا أن يطلق عنان شاعريته، فتجره إلى ميادين واسعة وصور رائعة"<sup>٣٧</sup>.

وكذلك أشار الأستاذ الدكتور غلادنتي إلى أن الشعراء النيجيريين كانوا يسرون على درب المنهج الجاهلي في نظم قصائدهم في القرن التاسع عشر الميلادي، وعرض خير قصيدة تصور ذلك المنهج الجاهلي، وهي جيميّة للشيخ عبد الله بن الفودي المشهورة التي مدح بها شيخه جبريل وأخاه عثمان بن فودي، والتي يقول في مطلعها:

عُج نحو أزواج الأحبة من مج \*\* واشرب من الأنشاج ماء الزعبعج

فعلق عليها بقوله: "فهي قصيدة طويلة، ولا تختلف كثيراً لا في منهاجها، ولا في أسلوبها عن بعض القصائد الجاهليّة التي كان الشاعر قد تأثر بها. لقد أراد فيها أن يحاكي القدماء، وينسج على منوالهم، فكانت النتيجة أن أصبحت القصيدة أصعب من كثير من القصائد الجاهليّة"<sup>٣٨</sup>. ومع ذلك قد وجد الأستاذ الدكتور للشاعر مخرجاً، حيث أثنى على الجهد الذي بذله؛ لأنه قد استطاع أن يصبغ القصيدة بصبغة محلية، كما استطاع أن يعبر عن بعض أحاسيسه<sup>٣٩</sup>.

يضاف إلى مجهود الأستاذ الدكتور غلادنتي النقدي ملاحظاته على بيتين آتيين:

نصراً لنا برماحنا وسهامنا\*\* وسيوفنا ببطونهم والراس

أولادهم ونسأؤهم مسيبة\*\* ورجألهم مقتولة بالفاس

عاب البيت الأول على استخدامه "رماح، سهام، سيوف" مجردةً، دون تحديد نوعها، في قوله: "فنحن لا نعرف شيئاً عنها، ولا نستطيع أن نجد صورة واضحة لهذه الرماح كما نجدها في هذا البيت لعنترة حيث يقول:

يدعون عنتره والرماح كأثما\*\* أشطانُ بعْرِ في لَبانِ الأذْهم"٤٠

وكان الأستاذ الدكتور غلادنتي في تعليقه على الأبيات في بعض الأحيان يعلق بالتعليل حتى يستطيع القارئ أن يرى ما قصده عياناً، كما علق على أبيات الشاعر الوزير جنيد في أبياته التي منها:

صارت مراتع للوحوش بُعيد أن\*\* كانت مقاصدَ حاضرٍ أو بادٍ

أقوتُ فلست ترى بها أحداً سوى ال\*\* حرباء لائذةً على الأعوادِ

قامت تُخاطبني فعزّ كلامها\*\* فلكم سكوتٌ معلنٌ بمرادٍ

وتُدير عينيها تُشير بذاك دو\*\* رَ الدهر غير ما ترى في النَّادي

فقال: "هذا تصوير دقيق ولطيف للحالة الراهنة، كما يراها الشاعر"٤١. ثم استمر

يُبرّر قوله في العبارات التالية: "ونلاحظ أن الشاعر يقتصر لا على الوصف وحده، بل يستخدم الحوار ويخلق بذلك حركة درامية رائعة، فأخذ الحرباء دلالةً على التغيير، فهي في ذاتها تتلون وتتغير وتُوحى بتغير الزمان، كما أنها تدير عينيها مشيرة إلى دور الدهر"٤٢.

فلا شك في أن هذه التعليقات على الأبيات تشير إلى أنّ المعلق ذو خبرة ومهارة، بل

إنه ناقد بصير يفسر النصوص لتقريب الفهم إلى المتلقين بكل وضوح. وعلى أي حال فإن

الأستاذ الدكتور غلادنتي كان من النقاد النيجيريين البارزين الذين لهم باع طويلة في تحريك

عجلة النقد الأدبي النيجيري إلى الأمام، بل كان من الذين أسسوا قواعده حتى صار متيناً لا

يمكن أن تزعزحها رياح عاتية.

وهكذا نرى البروفيسور "علي نائي سويد" مؤلف كتاب "كيف نتذوق الأدب العربي"، الذي كانت شخصيته النقدية جلية في الكتاب، حيث "أضف روحاً جديدةً إلى البلاغة العربية، وإلى المنهج الفني"<sup>٤٣</sup>، حين نظر إلى علوم البلاغة العربية ورأى ما عمّرها من الآفات المنطقية والعاهات الفلسفية التي تقف كسدٍ منيعٍ لتطور علومها، ومنها ما ورد في قوله:

"مقاييس النقد القديمة قاصرة وعاجزة تمام العجز عن شحذ الحسّ الأدبي لشبابنا المعاصرين الذين يتعلمون الأدب... وعلّة ذلك الأساسية في نظرنا هي أن النقد القديم قد قام على أساسٍ من علوم البلاغة التقليدية، وهذه العلوم لم تملأ بالخطأ والتقصير فحسب، بل قد اتخذت وجهة خاطئة منذ بدايتها فكان من المستحيل أن تنتج شيئاً ذا قيمة في تذوق الأدب والكشف عن جماله الحقّ..."<sup>٤٤</sup>.

تأسيساً على هذا، نظر البروفيسور علي نائي إلى البلاغة القديمة، فرأى طغيان المسائل المنطقية والفلسفية على معانيها وبيانها وبديعها حيث جرّت عليها التقصير في شحذ أذهان الدارسين والفهم الدقيق لشعور الراسل أولاً، فالمرسل ثانياً، ثم دعا النقاد والبلاغيين إلى أن يضعوا منهجاً سليماً لقيادة الدارسين إلى معرفة البلاغة التي تسهل الطريق للوصول إلى أحاسيس الشاعر الأصلية؛ وذلك لأن النقاد والبلاغيين القدامى "لم يقصروا هم ذاك ويقعوا في أخطائهم تلك إلا لأهم -أصلاً- لم يفهموا ما الأدب وما كُنْهه، ما دوافعه، وما منشؤه من النفس الإنسانية، ما وظيفته، لماذا تحتاج إليه الإنسانية، لماذا يهتمّ الأدباء بإنتاجهم الأدبي وماذا يجب علينا أن نحاول التقاطه منه، ما طبيعة التجربة الواقعية"<sup>٤٥</sup>.

فلاحظ أن وسائل تصويرية علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية كانت قوالها جافةً للوقوف على ظواهرها الشكلية، فانعدم الربط بين القوالب وبين ما احتوى عليه انفعال الأديب وتجربته، واستعسر فهمها، وأما وسائل علم البديع من تورية وجناس وطباق ومقابلة وما إليها، فعدّت مجرد تحلّية لفظية كآثما لا علاقة بينها وبين المضامين العاطفية حتى فتحت الباب للمشعوذين والحواة<sup>٤٦</sup> يتلاعبون بظواهر شكليتها، ف"هذه العلوم البلاغية إذن قاصرة

بطبيعتها عن أن تلفتنا إلى الجمال الحقيقي في الأدب، قاصرة أن تستجلي الخصائص الصحيحة للعبقريّة الأدبيّة العربيّة<sup>٤٧</sup>، فلا بدّ إذاً أن تُقام دراسة الأدب على أرض صلبة من المعرفة بالحقائق العلميّة التي تحيط بإنتاج الأدب، سواء منها ما يتعلّق بالأدب ككائن حيّ، ينتمي إلى الجنس البشري الذي يريد بتسلسله إلى الأصل الحيواني، وما يتعلّق بالبيئة الطبيعيّة والاجتماعيّة التي تحيط بالأدب وإنتاجه<sup>٤٨</sup>.

ويقف البروفيسور "علي نائبي سويد" مضاداً لموقف الذين قالوا: "أعذب الشعر أكذبه"، فأعلن ذلك بكل شجاعة أدبيّة في قوله: "إننا نتخذ موقفاً مضاداً، تمام الضديّة للموقف الذي ذكره ابن رشيق، فإذا عفونا عن الكذب في أي شيء آخر، إذاً عفونا عن الكذب في معاملاتنا اليوميّة، فإننا لن نعتفو عنه في الأدب"<sup>٤٩</sup>، واستمر قائلاً: "الصدق الذي نتطلّبه هو: أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي اعتقدها، ولسنا نعني به أن يكون نقلاً حرفياً للواقع الخارجي بحذافيره"<sup>٥٠</sup>، ودفع موقفه هذا من حيث يقول: "إذا كذبنا في الأدب، فإننا نشوّه من فهمنا لكياننا الإنساني كلّ ونزيف صورتنا عن حياتنا الإنسانيّة الشاملة، فنخلف لأنفسنا ونعطي لأولادنا وأحفادنا صورة خاطئة وزائفة عن تجارب الإنسان الأساسيّة في هذا الكون"<sup>٥١</sup>.

وقد ساعدت هذه الظاهرة البروفيسور "علي نائبي سويد" على تحليله لبعض نصوص أدبيّة على أسس بلاغيّة بارعة ونابعة من الذوق السليم، ومنعكسة عليها العمليّة النقديّة الفائقة التي تحوز جدارة تتبّع الانفعالات النفسيّة للأديب، وانظر إليه معلقاً على بيتي امرئ القيس الآتيين:

أفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ \* وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَاجْمَلِي  
أَعْرَكَ مَيِّ أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي \* وَأَنْتِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

أول ما يلاحظ في هذه الأبيات بوجه عام: أنّها توحى بحديثٍ مُجَيِّهٍ هائمٍ مقبلٍ على محبوبته بكل مشاعره وعواطفه، وليس حديثاً لاهٍ غير مكترث. كذلك نجد كلماتها سهلةً ليّنةً تتجاوب مع رقة وجدانه ولوينة مشاعره، وهي تترجم حالته النفسيّة، وتعبر عن الجوّ الحزين

الذي عاش فيه الشاعر. فهو في البيت الأول يناديها بقوله: أفاطم نداء القريب، وهو لم يفعل ذلك عبثاً أو لضرورة شعريّة، وإتّما فعل ذلك لقصد تقريب محبوبته إليه. انظر إلى الترخيم في نداءه لها تجدّ لهجة الرفق والحنان، وانظر كذلك إلى قوله: بعض هذا التدلّل، تجدّ أنّه يناشدها الرفق، وأنّ تتمسّك ببعض هذا الدلال وأتّما إذا كانت قد وُطّنت نفسها على مفارقتها فعليها أن تلزم الصبر. ثمّ يستمر في البيت الثاني محاولاً تهدئتها وإرضاءها قائلاً: إنه يعرف أن معرفة محبوبته بأن حبّه لها يقتله، وكون قلبه منقاداً لها، بحيث إذا أمرته بشيء فعله، كل هذا هو الذي غرّها<sup>٥٢</sup>.

ثمّ قام البروفيسور "علي نائبي سويد" بدراسة الشخصيتين الأدبيتين، شخصيّة أبي نواس الأدبيّة وشخصيّة ابن الرومي الأدبيّة. ومن المعروف أن هناك دراسات حول شخصيّة أبي نواس قام بها النقاد المحدثون، منها دراسات عقدها العقاد بناءً على عقدة النرجسيّة (Narcissism Complex) التي تقوم على حبّ الإنسان لذاته وإيثارها على ذوات الآخرين<sup>٥٣</sup>، وأما الدكتور طه حسين فقد عقد دراساته بناءً على الناحية العرضيّة (Accidental Aspect) التي تقوم على أن الشاعر مجيدٌ صادقٌ في كلا الغزليين (بالذكور وبالنساء)<sup>٥٤</sup>، وأما الدكتور محمد النويهي فقد عقد دراساته بناءً على عقدة أوديب (Oedipus Complex) التي تقوم على تعلّق الابن بأمّه وحبّ استئثاره بها<sup>٥٥</sup>، كلٌّ من الدراسات تحصّ نفسية أبي نواس التي تبرر لماذا كان يجيد الغزل بالذكور وهو صادق فيه، ولا يجيد الغزل بالنساء وهو كاذب فيه.

أدلى البروفيسور "علي نائبي سويد" بدلوه في هذه القضية وأبدى رأيه الخاص الذي يميل إلى رأي الدكتور محمد النويهي من أن "الرأي الذي يقول بالناحية النفسية، أي إجادته في الغزل بالذكر دون المؤنث ترجع إلى: عقدة نفسية أصابته، العقدة التي جعلته يكره الجنس اللطيف أشدّ الكره، ويميل إلى الجنس الخشن كل الميل"<sup>٥٦</sup>، ورفض رأي العقاد معللاً بقوله: "إن القول بأن السبب في ذلك يرجع إلى الناحية الفنيّة أي أن أبا نواس لم يكن مطبوعاً في التغزّل بالنساء، إلاّ أنه تغزّل بهن لأنه شاعر، ولأنه من حق شاعر أن يتغزّل. هذا القول - في

نظري - فيه نوع من التساهل، لأن الطبيعة تقتضي أن يكون شاعرنا مجيداً صادقاً في التغزل بالنساء بمقتضى الميل الطبيعي بين الجنس الحشن والجنس اللطيف..<sup>٥٧</sup>. وكذلك ضرب البروفيسور علي نائي برأي الدكتور طه حسين إلى عرض الحائط؛ قائلاً: "أما القول بأن أبا نواس كان مجيداً في كلا الغزلين، وإذا اتفق تفضيل قطعة من هذا الغزل على قطعة من ذلك الغزل، فكما يتفق تفضيل القطعة الأخرى في الغزل الواحد، فهذا أيضاً لا أميل إليه كل الميل، لأنه لا يتمشى مع كثير من أشعاره الغزلية"<sup>٥٨</sup>.

وخلاصة القول إن البروفيسور "علي نائي سويد" من أفذاذ النقاد النيجيريين الذين لهم الباع الطويلة في الأدب والنقد، وهو "من أولئك النقاد الذين يؤمنون إيماناً جازماً بأنه لا يمكن لأي دارس أياً كان أن يقوم عملاً أدبياً أنتجه الإنسان تقويماً عادلاً إلا إذا أقام ذلك التقويم على أرض صلبة من المعرفة بالحقائق العلمية التي تحيط بإنتاج ذلك العمل، سواء منها ما يتعلق بالمنتج من حيث هو كائن حيّ ينتمي إلى الجنس البشري الذي يرتدُّ بتسلسله إلى الأصل الحيواني، وما يتعلق بالبيئة الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بذلك العمل وإنتاجه"<sup>٥٩</sup>.

وقد سار الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا على درب النقدي البناء الذي يقوم على تقدير وتقييم العمل الأدبي الذي تمتع به عبد الله بن فودي، حيث تتبّع أعماله الشعرية في قالبٍ نقديٍّ رفيعٍ يُبرز قيمتها الأدبية شكلاً ومضموناً. ويكتفي البحث بتتبّع نُتفةٍ منه إشارةً إلى جرّ هذا الناقد الكبير عجلة النقد الأدبي النيجيري إلى الأمام، وإيماءً إلى مهامه النقدية التي أدّته تجاه النقد الأدبي النيجيري في كتابه "أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي" حيث يستعرض البحث قضية اللفظ والمعنى التي شغلت عالم النقد الأدبي قديماً وحديثاً في تحريّ النماذج للنقد الذي عقده الأستاذ الدكتور أغاكا؛ لخطورتها في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية.

فهذا الأستاذ الدكتور يعلّق على دقة اختيار الألفاظ التي نال بها عبد الله بن فودي إشادةً منه عند قوله في البيت التالي:

ومحرمات دعها قد صيرت \*\* مثل المباح يلومه الأعمار

فقال: "وتحير (دع) المضاعف الثلاثي عيني اللام لما له من شدة وقوة تعبيراً عن الترفع الشديد عما يدنس المروءة والتعالي المبالغ للابتعاد عن كل رذائل...<sup>٦٠</sup>. فمن هنا يبدو معيار سلامة الكلام عنده تنحصر في سلامة اللفظ أولاً وإصابة المعنى ثانياً في تركيب رصين يسيطر على النفوس فتتجذب نحوه انجذاباً؛ لأن دقة الذوق للشاعر هدته إلى استخدام اللفظ في غاية نصاعته وملاءمته، فالمقام هنا مقام الأمر بترك المحرمات التي يحسبها الرجل القصير الباع - الذي لا يعرفها حق معرفتها - مباحاً، فاختار الشاعر اللفظ الملاءم الذي يؤدي الترك عنها في تناسبه السديد وموضعه الصائب؛ لأن "من أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصبوئهما عما يفسدهما"<sup>٦١</sup>.

ثم قيّم الأستاذ الدكتور أغاكا شعر الشاعر من خلال طرفة الألفاظ التي "هي قدرة الألفاظ على محافظة ندرتها ورونقها على الاستعمال السوقي الذي ألفه عوام الناس في ظروفهم اليومية... بل إن القصد هو أن تجمع الألفاظ بين السهولة الممتعة والصعوبة الممتعة"<sup>٦٢</sup>، فوجد للشاعر منفذاً يخرج منه عند توظيفه الألفاظ الصعبة في قصيدته الجيميّة التي ورد منها:

عُج نحو أضواج الأحبة من مُج \* واشرب من الأنشاج ماء الرّعبج

فقال الأستاذ الدكتور: "والواقع أن غرائب الديوان تنبئ عن الجيل والبيئة اللذين ينتمي إليهما عبد الله بن فودي، وترتبط بالأحداث الاجتماعية التي مرّ بها، إذ كانت تلك الألفاظ على كثرة حوشيتها، وصعوبتها، تمثل ظاهرة العمق، والرصانة التي آتته من طول القراءة، والتقصي، والاستيعاب..."<sup>٦٣</sup>؛ لأنّها "جاءت لتغدو سجلاً تاريخياً عن المرحلة الأولى التي أفرغها علماء المنطقة في جمع المختارات من الألفاظ الصعبة عبر المعاجم..."<sup>٦٤</sup>.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور أغاكا عن الإيحاءات اللفظية عند قول الشاعر:

تذكرت والذكرى تثير لذي النوى \* هموماً وفي الذكرى تهب صبا الهوى  
أخلاء ماتوا في الجهاد وغيره \* وبعدي عن شيخي فأرقني الجوى

فقال:

وأول ما يبهرك في القطعة كلمة "تذكرت"، تدبر موقع تكرارها في العوامل السيكولوجية، وكيف وقعت "تثير" جملة فعلية توحى بتجدد الإثارة، وإيقاظ الإحساس إلى جانب ما تحمله المادة ذاتها من القوة، والضعف على المستهدف، حتى يكون واعياً متأثراً، ثم وقعت خيراً للذكرى، وتكونت جملة اسمية على الحالية لنقل الإثارة إلى درجة الدوام، والبقاء، وتبصر "أخلاء ماتوا" رحلة لا ترتجي منها عودة، و"بعدي عن شيخي" رحلة طال عليها الأمد، وتفكر ما في تأثير الكلمتين على القلب والنفس، وعلى الحس والعقل، وسترى ظلالاً وارفةً من الإيحاءات بين ألفاظ هذه القطعة.. فاجتمعت فيها صنوف من عواطف، تعقبها مشاعر..<sup>٦٥</sup>.

ونظرة متأنية إلى هذا النص تكشف عن تأثير الدور الفعال الذي لعبته هذه الألفاظ في إثارة العواطف والأحاسيس عن طريق الإدراك بشحنات العاطفة الصادقة التي لا تشوبها ازدواجية التعامل ولا سمعة.

هكذا تتبّع الأستاذ الدكتور أغاكا أشعار عبد الله بن فودي ينقدها نقداً يُقدّر قيمها الأدبية اعتباراً من مفرداتها التي تتمثل في دلالاتها وأحوالها الإسنادية، وجملها التي تتجسد في نظمها وأساليبها وتراكيبها وأنواعها وأحوالها الإسنادية، إضافةً إلى التصوير البياني تشبيهاً كان أو استعارةً أو مجازاً أو كنايةً، والتصوير البديعي بنوعيه المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية.

### المبحث الثالث: تطور النقد الأدبي النيجيري في القرن الحادي والعشرين

نال النقد الأدبي النيجيري نصيباً وافراً من عناية الأدباء والنقاد في القرن الحادي والعشرين، فقد حاولوا أن يُطبّقوا ذوقهم النقدي على إنتاجات الشعراء والناثرين، سالكين مسلك المنهج الفني وغيره من المناهج النقدية في دراساتهم النقدية، وسلك نقاد الأدب العربي في نيجيريا مسلك العرب في ربط هذه المناهج بأعمال أدبائهم، وكان ذوقهم في هذا الفن لا يقل شأناً عن ذوق النقاد العرب، لأنهم درسوا الآداب العربية النيجيرية وغير النيجيرية، وأشاروا



إلى ما فيها من مواطن الحسن ومظاهر الضعف. وكان النقد العربي في هذا الوطن فناً من فنون الآثار الأدبية لا يستغني عنه الدارسون، وقد دارت نقاشاتهم في الفنّ حول عددٍ كبيرٍ من أنواع المقاييس الأدبية، والمناهج النقدية، ويبدو في تلك النقاشات تأثر النيجيريين بالنقاد العرب، وبصفة خاصة عند معالجتهم للمناهج النقدية الحديثة في البحوث الجامعية والمجلات الأكاديمية، حتى جرّتهم تلك الحال إلى تأليف الكتب التي تخصّ الدراسات النقدية القوية، أو تخلط بين الدراسات الأدبية والنقدية، أو بين الدراسات البلاغية والنقدية، فتقدّم النقد الأدبي النيجيري تقدماً بارعاً فائقاً.

ومن النقاد الذين ساهموا في النقد الأدبي النيجيري بعد البروفيسور علي نائي سويد الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد في رسالته للحصول على شهادة الماجستير بجامعة الخرطوم بالسودان بعنوان: "شعراء صكتو ومدح العظماء، والأستاذ الدكتور محمد أول أبو بكر في كتابه "محمد النويهي والنقد الأدبي" و"سيد قطب والنقد الأدبي"، والأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا في كتابه "أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي"، و"البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي"، و"فن النقائض في الأدب النيجيري الإسلامي"، ثم السيد عبد الواحد جمعة أربي في كتابه "معايير النقد الأدبي"، والدكتور محمد آدم في كتابه "النقد الأدبي في نيجيريا: دراسة تطبيقية"، وغيرهم من النقاد النيجيريين.

ولا يستطيع البحث في هذا المقام أن يتتبع ويستقرئ بحثاً عن هذه الأعمال النقدية التي قدّموها في كتبهم النقدية في هذا المقام، إلا أنه سيذكر مؤلفاتهم بهذا الصدد، ويسلّط الضوء على بعض منها، وهي ما يأتي:

١- كتاب "النقد الأدبي في نيجيريا: دراسة تطبيقية" لمؤلفه الدكتور محمد آدم، وكانت طبعته الأولى عام ٢٠١٢م، وهو كتاب تحدّث عن خصائص النقد الأدبي ومشاكله في نيجيريا وطرق حلّها، وتحدّث عن المنهج الفني في النقد الأدبي النيجيري، كما تحدّث عن رواد النقد الأدبي النيجيري ودور الدارسين فيه، ثم عقد فصلاً لدراسة نقدية نموذجية يُطبّق النقد الموضوعي على أشعار سبعة من أعلام شعراء نيجيريا، وهم: الوزير جنيد، الشيخ

أبو بكر محمود جومي، والشيخ ناصر كبرا، والشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، والشيخ إبراهيم صالح بن يونس الحسيني، والدكتور عيسى ألي. ومن نماذج نقده ما جاء في الكتاب عندما ينقد قول الشيخ أبي بكر جومي:

مطيّة إبليس اللعين وأهله \* ومخطر أهل السلم إذ تتحلّق  
تطير وتمشي في الهواء بأرضها \* نجوم وفيها النار تذكو وتحرق  
وما راكب إلا يشدّ بمطيّة \* لكيلا يفوت الخطر إذ تتفسّق

فقال الدكتور محمد آدم: "والواقع أنها ليست بمطيّة إبليس، إنما هي مطيّة كل مسافر مستطيع، وعلى الحقيقة فيها النار لكن لا تحرق أيّ واحدٍ من ركابها، وربط الركاب بجزائها إنما هو لمصلحتهم، أما تجوّلها على الآفاق فإنما هو لقلّة المسافرين حينذاك، على ذلك رَسَتْ بطرابلس، ثم إلى الخرطوم بعد ثلاثة أيام"٧١، ثم طلب للشيخ جومي منفذاً أدبيّاً عند قوله: "ودائماً يقتضي الفنّ للفنّ أن يحول الواقع إلى ما يطابق نفسيّة الفنان، لذلك رأينا شاعرنا حوّل هذا الواقع إلى ما يشعر من كره هذه الطائرة التي سبّته وطارته به وفرقت بينه وبين أهله...٧٢".

ويتبيّن خلال الاستعراض الموجز لهذه الدراسات النقديّة أنّ النقد الأدبي النيجيري قد استغلظ واستوى على سؤقه في القرن الحادي والعشرين الميلادي بسبب المراجعة والاستدراك فالتأليف، حيث إنّ هؤلاء الأكاديميين قد زاولوا النقد الأدبي مزاولاً موضوعيّةً فتحت أمامهم آفاقاً جديدةً في حقولهم العلميّة والأدبيّة حتى تمكّنوا من النضج الكامل، واستووا على صهوة العزّ.

#### الخاتمة

تتبع البحث أصول النقد الأدبي العربي في نيجيريا، واكتشف أن العلماء النيجيريين عنوا في أول الأمر بمعالجة الهفوات اللغويّة، ومناقشتهم القضايا التي تتسم بالتناقض والتعارض العلميّ، وإيمائهم إلى إصلاحات الطبائع الناخرة التي تُعانيها مجتمعاتهم، مما جعل النقد الأدبي النيجيري لم يكن آنذاك شيئاً مذكوراً بمعناه الاصطلاحي، فنظر البحث في محاولتهم معالجة

اللغة، ومناقشتهم المتداول فيها الآراء العلمية، والإشارة إلى إصلاح المجتمع كنقطة انطلاقاً لرصيف طريق النقد الأدبي العربي في نيجيريا.

ثم تعرّض البحث لتطوّر النقد الأدبي العربي النيجيري الذي بدأ بالعلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والذي يُعتبر الرائد الأوّل للنقد الأدبي العربي النيجيري، كما استعرض للدكتور علي أبوبكر الذي قام بالنقد الأدبي العربي من المنظور اللغوي، والإشارة إلى مواضع الأخذ والمأخوذ، وإلى مواطن الاستحسان بدون تعليل، وإجراء الموازنة والمقارنة، ثم تلاه الأستاذ الدكتور شيخو أحمد غلادنتي الذي حمل النقد من الإطار التحليلي إلى الإطار التعليلي، حيث كان فيه مبرزاً. ثم استتلى ذلك البروفيسور نائي سويد الذي حلّق في أجواء النقد الأدبي العالمي بشكل عام والنيجيرية على وجه الخصوص، حيث إنه أضاف إلى آراء نقدية شهيرة قوةً إلى قوتها، وأدلى بدلوه في النقد الأدبي العربي النيجيري باستنهاض ساحته تفسيراً وتحليلاً وتعليلاً. ثم أتبع ذلك الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا الذي غدّى النقد الأدبي النيجيري على النموّ العالي بتقديراته وتقييماته للنصوص الأدبية.

وتصدّى البحث لتطوّر النقد الأدبي العربي النيجيري الذي تطوّر بتصنيف الكتب النقدية من العلماء والأدباء والنقاد المحلّين الذين تركوا بصمات النقد الأدبي العربي على الصعيد النيجيري تشير إلى بلوغهم مرحلة نُضج النقد الأدبي التي حرّكت عجلته إلى الأمام، بل إلى غايته القصوى. ومن هذه الكتب النقدية: كتاب "معايير النقد الأدبي" لعبد الواحد جمعة أربي، وكتاب "النقد الأدبي في نيجيريا: دراسة تطبيقية" للدكتور محمد آدم.

## الهوامش والمراجع

- ١ - محمد آدم (الدكتور)، النقد الأدبي في نيجيريا: دراسة تطبيقية، مطبعة تكنولوجيا الذكري الألفية، صكتو، ومركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٣.
- ٢ - محمد آدم (الدكتور)، المرجع نفسه، ص٣٣-٣٤.
- ٣- خليل الله محمد عثمان بودوفو (الدكتور)، خواطر حول نقد الأدب العربي في نيجيريا، منقول من موقع: <http://www.unilorin.edu.ng/publications/a3.htm> يوم الاسترجاع: ١٣/٠٩/٢٠١٤م، ص٥.
- ٤ - علي عبد الواحد وايني، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، د.ت.، ص١٤٨.
- ٥ - محمد آدم (الدكتور)، المرجع السابق، ص٣٤.
- ٦ - محمد آدم (الدكتور)، المرجع نفسه، ص٣٥-٣٦.
- ٧ - محمد بلو بن عثمان بن فودي (السلطان)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. طن أعيطايبيريو، صكتو، نيجيريا، د.ط، د.ت.، ص٤٦؛ وآدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، د.ط.، ط٢، ١٩٧٨م، ص١١.
- ٨ - محمد بلو بن عثمان بن فودي (السلطان)، المرجع السابق، ص٣٧.
- ٩ - محمد آدم (الدكتور)، المرجع السابق، ص١٢٢.
- ١٠ - شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٢٢.
- ١١ - ولد بمدينة كنو، شمال نيجيريا في عام ١٨٥٠م، وتوفي في ساحل الذهب (غانا) في ٣٠ يونيو عام ١٩٣٤م.. اشتهر بأعماله الأدبية الإسلامية، وكان ناقداً اجتماعياً وسياسياً، ويعتبر من أعظم العقول الأدبية التي ظهرت في منطقة غرب إفريقيا في مجال الفكر الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. (عثمان برهما باري،

- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١،  
٢٠٠٠م، ص ١٤٦-١٤٧).
- ١٢- عثمان بريما باري، المرجع نفسه، ص ١٤٧.
- ١٣- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، موسوعة الشعر العربي، (الإصدار الأول)، موسوعة  
شعرية إلكترونية، ٢٠٠٠م، ص ١٢٦٣.
- ١٤- محمد آدم (الدكتور)، المرجع السابق، ص ٣٧.
- ١٥- خليل الله محمد عثمان بودوفو (الدكتور)، المرجع السابق، ص ١١.
- ١٦- علي أبو بكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو،  
نيجيريا، ط ١، ٢٠١٤م، ص ٣٦.
- ١٧- الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات العربية في الديار النيجيرية، مكتبة وهبة،  
القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٦٢.
- ١٨- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٦٢.
- ١٩- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٦٢.
- ٢٠- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ١٨.
- ٢١- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٢٣.
- ٢٢- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٣١.
- ٢٣- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٣٢.
- ٢٤- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٣٥.
- ٢٥- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٣٥.
- ٢٦- الإلوري، آدم عبد الله، المرجع نفسه، ص ٤٢.
- ٢٧- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص ٣٧١.
- ٢٨- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٣٧٤.
- ٢٩- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٣٧٤.

- ٣١- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٣٧٥.
- ٣٢- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٣٧٥.
- ٣٣- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٣٧٦.
- ٣٤- علي أبو بكر (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥.
- ٣٥- خليل الله محمد عثمان بودوفو (الدكتور)، المرجع السابق، ص ١٢.
- ٣٦- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع السابق، ص ١٠٦.
- ٣٧- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٢٤.
- ٣٨- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٠٨.
- ٣٩- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٠٨.
- ٤٠- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١١٧.
- ٤١- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٢٤.
- ٤٢- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٥٩-١٦٠.
- ٤٣- خليل الله محمد عثمان بودوفو (الدكتور)، "من ملامح المنهج الفني في النقد الأدبي النيجيري خلال القرن العشرين الميلادي"، مجلة الفكر السنوية، قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة إبادن، نيجيريا، ٢٠٠٧م، ص ١٠.
- ٤٤- علي نائبي سويد (البروفيسور)، كيف نتذوق الأدب العربي، كانو، نيجيريا: دار الأمة، ص ٣١-٣٢.
- ٤٥- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص ٣٤.
- ٤٦- المشعُودُ، تقول: "شَعُوذُ الرجلُ فهو مُشَعُوذٌ"، أي: مهر في الاحتيال، أرى الشَّيءَ على غير حقيقته معتمداً على خداع الحواسِّ. وأما الحُوَاةُ، فجمع الحاوي، تقول: رجلٌ حوَاءٌ أو حاوٍ، إذا كان يجمع الحيات. (أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١٢١٢؛ والزبيدي، محمد بن محمد بن

عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د.ت.، ج٣٧، ص٥٠٤).

- ٤٧- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع السابق، ص٣٤.
- ٤٨- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص٣٤-٣٥.
- ٤٩- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص٢٧.
- ٥٠- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص٢٨.
- ٥١- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص٢٧-٢٨.
- ٥٢- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص٥٢.
- ٥٣- إسحاق صالح سليمان (الدكتور)، "الدرس النقدي النفسي لأبي نواس بين العقاد والنوحي". مجلة الإنسانيات، مجلة كلية الآداب، جامعة جوس، جوس، نيجيريا، العدد٥، الرقم ١، ص٩٩-١٠٠.
- ٥٤- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع السابق، ص١٠١.
- ٥٥- إسحاق صالح سليمان (الدكتور)، المرجع السابق، ص٩٩-١٠٠.
- ٥٦- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع السابق، ص١٠٣.
- ٥٧- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص١٠٢.
- ٥٨- علي نائبي سويد (البروفيسور)، المرجع نفسه، ص١٠٢.
- ٥٩- خليل الله عثمان بودوفو (الدكتور)، "من آثار القيم الفكرية في نقد الأدب العربي النيجيري". مجلة الفكر السنوية، مجلة الدراسات العربية والإسلامية، جامعة إبادن، نيجيريا، العدد٢١، ص١٤٠.
- ٦٠- أغاك، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، أساليب بلاغية في ديوان عبد الله بن فودي، مكتبة دار الأمة لوكالة المطبوعات، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٠٣.
- ٦١- أبو الهلال العسكري، الحسن بن عبد الله. الصناعتين. المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٣٤.

- ٦٢- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع السابق، أساليب بلاغية في ديوان عبد الله بن فودي ص ١١٤.
- ٦٣- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٢١-١٢٢.
- ٦٤- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١١٤.
- ٦٥- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.
- ٦٦- عبد الواحد جمعة أربي، معايير النقد الأدبي، مشاريع رحمن للعربية والإسلام، ط ١، م ٢٠٠٨، ص ١٤٩.
- ٦٧- عبد الواحد جمعة أربي، المرجع السابق، ص ٩.
- ٦٨- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، م ٢٠٠٩، ص ١٩.
- ٦٩- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٢٤.
- ٧٠- أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور)، المرجع نفسه، ص ٤٥٠-٤٥١.
- ٧١- محمد آدم (الدكتور)، المرجع السابق، ص ١٣٥.
- ٧٢- محمد آدم (الدكتور)، المرجع نفسه، ص ١٣٦.
- ٧٣- محمد آدم (الدكتور). المرجع نفسه، ص (ج).



## أثر الثقافة العربية في الأدب الهوسوي - أغاني محمد شاتا نموذجاً

الدكتور عبد العزيز أحمد ماش

قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدواكسنة

+2348036378113

### المقدمة

الغناء نوع من الشعر، لا يقدر عليه إلا الموهوب،<sup>(١)</sup> والشعب الهوسوي من الشعوب التي كثر فيهم الشعراء والمغنون الموهوبون منذ فجر تاريخهم الأدبي، والمغني في الشعب الهوسوي قد يختلف عن المغني في كثير من الشعوب والأمم الأخرى، إذ المغني الهوسوي في معظم الأحيان شاعر قبل أن يكون مغنياً، يتمتع بكل ما يملكه الشاعر من الذكاء والمواهب<sup>(٢)</sup>، فهو أقدر الناس تعبيراً، وأدقهم إحساساً، وأخيرهم ألفاظاً، وأوسعهم خيالاً، وأعمقهم تفكيراً، وأقواهم ملاحظة، وأرقاهم وجدانا، وأشدهم شعوراً، وأجملهم وصفاً، وأفصحهم لساناً، وأحسنهم كلاماً، وأقربهم إلى الصواب، وأحراهم للحق، وقبل كل ذلك فهو ألد الناس صوتاً، وأعذبهم كلاماً، وأوسعهم قاموساً، وذلك أن الغناء في الشعب الهوسوي فطرة لا يمارسها إلا ذوو المواهب والمخضوظون في اللغة<sup>(٣)</sup>.

وقد ظهر في هذا الشعب الهوسوي كثير من الشعراء والمغنين الممتازين، وذلك أمثال: جَنْلِكِطِي، وَطَنْدُوُو، وَمَيْدَاحِ سَابَنْ بَرْنِي، وَطَنْ أَنْثِي، وَتَرْنَبَطَا (شيخ المغنين)، وغيرهم من المغنين المهرة في ديار هوسا.

ظهر شاتا واشتهر في منتصف القرن العشرين الميلادي، وفاق جميع الشعراء والمغنين الهوسويين المعاصرين له في فترة وجيزة، وأنتج آلافاً من الأغاني الشعرية في شتى الأغراض والموضوعات، وهو المغني الوحيد في الديار الهوسوية الذي استطاع أن ينشأ أغنية لكل شئ وقعت عليه عينه، مدح ورثى، ووصف وهجا وافتخر، وتشبب وتغزل، وعلم وأرشد، وعالج جميع الأغراض الشعرية المتداولة في عصره.

ولد محمد شاتا عام ١٩٢٢م في بلدة مُوساوا بولاية كشنه شمال نيجيريا، من أب وأم فلانيين يسكنان وسط الهوسويين<sup>(٤)</sup>، وعلى يديهما أجاد محمد شاتا اللغتين - الفلاتية والهوسوية-، وقد ترعرع محمد شاتا وكبر في بلدة موساوا إلى أن وصل حد الرجال، فبدأ حياته كتاجر يبيع الطنبول، يتجول لبيعه بين الأسواق المحلية في المنطقة، فبانت موهبته لأول مرة عندما أصبح يعين سعر كل كتلة من مجموعة الطنبول، فسمي بشاتا من تلك العملية، أي "محدد الأسعار"، وقيل "شاتا" كلمة منحرفة من "أشات"؛ لأن شاتا كان يبيع الحلوات ويقول: "أشات"؛ أي تناولوها، ليلفت انتباه المستمعين، فحذفت الهمزة من أول الكلمة وزيد ألف في آخرها، فلقب بها "شاتا"<sup>(٥)</sup>.

بدأ شاتا حياته الفنية بقرض الأغاني ليلفت بها أنظار مشتري الطنبول، ومنذ تلك الأزمنة بان للناس قوة بديهته، وسرعة ابتكاره، وحسن صوته، وحلاوة موسيقته، وعذوبة ألفاظه، ورنانة نغماته، فملا الأسواق والمحلات التجارية بالأغاني المطربة، وتأثر به الشبان والفتيات في تلك الفترة، وصاروا يرافقونه أينما كان، يرددون معه الأغاني، وينقلونها منه مطربين بها في الميادين والمجالس العامة.

ثم تطوّر فنّ الأغاني على يدي محمد شاتا، فأنشأ نوعاً جديداً من الأغاني المسمى أسوورا، وهي عبارة عن الأغاني المطربة تدفع المستمع إلى الرقص، فصار الشبان والشابات يغنون أغاني شاتا مصاحبة بالرقصات في المهرجانات والتكتلات القومية<sup>(٦)</sup>، كالأعياد وشرو وكلكوا وتارندني وكوكووا، وغيرها من المناسبات الشبابية، فانتشرت أغاني شاتا في جميع أرجاء بلاد هوسا، وأصبح أشهر مغنيا في زمنه، وأنتج الأغاني أكثر من غيره من المغنين الهوسويين، وأجاد في كل الأغراض الشعرية.

قرض محمد شاتا مختلف الأغاني الممتازة، ومدح بها أو هجا، أو رثي، أو وصف الأمراء، والسلاطين، والقواد، والقضاة، والعلماء، والزهاد، والفقراء، والأغنياء، والتجار، والعمال، وأرباب الحرف والصناعات، بل أنشأ الأغاني لكل طبقات المجتمع، عليها وأوسطها وأدناها، رجالا ونساء، كبارا وصغارا.

فشاتا هو المغني الوحيد في بلاد هوسا خرق العادة، وشق الصفوف، واستطاع أن ينقل كلنغُو (وهي آلة طبل يستخدم في الأسواق) إلى القصور وبلاط الملوك، فصار على يديه طبلا محترما يضرب للملوك والقواد والعلماء والأثرياء وغيرهم من الطبقة العليا في المجتمع بعد أن كان يمارس لأدنى الناس<sup>(٧)</sup>.

ومظهر شاتا رجل فلاني طويل القامة، نحيف الجسم، أسمر اللون، جوهرى الصوت، رقيق اللفظ، شمم الأنف، واسع الجبهة، معتر بنفسه، ومفتخر بقومه، ومحب لعشيرته، طموح في آماله، سياسي في نزعتة، حكيم في أقواله، فيلسوف في أفكاره، جواد في فطرتة، أمي في طبعه، يكره الضيم، وينكر الظلم، ويشرب الخمر، ويمارس القمار، ويعاشر البغايا في شبابه<sup>(٨)</sup>، وأظهر خصاله الفخر والاعتزاز، فشاتا بكل بساطة توأم للمتني، لذا اتفقا في كثير من المعاني والأساليب، فبينما المتني يفتخر بأدبه ويعتز بشعره، ويقول في ميميته

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي \* وأسمعت كلماتي من به الصمم<sup>(٩)</sup>

فإذا بشاتا يردد نفس المعاني بأسلوب آخر في إحدى أغانيه، يفتخر بأدبه ويعتز بنفسه خاصة في أغنية في مناسبة حفلة عرس أحد أبناء أمير كنو، كما افتخر واعتز في معلقته المشهورة وفي غيرها من أغانيه البديعة، والتي سنورد بعض أبياتها في مباحث هذه الدراسة.

ولشاتا صلة قوية بالمعاهد الدينية والمدارس العلمية والشخصيات الإسلامية البارزة، وقد زار كثيراً من كبار الإعلام الإسلاميين داخل نيجيريا وخارجها، اتصل بالوزير جنيد في صوكتو، وزار شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي وقرض له أنشودة<sup>(١٠)</sup>، ومدح الشيخ إسحاق بن محمد الرابع الكنوي، كما مدح مالم باب نقوفر غبس في أزري، وغير ذلك من المشايخ والأعلام الذين نشروا اللغة العربية ألفاظاً وجملاً وتراكيباً وأسلوباً وبلاغة في الديار الإفريقية، فتأثر بهم شاتا واستطاع أن يتضلع بالحظ الأوفر من المفردات العربية وتراكبها وبلاغتها وغير ذلك من قيمها الفنية.

زود شاتا كثيرا من أغانيه بألفاظ اللغة العربية وأساليبها، كما استخدم قيمها الفنية في عديد منها. وبإيجاز، فقد ترك شاتا تراثا أدبيا ضخما ممزوجا بالأساليب العربية، فأصبح بذلك أعظم مغنيا هوسويا شهدته البلاد الإفريقية على مر العصور التاريخية.

عاش شاتا سبعة وسبعين عاما من حياته وقرض خلاله الآلاف من الأغاني مما جعله أعظم مغنيا هوسويا في العالم، وتوفي يوم الجمعة الثامن عشر من يونيو ١٩٩٩م، بعد مرض دام مدة قصيرة، ودفن في مدينة دورا تنفيذا لوصية منه<sup>(١١)</sup>.

### تأثر شاتا بالثقافة العربية:

استطاع شاتا أن يضم ألفاظا عربية وجملها في كثير من أغانيه، فأورد فيها الأساليب العربية وكلماتها مثل: الله، والصلاة، والزكاة، والحج، والبصيرة، والحداقة، والحكمة، ولازم، والعلم، وغيرها من الألفاظ العربية. أما الأساليب العربية فقد ذكرنا سابقا أن شاتا يعتز بنفسه ويفتخر بأدبه، شأنه في ذلك شأن المتنبّي؛ ذلك الشاعر الطموح الذي اشتهر بالكبرياء والاعتزاز والفخر.

صحيح أن فخر الأديب واعتزازه أسلوب عربي، عهده العرب وتوارثه الشعراء منذ الجاهلية، فإذا بشاتا الهوساوي يتصف بهذه الطباع لشدة تأثره بالأدب العربي، استمع إلى مقتطف من أغنية غناها في كنو عام ١٩٤٥م، في حفلة زفاف أحد أبناء أمير كنو عبد الله بايرو، يفخر فيها ويعتز بأدبه<sup>(١٢)</sup>:

Wata rana Kano a birnin Dabo, a zamanin Sunusi Mamman, mai hope na Habu dan Abdu. A lokacinnan ana bukin 'yan sarki, duk muka hallara kofar fada. Alokacin da Sunusi ya tara marokan birni ya tara marokan kauye. Ranar da na miki na fara kirari ina Alhaji na godewa Allah na godewa Muhammadur-rasulillahi, Lokacin da na hana Hamidu na kwabi Caji na hana Dabalo ya daina. Goge da Banjo da Kukuma wargin yara ne, kowa ya ci abinci ya yi shakwara ya yi Jamfa, kowa ya sami kudi ya yi auren zamani.

و ذات يوم في كانو مدينة دابؤ، وفي عهد محمد السنوسي، ذو همة صاحب أبي بكر، ابن عبد الله، وفي ذلك الوقت يحتفل بعرس أبناء الملك، واجتمعنا جميعا في ميدان بوابة قصر الملك.



اكتنفت برسول الله. في أمر دنياي قد اكتنفت برسول الله كما اكتنفت به في أمر أخراي، وأرجو من الله أن يرينا رسوله محمد في الدنيا وفي الآخرة. وكل من اكتفى برسول الله لا يكون خائبا في الدنيا ولا في الآخرة، فلنكتفي برسول الله محمد، وكل من اكتفى برسول الله - وهو مؤمن - لا يكون خائبا في الدنيا ولا في الآخرة. ونرجوا من الله أن يرحمنا بجرمة نبيه محمد. وكل من رزقه الله بمال فليقصد مكة ليزور الرسول محمدا، فليقصد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لزيارته.

وتظهر علاقة شاتا وصلته بالمعاهد الدينية وتأثره بالعربية في إحدى أغنياته المشهورة، حيث ذكر مصادر إسلامية، وأسماء دينية، واستوظف كلمات فقهية، وأورد ألفاظا صوفية، للإشادة بالعرض النبيل، وهو حث النساء (البغايا) على الزواج، استمع مقتطفا من هذه الأغنية المسماة " بجرمة الصلاة وصلاة الفاتح" (١٥):

Don sallah da salatil fatithi don Allah mata ku yi aure, don Sallah da salatil faithi don darajar kakan Tijjani, kun ji kidan da na yi wa mata, wai don nace mata kuyi aure kado ya so ya wulakantani. A' a Alhaji bai taba yin zanboba, kana ni ban zagin kowa, kun ga dugunzuma ya sa na yi, Allah ya isa katon banza. Wai don na ce mata su yi aure shi ko ya ce masu kar su yi aure. Tun daga lauwali har ko sani, tun daga risala har Injila har Kur'ani babban kundi ina ayar da ta kankare aure ? sai a wajen Malan Dan-mani, can sai na ji ya ja wata aya, ya fassara ya ce wai mata kar su yi aure.

فلتتزوج النساء بجرمة الصلاة وصلاة الفاتح. فلتتزوج النساء بجرمة الصلاة وصلاة الفاتح وجرمة جد التجاني، (الرسول عليه الصلاة والسلام). وهذه هي الأغنية المطربة التي قرضتها للنساء، ولأنني طلبت منهن فيها أن يتزوجن، أراد أن يهينني ذلك الهمجي. بلى، ماهجا الحاج (شاتا) في حياته قط، ولا أسب أحدا، ولكن هذا الغبي دفعني إلى ذلك، حسبي الله منك يا عديم النفع. وقد طلبت منهن أن يتزوجن، ولكنه طلب منهن ألا يتزوجن. بماذا يحتج؟ وهل يوجد آية تحرم الزواج في مختصر الخليل - الجزء الأول أو الثاني -، أو في الرسالة لأبي زيد القرواني، أو في الإنجيل، أو القرآن الذي هو أم الكتب؟. لا توجد هذه الآية لدى أحد إلا ذلك الأبله - مالمَ طَنَمَاني - سمعته يتلو آية ويشرح ويقول لا تتزوجن أيها النساء.

وهذه الأغنية تظهر لنا مدى قدرة شاتا على استخدام الأساليب العربية، إذ تحمل في طياتها أرقى الأساليب الشعرية، ألا وهي النقائص، لأن ذلك الرجل المذكور فيها "مألم طن ماني" أنشأ أغنية وصور لنا الحالة الاجتماعية في ديار هوسا في العصر الاستعماري، وتحدث فيها عن البغايا وعن الرجال الذين يعاشروهن، وحذرهم عن الفواحش، ولامهم عن تصرفاتهم الشنيعة، وذكر المغني أنه "ليس للبغايا ذنب إذ لم يقترب إليهن الرجال لم يستطعن أن يزينن بأحد"، ولكن شاتا بأسلوبه أسكته ومنعه من المواصلة في هذا الميدان.

ومن الأغاني المشهورة التي استخدم فيها شاتا الألفاظ العربية وأساليبها أغنية رثائية سماها: "رحم الله ولي العهد في إمارة غمبي"، وفيها يصف المغني مرثيه بالصفات الرفيعة، والأخلاق الفاضلة كالتقوى والعلم والجود والعبادة وغير ذلك من مكارم الأخلاق. وألفاظ الأغنية تشير إلى تكريم المغني لمرثيه وما يكن له من حب لذا كان يناديه دائما (Baba) "العم" كلما أراد ذكر اسمه في الأغنية، استمع مقتطفا منها<sup>(١٦)</sup>:

Allah ya jikan ciroman Gombe, Allah ya jikan uban dakina. Da daranka Baba sadauki, da sai ka yi sarkin Gombe, rannan dawakuna in zaba, har motar hawa za'ai man. Baba yana a cikin waliyyan farko, ya na a cikin waliyyan yanzu. Baba yana a cikin kudubban farko yana a cikin kudubban yanzu. Yana a cikin kushuffan farko, yana a cikin kushuffan yanzu.

رحم الله ولي العهد في إمارة غمبي، رحم الله مولاي وولي نعمتي. لو كنت حيا أيها العم البطل (العظيم) لتأمرت على غمبي. ولاخترت ما شئت من الجياد في ذلك اليوم، (وكذلك) يهدي إلي سيارة للركوب. فعمي (ولي) من أولياء الله السابقين (درجة)، و(ولي) من أولياء الله المعاصرين (منزلة)، فعمي (قطب) من الأقطاب السابقين (درجة)، و(قطب) من الأقطاب المعاصرين (منزلة)، فعمي (ولي مكاشف) من (الأولياء) المكاشفين السابقين (درجة)، ومن (الأولياء) المكاشفين المعاصرين (منزلة).

يتجلى أن الأسلوب الرثائي الوارد في هذه الأغنية منحوت من القصيدة العربية، إذ افتتح شاتا أغنيته بالندبة، ثم التابئين، ثم بالعزاء على ضوء نمط المراثي العربية. وقد استخدم بعض الألفاظ العربية استخدما يشير بوضوح إلى تأثره بأساليب الأداء الفني العربي، فشاتا رجل أمي

لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يجيد من اللغات سوى الهوسوية والفلاتية، ولكنه أورد في هذه الأغنية بعض الكلمات والمصطلحات الدقيقة التي لا يعرفها إلا من ألم بالعربية، انظر إلى كلمة "المكاشف" التي جمعها المغني "كُشْفِي"، فهي لفظة غير مستخدمة بين سواد الناس، بل هي محصورة في الطبقة المتصوفة، ولم يعثر عليها الباحث في مؤلفات علماء بلاد هوسا إلا في إنفاق الميسور للسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن الفودي في معرض حديثه عن علماء بلاد هوسا حيث يقول:

"ومنهم (أي علماء بلاد الهوسا) الشيخ الأستاذ المكاشف المعروف بابن الصباغ، دهليز العلم، له تأليفات، منها شرحه على عشرينيات الفازازي" (١٧).

ولكن شاتا بعبريته النادرة استطاع أن يستخدم هذه اللفظة استخداما يلفت أنظار الباحثين، ويشير إلى مدى تأثيره بالأساليب العربية في نظم الأغاني.

ويجدر بنا الآن أن نذكر أهم أثر عربي إسلامي تأثر به شاتا وسجله في أغانيه، فهي "حادثة الإسراء والمعراج"، وقد استقصى شاتا أفكاره من هذه الحادثة التاريخية ونسج أغنية يمدح بها أحب الناس إليه ومعتمده في الحياة، وهو الحاج محمد بشر أمير دورا، وفي هذه الأغنية يصف شاتا سفر الأمير إلى كدونا ليتلقى أوامر الحاكم بنفس الطريقة التي أسرى برسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى البيت المقدس، ثم إلى السماء العليا، ثم عرج بنفس الطريقة. استمع مقتطف من هذه الأغنية: (١٨)

Ranar Asabar Giwa ta ratsa Kanon Dabo, bai kwan ba anan na Mai-daki,  
Kaduna ya ke nugarin Zazzau, bai kwan ba anan uban Baushi, Kaduna ya ke  
nufi Mamman kuma ya je. Sabkar shi Kaduna da yai ya kuma dauko  
maganar Gwamna ya komo. Baba ka ji batun da na ma ya zo da-idai da  
batun Gwamna dan Musa. Sai Gwamna ya ce Bashari tafi zauna ka shiga  
shirin mulki ita gyara,

وفي يوم السبت مر الفيل بمدينة كانو (عاصمة) حكم دابو، ولم يبت فيها، ثم مر بمدينة زرزو، ولم يبت فيها أيضا، وإنما يقصد كدونا فقط، فقد وصل إليها أخيرا. ولما وصل إلى كدونا تلقى أوامر الحاكم ثم كر راجعا. أيها العم! فقد اتفق كلامي بأوامر الحاكم، وقد قال الحاكم: "عد إلى (دورا) وجهاز نفسك لمسؤوليات السلطة".



ولا يخفى للقارئ ما تحمله هذه الأبيات من التشبهات البليغة، حيث شبه المغني الأمير بالفيل، ولم يذكر وجه الشبه وأداة التشبيه. وإنما يهمننا الأسلوب الإسرائيلي المستخدم في الأغنية، انظر كيف وصف المغني سفر الأمير منذ أن غادر دورا وكيف وصل مدينة كنو ولم يلبث فيها، وكيف انتقل منها إلى أن وصل إلى كدونا، وكيف تلقى أوامر الحاكم فور وصوله إليها، ثم كر راجعا إلى مدينته دورا حالا. ألا تشم رائحة الإسراء والمعراج من هذه الأغنية؟ أو ليس في هذه الانتقالات ذهابا وإيابا من دورا إلى كنو، ومن كنو إلى كدونا، ومن كدونا إلى كنو، ومن كنو إلى دورا، ما يشبه انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى البيت المقدس، ومن البيت المقدس إلى السماء، ومن السماء إلى السدرة المنتهى، ومن السدرة المنتهى إلى السماء، ومن السماء إلى البيت المقدس، ومن البيت المقدس إلى مكة؟ أو ليس في ذكر ما تلقى الأمير من الحاكم تشبيه بما تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ومهما يكن الأمر، فإن الأغنية تحمل كثيرا من الأساليب العربية يقف عليها كل باحث درسها دراسة دقيقة.

#### الخاتمة:

هذه لمحة سريعة في الحديث عن الأغاني الممتازة المزودة بالأساليب العربية، نظمها أعظم المغنين الهوسويين، الذي عاش أكثر من سبعة عقود يغني الأغنيات المتنوعة في الأغراض الشتى، بألحان تذهل العقول وتحير الألباب، والذي يسمى "شاتا"، ذلك المغني المشهور المتوج من جامعة أحمد بلو زاريا بالدكتوراه الفخرية، تمجيذا لمجهوده في فن الأغاني.

فشاتا آية من آيات الله الكبرى، كما يقال في المثل الهوسوي، (Shata ikon Allah)، وقد ذكر البحث موجزا عن تاريخ حياته الفنية، وكيف قضى هذه السنين الطوال مغنيا ألحانا حلوى، تاركا في تراثه الأدبي آلاف من الأغاني الممزوجة بالثقافة العربية وأساليبها وألفاظها مالا تعرف مثيله إفريقيا، فأصبح بذلك أعظم مغنيا هوساويا طاف جميع أقطار العالم لنشر فنه الغنائي.

ينادي الباحث إلى تكثيف الجهود من قبل الباحثين في حقل الأدب الغنائي في الديار الإفريقية قاطبة وبلاد الهوسا خاصة في جمع هذا التراث الأدبي الشعبي ودراسته، ونفض الغبار عن طريق دراسة ومبحث وإخراج ما فيه من المدفون الثمين.

وأخيرا ندعوا الحكومة وإخوتنا العرب والمهتمين بشؤون اللغة العربية وثقافتها أن يخلقوا لنا جواً ملائماً لازدهار العربية لغة وأدبا، ونقل آدابنا الإفريقية إليها ودراسة كل ماله صلة بالعربية في ديار هوسا وفي غيرها من البلاد الإفريقية.

## الهوامش والمراجع

- ١-الدكتور سليم، فن الغناء، ص ١٣.
- ٢- Aisha Ladan، 'wakaen baka'، 95، shafi.
- ٣-الدكتور سليم، فن الغناء، المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٤- Dr. Aliyu Ibrahim Kankara، 'Hira a Radio Freedom'، Kano، 2010.
- ٥-المرجع السابق، والمسجل نفسه.
- ٦-'Hira da Shata'، Radio Kaduna، 1983 م
- ٧- المرجع السابق والمسجل نفسه.
- ٨- الشيخ تنكو سليمان، مقابلة، ١٩٨٦ م.
- ٩- ديوان المتنبي، ص ١٩.
- ١٠- الشيخ هادي بلاربي، مقابلة، ٢٠١٧ م.
- ١١- Dr. Aliyu Ibrahim Kankara، 'Radio Preedom'، 2010
- ١٢- مجموعة أغاني شاتا، مسجل ١٩٧٥ م.
- ١٣- المرجع نفسه.
- ١٤- المصدر نفسه.
- ١٥- المصدر نفسه.
- ١٦- المصدر نفسه.
- ١٧- المصدر نفسه.
- ١٨- المصدر نفسه.

## الشعر المزدوج وآفاق تطويره في الأدب العربي النيجيري

مي صلاة أحمد عبدالله

08039279920

### المقدمة

من أروع خصائص الأدب أنه يتقلب من حين إلى آخر، ويتقلب يحدث المستجدات سواء في الشعر أو النثر. وبما أن للشعر العربي مميزات في العصور المتقدمة، حاول الأدب نفسه تغيير الوضع المعتاد بوجود الأغراض المستجدة وتبديله بأساليب أحدث لدى بعض الأدباء. الأمر الذي أدى إلى وجود ألوان شعر مختلفة، استثناء من العصر العباسي الثاني حين الازدهار البيّن والاحتكاك بالأمم الأخرى. منها الشعر التعليمي الذي هو عبارة عن المعارف المحوّلة إلى النظم بغية السهولة في تعليم الناشئين. ومن رجاله عبد الحميد أبان اللاحقي؛ الذي نظم كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع. ومن ألوان الشعر كذلك الشعر المزدوج الذي غايتها تقفية الشطرين من جميع أبيات القصيدة، في العصر العباسي. ومن رجاله بشار بن برد وأبو العتاهية وغيرهما.

وفي العصر الحديث وجدت ألوان أخرى كثيرة، يمكن تسميتها بالشعر الحرّ أو الشعر المنثور، وهو نوع يدعو إلى التحرّر من القيود الشعرية المألوفة، كالأوزان والقوافي وكل ما يمت إلى الشعر العمودي بصلة. الأمر الذي أدى إلى إيجاد المدارس الشعرية الجديدة. ولقد حاول كثير من الأدباء ابتكار الشعر المزدوج في العصر الحديث، كحركة من حركاتهم التجديدية في الأدب العربي، وعلى طليعة هؤلاء الأدباء الوزير جنيد النيجيري، الذي أبدع أبيات شعرية مزدوجة، ثم تبنى الشعراء بعده فكرة الازدواج في الشعر العربي.

وهذه الورقة تقع في ثلاثة محاور أساسية للبحث عن آفاق تطوير الشعر المزدوج، وخاصة في نيجيريا. فالمحور الأول عبارة عن الشعر وأشكاله في الأدب العربي، والثاني ترجمة حياة الوزير

جنيد بوصفه رائد حركة الشعر المزدوج في نيجيريا، وأبيات شعره المزدوجة، والثالث دراسة نقدية للشعر المزدوج من قبل الشعراء المتبئين حركة الشعر المزدوج حيث المقارنة بين الأسلوب المتبع لدى الأدباء القدامى والأسلوب المقفى لدى الأدباء الجدد في هذا النوع، ثم خاتمة البحث وهوامش هذا البحث. والله ولي التوفيق.

### الشعر وأشكاله في الأدب العربي

يُعرف الشعر بشكل من أشكال الفن الأدبي الذي ظهر منذ القدم، وهو تعبير إنساني يتسم بأنه كلام موزون ذو تفعيلة محدّدة، ويلتزم بوجود القافية ويستخدم الصور الشعرية والفنية. يحمل في طياته أعماق المعاني والتشبيهات وجمال الكلمات. يقرضه الشاعر ليعبّر عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه ومشكلاته وما يؤمن به من القضايا الإنسانية التي تروق له. وقد كان الشعر لسان العرب في التعبير عن أحوالهم وثقافتهم وصفاتهم وتاريخهم وحروبهم، وعندما كان لكلامهم وزن سمّوه شعرا. وبما أن الشعر يعرف بكلام موزون مقفى، فالقصيدة العربية تتبع وزنا معيّنا وتفعيلة مبيّنة، ويسمى هذا النسق بالبحر الشعري<sup>١</sup>.

وينقسم الشعر العربي من حيث أشكاله إلى الشعر العمودي وشعر الرباعيّات والشعر المنثور والشعر المرسل. يتمثل الشكلان الأوّلان في الأسلوب القديم للحفاظ على الوزن والقافية وما يمتّ إليهما بالصلة. وأما الشكلان الآخران فيعتمدان أسلوب الشعر الحديث للتحريّر من القيود الشعرية المعروفة<sup>٢</sup>.

والشعر من حيث اللغة عاميّ وفصيح؛ فالشعر العامي هو الشعر الشعبي المحكيّ المكتوب بغير اللغة العربية الفصيحة، بل باللغة العامية المتداولة بينهم. أما الشعر الفصيح فهو ما استعملت فيه اللغة العربية القحة.

### تطور أشكال الشعر العربي

عرف الشعر العربي خلال مساره التاريخي الطويل ثورة في الأشكال الشعرية، نتيجة عوامل مختلفة، منها عامل الثقافة والتحوّلات الاجتماعية والمعارف الإنسانية التي عرفها المجتمع العربي، وعوامل أخرى ذاتية تتمثل في أن الشاعر العربي الحديث أراد أن يكون له شكله

الخاص به. ولا يتسع المجال لتفصيل الحديث حول هذه العوامل ودورها القوي في تحول الشعر وتجديده .

ومن السهل على دارس حركة تطور الشعر العربي عموماً، أن يلاحظ أن هذا التطور مرهون بتوفر جملة من الشروط، يهمننا منها شرطان اثنان، أحدهما أن يسبق ذلك التطور بالاحتكاك الفكري، والانفتاح على الثقافات والآداب الأجنبية، والآخر، أن يتوفر للشعراء قدر من الحرية، يتيح لهم أن يعبروا عن تجاربهم<sup>٣</sup>.

وإذا انطلقنا من هذين الشرطين في متابعتنا وفهمنا لتحوّل الشعر العربي وتطوّر أشكاله وتعددتها، يمكننا فهم وتيرة هذا التحوّل وطبيعته. فقد كان التحوّل تدريجياً وبسيطاً عندما توفر الشرطان نسبياً، وقويا حين انفتح الشعراء على مختلف روافد المعرفة والثقافات الإنسانية، وتحقق لهم قدر كبير من الحرية.

لم يكن تجديد الشعر وليد العصر الحديث، بل كانت إرهاباته منذ القديم؛ فالشعر حي ينمو ويتطور وينفعل ويتفاعل مع الحياة الإنسانية بكل مجالاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية. لقد عرف الشعر العربي تحولات واضحة على مستوى المضامين بشكل خاص في عصور الشعر الكبرى (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي والعباسي والأندلسي)، وأنتجت هذه العصور أشعاراً وأغراضاً شعرية جديدة تعكس التحولات الطارئة على المجتمع العربي، وتواكب نمط الحياة الجديدة في كل عصر وتعبر عنها. إلا أن القاسم المشترك بينها هو وفاء الشعراء لقلب القصيدة العمودية، إذ لم يحدوا عن قواعدها ولم يكتبوا خارج أوزان الخليل، باستثناء بعض المحاولات التجديدية على مستوى الشكل التي سجلها النقاد والمتتبعون في العصر العباسي على يد أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وأبي نواس والبحتري، وفي العصر الأندلسي كانت هذه الظاهرة ممثلة في الموشحات، وذلك حين توفر للشعراء قدر يسير من الشرطين السابقين الذكر<sup>٤</sup>.

وفي عصر النهضة، استجدت مجموعة من العوامل القوية، وأتيح للشعراء أن يفتحوا على الثقافة الأجنبية، وظهرت المدرسة الرومانسية (جماعة الديوان وجماعة أبولو وجماعة المهجر) كرد

فعل ضد محاكاة الأقدمين التي رسختها مدرسة البعث والإحياء للنهوض بالشعر وإخراجه من الانحطاط الذي لمسوه فيه أواخر العصر العباسي.

لقد أحدث الرومانسيون تجديدًا واضحًا على مستوى مفهوم الشعر والمضامين والشكل الفني، ممثلًا في نظام المقاطع وتنوع القوافي والأرواء، والمزج بين البحور والصورة واللغة، لكن الشعراء الرومانسيين، وإن تمكنوا من وضع لبنات تجديد الشعر على مستوى المضمون والشكل، إلا أنه لم يتسن لهم أن يحققوا طموحاتهم التجديدية الكبيرة؛ لأنهم لم يتوفروا على الحرية المطلوبة للثورة على القديم، إذ كان النقد اللغوي لهم بالمرصاد، فتراجعوا عن معظم مشاريعهم التجديدية. يقول الدكتور أحمد المعداوي المجاطي:

"كانت نهاية هذه التيارات محزنة، على صعيد المضمون والشكل، وأما الشكل فلأنه فشل في مسيرته نحو الوصول إلى صورة تعبيرية ذات مقومات خاصة، ومميزات مكتملة ناضجة، وكان فشله تحت ضربات النقد المحافظ...".<sup>٥</sup>، نكبة فلسطين وهزيمة الجيوش العربية هي أقوى الأحداث التي هزت وزعزعت الكيان العربي، الشيء الذي حمل معه رياح التغيير القوية، لقد أُتيح للشعراء في هذه الظروف الجديدة وما ترتب عن واقع الهزيمة من إحباط وانكسار للذات العربية واختيار للكيان العربي أن يتحرروا من سلطة الماضي ومتعلقاته، و"أن يمارسوا قدرًا من الحرية لم تكن ممارسته متاحة لهم من قبل في عالمنا العربي". إضافة إلى تحقق شرط الانفتاح الكبير على الثقافات العربية والأجنبية من تراث إنساني وآداب وحكايات وأشعار وفلسفات وديانات مختلفة... وكان لهذه العوامل الدور البالغ في تجديد أشكال الشعر العربي، ذلك هو المناخ الذي تنفس فيه الشاعر العربي الحديث، قبل أن يبدأ رحلته العظيمة في المهول. لقد بدأ وهو لا يملك غير ثقافته، وما خلفته الهزيمة في نفسه من ذل وغربة وعذاب، غير أنه كان يملك حريته، وبهذه الحرية استطاع أن يهدم الشكل القديم، وأن يقيم على أنقاضه شكلًا جديدًا، يملك من الخصائص ما يمنحه القدرة على التعبير عن المضامين الجديدة التي خلفتها النكبة وأمدتها ثقافة الشاعر الحديث بأبعاد فكرية، تبلورت في الرؤيا الجديدة للإنسان والمجتمع والكون.<sup>٦</sup>

لقد أفرز هذا العصر وهذه العوامل والشروط الأساسية تطورا جوهريا وقويا، تمثل في التحرر من صرامة شكل القصيدة العمودية والثورة على قواعده، وكان مسوغ التجديد هو التعبير، لأن الأشكال القديمة لم تعد تستوعب المضامين والرؤى الجديدة. وهكذا عرف تاريخ القصيدة العربية منذ عصر النهضة محطات تجديدية قوية، بل ثورة عروضية لم يسبق لها مثيل، إلى أن وصلت هذه الثورة إلى نيجيريا وإن لم يثر أداؤها على أوزان الشعر العمودية.<sup>٧</sup>

نستخلص من هذه التجارب والمحطات التطورية في تاريخ الشعر العربي إلى أن للإبداع الشعري إمكانات هائلة تتيحها العوامل المختلفة، والتي تترك باب تجريب أشكال جديدة مفتوحا باستمرار. وانتهى الأدب بكل أجناسه منذ أواسط الثمانينيات إلى مرحلة جديدة عنوانها الكبير هو التجريب الذي طال مختلف مستوياته وأشكاله وما تزال آفاق هذا التجريب مفتوحة على إمكانات عديدة لما يتم استثمارها بعد على النحو الأمثل والمبدع "<sup>٨</sup>.

فتورة الجديد على القديم شيء طبيعي يدخل ضمن طبائع الأشياء، وفي ظل هذا التطور الحتمي للشعر العربي تجد الأشكال المستحدثة شرعية ولادتها، شريطة أن يعرف الشكل الجديد بخصائصه ومرجعياته المعروفة وضرورته وكيفية تبلوره وتقاطعاته وعلاقاته مع الأشكال الشعرية الموجودة في الساحة الأدبية.<sup>٩</sup>

وعلى النقد الأدبي أيضا أن يلعب دوره في رعاية هذه التجارب الجديدة التي تظهر بين الفنية والأخرى، ويساهم في تبلورها بالطرق المشروعة حتى لا تتحول حرية الإبداع المتاحة في هذا العصر إلى فوضى الأشكال.

لا أحد يستطيع أن يعارض ويرفض حتمية التغيير والتطور التي تطل كل الأجناس الإبداعية، فمعظم الباحثين اليوم يقرون بحتمية التجديد والإبداع والخلق لتلبية حاجة التعبير ومواكبة المستجدات، لكنهم بالمقابل حذرون من هذا السيل الجارف من الأشكال الشعرية. وأفرز التطور الذي عرفه مختلف الأجناس الأدبية، وعلى رأسها الشعر والقصة، ثورة على الأشكال القديمة بهدف التحرر من صرامتها.<sup>١٠</sup>



ففي الشعر على نحو خاص، لا يمكن إلغاء التحوّل والانطلاق من درجة، ولا بد من مراعاة بعض الثوابت والقيم الشعرية التي يستحيل أن تقوم للشعر قائمة بدونها.

### الشعر العربي وازدواجه

لقد جرى الحديث فيما سبق عن الشعر العربي في العصور المتقدمة، أما الشعر المزدوج في القديم فهو شعر المثنّيات الذي يعتمد فيه الشاعر على تصريح أبيات القصيدة جميعاً، فقافية الشطر الأوّل هي نفس قافية الشطر الثاني، وأميز ما يكون ذلك في الأراجيز. وقد اكتشف شعراء العصر العباسي هذا النوع من الشعر، إذ وجدوه حقلاً صالحاً للشعر التعليمي بغرض البساطة والسهولة للحفظ، لا يكلف الناشئين مشقة الحفاظ على وحدة القافية في القصيدة الواحدة. ويبدو أن أول من نظم فيه بشار بن برد وأبو العتاهية، ثم تتابع عليه الشعراء إذ وجدوه أحسن لنظم القصص الطويلة والحكم والأمثال ومسائل العلوم، ولأبي العتاهية مزدوجة مشهورة عددها أربعة آلاف بيت، سمّاها " ذات الحكم والأمثال " منها هذه الأبيات:

إن الشباب والفراغ والجدّه \* مفسدة للمرء أي مفسدة  
حسبك مما تبتغيه القوت \* ما أكثر القوت لمن يموت  
الفقر فيما جاوز الكفافا \* من اتقى الله رجا وخافا  
لكل ما يؤذي وإن قل ألم \* ما أطول الليل على من لم ينم  
ما انتفع المرء بمثل عقله \* وخير زخر المرء حسن فعله<sup>١١</sup>.

وأما الشعر المزدوج في العصر الراهن كما يدلّ عليه المصطلح فهو الجمع بين اللغتين في قصيدة واحدة، باعتبار استخدام الحروف العربية للكلمات الأجنبية، سواء كانت اللغة العربية مع أيّة لغة من اللغات البشرية. مثل كلمتي (كوسْتَوْدِي وسَوْمَبُوْدِي) المحوّلتين حرفاً إلى العربية من الإنجليزية. وقد تنبّه الكثير من الأدباء النيجيريين إلى هذا الشعر الإبداعي الجديد وعلى رأسهم الشيخ الوزير جنيد الذي تركز هذه الورقة على مقطوعته المزدوجة، ثم تبعهم شعراء آخرون.

## نبذة تاريخية عن رائد الشعر المزدوج في نيجيريا

هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد بن غطاط بن ليم، ولد بحي غطاط بمدينة سكتو عام ١٩٠٦م. درس القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية على الإمام عبد القادر وما زال ينتقل من عالم إلى آخر حتى استقر عند الشيخ أبي بكر بوبى حيث نال علوما نافعة. وقد استغرق في تعلّمه عشرين عاما، وأسس بعد ذلك حلقة دراسية ظل يدرس فيها إلى أن وافاه الأجل. درّس في المدرسة الوسطى التابعة لحكومة سكتو المحلية وفي مدرسة البنات المعلمات بسكتو في آن واحد، وذلك عام ١٩٣٤م، ثم آل إليه منصب وزير سكتو بعد وفاة أخيه عباس عام ١٩٤٨م (حيث صار وزيرا للسلطان أبي بكر الثالث).<sup>١٢</sup>

عرّف بشاعرنا الوزير جنيد يوسف محمد خير رمضان نقلا عن علي بن أيوب ناجي "بأنه شاعر وفقه، ووزير سكتو، ومن أبرز الوجوه الثقافية والسياسية في غرب إفريقيا. ولد بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الإنجليزي لشمال نيجيريا. ختم القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم جالس العلماء لدراسة العلوم الإسلامية"<sup>١٣</sup>.

كان الوزير كثير الرحلات فقد زار بلدانا كثيرة في شرق إفريقيا وغربها والشرق الأوسط، منها مصر، والسودان، وليبيا، وتشاد، والنيجر، والمغرب، وغمبيا، والعراق، والجزائر، والقدس والمملكة العربية السعودية وغيرها.

عين معلما في المدرسة المتوسطة بسكتو حيث درس عليه الشيخ علي شاغاري، الرئيس السابق لنيجيريا، وفي عام ١٩٣٠م تمّ تعيينه مدرسا في كلية المعلمات في المدرسة المتوسطة بسكتو، ثم عين مستشارا للسلطان في الشؤون الدينية.

وقد ساهم كثيرا في النواحي السياسية، فكان عضوا في مجلس الأمراء والرؤساء بكادونا عاصمة الولايات الشمالية آنذاك. ورأس وفودا عديدة لكثير من دول العالم، ثم ساهم في تأسيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي يجمع بين المسلمين في نيجيريا، وكان أول رئيس لجماعة نصر الإسلام؛ المنظمة التي أنشأها المرحوم أحمد بلو- أول رئيس وزراء لشمال نيجيريا- وعين أول رئيس لمركز المخطوطات والوثائق التاريخية بولاية سكتو<sup>١٤</sup>.

يعدّ الوزير مرجعا تاريخيا ولغويا وأديبا، فضلا أن كونه شاعرا بارعا له ملكة تصوير الحياة على طبيعتها وغير ذلك من المقدرات العلمية، وهو يكتب بثلاث لغات: اللغة العربية، واللغة الهوسوية، واللغة الفلانية. وألّف كتباً كثيرة تناهز الأربعين.

والثابت أن الوزير جنيد كان ذا ثقافة عربية إسلامية أدبية عميقة، ولاعجب في هذا؛ لأن وزارة دولة صكّنتو كان مبناها على أساس العلم والثقافة العربية الأدبية، وقد ركز وزراؤها كلّهم حياتهم على هذا الأساس واتخذوه غايتهم ومفاخرهم، فلا تكاد تجد واحدا منهم إلا وقد تأثر بهذه الحياة العلمية والميزة الشعرية.

يقول الدكتور علي أبو بكر: "ولعل السبب في اهتمامهم بالعلم هو معرفتهم أنه لا يتولى الوزارة لأmir المؤمنين في هذه الخلافة إلا من كان عالما وإن كانت بالوراثة". ولكن الظاهر أن هذا الاهتمام كان مبناه من أجل العلم نفسه ثم يأتي هدف الوزارة ثانويا، والدليل على ذلك أن أفراد هذه الأسرة لم تتخلّوا عن العلم سواء من تولى الوزارة منهم ومن لم يتولها، ثم أنه لم يؤثر تخلي أحدهم عن نشاطه العلمي بعد توليته الوزارة على ما كان عليه من عبئها.<sup>١٥</sup>

وللوزير جنيد قول شاهد على مصداقية ما قلنا إذ كان يقول: "أما الذين كانوا يشجعونني على مواصلة طريق العلم فأخص منهم بالذكر أخي عبد القادر إذ كان يقول لي دائما- إن العلم غاية هذه الأسرة وهو أعظم ما يفتخر به كل من ينتسب إلى هذا البيت، وهو يعني أسرة غطاط- فالعلم عندهم غاية وليس وسيلة. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٩٩٧م.

### مناسبة الشعر

تعود الأدباء على تسجيل كل ما لاقوه وكابدوه في الحل والترحال، وكل ما قضاوا عليه عجا وإعجابا. وقد كان السبب الأساسي لهذه الأبيات أن الشاعر قام بزيارة ولاية لاغوس لمهمة أدبية، فلم يخلها كما وجدها حيث اشتداد المعيشة والازدحام في المبايت، فرأى أن لا تفوته هذه التجربة وسجلها في أبيات شعرية.

### نصّ الأبيات

وما الدنيا إلا تُودي بعد يَسْتَدِي \* وكل امرئ ما سوف يلقاه وَسَرْدِي

وليس مقامي وسط لاغوس سرنني \* ولست أرى ممن تعرفت سَمْبَدِي  
ولولاك عبدالله ما طاب مسكني \* بلاغوس صارت لي شبيها بكوستودي  
ولست لأختار المقام بها ولو \* يكون عطائي ألف ألف بها أدِي<sup>١٦</sup>.

### دراسات في الشعر المزدوج

ينطلق الشعر المزدوج لدى الوزير جنيد من الطور الذي عهد لدى العرب إلى طور المزج بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية في الشعر العربي. ولعل ذلك يكون نتيجة الرحلات التي قام بها إلى بلدان شرق إفريقيا وغربها والاحتكاكات بالأجانب، ومن كانت زيارته لولاية لاجوس؛ عاصمة نيجيريا التجارية حدثا جديدا في نظرتة؛ حيث الزحمة المتزايدة من أخلاط الزمر العاملين في الشركات المتأسسة فيها. وقد ظهر أثر ذلك في أبياته حيث السابق الذكر، فهي أبيات عربية خالصة بيد أنها ممزوجة باللغة الإنجليزية حيث لا يوجد خلل في أبنية الكلمات ولا شظف في البحور ولا انكسار في الأبيات. فالكلمات الإنجليزية الواردة تنسجم مع القافية وهي في الجدول التالي:

| المعاني   | المفردات  |
|-----------|-----------|
| Today     | تُودي     |
| Yesterday | يَسْتَدِي |
| Was Ready | وَسَرْدِي |
| Somebody  | سَمْبَدِي |
| Custody   | كوستودي   |
| A Day     | أدي       |

ومجمل معنى هذه الأبيات هو أن إحاطة المرء علما بجياته مقصورة على ما جرى أمس واليوم، ولا يعلم ما سيلقاه أمامه إلا أن يستعد ويسلم للحوادث والنوائب. وصرح الشاعر بأنه ليس مرتاح البال أثناء مكثه في لاغوس من عدم معرفته أحد أهلها، إلى أن صادف كريما لين

الجانب استضافه، يسمّى عبدالله ولولاه لشبهت زيارته لاغوس محبسا، وقال إنه لم يستزيد المكث بيوم في لاغوس ولو قدّم إليه ألف ألف عطاء كل يوم.

وإذا رجعنا إلى النزعة الازدواجية في الشعر العربي، ندرك أن هذا النوع من الشعر بدأ ظهوره في العصر العباسي وأن الأدباء في هذا العصر اصطَلحوا عليه بالشعر المزدوج من حيث كلّ الشطرين المقفيين، فيوافق جميع أبيات القصيدة. وقد تعيّر هذه النزعة لدى الوزير جنيد في العصر الراهن وهو أقرب إلى الصواب من ذي قبل. فالشعر المزدوج لديه هو استعمال اللغتين المختلفتين في قصيدة واحدة، استعمالا لا تنكسر عبره أبيات القصيدة. والازدواج في معناه المعجمي هو اقتران شيئين مختلفين، وفي النبات هو الذي يحمل نوعين من الثمار، مختلفي الصفات وموسم النضج<sup>١٧</sup>.

فأساس الازدواج هو الجمع بين شيئين مختلفين في حيز واحد، مثل الرجل والمرأة زوج في الحياة الأسرية، وكل شيء متكوّن من الحياة الزوجية. وفي التنزيل العزيز قال تعالى: "ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين..."<sup>١٨</sup>. وعلى نحو هذا، توجد المعاجم المزدوجة كثيرة منها المعجم العربي والانجليزي وغيره.

نجد بعد دقة المتابعة وتُعد النظر أن الشعر التعليمي والشعر المزدوج نفس شيء عند أدباء العصر العباسي، فالشعر التعليمي لديهم هو مجموعة سلسلة الوقائع والأحداث والأساطير، المحوّلة إلى أبيات طويلة بغرض تعليم الناشئين. والشعر المزدوج لديهم هو تصريع أبيات القصيدة جميعا. فقافية الشطر الأوّل هي نفس قافية الشطر الثاني، وأميز ما يكون ذلك في الأراجيز، بغرض البساطة والسهولة للحفظ، حيث لا يكلف الناشئين مشقة الحفاظ على وحدة القافية في القصيدة الواحدة. ولا فرق بين الشعر التعليمي والشعر المزدوج لديهم. فكلّ النوعين يتمتعان بالنظم لغرض التعليم، مثلا يقول أبان اللاحق في شعره المنقول نثرا عن عبد الله بن مقفع في تعليم الأطفال:

حكاية الزارع مع بنيه \* قد جعلت في الأصل للتنبيه

وذاك أنه أحس الموت \* وقطع الآمال قطعاً بتا

فجمع الأولاد ذات يوم \* وجسمه مضطجع للنوم  
فقال أولادي خذوا نصيحة \* تغنيكم بعدي عن الفضيحة  
فقطعة الأرض التي تركتها \* هي التي عن والدي ورثتها  
وكان قال إن فيها كنزا \* من يلقيه في الأرض يزدد عزا  
فالكنز لا شك هو الحصاد \* والأرض حقا كلها فوائد<sup>١٩</sup>

تناسب تلك الأبيات مع أبيات أبي العتاهية في التعليم كذلك في قصيدته الطويلة منها قوله:

إن الشباب والفراغ والجد \* مفسدة للمرء أي مفسدة  
حسبك مما تبغيه القوت \* ما أكثر القوت لمن يموت  
الفقر فيما جاوز الكفاف \* من اتقى الله رجا وخافا  
لكل ما يؤذي وإن قل ألم \* ما أطول الليل على من لم ينم  
ما انتفع المرء بمثل عقله \* وخير ذخر المرء حسن فعله<sup>٢٠</sup>

اعتبر أدباء العصر العباسي قصيدة عبد الحميد إبان اللاحقي شعرا تعليميا، واعتبروا قصيدة أبي العتاهية شعرا مزدوجا ولا فرق بين القصيدتين من حيث البنية الشعرية والشكل والمضمون. وكانّ المصطلحين التبسا عليهم، فأراد الوزير جنيد أن يفرّق بين الاثنين، فجاء بمقطوعته في الازدواج اللغوي، فأصبح رائد الشعر المزدوج في نيجيريا، ثم تبّى الشعراء بعده هذه الفكرة الأدبية والنزعة اللغوية. من ذلك قصيدة مشهود عبدالقادر في مناسبة العيد الميلادي لمدير المركز حبيب الله آدم الإلوري، ومطلعها:

يا مدير المركز الأعلى \* حَبِّ بَبْدَى تُؤَيُّو من الشهر<sup>٢١</sup>

فالكلمات التي تحتها الخط كلمات إنجليزية مكتوبة بالحروف العربية وهي: Happy Birthday to you وقال عبد الباسط الكاتبي في قصيدته التي مدح بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بأسلوب الازدواج بين اللغتين: العربية والانجليزية، كما فعل الوزير جنيد، رحمه الله تعالى. وهي:

صلّ على سيّد الأمانتي (Humanity) \* محمد ذي التقوى وشارتي (Charity)

سبحان من عنده كِبَاسِيَّتِي (Capacity) \* يُؤْتِي لِمَن شَاءَ مِنْ مَيِّجُورِيَّتِي (Majority)  
 يَا مَنْ هُوَ اللهُ ذُو رَوِيَائِيَّتِي (Royalty) \* لَهُ الْعَلَى وَكَذَا أُبَيْلَتِي (Ability)  
 يَا خَالِقَ الْجَنِّ وَأُمَانِيَّتِي (Humanity) \* جَلَّ تَبَارَكَ عَنْ فَيِّنَالِيَّتِي (Charity)  
 يَا مَالِكَ الْمَلِكِ وَمَجِيْسِيَّتِي (Majesty) \* يَا رَازِقَ الْخَلْقِ بِفَيْلِيْسِيَّتِي (Felicity)  
 وَصَارَتِ الْفِكْرِيَّاتُ أَيْمِيَّتِي (Empty) \* عَنْ كَنَهِهِ ثُمَّ فَيْسِيْبِيْلَتِي (Visibility)  
 صَلَاةَ رَبِّي عَلَيْكَ أَيَفَا (Ever) \* مَا كُنْتُ أَرْجُو سِوَاكَ نَيْفَا (Never)  
 كَفَا مِنْ خَيْرِ الْأَنْوَاعِ وَنَدَا (Wander) \* وَحَدَّتْ مَا كَفَرْتُ بِتِ أَسْنَدَا (Asunder)  
 بَنِيْتُ إِسْلَامَنَا إِنْ أَوْدَا (In order) \* أَسْبَقْتُ بُعْدَكَ كُلَّ أَوْدَا (Other)  
 صَلِّ عَلَى سَيِّدِ الْأُمَانِيَّتِي (Humanity) \* مُحَمَّدِ ذِي التَّقَى وَشَارِيَّتِي (Charity)  
 تَدْعُو إِلَى الرَّشْدِ ثُمَّ وَائِيْسِنُ (Oneness) \* يَا مَنْ دَعَا مَجْرِمَ بِيُوْدُنِيْسِنُ (Boldness)  
 أَنْتَ الدَّوَاءُ لِكُلِّ سِيْكُنِيْسِنُ (Sickness) \* يَا مُصْطَفَى اللهِ فِيكَ غَرِيْتِيْسِنُ (Greatness)  
 صَلِّ عَلَى سَيِّدِ الْأُمَانِيَّتِي (Humanity) \* مُحَمَّدِ ذِي التَّقَى وَشَارِيَّتِي (Charity)  
 يَا مُصْطَفَى اللهِ أَنْتَ غَوْلِدِنُ (Golden) \* تُدْخِلُ مِنْ صَادِ كُلِّ غَارِدِنُ (Garden)  
 أَوْتِيْتُ وَسُدَّوْمُ كَذَاكَ كِنْعَدَّوْمُ (Kingdom) \* إِنْ النَّدَى لَكَ صَارَ يُؤْنَفَّوْمُ (Uniform)  
 أَخْرَجْتَ نُورًا لِكُلِّ دَاكْنِيْسِنُ (Darkness) \* لِذَاكَ كُلِّ الْأَنْوَاعِ وَتَيِّيْسِنُ (Witness)  
 أَنْتَ لِدَاءِ الْقُلُوبِ دَكْتُورُ (Doctor) \* يَا مُحْسِنًا لِجَمِيْعٍ فَيْسْتُوْرُ (Visitor)  
 أَنْتَ الْمَلَاذُ لِكُلِّ وَيْدُو (Widow) \* بَابِكَ مَفْتُوحٌ ثُمَّ وَنَدُو (Window)  
 دَانَ لِقَوْلِكَ كُلِّ وَيَزَادُ (Wizard) \* مِنْ لَمْ يَدِنَ عَاشَ عَيْشَ لِيَزَادُ (Lizard)  
 أَحْرَبْتُ بِالسَّيْفِ ذَا كُوْرُوْبُشْنُ (Corruption) \* يَا سَيِّدِي طَابَ مِنْكَ أَكْشَنُ (Action)  
 أَخْطَبْتُ بِاللَّيْنِ كُلِّ أَنْغُرِ (Angry) \* أَطْعَمْتُ مِنْ جُوعٍ كُلِّ أَوْنَعْرِي (Hungry) ٢٢

### الخاتمة

استعرض الباحث فيما سبق دراسة الشعر المزدوج لدى الشاعر النيجيري الوزير جنيد الذي أزمع أن يكون الشعر العربي المزدوج بلغتين مختلطتين، إحداهما اللغة العربية والأخرى لغة من أي اللغات البشرية، وقارنه بنوعه في العصر العباسي حيث كان الشعر المزدوج تقفية شطري البيت الشعري بنفس القافية إلى آخر الأبيات. واستدرك الباحث أن الشعر المزدوج تطوّر بشكل كبير لدى الوزير جنيد حيث اكتشف أن هناك التباسا كبيرا بين الشعر التعليمي والشعر المزدوج عند القدامى، واعتمد إلى تغيير الوضع بشعره المزدوج. وقد عرض الباحث خلال هذه الدراسة ترجمة حياة الوزير جنيد والإشارة إلى بعض أعماله الأدبية، ثم عرض شعره المزدوج، والنماذج المحاذية له من الشعراء الشباب المعاصرين.



## الهوامش والمراجع

- ١- القيرواني، الحسن ابن رشيق (٢٠١٠م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، ص: ٨٩.
- ٢- حركات، مصطفى (١٩٩٨م)، أوزان الشعر، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر - القاهرة، ص: ٣١.
- ٣- المعداوي، أحمد المجاطي (١٩٦٧م)، ظاهرة الشعر الحديث، المكتبة الإلكترونية، جامعة دمشق، ص: ٧١.
- ٤- ضيف، شوقي عبد السلام (٢٠٠٥م)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة الثانية عشر، دار المعارف - مصر، ص: ٩٨.
- ٥- سيّد، زهور (٢٠١٦م)، تطوّر أشكال الشعر العربي، ملتقى الحياة الفكري، ص: ٦.
- ٦- المعداوي، أحمد مجاطي (١٩٦٧)، المرجع السابق، ص: ٦.
- ٧- سيد، زهور، (٢٠١٦)، المرجع السابق، ص: ٨.
- ٨- يقطين، سعيد (٢٠٠٤م)، معاجم نقدية، الفكر الأدبي العربي، دار الأمان، ص: ١٠١.
- ٩- رواس، عبدالفتاح قلعة (٢٠١٠م)، دراسات ونصوص في الشعر الشعبي الغنائي، المكتبة الإلكترونية، جامعة دمشق، ص: ١٤.
- ١٠- يقطين، سعيد (٢٠٠٤م)، المرجع السابق، ص: ١٠٣.
- ١١- جون، محمد تقي (٢٠١٣م)، الشعر العباسي: أدب الحضارة والحداثة، صحيفة المثقف، العدد ٤٤٤١، ص: ٥٦.
- ١٢- جمبا، مشهود محمود (٢٠٠٠م)، مذكرة في الشعر العربي الحديث، مخطوطة، ص: ٧.
- ١٣- يوسف، خير رمضان (١٩٩٣م)، معجم المؤلفين المعاصرين، ج ٢، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، دار العظیم، ص: ١٧٢.
- ١٤- غدن، عمر موسى (٢٠١٢م)، أدب الرحلة في ديوان روائح الأزهار من روضة الجنان، المؤتمر السنوي الثالث، ماليزيا، ص: ٥.

- ١٥- أبوبكر، علي (١٩٧٢) الثقافة العربية في نيجيريا، ص: ٢٧٨.
- ١٦- جمبا، مشهود محمود (٢٠٠٠)، المرجع السابق، ص: ٧.
- ١٧- أنيس، إبراهيم وشركاؤه (١٩٧٢م)، معجم الوسيط، الطبعة الثانية، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة - القاهرة، ص: ٤٣١.
- ١٨- القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية: ٣.
- ١٩- محمود، الضبع (٢٠٠٧م)، أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، الدار المصرية اللبنانية، ص: ٣٢.
- ٢٠- خلف، سلام أحمد (٢٠١٢)، السرد القصصي في شعر أبي تمام، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠١، ص: ١٩٨.
- ٢١- قصيدة مشهود الملّقب بـ "يسألونك عن الإلوري، في مناسبة العيد الميلادي لمدير مركز التعليم العربي الإسلامي، أغني، لما بلغ الستين من العمر عام ٢٠١٨م.
- ٢٢- عبد الباسط الكاتي، قصيدته المزدوجة في الثناء على الله ومدح الرسول (ص) ٢٠١٤.
- ٢٣- راعي، الوقيد (٢٠١١م)، الشعر المزدوج، مضايف الشمر، مضيف الأدب العربي الفصيح، ص: ٤٣.

## القصة والمسرحية في نيجيريا وآفاق التطور: دراسة نموذجية لـ"خادم الوطن" لحامد إبراهيم الهجري، و"الجماعة" لعبد الغني ألي

د. جامع محمد يونس

شعبة اللغة العربية، قسم اللغويات واللغات الأفريقية والأوربية

جامعة ولاية كوارا، مَلَيْتِي

08038182207

### المقدمة

لم تكن القصة والمسرحية في الأدب النيجيري العربي مستقلتين في أهدافهما، بل يستخدمهما الدارسون لإيضاح التعاليم الدينية وفقا لما يستفاد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كما أشار إلى ذلك آدم عبد الله الإلوري<sup>١</sup>. ولم يقبل متعلمو العربية على استعمال الفنّ الإبداعي الثريّ بالجدّ اللائق إلا متأخرا. ولا تثير هذه الحقيقة دهشة من أيّ نوع نظرا إلى زمن نضج الفنّين كقالبين أدبيين بين العرب أنفسهم، لكنّه بعد مرور سنين ظهرت لمسات النهضة على الإنتاجات الأدبية بالعربية في نيجيريا مما في ذلك القصة والمسرحية، وساعدت التبعية الأدبية لتطوير الفنون الأدبية على غرار ما يحدث في الدول العربية عامة ومصر خاصة.

تبدو ظواهر التطور في مضمون المؤلفات الأدبية حيث يتمتع بالتوجيه الوطني بنصيب وافر في طيّات القصص والمسرحيات، وأصبح القراء يتلقون حضارات معاصرة مناسبة لبيئاتهم فيما يقرؤون، وبهذا أصبحت القصة والمسرحية حافلتين تنقلان التنمية إلى المواطنين خلال ما تتضمنانه وتسهمان في تحسين الأسلوب التعبيري وإجادة الذوق الأدبي للدارسين.

## المبحث الأول: الخلفية الأدبية للقصة والمسرحية العربيتين في نيجيريا

لم تنل القصة بمفهومها الفني الإقبال الجدي إلا في الوقت المتأخر، رغم أن الفن القصصي أخذ في الظهور علي أيدي الكتاب اليوروبيين منذ الثلاثينيات من القرن الماضي كما أورد حسين زكرياء<sup>٢</sup>، فللكتابة العربية خلفية التأليف القصصي كالذي ورد في بحث لعبد الرزاق ديرمي وغيره، إذ يقول في حق محمد صلاح الدين بن عبد السلام<sup>٣</sup> في مدينة إبادن، إنه كتب حكاية أمير أرسل في مهمّة بلدته والتقى بأميرة نشب بينهما حبّ حار، ولكن للأسف لم تتمّ الرواية. ورغم رسوخ العربية وأدبها دراسةً بين المسلمين خاصة فإنّ الرواية الإنكليزية على أيدي النيجيريين سبقت مثلتها بالعربية سنينا؛ لأنّ الرواية الإنكليزية الأولى من أديب نيجيري أيّمّوس تُتأوّلًا (Amos Tutuola)<sup>٤</sup> طبعت ونشرت عام ١٩٥٢م، ولم تُنشر قصة جديّة من أيّ نوع بالعربية إلا في السبعينيات من القرن الماضي بتأليف إسحاق أوغنييه قصصا شعبية تداولت بين قبيلة يوربا، وهي عبارة عن جمع قصص مشهورة بين قبيلته وأدائها باللغة العربية، والقصص أشبه بـ"الفولكلور"، أو ما سماه محمود عباس العقّاد بـ"المرددات الشعبية"<sup>٥</sup>. ومحاولته هذه شجعت دراسي العربية على ممارسة الكتابة القصصية، فنالت القصة من الشهرة والقبول بين الدارسين شأوا سامقا حتى إنّ كتابها يُنظّمون في الصف الأول من المثقّفين المحترمين.

وفي حق المسرحية إنّها - بمفهوم معناها الطبيعي الأصلي الذي هو التمثيل - قديمة، وعن هذه الحقيقة يقول أحد كبار كتاب المسرحية بأن "... كل الشعوب القديمة عرفت في فترة مبكرة من حياتها أو في القرون الأولى من حضارتها البدائية ... عرفت وبحكم (غريزة المحاكاة) لدى البشر (تبعاً لأرسطو) بعض الأشكال أو الممارسات أو الشعائر أو الطقوس التي يمكن تسميتها بأشكال ما قبل المسرح ..."<sup>٦</sup>. وقد استخدم كبار العلماء التمثيلية لبثّ دروس أخلاقية وإرساخ تعاليم دينية لفعالية الفن في الشعب وتأثرهم بما يشاهدون، كان هؤلاء العلماء يُعدّون تلاميذهم لعرض التمثيليات في مدارسهم المختلفة وتُقام كلّ سنة مناسبة الأعياد الإسلامية كالمولد النبوي، وليلة القدر، ومن المدارس التي تستعمل التمثيلية وسيلة من وسائل التعليم الشعبي مدرسة الزمرة الأدبية للمرحوم الشيخ محمد كمال الدين الأدبي، ومركز

التعليم العربي الإسلامي بأغيغي لاغوس للمرحوم الشيخ آدم عبد الله الإلوري، والمعهد العربي بإبادن للمرحوم الشيخ مرتضى عبد السلام، والمعهد الأدبي في أووؤو للمرحوم الشيخ خضر صلاح الدين<sup>٧</sup>، ومركز التعليم العربي والإسلامي للمرحوم الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، بلوكوجا وغيرها.

أما في هيئتها المعاصرة التي تنقاد لمتطلبات فنيّة كغيرها من الأعمال الإبداعية فهي جديدة في الحقل الأدبي لدى دارسي العربية في نيجيريا، حيث ظهر الإنتاج المسرحي الأول في الإطار المعاصر عام ١٩٩٤م على يدي زكرياء حسين، ومن ثمّ انبرى متعلّمو العربية يساهمون بإبداعات مسرحية تتّجه اتّجاهها تطوريًا.

### المبحث الثاني: نموذجان للفنين مما ألفه الكتاب النيجيريون

#### أ قصة خادم الوطن لحامد محمود الهجري<sup>٨</sup>

يعكس الكاتب في القصة خبرته خلال سنة كاملة قضاها في خدمة وطنه بعد أن أكمل الدراسة الجامعية. والخدمة من هذا النوع لازم على كلّ مواطن تحصل على الليسانس، أو ما يقابلها من الشهادات العالية. تطلع نور - بطل القصة - إلى هذه المهمة بشغف وانتظرها بحب مستعر، قابل من الشدائد أعسرها قبل أن يظفر بهذه الخدمة اللازمة وكابد من الآلام أشدّها في سبيل هذه المسؤولية الواجبة، لكنّه أخيرا تغلب على المشاكل، وتركت سنة الخدمة الوطنية في حياته الأدبية آثارا لا تندر، كما سجلت له تاريخًا لا ينمحي، والنصّ التالي من أواخر القصة:

"كنا أمثالك يا أخي خدام الوطن منذ أعوام، لكننا أدركنا أخيرا أنّ الحكومة اليوم تخدم من لم يخدمها، وإنما تحتاج منك أن تحسن التدبير، وتعرف أين تؤخذ الكتف، وتجيد المراوغة والتدجيل، أما رأيت الذين ينهبون اليوم أموالها نهبًا، ويسرقونها سرقا، ويسوقونها إلى الخارج أمتعة وبضائع كأنها ثروات ورثوها من آبائهم الموتى، إنهم لم يخدموها قط مثلما تخدمها اليوم أنت، أو مثلما خدمناها نحن منذ سنين، فالحكومة تنجب الأذكياء والنجباء، وتنتج العقلاء الأفاذا،

وكلّ هؤلاء يبحثون عن محل يستخدمون فيه قواهم العبقريّة، ولا بد لهم من ميادين يقومون فيها بأدوارهم من مواهبهم الغالية، وإذا افتقدوا الأعمال المشروعة لجؤوا إلى ما نحن فيه الآن إن كانوا شجعانا يصدّون الرصصات بصدورهم، أو تستروا من الإجرام الخفي حيث يبيعون عقولهم ليربجوا من جهالات الأعوام من الأثرياء.

تفكّر معي يا خادم الوطن، إنّ عدد الذين يشاركون في الخدمة الوطنية كل سنة يبلغ ثمانين ألفا أو يزيد، فهذا العدد الضخم يتمنى بعد عام الخدمة أن يجد الوظيفة، فهل دولتنا الحبيبة قد هيّأت لكل واحد منهم مكانا مناسباً؟ وأنا أجزم لك أن الذين سيوفّقون في العمل بعد هذه الخدمة لن يبلغوا عشرين ألفاً، أعني ربع العدد، فماذا يصنع البقية بعد الخدمة؟ أيتيهون في الأرض حيارى؟ أم يهيمون على وجوههم بأسيين؟ ولماذا لا يرتكبون هذه الإجرامات أو تلك إذن؟ ثم ليكن في علمك أنّ عدد المشاركين في هذه الخدمة يزداد كل عام، وأمكنته الوظيفة تتضايق أيضا كل عام، فمن نلوم الآن؟ أنلوم الطلاب بأنهم يتخرّجون أفواجا؟ أم نلوم الحكومة بأنها لم تستعدّ لتوظيفهم كما ينبغي؟

يا أخي العزيز لا تعتمد على الحكومة في حياتك على الإطلاق، فهي مشغولة عنك بمن هو دونك علما وثقافة، ولا تضع اللوم كلها على عاتقها يوما، فإنها أمّ أنجبت كل أنواع البشر: سعداء وأشقياء، أغنياء وفقراء، علماء وجهلاء، أذكفاء وأغبياء، وكلهم يستحقون منها الأمومة، فهي ليست إلهة تستطيع العدالة مع الجميع، فكل ما في وسعها أن تساعدك فيما أنت عليه، وإيّاك أن ترجع إلى حظيرتنا هذه، فإنّا منها لمتقرّزون، وعلى مثل هذه الوظيفة لنادمون؛ لأن عواقبنا - كما علمت - وخيمة في الجحيم! فاجعل همّك يا أخي عالية قوية، فاخلق لنفسك جوا مناسباً إن فسدت الأجواء، فاصنع لنفسك مصنعا لائقا إن رفضت المصانع، فاجعل لنفسك مكتبا بسيطا إن جهلتك المكاتب، واعلم أن

المرأة المتحجّبة التي تبيع الأطعمة داخل خدرها تحت النفق، إن أجدات الطهي وأتقنته سيبحث عنها المحتاجون من مسافة يومين مسرعين مزدحمين! ليس على هذه البسيطة علم لا ينفع أو عمل لا يُجدي، فرحم الله عبدا إذا عمل عملا أتقنه.<sup>٩</sup>

### ب مسرحية المجاعة لعبد الغني أديبايو ألي<sup>١٠</sup>

تعرض المسرحية قضايا حيّة مما يعانيه الموظفون في نيجيريا حاليا من امتناع حكومة الولايات والمحافظات عن أداء رواتب العمال، الأمر الذي أورد بعضهم في مأزق وأصبحت حياتهم ضنكا. والمدرسون في المدارس الابتدائية والثانوية هم أكبر فريسة للويلات التي تترتب على عدم دفع رواتب، أو تأخرها. تواترت الوعود من قبل الحكومة في جميع مراحلها لكنّها وعود لم تُوفّ، وألجأ هذا بعض المدرسين إلى ارتكاب أخلاق لا يرتضيه المجتمع كرد فعل لمساوى الحكومة في معاملتهم، حين أدّت الظاهرة إلى شبه الثورة من المواطنين، ونجح العمال في استمالة الشعب إلى صقّهم حتى أصبحوا يدا واحدة ضدّ الحكومة. والقطة الآتية تصوّر لبّ الفكرة التي تهدف إليها المسرحية:

أديسا: (لأصدقائه) العجائب لا تنقضي، أصبح الحر آيسا حتى لجأ إلى مثل هذا التدبير لكي يجد ما يطعم به أهله، وهؤلاء السياسيون قد أجلوا الخزانة، وهم يبيتون شباعا والمواطنون جباعا، إليك ربنا فوضنا أمورنا وعليك توكلنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأستاذ عبد الغني: (في يده كتاب) إن ساستنا يرون السياسة وسيلة لجمع الأموال وبناء قصور شامخات كأنهم في الدنيا خالدون، يظلمون الرعية ولا يوفون لهم بنذورهم ناسين يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار وتبلى فيه السرائر ولا ينفعهم المال الذي جمعوه ولا الأولاد الذين ربوهم<sup>١١</sup>.

### المبحث الثالث: القيم الفنية (المضمون والأسلوب)

الكاتب الإبداعي يخاطب القارئ بأدبه سواء فوّه بذلك أم لا، وبالتالي فإنه يبتّ لمجتمع ما بلغ به الفكر كما يدوّن ملاحظاته حول حوادث وقعت فعلا أو اخترعه بخياله.

والعمل الأدبي من هذا النوع لم يكن منتشرًا بين الدارسين بالعربية في نيجيريا لأنها (العربية) تسخر أكثر لما يمت إلى الإسلام وتعاليمه بصلة، وليس هذا مستغربًا نظرًا إلى عقلية معظم الناس في هذه الديار أنّ العربية لغة مقدّسة تصلح للتعبير الإسلامية لا غير، ولكنّ التطور المعاصر المتمثّل في اتصال عدد لا يستهان به من الدارسين بالآداب العالمية وفسوّ المؤلفات العربية الحديثة في نيجيريا قد أدّى إلى الإدراك بأنّ العربية كغيرها من اللغات الراقية صالحة للتعبير عن كلّ شيء. ونتيجة لهذا التغيير في منظور دارسي العربية تمّ الإقبال على تأليف إبداعية تضمّ في طياتها مضامين تطوّرية. ولتجلية مدى انقياد المؤلفات الأدبية من قالب القصة والمسرحية للمقتضيات التطوّرية يكون مناسبًا أن ينظر الباحث في النموذجين المقتبس من معايير أدبية من المضمون والأسلوب.

### المضمون

تقتضي التجارب أو الخلفية التي مرّ بها الأديب أن يقدم إلى القراء قصة أو مسرحية ويتكون ذلك من عاطفة تحرك خياله ويتبادر إلى إنشاء عمل إبداعي موضح الفكرة التي ينبني عليها عمله، وعلى هذا المفهوم تسعى هذه النقطة نحو دراسة المضمون في النموذجين باستخراج الفكرة، والصراع لأهميتهما في إبراز رسالة أديب في كتابته.

### الفكرة

يجدر أنّ يفهم أنّ النصين يتجهان اتجاها اجتماعيا حيث يسعى كل أديب نحو عرض عمله للتوعية نحو فكرة أو رسالة وفقا للواقعين من الأدباء، وليس هذا غريبا فعنه يقول إبراهيم عبد العزيز السّمري: "إن العمل الأدبي هو نتاج الأديب متأثرا بالبيئة، وبالعصر، وبالجنس، وبالحياة السياسية والاقتصادية..."<sup>١٢</sup>، وعلى هذا الأساس نرى حامدا المهجري يقدم خبرته كخادم وطنه لمتناول القراء متحسرا على الولايات التي كابدها قبل نيل الأهلية للخدمة والشدائد المحدقة به خلال سنة كاملة في إجابة نداء وطنه لتقديم المسؤولية اللازمة. والفكرة السائدة في خادم الوطن هي وجوب التضحية والتفاني من قبل كل مواطن في سبيل ترقية وتحسين الوطن، والقصة وإن كانت ذاتية نوعا ما، إلا أنّها تعكس التطور الحديث الذي يتمتع



بما الأدب النيجيري في اللغة العربية، إذ أصبح دارسوها يتلقون التوجيه بأيّ إطار استعمله الكتاب بدلا من الارتكان إلى الوعظ والإرشاد المباشر من العلماء، والنداء الموجه إلى بطل القصة في القطعة المقتبسة إشارة واضحة إلى وعي الأدباء النيجيريين في استخدام كتاباتهم للتطوّر الوطني.

وفي مسرحية **المجاعة** نجد أنفسنا إزاء قضايا وطنية حيّة يعرضها الكاتب في عمل أدبي يجعلها أكثر تعلقا في وعي القراء. تحمل هذه المسرحية القصيرة فكرة توعية المواطنين على ما حال إليه أمر الموظفين من قساوة الظروف لاسيما المدرسين، لا يتسلّمون رواتبهم الشهرية إلا لماما، ولا تهتم الحكومة بأحوالهم، وأدّى بهم هذا إلى أن أصبحوا أضحوكة الناس. وقد بلغ بهم سوء الحال إلى أن لجأ "إندكو" (أحد الموظفين) إلى الاحتيال بأخذ كيسا من "سيمو" وهو يقول: إنه سيدفع متى ما دفعت الحكومة ديونه<sup>١٣</sup>. والفكرة السائدة على هذه المسرحية هي إفشاء خيانة الحكومة ضدّ العمال، ويترتب على ذلك إهمال السكان، لكنّ غرض الكاتب الذي يدعو الناس إليه هو الثورة ضد الحكومة الجائرة كما يبدو من كلام "إندكو" لما تجمع عليه الناس حيث يقول: "تعاونوا معنا نشكوها جميعا ... تعاونوا معنا، حالنا لا يخفى عليكم"<sup>١٤</sup>. وتتجلى فكرة الثورة واضحة في المنظر الثامن حيث احتشد الرؤساء وكبار السياسيين لذكرى عام كامل من تولية الحاكم على الرئاسة، ولما شرعوا في نشيد الوطن وإذا ... تنهال عليهم الأحجار من كلّ صوب، ويلوذون بالفرار، يخلع بعضهم الأحذية، وتسقط للقلانس من على رؤوس بعضهم، يسقط بعضهم على الأرض وعلى بعضهم ويحيط بالحاكم بعض مواليه يهزّبونه في سيارة أجرة.<sup>١٥</sup>

استخدام العمل الإبداعي من طراز القصة والمسرحية وتشحين مضامينهما بقضايا وطنية وروائع عصرية تطوّر جديد في ساحة الأدب النيجيري العربي، وذلك لأنّ كليهما كان يسخر للدعوة الإسلامية في الماضي القريب، وذلك لأنّ القصة سواء كتبت للقراء أو للتمثيل تُفهم كآلة لـ"صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة أو مصلحة تنفعهم"<sup>١٦</sup>، والحصول على

مثل هذه الأفكار الواقعية في النقد الاجتماعي والتي يحويها كل من القصة والمسرحية لخطوة تطويرية في المؤلفات الأدبية بالعربية في هذه الديار.

### الصراع

يجدر بنا الكلام عن الصراع، لأنّ وضوح الفكرة يعتمد على الصراع، وهذا ما جعله عنصراً هاماً من عناصر الفنّ الأدبي، وأهميته في الإطار القصصي والمسرحي رئيسة؛ لأنه "التصادم بين الشخصيات أو التّزعات الذي يؤدي إلى الحدّث في المسرحية أو القصة: وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس إحدى الشخصيات، أو بين إحدى الشخصيات وقوى خارجية كالقَدَر أو البيئة، أو بين شخصيتين تحاول كل منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى. ومجال الصراع في المسرحية أو القصة، قصيرة أو طويلة"<sup>١٧</sup>. ويُفهم من التعريف أنّ الاشتباك الذي يعكسه الصراع ضرورة لازمة لإدراك مرامي النصّين الأدبيين.

والصراع في قصة **خادم الوطن** لا يبدو جلياً، لأنّها قصة ذاتية، ولكنّ قارئاً مدقّقاً يستطيع أن يستنبط أن الكاتب مولع بشكواه ضدّ الوضع الحكومي في أمور تمسّ العربية ودارسيها من الإهانة والتعصب ضدّها وذويها، سواء في ساحات الإدارة أو غيرها. أما في النصّ المقتبس الذي عرضناه فيتجلّى أن الكاتب يتصدّر لإبراز العراقيل التي تكوّن جبل الشنق للناشئين المثقّفين، إذ قد صُدّ عنهم جميع سبل العيش الرغد حتى لجأ بعضهم إلى أعمال شنيعة مثل ما قام به ذلك السارق الذي يحاور نور في القصة. ولا ينقص عدم ظهور الصراع بجلاء متوقع من قيمة هذه القصة التي تناشد دارسي العربية بالتكليف الجيّد المؤيّد بالجدّ في التحصيل الحسن للعلم الذي يرتضيه المجتمع.

أما عنصر الصراع في مسرحية **المجاعة** فأكثر وضوحاً تبعاً للقلب الذي تقمصه الكاتب لعرض فكرته إلى القراء، فإن الظروف الصعبة التي يظل يعانيها العمال في نيجيريا لا تخفى على كل من يتابع الأحداث في الوطن، وخاصة في ميدان السياسة أو الاقتصاد. تزعم المدرسون حركة مكافحة الظلم الذي يذيق به الرؤساء السياسيين المجتمع ويلات، والقضية حيّة يعرفها حتى الصبيان. فقد بلغت الشدّة بالعمال حتى لجأ بعضهم إلى الاشتغال بأعمال

شاقة غير مناسبة وجرب بعضهم السرقة بالحيلة ليجد ما يطعم به أهله. بلغ الإهمال من قبل الحكومة الذروة، وحدا بالعمال إلى الإضراب والمظاهرة، وأخيرا نشأت حركة تشبه الثورة، إلا أنها فشلت، لأنّ الحكومة أنشبت أظفارها ضد المجتمع وقبضت على رؤساء العمال وبعض المواطنين الأبرياء.

### الأسلوب

والكلام عن الأسلوب في مقالة بسيطة مثل ما نحن بصدده لا يكون مستوعبا، لأنّ المجال ضيق، وبديهي أن يُقال إن الأسلوب المقصود هنا هو "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ، وتأليف الكلام" وإنه "طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"<sup>١٨</sup>. والقصة كخادم الوطن عمل إبداعي ثري يتسم بميزات عديدة لكن "أهم ما يميز أسلوب النثر عامة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمقصود بالحال هنا إما الوصف أو السرد أو الشرح لفكرة مجردة"<sup>١٩</sup>. نظرًا إلى هذا المفهوم الذي يركّز على متطلبات لازمة في ساحة نثر ناجح، إنه يفيد تناول كيفية السرد في خادم الوطن كما يلي.

اختار الكاتب لسرد حكايته في القطعة المقتبسة "أسلوب ضمير المتكلم" ويقتضي هذا الأسلوب أن يحكي بطل القصة جميع أحداثها، وبهذا الأسلوب يرتبط كل شخصية بالبطل كما تتمحور الأحداث حوله. وطبعًا إنّ هذا الأسلوب أنسب بقصة ذاتية من النوع الذي يعرضه المهجري في عمله هذا ولذا حبك كل حادثة حول نور الذي هو نجم القصة، وتوجيهه خطابة نصيحة إليه خاتمة فنية تناسب الموقف والنوع الإطاري المختار. واستخدام العمل الأدبي من هذا النوع بهذا الجدّ نحو تحسين المجتمع تطور جديد في العمل الإبداعي النثري عند دارسي العربية في نيجيريا، وإسهامات أعمال مثل هذه وتأثيرها في تطوير عقلية القراء ليست خفية. والسير على هذا المنوال في الأدب النيجيري العربي تيار جديد وبرهان ناطق بالتطور والتطوير في آنٍ واحدٍ.

هذا، والكلام عن الأسلوب في المسرحية لا يكون عسيرا لأنها عمل إبداعي له إطاره الخاص يفرض قواعده على أيّ كاتب ينبري لكتابة المسرحية، وهذا ما جعل الأسلوب الحوارى عنصرا لازما في ميدانها. ومن هذا المنطلق نرى كاتب الجماعة في تمام الانقياد لمقتضيات العمل المسرحي الذي أوجب أن يكون الطريق الوحيد للتعرف على الفكرة المقصودة في المسرحية هو الحوار، يسانده في هذه المسؤولية الحركة من الشخصيات. وأهمية هذه المسرحية في أسلوبها واستخدامها لتسليط الأضواء على المعاناة التي يتكبدها العمال، توضح بكل جلاء اجتماعية الأدب النيجيري العربي، وهذا مصداق ما يقوله بدوي طبانة إذ يقول: "فالوعي الاجتماعي يكون حيث يكون شعور أفراد الأمة بعلاقاتهم وخيرهم واتجاه أفكارهم، وإرادتهم لخير المجتمع بجانب الشعور بالتفكير والإرادة في أشخاصهم"<sup>٢٠</sup>. واستعمال الأسلوب الحوارى الذي يقتضيه الفنّ المسرحي لإرساء الوعي الوطنى تيار جديد نحو التطور والتطوير في نيجيريا.

#### المبحث الرابع: الملحوظات والتوصيات

يتعرض كلّ عمل أدبي للتقييم الذي يتجلى في إظهار المحاسن والمساوى اعتماداً على ما يقتضيه القلب المستعمل، ولا تسع هذه المقالة جميع الملاحظات، لكن يكون حسنا ألا نترك النزر اليسير.

أبرز ما يلاحظ على خادم الوطن هو قصر حجمه، لأنه يتوقع أن تكون قصة متطولة ليتسع المجال للكاتب أن ينقل إلى قارئه جميع تفاصيل تضع كل معلومات عن الشخصية الرئيسية في متناول أيدي القراء وتتجلى الفكرة بكل وضوح، لكنّ القصر في الحجم يُعْتَقَر نظرا إلى أن القصة ذاتية ولا تتضمن أحداثا تمس شخصية أخرى غير نجمها. وزيادة على ذلك أن الكاتب استطاع أن ينقل إلينا أحداث سنة الخدمة كاملة بحيث لم يخل قصر الحجم بقيمة السرد والعرض.

أما في الجماعة فإننا نلاحظ إزاء المسرحية أنها لم تستوف بعض متطلبات عمل إبداعي من نوع الإطار، وابتداء من الفكرة التي تبدو أنها النداء إلى الثورة يقوم بها العمال بالمعاونة مع الشعب، إلا أنّ الرسالة قوبلت بالفشل إذ قبض على الثوار في حفلة ذكرى تولي الحاكم على

أريكة الإدارة، وهذا خلاف ما يُنتظر من عمل إبداعي يدعو إلى إيجاد الحل للأزمة المحدقة بالمجتمع، وكأنّ الخاتمة تندر القراء من الإقدام على الثورة للعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم، ولم يكن هذا قصد الكاتب كما تشهد أحداث سبقت قبل هذا الموقف في قول إندكو أحد العمال: "تعاونوا معنا نشكوها جميعاً"<sup>٢١</sup>.

وكذا لوحظ أنّ الصراع لم يكن محبوباً حبكاً يأسر القارئ ويفرض عليه المتابعة من البداية إلى النهاية، وذلك لأنّ المسرحية تعتمد على سرد الكاتب، ولم يبد شخصية تقابل العمال من قبل الحكومة طول العمل وعرضه، ولا يكون هذا في الواقع الحقيقي؛ لأنّ الإضراب أو المظاهرة من الموظفين آخر مرحلة في خصومة العمال مع الحكومة، ولا بد أنّ الأحداث تستفحل حتى تبلغ هذه المرحلة، ولكنّ عدم حركة قوية في المسرحية -إلا متأخراً- قد أدّى إلى برودة الصراع وهذا مصداق ما يقال من أنه "فحين تقرأ مسرحية بالضيق وقلة الاهتمام في جزء منها؛ فاعلم أنّها قد أعوزها الصراع في ذلك الموضع"<sup>٢٢</sup>.

وقيمة الحركة في هذه المسرحية تثير تساؤلات، لأنّ بعض أحداث مهمة تأتي سرداً من الكاتب، وهذا خلاف ما تستوجهه كتابة مسرحية، ومثال ذلك الحادثة الأخيرة في المسرحية حيث الأحجار تنهال على المحتفلين لذكرى عام تويّ الحاكم، وإخاله يكون أحسن لو قاد الكاتب القراء إلى الحادثة المهمة مثل هذه بواسطة الحركة. طبعاً إن المقصود بالحركة ليست "الحركة الجسمانية"<sup>٢٣</sup>، لكنّ الحركة أم عدمها، النطق أو السكوت؛ يأتي من الشخصيات لإلقاء الضوء على محور المسرحية.

#### الخاتمة:

اللغة العربية قديمة في نيجيريا والتعبير بها عن مشاعير دارسيها كذلك قديم، لكنّ ذلك يتركز - غالباً - على دواعي دينية، وقد تحسّنت الظروف للأدب النيجيري العربي تبعاً للقيمة التي يتمتع بها الأدب العربي في الساحة العالمية أن يرتقي بالأدوار التي تلعبها العربية في قضايا وطنية في نيجيريا، إذ صارت آلة فعالة مما يستخدمها المثقفون لتنشئة الناشئة تنشئة قومية إيجابية. والكاتبان اللذان اقتبسنا من أعمالهم النموذجيين المعروضين رمزاً للأنشطة السائدة بين

دارسي العربية في نيجيريا حاليا، ومهما يلاحظ على النموذجين فإن الإسهامات التي يسديها كل منهما خطوة جديدة من التيارات المعاصرة نحو التطور والتطوير الوطني.

### التوصيات

تجاوزت العربية والتعبير بها - نطقا وكتابة - طور الحصر في الدين وطواقيسه وأصبحت آلة لتناول قضايا اجتماعية مما يغرس في قلوب المواطنين حب وطنهم، ولذا يجدر بدارسيها أن يسايروا التطورات الحديثة ويسخروا كتاباتهم لخدمة المجتمع، وإسهامات الفنون الحديثة من نوعي القصة والمسرحية في إظهار المساوي المتفشية في المجتمع، واقتراح الحلول لها لتستب الأمور وتستقيم سبل التقدم الاجتماعي لم تكن خافية، فيستحسن أن يستزيد دارسو العربية في نيجيريا من استغلال هذين الفنين لمناقشة أزمات تتحدى الشعب النيجيري. يستحسن كذلك توسيع موضوع يناقشه الكتاب في أعمالهم الإبداعية من الطراز القصصي والمسرحي ليشمل ما يمسّ المجتمع مباشرة مثل ما فعله صاحب المجاعة ليفسح مجال إدراك دارسي العربية في نيجيريا ويفتطنوا إلى كوامن علوم أخرى تساعد على التعبير الأدبي الناجح.

## الهوامش والمراجع

١. آدم عبد الله الإلوري، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م، ص: ٢٠٢ - ٢٠٨.
٢. عبد الرحيم عيسى الأول، الانتخاب مؤامرة، Lagos, Nigeria, Ranzonson Enterprises Company, 2009, p:7
٣. Razaq Abubakre and Bobboyi Hamidu, *The Writings of Central Sudanic Africa in Arabic Literature of Africa*, vol.II, compiled by Hunwick John O., 1995, p498 - 499
٤. Chinua Achebe, **Home and Exile**, United States of America, Anchor Books, 1952, P:44
٥. عباس محمود العقّاد، **خواطر في الفنّ والقصة**، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، ص: ٢٩.
٦. إبراهيم الزيني، **فلسفة الدراما**، القاهرة، كنوز، ٢٠١٤م، ص: ٥.
٧. Zakariyau I. Oseni , **PROSE AND DRAMA IN NIGERIAN LITERATURE IN ARABIC: THE JOURNEY SO FAR**, University of Ilorin, م ٢٠٠٢, P2
٨. ولد حامد بالورن في السبعينيات من القرن الماضي وبها تعلّم وانتقل أخيرا إلى كنو في الشمال النيجيري حيث أكمل الدراسات الإعدادية والثانوية في دار الهجرة للشيخ آدم عبد الرحمن يحيى الفلاني بدرجة امتياز. التحق بفرع كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، بجمهورية تشاد للحصول على الليسانس، ثم واصل دراساته بكلية الدعوة في ليبيا حيث حصل على الماجستير. وله مؤلفات في القصة وغيرها.
٩. حامد محمود إبراهيم الهجري، **خادم الوطن**، Alabi Printing Production, Ilorin, Nigeria, First Edition, 2008, p;100 -103.
١٠. هو من مواليد إلورن، ولد ١٠/٣/١٩٦٧م، وتلقى مبادئ الدراسات العربية والإسلامية لدى الآباء والأجداد شأن غيره من أبناء المدينة. تعلّم في الابتدائية الحكومية لجماعة أنصار الإسلام بأوكي كيري والتحق بعدها بالثانوية الحكومية في مدرسة كيروم وسيرافم حيث تخرّج عام ١٩٨٣م، وانضم بكلية التربية بالورن ثم التحق بجامعة بايرو بكنو وتخرّج فيها بالليسانس

- عام ١٩٩٢م، وحصل على الماجستير بجامعة جوس ٢٠٠٥م وهو حاليا يحضّر للدكتوراه بجامعة ولاية كوارا مليتي. وله مؤلفات مسرحية وغيرها كثيرة.
١١. عبد الغني أديبايو ألي، الجماعة، إلورن، نيجيريا، شركة المضيف للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص: ٢٥ - ٢٦.
١٢. إبراهيم عبد العزيز السّمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، القاهرة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص: ٤٩.
١٣. عبد الغني أديبايو ألي، المرجع السابق، ص: ٢٤.
١٤. المرجع نفسه، ص: ٢٤.
١٥. المرجع نفسه، ص: ٣١.
١٦. آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق، ص: ١٧.
١٧. مجدي وهبة و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص: ٢٢٤.
١٨. محمد حسين عبد الله المهداوي، نظرة في الأسلوب والأسلوبية، retrieved from [abu.edu.iq/html/research/pdf/jur/10-2.pdf](http://abu.edu.iq/html/research/pdf/jur/10-2.pdf) ص: ٣. 28/10/2016
١٩. مجدي وهبة و كامل المهندس، المرجع السابق، ص: ٣٨.
٢٠. بدوي طبانة، التيار المعاصر في النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م، ص: ١٥١.
٢١. عبد الغني أديبايو ألي، المرجع السابق، ص: ٢٤.
٢٢. أ.د. نجوى عمر وآخرون، فن المسرح قضايا ودراسات، مكان الطبع غير مذكور، ماس للطباعة، د. ط.، غير مؤرخ، ص: ٤٨.
٢٣. المرجع نفسه، ص: ٤٩.



## السرد وتقنياته في الروايات العربية النيجيرية

( دراسة لنماذج مختارة )

الدكتورة حبيبة يحيى ألفدري

جامعة سلي لاميطو، جيغاوا

### المقدمة:

تعد الرواية أكثر الفنون الأدبية رواجاً وقبولاً لدى الجمهور، وإن السرد فيها بمثابة العمود الفقري الذي لا حياة فيها إلا به، والسرد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بطرائق الكاتب في معالجته وتوظيفه لعامل الزمن، وهو الذي يميز كاتباً عن كاتب وإبداع سردي عن آخر. تحاول هذه الورقة السعي وراء بعض الاصطلاحات التي تحدد وظيفة السرد وطبيعته في النص الروائي في طريق الحكوي والإخباري، فالراوي وتأثير ذاته في السرد، مع وتنوعاته وما إلى ذلك.

### السرد في الروايات العربية النيجيرية

يعنى بالسرد في اصطلاح الروائيين، نقل الحادثة من موردها الواقع إلى صورة تطبع في ذهن القارئ. والسرد بهذا المعنى هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية معبرة عن الأفعال. لقد عرف عامر السرد بأنه "تقديم القصة بلسان راو أو مؤلف ضمني: وذلك يعني تقديم القصة من نقل الأحداث أو وصف المكان أو نقل صورة من الشكل النفسي والبدني للشخصيات"، أو بعبارة أخرى حسب عامر أيضاً فالسرد هو "اللغة السائدة في الرواية"<sup>١</sup>.

### أما السردية (Narration) من السرد:

فهي الوظيفة التي يقوم بها السارد التقليدي والموضوعي<sup>٢</sup>. تبعا لهذه التعريفات للسرد فإن السرد كعنصر روائي مستقل بذاته يكاد يشمل جميع أطراف الرواية المصطلح عليه الأدباء خصوصا اللغة؛ لأنها المادة أو الوسيلة لإبراز وظيفته كعمود فقري، تلعب دور الوسيط بينه

وبين الأحداث في كثير من الأحيان، ولأن كلا منهما جزء لا يتجزأ من الآخر، فهذا ما أدى بكثير من الأدباء إلى الاكتفاء بذكر أحدهما دون الآخر لاشتمال المضمون ووجود الهدف المرجو من ذلك. كما يرتبط السرد بالوصف والحوار لارتباطه باللغة ودوران كل واحد منهما في فلك واحد. بهذا الصدد يقول حسين مجدي<sup>٣</sup> (ولغة القراءة والسرد): هي تلك اللغة المتميزة عن لغة الحوار المباشر (لغة الكلام) وعن اللغة المتأنقة لغة الإنشاء الأدبي (لغة الكتابة) وحدودها أنها تلك اللغة الواردة على لسان الراوي سردا دون تعليق ولا شك أنها تستغرق القسم الأكبر من النص.

انطلاقا من هذا، فإنه قد مر بالرواية العربية أشكال وطرائق تقليدية مختلفة من السرد في معظم أطوارها من أمثال عبارات "زعموا" و "حدثنا" أو "حدث" أو "حكى أو "حدثني" أو "بلغني"، فإن الباحثة لم تعثر ولو على رواية واحدة من الروايات المختارة التي استعملت أمثال هذه الأفعال لما حوت من صور السرد التقليدي واتجاهها نحو الشكل الأسطوري للتعبير عن الواقع المعاصر؛ ولأن معظم ما كتب في نيجيريا من الروايات يمثل حقيقة الروايات الحديثة التي أنتجها الاحتكاك الشرق بالغرب الذين قلما تجد من بين رواياتهم التي جرت على غرار كليلة ودمنة مثلا، أو ألف ليلة وليلة التي تجري على هذا المنوال.

ومن جانب الأسلوب فكثيرا ما تفتح الروايات النيجيرية بأسلوب إخباري مباشر، وهي التي تمكن القارئ من تجسيد ما يجري من الحركات والسكنات ومن تشكيل صور الأشياء بدون شعور القارئ من الراوي الخفي فيخيلها القارئ كأن الأشياء تحدث على مسمعه ومرآه، وأن الصورة تشكل أمامه مباشرة، فتجد هذا في رواية "بيبين خادمة من الجنوب" لأمين يهوذا:

"تغزو حركة باصة الصفصاف الكبيرة الحجم سكون إحدى الليالي الخريفية المقمرة على الشارع المفضى إلى كنو من لاجوس العاصمة النيجيرية القديمة، هبط ضوء القمر على طرف منها ليعكسها على حقيقتها ... إنها الموديل الياباني الجديد ذات اللون الأبيض من

أعلاها، وبأسفلها عرضاً لونية الأحمر السابغ وخلال ملتقى اللونين خط أسود مديد ... تنطلق كأنها تسابق العاصفة مودعة المدن والقرى والمساحات الخاوية في ومضمة برق<sup>٤</sup>.

وهذا الشكل من السرد لا يسمح للقارئ الشعور بأدنى وجود للراوي دون نفسه، وأن الكاتب هنا أبرز حقيقة مهارته الأدبية في تمثيل الأشياء مع الأناقة الجديدة في اختيار المفردات ذات إيقاع خاص بالموقف، والتي توفر للقارئ الاستمتاع الأدبي المرجو. تمثل هذه الظاهرة أيضاً رواية "أهل التكرور" للفلايني:

"على شاطئ البحر كانت تقع بلاد التكرور وكانت أرضها مترامية الأطراف والمساحات وكانت خصبة موفورة بالمعادن والثروات، معظم أهل التكرور يعيشون على الزراعة والحرق في الأرض يبتغون فضلاً من الله في تلك التجارة التي لا تنقضي يوماً من الأيام. وقليل منهم يتعلم الصناعة إلى درجة تمكنهم من العيش الرغد في حياتهم"<sup>٥</sup>.

إن هذه المقدمة لا شك أنها توفر للقارئ الجو الصالح لتخيل الأشياء بنفسه بدون أدنى إحساس من غيره في صناعة التصوير. كالذي جاء به الحقيقي:

"في يوم أطلت السماء ظلال السحاب، وفترت لفجة أشعة الشمس حيث رقة نسيم تستهوي النفوس إلى دعة وتهيج الشباب إلى ما ينشطهم من خمول وإرهاق وتبث فيهم أريحية النشوة والتفرج، خرج "رضا" إلى الجهة الغربية في منطقتة لأداء أمانة وكلت إليه وثقلت عليه أعباؤها، فإذا هو في سيره وقعت عيناه الثابقتان على خريدة ثغراء متوسطة القامة. معتدلة البنية ناعمة البشرة فاتحة العينين وسيمة الطلعة ... نال منها الحياء من النصيب أقصاه وبلغ بها الجمال أعلاه ..."<sup>٦</sup>.

### وظيفة الحكى والإخبار

الحكى أو الإخبار هو أبرز وظيفة للراوى وأشدّها رسوخاً وعراقية، فحينما وُجد الحكى دل ذلك على وجود حاك ويقصد بالحكى الإخباري "توصيل الحكاية من مخاطب يحاول التأثير في مخاطبة عن طريق السرد، وينشأ عن ذلك ما يسمى لدى نقاد القصة بمصطلح "الخطاب السردى" أو الأسلوب الإخباري السردى القائم على التوازن بين حدثين وفاعلين

وزمانين، حدث الفعل من ناحية وحدث الإخبار عن هذا الفعل من الناحية الأخرى<sup>٧</sup>. وقد أطلق البلاغيون القدماء على هذا النوع من الأساليب: الأسلوب الخبري، وعرفوه بأنه ما يقبل الصدق والكذب لذاته، تفريقا بينه وبين الأسلوب الإنشائي الذي لا يقبل ذلك مثل<sup>٨</sup>.

"صلى سعيد المغرب والعشاء معا وحده في تلك العمارة الفاخرة وتعشى عشاء لم يذق مثله منذ أن ولدته أمه... وتجاذب أطراف الحديث مع هدية بعض الشيء".

فتجد فعل "صلى" هنا يعبر عن حدثين أولهما حدث الصلاة الواقعة مع سعيد، وثانيهما حدث الإخبار عن الصلاة الصادرة عن الراوي، وتجد أن فاعل الحدث الأول سعيد وفاعل الثاني راو تعتمد توصيل الخبر إلى مستمع بغية التأثير فيه، وتجد زمان حدث الأول غير زمان الحدث الثاني، ومن ثم فقد يتطابق القول مع الفعل كأن هذا الشخصي المسمى بسعيد قد صلى فعلا. وقد لا يتطابق فيكون الكلام عندهم كذبا.

ومجمل الأمر أن السرد القصصي أو الروائي في قصة أو في رواية ما ليس إلا اختيارا واحدا من عدد كبير من الصور الممكنة، والتي يمكن لكل صورة منها أن يكون رواية أو قصة ربما أجمل أو أقل جمالا من القصة الموجودة، ولكن الصورة الحاضرة للسرد إنما كانت "الاختيار الأوحدهذا السارد خاصة، إذ لو حدث أي تغيير في السرد لتغير وجه الراوي وموقعه، ولأصبح راويا آخر"<sup>٩</sup>.

#### تأثير الذات الرواية في السرد:

عندما يروي لك أحد الناس خبرا فإن اللغة التي يستخدمها تختلف عن لغة إنسان آخر يروي لك الخبر نفسه، لأن كل إنسان له قاموس لغوي خاص وله طريقة خاصة في تركيب الجمل وترتيبها، تبعا لاختلاف القدرات واختلاف التعليم والثقافة والمهنة والوظيفة الاجتماعية، وغير ذلك من المؤثرات.

وفي مجال الروايات الفنية للقصص والروايات نلاحظ ذلك بوضوح، وبخاصة في الروايات التي تتعدد فيها الرواة، فذات الراوي تضيف على لغة السرد ظلالات خاصة به فتجعلها مرحلة إن كان الراوي مرحا، وحزينة إن كان الراوي حزينا، ومسهبية إن كان الراوي ثرثارا،

ومحمكة إن كان الراوي جادا، لأن هذه اللغة نفسها جزء مهم من بنائه الفني، فكلام الرجل قطعة من عقله كما يقال في المثال.

"لم يذق صاحبنا حلاوة النوم لأنه ألبى إلا أن يبیت دون العشاء تساور نفسه ذكرى الزهراء وهي تعرض عليه مشاهد متشابكة في المنام، بين لوحات مطربة في الوفاق وصفحات مفرزة في الإعراض تغريه ابتسامات حلوة حيناً فتقاطعها لفحات الهول الكئيب حيناً آخر إلى أن عسعس الليل وتنفس الصبح وتبلج الفجر وصاحت الديكة من رؤية الملائك فأفاق من النوم ليستعيد ذاكرته وطيف ليله الساحب بين حلو ومر"<sup>١٠</sup>.

هنا مع أن الرضا بطل قصة "رحلة الزهراء" يصور للقارئ ما أثاره لقاءه الأول مع حبيبته الزهراء، إلا أنه على عكس هذا المشهد في تصوير حقيقة ما يشعر به بعد رحلتها إلى جوار ربها فجاء المشهد حزينا جدا في نهاية القصة.

### أنواع الرواة

تختلف طبيعة الراوي وموقعه ورؤيته وصورته باختلاف الوظائف التي يقوم بها، وبالمقدار الذي يحظى به في النص، لأن هذه الوظائف هي نفسها العلامات التي تحدد نموذج الراوي وتضبط موقعه وتصنع قوامه العقلي والجسدي والوجداني، وتتحكم في طريقة إدراكه المحيط به، وفي طريقة كلامه وتعبيره عن هذا العالم.

### الراوي الظاهر والراوي الخفي.

إن الراوي في بعض القصص يظهر ظهورا قويا إلى حد تسيطر فيها صورته على كل العالم القصصي الذي يروي به، ويغطي صوته على جميع الأصوات، فلا ترى إلا صورته، ولا يسمع إلا صوته، ولا تعلم إلا ما يعرفه عن الأفعال التي تقوم بها الشخصيات، أو الكلمات التي تنفوه بها، أو الأفكار التي تدور في رأسها. فهو الذي يعلم كل شيء عنها وصاحب السلطة الذي لا يترك لغيره مجال التنفوه بمكامن القصة حتى الشخصيات نفسها لا يترك لها هذه الفرصة.

وهذا النوع من الرواة كانت لها السيطرة والانتشار في الأدب العربي القديم والأدب الشعبي، في روايات أمثال ألف ليلة وليلة وفي المقامات لعيسى بن هشام وغيره، ثم اتخذ شكلا آخر في العصر الحاضر في دور مختلف، فيتحدث الراوي عن نفسه مرة بضمير المتكلم معبرا عن موقعه صراحة، ومرة أخرى يتحدث عن ضمير الغائب مبررا تفاصيل الأحداث، ومحاولا بقدر ما يستطيع ألا يكون حاجزا بينها وبين القارئ، ومرة يستخدم الفعل الماضي ليفرق بين زمان الأحداث وزمان القول، ومرة أخرى يستخدم الفعل المضارع المفرع من الزمان ليجعل قارئه يعيش الأحداث، يتمثل هذا الجانب رواية راعي الغنم كما يلي:

"لم يستطع أنس أن يصف هذا الكهف، ولم يستطع أن يصف ما حوله من أحياء وأشياء، وإنما يلاحظ أن أرض الكهف تدور معه ويدور هو كما تدور، ويلاحظ أن جلال الظلمة القائمة امتدت وهي تروع لكثافتها وامتدادها من كل نحو وفي كل وجه يلاحظ كذلك أن السرعة الكبيرة كانت تدفعه دفعا وتمجه مجا عنيفا وكأنه في سراديب الظلمات لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا ولا همسا، ولقد بخره في هذا المكان غثيان وذهب عند الدوار، وانثقت أشعة ضئيلة متفانية تمتد إلى فجوة من الكهف، فذهب أنس مسرعا يمضي إلى ناحية من النور، ها هو ذا ييلع باب الكهف، وها هو ذا يخرج منه وينظر إلى نفسه ويظيل النظر، وها هو ذا يرى أنه ظهر في لبس جديد"<sup>١١</sup>.

مع كثرة استعمال المضارع في هذا النص، إلا أن الراوي يظهر أمام المتلقي هنا أكثر من ظهور الشخصية وتبرز صورته ويعلو صوته فليس هناك صوت في هذه القطعة سوى صوت الراوي، ولذلك فإننا لا نجد فيها جملة حوارية واحدة بالأسلوب الحر المباشر، والذي يرتفع فيه صوت الشخصية، دون وسيط أو أي عنصر من عناصر التقديم والتأخير.

### الراوي الخفي (المستتر)

والراوي غير الظاهر حسب الكردي<sup>١٢</sup> عبارة عن كاميرا خفيفة أو عدسة مثبتة في زاوية من زوايا العالم المصور، وهذه الكاميرا أو العدسة هي التي تلتقط ما يقع في محيطها وما يمتد إليه مرماها، فيبدو الشيء القريب منها كبيرا والبعيد عنها صغيرا، والذي يقع في مجالها معلوما والذي لا يقع في مجالها مجهولا.

والفارق بين الراوي الظاهر والراوي الخفي هو أن الأول ذات وموقع ورؤية، وأن الثاني موقع رؤية فقط، بحيث لا يلمح ذات الراوي ولا يهتم المؤلف بإبراز العلامات الدالة على صورته أو صوته أو لهجته، بل يكتفي بمجرد تحديد الموقع الذي ترصد منه الأحداث والأقوال والأفكار مثال:

- أراك سابحا في تفكير عميق، لعلك بخير!
  - أنا بخير، أنت يا أخى العزيز، لا أعتقد أننا التقينا من قبل؟
  - صحيح أنا خريج جامعة لاجوس، جئت هنا للتسجيل للمشاركة في الخدمة الوطنية القادمة وبعد ما انتهيت من التسجيل لاحظت فيك شيئا غير مرضي، ثم أدركت أنك من قبيلتي للوشم الذي يلمع على خديك. وقلت في نفسي لعلي أتعرف عليك وأشاركك في أحزانك!
  - اسمي أيوب وأنت؟
  - نور! قلت انتهيت من التسجيل! فمتى بدأت؟
  - اليوم فقط أتظن أن التسجيل يستغرق يوما كاملا!
  - لا، لا! فهمت! متى ترجع إلى لاجوس؟
  - الآن! أناشذك الله! هل ينقصك شيء؟
  - لا! لا، بارك الله فيك، الأمر على ما يرام.<sup>١٣</sup>
- هكذا استمر حوار الانقطاع بين نور وأيوب ولا يتدخل الراوي إلا في مواطن قليلة يشرح أحداثا لا يمكن أن يقوم بها الحوار.

### الخاتمة

هذه دراسة عابرة عن السردية وتقانتها في الروايات العربية النيجيرية، فهي متجسدة في نقاش قضايا تتعلق بماهية السردية ووظيفة الحكيم فتأثير الذات الراوية في السرد إضافة إلى معالجة أنواع الرواة مع تعميق الموضوع بنماذج من القصص والروايات النيجيرية، علما بأنها تخطو خطوة تقدمية تحقق لها النجاح المرجو في المستقبل القريب. وعلى هذا، توصي الباحثة الكتاب بمزيد الاهتمام بتقانة السرد في العملية الروائية، فهي مصدر النجاح، ومنطلق تقييم العمل لدى النقدة الروائيين.



## الهوامش والمراجع

١. عامر، عامر عزة عبد اللطيف، الراوي وتقنيات القص الفني، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، ٢٠١٠م، ص ١٦٣.
٢. حسين، حسين مجدي محمد (الدكتور)، خصائص التركيب في روايات الحكيم، مؤسسة صورس الدولية ٢٠٠٦، ص ٤٩.
٣. المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
٤. أمين يهوذا، ببين خادمة من الجنوب، ٢٠١٣، مؤسسة التزكية للطباعة والنشر، أبوجا نيجيريا ٢٠١٣م، ص ٣.
٥. الفلاني، آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني أهل التكرور، دار الهجرة ٢٠٠٩، ص ٢.
٦. الحقيقي، مرتضى عبد السلام الحقيقي، رحلة الزهراء، مطبعة ألي جميا، إلورن، ٢٠١٢م، ص ٨.
٧. الكردي، عبد الرحيم (الدكتور)، الراوي والنص القصصي، مكتبة الأدب، ٢٠٠٦، ص ٥٩.
٨. أمين يهوذا، المرجع السابق، ص ٣٠.
٩. الكردي، المرجع السابق، ص ٦٢.
١٠. الحقيقي، المرجع السابق، ص ٣.
١١. الفلاني، آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني، راعي الغنم، مطبعة كؤوداميلولا للطباعة والنشر بإلورن، ٢٠٠٩، ص ٣٢.
١٢. الكردي، المرجع السابق، ص ٨٩.
١٣. الهجري، حامد محمود إبراهيم، خادم الوطن، مطبعة ألي جميا بإلورن، ٢٠٠٨، ص ١٢.

## وصف الطبيعة الصائتة من خلال ديوان "الرياض" للشاعر عيسى ألي

الدكتورة آمنة عبدالله نائبي

قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو - نيجيريا

minaabdallahi0199@gmail.com

### المقدمة

تهدف المقالة إلى إبراز وصف الطبيعة الصائتة الواردة من خلال ديوان "الرياض" للشاعر عيسى ألي أبوبكر الإلوري النيجيري، وتأتي أهميتها في إظهار هذه الظاهرة وما احتوت عليه من الجمال الأدبي والروعة الفنية، وذلك بإيراد نماذج تمثل وصف الحركات والسكنات في شعر الشاعر، وستذكر الباحثة أنواع الطبيعة، وتحدد الصائتة منها في قصائد الديوان، محللة المشكلة بتتبع هذه الظاهرة ونوعيتها في شعر ألي. ويتركز المقال على ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: نبذة تاريخية عن الشاعر وديوانه "الرياض"، والمحور الثاني عبارة عن مفهوم الوصف من حيث أنواعه وأقسامه، بينما المحور الأخير يتناول الحديث عن وصف الطبيعة الصائتة من خلال ديوان الرياض، وستختم المقال بذكر أهم النتائج، ثم قائمة الهوامش والمراجع.

### المحور الأول: نبذة عن الشاعر وديوانه "الرياض"

هو عيسى ألي أبوبكر الإلوري أبوة وأمومة، ولد عام (١٩٥٣م) بمدينة كمامسي بجمهورية غانا، ينتمي والده إلى قبيلة غروما بحارة غمبيري بالورن في نيجيريا، وتنسب أمه إلى بلاد كتشينا إحدى ولايات شمال نيجيريا، وقيل إنها تنسب إلى مدينة مراطي بجمهورية النيجر<sup>١</sup>.

بدأ الشاعر عيسى ألي أبوبكر تعلمه بالكتاتيب منذ الصغر بحارة غمبيري بالورن، كما كانت العادة لدى المسلمين في بيئة الشاعر حيث يتقن الولد القرآن الكريم قراءة وتجويداً سرداً، وحفظاً أحياناً في سن مبكرة، فقد أتقن الشاعر قراءة القرآن الكريم ولم يتجاوز تسعة

من عمره، فواصل دراسته من عام ١٩٦٥-١٩٧١م بمركز التعليم العربي الإسلامي للشيخ المرحوم آدم عبدالله الإلوري بأغيغي في ولاية لاغوس، نيجيريا، حاصلًا على الشهادة الإعدادية والثانوية، ثم التحق بمدرسة إنجليزية مسائية سنة ١٩٧٢م. وفي عام ١٩٧٦م بُعث إلى مدرسة دار العلوم بمدينة إلورن ليكون مدرسًا وناظرًا هناك، ثم التحق بجامعة بايرو بكنو، وحصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولغة الهوسا عام ١٩٧٩م، ثم التحق بجامعة إلورن وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية عام ١٩٨٢م<sup>٢</sup>.

ولقد صار محاضرًا بقسم اللغة العربية بجامعة صكتو - جامعة عثمان بن فودي حاليًا، ثم عاد إلى جامعة بايرو بكنو للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية. وفي عام ١٩٩٠م سافر إلى المملكة العربية السعودية للحصول على شهادة الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في جامعة الملك سعود بالرياض.

عاد إلى جامعة عثمان بن فودي بصكتو ليوصل عمله حتى عام ١٩٩٤م، ثم انتقل إلى جامعة إلورن محاضرًا في قسم اللغة العربية ولا يزال بها منشطًا للحياة الأدبية بلطائف شعره، وأبكار دراسته حتى حصل على منصب الأستاذ في اللغة العربية عام ٢٠١٨م. والملاحظة أن هذه الرحلات والتنقلات العلمية والتعليمية للشاعر تدل على مثارته وعكوفه على طلب العلم داخل البلاد وخارجها، كما توحى بقوة عزمه على اكتساب الخبرات والثقافات، حيث استطاع أن يتقن لغات عديدة منها اللغة العربية (لغة تخصصه)، واللغة الإنجليزية والهوسوية إلى جانب اللغة اليوربوية، الأمر الذي ساعده على جولاته إلى أقطار ومدن مختلفة منها : لاغوس، وغانا، وصكتو، وكنو، وكشنة، والمملكة العربية السعودية، وتطلعه على تقاليد وعادات أمم متنوعة.

يعد الشاعر عيسى ألبى من الشعراء المجيدين للغة العربية في نيجيريا، تمتاز قصائده بحسن الديباجة وعلو الفصاحة والوحدة الموضوعية، فلا غرابة في ذلك إذا نظرنا إلى ثقافة الشاعر العلمية منذ صغره وطول مكثه عند الشيخ آدم عبدالله الإلوري الذي يهيئ ويعدّ طلابه في

مركزه على قرص الشعر العربي في الأغراض المتنوعة، وفي المناسبات المختلفة بعقد سلسلة من الفعاليات الأدبية لتنمية ملكاتهم في أحضان حلقات الدراسية والحفلات والأعياد وغيرها.

### التعريف بديوان "الرياض":

أما ديوان الرياض فيضم بين دفتيه نحو مائة وثلاث وثلاثين قصيدة في حوالي مائتي ألف وستة وثمانين بيتاً، في أغراض شعرية مختلفة، من مدح، ووصف وفخر وغزل وشكوى وعتاب ومرات. كما استطاع الشاعر أن يطرق أغراض الشعر العربي الموروثة كذلك تطرق إلى موضوعات حديثة في الشعر العربي كالسياسة والتهماني والأخلاقيات وغير ذلك. وقد حظي الديوان بالتقريظ والتقديمات من قبل الأستاذة والعلماء أمثال الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر من جامعة بايرو، كنو، والأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا من جامعة عثمان بن فودي، صكتو، والشيخ حبيب الله بن آدم عبد الله الإلوري، مدير مركز التعليم العربي الإسلامي، أجيبي، لاجوس.

### المحور الثاني: مفهوم الوصف وأنواعه:

ورد مفهوم الوصف في المعاجم العربية بتعاريف عدة منها: وصف الشيء وحسن السيرة، وكما جاء بمعنى الكشف والإظهار، وذكر الشيء وتفقد أحواله وهيئته. ومنه ما جاء في لسان العرب: وصف له وعليه وصفاً وصفة حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف مصدر والصفة الحلية، وصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف<sup>٣</sup>. وفي تاج العروس: وصف: وصفه يصفه وصفاً ووصفه، والهاء عوض عن الواو (نعتة)، وهذا صريح في أن الوصف والنعت مترادفان<sup>٤</sup>.

وأما في القاموس المحيط: وصفه يصفه وصفاً وصفةً نعتة فاتصف، والمُهرُّ توجه لشيء من حسن السيرة والوصاف العارف بالوصف. وتواصفوا الشيء وصفه بعضهم لبعض<sup>٥</sup>. وعرفه قدامة بن جعفر (ت - ٣٣٧هـ) بأنه: ذكر الشيء كما فيه من الأحوال وهيئات<sup>٦</sup>. ويرى ابن الرشيقي القيرواني (ت ٤٥٦هـ) بأن: أحسن الوصف ما ينعت به الشيء حتى يكاد يمثل عيانا للسامع<sup>٧</sup>.

وأما الوصف عند الأدباء: فهو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم تلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق.<sup>٧</sup>

ومن خلال التعريفات السابقة للمعنى اللغوي والاصطلاحي يدرك القارئ أن الوصف يعني التعبير عن الأحوال النفسية أو الخيالية للأديب، وتصويرهما تصويراً واضحاً حتى يستطيع القارئ أو السامع إدراكه، وقد يكون ما يصوره حساً أو معنى، حتى يدرك انعكاس هذه الصورة الخارجية للأحوال والهيات من صورتها المادية إلى صورة أدبية. والذي يهم به هذا المقال هو وصف الطبيعة الصائتة لدى الشاعر ألي من خلال ديوانه "الرياض".

### أنواع الوصف:

يتنوع الوصف عند الأدباء إلى نوعين: وصف الطبيعة الصائتة ووصف الطبيعة الصامتة. فوصف الطبيعة الصائتة هو ما اشتملت عليه الطبيعة من طبيعة الكائنات المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان، فمن ذلك الحيوانات سواء كانت بريّة أو بحرية، كالفرس والناقة والبقرة الوحشية والكلب والسمك وفرس الماء، والطيور كالصقر والهدهد والنحلة وغير ذلك. أما وصف الطبيعة الصامتة فهي الطبيعة الساكنة غير المتحركة. وتنقسم هذه الطبيعة إلى قسمين:

- الطبيعة الحسية.
- الطبيعة المعنوية.

أولاً: الطبيعة الحسية: هي الطبيعة المدركة بإحدى الحواس الظاهرة، فتدخل فيه الخيال<sup>٨</sup>، وهي أيضاً نوعان: الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية. ووصف الطبيعة الطبيعية، هو وصف الطبيعة الخالصة التي تكون على ما خلقها الله سبحانه وتعالى وليس للإنسان يد في إيجادها، مثل: الجمادات والأرض والجبال والأنهار والنباتات المختلفة، من الرياض والبساتين والأشجار والشمس والقمر والنجوم والكواكب والريبع والشتاء والصيف وغير ذلك.

أما الطبيعة الصناعية: فهو وصف الطبيعة من صنع الإنسان، والتي يرجع الفضل في تأليفها وتنسيقها إلى الإنسان، كالقصور والنواقر والنقوش المرمرية والتماثيل البديعة، ومنه المخترعات العلمية والتكنولوجية الحديثة.

ثانيا: الطبيعة المعنوية: وهي الطبيعة التي لا تدرك بشيء من الحواس الظاهرة مع أن الحواس لا تدرك إلا بها، وموضعها العقل. ومنها: وصف الحب والكراهية والصدق والكذب والحزن والسرور وغير ذلك.

### المحور الثالث: وصف الطبيعة الصائتة من خلال ديوان الرياض

يتم وصف الطبيعة الصائتة في شعر الشاعر من خلال ديوان الرياض في أربع قصائد، فتشمل وصف الديك، ووصف حركات الطفل، ووصف حالة الشاعر في قرص الشعر، ووصف حركات الصائم.

#### وصف الديك:

هذه القصيدة أطلق عليها صاحبها "الديك المحترق"، وعدد أبياتها عشرة، فقد نهضت عاطفة الشاعر حينما رأى رجلا من قبيلة (اغبو) أشعل على الديك النار بدلا من ذبحه، وتأسف الشاعر تأسفا شديدا على هذه الحالة وهو ذاهب إلى ولاية صوكتو نيجيريا، وذلك في عام ١٩٩٥/٨/٢ م.

#### نص القصيدة:

يا ديك ما ذنب الصياح \* نفشيه في الفجر الملاح  
وتمدّ عرفك فيه في \* زهو يجبّب وانشراح  
يصحّو به من قد تع \* مق في المنام إلى الصباح  
ويعود بعد الصمت لل \* مدّنيا النشاط كذا المراح  
تعويك زخرفة الريّا \* ش كذاك زركشة الجناح  
وتجاوب الأطيّار يع \* ذب بالتغرّد والنواح  
إنني رأيتك تلتظي \* يوما بلا أثر الجناح

تجري ضليل حائر \* والنار مسكره كراح  
هو مشهد سأظل أذكر \* ه وفي القلب الجراح  
ما ذاك إلا غلظة \* في الخلق ليس لها براح<sup>١٠</sup>

وصف الشاعر حالة الديك حينما اشتعل عليه النار فاستهل قصيدته بتوجيه نداء إلى الديك قائلا: "يا ديك ما الذنب الذي ارتكبه صياحك بدلا من أن تستره، أخذت تفشيه في الفجر الباكر حتى أدرك الناس هذا الصياح الغالي، الأمر الذي جعلك في هذه الورطة الكبرى.

فقد تعجب الشاعر بهذا الظلم على الحيوان البريء، ومن خلال هذا التعجب بدأ يذكر أهمية الديك للكون عامة وللإنسان خاصة، يصيح في الفجر ليوقظ المتعمقين في النوم، وصياحه هذا، هو الذي يعيد الحركات والنشاطات بعد سكون الليل وهدوئه، وليس هذا فقط، فالديك نفسه معجب للناظرين، نظرا إلى أبعاده الخارجية وألوانه المزركشة وصوته المنفرد. واستمرّ الشاعر يصف هيئة الديك حين وجده يحترق، بات جناحاه المزركشان بلا أثر يرى. ثمّ ختم القصيدة بالتأسي مع تلاففه إلى ذلك الحيوان البريء، حيث جعله من "ضمن الشهداء" بسبب موته حرقا وسيظل يذكره في قلبه حزنا بما قدمه عليه صاحبه، ويعتبر ذلك ظلما فادحًا على الحيوان المسكين، وأن هذه الفعلة تحرق الطبيعة الإنسانية السليمة.

### وصف حركات الطفل:

قام الشاعر بوصف حركات الطفل وتصرفاته، وكان يخيل إلى إعجابه بخلق الطفل وكيفية العناية به، فسرعان ما تحركت شاعريته وعاطفته حتى يصل إلى غايته الوصفية الخلابه، فبادر بوصف نشأة الطفل منذ قدومه إلى الدنيا (الكون المجهول عنده)، ثم يتحدّر من حالة الطفل التي لا تخلو عن حالتين: حالة البكاء عندما يشعر بألم، أو حالة التبسم حينما يشعر بأمن، فيقول الشاعر:

لا شيء أظهر في كمال عناية ال \* رحمن بالأولاد والأطفال  
يا مرحبا بالطفل حين قدومه \* يا مرحبا بالضيف بالإجلال  
هو طارق آت من الآباد في \* حلل البهاء ورونق وجمال

هو من ثنايا الغيب يطلع باكيا \* اضحك فليس الدّهر للإعوال  
 أعجب بشكل الطفل وقت ظهوره \* هو غاية في الضعف لاقلال  
 وهو المتين على وهونة عظمه \* بمر الجميع بصالح استقبال  
 هو يستميل إليه قلبا جافيا \* وتراه يبسم دائما ويغالي  
 يهواه فظ وهو يرقب حاله \* ويجول في شفثيه خير مقال  
 وتلوح فيه من الخلافة رقة \* ما لم ينلها شاعر الأجيال  
 وبكاؤه نغم يلدّ وقوعه \* في مسمع الإدبار والإقبال<sup>١١</sup>

بدأ الشاعر يذكر نعم الله على عباده والتي أظهرت كماله الثابت، وهي عنايته بالأولاد والأطفال، لأنهم هم "ريحان الخلد" لدوامهم إلقاء الفرح والسرور في قلوب الآباء والأسرة بأكملها، فكان المجتمع يهتم بشأنه، كلّ يشترك إلى استقباله، ويودون الاعتناء به، يتهيؤون له بتذليل طريقة انضمامه إليهم لكونه فضلا من أفراد العائلة، ويستشرفونه بحسن التدبير والضيافة.

ثم شرع يصف كيفية دخول الطفل الدنيا، وبمجرد خروجه من بطن أمه تسمع عويل بكائه، ويكون ذلك<sup>١٢</sup> بصوت عال ومرتفع، كأن الشاعر أراد أن يهدئه فيقول له اضحك، لا داعي إلى هذا لأنك الآن في عالم غريب دون الذي تعودت عليه (الساكن الهادئ)، فقد أُدخلت غيره المتحرك المضطرب. فكان الشاعر ينبهر من شكل الطفل وصغره وضعفه، يعتبر ذلك هبة من هبات الله جلّ وعلا الذي أنعم على الآباء من جنس البشر.

وواصل الشاعر يذكر مميزات الطفل الذي يستطيع أن يستميل شخصا غليظ القلب إليه، ويجعله رقيقا مبتسما حينما يراقب حالة الطفل تراه في فرح واشتياق، كأنه ليس ذلك الشخص المعروف في القساوة والغلظة، تجده يتفوه بخير الكلام بمجرد نظرتة إلى الطفل. ولا شك أن هذه الميزة من مزايا الطفل التي خصّه الله بها.

اختتم الشاعر قصيدته بوصف بكاء الطفل النغمي الموسيقي، والذي يلد لدى سامعه الذهاب والمدبر، سواء من الذين جاؤوا للتهنئة، ولا يزال الجيران يتمتعون بهذا البكاء اللين



الرقيق الصادر عن الطفل، ولا يعتبرونه إزعاجا، بل هو رمز من البشارة والإعلان. وكما يرى الشاعر أن نعمات بكاء الطفل وذبذباته الوترية فريدة من نوعها ولا تجد مثلها حتى عند ناظم الشعر.

### وصف حالة الشاعر في قرض الشعر:

أطلق الشاعر عيسى ألي على هذه القصيدة عنوان "الشاعر"، وفيها يصف حالة الشاعر حينما ينوي قرض الشعر، مبينا منزلته في المجتمع، فيقول:

إن نظم القريض صعب المراس \* سألوا عنه زمرة الأكياس  
كل من قاله ولو كانت العج \* مة في نطقه بغير أساس  
فخذوا منه قوله إن في ذا \* لك خيرا وذاك طب مواس  
جيد الشعر نفحة منه تكفي \* نا لنقذ النفوس من وسواس  
وله قوة ينجى بها النا \* س جميعا من حيرة الخناس  
وترى الجنّ يسمعه يف \* رح حتى يفوق فرح الناس  
قائل الشعر بالبراعة والجو \* دة رهن الخلود في الأرماس  
كيف لا وهو في المحافل فرد \* هو يزهو فيها برفع الرأس  
لو تردى رثّ الثياب يراه ال \* الناس في خير مظهر ولباس  
المّ إن رأى مشاهد ظلم \* كيف لا وهو مرهف الإحساس  
وإذا ما رأى الجميل تغنى \* في جميع الأعياد والأعراس  
هو لجة التأمّل دوما \* هو خل الأقلام والأطراس  
همهم الشاعر العظيم فظن ال \* ناس جهلا قد مسّ بالمسماس<sup>١٣</sup>

وصف الشاعر عيسى ألي الصعوبة التي يلاقيها الشاعر حينما يود أن يقرض شعرا، فهو يرى أن نظم الشعر صعب المراسي، فعكف يصف شدة الحالة التي تلازمه حينما يود قرض الشعر، ولأجل ذلك يرفع للشعراء راية التكريم والانحناء سواء كان النظم باللغة العربية أو غيرها، فكلتاها سيان يأتي بها بعد مشقة وتعبا، ولذلك ينبّه الشاعر الناس أن يهتموا بما قاله

الشاعر ويعتبروا الشعر شيئاً يأنون به. وبالاستماع أو قراءة الشعر يستطيع المرء نسيان ما يقلقه في داخل سويداته، كما أن للشاعر مقدرة في التناجي والمشاطرة فيما يعاينه الناس من متاعب، حتى يتيح لهم فرص إعادة الفرح والسرور إلى حياتهم من جديد، ويرى الشاعر أن هذا الفرح والنشاط لا يقف عند الناس فحسب، بل حتى الجن، ويكاد يكون سرورهم قد فاق فرح الناس لأنهم أشد اشتياقا إلى الشعر.

واستمر ألي يرى إجادة الشعر والبراعة فيه ترفع شخصية الشاعر وتظل آثاره باقية أبد الدهر تذكره الأمة وتنشر إنجازاته في مختلف أنحاء العالم، كما تجده دائما يعظمه الناس ويفتخرون به في المناسبات والمحافل والأعياد المختلفة، ولا يباليون بظهوره الخارجي وذلك من رثة الثياب أو قبح منظره، بل يقومون إليه دوماً إجلالا وتعظيما له، فهم يرونه في أفضل زي ومظهر بما وهبه الله من هباته الفذة.

ولم يقف الشاعر عند حد وصف الحالة الخارجية بل تعداه إلى وصف كيفية إحساس الشاعر وشعوره بالأشياء، فكلما أصيبت الأمة بالظلم والبلايا يتوجع ويشاطر معهم، وإن غمرهم الفرح والسرور يقاسم معهم إياه، تراه دائما يشارك مجتمعه عن طريق غنائه فهو معهم في السراء والضراء.

ثم ختم قصيدته بوصف مصدر سعادته ويتمنى البقاء معهما طول الدهر وهما: القلم والصحيفة، ولا يبالي بآراء الناس عنه ومواقفهم، وخاصة محاولاته في قرض الشعر حتى يظنوا أنه أصيب بالجنون جهلا بما يفعله الشاعر.

#### وصف خواطر شهر رمضان:

نظم الشاعر هذه القصيدة في شهر رمضان شوقا إلى العمرة وخواطر المعتمرين، فجلس يتفكر في الاضطرابات والظلم الذي ملأ العالم، وبينما هو على هذه الحالة أدرك أنه في شهر رمضان فاغتنم هذه الفرصة لإبداع قصيدته الوصفية، يقول فيها:

جيرة البيت قلبنا يتحري \* حبكم وهو بالسعادة أخرى

كلما مرت الصبا ذكرتنا \* بالسجايا التي تعبق عطرا

لازمتكم رعاية الله دوما \* بيضة الله لا تساؤم كسرا  
 قادة الفكر والهداية والإي \* مان قودوا الأنام نهيما وأمرا  
 واضربوا خيمة السلام على الأر \* ض فقد كاد ركنه أن يخرأ  
 أنهكت كاهل الرجال خطوب \* كالحات بلا الهوادة تترى  
 وطغى الكفر في البقاع بلا خو \* فييث الفساد برًا وبحرا  
 وهواة الحروب قد دمروا الأر \* ض عديمي الحياء سرًا وجهرا  
 ساوموا قومهم نكالا من ذلالا \* كان من نوعه الأشدّ الأمرأ  
 ومعين الحنان قد غار في القل \* ب فيشقى العباد بدوا وحضرا  
 كلها فعله الأناية الشؤ \* مى التي تملأ الفراديس سعرا  
 رحمة الله أدركينا سريعا \* فقد الناس في يد البطش صبرا  
 أقبل الصوم وهو يحمل في بر \* ديه روحا للمتعبين ونصرا  
 يضع البلسم المريح على الجرا \* ح يرجى إلى المقطب بشرا  
 نوره يملأ الأنام بهاء \* فيه يزداد عابد الله أجرا  
 رفرف الأمن والسلام على \* الكون وعمّ السرور ليلا وفجرا  
 كبّلوا ذلك الرجيم مهانا \* وغدا العبد في مساعيه حرًا  
 ذكر الله في السموات والأر \* ض كثيرا أعظم بذلك ذكرا.  
 \* \* \* \*

شهر رمضان مرحبا بك ضيفا \* أودع الله فيك خيرا وسرًا  
 نزل الله فيك خير كتاب \* فاق كلّ الحديث يمنا وقدرأ  
 قد تموت السرور كل قلب \* وكسوت الأنام عزًا وطهرا  
 طاب في ذكرك الحديث من \* زاقا وحلا القول عنك نثرا وشعرا  
 وغدا للخيال كلّ مجال \* واسع الأفق لا يحدّد حصرا  
 \* \* \* \*

جيرة الله قد نذرتم لصون ال \* بيت والدين والشعائر نذرا

فاحملوا مشعل الهداية للعا\* لم تمحوا بذلك نكرا واصرا

نفحات الجنان تغمر عبدا\* صام لله بالنزاهة شهرا<sup>١٤</sup>

بدأ الشاعر القصيدة في القطعة الأولى بالبشارة للزائرين إلى بيت الله الحرام في شهر رمضان المبارك بالأمن المطمئن من الله تعالى، لقوله: (ومن دخله كان آمنا)، ولعل الشاعر يصف ذكرياته السارة عندما يفكر في الحجىء إلى بيت الله في شهر رمضان شوقا إلى عبادة الله وحده التي تملأ قلوب المسلمين فرحا واطمئنانا.

ثم شجع الدول الإسلامية بأن يكونوا أولي الألباب في أفكارهم، وأن يكثروا الهبات والهدايا للمستضعفين والمحتاجين من الدول الفقيرة، ويخلصوا إيمانهم ليصبحوا خير أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعوهم إلى تحقيق الأمن والسلام اللذين كادت أركانها تُدمَّر في العالم.

ثم وصف الأسباب التي أدت إلى انتشار الفتن والحروب وعدم السلم في العالم اليوم، مما أدى إلى فقد الحياء لدى الناس وأصبحوا هؤاة لا يستحيون عن تعاطي الفساد سرا وعلانية. ومن أخطرها تجاهل الأمراء والملوك حقوق رعاياهم مما جعل رعيتهم في ذلة وضيق شديدين.

وفي القطعة الثانية قام الشاعر بوصف أهمية الصوم للعباد وكيف يكون سببا لانشرح أرواح الصائمين، ويضع لهم عصارات بلسمية على جروح القلوب من حقد وحسد، ويعوضهم بالبشارة والرحمة من الله عزّ وجلّ مع عفوهِ خلال الشهر المبارك، ويكون ثواب أعمال العباد فيه متضاعفا ومتزايدا، تكبل الشياطين بظهور هلاله كى يعم الصائمين الأمن والسلام ليلا ونهارا، ينعم أحرارا يتفرغون بعبادة الله وحده في لياليه تراويح وتهجدا، ويكثرون من ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم والعبادات الأخرى.

ثم انتقل الشاعر إلى القطعة الثالثة واصفا العطاءات والجوائز الكبرى التي تكفي لكل مسلم فخرا، وهو "القرآن الكريم" المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في الشهر المبارك والذي كان هدىً ورحمة للعالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من رب العالمين، لأن خيراته لا تحصى عددا، ومنها: محو الشر من قلوب المسلمين وتطهيرهم عن

المعاصري، ومن أعجب ما لهذا الكتاب العزيز حلاوة قراءته التي لا يسأم منها القراء، ولقد يسر الله حفظ ألفاظه ومعانيه أبد الدهر.

وفي المقطع الرابع والأخير لهذه القصيدة ينصح الشاعر الصائمين بأن يتحفظوا مما يبطل صومهم مع الالتزام بشعائر الدين طول مكوثهم في بيت الله العتيق، وأن يعتبروا الصوم مدرسة يهتدون بها، وغايتهم إلى دار النعيم.

### الخاتمة

ذلك هو العرض السريع للطبيعة الصائتة في رياض ألي، حيث وقفت الباحثة بمجموعة من القصائد لإبراز تلك الظاهرة مع تحليل موسع تركّز على الجانب الفكري دون التطرق إلى القيم الفنية نظرا لطبيعة الموضوع. ومن هنا يتجلى ما للشاعر ألي من بعد فني عميق في تطويع الشعر وإخضاعه لوصف الأشياء في دقة متناهية. وعلى هذا تتلخص نتائج الدراسة فيما يلي:

١- توزعت أشكال الوصف الطبيعة الصائتة في أربعة أشكال: وصف الديك، ووصف حركات الطفل، ووصف حالة الشاعر حينما يود أن يقرض شعرا، ووصف خواطر شهر رمضان المبارك.

٢- جاء وصف حركات الطفل في ديوان الرياض في بيان حركات الطفل وتصرفاته، وكان يخيل إلى إعجاب خلق الطفل وكيفية العناية به، فسرعان ما تحركت عاطفة ألي إلى هذا الوصف الخلاب، فانصاع يصف مراحل نشأة الطفل منذ قدومه إلى هذا الكون المجهول عنده، متحيرا من حالة الطفل التي لا تخلو عن حالتين: إما حالة البكاء عندما يشعر بألم، أو حالة التبسم حينما يشعر بارتياح.

٣- تجلى وصف حالة الشاعر حينما ينوي قرض الشعر، وفيها كذلك يبين ألي منزلة الشاعر في المجتمع، فجاء بوصف الصعوبات والمشقات التي تلازم الشعراء قبل نظم الشعر، ومنهم من تأتبه عفوا أو مترسلا أو صعبا، ولذلك سمي الأديب قصيدته بـ "الشاعر".

٤-تضافرت أنماط وصف خواطر شهر رمضان من خلال ديوان الرياض شوقا إلى العمرة في شهر رمضان، فجلس الشاعر يفكر في الحركات وعبادات المسلمين في بيت الله العتيق خاصة وفي العالم عامة، واستغنم فرص هذا الوصف حينما أدرك أنه في شهر رمضان المبارك.

## الهوامش والمراجع

١. الدكتورة آمنة عبدالله نائبي، التناص في الشعر العربي النيجيري مع الشعر العربي الحديث في السبعينات، (عيسى ألي ووديع البستاني أنموذجاً)، بحث مقدم إلى جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بالخرطوم، للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، عام ٢٠١٤م، ص: ١١٠.
٢. المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
٣. ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٩٠٦م/١٣٧٥هـ)، ط٢، عام ١٤١٧-١٩٩٧م، ج١٥، ص: ٣٢٥.
٤. السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر، بيروت، (١٩٩٤م/١٤١٤هـ)، ص: ٣٦٦.
٥. مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، التراث العربي، بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص: ٢١١.
٦. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص: ١١٨.
٧. ابن الرشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، نخبق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ص: ٢٩٤.
٨. عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي، (الوصف في العصر الجاهلي)، شركة ومكتبة البابي وأولاده، القاهرة، ط/١ (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، ج١، ص: ٤٢.
٩. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، حققه وعلق عليه وفهرسه، د. عبد الحميد هندواوي، مؤسسة مختارة، القاهرة، (غ.م)، ص: ٢٠٧.
١٠. الإيضاح في علوم البلاغة، المرجع نفسه، ص: ٢٠٨.
١١. الدكتور عيسى ألي أبوبكر، ديوان الرياض، مطبعة ألي جمبا للطباعة والنشر، إلورن، ط١، ٢٠٠٣م، ص: ١٥٠.

## النقد الاجتماعي في النثر العربي البرنوي، كتاب الفاصل بين الحق والباطل للشيخ إبراهيم صالح الحسيني أمودجا

د. إبراهيم عمر إلياس

قسم الدراسات العربية، جامعة ميدغري

### المقدمة

مصطلح النقد الاجتماعي إن كان حديثا نسبيا، إلا أنه قديم من حيث الفكرة، إذ كان هناك علاقة قوية وجذرية متماسكة بين المجتمع والأدب منذ القدم، ولا يمكن أن ننكر أن كل كاتب له طابع خاص يميزه عن سواه من الكتاب، كما أن لشخصية الأديب وحياته النفسية دورا بارزا في مواقفه الأدبية، وذلك لأن الأدباء والفنانين هم أبناء بيئتهم، ينهلون منها وفيها يشيع إنتاجهم، فلا أدب ولا فن إلا في الجماعة ومن أجل الجماعة.

والشيخ إبراهيم صالح شخصية تقدم ما عندها لمجتمعها بغية إفادته وإبعاده من كل ما يضر، ويتضح لنا في كتابه "الفاصل بين الحق والباطل" كيف يهمله مجتمعه، فتفضل بنقد المتعارف عليه من أشياء تخالف العرف والشرع، نقداً معتمداً على القرآن الكريم وسنة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف الصالح.

فالمقالة هي محاولة لتقديم النقد الاجتماعي من خلال دراسة الأفكار والآراء الواردة في كتاب "الفاصل بين الحق والباطل" وتكون في المحاور الآتية:

- التعريف بالنقد الاجتماعي.
- وقفة مع النثر الأدبي البرنوي.
- التعريف بالشيخ إبراهيم صالح الحسيني.
- النقد الاجتماعي في كتاب الفاصل بين الحق والباطل وآفاق التطوير.
- الخاتمة.



## النقد الاجتماعي

النقد في اللغة: نقده الثمن، ونقده له فانتقده، ونقد النقاد الدراهم: ميز جيدها من رديئها. ونقد جيد، ونقود جيد. وتُنقَد الورق، قال: كما تُنقَد عند الجهد الورق<sup>١</sup>.  
نقد الشيء - نقدا: نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه. يقال: نقد الطائر الفخ، ونقدت رأسه بأصبعي. ونقد الدراهم والدنانير وغيرهما نقدا وتنقاداً: ميز جيدها من رديئها<sup>٢</sup>.  
وهو تمييز الدراهم، وفي الأدب عبارة قديمة ذكرها الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وكانت معروفة قبل عصره بقرنين من الزمن؛ فقدمه بن جعفر (ت ٣٣٨هـ) ألف كتاب نقد الشعر وورد لفظ النقد والنقاد في كتاب الموازنة للآمدي (ت ٣٨١هـ)<sup>٣</sup>.

والنقد الأدبي هو تقييم النص والحكم عليه أديبا وفنيا مع مراعاة الأسلوب المتبع، على أن معايير الحكم تختلف من عصر إلى عصر، ومن ناقد إلى آخر، وأكثرها دقة كان في القرنين الرابع والخامس الهجريين<sup>٤</sup>، وهو نقد يعالج الصلة بين العمل الفني، أو الأدبي والمجتمع الذي نشأ فيه، وهو نقد له صلة وثيقة بالعلوم الإنسانية التي تدرس الإنسان بوصفه إنساناً، كالفلسفة والتاريخ وعلم النفس.

ومصطلح النقد الاجتماعي حديث نسبياً، لكنه قديم من حيث الفكرة - حيث نجد في التراث العربي القديم نقدا للمجتمع وسلوكياته كما يتضح لنا ذلك في كتاب البخلاء للجاحظ، وما نجده في نواذر جحا، فهو يعني تفسير الأدب والظاهرة الأدبية في المجتمعات التي تنتجها، وتستقبله وتستهلكه<sup>٥</sup>. يتفق معظم الباحثين على أن الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية مدام ستايل كتابها: الأدب وعلاقته بالأنظمة الاجتماعية عام ١٨٠٠م، تحدثت فيه عن دور عامل الهوية القومية وعلاقته بالوسط الاجتماعي وتأثيراتهما في الإبداع والذوق الفني. وظهر بعدها الفيلسوف والناقد هيولييت الذي تأثر كثيراً بتطورات العلوم المختلفة، فتقدم بمفهوم النقد الاجتماعي خطوة إلى الأمام، وهي: محاولة إخضاع الأدب للنظرية العلمية على غرار ما هو قائم في العلوم الأخرى<sup>٦</sup>.

فالنقد الاجتماعي هو بمثابة نظرية نقدية للمجتمع (ومن ثم نقد أدبي)، والنقد الاجتماعي للنصوص وعلم اجتماع النص مترادفان، وكلمة النقد الاجتماعي أصبحت أكثر تداولاً من غيرها، لأنها أقصر من مصطلح علم اجتماع النص.<sup>٧</sup>

### وقفه مع النثر الأدبي البرنوي

يفهم معنى النثر من حيث اللفظ أنه ما لم يكن متناسقاً، فهو من "نثر ينثر وينثر، نثراً ونثارة، فهو ناثر، والمفعول منثور، نثر الشيء: رمى به متفرقا فانثرت ونثرت الفاكهة ونحوها". فقد استخدم الإنسان لغته وسيلة للتفاهم والتعامل، ثم تحولت إلى وسيلة للتأثير العاطفي والاستمالة الوجدانية. وحين أدرك أهمية ما يكتب اعتنى بصوغ عباراته ليكون أوقع في النفس، من غير مغالاة في الأخيلة والصور التي هي من أساليب الشعر.<sup>٩</sup>

والنثر ضربان: نثر عادي وهو الذي ننطقه ونكتبه من غير تكلف ولا مشقة، ومن غير تحيُّر للألفاظ وحرص على التوازن والسجع والتزيين، ولعله لا يُعتبر نثراً يستحق الدراسة، ونثر في يتأني فيه كاتبه ويتخير ألفاظه، ويعتني بصوغ جملة، ويراعي فيه احتواءه على مقومات الفن، كجمال التعبير، وقوة التأثير.<sup>١٠</sup>

تُعد برنو المنطقة الأولى التي عرفت العربية في نيجيريا قبل سائر مناطقها، وقد تمّ ذلك منذ أن كانت برنو خاضعة لدولة كانم التي عرفها العرب منذ القرن الأول الهجري، وبالتالي هاجرت إليها مجموعة من القبائل العربية قصد الاستيطان فيها، وقد استمرت موجة الهجرة إليها بعد انتقال الدولة إلى برنو في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان لتلك الهجرة أثر بالغ في نشر العربية في الدولة بصورة عامة وفي برنو بصورة خاصة.<sup>١١</sup>

وتشير المصادر إلى أن الكتابة بالعربية قد تطورت تطورا ملموسا منذ أيام الدولة الأولى في كانم، ومن يؤيد هذه الحقيقة محمد بلو بن عثمان الذي ذكر مجموعة من العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة، وتركوا آثارا علمية مكتوبة قيمة لم يزل بعضها باقيا إلى اليوم.<sup>١٢</sup> ذكر محمد بلو طرفا من أصحاب تلك الآثار العلمية المكتوبة، منهم:

- الشيخ باركوم، المعروف بابن آجروم صاحب كتاب: شرب الزلال.

- الشيخ النجيب محمد الوالي صاحب: المنهل في علم التوحيد.
  - أما علماء العهد الثاني من هذه الدولة الذين برزت أسماؤهم في مجال الكتابة فهم:
  - أحمد بن فرتوا (ت: ١٥٨٣م): له مؤلفات قيمة أبرزها: كتاب سجل فيه جميع حروب إدريس ألوما: غزوات السلطان إدريس ألوما في برنو، والثاني سجل فيه غزوات السلطان في كانم، وهما كتابان تاريخيان كانا في أسلوب تاريخي واضح، وفي أسلوب مزدوج.
  - الطاهر بن إبراهيم فيرما: الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي. من آثاره: الدرر اللوامع.
  - يوسف بن عبد القادر القرقي في القرن التاسع عشر الميلادي .
  - محمد الأمين الكانمي (ت. ١٨٣٩م). وكان من كبار كتّاب برنو الذين ارتفعت الكتابة الفنيّة على أيديهم<sup>١٣</sup>.
- هؤلاء العلماء مع كتبهم هذه دلالة واضحة على الدرجة الرفيعة التي توصلت إليها الكتابة خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي.
- والنثر البرنوي بالنسبة إلى ذكر خصائصه ومميزاته قسمان<sup>١٤</sup>:
- نثر الرعيل الأول:** هو النثر الذي أنشئ أيام تأسيس الدولة الإسلامية في كانم برنو، وبعد تأسيسها انتشر وتطور بتطور اللغة العربية وأدواتها كالقراءة والكتابة، ومن الكتابة كتابة النثر العربي التي بدأت منذ ذلك الزمن تتسرب وتتقدم بين طلابها من أبناء المسلمين حتى نبغ فيهم العلماء والأدباء الذين كتبوا في برنو ما بين النثر والشعر ما لا يعد ولا يحصى، واستمر الأدباء على هذا المنوال حتى مجيء الاستعمار الأوربي، وكان النثر في تلك الفترة يميل إلى التعليم أكثر من انخيازه إلى الناحية الفنية، ومع ذلك فإن الدارس يلقى فيه شيئا من الملامح الفنية<sup>١٥</sup>.
- نثر الرعيل الثاني:** يبدأ بعد الاستعمار حتى نهاية القرن العشرين، وتظهر براعة الكتّاب في تلك الفترة ويتميز بسعة اطلاع الكتّاب والتدقيق، وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد مي أبوبكر اعتمادا على ما حصل عليه من استقرائه في كتابات علماء برنو، وأهم ما حصل عليه في ذلك الاستقراء يتمثل في الحقائق التالية:

- جودة الأسلوب في التعبير وسلامة التراكيب من الأخطاء الشائعة، ويضاف إلى ذلك ملكتهم اللغوية وثروتهم المعجمية التي مكنتهم من استخدام الألفاظ العربية في وصف المسميات المحلية. والاستشهاد بالشواهد الشعرية في دعم أفكارهم ومواقفهم، دلالة على تذوقهم الأدبي وإلمامهم بالتراث العربي القديم.

- الاستفادة من المصادر اللغوية القديمة.

- شيوع استخدامه للصور البلاغية في عباراته<sup>١٥</sup>.

هذه بعض الدوافع التي حملت الدكتور مي أبوبكر يقر بارتفاع درجة الكتابة في القرن السادس عشر الميلادي.

### مميزات النثر البرنوي.

أما النثر البرنوي في الفترة الأولى فيتميز بالخصائص التالية<sup>١٧</sup>:

أولاً: إنه ديني خالص يتناول القضايا الدينية، وذلك لأن كُتّاب النثر في تلك الفترة هم العلماء كما سبقت الإشارة إليه، والقادة وزعماء الدولة المهتمون بدراسات الفنون الإسلامية، فكانوا يعالجون في كتاباتهم النثرية المسائل والقضايا الدينية والاجتماعية، فسجلوا فيها تاريخهم وانتصاراتهم الحربية، وذكروا أسباب قيامهم بالجهاد كما وصفوا نظمهم السياسية والإدارية التي استنبطوها من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وبعض أمهات الكتب الدينية، وقد كانت لغتهم فيه لا تخلو من الركافة كما لا تخلو ألفاظهم وتراكيبهم من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية<sup>١٨</sup>.

ثانياً: النثر العربي البرنوي في هذه الفترة لم يكن فنياً بحثاً إلا نادراً، والذي يأتي من قبل بعض العلماء الذين لهم التمكن في اللغة العربية، كالشيخ محمد الأمين الذي هو عربي الأصل من جهة أمه، تعلّم العربية وأتقنها بشكل منقطع النظير في تلك الفترة الزمنية.

هذه صورة عن مميزات النثر البرنوي وهي لا تختلف كثيراً عن مميزات النثر في سائر المناطق التي تكون العربية فيها لغة ثانية، أو بالأحرى بين الشعوب الناطقة بغير العربية.

## التعريف بالشيخ ابراهيم صالح الحسيني

### نسبه

هو الشيخ الشريف إبراهيم بن صالح بن يونس النّوّ بن محمد الأول بن يونس بن إبراهيم بن محمد المكي<sup>١٩</sup>. ومحمد المكي هذا، هو جد الشيخ الذي قدم إلى هذه البلاد من أرض الحجاز، وهو ابن عمر بن السيد عبد الكريم بن سيدي زياد بن السيد عبد الله بن السيد إبراهيم بن السيد سالم بن السيد عبد الواسع بن السيد عبد الرحمن بن سيدي عبد المنعم بن سيدي أبي زيد سعد بن عبد المؤمن بن أبي يحيى بن سيد زكريا بن الوالي القاسم بن هاشم بن سيدي أبي عمر عثمان بن عبد الدائم بن سيدي العاقب بن عبد الغفار بن سيدي عبد الملك بن مولانا عبد القادر بن سيدنا جعفر بن سيدنا موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٢٠</sup>. هذا من جهة والده. أما من جهة والدته فيجتمع نسبها مع والد الشيخ في الشريف إبراهيم بن محمد المكي.

### مولده ونشأته وحياته العلمية

ولد الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني في ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥٩هـ الموافقة للثاني عشر من يوليو عام ١٩٣٨م في (عريديبي) إحدى قرى ديكو، عاصمة برنو القديمة بعد سقوط كوكاوا<sup>٢١</sup>.

نشأ الشيخ في كنف والده، فاعتنى بتربيته منذ الصغر، وكان يجلسه إلى جنبه أثناء تعليمه القرآن الكريم لتلاميذه، حتى تعود على تحمل أعباء الدراسة، كما ظل يأخذه معه إلى مجالس الذكر لما فيها من خير وبركة، وكان يعلمه آداب الإسلام السامية كآداب الأكل والشرب، والكلام<sup>٢١</sup>.

تأثر الشيخ بهذه التربية الحسنة التي نالها من والده، فنشأ على حب الدين والعلم والتعلم والتعليم وحب الذكر والعبادة، والتحلي بمكارم الأخلاق، والسير على نهج السلف الصالح،

كما نشأ على حب العلماء والصالحين من عباد الله والتزدد على مجالسهم حيثما كانوا، داخل الوطن وخارجه، حتى من الله عليه بالفتح الغزير.

تعلمه:

بدأ الشيخ الشريف قراءة القرآن الكريم على يدي والده الشيخ المقرئ الكبير القوي الشريف صالح، وأول ما لفته من القرآن الكريم هو قوله تعالى: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) <sup>٢٣</sup>، ثم حفظ على يديه سورة الفاتحة وبعض قصار السور.

ثم سلمته والدته السيدة فاطمة البتول، وكانت تهتم بالعلم والدين، إلى السيد القوي بن حامد الحامدي، وذلك تنفيذاً لما وصى به والده قبيل وفاته - رحمه الله.

قضى الشيخ مع معلمه فترة من الزمن تعلم من خلالها القرآن الكريم والخط، وكان يمتاز بالذكاء الحاد، حتى أعطاه معلمه عناية خاصة صنعه بها هذه شخصية علمية فذة خدمة للعلم وأهله <sup>٢٤</sup>.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم مع إتقانه وتجويده، التفت إلى العلماء بحثاً عن العلوم الدينية، فكان أول شيء تلقاه من العلم كتاب مختصر الإمام عبد الرحمن الأخرسي في مبادئ العبادات، وكتاب زبد العقائد في المعتقدات، تلقاهما مع العشماوي على أخيه محمد البشير مُراجِعاً فيها الغوي جده بن جامع، وأخيراً الفقيه محمد الدودو العباسي. وعندما استقر في مدينة ميدغري شاء الله له بالالتحاق بمعهد العلامة الدراكة الفهامة الشريف الأصيل العالم المقرئ الجود النحوي اللغوي المحدث الإمام محمد بن محمد المصطفى العلوي الشنقيطي، نزيل برنو وذلك في عام ١٩٥٦م. ثم واصل تلقي مختلف العلوم والفنون من بقية العلماء، فظفر بالشيخ الإمام العارف الصوفي الشهير الشيخ أحمد بن علي أبي الفتح اليرواوي، وذلك عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م <sup>٢٥</sup>.

ثم توجه الشيخ بعد ذلك إلى بلدة انغرو (Nguru) في عام ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م قاصداً الشيخ الصوفي الشهير محمد بن محمد المعروف بغريم الداغري، وأخذ عنه اليسير من علوم التصوف والحديث، وأجازته إجازة عامة في جميع كتبه <sup>٢٦</sup>.

ثم غادر الشيخ مدينة انغرو متجها نحو مدينة "كانو" لينهل من حياض علمائها، فاتصل فيها بالشيخ الخليل أحمد بن عثمان التجاني الكنوي عام ١٩٥٩م<sup>٢٧</sup>، والشيخ العالم الشهير أبو بكر عتيق الكشناوي التجاني، قرأ عليه كتاب جواهر المعاني، وغيره من كتب التصوف، وأجازه في قراءة القرآن الكريم، وذلك بتاريخ ١٣٨٩/٨/٢٠هـ، وفي قراءة دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار للإمام العارف بالله محمد بن سليمان الجزولي، كما أجازه في منظومة الشيخ الطاهر بن إبراهيم البرنوي الفلاقي، بتاريخ ١٣٨٩/٧/٢٢هـ<sup>٢٨</sup>.

وبعد ذلك اتصل بكثير من علماء العالم الإسلامي كالحرمين الشريفين، ومصر، والمغرب والهند وباكستان والسنغال والنيجر والسودان ودولة تشاد. ومن أجازه الشيخ الحجة الحافظ علوي بن عباس المالكي المكي في علوم الحديث والفقه. ومنهم العلامة الشيخ محمد زكرياء الكندهلوي شيخ الحديث، أجازه في علوم الحديث وكان ذلك في المدينة المنورة. ومنهم العلامة الشيخ المحدث الماجد نور أحمد البورمي مدير الدعوة والإرشاد في هيئة مؤتمر العالم الإسلامي في علوم الحديث الشريف. ومنهم الشيخ محمد الأمين الأغلاي، أمير أهل أبلغ من إقليم طاوه، من بلاد النيجر، أجازه في علوم الحديث سنة ١٣٩٢هـ. ومنهم الشيخ الفاضل محمود خليل الحصري، شيخ القراء أجازه في القراءات ومؤلفاته. ومنهم خليفة الشيخ الكولخي، الشيخ علي سيسي بن الحسن السنغالي، أجازه في الطريقة التجانية بجميع ما اشتملت عليه من الأذكار والأوراد والأسرار من كل ما صحت به الرواية عن الشيخ سنة ١٣٨٩هـ. ومنهم شيخ الإسلام الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله انياس الكولخي، التقى به الشيخ أول الأمر بمدينة كنو عام ١٩٦٣م وفي ذلك الوقت أجازه برواية الصحاح الستة، ثم وجه له دعوة لزيارته في كونخ، وذلك عام ١٩٧٠م، فهذه الزيارة مكنته من سماع الكثير من العلوم والمعارف، ثم أجازه إجازة شاملة مطلقة عامة في المعقولات والمنقولات، وأفاده بعلوم الطريقة التجانية وأسرارها، وفي علوم الشريعة كلها، ثم دعا له بدعوات تضمنت كثيرا من الخيرات والبركات والبيشارات<sup>٢٩</sup>.

### أعماله العلمية والأدبية

يعد مجال التأليف من أعظم الوسائل التي استخدمها الشيخ إبراهيم صالح الحسيني في حياته المباركة للدفاع عن الإسلام ومقدساته، والدعوة إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم، وطرح الحلول المناسبة لجميع القضايا القديمة والحديثة، ومناقشة الآراء حول المسائل المستجدة. والعمل على جمع كيان الأمة وشرائحها، وفضح جميع أساليب الحركات الهدامة التي تعمل ليلاً ونهاراً للوصول إلى تدنيس قلوب أبناء المسلمين، وسرقة أفكارهم، وتمزيق شملهم، والإلقاء بهم في مهاوي الهلاك عن طريق اختلاق النزاعات العرقية والدينية والسياسية والجغرافية وغيرها، والانبهار بأسلوب الغرب في الحياة، والاستخفاف بالدين وتدمير القيم والأخلاق، والطعن في علماء الإسلام وأولياء الله تعالى، وما كانوا عليه من الخير والهدى.

كتب الشيخ في فنون عديدة معالجا للقضايا الدينية، وساهم في نشر اللغة العربية وثقافتها، ولم يكتب من أجل الشهرة، أو التعصب، أو الهوى، فكل كتاب له، ينبع عن حقيقة الإسلام، وحقيقة التصوف الإسلامي الأصيل، البريء من تمم الأعداء، وخرافات الأعداء<sup>٣٠</sup>. ومن أوائل الكتب التي ألفها: النور الأبرق في السيرة النبوية، عام ١٩٥٩م، والفتوحات الأحمدية، عام ١٣٨٠هـ والفتوحات المحمدية، عام ١٣٨٠هـ، وتذكرة الأحباب، عام ١٣٨٠هـ، وهي مخطوطة لم تطبع بعد<sup>٣١</sup>.

### الفنون التي ألف فيها

تجاوزت مؤلفاته ثلاثمئة مؤلف في شتى العلوم والفنون، بنسبة كبيرة غير محددة، وهذه المؤلفات منها ما هو مطبوع، ومخطوط، وما هو تحت الطبع<sup>٣٢</sup>، إضافة إلى المحاضرات والخطب المرتجلة، والدروس المسجلة، المودعة في قسم المخطوطات لجماعة النهضة الإسلامية، حسب تقريرها عام ٢٠٠٧م، والذي ينص بأنها تجاوزت الألف شريط<sup>٣٣</sup>.



## النقد الاجتماعي في كتاب "الفاصل بين الحق والباطل" وآفاق التطوير

عنوان الكتاب :

الفاصل بين الحق والباطل

مطبوع في ٣٧٦ صفحة، الصفحات الثمانية الأخيرة متضمنة السيرة الذاتية للمؤلف. قامت بطباعته الشركة الدولية للطباعة، المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦، أكتوبر عام، ٢٠١٤ م يحمل رقم الإيداع ٤٣٩٠/٤٣٠١٤ م.

نشرته مؤسسة السيادة للطباعة والنشر، أبوجا، نيجيريا، ورقمه الدولي -978-977-353-

093-8

### محتوى الكتاب

تناول الكتاب في طياته أحكام الصدقات في الشرع ، والتحذير من إقامة المآتم، وبيان أن الشيطان هو الذي سن سنة تحريف الكتب السماوية، وخسران المبتغين غير الإسلام ديناً، وكراهية قراءة القرآن عند القبور في مذهب مالك، وشروط الرقية ماهيتها وحكمها، وحكم القراءة عند المحتضر في مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه، وبيان مذهب الصوفية مبني على الكتاب والسنة، كما تناول وجوب التبليغ على العلماء في جميع الأحوال، وتحدث عن أن ما يؤخذ من الناس بدون رضاهم هم المكس، كما تناول الحديث عن العوائد الجمركية أو ما يصادر من الواردات وحكمها، ثم تحدث عن ثمن التلقيح الاصطناعي وحكم بيع السلعة بثمانين.

### النقد الاجتماعي في كتاب الفاصل بين الحق والباطل وآفاق التطوير

تحدث المؤلف في مقدمة الكتاب عن النيات والمقاصد فذكر أنه: في مثل هذا الزمان الذي غلب فيه الهوى على العقول والأرواح، فينبغي للمؤمنين أن ينتبهوا لإعلان حرب شعواء لكسر شوكة الشيطان اللعين وحزبه، وليس في الإمكان أن يستقيم الناس على سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - والحاكم الموقع لهم الأحكام - الشيطان الرجيم الذي لعنه الله، تحدث المؤلف حول قضايا كثيرة معالجا وناقدا إياها، نأخذ منها:

### صدقة الحي على الميت

هناك بعض العادات والتقاليد القبيحة التي استسلم إليها أهل المنطقة التي يتحدث عنهم المؤلف من الاهتمام بالمآتم وجعلها أيام فرح وسرور وهي تعني العكس. ومن المنكرات عند المسلمين أن الميت الفقير الذي لم يخلف شيئاً، أو الغني الذي يترك ذرية ضعفاء وأطفالاً صغاراً، لا ينزل به قضاء الله المحتم وتفارق الروح جسمه إلا وقد اتخذ أهله التدابير اللازمة في عرفهم لإقامة المآتم وما يصرف عليها أيام التعزية من طبخ وما شاكله، وكأنهم في حفل عرس، وإذا نعي إليهم وقد اجتمعوا من كل مكان ارتفعت الأصوات بالبكاء والعيول، ثم تحفّت قليلاً حتى تخرج الجنازة، وهناك تلطم الحدود وتشق الجيوب ويكثر الضجيج.

وقد ذكر الشيخ في كتابه الفاصل بين الحق والباطل قوله:

(وأما صدقة الحي على الميت بطيب نفسه بالشيء المستمر النفع على الوجه المشروع من غير عقر ولا جمع للرجال والنساء ولا حشد للجموع من شتى النواحي للتباهي والتفاخر والتكاثر بالأموال ونسيان الآخرة، فالصدقة على هذا الوجه جائزة بلا مانع...) <sup>٣٤</sup>. ويقول المؤلف: وفي كتاب القول المبين في رد بدع المبتدعين ص ٤٩ " من البدع الشائعة في هذا الزمن التي يجب القضاء عليها في أي مكان بدعة المآتم التي تتخذ بعد موت الميت من تبذير الأموال وتحديد لأثار الحزن، وجعل قارئ يقرأ القرآن للميت، كل هذا ليس من السنة النبوية، بل قد بينت السنة الغراء مسنون العزاء ولم تكلف الناس شيئاً من أمور الدين ولم تأمرهم إلا بما فيه اليسر، ولم تأمرهم بالذبح والسلخ والطهي، حتى كأنهم بعد ميتهم في يوم عيد، ثم أن هذه الأموال التي تنفق في هذا السبيل هل هي من مخلفات الميت أم من أقاربه؟ فإن كانت من أقاربه فالأجدر بهم أن يصرفوها في وجوه البر والخير الذي يعود على الإسلام بالفائدة الكبرى... <sup>٣٥</sup>.

وقال في زاد المعاد في هدي خير العباد ج ١ ص ١٤٦ " وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره وكل هذا بدعة حادثة مكروهة" <sup>٣٦</sup>.

وقال المؤلف قلت: والكراهة هنا معناها التحريم، لأن هذا لم يشرع، وما ليس بمشروع فليس على أمر الرسول ولا من دينه - صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) يعني أنه عمل مردود على صاحبه لا يقبل منه مهما كانت ضخامته وعظمته عند الآتي به<sup>٣٧</sup>.

ويجب أن يعرف الناس أن المنع من المأثم والاجتماع على أهل الميت، لا يتناول الأشياء المشروعة كإهداء الثواب ونحوه، فإن لذلك في السنة أصلاً أصيلاً، فمن ذلك حديث حذيفة قال: سألت رجلاً على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمسك القوم، ثم أن رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: من سن خيراً فاستن به كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن سن شراً فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً. رواه أحمد في المسند وحديث جرير بن عبد الله البجلي، وقال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء. رواه مسلم وغيره<sup>٣٨</sup>.

وقال: إن بعض العلماء يكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول أو الثالث وبعد أسبوع، كما قال الخرائطي: "الطعام على الميت من أمر الجاهلية، وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة، فانقلبت الحال وتغيرت الأحوال."<sup>٣٩</sup>

ويظهر عند بعض الناس قراءة سورة يس لدى احتضار الميت. فقال ابن حبيب لا بأس من أن يقرأ عنده يس، قال: وإنما كره مالك ذلك لئلا يتخذ سنة، ومن هذا يتضح أن المذهب المالكي لم يأخذ بحديث قراءة يس على المحتضر<sup>٤٠</sup>.

قال في إحدى قصائده:

ولم يصح حديث يس لدى \* إمامنا الأجدد خير من هدى

## أخذ الأجر عن التلاوة

يتوهم بعض الناس أنه يمكن أن نستاجر أحدا ليقراً لنا القرآن الكريم أو لأمواتنا، ومن أدلة بطلان ذلك أن القراءة نفسها من الأعمال البدنية غير قابلة للنيابة كالصلاة ونحوها. والعجب كل العجب أن بعض العلماء يقولون: فلا ينبغي كراهة قراءة سورة يس وقراءة القرآن على الأموات، وهذا غريب فهل لهذا الزمان نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل حتي يشرع لنا شرعا جديدا يكفرون بمخالفته، فإننا لا نطيع هذا الزمان مهما عظم شأنه<sup>٤١</sup>. يقول المؤلف: "فلما رأينا أن السنة الصحيحة خلاف ما عليه هؤلاء الذين يأكلون بدينهم خالفناهم في هذا وحذرنا الناس من اتباعهم في هذه البدع المضلة المخالفة لما عليه جمهور أهل السنة، ثم إنه لو لم نجد في هذه المسألة ما يصلح للتمسك إلا كونها ذريعة إلى ما تقدم من اتكال أصحاب الأموال على من يقرأ لهم الختمات ويعبد بدلهم بالأجر لكفى، فإن الشريعة الإسلامية جاءت بسد الذرائع كما جاءت بالأحكام، ألا ترى أن الوالي والقاضي والشافع قد منع لكل واحد منهم قبول الهدية ممن لم تجر عاداته بمهاداته لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قضاء حاجته مكافأة له<sup>٤٢</sup>."

تلك صورة لما يقوم به أهل المنطقة التي يتحدث المؤلف عنها ناقدا ومتبرما من أفعالهم، وفتحاً وتطوراً للآفاق أن يتعد المجتمع من تلك العوائد التي تضر بالأسر وتسلب ما تركه أسلاف لخلفهم.

## الخاتمة

يتمتع النقد الاجتماعي بعلاقة قوية مع الأدب، تعاطاه العلماء والشيخوخ في نيجيريا منذ القدم كما نرى ذلك في كتاب الشيخ المجدد عثمان بن فودي (إحياء السنة وإخماد البدعة). والشيخ إبراهيم صالح من أبرز علماء نيجيريا المعاصرين حيث يشغل منصب مفتي نيجيريا، وله أكثر من ثلاثمئة مؤلف بين مطبوع ومخطوط، وقد حاول معالجة قضايا عدة في كتابه "الفاصل بين الحق والباطل"، ومن هذه القضايا التي قام بنقدها اجتماعيا، قضية العادات والتقاليد الفاسدة التي يتعاطاها الناس بعد وفاة المتوفى من التجمعات وإظهار الفرحة، وإدخالهم في الإسلام مالا

علاقة له به كقراءة القرآن الكريم على الميت ودفع الأجرة لمن يقرأ وغير ذلك، وأوضح بعض الأحاديث الضعيفة التي يعتمدها الناس في القيام بمثل تلك الممنوعات. وتحدث الكتاب عن أمور عدة يتعاطاها ويتعامل بها مجتمعنا النيجيري، والتي تحتاج إلى الدراسة والتحليل، لذا يوصي الباحث الإخوة بالوقوف على الكتاب وقراءة ما فيه وجعله دستوراً للتعامل الاجتماعي.

الهوامش والمراجع

١. الزمخشري، جار الله بن أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الفكر بيروت- لبنان ٢٠٠٠م، ص ٦٥١.
٢. انيس إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط(د.ط.ت)، ص ٩٨٤.
٣. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج٢، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط٢، ١٩٩٩م، ص ٨٦٤.
٤. المرجع نفسه، ص ٨٦٤-٨٦٥.
٥. وائل بركات وائل والسيد غسان: مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، دمشق ١٩٩٥م، ص ١٣.
٦. آزاده منتصري ومحمد خاقاني ومنصورة زركوب: النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره، مقال نشر في: إضاءات نقدية(فصلية محكمة) السنة الثانية -العدد السادس-صيف ١٣١٩ ش\حزيران ٢٠١٢ م، ص ١٦١.
٧. Collection Connnaissance des Lanues sous la direction de OCIORITOUQUE Hierche MANUELS النقد الاجتماعي (نحو علم الاجتماع للنص الأدبي) ترجمة: عايدة لظفي . مراجعة د. أمينة رشيد و د. سيد البحراوي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥ ص ١٢
٨. معجم المعاني الجامع، ص ٣٨.
٩. محمد التونجي: المرجع السابق، ج٢، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط٢، ١٩٩٩م ص ٨٤٩.
١٠. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
١١. تدن نفاوا، كبير آدم، النشر العربي النيجيري صورته وخصائصه عبر العصور، دار الأمة كنو -نيجيريا، ص ٢٤(بتصرف).

١٢. أحمد ، إبراهيم حسين: النشر الفني لدى بعض أدباء مملكة برنو وخلافة صكوتو في القرن التاسع الميلادي(عرض ودراسة)، بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا بجامعة ميدغري لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وادأجا عام ٢٠١٨م، ص ٦٨(بتصرف).
١٣. تدن نفاوا، كبير ادم، المرجع السابق، ص ٢٥-٢٧(بتصرف).
١٤. المرجع نفسه، ص ٦٩.
١٥. أحمد ، إبراهيم حسين: المرجع السابق، ص ٧٩(بتصرف).
١٦. أبوبكر، محمد مي: بعض الظواهر الأسلوبية في كتابي الإمام أحمد بن فرتو في غزوات السلطان لإدريس ألوما في برنو وكانم، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية جامعة بايروكنو ٢٠٠٤ ص ٤٣-٤٤.
١٧. المرجع نفسه، ص ٧٠-٧١ (بتصرف).
١٨. عثمان، الياس أبوبكر: تاريخ الأدب العربي في امبراطورية كانم برنو فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة الماجستير قدمت إلى كلية الدراسات العليا بجامعة ميدغري عام ٢٠١٠، ص ١١٣-١١٤ (بتصرف).
١٩. الحسيني، إبراهيم صالح (الشيخ)، الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الأخبار والآثار، مخطوط، ص: ٢-٣.
٢٠. الحسيني، إبراهيم صالح (الشيخ)، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧٦م، ص: ٢٣٤.
٢١. يعقوب يونس، نشر طيب النسيم في حجة الإسلام مولانا الشيخ الشريف إبراهيم صالح، مخطوط، ص: ١٠.
٢٢. عمر عبد الله، البديع في شعر الشيخ إبراهيم صالح الحسيني ، بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا ،جامعة عثمان بن فوديو سكوتو للحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية عام ٢٠١٣، ص: ٣٣.
٢٣. سورة مريم، الآية: ١٢.

٢٤. عمر عبدالله، المرجع السابق، ص: ٣٧.
٢٥. الحسيني، إبراهيم صالح (الشيخ) الاستذكار، المرجع السابق، ص: ٨٧.
٢٦. عمه أحمد خرسة، المدارس الابتدائية ودورها في نشر الثقافة الإسلامية، بحث مقدم إلى جامعة بايرو لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية عام ١٩٩٨م، ص: ١٤.
٢٧. أي بأمر من الشيخ أحمد بن عثمان التجاني الكنوي.
٢٨. عمه أحمد خرسة، المرجع السابق، ص: ٥.
٢٩. الحسيني، الاستذكار، المرجع السابق، ص: ١٠١.
٣٠. إبراهيم هارون عثمان، فن الرسائل عند الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني (دراسة تحليلية بلاغية)، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، عام ٢٠١٦م، ص ٢٧.
٣١. الحسيني، إبراهيم صالح، المرجع السابق، ص ١٩٤.
٣٢. ينظر الشيخ الشريف إبراهيم صالح كاتبا، لعبد الغفار جده جبريل وإبراهيم عمر الياس، مطبعة موكاس ميدغري-برنو ٢٠٠٩.
٣٣. المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
٣٤. الحسيني، إبراهيم صالح: الفاصل بين الحق والباطل، الشركة الدولية للطباعة، جمهورية مصر العربية، ط ١، ٢٠١٤، ص ٧.
٣٥. المرجع نفسه، ص ١٧.
٣٦. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٣٧. المرجع نفسه، ص ١٧-١٨.
٣٨. المرجع نفسه، ص ١٨.
٣٩. المرجع نفسه، ص ٢٣.
٤٠. المرجع نفسه، ص ٣٩.
٤١. المرجع نفسه، ص ٤٥.



## الثناء عند شعراء الأدب الشعبي النيجيري: أيندى بارستا نموذجاً

يونس بنيامين بودوفو

07066236540/08052139404

### المقدمة

الأدب هو ما أثر من الشعراء والكتّاب من بدائع القول المثلث على الأخيصة والمعاني الرقيقة التي تشير المشاعر والعواطف، وتهذب النفس وتثقف اللسان، ولكلّ أمة أدبها وأدب كلّ أمة ما تسجل به أفكارها وطباعها وعاداتها وتقاليدها من شعر غنائي أو نثر فني، وللأدب الجيد أربعة أركان:

العاطفة الصادقة والأفكار الجليلة، والخيال الناضج، والأسلوب الرائع، ويختلف الأدب باختلاف أحوال الأفراد والجماعات، ولهذا يقال بأن أدب كلّ أمة هو ترجمة لميوها ومشاعرها<sup>(١)</sup>.

فهذه المقالة تهدف إلى إظهار ما في بعض أغاني المغني اليوروبوي المسمى ذكر أولولادي أيندي بارستا لتجلي آثارها في المجتمع اليوباوي، ولتظهر نوادرها وما فيها من قيمة أدبية باهرة.

### أنواع شعر يوربا وأغراضه:

والشعر عند يوربا أنواع متعددة، وترجع أسباب هذا التعدد إلى الاختلاف اليسير في لهجاتهم المتنوعة.

### ينقسم هذا الشعر اليوباوي إلى خمسة:

النوع الأول: سجع الكهان، وهو الشعر الذي يقال لأغراض التكهن، ويرى بعض مؤرخي يوربا أن من هذا النوع إيفأ (IFA)، وأوريك (ORIKI)، وأوفو (OFO).  
النوع الثاني: وهو شعر الحكمة وهو أووي (OWE)، وألو (ALO).

النوع الثالث: شعر المناسبات، وهو الشعر الذي يقال لأغراض خاصة كمناداة الموتى (OKU) (PIPE)، والرتاء (IDARO)، وشعر بكاء العروس (EKUN IYAWO).

النوع الرابع: وهو الشعر الوثني: كان اليوروبون في القديم يعبدون الأصنام كثيراً وهم يدعون أوثانهم ويمجدونها بشعرهم، وأكثرهم كانوا يحضرون معابد أصنامهم وأوثانهم التي ينتسبون إليها ويحترمونها ويجلونها في كل شعوتهم، ولكل صنم من هذه الأصنام شعر خاص يمدحونه به ويهجون به أعداءهم ويرثون به أمواتهم ويذكرون به أجدادهم كمناداة أويا (OYA PIPE)، ومناداة سَنَعُو (SANGO PIPE)، ومناداة أَيْشُو (ESU PIPE)، وأَيُوِي أَيْعُنُّ (EWI EGUNGUN) وما أشبه ذلك.

النوع الخامس: وهو الشعر الذي يقال للمدح والوصف والهجاء وغير ذلك، وفي هذا النوع من الشعر كان القوم يعبرون به عن عواطفهم الاجتماعية والدينية ويسمّون بالألما (ALOMA) وأساما (ASAMO) في بلاد إبادن، ودادكود (DADAKUADA) في إلورن، وبولوجو (BOLOJU) وأبالا (APALA) في بلاد آينا (EGBA) وإيجيبو (IJEBU)<sup>(٢)</sup>.

ترجمة حياة ذكر أيتدى بارستا:

ولد أيتدى بارستا عام ١٩٤٨، في أسرة صلاح بلوغن إبادن كان والده جزارا، وكانت أمه تاجرة، بدأ التعلم في سن مبكرة بالمدرسة الإسلامية ثم التحق بالمدرسة الحكومية في موشن لاغوس، وبعد ذلك واصل دراسته في كلية التقنية (POLYTECHNIC)، يابا، لاغوس.

لقد عرف أيتدى بارستا الموسيقى مبكرا حيث عُرف في رمضان مغني وَيْرِي (AJIWERE) وكذلك كان يفعل في مختلف المناسبات مع أنه كان موظفا في أحد المصانع النيجيرية، وفي وقت الحرب الأهلية كان كاتباً للجيش النيجيري تحت قيادة أدنيران، وقاتل في أوكا (AWKA) وأباجانا (ABAGANA) وأونيتشا (ONITSHA) عند عودته من الحرب، أرسل إلى مقر إشارات الجيش في أبابا (APAPA) ومن هناك إلى مركز إعادة الجيش الوطني.

المشوار المهني الموسيقي

في عام ١٩٦٦م أصدر أيندي بارستا أول شريط، وخلال ذلك الوقت كان يلعب عادة مع فرقته في هبوتي ميتي (EBUTE META) في لاغوس، ثم أصدر المزيد من الأشرطة المسجلة تحت عنوان (AFRICA SONG LIMITED) قبل أن يبدأ تسجيله لأولويوي (OLUYOLE)، ثم أصدر شريطا شعريا آخر تحت أغاني إفريقية هو ١٩٧٧ (BISMILLAH) و LOVE\AIYE DUN PUPO في طوكيو (صوت الهند) ١٩٧٦م. قبل أوائل الثمانيات من القرن الماضي، أصبح شعر أيندي بارستا مقبولا لدى جميع طوائف اليوربيين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والثقافية.

يقول أحد الباحثين: لما بلغ بارستا عشر سنين من عمره بدأ يكون شخصية حين بدأ يتعلم خصائص اللغة اليورباوية وأساليب الخطاب مما أدى إلى أن يلقي الأشعار والأغاني في ليالي شهر رمضان، هذا إضافة إلى تعلمه القرآن الكريم والتحاقه بمدرسة المسلمين في مسقط رأسه، مدينة إبادن ولاية أويو في جزء الجنوب الغربي في نيجيريا. وبعد ذلك سجل في كلية التكنولوجيا بيابا عام ١٩٦١م، ولكنه ترك الكلية بسبب مشكلته الاقتصادية حينئذ، فبدأ يعلم كمسجل للخطاب الأدبي قبل أن يلتحق بالجيش الوطني بين ١٩٦٨-١٩٧٦م<sup>(٤)</sup>.

وله ما يزيد على مائة وعشرين شريطة منها على سبيل المثال

|                           |                |
|---------------------------|----------------|
| Ejeka gbo T'olorun (1966) | أطيعوا الله    |
| Vol. 1: Waya Rabbi        | ويا رب         |
| Vol. 3: Mecca Special     | مكة المكرمة    |
| Vol. 4: Itan Anabi        | سيرة النبي (ص) |
| Family Planning (1981)    | تنظيم النسل    |
| Nigeria (1983)            | نيجيريا        |
| I Love (1983)             | أحب            |
| Destiny (1985)            | القدر          |
| Bismillahi (1977)         | بسم الله       |

Iwa (1982)<sup>(٥)</sup>

الأخلاق

توفي ذكر أيندي بارستا عام ٢٠١٥م<sup>(٣)</sup>.

الرثاء عند ذكر أيندي بارستا

لقد بذل ذكر الله أيندي بارستا جهودا كبيرة في قرض الشعر الغنائي الشعبي بأغراض شتى إلا أن هذه الورقة تختار رثاء سمبئة نموذجاً للدراسة، ونجد أنه رثى بعض الأشخاص أمثال والدته الحاجة شفاء التي يقول عنها:

Iku pa Alanu mi  
Odere bo d'orun sorun-re  
abiri tiku، Iku pa abiri  
Awaye iku osi  
Nigba ti ku pa rosul  
Ko si eni ti ko ni lorun  
Iku pa sifau subola<sup>(٦)</sup>

توفي الموت معيني  
أوديري يرحمك الله  
مات "أبيري" (وهو صنم قوي في اعتقادهم)  
لن يسلم أحد من الموت  
إذ أن رسول الله مات  
كل نفس ذائقة الموت  
ماتت شفاء شبأولا

وفي رثاء أوبافيمي أُوُولُوُوُو (OBAFEMI AWOLowo) يقول:

Erin wo kole dide  
Jeremiah ni eja nla nibu  
Olopolo Ioni Nigeria yi oo  
Ogbon ori pelu oye  
Alimotu kafa li mawayisi  
Ayinde iku to se wasi ooo  
Fun gbogbo omo ibn Adam patapata  
Alimotu riga kowas<sup>(٧)</sup>

مات الفيل ولم يستطع القيام  
كان جرميًا سمكا كبيرا في المحيط  
صاحب الحكمة والعبرة  
الموت كفى موعظة  
أيندي الموت كفى موعظة  
لجميع أبناء آدم عامة  
الموت رداء الجميع  
عرض نموذج رثاء سمبئة

Iku ti seka seyin  
Iku wole ola  
Iku pa Simbiatu aya Abiola  
Iyalode gbee ba ku oo <sup>(٨)</sup>

قد أحدث الموت مصيبة  
وهدم بيت المجد  
وتوفى سمبئة زوجة أبيلا  
لقد ماتت سيدة نساء

Simbiatu aya Abiola  
Tinuke faiye le  
Otun Iyalode Lisabi  
Arinnako o doju ala o <sup>(٩)</sup>

سمبئة زوجة أبيلا  
تركت أتينكي الدنيا  
اليد اليمنى لسيدة نساء أُونِيَّتِي  
لقاؤنا في المنام

1992.12 November  
Ni mo gbele mo gbo royin  
Peku wole ola o meni re lo  
Mother Kolawole Latifu mi

Mother Ayodeji Samusu mi  
Mother Agboola Nureni mi  
Mother barrister lawyer to nje Bolaji  
Mother Wura oola<sup>(١٠)</sup>

كنت في البيت حين وصل نعي وفاتها  
إن الموت هدم بيت المجد  
أمات الموت البرة  
أم كولاوولي، لطيفي  
أم أيودييجي، شمسي  
أم أبوأولا، نوريني  
أم المحامي المسمى بولاجي  
أم ورا أولا

Omo Rabiātu Adawī to ku  
Omo Rafiu Soaga o  
Omo Ishola ni gbagura ku oo<sup>(١١)</sup>

بنت رابعة العدوى المتوفاة  
بنت عبد الرفيع شواغا  
لقد توفيت بنت إشولا في باغورا

Iku pa Simbiātu Atinuke، Iku dorō oo  
Ayinba o Simbia f'aiye le o ma se ood<sup>(١٢)</sup>

أحدث الموت الحزن بوفاة سمبئة أتنكي  
وا أسفا فارقت سمبئة الدنيا!

Aisan were lo se  
Koto relu oyinbo  
Simbia o pada bo  
Omo eyan lo sebe sile  
Ti o duro leje o  
Iku yowo e lawo  
Amon pe kadara Allahu waka kadirii  
Ayanmo eda o ni tase o  
A mon Iku o ma seun ohun rere<sup>(١٣)</sup>

أصابها مرض خفيف  
قبل أن ترحل إلى لندن  
لم ترجع حتى ماتت هناك  
صنع المرء الدسم  
ولم تأكل شيئاً مما صنع  
نزع الموت يدها من الصحن  
علمنا أن قدر الله حق قدره  
ولا يخطئ القدر امراً  
في الحقيقة لقد أساء الموت

Iku pa babalawo bi eni o difa rara  
Iku p'onisegun bi eni o legbo'gi o;  
Ti moba ranti iku o  
Ominu a ko mi  
Eru aye a bami jeje o  
Tara mi ni moro debe o  
Ko seni ti o ni r'orun o  
Simbia orun ree<sup>(١٤)</sup>

مات الكاهن كأنه لم يتكهن قط  
مات الطبيب كأن ليس له دواء  
إذا ذكرت الموت غشيني الحزن  
فأخاف من الدنيا أشد الخوف  
على نفسي أخاف  
لا أحد يسلم من الموت  
نعم عقبى الدار

Simbia bo d'orun sorun rere  
Ebi Abiola ekuilede aya re  
Gbogbo Soaga eku lede omo re  
Tebi t'ore eku aduroti wa e seun gan<sup>(١٥)</sup>

سمبئة يرحمك الله

أعزي أسرة أبيولا عن وفاة الزوجة الصالحة

وأعزي أسرة سواغا عن موت الابنة البرة

شكرا لكم جميع الأهل والأسرة على تعزيتكم

Lojo ti won gbe Simbiatu de  
Tiwon gbede lati ilu oba  
Ko da bo je orori ilu ni  
Kole yee ju Simbiatu lo  
Aye ye e to aya Olawale  
K'orun da fun e ju bee lo  
Olori ilu gbogbo won na wa  
Latori orori ile ede wa  
Iburaimo omo Babangida  
Awon gofana won po lojara  
Awon minista won po lo biba o  
Ambasado silo bii rere  
Awon musulumi lo bi ola Olohun  
Awon onigbagbo o lounka o  
Mekunnu won po lo jara  
Omo ile kewu o lounka o  
Aliulamahu o lo bi rere  
Ayinde Ade loju mi lose<sup>(١٦)</sup>

يوم جيء بجثة سمبئة من لندن

لو كان رئيس دولة هو المتوفى

لا ينال العزة أكثر مما نالتها سمبئة

نعمت حياتك زوجة أبيولا

نرجو أن تكون آخرتك خيرا من الدنيا

حضر زعماء الدولة جنازتها

بدءا من رئيس دولة نيجيريا إبراهيم بابانغدا

وحضر عدد غفير من الحكام

وكذلك الوزراء في جمع كبير



ثم السفراء الكثيرون  
وشهد المسلمون الكثيرون ذلك المشهد  
والمسيحون لا يُحصرون عددا  
وكثر فيه المساكين  
وطلاب العلم والطالبات أتوا كثيرا  
كما ازدحم المكان بالعلماء  
أنا شاهد عيان لذلك كله

Oba kofori joku orun x2  
Loju mi lo se nile Abiola  
ile ola·Ile owo  
ile oye·Ile ogbon<sup>(١٧)</sup>

رحم الله الفقيده  
شاهدت ذلك كله في بيت أبيئولا  
بيت الثراء وبيت الفضل  
بيت الحكمة والعبرة

Ninu ola nla Simbiatu Atinuke ti n pa se  
Koto jade relu oba  
Simbia wole kole dide A gbe·Nigba to kutan  
mami ko dahun mo·A pe mami  
·A sunkun sunkun ko ran nnkan  
·Eru ba mi pe ile aye yii ko je nnkan  
Atinuke fe bi le o rorun.  
·A se ijo a ba ku laadere  
·Ijo a ba ku laadere oo<sup>(١٨)</sup>

في رفعة وسؤدد كانت تأمر سمبئة  
فيل أن تسافر إلى لندن  
ولما ماتت سمبئة أدخلناها ولم تقتدر أن تقوم  
نادينا الأم الأم ولم تجب  
ذرفنا الدموع، لكن لم تغن شيئا

خفت أن هذه الدنيا ليست بشيء

تركت أتينكي الأهل والأسرة وغادرت إلى الآخرة

حقيقة أن بوفاتنا نصبح كالتمثال لا يتحرك

E je katoro Alujana fun x2

Ahusu billahi mina seitoni rojimi

Bisimilahi Ramani Rohimi.

Ali-ayu, Allahu lailaha ila uwa

lata usu sinatun wala naomu, Ali-koyumu

Lahu ma fi samawati wamafili aridi

Masalasi yasifahu indahu ilabi isinihi

Yaalamu mabaena aidih wama alifahun

Walayuhituna bi sein ilimihi ilabimaasaa

asia kurisiyu samawati wali aridi, Wa

Wala yahuduhu ifusuhuma wauwa li-aliyu Ali-Asimu

E je ka toro alujanna fun x2 <sup>(١٩)</sup>

ندعو الله لها بالجنة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات

وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض

ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

ندعو الله لها بالجنة

Lojo ti won gbe si saare ye

Mosudi n sadua fun

Gbogbo wa lajo n sadua fun

Olawale omo Abiola o n wo simbia

ko le pe k'ama gbesisaare ye, Bee na lo n miri

Ko posibiliti ko sunu yara oun

E ori pase lori oko iyawo maa do pin<sup>(٢٠)</sup>

عندما وضعت في القبر  
يدعو الله لها مسعود (زوجها)  
ونحن كذلك ندعو الله لها  
أولاً والي ابن أيولا ينظر إلى سمبئة  
ويحرك رأسه أسفا ولا يستطيع منع وضعها في القبر  
ولا يستطيع أن يقول بأن تبيت سمبئة في غرفته  
وتوقفت قوامة الزوج على الزوجة

Simbiatu Abiola Atinuke omo suaga  
Bi iku ba gbowo aba fun lowo  
Bi iku ba gberan a ba faagbo fun  
iku o gbobi, Iku o gbowo  
Lomu simbia lo laarin wa x2<sup>(٢١)</sup>

سمبئة أبثولا أتينكي بنت شوعا  
لو قبل ملك الموت المال لأعطيناه  
لو قبل ملك الموت اللحم لأعطيناه الكبش  
لكن لم يقبل المال ولا الطنبول  
لذلك اختفت سمبئة بيننا

A wa simbiatu ao rioo  
Iku pa baba alawo bi eniko difa  
Iku pa onisegun bi eniti ko lo gbogi o  
abiri ku, Iku pa abiri  
Iku naa lo pa simbiatu omo akolawole  
Aya M.K Masudi ti n fe Abiola o<sup>(٢٢)</sup>

بجثنا عن سمبئة ولم نرها  
مات الكاهن كأنه لم يتكهن قط  
مات الطبيب كأن ليس له دواء  
مات الأعشابى وكأنه لم يعرف العقاقير

وهو الذي قبض روح سمبئة بنت كُولَاوَوُيْ

زوجة م.ك مسعود أبغولا

Bo se baba elomi loku  
Wom a ke yeye won a dake o  
Bo se iya elomi loku  
Won a ke yeye won a dake o  
Kilo pana omi aja lolo  
Simbiatu kilo pana omi aja lolo ooo.<sup>(٢٣)</sup>

ولو مات أبو غيرها  
بيكي الناس ثم يسكتون  
لو ماتت أم غيرها  
بيكي الناس ثم يسكتون  
ما يطفئ النار؟ الماء  
سمبئة ما يطفئ النار؟ الماء الماء

### الفكرة العامة للقصيدة:

إنّ مما أدركنا في إحدى شرائط الشاعر الشعبي المفلق المعروف بذكر أيندى بارستا الذي أبدع إبداعاً رائعاً في رثاء الحاجة سمبئة، أنه افتتح شعره بوصف الموت الذي أفنى بالسيدة سمبئة زوج مسعود أبغولا والذي أفنى أسلافنا الأوائل؛ لأنّ الله تعالى خلق الموت ووكّل زمامه بيد ملك الملك والذي لم يسلم من هجمه ذوو القوّة والثراء والكهانة والسحر والآبيري

(ABIRI).

رثى الشاعر المتوفاة بصفات محمودة، حيث أنّه وصفها بالأخلاق النبيلة والشمائل الطيبة كامثال أوامر زوجها والجود وحب الآخرين طبقاً لقوله صلى الله عليه وسلم عن أنس رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه<sup>(٢٤)</sup>.

ثمّ وصي النَّاس بتقوى الله وطاعته ونبههم أن كلَّ شيء سيفنى ويبىد لقوله تعالى: "كلَّ شيء هالك إلا وجهه"<sup>(٢٥)</sup>، وقال أيضا: "كلَّ نفس ذائقة الموت..."<sup>(٢٦)</sup>. وكما ينهاتهم عن الفحشاء وكسب الجاه والغنى قسوة وما أشبه ذلك.

أخيراً وصف لنا الشاعر يوم جنازتها وذلك يوم اجتمع غفير من النَّاس من أقطار الأرض كرئيس الدولة جنرال إبراهيم بابانغدا وأعوانه من الوزراء والحكام والقضاة والعلماء والطلاب والمسلمين حتى أنضم إليهم المشاهدون من النصارى والمجوس من أرجاء البلاد. أسلوب ذكر الله أيندى بارستا:

**اللفظ:** كانت ألفاظ الشاعر واضحة لا يشوبها غموض، ومعبرة عن المعاني التي أرادها الشاعر دون تكلف فيها وهذا ما يراه الباحث من خلال شعره الغنائي الذي خالت من الألفاظ الصعبة على اللسان. وكما تناثرت في شعره الشعبي اليورباوي كلمات العربية والإنجليزية والهوساوية منها (مسلم) (وقدر الله حق قدره) و(العلماء) و(قراءة آية الكرسي) للعربية، و(MUMMY) الأم و(GOVERNOR) والي و(POSSIBLY) ممكن و(BABY) حبيبة و(MINISTERS) وزراء و(AMBASSADORS) سفراء للإنجليزية و(RIGA KOWA) رداء الجميع للهوساوية.

**المعنى:** إنّ المعاني الواردة في الشعر الغنائي واضحة، وكان الشاعر يجيد ابتكار المعاني وتوليدها، حيث جدد الشعر بالموسيقى الجميلة والضرب الناطق.

**الخيال:** وجد الباحث في شعره بعض المظاهر البلاغية تتجلى فيما يلي:-

قوله: (IKU WOLE OLA) عبارة عن الكناية في البلاغة حيث كنى بها عن

الوفاة، وكذلك قوله: (TINUKE BABY DI ERU ORELE) صور المرثية كإنسان شد الرحال إلى القيامة.

الخاتمة:

فقد حاول هذا البحث المتوضع دراسة الرثاء عند الشاعر الشعبي اليوروبوي ذكر أيندي بارستا، فوجد الباحث أنه قوي السبك في ألفاظه وفي أساليبه. وفي معاني حكم، وحصافة الرأي، وتطلعت الورقة إلى حياة الشاعر وترجمة بعض شعره. وأخيرا، يوصي الباحث نفسه والدارسين أن يهتموا بدراسة الشعر الغنائي الشعبي النيجيري المتأثر باللغة العربية وثقافتها، كما يدعو إلى ضم شتات أعماله المبعثرة في شريطة أيندي بارستا.

الهوامش والمراجع

- ١- شوقى ضيف، الأدب والنقد، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩م، ١٣.
- ٢- عبد الرؤوف كيندى أبوي "المدح في الأشعار الغنائية لأينلا أماوز" مقالة نشرت في مجلة عالم للدراسات العربية تصدر عن قسم العربية جامعة إلورن، العدد الثاني ٢٠١٥م، ص ٣٥.
- ٣- الدكتور عبد الغني أمبولاً عبد السلام، تأثير الثقافة العربية الإسلامية في آداب الشعوب الإسلامية: شعر الشاعر اليورباي ذكر الله أينيدى بارستا نموذجاً" مقالة نشرت في مجلة جامعة شعراء، العدد الرابع ٢٠١٥م، ص ١٣٢-١٣٣.
- ٤- نشرت في انترنت
- ٥- [https://en.m.wikipedia.org/wiki/Ayinde\\_Barrister](https://en.m.wikipedia.org/wiki/Ayinde_Barrister)
- ٦- من شريط بارستا بعنوان (Barru Precious Mum).
- ٧- من شريط بارستا بعنوان (Barrister Maturity) 1987
- ٨- من شريط بارستا بعنوان (Barri Dimensional) 1993
- ٩- المرجع نفسه
- ١٠- المرجع نفسه
- ١١- المرجع نفسه
- ١٢- المرجع نفسه
- ١٣- المرجع نفسه
- ١٤- المرجع نفسه
- ١٥- المرجع نفسه
- ١٦- المرجع نفسه
- ١٧- المرجع نفسه
- ١٨- المرجع نفسه

- ١٩- المرجع نفسه  
٢٠- المرجع نفسه  
٢١- المرجع نفسه  
٢٢- المرجع نفسه  
٢٣- المرجع نفسه  
٢٤- الحافظ ابن حجر العسقلاني "بلوغ المرام، مكتبة دار الفيحاء، ط ٢ ١٩٩٧م، ص ٤٣٤  
٢٥- سورة القصص: ٨٨  
٢٦- سورة القصص: ٨٨



## الشيخ أحمد أبو الفتح ودوره في تطوير الأدب العربي

### والدراسات الإسلامية في نيجيريا

الدكتور إدريس أبوبكر إمام

08038424317/07068222517

و

الدكتور إسحاق صالح سليمان

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرأوا، كيني - نيجيريا

08036147883/08073754347

#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن هذه المقالة تهدف إلى إبراز بعض إنتاجات أدبائنا وعرضها ودراساتها. ومحور هذه المقالة شخصية أدبية صوفية مشهورة، وهو الشاعر الماهر الشيخ أحمد أبو الفتح رحمه الله تعالى، والذي كانت آثاره ونشاطاته الأدبية محط أنظار الباحثين، وميداناً واسعاً للدراسات الجامعية في نيجيريا.

وسيتحدث الباحثان عن دوره في نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا؛ إبقاءً لآثاره وبياناً لمساهمته الفارقة في المجالين.

وتدور هذه المقالة حول النقاط التالية بعد المقدمة:

- نبذة تاريخية عن حياة الشيخ أحمد أبي الفتح ونشاطاته العلمية
- إسهاماته في تطور اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا
- الخاتمة

## نبذة تاريخية عن حياة الشيخ أحمد أبو الفتح العلمية والأدبية

### 1- مولده ونسبه:

ولد الشيخ العالم الفاضل الصوفي المالكي البيرواوي التجاني، التقي الورع الأديب المحقق الحاج أحمد بن علي بن أحمد المعروف بأبي الفتح<sup>(١)</sup>، في شهر رجب عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٣م، بقرية (سندو)<sup>(٢)</sup> وذلك بعد وفاة الشيخ عمر عربي الكانمي بأحد عشر شهراً<sup>(٣)</sup>.

وسندو قرية تبعد عن مدينة ميدغري بحوالي ثمانين كلومتراً، وهي قرية عامرة بالسكان من القراء والعلماء والتجار، يقول الشيخ أبو الفتح واصفاً لهذه القرية: "قرية سندو قرية صغيرة تابعة لحكومة عَوْنُو، فيها ضريح والدي ووالدي، قرية الخير والصلاح، قرية العباد والزهاد، والعلماء العاملين والفقهاء الصالحين والقراء المتقين والأولياء الواصلين<sup>(٤)</sup>."

يكنى الشيخ أحمد بن علي البيرواوي حيناً بأبي علي وبأبي العباس حيناً آخر، وكان قبل هذه الكناية ينسب إلى عاصمة ولايته فيقال له: البيرواوي<sup>(٥)</sup>.

حاز الشيخ أبو الفتح شرف النسب وعروبة الأصل، إذ ينتهي نسبه من جهة والده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ينتمي من جهة والدته إلى أصل عربي. وأما نسبه من جهة أبيه فهو أحمد بن علي بن أحمد بن محمد المصطفى بن محمد المختار بن آدم بن داود بن عبد الغني بن الزبير بن العباس بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومعلوم أن سيدنا الحسن السبط ابن السيدة فاطمة البتول بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول أبو الفتح مصرحاً بذلك في إحدى قصائده:

وَنَحْنُ بَنُو الرَّهْرَاءِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ حَقًّا بِلَا عَدِّ  
أَبُونَا عَلِيُّ ابْنِ عَمِّ مُحَمَّدٍ صَلَاةُ اللَّهِ وَتَسْلِيمٌ عَلَيْهِ مُجَدِّدٌ<sup>(٦)</sup>

وأما نسبه من جهة أمه فإنه يُخبر عن ذلك بقوله: "ووالدي اسمها ولقبها (نانا)، وقيل إن والدها اسمه الحاج محمد وقيل أنه رجل عربي تاجر من سكان مدينة "كنو"، أتى إلى مدينة آدموا فرآه عالماً مُؤدِّباً أحمد الكشناوي من علماء إمارة آدموا فزوجه ابنته الكريمة حواء

جدتي، وحواء هي من بنات الأسرة الحاكمة في أدماوا، وهي من قبيلة فلانية، وهذا ما سمعته من خالتي آمنة، بالنسبة لنسب أُمِّي (٧)".

## 2- نشأته وتعلّمه:

نشأ الشيخ أبو الفتح في قرية سندو، حيث تقيم أسرته، وكان والده "علي" معلماً للقرآن الكريم والعلوم الدينية والدراسات العربية، وقد تربى الشيخ على يدي والده تربية إسلامية في عفة، وكرم، وحب، وتضحية، وكفاح، فتعلم قصار السور من الذكر الحكيم وكيفية الطهارة والوضوء وكان عمره إذ ذاك دون الخامسة<sup>(٨)</sup>، كما تعلم من والده ركوب الخيل والسباحة، وكان والده يذهب به إلى جدول قريب من دارهم، فيدربه على السباحة، وظل مع والده على هذه الحالة مدة من الزمن حتى خرج إلى قرية غَرْبُوًا طلباً لتعلم القرآن الكريم وحفظه، حيث يذكر الشيخ هذه الرحلة بقوله: "ولما قربت وفاة والدي جعلني في يد تلميذه الأديب مالم علي وسافر بي إلى قرية غَرْبُوًا، ومكثت معه شهراً ثم رجعت إلى قريتنا العزيزة مسقط رأسي المحبوب - سندو - وتوفي والدي بعد عودتي من هذه القرية يوم الجمعة، ثم توفيت والدتي بعد وفاة والدي بيوم واحد، رحمهما الله"<sup>(٩)</sup>.

وبعد وفاة والده هاجر الشيخ مع أفراد أسرة أبيه إلى مدينة يَرْوَا يقودهم تلميذ والده مَالمَ بابَاجي، وفور وصوله إلى مدينة يروا أخذ يتعلم القرآن على يدي مَالمَ بابَاجي، ثم انتقل إلى مدرسة غوني غرب، وعليه دامت دراسته القرآنية لمدة ستة أعوام<sup>(١٠)</sup>، قبل انتقاله إلى قرية بنكوري واستمر في دراسته للقرآن الكريم على يدي مَالمَ أبوبكر الدوالي، وقد ختم عليه القرآن الكريم إلى جانب ذلك، وكان يغشي مجالس العلماء في القرية لينهل من العلوم الدينية والعربية. قرأ أيضاً على يدي الماهر مَالمَ مَتَارُ القرآن الكريم وتجويده<sup>(١١)</sup>، واستفاد من علماء زمانه في مختلف المناطق، متأثراً بالبيئة العلمية التي أحاطت به مما مكّنه من دراسة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والثقافة العربية في وقت مبكر من حياته.

## 3- مشايخه وتلاميذه:

سافر الشيخ أحمد أبو الفتح إلى عدة مناطق طلباً للعلم والمعرفة في فنون مختلفة، فغادر مسقط رأسه -سندو- إلى مدينة كنو وزاريا وغيرها من مدن نيجيريا، وأما بالنسبة لرحلته الخارجية، فقد سافر الشيخ إلى دول كثيرة، منها: السنغال وجمهورية بنين والنيجير وجمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية<sup>(١٢)</sup>، فأخذ عن جمع غفير من العلماء في هذه الرحلة، منهم: الشيخ العالم غوني غرب والد العالم أباغوني الصديق، وأبو بكر الدواكي، والشيخ الأستاذ الحاج محمد الثاني بن العالم موسى ميلافيا الذي قرأ عنده دليل القائد إلى معرفة العقائد، وهو كتاب منظوم وتناول معه أيضاً كتاب شرب الزلال إلى بيان الحلال والحرام، الذي قام بشرحه والتعريف به الدكتور إبراهيم محمد، وأخذ عن الشيخ أبي بكر عتيق، ولازمه في داره وأخذ عنه العلوم المتنوعة في المعقول والمنقول، وعنه أخذ التصوف والطريقة التجانية، وجدد العهد معه قبل الاتصال بشيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي<sup>(١٣)</sup>، وأخذ عن الأستاذ الكبير العالم عثمان نُحُوري وعن الأستاذ الجليل الفقيه الشهير العالم غوني كلتومي، وعن العالم أبي بكر الذي قرأ عليه المعلقات الست، وكما قرأ عليه كتاب مقامات الحريري للحريري، وأخذ عن الشيخ الفاضل الفقيه واللغوي الأستاذ زكريا كتاب ألفية ابن مالك<sup>(١٤)</sup>.

والملاحظ أن الشيخ أحمد أبو الفتح قد تأثر بمشايخه الذين أخذ عنهم العلوم الدينية والصوفية والأدعية، وعلى رأسهم الشيخ الفاضل التقى الأديب الفقيه الصوفي الحاج أبوبكر عتيق الذي تلمذ له، فأخذ عنه علوم الطريقة التجانية والتصوف على وجه العموم، ومن أكبر المشايخ الذين تأثر بهم تأثراً في هيكله وروحه هو شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي بأرض السنغال عام ١٣٧١هـ، ومكث معه ستة أشهر، وجدد له ورد الطريقة التجانية، وقدمه فيها، واستفاد الشيخ من مجالسه العلمية، ثم أذن له بالرجوع إلى وطنه نيجيريا، وأمره بأن يسكن في مدينة يروا<sup>(١٥)</sup>.

وأما من جانب تلاميذ الشيخ أحمد أبي الفتح، فلقد تخرج على يديه عدد كبير لا يُعدّ ولا يُحصى، فمنهم من نبغوا في العلم والمعرفة، ومنهم من لا يزال في طور النضج والاكتمال،

وقد تبين أن الشيخ أحمد أبو الفتح قد خرج جملة من مشاهير العلماء في العلم والمعرفة، وذلك لسعة صدره وجهده ووفرة نشاطه في نشر اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية بين أفراد قومه<sup>(١٦)</sup>، فكان ذلك مساهمة منه في نشر الثقافة العربية والإسلامية. وكذلك نرى أن إنتاجاته العلمية والفنية لا تقل أهمية عن تلك التي خلفها العلماء المسلمون في بلاد العرب والمدن الإسلامية الكبرى، فجزاها الله عنا وعن اللغة العربية والدراسات الإسلامية الجزاء الأوفى، آمين.

#### 4- وفاته:

انتقل الشيخ أحمد أبو الفتح إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر صفر عام: ١٤٢٤ هـ الموافق الثالث والعشرين من أبريل عام: ٢٠٠٣م<sup>(١٧)</sup>، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، آمين.

#### إسهاماته في تطور اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا:

يتجلى دور الشيخ أبي الفتح في هذا المجال من خلال النقاط التالية:

1- تأسيس المدارس: لقد تميز الشيخ أحمد أبو الفتح بحب العلم والعلماء وكان دوره الكبير هو التعلم والتعليم، فعرفه الكثير من الناس بهذه الخصال التي كانت تلازمه، فكان واضحاً في سلوكه لدى الطلبة عامة وأتباع الطريقة والفيضة خاصة، فقد اشتهر بين العامة والخاصة بكنية أبي الفتح وأبي الفتوحات وذلك لدوره الفعال في تطور اللغة العربية والدراسات الإسلامية على وجه العموم، والمعرفة الربانية والطريقة التجانية والفيضة الإبراهيمية على وجه الخصوص<sup>(١٨)</sup>.

ومن هنا أصبح الشيخ إماماً لطلاب العلم ونبضة قوية من ناحية العمل في نشر العلم والمعرفة، وتعليم الناس منهج الحق والمعرفة الربانية، ومحاربة البدعة المحرمة، وعندما استقر في مدينة يَرَوَا - بميدغري - بعد رحلاته المختلفة في طلب العلم داخل نيجيريا وخارجها، قام بجد واجتهاد في نشر العلم أكثر مما كان عليه في السابق، وبكل تأكيد اتسعت مدرسته العلمية بعد ظهور الفيضة الإبراهيمية وتطورت بعد ذلك إلى معهد الحاج أحمد أبو الفتح. وفي عام

١٩٩١م، رأى الشيخ أن يوسع هذه المدرسة العلمية لأبناء المسلمين في هذه البلاد، فأسس كلية علمية أدبية سماها: "ثانوية الشيخ أحمد أبو الفتاح" وبعد ثلاث سنوات أنشأ قسماً خاصاً لتحفيظ القرآن الكريم، ومدرسة لمحو الأمية للكبار وأخرى للسيدات، وله مؤسسة باسمه للإشراف على مدارسه إدارياً، ولنشاطات أخرى كحل المشاكل الاجتماعية، وتعد هذه المدرسة من أقدم المدارس العربية في مدينة ميدغري، والتي بنيت على أساس رضا الله ومنهج تربية رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم<sup>(١٩)</sup>.

وقد تخرج عدد كثير في هذه المدارس، وقاموا بمجد واجتهاد في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مختلف مناطق ولاية برنو خاصة وفي جمهورية نيجيريا عامة.

وقدم الشيخ أحمد أبو الفتاح في مجال الدعوة إلى الله تبارك وتعالى جهوداً كبيرة جداً حيث قامت مجموعة من أتباعه برحلات دعوية لنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مختلف المناطق في برنو وما جاورها في داخل نيجيريا وخارجها، وكان منبره العامر في بيته يعتبر صوت الحق الذي ينادي به الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى، فأسلم على يده الكثير من الناس بمختلف قبائلهم وأجناسهم، وكان يقوم بتوجيه الناس وحثهم على التمسك بالكتاب والسنة النبوية والمحافظة على شعائر الإسلام وآداب الطريقة التجانية، ويعتبر موسم المولد النبوي الشريف من أهم اللحظات واللقاءات التي ييئ فيها الشيخ أبو الفتاح توجيهاته وأفكاره حين يلتقي بوفود الدول المجاورة، فالمولد من أهم المنابر التي تتركز عليها آمال كثير في نشر الثقافة العربية والإسلامية على وجه العموم والطريقة التجانية على وجه الخصوص<sup>(٢٠)</sup>.

ولم يزل الشيخ أحمد أبو الفتاح رحمه الله تعالى مولعاً بحب القراءة والتأليف ونظم الأشعار طوال حياته مع ما يكابد من أشغال الأعمال الخيرية والتعليم والوعظ والإرشاد إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

2- المؤلفات النظرية والشعرية: وقد ألف الشيخ أحمد أبو الفتاح ما بين منشور ومنظوم ثلاثة وخمسين كتاباً، تناول فيها قضايا الدين الإسلامي، واللغة العربية والتاريخ، والتصوف

- الإسلامي وعلوم الطريقة التجانية، وله عدة قصائد في المدائح النبوية ومدح شيوخ الإسلام والأحباب في الله. وهذه الكتب بعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط كما يلي:
- ١ - استغاثة: هو كتاب منظوم من بحر الرجز يبلغ عدد أبياته ثلاثة وثمانين بيتاً، ألفه الشيخ عام ١٣٨٥هـ وهو مخطوط غير منشور.
  - ٢ - إفادة الكرام بتاريخ مولد خير الأنام: وهو كتاب منشور ألفه في تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنه، عام ١٤٠٠هـ، وهو مخطوط غير منشور.
  - ٣ - الاقتناص في شرح سورة الإخلاص: هذا الكتيب عبارة عن شرح سورة الإخلاص يقع في عشر صفحات، ألفه الشيخ ليسهل معرفة ما تحمله هذه السورة من الفضائل والأسرار الربانية.
  - ٤ - تحفة الأطفال: هذا الكتاب عبارة عن علم النحو وهو كتاب منشور على نظام سؤال وجواب، ألفه الشيخ في شهر الله المبارك شهر رمضان، عام ١٣٧٤هـ.
  - ٥ - خمس قصائد: منظوم من بحر الطويل، يقع في أربع صفحات، ألفه الشيخ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.
  - ٦ - خلاصة الجوهر في قواعد علمي المعاني والبيان: هو كتاب منشور يقع في ثلاث وثمانين صفحة وضعه على أسلوب السؤال والجواب، وهو مخطوط بدون التاريخ.
  - ٧ - الدرر المنتور: وهو كتاب منشور يحتوي على ثمانين عشرة صفحة، ذكر فيه الشيخ الأحداث التي مر بها في رحلته لمدينة كوخ وفاس ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة، وهو غير مطبوع بدون تاريخ.
  - ٨ - معين الطالب الراغب في معرفة مصطلح الحديث: هو كتاب صغير الحجم منشور يقع في إحدى وعشرين صفحة، ألفه الشيخ لمعرفة علم مصطلح الحديث على كيفية سؤال وجواب عام ١٣٨١هـ، وهو مخطوط غير منشور.
  - ٩ - مفتاح الأسفار إلى مكة المشوقة: وهو كتاب منشور صغير الحجم يقع في ثمان وعشرين صفحة، ألفه عام ألف وأربعمائة وخمسة ١٤٠٥هـ، وهو مخطوط غير منشور.

١٠ - نتائج الأسفار في الصلاة على سيدنا محمد النبي المختار: هو كتاب جمع فيه بين النثر والنظم، ويحتوي على اثنتين وثلاثين صفحة، ألفه الشيخ في الصلاة والمدح على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مخطوط بدون التاريخ.

١١ - ديوان شعر المديح، ويحتوي على سبع وثلاثين وثمانمائة وألفي بيت (٢٨٣٧) من سبعين ومائة قصيدة (١٧٠)(٢١).

وللشيخ أبي الفتح قصائد أخرى في مدح الشيوخ غير هذا الديوان ومن هذه القصائد

ما يلي:

١ - قصيدته البائية في مدح الشيخ أحمد محمد بن محمد الكبير العلوي، وعدد أبياتها تسعة أبيات.

٢ - قصيدته البائية في مدح الشيخ إبراهيم انياس، ويحتوي على أحد عشر بيتاً.

٣ - قصيدته في مدح الشيخ علي سيسي، تحتوي على ثلاثة عشر بيتاً.

٤ - قصيدته البائية في مدح الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه، ولها عشرون بيتاً.

٥ - قصيدته التائية في مدح الشيخ إبراهيم انياس، وتحتوي على عشرين بيتاً.

٦ - قصيدته الحائية في مدح الشيخ أحمد التجاني، وعدد أبياتها ثمانية أبيات.

٧ - قصيدته الدالية في مدح الشيخ إبراهيم انياس، وتشتمل على تسعة عشر بيتاً.

٨ - قصيدته الرائية في مدح الشيخ أحمد التجاني، وتحتوي على ثلاثة عشر بيتاً.

٩ - قصيدته الرائية في مدح إبراهيم نياس، وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتاً.

١٠ - قصيدته اللامية في مدح الشيخ إبراهيم انياس، وتحتوي على أربعة عشر بيتاً.

١١ - قصيدته النونية في مدح الشيخ ابن عمر، وعدد أبياتها أربعة عشر بيتاً<sup>(٢٢)</sup>.

ومما سبق عرضه من المؤلفات يتجلى بوضوح أن الشيخ أحمد أبا الفتح رحمه الله

تعالى، من الشعراء البارزين في المدح النبوي ومدح كبار العلماء ومشاهير الشيوخ الصوفيّة، بل

كان فارساً من فرسان هذا الميدان.



ومن نماذج إبداعه الشعري، قصيدته الرائية التي مدح فيها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن فيها، وهي تحتوي على أربعة عشر بيتاً من بحر الطويل:

- ١ - مَدِينَةُ حَيْرِ الْخَلْقِ لِلدِّينِ مَظْهَرُ وَمَهَبْتُ وَحْيِ اللَّهِ لِلْقَلْبِ مُظْهَرُ
- ٢ - وَفِيكَ رَسُولُ اللَّهِ أَحْمَدُ ضَاجِعٌ وَفِيكَ لِأَنْصَارِ النَّبِيِّ وَمُنْصِرُ
- ٣ - أَتَيْنَاكَ مِنْ بَرْنُو لِأَجْلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا طَابَ مَظْهَرُ
- ٤ - أَتَيْنَاكَ مِنْ حَوْضِ بِشَوْقِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْصُرُ
- ٥ - مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حَامِدٌ عَظِيمٌ عَظِيمٌ الْخَلْقِ لِلدِّينِ مَفْخَرُ
- ٦ - رَكِبْنَا حُطُوطَ الْجَوِّ نَحْوَ مُحَمَّدٍ فَطَارَتْ بِنَا نَحْوَ الْحَبِيبِ وَنَشْكُرُ
- ٧ - وَنَشْكُرُ رَبَّ الْعَرْشِ سِرًّا وَجَهْرَةً وَنَحْمَدُهُ حَقًّا وَنَعْمَاهُ نَذْكُرُ
- ٨ - أَتَيْنَاكَ يَا حَيْرَ الْأَنَامِ مُحَمَّدًا وَنَرْجُو الرِّضَا وَالْجُودَ مِنْكَ وَتَطْهَرُ
- ٩ - تُطَهَّرُ أَذْرَانِ الْقُلُوبِ تُقَرَّبُ لَنَا كُلُّ مَحْبُوبٍ مِنَ الْعِلْمِ تُظْهَرُ
- ١٠ - أَتَيْنَا مَعَ الْأَحْبَابِ جَمْعَ أَحَبَّةٍ وَنَرْجُو الْجَدَا وَالْمَنَّ دَوْمًا تُكْرَرُ
- ١١ - سِرَاجُ مُحَمَّدٍ مَعَ عَلِيِّ عَلَيْنَا وَعَبْدُ الْإِلَهِ رَبِّ يَسَّرَ مُيَسَّرُ
- ١٢ - وَمِنْهُمْ أَمِينٌ مَعَ إِبْرَاهِيمَ كَامِلٌ وَمَسْكِينُ أَهْلِ اللَّهِ يَسَّرَ مُقَدَّرُ
- ١٣ - عَلَى الْمُصْطَفَى هَادِي الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً وَتَسْلِيمًا مَتَى قِيلَ: مُظْهَرُ
- ١٤ - وَآلِ وَأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَاةً وَتَسْلِيمًا مَتَى قِيلَ: كَوْتَرُ (٢٣)

مضمون هذه القصيدة يظهر بوضوح لمن وقف على هذه الأبيات السابقة أن

الشاعر الشيخ أحمد أبو الفتح افتتح قصيدته الرائية مباشرة من دون مقدمة معروفة لدى الشعراء النيجيريين، وعند الشعراء المجاهدين في القرن التاسع عشر والعشرين من افتتاح أكثر قصائدهم بالتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل قول محمد التجاني، في مطلع قصيدته التي رثى بها مدينة ميدغري (٢٤):

الحمد لله هادين ومرشدنا فاهدي بفضلك جنيا وإنسانا  
يا رب صلي على المختار قدوتنا وأهل بيت وأصحاب بإحسانا

وكذلك لم يذكر شيئاً من الأحبة وما بكى وما وقف على الأطلال والآثار كعادة جل الشعراء القدامى، ولكن ختم قصيدته الرائية بالصلاة والتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم، فبذلك عبر الشيخ عما يجول في قلبه وقاله من رغبته وسرور زيارته لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفها بأنها مدينة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر أنها مظهر للدين الإسلامي ومهبط وحي الله الذي يطهر القلوب، ويذكر خصال المدينة المنورة بأنها مضجع الرسول صلى الله عليه وسلم وأنصاره.

واستمر الشيخ مخاطباً المدينة المنورة بأنهم أتوا إليها من برنو لأجل حب الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جذبتهم العاطفة القوية النابعة من الوجدان المخلص والحب الصادق، والتي تجعلهم يقرون بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه المطلق وشوقهم الخالص له، وواصل في وصف رحلتهم إلى المدينة المنورة عبر الخطوط الجوية، متجهين نحو أرض الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر لرب العرش العظيم على هذه النعمة التي أنعمها الله عليهم لزيارة هذه البقعة الطاهرة؛ تحقيقاً لقوله تعالى: (واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) [النحل: ١١٣]

ثم ينتقل الشيخ أحمد أبو الفتح (رحمه الله تعالى) في قصيدته الرائية إلى التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أنهم أتوا إلى خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طالبين منه الرضا والجود وتطهير القلوب من الذنوب وأن يفتح لهم باب المعرفة في جميع العلوم، وذكر الشيخ أسماء الوفد الذين كانوا معه في هذه الرحلة المباركة، وهم: السيد سراج محمد، والسيد علي، والشيخ عبد الله، والحاج محمد أمين، والسيد كامل، والشيخ أبو بكر المسكين.

ثم ختم أبو الفتح قصيدته بالصلاة والتسليم على المصطفى هادي الأنام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وهذا يدل على أن الشاعر متأثر بالمبادئ الإسلامية ومتحل بها في سلوكه.

وقد شارك الشيخ أحمد أبو الفتح علماء عصره في تناول هذا اللون من الشعر في الأدب الإسلامي الذي يصور الوجدان الخالص والحب الصادق والشوق إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من مميزات الشعراء الإسلاميين في القرن التاسع عشر والعشرين في هذه البلاد.

ويلاحظ أن الشاعر في هذه الرائية استعمل كلمات سهلة رقيقة، بعيدة عن الغرابة، والتصنع مع وضوح المعاني وبساطتها دون تعمق أو تعقيد، لأن الموضوع موضع تواضع وخشوع وأدب.

### الخاتمة

تتبع هذه الدراسة نذرةً تاريخيةً عن حياة الشيخ أحمد أبي الفتح، من نسبه، ومولده، ونشأته، وتعلمه، ورحلته في طلب العلم، ومشايخه، ووفاته. ثم تحدثت عن دوره في تحريك عجلة الأدب العربي والدراسات الإسلامية إلى الأمام، عن طريق التعلم والتعليم، وتأسيس الكليات العربية والأدبية، وتأسيس المراكز العلمية، إعداديةً كانت أو ثانويةً، وتكوينه الجماعة الدعوية. ثم عرضت مؤلفاته المنظومة والمنثورة، كما عرضت نموذجاً من إبداعه الشعري.

وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها ما يأتي:

- ١ - قيام الشيخ أحمد أبي الفتح البيرواوي رحمه الله تعالى بدورٍ فعّالٍ في نشر اللغة العربية وآدابها شعراً ونثراً، والدراسات الإسلامية فقهاً وتوحيداً، وفي الأوراد والنصائح والأدعية.
- ٢ - مساهمته مساهمة جبارة في حركة التأليف العربي في نيجيريا بوجه عام، وفي الإنتاج الأدبي العربي بوجه خاص في بلاد إفريقيا. وكانت هذه المؤلفات كثيرة ما بين منشور ومنظوم، تناول فيها قضايا الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ والتصوّف الإسلامي، والمدائح النبوية ومدح كبار شيوخ الإسلام والأحباب في الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.
- ٣ - دوره الكبير في نشر الأدب العربي، كونه أديباً فارساً من فرسان هذا الميدان خلال القرن العشرين.

الهوامش والمراجع

- ١ - إبراهيم محمد حسن، مساهمة مدارس العلم في نشر الثقافة الإسلامية في برنو، في الفترة ما بين ١٩٦٠-٢٠١٠م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو - كنو، ٢٠١٢م، ص ١٦٢.
- ٢ - وهي قرية في حكومة كندوغا المحلية في ولاية برنو.
- ٣ - محمد مرتضى أبو الفتح، الفتح العلي، كتاب مخطوط، ص ٤.
- ٤ - أحمد علي أبو الفتح (الشيخ)، الورقات، كتاب مخطوط، ص ٢.
- ٥ - اليرواوي نسبة إلى بلد يروا، وكلمة "يروا" تعني في اللغة الكانورية ذو خير كثير، وأرض يمر بها أنهار عذبة، وهو الآن يسمى ميدغري.
- ٦ - محمد ثالث بقّه، الشعر الصوفي للشيخ أحمد أبو الفتح اليرواوي، بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية بجامعة ميدغري، ١٩٩٥م، ص ٤٢.
- ٧ - عثمان إلياس أبو بكر، الشيخ أحمد أبو الفتح يروا ومساهمته في الثقافة العربية والإسلامية في نيجيريا، بحث مقدم لنيل درجة الليسانس في اللغة العربية بجامعة ميدغري، ١٩٨٦م، ص ٣.
- ٨ - جمال محمد صالح، موجات الشعر العربي البرناوي: دراسة فنية لنماذج مختارة من إنتاجات الشيخين أحمد بن علي أبي الفتح وأبي بكر المسكين، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العربية بجامعة ميدغري، ٢٠٠٦م، ص ٦٨.
- ٩ - جمال محمد صالح. المرجع السابق، ص ٦٨.
- ١٠ - محمد مرتضى أبو الفتح، الفتح العلي، المرجع السابق، ص ٨.
- ١١ - المرجع نفسه، ص ٩.
- ١٢ - إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ)، الاستدكار لما لعلماء برنو من الأخبار والآثار، د.م.، د.ط.، د.ت.، ص ٩.
- ١٣ - عثمان إلياس أبوبكر، المرجع السابق، ص ٦٨.

- ١٤ - إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص ١٧٠.
- ١٥ - محمد ثالث بَقَّه، المرجع السابق، ص ٤٢.
- ١٦ - المرجع نفسه، ص ٤٣.
- ١٧ - إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص ١٧٣.
- ١٨ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٩ - عبد القادر عبد الكريم هارون، مدح الشيوخ في شعر علماء ميدغري: عرض ودراسة تحليلية لنماذج مختارة، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بايرو، كنو، للحصول على شهادة الماجستير، ٢٠٠٨م، ص ٦٥.
- ٢٠ - أحمد عمر بشير، مختارات من شعر المدح في ولاية برنو، ما بين عام ١٩٦٠- ٢٠١٠م، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العربية بجامعة ولاية نصرأوا، كيني، نيجيريا، للحصول على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، ٢٠١٥م، ص ١٥٩.
- ٢١ - عثمان إلياس أبو بكر، المرجع السابق، ص ٢٧.
- ٢٢ - صالح أحمد أبو الفتاح (الدكتور) وآخرون، ومضة من درر أبي الفتاح، جمع وترتيب، د.ط.، ٢٠٠٨، ص ١٤.
- ٢٣ - المرجع نفسه، ص ٨٢.
- ٢٤ - خديجة أبوبكر مختار، مراثٍ قيلت في المرحوم الشيخ أبوبكر المسكين: دراسة أدبيّة تحليليّة لنماذج مختارة، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العربية، كلية الدراسات العليا بجامعة ولاية نصرأوا، ٢٠١٩م، ص ٦٥.

جماليّات اللّغة السّرديّة عند الأستاذ الدكتور جمبا  
(الوصف في "التفّج برحلة لندن وكامبردج" نموذجاً)

الدكتور سليمان صالح الإمام الحقيقي  
Bayero University Kano, Kano State  
080 3411 9791

المقدمة

للسرد الرحلي حضور متميّز في الثقافة العربية في نيجيريا، وكان أفقا معرفيا جديدا يتمتع به الحوذة الأدبية منذ منتصف القرن الماضي حيث هناك كثير من الكوادر الرحالين النيجيريين كـ"وزير جنيد والعلامة الإلوري والمسكين والقلنسوي والكبري وأمثالهم. يتميز البروفيسور جمبا الرحالة المبدع النيجيري بالتركيز الشديد في أعماله السردية الرحلية على التصوير الدقيق، والتقصي والاستيعاب الشديد لكشف الجاهل، والتشويق الطريف لجميع المدن التي زارها بكل تفاصيلها وعاداتها وشعوبها وحكاياتها، فهو في اشتغالاته السردية ينهض بأدب الرحلة إلى آفاق التطوير فكرة وأسلوباً شكلاً ومضموناً.

رحلة "لندن وكامبردج" وهي الرحلة الرابعة لجمبا، تعني بتقديم معلومات ضافية وصور دقيقة عن واقع حالاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية إضافة إلى رسم خريطة علمية قومية وصحيحة عن موقعهما الجغرافي وحياة شعوبهما بين البلدان الأوروبية المتطورة. قام جمبا في رحلته هذه بتسجيل واقع الظروف المحيطة بتينك المدينتين في وصف الحياة فيها والإنسانية والطبيعة وآفاق التطورات الحديثة اللافتة للنظر مما يدفع الباحث ليقف على ظاهرة "الوصف" الذي أخذ مساحات شاسعة من مكونات رحلته. والوصف - كما هو شائع عند نقاد السرد - مكون سردي لا يمكن الاستغناء عنه بحته في تحليل اللغة السردية، والرحالة يصف الشخصيات والزمان والمكان والأحداث والطبيعة والحركات والأفعال وصفا دلاليا في لغة بسيطة مستخدمة في ذلك ضمير المتكلم لتكون أكثر قدرة لرصد

الاختلاجات النفسية الداخلية العميقة. فعليه يأتي تأطير الورقة بعد مقدمة إلى محاور ثلاثة: المحور الأول تأطير صورة الذات وبنية الرحلة، والمحور الثاني وظائف الوصف في السرد الرحلي. أما المحور الثالث والأخير فالمضمون السردى للرحلة وكيف أخذ الوصف مكانه في اللغة السردية ثم الخاتمة. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

### المحور الأول : تأطير صورة الذات وبنية الرحلة:

وُلد البروفيسور مشهود بن محمود جمبا بمدينة إلورن سنة ١٩٦٣م، وتعلم في مدارسها. نال شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجامعة الأزهر عام ١٩٨٧م. ثم حصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه ما بين ١٩٩٥ - ٢٠٠٦م في تخصصه الدقيق العالى "الأدب العربى الحديث". وقد عمل محاضرا في كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لمدة ١٣ عاما، تولى خلالها رئاسة القسم العربى، وعمادة شؤون الطلاب، ومعهد اللغات. وفي جامعة ولاية كوغى تم توظيفه أستاذ مساعدا، وقضى فيها ست سنوات، تولى خلالها رئاسة القسم العربى وتنسيق الدراسات العليا للقسم نفسه. فمن هنالك دعته جامعة ولاية كوارا بمليتي نتيجة ما لحظت فيه من الخبرات الأكاديمية الطويلة، والتجارب الإدارية الثرية، والرؤى البعيدة في آداب الإنسانية والقومية والوطنية. وله مبادرات علمية كثيرة ومتنوعة الفنون. علاوة على ذلك كان متزوجا بزوجين كريمتين ورزق منهما بنين وبنات وحفدة.<sup>١</sup>

**بنية رحلته:** أما من ناحية بنية هذه الرحلة - رغم أن كل رحلة تقوم أساسا على بنية السفر والانتقال مع تسجيل الوقائع التي جرت والزمن الذي تستغرقه<sup>٢</sup> - فإنها كانت ذات بنية نمطية أصلية من حيث الانطلاق والوصول إلى الهدف ثم العودة إلى نقطة الانطلاق، ومن هذه الأنماط الأصلية تتفرع منها بنيات أنماطية فرعية أخرى وهي كالتالي:

- **البنية التمهيدية:** تتمثل في نزول الرحالة الدكتور جمبا بمطار محمد السادس بمدينة الدار البيضاء. ومنها إلى مطار هيثرو الدولي بمدينة لندن. وقد أعطى القارئ دقة التصوير لواقع هذا المطار الجغرافي ومكائنها بين مطارات بريطانيا من حيث المساحة والاتساع والنشاط والانشغال والخدمة ثم التغيير الذي طرأ عليه من جانب تعديل اسمه من مطار لندن إلى

مطار هيثرو. والصعوبة التي أذاقته فتاة بريطانية مليحة من صالة قسم الجوازات وتنتهي هذه الإجراءات بدخوله مؤخرًا بريطانيا.

- **البنية الكبرى:** وهي التي تتفرع إلى ثلاث بنيات أخرى كما سبق ذكرها هي: الذهاب، والوصول، والعودة.

١ \_ **الذهاب:** يتدأ بالخروج من مدينة إلورن المحروسة حتى الوصول إلى ليغوس، ومنها أقلعت به الطائرة إلى المغرب، ولندن، وكامبردج وصولاً إلى المكان المعد للورشة في كلية الدراسات الآسيوية والشرق الأوسطية في حي سيدوك Sidgwick<sup>٣</sup> وذلك بعد يومين من الخروج من نيجيريا.

2- **الوصول إلى لندن وكامبردج والمكان المعد للورشة،** ومنها تتبلور بنيات أخرى، وهي:

أ\_ **الشروع في المحاضرات حول نظريات علم المخطوطات** وقد تناولت "علم الكوديكولوجيا"، و"ملاحظة المخطوطات المصنوعة من الكاغد والرق" و"العلامة المائية" و"الكوادكس وكراسات المخطوطات" وقضية مواصفات المخطوطات" و"تزيين المخطوطات والرسوم عليها"، و"فن تجليد المخطوطات عند المسلمين وعند الغربيين". ثم حول "المكتبة الإسلامية في العصور الوسطى".

والمحاضر في هذا الجانب كله هو الأستاذ فرنسوا ديروش الفرنسي الجنسية.<sup>٤</sup>

ب \_ **الشروع في المحاضرات حول التدريب اليدوي،** والمحاضر في هذا الجانب التطبيقي هي رَيِّكََا غولدي.

ج \_ **الاختبارات العامة على المعلومات المأخوذة أو المحصلة،** ثم توزيع الشهادات على جميع الحضور، وأخذ صور جماعية تذكارية مع الأستاذين : ديروش، ونوريا.

د \_ **زيارات بعض الأماكن والجامعات والأحباب وزملاء الأزهر بالقاهرة أيام التلمذة.**



3- العودة من بريطانيا إلى نيجيريا وإلورن عقر داره، وإلى جامعة ولاية كوارا بمليتي مكان عمله وميدان نشاطه. وهكذا انتهت هذه الرحلة التي أضفت على الحياة الأدبية في نيجيريا طابعا جديدا وآفاقا متميزة خاصة وفي الآداب الإنسانية عامة.

### المحور الثاني : وظيفة الوصف في السرد الرحلي:

لاشك أن الرحلة جنس أدبي سردي معاصر تقوم أساسا على بنية السفر والانتقال مع تسجيل الوقائع والأحداث التي جرت في الأمكنة الأليفة منها أو العادية، المنفتحة منها أو المغلقة، والأزمنة التي تستغرقها. وعلى الرغم من تقاطعاتها مع الحقول المعرفية الإنسانية الأخرى فإنها تشتمل على السرد والوصف والحوار. وأما السرد فهو نسج الدروع كما جاء في قوله تعالى "أن اعمل سابغات وقدر في السرد". وكمصطلح جديد في النقد الأدبي الحديث للقص يدل على "الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب جزءا من الحدث أو جانبا من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملحما من الملامح الخارجية للشخصيات، أو قد يتوغل في الأعماق، فيصف عالمها الداخلي وما يدور فيه من خواطر نفسية أو حديث خاص بالذات".<sup>٥</sup>

أما الوصف فهو "تمثيل الأشياء والحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها، مكانيا لا زمانيا". ونفهم بناء على التعريف الوجيز السابق أن الوصف قناة كبيرة من قنوات تواصلية ومعرفية وتعليمية، وكان جسرا متينا من جسور التواصل بين الكاتب والمتلقي، وإحدى المرجعيات اللغوية المهمة في النص السردي الرحلي. وكان الرحالة المبدعون يتوسلون بها في نقل تجاربهم الشخصية ومشاهداتهم الرحلية، لكونه صيغة من صيغ الخطاب وآلية من آلياته لم تستغن كل الأجناس الأدبية عنه، إضافة إلى أنه مكون أساسي من مكونات الأعمال الأدبية. وقد عرفه الأدب العربي القديم معرفة جيدة ومقننة، حتى اعتقد القدماء بأن أبلغ الوصف هو الذي جعل السمع بصرا.

أما أهم وظيفة الوصف في النص السردي الرحلي فيأتي في خلق البيئة التي تجري أحداث الرحلة فيها لتمثل المشاهد من الأمكنة والأشخاص والمناخ الطبيعي أمام المتلقي

الذي لم يسبق له أن رآه بعين رأسه، وهذه الوظيفة الفنية للوصف يؤديها الكاتب الرحالة للمتلقى بطريقة أسهل، لتأدية دور ما في بناء الحدث حيث يقدم الأشياء الموصوفة كما يراه هو، لا كما يراه المتلقي. فهذا هو إحدى مفارق الطريق بين الرحلية الواقعية والرواية المتخيلة حيث يقدم الكاتب الروائي الأشياء الموصوفة ليس كما يراها هو، بل كما تراها شخصياته الروائية لكي تحقق شيئا من المنطقية الفنية. وله وظائف عامة كوظيفة واقعية: تعني تقديم الشخصيات والأشياء والفضاء المكاني والمدار الزمني كمعطيات حقيقية للرؤية بواقعيتها. ثم وظيفة معرفية: تعني كذلك تقديم معلومات جغرافية ضافية أو تاريخية أو علمية أو غيرها مما يهدد بترهين النص الرحلي إلى نص وثائقي أو تعليمي. ثم وظيفة سردية: وهي التي تزود القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن والأزمنة والشخصيات. وكذلك وظيفة جمالية: وهي التي تعبر عن موقع الكاتب الرحالة داخل نظام السردية الجمالية الأدبية.

وعلى هذا الأساس، يلاحظ أن الوصف في النص الرحلي يختلف إلى درجة كبيرة عن الوصف في الأجناس السردية الأخرى كالرواية والقصة والمقامة وأمثالها، إذ كان يعتمد على التجربة السفريّة الفعلية وعلى المشاهدة والمعاناة والعيان باعتبارها منابع أصلية فياضة، وأساسية قوية للمعرفة المحسوسة. وفوق ذلك يبدو أن الوصف بطبيعته في النص الرحلي يساهم إلى جانب السرد في شتى تجلياته الخطابية، كما أن السرد يدعمه في طبيعته ليس في وظيفة الاتصال والإفهام والإبلاغ وبث دواعي المتعة الجمالية الفنية في نفسية المتلقي فحسب، بل في التداول على تقنيات الخطاب السردية الرحلي وخاصة فيما يتعلق بالأمكنة باعتبارها هاجس الرحالة. لذلك يؤكد الناقد مرتاض عبد الملك بمقولته الفلسفية "وقد يكون الوصف أكثر ضرورة للنص السردية من السرد، إذ ما أيسر أن نصف دون أن نسرد، ولكن ما أعرس أن نحكي دون أن نصف"<sup>٦</sup>.

### المحور الثالث : المضمون السردية لرحلة "لندن وكامبردج" :

تعتبر رحلة لندن وكامبردج رحلة جماعية ثقافية واقعية أشخاصها واقعيون. وقد أخذت مادتها من الواقع وعلى أساس الحقيقة الواقعة ليس للتخيّل فيها بصورة موسعة موضع ولا

مكان، كُتبت لإثراء القراء بالتجارب الإنسانية الهادفة، وهي معنية بتقديم عدة وجهات النظر للمدن التي زارها الكاتب ليُشرك المتلقين بنوع ما من تلك التجارب. وقد بنى هذه الرحلة على أساس شخصيات سردية متعددة: "نافع حلاق ماهر" و"مسعود الهادي" و"عبد الرحيم" و"ابن الشيخ" وكلهم زملاء الكاتب أيام الطلب بجامعة الأزهر، ثم "السيد ماجد" و"السيد محمود علام الهندي" وحسام الباكستاني وغيرهم من رفقاء الكاتب في المؤتمر. ثم على أساس أمكنة منفتحة منها أو مغلقة كمطارات ومساجد وفنادق وغرف وجامعات وبيوت ومطاعم والطرق والشوارع وسكن الطلاب، وغيرها من الأمكنة والأزمنة التي يفيد الكاتب العالم بتسجيل تجربته حولها خلال رحلته التي استغرقت اثني عشر يوما ذهابا وإيابا. فعليه تبدو التوصيفات التي تناولتها رحلة لندن وكامبردج باللغة السردية الواصفة في العناصر التالية:

#### وصف الشخصيات:

إن وصف الآخرين من قبل الرحالة سواء كان مضيفا أو مصاحبا أو مصادفا أو مقصودا ومهما كان انتماءه الاجتماعي والاقتصادي أو مستواه الثقافي، أمر يأخذ من خطاب السارد مكانة مركزية هامة، غير أن سلطة المكان من الموصوفات والمسروقات تظل مادة ثرية ودسمة لهذا الوصف. وفي رحلة لندن وكامبردج هناك شخصيات سردية مختلفة تعرض لوصفها الكاتب على هدى التجربة السفريّة الفعلية من المشاهدة والمعاناة والتصادم مع الآخر سواء كان من زمن الانطلاق أو من الوصول أو العودة وعلى التركيز الشديد على العناصر والأشياء التي لم تكن للرحالة ومتلقيه العهد بها من ذي قبل. والسارد يصف رجال لندن ونساءها ويسلط الضوء على جانب مهم من أخلاقياتهم وانطباعاتهم الجنسية وسلوكياتهم النفسية بقوله: "إذا رأيت مثلا رجلين يمشيان في الشارع ويدهما متشابكتان فاعلم أنهما "زوجان" لوطيان والذي كفته في الأعلى هو البعل، والذي كفته في السفلى هو الزوج"<sup>٧</sup> وفي مشهد آخر يصف السارد عجوزين ومدى رشوخ جنون (القبلة) في عقلية إنسان لندن بقوله: "القبلة العلنية، عندهم أهم من الطعام والشراب، وتتعاطى من دون تفريق في العمر، فلا عجب أن ترى عجوزين أدردين (لأسنان لهما) يمشيان على العصا ويتبادلان القبلة على الملأ كأنهما

عروسان جديدان. ثم إنها تمارس في كل مكان، في الأماكن العامة، وداخل الحفلات، والقطارات بلا مبالاة حتى ليكاد الغريب عن هذه العادة يقول: أليس لهؤلاء مسكن يأويهم؟ إنها حقاً قذى للعين.<sup>٨</sup>

يعكس الكاتب في هذا المشهد حالات رجال لندن ونسائها اللواتي وسلوكيات عجائزها من الأردنين لتعطينا معرفة لازمة عن واقع حياتهم الاجتماعية ومدى حرية وطنهم، وكان يرسم لنا على هيئة الكلمات والجمل صورة بصرية من زوجين لوطيين وعجوزين أردنين وهذا الوصف يعطي دلالة واضحة على الوضع الاجتماعي الحاكم على لندن وأهلها، فقد أصاب السارد الهدف في وظيفة الوصف الواقعية لأنه يقدم لنا حالات أناس لندن وهيئاتهم بواقعهم. كما أن الوصف في وظيفته الدلالية ناجح لأن الرحلة تهدف إلى أن المجتمع اللندني هو الأساس لتكوين الشخصية اللندنية إذ طابع حرية النفس هو الغالب على الوازع الديني والثقافي والحضاري. وفي هذا المشهد أيضاً كلمات ( جعلوا، تتعاطى، تشجع، تمارس، رأيت، يمشيان يأويهم، يتبادلان، يكاد، أن ترى، فلا عجب و....) تدل على السرد أي أن السارد يسرد لنا هذا المشهد ليجسم للقارئ بوضوح الواقع المأسوي الحاكم في المجتمعات اللندنية. لكن النعوت المفردة (عجوز - أردنان عروسان - جديدان) كلها مقومة برؤية القارئ من حرية هذا الوطن.

### وصف الأماكن

للمكان في النص السردى الرحلي أهمية كبيرة، لا لأنه أحد مكوناته الفنية وعناصر بنياته التقنية، أو لأنه الصعيد الطيب الذي تجري فيه أحداث الرحلة، أو الظرف الذي تتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الوظائف السردية المتميزة إلى فضاء يتضمن كل العناصر الرحلية بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات، ويمنحها المناخ المساعد لتطوير بناء الرحلة فنياً كبيراً، وبهذه الحالة يرى بعض نقاد السرد أن المكان " ليس كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة".<sup>٩</sup> ويبدو إلى جانب ذلك أن الوصف هو الأداة الأساسية لتصوير المكان وبنائه، كما كان السرد

الأداة الكبيرة لحركية الزمان وبنائه. ف"تجسيد المشهد الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف، لا يصف واقعا مجردا، لكنه واقع مشكل تشكيلا فنيا"<sup>11</sup> والملاحظ هنا أن الوصف للمكان ليس غاية إنما هو وسيلة لخلق الفضاء الرحلي الذي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات في المكان وتفاعله معه<sup>11</sup>. ولذلك كان توظيف الوصف في تجسيم الأمكنة الرحلية فنيا يعطي الرحلة بدون ريب قوة دلالية وممتعة أدبية وجمالا فنيا لمتابعة أحداثها وأعمال شخصياتها من قبل القارئ، ويرفع عنه كل سآمة وملال في القراءة، كما يولد له التعاطف الدقيق مع النص السردي الرحلي، ومن أنماط وصف المكان ما يلي:

أ **السكن الجامعي:** احتلت المباني في بنية المكان في هذه الرحلة مكانة مركزية راقية حيث البيوت والجامعات والمصانع والشوارع تظهر فيها رائعة وعجيبة، تجعلها موضع الإعجاب والجاذبية للزوار. والكاتب يصف السكن الجامعي بجمال فنه المعماري الهندسي بقوله: "السكن الجامعي عبارة عن مبان قديمة من ثلاثة طوابق على شكل مربع، في وسطها فناء واسع مزين بأعشاب شديدة الخضر بديعة المنظر"<sup>12</sup> يصف الكاتب صورة السكن الجامعي وحالاته نكهة ومعمارا وصفا واقعا يدل على جمالياته من حيث بهاء أزهاره، وسعة فنائه وروعة هندسيته وشكله وشموخه رغم كونه من مباني أوروبية قديمة. وبهذا الوصف الخالص الذي لا يكاد يُشَمَّ فيه رائحة الحركة الزمنية سوى سكون الميزة المكانية بحته - حاول الرحالة أن يوضح لنا منظر السكن الجامعي وهندسيته وصورا جمالية رقيقة في طوابقه، وعلى أنه ما زال كذلك ملتزما بطابع أصالته الجمالية رغم قدم عمارته، وأن رونق جماله لا يزال يرسل إلى المنظر بديعة وروعة شديتين.

انظر مرة ثانية إلى كلمتي " الخضر والبديع" كيف تتحولان في ذهن السارد إلى ما يشبه الشيء غير العادي، فتخمن أن في أوراق الأعشاب جمالا كميئا في خضرها فأخرج المنظر من طبيعته إلى التلذذ بهذا اللون الأخضر العجيب. رغم أن هذه الصورة من الوجهة الفنية بوظيفتها الدلالية ليست صورة شاخصة وحسية بل هي معتادة لكنها تثبت المعنى المراد وهو ترسيم صورة دقيقة واقعية للسكن الجامعي.

## ب البيوت والشوارع:

اهتم الكاتب بالبيوت الكامبردجية كباقي عناصرها من حيث تواضع شكلها وبساطة صورتها وانخفاض بنائها المعماري، حيث ليست فيها أبراج عاجية ولا بيوت شواهدق. ووصفها بحسن ترميماتها بالطوب الأحمر المدهش، ويراهها دائما أنها تعج بالهدوء والسكينة والزينة وجمالية المنظر، مما يحيل إلى ناظرها صورة مباني العصور الوسطى أو العصر الحديث من حيث التشابه الدقيق بينهما في تخفيض البيوت على شكل لا يناطح السحاب. ذلك لتدل القارئ على واقع كامبردج الهدنسي المعماري وعلى مدى تمسكها بعقلية قدمائها الموروثة في اتخاذ المباني بشكل متوسط رغم التقدم العلمي والحضارة والجمال الطبيعي فيها. والكاتب يصف ذلك بقوله: " ومباني كامبردج عادة متخذة من الطوب الأحمر الفخاري مثلها مثل مباني أوروبا كافة ونادر أن تجد في المدينة مباني حديثة أو ناطحات السحاب".<sup>١٣</sup>

وفي منظر آخر يصف الكاتب شوارع هذه البيوت مؤكدا شدة ضيقها وتضافر تشييد المباني الناطحة على حافتي طرقها بقوله: "ومعظم شوارعها ضيقة لاتسع أكثر من سيارتين صغيرتين، ولا تسع حافلتين كبيرتين في آن واحد، فهي على ما يبدو \_موروثة من العصور الوسطى حين كانت عربات الخيل أهم وسائل النقل في المدن والقرى الأوروبية وقد شيّدوا على حافتي الطرق مباني ضخمة تعذر عليهم هدمها لما توسعت المدينة، فأبقوها تراثا قوميا خالدا.<sup>١٤</sup>

تتداخل الأوصاف في هذين المشهدين تداخلا منطقيًا فنيا لتفي بوظيفتها الدلالية على الروعة والجمالية والإبداع أشد الوفاء، فوصف البيت كعنصر مكاني بشدة الانخفاض والتواضع حتى لا يناطح السحاب يتداخلان مع وصف شوارعها بالضيقة والرحمة ليخلق الوصف فضاء رحليا معجبا ومتميزا جدا. وفي مشهد آخر نجد الكاتب يصف هذه البيوت وتلك المباني بالبياض الناصع بقوله: "حلقت الطائرة في أجواء لندن وتحوّلت لحوالي عشر دقائق، ولاحظت خلال ذلك أن المدينة تقع في الجزيرة، وأن مبانيها ترتدي بياضا ناصعا، وليست شواهدق كمباني أمريكا....."<sup>١٥</sup> تكرر مثل هذه المشاهد لتكون أكثر مشاهد الرحلة

تكرارا وتواترا، فالصورة المعروضة لتجسيم مباني لندن وبيوتاتها في عبارة ( ترتدي بياضا ناصعا) متحدة وموحدة معا لتدل الوصفيات في وظائفها الواقعية والدلالية والجمالية على الروعة والنشاط الحيوي الدائم المستمر والبهجة المقيمة في لندن وكامبردج.

### ج عناصر الطبيعة:

تعد الطبيعة عنصرا مكانيا خلابا لها المكانة الأساسية والقيمة المركزية في بناء الرحلة خاصة وكافة أجناس الفنون السردية عامة، وذلك لربطها بالإنسان منذ لحظات حياته الأولى إلى آخر لحظات أنفاسه الأخيرة. ترتبط بالإنسان في جميع حركاته وسكناته، في حاله وترحاله، في آلامه وأفراحه وفي آماله، في مهده و لحده. فإن توظيفها في الرحلة وفي غيرها من الأجناس السردية أمر ضروري لكونها مناسبة لفضاء النص السردى ومرتبطة بفكره ورؤيته وهدفه حيث كانت تعطي الرحالة السارد حرية كاملة وقدرة واسعة لتغلغله في ذات القارئ.

لذلك نجد الكاتب في هذه الرحلة يتوخاها ويصفها كوسيلة للتعبير عن شعوره العميق وانطباعاته السديدة عن حالة الحياة اللندنية والكامبردجية فيربط بين الحدائق الواسعة، والبساتين الجميلة، والأشجار المثمرة الوارفة الظلاله، والأوراق الخضراء، والأبقار السمان، والمراعي الخصبه للمواشي. فوجود مزارع شديدة الخضرة في لندن وكامبردج، ومراعي البقر والغنم السمان، وأراضي زراعية واسعة لاتبلغ العين منتهاها، فكلها دلالات رمزية تدل على الحياة السعيدة والمعيشة الرفاهية والجو المعتدل الهادئ والمتزن. يلاحظ القارئ ذلك خلال وصف الكاتب لهذه المناظر الطبيعية الجميلة بقوله: " كانت الرحلة بين كامبردج ولندن ممتعة ومريحة للغاية، لقد استغرقت حوالي ساعة أشبعت خلالها نهم عيني بالجمال الطبيعي المنقطع النظير، فأينما يتجه المرء فلا تقع عيناه إلا على جمال يعجز عن الإحاطة وصفها. إنها أراض زراعية واسعة لا تبلغ العين منتهاها ولا تقع عينك فيها إلا على مزارع شديدة الخضرة، ومراعي البقر والغنم السمان، وأشبه ما تكون بملاعب غولف واسعة ينتشر فيها لاعبون لابسون الأبيض والأسود".<sup>١٦</sup>

فللتوصيف في هذا المشهد وظيفة دلالية معرفية وجمالية فنية رائعة لأنه يعطينا معرفة على أن طبائع أراضي لندن وكامبردج عند السارد تتميز بالرطوبة والخصوبة بحيث تنبت النبات وتنض الأغصان وتجثم الأوراق وترعى المواشي، وتظهر الوظيفة الجمالية في: (لقد استغرقت حوالي ساعة أشبعت خلالها نهم عيني بالجمال الطبيعي المنقطع النظير..). لأنها تشخص العين كأنها كائن له الشعور بألم وبطنه قد ضاق من شكوى الجوع وله عين ذات نهم شديد، فهو يصور العين شخصا مدركا لهذا الجمال الطبيعي. الملاحظ من هذا المشهد أيضا أن السارد يرسم لنا الطبائع اللندنية والكامبردجية على شكل الواقع والإثارة، الواقع من حيث نلمس منه صورة هاتين المدينتين كما هي وتتلذذ منهما بالجمال الحسي، حينما كانت الإثارة تتمظهر في تجاوبه مع هذه النعوت تجاوبا شعوريا وإحساسيا عميقين ويغمر قلبنا الجمال النفسي المعنوي. إضافة إلى ما في هذا المشهد من تداخل وتناوب بين الوصف والسرد في جمل (كانت الرحلة بين كامبردج ولندن ممتعة ومريحة للغاية، .... إنها أراض زراعية واسعة لا تبلغ العين منتهاها (...).

### وصف الأزمان:

الزمن مكون أساسي كبير من مكونات النص السردى وكانت معظم الدراسات السردية الحديثة والنقدية المعاصرة تعيره كل العناية، لأنه المحرك الضروي لكافة الإبداعات السردية والأدبية من قصص ورواية ومقامة ورحلة، فبدونه والأعمال الأدبية لاتزال جامدة وميتة وكان بدوره في تشكيل النسج العام للإنتاج الأدبي هو المنفخ الذي يهب للإبداعات السردية الحياة النابضة ويجعلها متحركة في أرجاء العمل الإبداعي بالفعل. يستغرق الزمن في رحلة جمبا اثني عشر يوما بدءا من خروجه إلى عودته، ولكن وصف الزمن فيها لا يقتصر على هذه المساحات الزمنية فحسب، بل امتد امتدادا عظيما ليشمل العصر الذي بدأت فيه تطورات لندن وكامبردج قبل عهد بلوغها الغاية المرتقبة المعاصرة. وكأن الزمن أصبح بهجة لا شبيهة لها، والكاتب يصف الزمن السائد على لندن وكامبردج منذ أن أراد دخولها وقبل أن يحظى بزيارتها. يصف السارد الزمن السائد على خروجه من عقر داره ودولته إلى أن هبطت



به الطائرة بمطار هيثرو حيث يقول: "خرجت بعون الله تعالى من مدينة إلورن نهار يوم السبت الخامس من سبتمبر ٢٠١٥م وأقلعت بنا طائرة الخطوط الملكية المغربية من مطار مرتضى محمد بليغوس في تمام ٦,٣٥ صباح الأحد، في رحلة استغرقت أربع ساعات وبضع دقائق. هبطنا بحمد الله تعالى بمطار محمد السادس بمدينة الدار البيضاء في تمام ١٠,٤٠ صباحا بالتوقيت المغربي والنيجيري، ثم أقلعنا في تمام ٢,٠٠ نهار ذلك اليوم وهبطنا في ٥,٤٠ مساء بمطار هيثرو الدولي بمدينة لندن".<sup>١٧</sup> وظف الكاتب الوصف في هذا المشهد توظيفاً واقعياً دلالياً ليبدل على أن السفر شهد إجراءات متعددة وأوقاتاً مختلفة وانطلاقات متباعدة قبل الوصول إلى لندن من دولة نيجيريا، وأن المسافرين من نيجيريا إلى لندن عبر الخطوط المغربية لا بد أن تستوقف بهم الطائرة على أرض المغرب المباركة والحروسة، ويلاحظ القارئ أن لا مناص لكل من أراد السفر إلى خارج الدولة النيجيرية أن تتعرض نفسه لهوجة إقلاع الطائرة المفزع، أما الذي لم تكن لديه تجارب الإقلاع بالطائرة قط، ربما يكاد يكون منغمشا و مندهشا اندهاشا شديداً.

وُصف في هذا المشهد كل ما يدل على الزمن كالنهار، والصباح، والمساء، واليوم، والساعة، والدقيقة، والسبت، والأحد، و... وصفا مفرحا ومبتشا بالبهجة والغبطة. وقد عني الكاتب بهذه الأزمنة في الرحلة أكثر من أي زمن آخر لدلالاتها الإيحائية على الارتياح والحيوية والنشاط وصفاء الجو الذي يغمر رحلة النهار دون الليل. فللتوصيف في هذا المنظر وظيفة معرفية وجمالية لأنه يعطينا معلومات أكثر قوة وثباتاً على أن النهار والصباح والمساء عند السارد يناسب الخروج من البيت مسافراً من مسقط رأسه ومناسباً لإقلاع الطائرة تارة أخرى، فكأن الخروج من النهار مع حقيبة السفر يحمل لأهل البيت والجيران شيئاً من علامة مغادرة مكان إلى مكان آخر دون الليل الذي يكون فيه الناس نياماً. وتظهر الوظيفة الجمالية في قوله: "ثم أقلعنا في تمام ٢٠٠ نهار ذلك اليوم" حيث شخص السارد نفسه وغيره من المسافرين طائرة تقلع كلُّ نفسه دون الطائرة، مع أن الطائرة هي التي تناط إليه قوة الإقلاع بالسارد وأمثاله من الذاهبين إلى لندن. فهكذا كانت الأزمنة في هذه الرحلة تتراوح بين مُريحة

وهادئة. وبناء على ما سبق نلاحظ أن الزمن في النص السردي الرحلي ظاهرة فنية لا يستهان بها، وكان من المؤشرات النصية الكبيرة والتي بدونها لا سرد ولا وصف ولا حوار فضلا عن لغة سردية فنية، ولذا كانت ظاهرة الحركة والاستمرار والحرارة والحيوية في السرد والوصف متعلقة بجناحه، حيث لا يمكن أن يأخذ الزمن والمكان دورا أساسيا وهاما في النص السردى إلا بواسطة أفعال الحركة والحيوية والاستمرار، لذا كان حسن استخدامها يهيب لخلق مناخ مناسب لحقول معجمية خاصة عبر عناصره الإطارية الأخرى. وبالتتابع الدقيق لبنية الزمن في هذه الرحلة وخاصة في تعاطي هذين الفعلين، والعملية الإحصائية التي قام بها الباحث أسفر أن الكاتب قد أجادت في تعاملها مع هذه المؤشرات معاملة فنية، حيث يبلغ تكرار الفعل الماضى في رحلته حوالى (٢٣٦) ويبلغ المضارع حوالى (٣٠١) مما يضئ طغيان السرد الذي يلائم استحضر الأحداث ووقائعها ونقل الأخبار والحكي عن الآخر، ويجعل النص الرحلي في الأساس نصا متحركا. ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله "خرجت من قسم الجوازات وقصدت شراء تذكرة القطار المتوجه إلى مدينة كامبردج... ثم قوله: "غادرتنا الملهى راجلين إلى قاعة المحاضرة بكلية بمبروك على بعد بضع مترات من الملهى ومن مسكني وهي ثالثة أقدم الكليات في كامبردج..."<sup>١٨</sup> وقوله: "عدنا إلى المكتبة في سيارة تكسي سائقها هندي مسلم، جلس السيد محمود علام معه في الأمام وتحدثا باللغة الهندية طوال الطريق، ولما وصلنا المكتبة على مسير أكثر من كيلومتر رفض الرجل أن يأخذ منا أجرة النقل، وقد افترقنا بالشكر والدعاء له"<sup>١٩</sup>، وهذه هي الأفعال المحركة .

#### الخاتمة:

خلال هذا النشاط العلمي المتواضع حاول الباحث نفض الغبار عن رحلة لندن وكامبردج، وذلك لاستخلاصها من دوائر رحلات تقاريرية وصفية أو جغرافية تاريخية أو ثقافية محضة، إلى آفاق الفنون السردية الحديثة، ذلك لتطورات فنية لحقت آفاقها أسلوبا وفكرة وشكلا ومضمونا، بغية إبراز شخصية الكاتب الرحلية الإبداعية ومقدرته العلمية في تسجيل

- أحداث رحلاته تسجيلاً ذاتياً موضوعياً في دقة متناهية عبر المؤشرات النصية من زمان ومكان ولغة وغيرها. وفعلاً فإن الباحث عقب هذه الدراسة قد توصل إلى مجمل النتائج التالية :
- أن رحلة لندن وكامبردج - رغم ما تحمل في طياتها من المعلومات التاريخية والحقائق الجغرافية - رحلة أدبية من حيث لغتها وأسلوب كتابتها، كما أن أدبيتها لا تقحم معلوماتها الجغرافية والتاريخية والمعرفية إقحاماً.
  - أن اللغة السردية الواصفة رغم الإشكالات التي تنتابها وتشوبها من حيث تحديدها وحصنها في شروط محددة، فإنها متبعثرة في كل زوايا النص الرحلي المنتخب، مما جعلها تكتسب شرف المضمون وبديع الشكل.
  - أن شخصية الرحالة شخصية أكاديمية ديناميكية متميزة في بيئته ومحيطه الجغرافي، وكان قوي الشعور والإحساس ودقيق الملاحظة والتصوير، وسريع الانتباه وعميق الانفتاح مع الآخر، ساعدته كلها على تسجيل أحداث رحلاته كما مرَّ عليها بدون تضخيم أمور، أو تصغير أمور أخرى. وكان نقل تجاربه الشخصية نقلاً موضوعياً صادقاً وواقعياً في منتهى البساطة والسهولة.
- يوصي الباحث الكتاب والباحثين بالحفاظ على التراث والحداثة، والقيام بدراستهما على ضوء المناهج الأدبية والنقدية الحديثة والمعاصرة، عسى أن يجدوا من خلالها الحلول الناجعة لمستقبل هذه الثقافة العربية في نيجيريا. وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم .

## الهوامش والمراجع

- ٢\_ مشهود محمود محمد جمبا (الدكتور)، علماء الإمارة ترجمة نخبة من أعلام إمارة إلورن ج ١، ط ١، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٥م ص ٣٢٨
- ٣\_ مشهود محمود محمد جمبا (الدكتور)، التفرج برحلة لندن وكامبردج، ط ١ مطبعة ألبى جمبا، إلورن ٢٠١٦م ص ٦ .
- ٤\_ إسماعيل زردومي (الدكتور)، تقنيات السرد في رحلة فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب لابن الحاج النميري. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر بسكرة العدد الثامن، جون ٢٠٠٥م ص ٤
- ٥\_ مشهود محمود محمد جمبا (الدكتور)، المرجع السابق ص ١٥
- ٦\_ إسماعيل زردومي (الدكتور) المرجع السابق ص ٤ .
- ٧\_ محمد مصطفى بن الحاج، البناء اللغوي والفني في الرحلات العربية القديمة رحلات العبدري نموذجاً، مقالة أدبية من سلسلة مقالات علمية وأدبية مجموعة من قبل مجمع اللغة العربية طرابلس في كتاب: ليبيا في الرحلات العربية والمغربية ( نحو رؤية تحليلية مقارنة) ط ١ ، دار المنار للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م ص ١٨١
- ٨\_ شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دراسة وتحقيق، ط ٢٦ دار المعارف القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٧٠
- ٩\_ محمد مصطفى بن الحاج، المرجع السابق، ص ١٨٠ - ١٨١
- ١٠\_ شعيب حليفي (الدكتور)، الرحلة في الأدب العربي، ط ٢ ، مطبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ٢٠٠٧م، ص ٢ من مقدمة الكتاب.
- ١١\_ شعيب حليفي (الدكتور) المرجع السابق ص ٩ .
- ١٢\_ <https://ar.wikipedia.org/date/02/05/2016>
- ١٣\_ <https://ar.wikipedia.org/date/02/05/2016>
- ١٤\_ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط ١ (د. م. ن.) ص ١٥٤

- ١٥\_ حميد لحمداني (الدكتور)، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠م ص ٧٨
- ١٦\_ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد ط ١، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، مطابع الرسالة الكويت، ١٩٩٨م ص ٢٥٠
- ١٧\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ١٣.
- ١٨\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٢٧ \_ ٢٨
- ١٩\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٣١
- ٢٠\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٩
- ٢١\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٥٠
- ٢٢\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٥٠
- ٢٣\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٢٢
- ٢٤\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٢٥
- ٢٥\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٣٠
- ٢٦\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ٢٧\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٣٣
- ٢٨\_ مشهود محمود جمبا، المرجع السابق، ص ٣٣

## حركة الدراسات الأدبية العربية في مدينة إلورن: قراءات في بعض

الإنتاجات الأدبية لدى حمزة عبد الرحيم وعثمان محمد الثقافي

**الدكتور صالح محمد جمعة ألاشو**

قسم اللغويات واللغات الإفريقية والأوربية

جامعة ولاية كوارا، مليتي

08034991544

و

**حنفي إبراهيم يوسف**

طالب الدكتوراه، جامعة ولاية كوارا، مليتي

07038287085

### المقدمة

إن الحركة العلمية والأدبية في مدينة إلورن مما يشار إليها بكل إجلال وكرامة، ويرجع فضلها ومجدها إلى العلماء الأولين الذين كانوا في الطبقة الأولى من علماء المدينة (علماء ربوة السنة)، ولكن دور هؤلاء العلماء يعتبر تمهيداً وبساطة لما قام به من وليهم من الطبقات في تنشيط حركة إصدار الإنتاجات الأدبية؛ أمثال الشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو، والشيخ تاج الأدب، ثم جاء من بعدهما العلماء المعاصرون أمثال الشيخ محمد كمال الدين حبيب الله الأدبي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري - صاحب المؤلفات العديدة-، والشيخ أبو بكر الصديق أبارغدوما،<sup>1</sup> ثم جاء من بعدهم العلماء الأكاديميون وغير الأكاديميين من أبناء إلورن وفجروا نهر التأليف، فألفوا الكتب في مختلف الفنون الأدبية حتى أصبحت تلك المؤلفات مراجع ومصادر لطلاب الأدب العربي في ديار نيجيريا.

وتعد تلك الإنتاجات كنوزاً مكنونة، منها ما اختبأ في صفحات التاريخ، فقام فريق من علماء إلورن الأكاديميين بإخراج هذه الأعمال ودراستها، ليكشفوا الغطاء عن تلك الدرر

المخبوءة، ويقتربوا مضامينها إلى القراء، وكثيراً ما نجد هذه الدراسات في البحوث العلمية في الجامعات والكليات، ويقوم بها العلماء والأساتذة الجامعيون، وفي هذه العجالة يعرض الباحثان بعض إنتاجات اثنين من كتاب إلورن المعاصرين، وهما حمزة عبد الرحيم وعثمان محمد الثقافي، وتدور عناصر البحث حول المحاور الآتية:

- ١- مدينة إلورن وتأسيس الإمارة الإسلامية فيها
- ٢- الأدب العربي في مدينة إلورن
- ٣- العصور الأدبية في مدينة إلورن
- ٤- قراءات في الدراسات الأدبية العربية المختارة في مدينة إلورن
- ٥- الخاتمة.

### مدينة إلورن وتأسيس الإمارة الإسلامية فيها

تقع مدينة إلورن في جنوب نهر النيجر الواقع في المنطقة الوسطى بين شمال نيجيريا وجنوبها، وهي جزء من بلاد يوربا، ويحدها شمالاً نهر النيجر وجنوباً مدينة أوبومشو، وشرقاً بلاد إبومنا، وغرباً مدينة إِبَيْتِي، وهي اليوم عاصمة ولاية كوارا، نيجيريا.<sup>٢</sup>

ظهرت هذه المدينة في أول نشأتها بزي قري متجاورة ثم تآلفت واتسعت، فانقسمت بعد اتساعها وكثرة سكانها إلى قسمين: شرقي وغربي، فالقسم الشرقي فيعرف بمنطقة آفِن أي منطقة أميرية؛ وهو الذي يقع في الناحية الشرقية من المسجد الجامع الكبير أمام قصر الأمير وأكثر سكانه من أصول هوساوية وفلانية، وبرناوية، ونوفوية وغيرهم. وأما القسم الغربي فيقع في الناحية الغربية من المسجد المذكور وهو الذي اشتهر باسم أُوْكِي مَالِي (ربوة مالي) أي الربوة التي نزل بها جماعة من مالي وأغلب سكان هذا القسم من أصول يوربوية، وما زال هذا التقسيم مشهوراً في المدينة إلى هذا اليوم.<sup>٣</sup>

وقد تأسست المدينة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ١٧٨٠م بنحو ثلاثين عاماً قبل قدوم الشيخ صالح بن جنت المشهور بالشيخ عالم، وكان أول من أقام بها صياد يربوي اسمه "أُوَجُو" جاء من إَلُوْتَا، ثم نزل عليه صياد آخر نوافوي اسمه "أَيْمَنَا" أو "أَيْمَلَا"، ثم نزل

صياد آخر في ربوة كَيْلِي اسمه "دادا"، وكان أخير من نزل بها أَفَنَجَا الذي كان ينتمي إلى لَادِكِرِن بنت أَلَاْفِن أَبَعُوْدُن من ملوك أويو وكان أبوه عبداً للملك من قبيلة بَرِيَا لذلك جمعوا له بين علامة أمه وأبيه في خده. وكان سبب مجيء أفنجا إلورن انهزامه في إحدى الحروب هارباً من الانتحار الذي كان يلزمه حسب تقاليدهم، حيث كان حتماً على القائد الذي انهزم في الحرب أن ينتحر، ولذا لجأ إلى الصياد الذين كانوا في إلورن ليحظي بحمايتهم<sup>٤</sup>.

ثم جاء الشيخ صالح بن جنت المشهور بالشيخ عالم إلورن عام ١٨١٢م (على الأصح) إلى المدينة فأسس عن طريق أبنائه إمارة إسلامية، وذلك حين نُصِب بعد موته ابنه الأكبر عبد السلام أول أمير للبلاد عام ١٨٢٠ - ١٨٣٦م<sup>٥</sup>، ثم توافد على المدينة أجناس مختلفون من أماكن مختلفة، حيث أصبحت لهم مكاناً آمناً، يقصده جميع الأقليات المسلمة في بلاد اليوربا، وكانوا يهاجرون إليها فراراً بدينهم من الملوك الذين كانوا يضهدون كل من اعتنق الإسلام، وتجمع فيها جماعات من قبائل متفرقة وأجناس متباينة<sup>٦</sup>.

### الأدب العربي في مدينة إلورن

الأدب هو تلك النصوص من الشعر أو النثر التي تقرأ وتدرس وتذوق، فتوقظ مشاعر المتلقين، وتبعث انفعالاتهم، وتحدث في نفوسهم لذة فنية ومنتعة نفسية، وهو الكلام المنظوم، أو المنشور من رسالة أو مقالة أو خطبة أو قصة أو ملحمة، وقيل: إنه الكلام الجيد من الشعر أو النثر الذي يحدث في نفس قارئه أو سامعه لذة فنية، وقيل: إنه التعبير الجميل عن الشعور الصادق، أو التعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية أو التعبير الفني عن تجربة شعورية<sup>٧</sup>.

ودأب الكتاب النيجيريون والعرب على إطلاق مصطلح "الأدب العربي النيجيري" على الأدب الذي ينتجه النيجيريون باللغة العربية، وشاع هذا الاستعمال في البحوث العلمية وغيرها بحكم أن الأدب ليس فقط يدون بالعربية، بل هو أيضاً يعبر عن الفكر العربي والثقافة العربية<sup>٨</sup>. ومن هذا المصطلح يستنبط الباحثان التعريف بالأدب العربي في مدينة إلورن لكونها



بلدة من بلدان نيجيريا، وهو الأفكار الثقافية والاجتماعية والشخصية التي ينتجها الإلوريون باللغة العربية.

وظهر الأدب العربي بنوعيه الشعر والنثر في مدينة إلورن بظهور الإسلام فيها، فأول من انطلقت منهم الدراسات العربية والدينية في مدينة إلورن هم علماء ربوة السنة (Oke-Sunna) الذين وفدوا على المدينة من مملكة بَرْتُو وبلاد هوسا، ثم وفد إليها علماء آخرون وكلهم جاءوا بالمخطوطات من متون اللغة والأدب والفقه والتاريخ والتوحيد وغير ذلك. وفي عهد الأمير علي بن شئت وفد الشيخ محمد بن أحمد بيغوري الفلاني إلى المدينة وكان شابا فتيًا رزق بالعلوم والآداب، وكانت معه مطبوعات من الكتب العلمية والأدبية، وفي عصره جاء منافسه الشيخ عبد الله (بَدَنَدِي) البرباوي إلى المدينة ونزل عند علماء منطقة أكلني ونشر ما عنده من الكتب المطبوعة في الميادين العلمية المختلفة، وكان بينه وبين الشيخ محمد بيغوري تنافس في آخر أيامهما.<sup>٩</sup>

فكان من الكتب التي أتوا بها مخطوطات ومطبوعات كانت المصادر والمراجع التي انكبَّ عليها المتعلمون والمتأدبون في العصور اللاحقة بالدراسة والحفظ حتى تمكنوا بها من إنشاء القصائد وتأليف الكتب والرسائل، فسالت على ألسنتهم وأقلامهم أشعار عربية رائعة، وكان منهم من تبحر في النحو والصرف، ومنهم من تخصص في الفقه والشريعة، ومنهم من جمع بين هذه العلوم على اختلاف أنواعها فصار حجة يرجع إليه في المسائل العامة.<sup>١٠</sup>

### العصور الأدبية في مدينة إلورن

من عادة الأدباء والنقاد تقسيم الأدب العربي إلى عصور مختلفة وكان الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي من أوائل من حدد عصور الأدب العربي في مدينة إلورن نتيجة ما جرى فيها من تطورات تاريخية مختلفة في حياتها الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية، حيث حددها فيما يلي:

١- العصر الإسلامي: وهو فترة دخول الإسلام وانتشاره وإقامة الدولة الإسلامية في مدينة إلورن. وابتدأ من حوالي ثلاثين سنة قبل مجيء الشيخ صالح بن جنتا المعروف بالشيخ عالم إلى إلورن عام ١٨١٧م وامتدّ إلى نهاية عهد الأمير ماما سنة ١٨٩٦م.

٢- العصر الاستعماري: وهو العصر الذي استولى فيه المستعمرون على إمارة إلورن انطلاقاً من سنة ١٨٩٦م في عهد الأمير سليمان إلى غرة شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠م.

٣- عصر ما بعد الاستقلال: وقد ابتدأ هذا العصر من غرة شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠م عام الاستقلال إلى الآن<sup>١١</sup>.

أما الدكتور صالح جمعة أَلَشُو أحد كاتبي هذه المقالة في أطروحة دكتوريته فيوافق مع هذا التقسيم إلى حد ما بإضافات جديدة، فقد قسم الأدب العربي في إمارة إلورن خاصة وفي بلاد اليوروبا عامة إلى العصور التالية:

١- عصر الاستهلال الإسلامي في بلاد اليوروبا (١٥٥٠ - ١٨١٢م) وقد بدأ هذا العصر ببداية عهد الملك أَلَفِنْ أَجَبَوِي Ajiboye (١٥٥٠-١٥٧٠م) وامتد إلى زمن قدوم الشيخ عالم إلى إلورن في سنة ١٨١٢م.

٢- عصر تأسيس الدولة الإسلامية وتوطيدها في إمار إلورن وفي بلاد اليوروبا (١٨١٢-١٨٩٥م) بدأ هذا العصر بقدوم الشيخ صالح بن جنتا المعروف بالشيخ عالم إلى إلورن سنة ١٨١٢م وامتد إلى سنة ١٨٩٦م حين استولى الإنجليز على إمارة إلورن بعد تمكنهم من الاستعلاء على بقية بلاد اليوروبا وذلك في عهد الأمير سليمان في إلورن.

٣- عصر الاستعمار البريطاني (١٨٩٦ - ١٩٦٠م) بدأ هذا العصر سنة ١٨٩٦م في عهد الأمير سليمان حين أبرم توقيع المعاهدة بين الأمير والاستعمار البريطاني وانتهى بأول أكتوبر ١٩٦٠م حين تم الاستقلال لنيجيريا عامة.

٤- عصر تطوير الأدب العربي في إمارة إلورن (١٩٦٠ - ١٩٩٩م) بدأ هذا العصر عام الاستقلال النيجيري ١٩٦٠م وانتهى عام استلام المدنيين السلطة من العسكريين عام ١٩٩٩م يعتبر هذا العصر عصر تطور وتطوير للدراسات العربية وأدبها في المنطقة وذلك لما

حدث فيه من تطور هائل لا سابق له في تاريخ الدراسات العربية وآدابها في المنطقة، إذ فيه نمت البذرة العربية التي غرسها العلماء في العصور الماضية.

٥- عصر ازدهار الأدب العربي في إمارة إلورن من النصف الثاني من (عام ١٩٩٩ م - اليوم) بدأ هذا العصر بعام انتقال السلطة السياسية من العسكريين إلى المدنيين وذلك من اليوم الذي تسلم فيه الرئيس المدني أُوْبَسَنْجُو يوم ٢٩/٥/١٩٩٩ م إلى الوقت الحاضر.<sup>١٢</sup>

### قراءات في الدراسات الأدبية العربية المختارة في مدينة إلورن

الدراسات الأدبية العربية هي المشكاة التي تنير درب الدارس ليصل إلى هدفه العلمي والأدبي بأدنى تعب وأقل مشقة وأقصر طريق، وهي التي تكشف الكنوز المكنونة والدرر المخبوءة في النصوص الشعرية والنثرية فقد كان لهذه الدراسات الأدبية النقدية نصيب الأسد في بحوث الجامعات والكليات العليا حيث قام الدارسون على هذه الأعمال دارسين ومحللين وناقدين. ومن خير نماذج هذه الدراسات عملاق أكاديميان قام بهما اثنان من العلماء المعاصرين الأكاديميين تتناولهما هذه المقالة بالدراسة فيما يلي:

### أولاً: مقالة علمية أكاديمية

وهي مقالة بعنوان: "المؤلفات البلاغية لعلماء يوربا: عرض ونقد" للأستاذ الدكتور حمزة إيشولا عبد الرحيم، أستاذ البلاغة والنقد بشعبة اللغة العربية، جامعة ولاية كوارا مليتي، نشرت المقالة في مجلة نائس المجلد السادس العدد الثالث، عام ٢٠٠٣ م. يقوم البروفيسور بدراسة نقدية لبعض تراث علماء إلورن، وهذه الدراسة تشمل خمسة كتب بلاغية تُظهر مجهودات علماء نيجيريا في مجال البلاغة العربية، يقول الكاتب: "وإن التاريخ يذكر لنا مجهودات العلماء العلمية التي تشمل الدراسات الفقهية والتاريخية والاجتماعية وغير ذلك، والبحث الحالي يحاول عرض بعض المؤلفات اللغوية وخاصة البلاغة منها لمعرفة مدى استيعاب أولئك العلماء للبلاغة العربية ومساهماتهم فيها".<sup>١٣</sup>

ثم قام الكاتب بعرض المؤلفات واحداً تلو الآخر، فدرسها دراسة نقدية، والكتب

المدروسة هي:

- ١- كتاب الشيخ أحمد إكوكورو في البلاغة وغيرها، بعنوان "التقاط المتون في خمسة فنون".
- ٢- أسرار البلاغة وأساس الفصاحة للشيخ آدم عبد الله الإلوري.
- ٣- دروس البلاغة العربية للشيخ آدم عبد الله الإلوري.
- ٤- البيان في البلاغة العربية للبروفيسور عبد الرزاق أبوبكر ديريمي.
- ٥- المظاهر البلاغية في بعض مؤلفات عبد الله بن فودي، هذا بحث قدمه عبد الباقي شعيب كجزء مكمل لمتطلبات الماجستير في قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو سنة ١٩٨٥م.

لقد بذل البروفيسور حمزة أقصى جهوده في دراسة هذه الكتب ليقرب إلينا البعيد ويكشف لنا الكنوز المكنونة في الكتب، ففي الكتاب الأول: (التقاط المتون في خمسة فنون) عرض الكاتب الكتاب ووصفه وصفا دقيقا حتى أظهر لنا أن المؤلف قد تأثر بكتاب "مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون للخطيب القزويني، فقال: "كل تعريفات القزويني لعلم المعاني هي نفسها الموجودة في مذكرة إكوكورو، وبذلك يمكن القول إن الشيخ أحمد إكوكورو التقط ما كتبه القزويني عن البلاغة وجمعها كالمذكرة".<sup>١٤</sup> وأقرّ الكاتب أن إكوكورو لم يكن إلا مقرب البعيد حيث قرب بلاغة القزويني إلى القراء اليوروبيين والنيجيريين على وجه العموم.

وفي الكتاب الثاني: (أسرار البلاغة وأساس الفصاحة)، أفاد الدارس أن الكتاب عبارة عن تحويل عمل أدبي نثري سابق إلى الشعر، ثم قام بشرح مضمون الأبيات الشعرية وتحليلها مع الأمثلة الوافية من الآيات القرآنية، ولم يغفل عن ذكر تعليقات الشارح الشيخ عبد الوهاب الغماوي كلما دعت الحاجة، ثم أثبت الكاتب في دراسته أن الكتاب خال من الأمثلة الموضحة، وبين العلة في ذلك بقوله: "هذا ويمكن القول إن الناظم نظم هذه الأرجوزة كمذكرة صغيرة لتلاميذه حتى يسهل عليهم حفظها وتبقى في ذاكرتهم، وبما أن المذكرة تخلو من الأمثلة الموضحة فقد طلب الناظم من أحد طلابه كتابة تعليق وجيز عليها".<sup>١٥</sup>

والكتاب الثالث: (دروس البلاغة العربية) للشيخ آدم عبد الله الإلوري كتاب صغير، عرضه البروفيسور في مقالته ونقده بين السطور القلائل بقوله: "وهو كتاب ألفه الشيخ لسبب

تعليمي، وفيه جمع علوم البلاغة الثلاثة وهي: المعاني والبيان والبديع". ثم قال "والكتاب لا يتجاوز وريقات معدودة ولذلك تنقصه الأمثلة الكافية بالإضافة إلى أن الطريقة المتبعة في تأليف الكتاب هي الطريقة القياسية، أما الطريقة المفضلة لتدريس القواعد اللغوية فهي الطريقة الاستقرائية".<sup>١٦</sup>

والكتاب الرابع: (البيان في البلاغة العربية) للبروفيسور عبد الرزاق أبوبكر، عرض الكاتب الكتاب وذكر أهميته لدارس اللغة العربية وطلاب اللغة الإنجليزية على السواء، واستطاع الكاتب خلال دراسته لهذا الكتاب أن يضع الفرق بين طريقة معالجة أبواب علم المعاني في البلاغة وطريقة معالجتها في النحو ردًا على رأي المؤلف بقوله: "ويرى أن كثيرًا من أبواب علم المعاني أنسب أن تكون في علم النحو منه في البلاغة، ومع تقديرنا لهذه الملاحظة إلا أن الكاتب الحالي يرى أن هناك خلافاً بين طريقة المعالجة لأبواب علم المعاني في البلاغة وطريقة معالجتها في النحو...".<sup>١٧</sup> ، وأتى بالأمثلة التي توضح ذلك.

والكتاب مقسم إلى سبعة أبواب - حسب تقسيم المؤلف - فقام البروفيسور حمزة ببيان مضمون ما في كل باب بين خمس فقرات، وحاول أن يثبت عدم موافقته مع المؤلف في بعض الأمثلة التي عرضها في الكتاب، فمثلاً رأيه في إمكانية إبدال الأساليب الكنائية التقليدية القديمة مما يناسبها من الأمثلة الحديثة، يقول الكاتب: "لكن رأيه في إمكانية إبدال الأساليب الكنائية القديمة بما يناسب العقلية الحديثة فلا نتفق معه، ذلك أن "منشئ المدارس والمستشفيات" العبارة التي قد يفضلها المؤلف على "كثير الرماد" كناية عن الكرم والجود، لن تقف أمام كل العصور وكل الأماكن وكل الظروف، إذ أن إنشاء المدارس قد يتوقف مفهومه على وقت دون آخر".<sup>١٨</sup>

والكتاب الخامس: "المظاهر البلاغية في بعض مؤلفات الأستاذ عبد الله بن فودي"، أثبت الكاتب أن للبحث خمسة أبواب، لكنه اقتصر على الباب الرابع في هذه الدراسة بالإشارة فقط إلى بعض التحليلات البلاغية التي سجلها الباحث فيه، فعرض الكاتب الموضوعات التي تناولها الباحث تحت علم المعاني في المؤلفات ثم الاستشهاد بأقوال عبد الله بن

فودي، وتعليقات الباحث الدقيقة مع تحليلاته البلاغية الرائعة، وأظهر الكاتب إعجابه بهذه التحليلات النادرة بقوله: "وهكذا يتبرع الباحث المؤلف في بعض مؤلفاته ويحلل كلامه تحليلاً بلاغياً رائعاً"<sup>١٩</sup> مما يظهر مكانه المرموق في ميدان العلوم البلاغية.

### ثانياً: كتاب تاريخ الأدب العربي

وهو الكتاب الذي ألفه المرحوم الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي بالعنوان: تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، وكان المؤلف محاضراً بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن، أصدر الكتاب عام ٢٠٠٩م. فقد ألقى المؤلف في الكتاب الضوء على الحقائق التاريخية حول مدينة إلورن وانتشار الإسلام واللغة العربية فيها، كما ركز على دور الشيخ صالح بن جنتا وإقامته الدولة الإسلامية في مدينة إلورن، والحركات الأدبية فيها حيث تتبع تطورها من شعر ونثر عبر عصورها المتعاقبة.<sup>٢٠</sup>

وأقرت الدراسة بأن فرسان الشعر من العلماء في العصر الإسلامي في مدينة إلورن هم الشيخ محمد بن الشيخ محمد الثاني بن بوي الذي مدح الأمير علياً على انتصاره على أهل (أوفا)، والشيخ محمد التاكتي بن أبي بكر النفاوي الذي نظم الشعر في الفخر بالقبيلة النفاوية، والشيخ محمود بن شئت الأمير الثاني، صاحب التخميس على قصيدة (هل لي مسيرة) للشيخ عثمان بن فودي، والشيخ محمد بن بيغوري الفلاني صاحب اللامية في مدح الشيخ ابن بوي.<sup>٢١</sup>

ثم تحدث عن تطور الأدب العربي في مدينة إلورن في عصر الاستعمار البريطاني إلى حدّ ما، كما هو ظاهر عند الشيخ أحمد ينما، والشيخ اللبيب تاج الأدب، والشيخ أحمد إكوكورو، والشيخ محمد كمال الدين الأدبي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري. ومما يدل على تطور الدراسات العربية في مدينة إلورن في هذا العصر، حسبما ذكر المؤلف، كتابان ألفهما الشيخ أحمد بن إكوكورو الأول في تاريخ أمراء إلورن تحت العنوان "أخبار القرون من أمراء بلد إلورن"، والثاني في العلوم العربية الخمسة (النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع) بالعنوان: "التقاط المتون في خمسة فنون". ثم تناول إسهام الشيخ آدم عبد الله الإلوري في هذا

التطور حيث أثبت أن الأدب العربي بنوعيه (الشعر والنثر) قد بلغ أوج مجده في مدينة إلورن بعد الاستقلال، وذكر أن فرسان الشعر في هذا العصر كثيرون، وفي مقدمتهم - حسب رأيه - الدكتور عيسى ألي أبوبكر، والمرحوم الأستاذ سليمان أحمد أديبايو، والمرحوم الأستاذ عثمان أبوبكر إيلينلا، والمرحوم الدكتور عثمان الثقافي، والسيد عثمان الكنكاوي وغيرهم.<sup>٢٢</sup>

### الخاتمة

أظهر الباحثان في هذه الجولة القصيرة أن حركة الدراسات الأدبية التي كانت مزدهرة في مدينة إلورن منذ أواخر القرن التاسع عشر حمل لواءها علماء الطبقة الثانية والذين أتوا من بعدهم، وقد كان هؤلاء هم الذين لعبوا أدوارا ملموسة في هذا الازدهار، فجاءوا بإنتاجات أدبية؛ في كتب مؤلفة وفي أشعار مقروضة قيمة. ثم جاء من بعدهم علماء آخرون ساهموا في اكتشاف ما كان محبوا من إنتاجات سابقهم وشرعوا في دراسة تلك الإنتاجات الأدبية المخبوءة وأخرجوها في أعمالهم الأكاديمية في المقالات العلمية المنشورة في المجلات، وفي بحوثهم الأكاديمية التي قدموها للجامعات لنيل الإجازات العلمية، كما أخرجوا بعضها في كتبهم المؤلفة التي تُظهر قدرتهم الجبارة في دراسة الأعمال الأدبية. هذا وقد ركزت هذه المقالة بؤرة انتباهها على بعض إنتاجات اثنين من علماء إلورن الأكاديميين المعاصرين، وهما البروفيسور حمزة عبد الرحيم والدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي، واكتشفت أن دراستيهما تبنان عما بلغته إلورن من رقي في مجال الدراسات الأدبية في ديار نيجيريا، وأن هذا الوعي الثقافي والأكاديمي ما يزال يخطو خطوات مشرقة ومزدهرة في المدينة بصنيع أدبائها وكتابها وعلمائها المستميتين على خدمة العربية وآدابها.

- عثمان عبد السلام محمد الثقافي، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن، من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، ط ١، لاغوس: Islamic Publication Centre L.T.D، ٢٠٠٧، ص: ١٣.
- ٢ - المرجع نفسه، ص: ٤
- ٣ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- ٤ - آدم عبد الله الإلوري، لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن، موشن لاجوس نيجيريا، مكتبة دار النور ص: ٥
- ٥ - مشهود محمود جمبا، علماء الإمارة، القاهرة، دار الفكر، ٢٠١٥م، ص ٥٤
- ٦ - انظر تفصيل هذه الجنسيات في المرجع نفسه، ص ١٩-٢٠
- ٧ - حسن جاد حسن، الأدب المقارن، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، ص: ٥.
- ٨ - مشهود محمود جمبا، أثر الإسلام والأدب العربي في الأدب النيجيري المكتوب، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص: ٥.
- ٩ - عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع السابق، ص: ١٥
- ١٠ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١١ - المرجع نفسه، ص: ١٦.
- ١٢ - للمزيد عن تطور اللغة العربية وآدابها في المنطقة، انظر: صالح محمد جمعة، دراسة الشعر العربي عن السياسة لعلماء بلاد اليوربا- نيجيريا، أطروحة الدكتوراه قدمت إلى قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، ٢٠١٣م، ٩٥-١٣٠
- ١٣ - البروفيسور حمزة إشلولا عبد الرحيم، "المؤلفات البلاغية لعلماء يوربا: عرض ونقد"، مقالة نشرت في مجلة نتس، المجلة السادسة، العدد الثالث Journal of the Nigeria ، vol. 6 No 3، Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies ، Sep 2003، ص: ٧٩



- ١٤- المرجع نفسه، ص: ٧٩-٨٠
- ١٥- المرجع نفسه، ص: ٨٥.
- ١٦- المرجع نفسه، ص: ١٦-٨٥.
- ١٧- المرجع نفسه، ص: ٨٨.
- ١٨- المرجع نفسه، ص: ٩١
- ١٩- المرجع نفسه، ص: ٨٧
- ٢٠- الدكتور عيسى ألي أبوبكر "اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: آفاق التطور والازدهار"،  
الموقع الإلكتروني: Afrilanguages.Blogspt.com التقطت المعلومة ٢٣ من أكتوبر  
٢٠١٨ م ٤,١٥ مساء
- ٢١- المرجع نفسه
- ٢٢- عثمان عبد السلام محمد الثقافى، تاريخ الأدب العربي... المرجع السابق، ص ٧٢-٧٧

## أساليب الأمر ومعانيها البلاغية في شعر السلطان محمد بلو

أول عمر

كلية الشيخ أبي بكر غومي التذكارية، صكتو

08030956190 / 07088822233

و

عبد الله محمد مدكا

كلية شيخ شاغاري للتربية، صكتو

08085689149

### المقدمة

الحمد لله الذي أنشأ الخلق بقدرته، ودبر الكون بحكمته، الذي أمر الأمة بامتثال أوامره ونهاهم عن اجتناب نواهيهم، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وعلى آله الكرام وصحبه غرّ الميامين، ومن سنّ بسنة المصطفى إلى يوم الدين.

فإن الشاعر السلطان محمد بلو من أبرز الشعراء، وقد استعمل الأسلوب الإنشائي، وخاصة الأمر منه لأغراض بلاغية تبرز ما يقصده من المعاني.

فسيتناول الباحثان في هذه المقالة المحاور الآتية:

- المقدمة.

- نبذة تاريخية عن حياة الشاعر.

- التعريف بالأمر لدى البلاغيين.

- صور من النماذج المختارة لأساليب الأمر.

- الخاتمة.

### نبذة تاريخية عن حياة أمير المؤمنين محمد بلو

هو أمير المؤمنين محمد بلو<sup>١</sup> ابن عثمان بن محمد فودي<sup>٢</sup> بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن عُورطو بن جُبو بن محمد. ويتصل نسبه إلى جده السابع موسى جُكُلُّ الذي هاجر بجماعته من بلاد فُوتاتُور على قصد الهجرة إلى الحجاز، وتأخر مع طائفته في بلاد الهوسا ليقضي الله أمرا كان مفعولا.<sup>٣</sup>

ولد أمير المؤمنين محمد بلو يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية الشريفة ١١٩٥ هـ الموافق ١٧٧٩م، في بيت يحيطه العلم وتحفه المعرفة، ونشر الفضيلة، من والدين كريمين، وهما مجدد الدين الشيخ عثمان بن فودي، والسيدة رقية العطوف.

فأما نشأته فكانت نشأة طيبة وترعرا حميدا في حجر والده الشيخ عثمان بن فودي، وعمه الأستاذ عبد الله بن فودي. وسلك الأمير مسلكهما ولازمهما وتأثر بهما من حيث نواياهما تجاه تطور الدين الإسلامي والحركة الإصلاحية. تربى أيضا في بيت العلم والتربية، ومنهجه تصحيح ما اعوج من عقائد المسلمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة سنة الجهاد في سبيل الله، وبيت ملتزم بتربية إسلامية، وتوجيه خلقي سليم.

ولهذا السبب عاش أمير المؤمنين محمد بلو، في أكمل صفة وأحسن سيرة، واتصف بفضائل القيم وعجائب الشيم، وأخلاق حميدة، حتى ساد الدولة بسياسة حكيمة، وعمّ عدله وانتشر.

فقد تتلمذ وتعلم الأمير على يد العباقرة من العلماء والجهابذة من المدرسين فبدأ محمد بلو تعلمه كسائر الأولاد المسلمين بتعلم القرآن وحفظه على والده الشيخ عثمان بن فودي. ثم لازم الشيخ وأصحابه، فضم على صدره ما حوته صدورهم من العلم. وقرأ على والده الشيخ دروس التفسير والحديث وأصول الدين وكتاب "الإنسان الكامل" كما قام عمه الأستاذ عبد الله بن فودي بتعليمه وتدريبه علوما جامعا، فأخذ عنه الكتب الآتية: تلخيص المفتاح، والجوهر المكنون، وإضاءة الدجنة، والكوكب الساطع، وألفية ابن

مالك، ولامية الأفعال. ثمّ واصل الأمير يتتبع العلماء العباقرة، وتتقف بثقافتهم الواسعة، حتى صار يشار إليه بالبنان. فمما يدل على ثقافة السلطان هو ثروته الضخمة من المصنفات والمؤلفات والرسائل، التي تجاوزت إحدى وعشرين ومائة مصنفٍ، من كتب ورسائل، في مختلف العلوم الإسلامية والعربية..

توفي أمير المؤمنين محمد بلو رحمه الله عشية يوم الخميس، الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين ومأتين بعد الألف، الهجرية، ٢٥ | ٧ | ١٢٥٣ هـ وعمره ثمان وخمسون سنة إلا شهرا، وكان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخرّ إلى وسادته ولم يبلغ رأسه الوسادة إلا بعد خروج روحه. رحمه الله وجعل الجنة الفردوس مثواه. ودفن في ورنو.<sup>٤</sup>

### التعريف بالأمر لدى البلاغيين.

"الأمر هو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإجبار والاستعلاء"<sup>٥</sup>

الأمر: هو " طلب الفعل على جهة الاستعلاء"<sup>٦</sup> وله أربع صيغ:

١: فعل الأمر الصريح: نحو: اجلس، وقم.

٢: المصدر النائب عن الفعل: نحو: يا زيد، صبرا. أي اصبر.

٣: المضارع المقرون بلام الأمر مثل: ليضرب زيد أخاه.

٤: اسم فعل الأمر : مثل قول ابن مالك:

والفعل من أسمائه عليكا \* وهكذا دونك مع إليكما<sup>٧</sup>

وقد اختلف البلاغيون فيما يدل عليه أسلوب الأمر، فيرى بعضهم أنه على الوجوب

وبعضهم يرى أنه للندب، وآخرون يرون أنه يشمل معنى الوجوب والندب.<sup>٨</sup>

وذكر أن الأصوليين اختلفوا في وضع صيغة الأمر فقبل وضعت للوجوب فقط، وهو مذهب

الجمهور، وقيل للندب فقط، وقيل للقدر المشترك بينهما، وهو مجرد الطلب على وجه

الاستعلاء.

والأصل في أسلوب الأمر - كما سبق - أن يدل على طلب حدوث شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، على وجه التكليف والإلزام.

وقد يخرج الأمر عن هذا المعنى الأصلي فيفيد معاني كثيرة تستفاد من السياق وقرائن الحال والمقال.

### صور من النماذج المختارة لأساليب الأمر في شعر السلطان محمد بلو

الأمر بمعناه الحقيقي هو طلب فعل على جهة الاستعلاء والوجوب.<sup>٩</sup> ويكون في أربع صيغ كما سبق ذكرها.

وترد صيغة الأمر في استعمالها العربي والأدبي لمعان كثيرة، تخالف مقتضى الظاهر، كما تفهم من سياق الكلام وقرائن الحال والمقال، فيتمتع النفس بالمشاركة الوجدانية بين المتكلم والسامع أو المتلقي، ويظهر فيه عنصر القوة والرونق الفني الذي تعقد فيها المعاني البلاغية الفذة، والتي تجمع في طياتها إيجاءات جمالية رائعة.

أما الشاعر أمير المؤمنين، فقد تمسك بهذا العنصر تمسكا لبقا، فصوّغه في لطائف سلسلة وقيم فنية رائعة، وأساليب إنشائية حية، في مختلف المناسبات، وتباين المقاصد والمعزى. ولهذه اللباقة الفذة، صدر للشاعر في ديوانه اثنان وثمانون "٨٢" أسلوبا في الأمر مع صيغه الأربعة، ومعان بلاغية مختلفة. ومن هذه المعاني ما يلي:

**الأمر بمعنى الدعاء:** يكون الأمر بمعنى الدعاء إذا صدر من العبد إلى ربه سبحانه وتعالى. وكثر لدى الشاعر هذا الأسلوب ويجيده أيضا، وذلك لقوة علاقته بربه، وإنابته إليه، واللجوء إلى المولى عز وجل، رغبة ورهبة، ومن ذلك قوله - رحمه الله -:

وأتمم لنا نورا أرادوا خموده \* ولو كره الكفار من ذلك النور

وأسق بلادا كان فيها مقامنا \* ومن بركات الأرض أخرج على الفور

أغثنا أغثنا أنت مالك أمرنا \* وعجل بيسر لا يعقبه بالعسر<sup>١٠</sup>

استخدم الشاعر محمد بلو في هذه الأبيات، فعل أمر صريح، وهي: "أتمم" "وأسق"

"أغثنا" "عجل" إلا أنه ما أورده بمعناه الأصلي، بل جاء على معنى مجازي وهو الدعاء، حيث

إنه يدعو ربه على وجه التضرع والتذلل والخضوع، ليتم نور هذا الدين الحنيف، ويخشع للمولى عز وجل، بطلب السقيا بركاته، وإخراج ما في الأرض من البركات، ونزول أرزاقه، وانهدار وابله، وتعجيل فرجه، لإتمام سعادة المسلمين دنيا وأخرى، وينصر دينه الحنيف، الذي نوى الكفار تفكيكه، وسعوا سعيا حثيثا لإطفائه، وإخماد نوره، في هذه الأقطار قاطبة، ولكن وعد الله أن يتم نور دينه ولو كره الكافرون.

ويقول:

فكشفا لنا من كل كرب وغمة \* ودارك علينا رحمة وسرورا<sup>١١</sup>

وقال أيضا:

عونا وغوثا بما يرضي الفقير به \* من كشف همّ ومن تسهيل حاجات<sup>١٢</sup>  
فقد أورد الشاعر في هذين البيتين الكلمات الآتية: "فكشفا" و"عونا" و"غوثا" وكل هذه الكلمات مصادر، وتؤدي معنى الأمر في دلالتها، إلا أن الأمر ما صدر بمعناه الحقيقي، إنما يقصد به الشاعر هنا معنى الدعاء. حيث إن الشاعر يدعو ربه سبحانه وتعالى، أن يجلي لهم الهموم والغموم، ويذهب عنهم الحزن والكرب، ولا يجعلهم في الذين خسروا أعمالهم في الدنيا والآخرة، بل يجعلهم في عباده المرحومين، ويكونوا في سرور وبهجة ونشاط دائم من تسهيل الحاجات .

وفي قصيدة أخرى يقول الشاعر:

فنصرا عزيزا يا إلهي لقومنا \*\* فمنا نرجو الفوز باللطف والنصر<sup>١٣</sup>

والشاعر استعمل في البيت السابق المصدر "نصرا" فهو مصدر يراد به الأمر، وهو انصرنا يا رب نصرا عزيزا وفائقا عند اللقاء مع الكفار الأعداء، وصيغة الأمر هنا بمعنى الدعاء، حيث يتضرع الشاعر إلى المولى عز وجل أن يردّ كيد الكفار إلى نحورهم وينقلبوا خاسرين، ويأخذهم بقدر معاصيهم وطغيانهم، لأن الكفار يريدون المكر والبغي والعدوان تجاه هذا الدين الحنيف، ويعز الله دينه ولو كره العادون.

الأمر بمعنى الرجاء: يكون الأمر بمعنى الرجاء إذا صدر من الأقل رتبة ومنزلة إلى من هو الأعلى منه قدرا وجاها. والرجاء هو الطمع، أو ما يتمناه وهو قريب المنال. وصدر مثل ذلك عند الشاعر:

يأيها السيد الغوث أنت المستغاث به \* فاشفع بجاهك لي في نحو زلات<sup>١٤</sup>

أما فعل الأمر في هذا البيت "فاشفع" فمعناه البلاغي الرجاء، لأن الشاعر ما زال يرجو من ممدوحه المختار الكنتي، أن يشفع له شفاعته خاصة، في تكفير خطاياهم وزلاتهم، توسلا بما له - في اعتقاد الشاعر - من الجاه والحرمة عند الله، وفي معنى الرجاء أيضا قوله:

فجودوا بعطف عناية ورعاية \* إليه لكي يعطى ما يتمناه<sup>١٥</sup>

استعمل الشاعر في هذا البيت فعل أمر "فجودوا" دلالة على الرجاء، لأن الشاعر يرجو من الممدوح النبي صلى الله عليه وسلم، أن يجودوا بالعناية والرعاية فيه لينال مرامه، واستعمل ضمير الجمع إشارة إلى تعظيم درجة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعته قدره. ويقول الشاعر كذلك:

فكد يا إلهي كل من رام كيدنا \* \* وخذه إذا يبغي علينا على قدر<sup>١٦</sup>

وقوله:

أبلغ تحية مشتك زلاته \* \* الغوث مع أقطابه الأخيار

واطلب لنا منه الدعاء فإنه \* \* بدعائه نرجو قضا الأوطار.<sup>١٧</sup>

ما زال الشاعر يطلب من ممدوحه الشيخ المختار الكنتي متوسلا به على وجه الرجاء قضاء حاجاته ومتطلباته عند الله سبحانه وتعالى.

الأمر بمعنى النصح والإرشاد: يكون الأمر بمعنى النصح والإرشاد، وذلك إذ جمع في مضمونه معنى النصيحة، والموعظة، والإرشاد.

إن أمير المؤمنين محمد بلو قضى معظم حياته في الدعوة وبناء المجتمع الإسلامي على الصلاح، وتوجيههم إلى سبيل الرشاد والفلاح. ولذلك كثر في تعبيراته الشعرية أسلوب النصح والوعظ، ومن نماذج ذلك في شعره ما يلي:

تعلق بسنته ولا تتعدّها \*\* إلى بدعة عوجاء أهل سقام<sup>١٨</sup>

والشاعر في البيت ينصح السامع ويرشده، ليطمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتجاوز الحد. والأمر هنا، يقتضي معنى النصح والإرشاد. ويقول الشاعر أيضا:

وصابر خطوب الدهر ما جل وقعها \*\* فإمرارها بعد البشاعة تستمر<sup>١٩</sup>

استعمل الشاعر في مطلع هذه القصيدة التي يصف فيها قومه أهل فوت، الذين ذكرهم في البيت، وصار يشعر بالألم والوجد في نفسه، لأجل مفارقتها ويحس بهم روحيا، ولذلك أمر المخاطب على وجه النصيحة والإرشاد، أن يصبر على أمور شديدة ويتجلد، وما يواجهه من الويلات في أمور الدنيا مهما قلّت أو كثرت، فإنها لا تدوم، إن مع العسر يسرا، وإن الحذر لا ينجي من القدر.

ويقول الشاعر في موضع آخر:

فدع عنك الركون إلى الأعداء \*\* ونصر الظالمين الفاجرينا

وتعلم أنهم أهل اعتداء \*\* ووال أخا الصلاح المؤمنين

وخاللهم وظاهرهم عليهم \*\* فإن الله مخزي الكافرينا<sup>٢٠</sup>

والشاعر في هذه الأبيات، قد ضمن فيها أساليب الأمر التي تحمل معنى "النصح والإرشاد"، حيث إنه ينصح سامعيه بالأمر بركونهم إلى أعداء الدين ولا ينصروا الظالمين، وأمرهم أيضا أن يكون مع أهل الله الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وبصاحبهم ويظهر مودتهم وحبهم، وكل من هذه الأوامر معناه البلاغي النصح والإرشاد.

**الأمر بمعنى الالتماس:** الالتماس هو طلب حصول الفعل الصادر من الأنداد والنظراء المتساوين قدرا ومنزلة<sup>٢١</sup>. والطلب منه على سبيل التلطف وبدون التضرع والاستعلاء. ويدرك من خلال أساليب الأمر بمعناه البلاغي الالتماس، وذلك عند قوله:

فَسَلْ يَوْمَ تُشْأَوُا يَوْمَ وَلَوْ بِأَسْرِهِمْ \* وشتين رهن خلفوه محزار<sup>٢٢</sup>

فسل عن وقائع بيننا واقتنع بما \* على صنع مولانا حين نشكر<sup>٢٣</sup>



ورد عن الشاعر في هذين البيتين، فعل أمر صريح، بمعنى الالتماس، حيث يلتمس الشاعر مخاطبه، ليخبره عما جرى في معركتي تُشُوّ وجات الحارّة، والتي التحموا مع الأعداء التحاما نكرا، فأدى إلى سقوط شهداء من جانب المسلمين، لشدة البلاء، فشكر الله في عجز البيت الثاني للخالق الصمد الجبار، علما بأن الحرب سجال، وإيمانا منه بأن الله سيهزم شمل الكفار، وعاقبتهم الهلاك والدمار، وقال الشاعر:

ألم بساحة أحبابي وسادتي \* واشف الجنان بهم من كل إعنات  
وانف الهموم وأشجانا تكابدها \* فقد تحصلت من وعث المعرات  
وباكر الكرع من صهباء صافية \* بكفّ لانزق الأخلاق لوات<sup>٢٤</sup>

والشاعر في مطلع هذه القصيدة التي مدح بها شيخه المختار الكنتي، استعمل فيها أفعال الأمر بصيغته الصريحة، وهي "ألم" و"اشف" و"واربع" و"باكر"، وهذه الأفعال تحمل معنى من المعاني البلاغية، وهي الالتماس، حيث يأمر الشاعر المخاطب على وجه الالتماس بامثال هذه الأوامر من النزول وانجلاء الألم، والبكور في الروحة والغدوة إلى البلد المبارك. وقال الشاعر أيضا:

ألا ملّ إلى مبروكٍ إن شئت مرشدا \* تنوخ بجرعها تنلّ كل مجتدا<sup>٢٥</sup>  
والشاعر افتتح هذه القصيدة بـ (ألا) للتحضيض والتنبيه، الفعل "مل" فيه الالتماس، يأمر الشاعر المخاطب أن يميل إلى هذا البلد المبارك، ليجد فيها كل ما يقصده ويرمي إليه من البركات والنعم وهي المدينة المنورة. وقال الشاعر أيضا:

فدع وزنهم بسواهم في العلوم \* والهدى كان كل العلم فيه متلدا  
ومعنى الأمر عند قول الشاعر "فدع" الالتماس:  
وقال الشاعر أيضا:

تعلم أننا مما رمينا به \*\* براء فأقف القدر فينا<sup>٢٦</sup>

افتتح الشاعر هذا البيت للقصيد بـ فعل الأمر "تعلم" الذي يوحي معناه البلاغي الالتماس على وجه التخلص والتحقيق، لأن الشاعر ما زال يبرئ نفسه وبقية إخوانه الفلانيين الذين رموا بالإفك والزور.

**الأمر بمعنى التمني:** هو طلب أمر محبوب لا يرجى وقوعه، إما لكونه مستحيلاً، وإما غير مطموع في نيته،<sup>٢٧</sup> ومما ورد لهذا المعنى قول الشاعر في رثائه لمحمد بن المختار الكنتي:

يا عين جودي بعبرة وصيب \* واسكي الدمع بعد بعد الحبيب

واذرفي أدمع الجفون اسكابا \* واهملي واهطلي وسحي وصوي<sup>٢٨</sup>

افتتح الشاعر قصيدته بجمل إنشائية، حيث يردد البكاء، ويأمر أدمع الجفون بالسكوب والإهطال، والصبوب، والإذراف. أسفا على مفقوده الحبيب، فاستقلع الأمر من معناه الأصلي إلى أسلوب بلاغي راق وهو التمني، لأن الشاعر ما زال يتمنى الموت ليدرك محبوبه المختار الكنتي من أكبر أساتذة في منطقتة، لشدة حبه له والشوق لعلمه، وذلك عند قوله:

ليتني بعد نأي مرتاح قلبي \* صحبتني المنون كأس شعوب<sup>٢٩</sup>

**الأمر بمعنى الاعتبار والتنبيه:** وذلك إذا ضمن الأمر معنى ما يعتبر به ويتعقل، ومما يشد هذه اللمحات البلاغية استعمال أمير المؤمنين محمد بلو أسلوب الأمر الصريح، الذي يفيد معنى الانتباه والاعتبار، وذلك عند قوله:

ألا أبلغ توارق أهل أُرْبُنْ \* علانية فقد ذهب السرار<sup>٣٠</sup>

استعمل الشاعر في مطلع هذه القصيدة فعل أمر "أبلغ" بمعناه البلاغي الانتباه والاعتبار مع "ألا" التي للتحضيض، حيث يحدث الشاعر سامعه ويطلب منه انتباه عقله ليبلغ إلى التوارق أن يعلموا أن شوكة الإسلام قد قويت، واستعداد المسلمين بلغ حد الإظهار الدعوة إلى هذا الدين الحنيف، وأن آوان مواجهة الأعداء، وانتهى الإسرار بالسنة الغراء، حيث وجبت مناضلة الوثنية الظلماء.

**الأمر بمعنى التهديد والوعيد:** وذلك إذا كان الأمر بما يخالف الواقع ويتضمن ما يخيف ويهدد، يقول الشاعر:

فحزنا يا توارق أهل أزين \*\* ففروا كي يخلصكم فرار

فسيروا أربعين ونصف عام \*\* ففروا حيث طاب لكم فرار<sup>٣١</sup>

واستعمل الشاعر في هذين البيتين فعل الأمر "ففروا"، حيث إن الشاعر يهدد قبيلة التوارق على وجه التهكم والسخرية، لأن الفرار لا يغني عنهم من الله شيئاً، ولا يمنعهم من الهلاك والدمار، لأن الله سيهزم شمل الكافرين، ويولّون الدبر.

وقال الشاعر أيضاً:

فأبلغ زُدي هُودٍ يهُودِي \*\* توقع وارتقب مني سببا<sup>٣٢</sup>

فقد أصدر الشاعر في هذا البيت أمره بمعنى التهديد والوعيد، حيث استعمل لفظ الأمر (توقع وارتقب).

#### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تمت هذه المقالة، التي توصل إليها الباحثان من خلال كتابتها أن السلطان محمد بلو استعمل أساليب الأمر بمختلف معانيها البلاغية وأغراضها المتباينة. ويوصي الباحثان أن يشمروا في البحث العلمي وخاصة في الفن البلاغي، وبالله التوفيق والسداد.

## الهوامش والمراجع

- ١ - بلو معناه المعين أو المساعد، انظر: البركوي شرح نظم العوامل النحوية، لمحمد بلو، ص٣٣.
- ٢ - فودي معناه الفقيه.
- ٣ - آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨م، ص: ٨٣
- ٤ - أمير المؤمنين محمد بلو، إنفاق الميسور، ص: ٢٣
- ٥ - أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، ص: ٣٢٣
- ٦ - عتيق عبد العزيز (الدكتور)، علم المعاني، ص: ٥٤
- ٧ - الفاسي، أبو زيد عبدالرحمن، شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، ص: ١٩٠.
- ٨ - البسيوني، عبد الفتاح (الدكتور)، علم المعاني، ص: ٣٥٥-٣٥٦
- ٩ - المراغي، مصطفى، علوم البلاغة، ص: ٥٧.
- ١٠ - الوزيرجنيد، إفادة الطالبين، ص: ٨.
- ١١ - المصدر نفسه، ص: ٨٤
- ١٢ - المصدر السابق، ص: ٢٧
- ١٣ - محمد بلو، إفادة الطالبين، المصدر السابق، ص: ٨
- ١٤ - المصدر السابق، ص: ٢٦
- ١٥ - المصدر السابق نفسه، ص: ٦٠
- ١٦ - المصدر نفسه، ص: ٨
- ١٧ - المصدر نفسه، ص: ١٩
- ١٨ - المصدر السابق، ص، ٤٩.
- ١٩ - المصدر السابق، ص، ٦٦.
- ٢٠ - المصدر السابق، ص ١٩.

- ٢١ - عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص: ٦٠
- ٢٢ - المصدر نفسه، ص: ١١.
- ٢٣ - المصدر نفسه، ص: ٦.
- ٢٤ - المصدر نفسه، ص: ٢٣.
- ٢٥ - المصدر نفسه، ص: ٤٩.
- ٢٦ - المصدر نفسه، ص: ١٩.
- ٢٧ - عتيق، عبد العزيز، المرجع نفسه، ص: ٦١
- ٢٨ - المصدر نفسه، ص: ٢٧.
- ٢٩ - المصدر نفسه، ص: ٢٨.
- ٣٠ - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، ص: ١٢.
- ٣١ - المصدر السابق، ص: ١٢.
- ٣٢ - المصدر السابق، ص: ١٣.

## ملاحم من المحسنات المعنوية في كتاب تحبير النقول في معاني أصحاب

### العقول للشيخ عبد القادر التالكي

الدكتور ماهر هارون ماهر

الدكتور محمد عثمان أبوبكر

قرية اللغة العربية، إنغالا - نيجيريا

08030608164 / 08036476832

mahirharun6@gmail.com

#### المقدمة

تناول أحد الباحثين كتاب تحبير النقول للشيخ عبد القادر التالكي بدراسة مطولة من قبل، ثم قام الباحثان بتلخيص جزء من الكتاب في مقالة بعنوان عرض لقبس من المحسنات اللفظية ونشرت في مجلة النبراس للدراسات العربية، إصدار جامعة سُلِّي لأميَطُو، ولاية جِغَاوَا؛ ولتعميم الفوائد لخص الباحثان جزءاً آخر من الكتاب في هذه المقالة بعنوان "ملاحم من المحسنات المعنوية" نظراً إلى العلاقة الكامنة بين المحسنتين - اللفظية والمعنوية، والمحتمل أن من اطلع على الطرف الأول يشناق إلى اطلاع على الطرف الثاني. لقد سلك الباحثان منهج البحث المكتبي في جمع المادة، كما استعانا بالمنهج الوصفي والتحليلي للوصول إلى الهدف المنشود. ومحاور البحث كما يلي:

- المقدمة التمهيديّة
- وقفة مع كتاب تحبير النقول في معاني أصحاب العقول.
- المحسنات المعنوية في الكتاب.
- الاستنتاج والخاتمة.
- ثبت الهوامش والمراجع.

### التمهيدية

كان الشيخ عبد القادر التالكي من أسرة فلانية<sup>١</sup> استقرت بشاطئ نهر بالقرب من مدينة حَطِيحِيَا يسمى نهر تَالِيكُو، فأسسوا قرية باسم النهر<sup>٢</sup>، وهي التي اشتهر بها الشيخ التالكي، وإليها انتسب<sup>٣</sup>. ولد الشيخ عام ١٩١٢م، ونشأ في رعاية والديه، ولقد كان حسن الأخلاق وطيب المعاشرة "طلق الوجه" كريما وجوادا، مالكي المذهب، أشعري العقيدة، صوفيا، تجاني الطريقة وإبراهيمي النزعة. إلا أنه كان يتعد عن مخالطة الحكومة والحكام زهدا في الدنيا وما فيها<sup>٤</sup>. تلقى مبادئ علمه في طفولته المبكرة عند والده،<sup>٥</sup> كما طاف المعاهد العلمية المختلفة في بلاد الهوسا<sup>٦</sup>، ومن البلاد التي طافها في رحلاته العلمية: قرية عَمَاوَا في ولاية بَوْتَشِي، ومدينة أَرِي بولاية بَوْتَشِي أيضا، ومدينة حَطِيحِيَا بولاية جَعَاوَا حاليا، وقرية بُرُن كِيْن<sup>٧</sup>، ومدينة زَارِيَا وَكْنُو. ومن أساتذته: والده الشيخ محمد بَلُو، والشيخ آدم البُرُوْرِي<sup>٨</sup>، والشيخ الحاج علي عَمَاوَا<sup>٩</sup>، والشيخ يوسف التجويدي<sup>١٠</sup>، والشيخ عبد الله غَبَارِي بمدينة أَرِي، والشيخ محمد بن علي غماوا<sup>١١</sup>، والشيخ أَبَارِي حَطِيحِيَا، والشيخ عمر الفلاني العَارُوْدِي<sup>١٢</sup>، والشيخ أَلْفَا علي المغربي<sup>١٣</sup>، والشيخ إبراهيم صُكُّو<sup>١٤</sup>، والشيخ أبوبكر الفلاني كَنُو، والشيخ محمد سَلْعَا كَنُو<sup>١٥</sup>، والشيخ عبد الله بن محمد سَلْعَا، والشيخ عثمان القلنسوي كَنُو<sup>١٦</sup>. ثم استقر بمدينة عَشُوَا حيث أسس معهدا علميا وتفرغ للتدريس والتعليم والتأليف والدعوة والإرشاد فيه<sup>١٧</sup>، وقضى في ذلك ما تبقى له من العمر، ومن الفنون التي درّسها الشيخ في معهده: علم الفقه، وعلم التوحيد، وعلم المنطق، والحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، والفنون الأدبية، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، وعلم الحساب والرمل والفلك، وعلم التصوف<sup>١٨</sup>. ومن تلامذته بكره وخليفته الحاج أحمد، ومالم عمر جَالِنُو<sup>١٩</sup>، ومالم شُوَا دِيَقَا، من جمهورية النيجر، وغيرهم كثيرون<sup>٢٠</sup>. توفي الشيخ التالكي عام ١٩٩٥م، في بيته بمدينة عَشُوَا؛ رحمه الله وأكرم نذله ووسع مدخله وجعل جنة الفردوس مثواه. خلف بعده ثلاث زوجات وثمانية بنين واثنتي عشرة بنتا<sup>٢١</sup>. وكان للشيخ مؤلفات كثيرة في مختلف فنون

العلم<sup>٢٢</sup>، ومن إنتاجاته ما كانت مطبوعة طباعة تصويرية محلية، ومنها ما لا تزال مخطوطة بأيدي الخواص، ومنها ما ضاعت<sup>٢٣</sup>.

### وقفه مع كتاب تحبير النقول في معاني أصحاب العقول:

يتضمن الكتاب ستة وعشرين بعد سبعمائة (٧٢٦) بيت، في طيات ست وعشرين (٢٦) قصيدة. تناول الشيخ التالكي في هذا الكتاب: موضوع التصوف من عظمة الله، وقدرته، وإرادته، ومشيمته سبحانه وتعالى، وآياته في الكون، والمناجاة، ومحبة الله تبارك وتعالى، ومحبة شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم، والشكوى والحنين، والتوسل، والوعظ والإرشاد، والخمريات الصوفية، والغزل الصوفي، وغير ذلك<sup>٢٤</sup>. يتسم أسلوب الشيخ التالكي في قصائد هذا الكتاب باستخدام ألفاظ سهلة في بعض المواضيع وفي بعض القصائد، بحيث يفهمها من له إلمام خفيف باللغة العربية، مما يؤدي إلى فهم الشكل والمضمون للأبيات أو القصيدة، دون الرجوع إلى القواميس، أو الاستعانة بمعين<sup>٢٥</sup>، كما يستخدم الألفاظ الغريبة الغامضة التي لا تُفهم إلا بالرجوع إلى القواميس التي تشرح معاني الألفاظ أو الاستعانة بمعين، وبدون ذلك لا يُفهم شكل القصيدة ولا مضمونها<sup>٢٦</sup>. وكذلك أحسن الشيخ في اختيار الألفاظ المناسبة في قرص قصائد الكتاب<sup>٢٧</sup>، كما استرسل في الأماكن التي يناسب الاسترسال، فأجزل قصائده ببعض الحكم التي تجري مجرى المثل<sup>٢٨</sup>.

### المحسنات المعنوية في الكتاب:

المحسنات المعنوية جزء من علم البديع، كما كان علم البديع فرعاً من علوم البلاغة يعرف به "وجوه تحسين المعاني وتزيين الألفاظ التي تميزت بها آثار المبدعين من أهل الشعر والنثر في اللغة العربية، والتي استخلصها وصاغ تقنياً أرباب النقد والمباحث البلاغية..."<sup>٢٩</sup>؛ ويندرج تحت علم البديع فرعان رئيسان، هما: المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، إلا أن هذه الدراسة تهتم بالجانب الأخير، وسنوضح القول حسب النماذج التي تم العثور عليها في كتاب تحبير النقول في معاني أصحاب العقول للشيخ التالكي، كما يلي:



**المحسنات المعنوية:** تهتم مباحث المحسنات المعنوية بتحسين معاني الألفاظ<sup>٣٠</sup>، وكان كتاب تجبير النقول للتالكي محشونا بالمحسنات البديعية المعنوية، ومن ذلك ما يلي:

أ/ الاستدراك بلفظة "لكن": وهو رفع التوهم المتولد من كلام سابق بلفظة "لكن"<sup>٣١</sup>، ومما تم العثور عليه من هذا النوع من الاستدراك في قصائد كتاب تجبير النقول للتالكي، قوله في القصيدة التاسعة حين يتحدث عن قدرة الله وإرادته:

تَفَاوُثُهُنَّ لَا تَخْفَى \*\*\* فَأَمْوَاتٌ وَأَحْيَاءُ  
وَلَكِنْ تَحْتَ مَقْدُورٍ \*\*\* هَا فِي الْكَوْنِ إِخْفَاءُ

وفي هذين البيتين البديع المعنوي من نوع الاستدراك بلفظة "لكن"، الذي يقصد به رفع التوهم المتولد من كلام سابق، حيث أشار الشاعر إلى أن المخلوقات تتفاوت تفاوتاً ظاهراً في أحوالها، وقد يتولد التوهم للسامع على أن للمخلوقات قدرة تامة على تصرفات أحوالها حتى يتفاوت بعضها على بعض، ولإزالة هذا التوهم عن ذهن السامع استخدم الشاعر لفظة "لكن" للاستدراك على أن ليس للمخلوقات قدرة تامة على تصرفاتها لأحوالها، بل إنما هي تحت قدرة الله وإرادته التي يتصرف بها الكون حسب مشيئته تعالى، وفي ذلك ندرك أن لفظة "لكن" قد حسنت وزينت معاني الألفاظ.

**ب/ تشابه الأطراف:** هو فرع من فروع المحسنات المعنوية، ويقصد به أن يختم الأديب كلامه بما يناسب ابتداءه<sup>٣٢</sup>، وينقسم إلى تشابه الأطراف اللفظي وتشابه الأطراف المعنوي<sup>٣٣</sup>.

**تشابه الأطراف اللفظي:** ينقسم هذا النوع إلى قسمين، هما:

1. إعادة لفظة وقعت في آخر المصراع الأول من البيت الشعري أو الجملة من النثر في أول المصراع الثاني أو الجملة التالية<sup>٣٤</sup>، ومن أمثلة ذلك في الكتاب قول التالكي في البيت الثاني عشر من القصيدة الرابعة:

وَعَايَةُ الْأَمْرِ وَصَلٌ \*\*\* وَالْوَصْلُ كَيْفَ يَكُونُ

وقد تشابهت أطراف هذا البيت في اللفظ، لأن كلمة "وصل" في آخر صدر البيت تشابه كلمة "الوصل" في أول عجز البيت من ناحية اللفظ.

2. إعادة الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه<sup>٣٥</sup>، كقول الناظم في القصيدة الثالثة عشر من الكتاب:

أَجِبْ لِي دَعْوَتِي وَأَنْلِ مَرَامِي \*\*\* أَنْادِي يَا مُنَعَّم يَا سَلِيمُ  
أُسَلِّمُ كُلَّ عَاهَاتٍ وَضُرِّ \*\*\* وَدَائٍ مَسُّهَا مَسُّ أَلِيمُ

وقد تشابهت أطراف هذين البيتين في اللفظ، لأن كلمة "يا سليم" في آخر عجز البيت الأول تشابه كلمة "أسلم" في أول صدر البيت الثاني من ناحية اللفظ.

تشابه الأطراف المعنوي: وهو أن ينهي الأديب كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى دون لفظ<sup>٣٦</sup>، نحو قول الشاعر

أَلْدُ مِنَ السِّحْرِ الْحَلَالِ حَدِيثُهُ \*\*\* وَأَعَذَّبُ مِنْ مَاءِ الْعَمَامَةِ رِيْقُهُ<sup>٣٧</sup>

وقد تشابهت أطراف هذا البيت في المعنى، وذلك لأن كلمة "أعذب" في بداية عجز البيت تشابه كلمة "ألد" التي في أول صدر البيت من ناحية المعنى، كأنك قلت: ريقه لذيد، أي لعاب الحبيب لذيد عند القبلة، (والله أعلم).

ج/ الطباق بنوعيه: هو جزء من المحسنات المعنوية: ويقصد به الجمع بين لفظين متضادين، إما اسمين نحو الليل والنهار، أو فعلين نحو يبكي ويضحك، أو حرفين نحو يوم لنا ويوم علينا<sup>٣٨</sup>، وقد قسمه النقاد إلى قسمين، هما: طباق الإيجاب وطباق السلب، وسن فصل القول حسب النماذج التي عثرنا عليها في الكتاب فيما يلي:

1. طباق الإيجاب: هو الذي لم يختلف فيه اللفظان المتضادان سلبا وإيجابا<sup>٣٩</sup>، نحو قول الشيخ في

القصيدة السادسة في ذكر صفات الله تعالى:

تُعْطِي وَتُمْنَعُ مَنْ تَشَا \*\*\* إِكَمَا تَشَاءُ بِلَا عِدَا

الطباق بين "تعطي" و "تمنع" وهو طباق الإيجاب.

كما قال الشيخ أيضا في القصيدة الثامنة في العشق الإلهي:

بَيْضًا وَسُودًا وَفِينَا \*\*\* مُقَصَّرٌ وَطَوِيلٌ

يوجد طباقان في هذا البيت، الأول: بين "بيضا" و "سودا" وهو طباق الإيجاب؛ والثاني: بين "مقصر" و "طويل"، وهو طباق الإيجاب أيضا.

2. **طباق السلب:** هو الذي يجمع فيه بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، أو هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا<sup>٤٠</sup>، مثل ما قاله الناظم في مطلع القصيدة الثالثة في ذكره لمشيئة الله من الكتاب:

نَحِيدُ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا نَحِيدُ \*\*\* وَنَحْنُ وَمَا عَلَيْنَا لَا نُفِيدُ

الطباق بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، وهما: "نحيد" و "لا نحيد"، وهو طباق السلب.

وقال الشيخ أيضا في القصيدة الثامنة في محبة الله تعالى:

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَمِيلُ \*\*\* عَنْ حُبِّهِ لَا أَمِيلُ

والطباق بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي، وهما: "أميل" و "لا أميل"، وهو طباق السلب.

د/ **الإطناب:** هو فرع من فروع المحسنات المعنوية، ويقصد به زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وله دواع كثيرة، منها: تثبيت المعنى أو توضيحها أو تأكيدها، ومن ذلك أيضا دفع الإبهام وقوه التأثير، ومنه كذلك تحريك النفس والعواطف والانفعالات<sup>٤١</sup>؛ كما كان للإطناب أنواع كثيرة، منها:

1. **الإيضاح بعد الإبهام:** وهو "إعطاء المعنى في صورتين مختلفتين: إحداها مبهمة والأخرى موضحة، وهذا من شأنه أن يزيد المعنى تمكنا من النفس، ومن أمثلة الإيضاح بعد الإبهام في الكتاب، قول الشيخ في القصيدة السادسة والعشرين في المديح النبوي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَهْدَى لَنَا مَنَّا \*\*\* مُحَمَّدًا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ ذَا الشَّرَفِ

والملاحظ هنا، أن قول الشاعر: (الحمد لله إذ أهدى لنا مننا) كلام مبهم، قد يسأل سائل، ما هي هذه المنن؟، وقبل إثارة الأسئلة، فصل الشاعر تلك المنن بقوله: (محمدًا سيد الثقلين)، مما زاد المعنى وضوحا وتمكنا في نفس المتلقي.

2. **ذكر العام بعد الخاص:** "وغايته إفادة العموم مع العناية بشأن خاص، نحو قوله تعالى في كتابه المبين: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)، سورة نوح، الآية: ٢٨. فاللفظان: (لي ولوالدي) زائدان لدخول معنيهما في عموم (المؤمنين والمؤمنات)<sup>٤٢</sup>.

إلا أن الباحثين عجزوا عن العثور على نموذج من نماذج ذكر العام بعد الخاص في الكتاب، وذلك لقصورهما وعجزهما الإنساني، والكمال لله وحده.

3. **ذكر الخاص بعد العام:** وهو "التنبية على أمر من الأمور وزيادة التنويه بشأنه، ومن أمثلة ذكر الخاص بعد العام في الكتاب، قول الشيخ التالكي في القصيدة الثالثة والعشرين في المناجاة:

بَابُ لِكُلِّ مَلَاذٍ \*\*\* مَاوَى الطَّرِيدِ غِنَاهُ

فقد خص الشاعر (الطريد) وهو المطرود المحتاج إلى ملاذ يلجأ إليه، مع كونه داخل في عموم كل ملاذ، للتنبيه على غاية احتياجه إلى نجدة خاصة تنجيه.

4. **التكرار بنوعيه الحرفي والكلمي:** وهو في اللغة الإعادة مرة بعد أخرى<sup>٤٣</sup>، وعند النقاد الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني<sup>٤٤</sup>، وبعبارة أخرى هو - أي التكرار - ظاهرة فنية يكمن فيه سر من أسرار الجمال الأدبي، كما يعتبر أيضا تكرار كلمة فأكثر بالمعنى أو باللفظ للتوكيد أو لزيادة التشبيه أو التهويل أو التعظيم أو التلذذ بالمكرر<sup>٤٥</sup>. ويتفرع التكرار إلى فرعين كبيرين، هما: التكرار الحرفي والتكرار الكلمي، وسوف نسلط ضوء عليهما فيما يلي:

**النوع الأول: التكرار الحرفي:** هو ضرب من التكرار الإيقاعي<sup>٤٦</sup>، الذي يكمن في قدرة الشاعر على إحداث نوع من الملائمة بين أصوات الحروف التي يختارها وبين الدلالة التي يتغناها من ورائها<sup>٤٧</sup>؛ اعتبارا بذلك مرنا بنماذج من هذا الضرب في القصيدة السادسة من الكتاب، حيث كرر الناظم لا النافية عند سرده الكلام عن كنه ذات الله سبحانه وتعالى،

الذي عجزت العقول والفهوم عن الاهتداء إلى حقيقته، فقد كرر الشاعر لا النافية ست عشرة مرة في القصيدة لنفي ما لا يليق بذاته تعالى، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع القصيدة:

يَا مَنْ تَحَيَّرَ الْفُهُو \*\*\* مُمْ بِكُنْهِهِ لَا يُهْتَدَا  
لَا الْعَرْشُ تَعْلَمُ أَيْنَ كَا \*\*\* نَ وَلَيْسَ يَحْصُرُهُ الْمَدَا  
لَا تَعْلَمُ الدَّهْرُ الدُّهُو \*\*\* رَ وَمَا حَوَّثُهُ يَدُ الْمَدَا  
سَبَقَ الْمَكَانَ وَلَا مَكَا \*\*\* نَ وَلَا الزَّمَانَ وَلَا غَدَا

لاحظ أيها القارئ العزيز، أن لا النافية قد تكررت في هذه الأبيات الأربعة ست مرات، وهي: لا يهتدا، لا العرش تعلم، لا تعلم الدهر، لا مكان، لا الزمان، ولا غدا؛ ويعتبر ذلك من التكرار الحرفي الذي يؤدي إلى انسجام الأصوات والتوافق بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات بعضها البعض حيناً آخر<sup>٤٨</sup>، مما يؤكد على أن للشيوخ التالكي ملكة شعرية على إحداث لون من الملائمة بين أصوات الحروف التي يختارها وبين الدلالة التي يتغناها من ورائها.

**النوع الثاني: التكرار الكلمي بقسميه:** وهو ضرب من التكرار الذي يؤدي إلى تكرار كلمة واحدة عدة مرات في قصيدة واحدة، وينقسم هو أيضاً إلى قسمين، هما: تكرار اللفظ وتكرار المعنى، كما سنوضح ذلك حسب النماذج الواردة في الكتاب فيما يلي:

**تكرار اللفظ وأنواعه:** هو تكرار الأديب لفظاً بعينه في قصيدة واحدة، وله أنواع، منها حسب ما وقف عليه الباحثان في الكتاب:

- التكرار الاستهلاكي: هو تكرار الأديب لفظاً أو عبارة في مطلع قصيدته بالتوالي، ويكون ذلك بغرض التنبيه وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد<sup>٤٩</sup>؛ ومن أمثلة تكرار الاستهلاكي في الكتاب، قول التالكي في مطلع القصيدة الثانية عشر التي كان غرضها التوسل بصفات الله:

يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَلَمْ يَزَلْ \*\*\* لِعِبَادِهِ مِنْ جُودِهِ يَتَفَضَّلُ  
يَا عَالِمَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ ظُهُورِهَا \*\*\* وَمُدَبِّرَ فِي خَلْقِهِ وَمُجَمِّلُ

كرر الشاعر أسلوب النداء "يا" مرتين في مطلع هذه القصيدة، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يقضي له حوائجه، كما كان من المستحسن لمن كانت له حاجة أن يتوسل إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيء لقضاء حاجته وللوصول إلى أمنيته؛ والملاحظ في تكرار الشاعر أسلوب النداء هو تنبيه السامع وإثارته لموقفه، ألا وهو وقوفه أمام ربه يلح عليه السؤال عن طريق التكرار مؤكداً بذلك أن له حاجة ملحة يرجو قضاءها من الله سبحانه وتعالى، كما يفهم من الاستعمال غرض التعظيم لعظمة جلاله تعالى.

- التكرار التوكيدي: وهو أن يكرر الأديب لفظاً لرسوخ رسالته في نفس المتلقي، ومن ذلك وقفنا على تكرار الشيخ التالكي لفظ "ذي" في القصيدة السادسة والعشرين من الكتاب، حيث قال:

حَذَلْ لِمُنْحَذِلٍ قَتْلٌ لِمُنْعَزِلٍ \*\*\* طَبُّ لِيْذِي حِيَلَةٍ حَرْقٌ لِيْذِي هَدَفِ  
دَوَاءُ ذِي زَمَنِ فَيَضُّ مِنَ الْمِنَنِ \*\*\* غَوْتُ لِيْذِي يَفَنِّ جَمْعٌ لِمُخْتَلِفِ  
دَبُّ لِيْذِي ضِعْنٍ دَفْعٌ لِيْذِي فِتْنِ \*\*\* مَحْوٌ لِيْذِي إِحْنٍ حِلْمٌ لِيْذِي جَلْفِ

وما نلاحظه في هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر كرر لفظ "ذي" ثماني مرات، والغرض في ذلك هو توكيد وإثبات الصفات الحميدة لممدوحه ولترسيخ هذه الفكرة في نفس المتلقي.

- التكرار التقريري: لون من التكرار اللفظي، يستخدم لتقرير المعنى المراد في ذهن السامع، ومن أمثلة ما عثر عليه الباحثان في الكتاب من التكرار التقريري، قول الشيخ في القصيدة الثامنة عشر من الكتاب:

أَنْوُحُ نَوْحٍ هَدِيلٍ \*\*\* لَدَى أَفْتِرَاقٍ مَحَلًّا  
وَكَمْ أَنْادِي وَكَمْ كَمْ \*\*\* أَمْوَتٌ حَيًّا وَأَحْلًا  
لِلْمَوْتِ وَهِيَ حَيَاةٌ \*\*\* يُسْنَقَى بِهَا الْحَيُّ سِجْلًا

نلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر كرر لفظ "كم" ثلاث مرات في صدر بيت واحد، وذلك ليقرر المعاني المراد إيصالها في ذهن المتلقي، ألا وهي ما يجول في نفسه من ضيق نتيجة فراقه وبعده عن ممدوحه.

- تكرار التشوق والاستعداد: هو نوع من التكرار اللفظي أيضا، حيث يكرر الأديب لفظا أو عبارة لتشوقه وتلذذه بها؛ ولقد عثر الباحثان على أمثلة من تكرار التشوق والاستعداد في الكتاب، حيث يقول الناظم في مطلع القصيدة الثانية والعشرين التي كان غرضها وصف المحبة:

مُحِبُّ زَادَهُ شَوْقٌ يَسِيرٌ \*\*\* بِسَيْرٍ مَحَبَّةٍ وَبِهِ أَسِيرٌ  
حَشَى الْأَكْبَادَ نَارًا وَهُوَ يَسْرِي \*\*\* لَيْالِي لَا يَمَلُّ وَلَا يَجُورُ  
مَضَى فِي حُبِّهِ وَبَقِيَ مَشُوقًا \*\*\* بِكَأْسِ الْحُبِّ سَقَاءٌ دَرِيْرٌ

ونلاحظ هنا أن الشاعر كرر لفظ "الحب" أربع مرات في هذه الأبيات، وهو: محب: في صدر البيت الأول، محبة: في عجز البيت الأول، حبه: في صدر البيت الثالث، الحب: في عجز البيت الثالث. كما كرر لفظ "الشوق" مرتين كالاتي: شوق: في صدر البيت الأول، مشوقا: في صدر البيت الثالث. ولقد دلت هذه الأبيات على شدة محبة الشاعر لممدوحه، ولذلك كرر لفظ "الحب" أربع مرات، و"الشوق" مرتين، تشوقا واستعدادا بمحبته لممدوحه.

- التكرار الترتيبي: هو ضرب من التكرار اللفظي، يأتي به الأديب عندما يريد أن يشير إلى كيفية ترتيب الأمور، مثل ما سنذكره من الكتاب، عند ما يقول الشيخ في القصيدة الثامنة عشر:

وَمَسْمَعُ الْخُلُقِ طُرًّا \*\*\* حَطَوْتَ رِجْلًا فَرِجْلًا

كرر الشاعر لفظ "رجلا" مرتين في عجز هذا البيت للدلالة على كيفية خطوات الماشي المترجل، حيث يخطو خطوات مرتبة بأرجله، دون قفز وارتباك.

- رد العجز على الصدر: هو نوع من التكرار اللفظي، وهو أن يكون في الشطر الأول من البيت كلمة هي آخر كلمة في شطر البيت الثاني؛ كما عثر على ذلك الباحثان في الكتاب حيث قال الشيخ في القصيدة الثالثة:

فِيحْكُمُ مَا يُرِيدُ وَإِنْ أَبَيْنَا \*\*\* وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لِمَا يُرِيدُ

رد الشاعر العجز على الصدر بتكراره لفظ "يريد" في عجز البيت بعد أن ذكره في الصدر. **تكرار المعنى:** وهو في علم البديع تكرار الشاعر أو الأديب ما قد قاله بالمعنى لا باللفظ، وهذا من خصائص البلاغة العربية، حيث تورّد ألفاظ مختلفة ويقصد بها معنى واحداً، حقيقة أو مجازاً<sup>٥٠</sup>؛ ولقد عثر الباحث على كثير من نماذج تكرار المعنى في الكتاب، ومن ذلك قول الشاعر في القصيدة الثانية والعشرين:

مَضَى فِي حُبِّهِ وَبَقِيَ مَشُوقًا \*\*\* بِكَأْسِ الحُبِّ سَقَاءٌ دَرِيرٌ  
سِوَاهُ مَنْ اغْتَدَى رَاحًا بِرَاحٍ \*\*\* وَلَكِنَّ العَرَامَ لَهُ السَّحُورُ  
هُوَ الفَرْدُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ \*\*\* جَمِيعُ العَاشِقِينَ هُوَ الأَمِيرُ

ولما كان غرض هذه القصيدة هو وصف الحب، أورد الشاعر ألفاظاً مختلفة في هذه الأبيات الثلاثة، ويقصد بها معنى واحداً، وهو الحب، ومن ذلك: حبه: في صدر البيت الأول، مشوقاً: في صدر البيت الأول، الغرام: في عجز البيت الثاني، العاشقين: في عجز البيت الثاني؛ وإذا أمعن القارئ النظر إلى هذه الألفاظ يدرك أن الشاعر قد كرر معنى واحداً خلال أربعة ألفاظ مختلفة، ويقصد بها كلها الحب، وهذا هو تكرار المعنى.

**الخاتمة:** احتوت هذه الدراسة على المقدمة والتمهيدية، ثم الوقفة مع كتاب تجبير النقول في معاني أصحاب العقول، كما تناولت الدراسة ملامح من المحسنات المعنوية في الكتاب المذكور، ومن ذلك الاستدراك بلفظة لكن، وتشابه الأطراف اللفظي والمعنوي، وطباق الإيجاب والسلب، والإطناب الذي يحتوي على الإيضاح بعد الإبهام، وذكر العام بعد الخاص، وذكر الخاص بعد العام، ثم تناولت الدراسة التكرار الحرفي والتكرار الكلمي الذي يندرج تحته تكرار اللفظ وتكرار المعنى، ثم الخاتمة والاستنتاج وثبت الهوامش والمراجع.

**الاستنتاج:** يستنتج الباحثان في هذه المقالة ما يلي:

- أن للشّيخ التالكي مؤلفات كثيرة رائعة في اللغة والأدب والأدب والمعارف الإسلامية.



- أن للشيخ التالكي مهارة لغوية فائقة بحيث يتصرف في اللغة كيف يشاء، ومن ذلك استخدامه الألفاظ السهلة في مواضع واستخدامه الألفاظ الصعبة كذلك، أضف إلى ذلك تنوعه في استخدام الأساليب اللغوية المتنوعة مما يدل على مهارته اللغوية.
- أن الشيخ قد طرز قصائده بطراز بلاغي من المحسنات المعنوية التي تدل على عمقه في العلوم البلاغة.

## الهوامش والمراجع

١. راجع: ماهر، ماهر هارون، شخصية الشيخ عبد القادر التالكي ونماذج من آثاره في التراث العربي النيجيري، مطبعة الممتاز، كَفِّي - ولاية نصرأوا، ٢٠١٧م ص ١١.
٢. المقابلة الشخصية مع نجل الشيخ وخليفته، الحاج أحمد، في بيته بجارة مَنَعَلْ في بلدة غَشُوَا، في الساعة ٤:٣٠ - ٥:٥٠ مساءً، بتاريخ ٧/٧/٢٠١٢م.
٣. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق، ص ١٢.
٤. أفادنا بهذه المعلومة خليفته في المقابلة الشخصية التي سبق ذكرها.
٥. راجع: أبوبكر، محمد مي، "ديوان تهنئة الورد في مدح خير العباد للشيخ عبد القادر التالكي، مسح عام وتقويم"، رسالة تكميلية قدمة إلى قسم اللغة العربية، جامعة بَايْرُو كُنُو، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٣م، ص ٢٦، غير مطبوعة.
٦. في هذا البحث وغيره، عدد السنوات التي قضاها عند شيوخه ومعلميه في غَمَاوَا و أَرْرِي و حَطِيْجِيَا و كُنُو.
٧. وهي قرية تقع حالياً في شمالي ولاية يوبي.
٨. لقد حاول الباحثان الوقوف على شيء من ترجمة هذا العالم ، ولم يتمكنوا من ذلك، وكل ما عثرا عليه ما هو إلا أنه قد تتلمذ الشيخ التالكي عليه.
٩. هو العالم الورع التقي الفقيه المتفنن، الحاج علي غماوا، عاش ببلدة غماوا وأسس معهداً مشهوراً يرد عليه طلبة العلم من أماكن مختلفة، وبها توفي رحمه الله.
١٠. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق ذكره، ص ٢٢.
١١. المرجع نفسه، ص ٢٤.
١٢. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
١٣. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق ذكره، ص ١٧٨ - ١٨١.
١٤. لم يقف الباحث على شيء من ترجمة هذا العالم.

١٥. راجع: أبوبكر، علي: "الثقافة العربية في نيجيريا (١٩٧٥-١٩٦٠م) عام الاستقلال"، مؤسسة عبد الحميد البساط، بيروت، ١٩٧٢م، ط١، ص١٧٥.
١٦. هو عالم شهير من علماء مدينة كَنُو وله زاوية صوفية تجانية مشهورة بحارة زَنْعُون بَرِيْبَرِي، توفي رحمه الله عام ١٩٧٤م.
١٧. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق، ص ٢٩ - ٣٠.
١٨. راجع: المرجع نفسه؛ ثم أفادني بمزيد من المعلومة حول ذلك كبير أولاد الشيخ، وهو الحاج أحمد بن الشيخ عبد القادر التالكي، في المقابلة الشخصية المذكورة سابقا.
١٩. من ولاية تَارَابَا الحالية، ولقد تولى إمارة مُورِي فيما بعد واشتهر بسُرْكِن مُورِي عمر أبه.
٢٠. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق، ص ٣١ - ٣٥.
٢١. راجع: المرجع نفسه، ص ١٧ - ١٨.
٢٢. يوجد عدد كبير من مؤلفات الشيخ التالكي في مكتبة الباحث الخاصة.
٢٣. راجع: أبوبكر، محمد مي، المرجع السابق، ص ٣١.
٢٤. وكانت نسخة كتاب تحبير النقول في معاني أصحاب العقول للشيخ التالكي موجودة في مكتبة الباحث الخاصة لمن أراد الاطلاع عليها.
٢٥. راجع: ماهر، ماهر هارون، المرجع السابق، ص ١٢٠.
٢٥. راجع: المرجع نفسه، ص ١٢١ - ١٢٢.
٢٦. راجع: المرجع نفسه، ص ١٢٣ - ١٢٤.
٢٧. راجع: المرجع نفسه، ص ١٢٤ - ١٢٥.
٢٨. راجع: يعقوب، إميل بديع وزميله، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ص ١، ١٩٨٧م، ص ٨٧٩-٨٨٠.
٢٩. راجع: يعقوب، إميل بديع وزميله، المرجع نفسه، مج ٢، ص ٨٨٠.
٣٠. راجع: عاصي، ميشال وزميله، مج ١، المرجع السابق، ص ٨٦.
٣١. راجع: المرجع نفسه، ص ٣٨٧-٣٨٨.

- ٣٢ . راجع: المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٣٣ . راجع: عاصي، ميشال وزميله، مج ١، المرجع السابق، ص ٣٨٧-٣٨٨.
- ٣٤ . راجع: المرجع نفسه، ص ٣٨٧-٣٨٨.
- ٣٥ . راجع: المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٣٦ . الريق: اللعاب أو ماء الفم.
- ٣٧ . راجع: يعقوب، إميل بديع وزميله، مج ٢، المرجع السابق، ص ٧٨٧.
- ٣٨ . راجع: المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٣٩ . راجع: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٤٠ . راجع: عاصي، ميشال وزميله، مج ١، المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦.
- ٤١ . راجع: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٤٢ . راجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر، وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٣م، ص ٥٣١.
- ٤٣ . راجع: خضر، السيد، التكرار الأسلوبي في اللغة العربية: دراسات في القرآن والحديث والشعر، ط ١، دار الوفاء للنشر، المنصورة، ٢٠٠٣م، ص ٣، (بتصرف).
- ٤٤ . راجع: الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٤.
- ٤٥ . راجع: خضر، السيد، المرجع السابق، ص ٦٩.
- ٤٦ . راجع: المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٤٧ . راجع: إبراهيم، عبد الرحمان محمد، قضايا الشعر في النقد الأدبي، ج ١، ص ٥١، نقلا عن الشناوي، علي الغريب محمد، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، ط ١، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٢، بتصرف.
- ٤٨ . راجع: شرتح، عصام، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٨.

## صور التشبيه في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري دراسة تحليلية

بلقيس طاهر عمر

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو - نيجيريا

08022025792

### المقدمة

تهدف الورقة إلى كشف عما في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري من أساليب التشبيه، تيسيرا للباحثين في فهم مضامينها والوقوف على مواطن جمالها، كما تحدد الورقة استخراج هذه الظاهرة دون غيرها من الظواهر البلاغية المدفونة في كتاب رسالة الإغريض لأبي العلاء. وستكون الورقة في ثلاثة محاور على النحو التالي: المحور الأول: ترجمة أبي العلاء المعري ورسالته، وأما المحور الثاني: فسيتناول مفهوم التشبيه أنواعه وأقسامه، والمحور الثالث، يركز على استخراج صور التشبيه الواردة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري، وستختتم الورقة بأهم ما توصلت إليه من نتائج.

### المحور الأول: ترجمة أبي العلاء المعري ورسالته

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن يتم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري اللغوي الشاعر المشهور. كانت ولادته يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمعرة<sup>١</sup>. قد انحدر من أسرة كريمة عربية النجار تنتمي إلى التنوحيين وهم في الأصل عرب أقحاح كانوا يسكنون اليمن، وكانوا ذوي الفصاحة والبيان، ولهم الفضل في العلم وحب العربية.

### التعريف برسالة الإغريض:

هي ضمن رسائل أبي العلاء المعري، وقد اشتهرت شرقاً وغرباً، وسمّاها أبو العلاء "رسالة الإغريض" نظراً إلى لفظ "الإغريض" الوارد في الرسالة، لندرته فيها أو لاستطرافه إياه، وقد عرفت بـ"الرسالة الإغريقية" و"رسالة الحروف"، ولكن التسميتين من تصرف الرواة والقراء، وأما تسميتها بالرسالة الإغريقية فنسبة إلى الرسالة. وأما تسميتها برسالة الحروف فيرجع إلى قول أبي بكر بادي:

«وقد تكون مأخوذة من حروف التهجي، إذ قد انطوت على تشبيهات ببعضها، وقد يكون تعريفها بها – يعني بالحروف من حيث انطوائها على وجوه من الكلام، أخذًا من قولهم: فهو يجري على حروف في الصبحة؛ أي على وجوه؛ قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على وجه واحد، وهو أن يعبد على السراء دون الضراء. وقد تعرف بالحروف لكون أمثالها متينة وجيزة، أخذت من الحرف؛ وهو الناقاة الضامرة الصلبة»<sup>٢</sup>.

كتب المعري هذه الرسالة إلى أستاذه أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، لما أهدى إليه كتابه الذي اختصر فيه "إصلاح المنطق" فكتب إليه "رسالة الإغريض" جواباً يقرظه ويصف اختصاره للإصلاح وتتضمن الثناء عليه وعلى الكتاب. ولم يؤرخ أبو العلاء المعري للإغريض، وكذلك مؤرخوه لم يكن منهم من أرّخ لها غير ذكر الرسالة بين مؤلفاته أو وصفها.

### المحور الثاني: مفهوم التشبيه أنواعه وأقسامه

التشبيه: من مباحث علم البيان الرئيسة، تتفاوت درجاته وتتعدد مراتبه، وتختلف أقسامه وتنوع ضروبه»<sup>٣</sup>.

المعنى اللغوي للتشبيه:

شبه: الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّيْبَهُ: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء: ماثله، وفي المثل:

"من أشبه أباه فما ظلم". وأشبه الرجل أمه؛ وذلك إذا عجز وضعف. عن الأعرابي وأنشد:

أصبح فيه شبه من أمه \* من عظم الرأس ومن حُرْطُمِهِ

وشابخته واشتبه عليّ وتشابه الشيطان واشتبهها، أشبه كل واحد منهما صاحبه. وفي التنزيل: (مشتبهها وغير متشابه)، وشبهه إياه وشبهه به مثله، مشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات. وتشبه فلان بكذا والتشبيه التمثيل<sup>٤</sup>.

التشبيه والتمثيل في اللغة مترادفان معناهما واحد، وهو بيان وجود صفة أو أكثر في المشبه مشابحة لما يظهر من صفات في المشبه به. والتشابه اشتراك الشيئين فأكثر في صفة أو صفات، وقد يؤدي هذا الاشتراك إلى اللبس وعدم القدرة على التعيين. إذا كان المطلوب فرداً معيناً أو صنفاً معيناً فيه هذه الصفة أو الصفات.

وقال البيانين في تعريف التشبيه أقوالاً أحسنها «الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما». وخص البيانين لفظ "التمثيل" بالتشبيه المركب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد.

و التشبيه في المعنى الاصطلاحي، هو الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من معان أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما<sup>٥</sup>.

وعرفه أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" ص: ٢٦١ بقوله: «التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب». فأبو الهلال في تعريفه هذا ما ذكر الركن الرابع من أركان التشبيه، وهو وجه الشبه، بل ذكر المشبه والمشبه به والأداة مبيناً أن التشبيه اشتراك المشبه والمشبه به في صفة مع وجود الأداة التي تربط بينهما.

وعرفه الدكتور بكري أمين بقوله: «هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدره المفهومة من سياق الكلام»<sup>٦</sup>.

وفي تعريفه نشم رائحة الشمول؛ لأنه ذكر أركان التشبيه جميعاً ووضح أن الأداة قد تكون مذكورة كقولك كلامك كالشهد في حلاوته، وقد تكون مقدره مفهومة من سياق الكلام كقولك كلامك شهد في حلاوته، فالأداة محذوفة، ولكن تفهم من سياق الكلام.

وأما الأستاذ أحمد مصطفى المراغي فقد عرف التشبيه بقوله: «... إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به)، في معنى مشترك (وجه الشبه)، بأداة الكاف وكأن وما في معناهما، لغرض فائدة. ففي تعريفه زاد فائدة التشبيه وعدّها ركناً خامساً من أركان التشبيه. وندرك من هذه التعاريف أن التشبيه هو اشتراك الشيئين في صفة وأن يتشابهما مشابهاً حسيّة، أو عقلية، بأداة مذكورة أو مقدرة تربط بينهما. أنواع التشبيه:

يتنوع التشبيه باعتبار أركانه إلى مفرد وتمثيلي، ومن حيث الكيفية إلى مألوف وضماني ومقلوب.

**المفرد:** هو التشبيه الذي وجه الشبه فيه مفرد، وينقسم إلى التام، وهو ما اجتمعت فيه أركان التشبيه الأربعة، **والمرسل:** هو التشبيه الذي ذكر فيه الأداة، **والمؤكد** هو الذي حذف منه الأداة، **والمفصل** هو الذي ذكر فيه وجه الشبه، **والمجمل** هو ما حذف منه وجه الشبه، **والبليغ** هو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه.

**والتمثيلي:** هو التشبيه الذي وجه الشبه فيه منتزع من متعدد نحو: "الإنسان كالقمر يوافي آخر الشهر ثم يغيب"، ويفهم من هذا أن وجه الشبه فيه لم يكن مفرداً، بل من عدة أشياء، وهي ظهور القمر ثم غيابه.

**الضماني:** هو أن يورد التشبيه ضمناً من غير أن يصرح به، ويجعل في صورته برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، نحو قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه \* ما لجرح بميت إيلام

وبالنظر إلى هذا البيت يرى أن المتنبي ما بني تشبيهه على صورة التشبيه المعروفة من ذكر المشبه والمشبه به، بل يفهم ذلك من المعنى، لأنه شبه الحال الذي كان من عادته الهوان بأنه يسهل عليه تحمله بحال الميت الذي لا يتألم إذا جرح. فجاء بالمشبه به الميت كدليل للمشبه.



**المقلوب:** هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، مثل: "كأن الورد خده"، هنا شبه الخد بالورد لجماله، ولكن جعل المشبه كأنه أجمل من المشبه به<sup>٧</sup>.

### المحور الثالث : صور التشبيه الواردة في رسالة الإغريض

تسعى الورقة إلى تناول التشبيه الوارد في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري، كما أن القصد من التشبيه البيان والإيضاح، وجعل المعنويات كالمحسوسات والمحسوسات كالمعنويات. قد ورد التشبيه في الرسالة - حسب إحصاء الباحثة في ثمانية وثمانين موضعاً، المفرد في خمسة وثمانين موضعاً<sup>٨</sup>، والضمي في موضعين<sup>٩</sup>، والتمثيلي في موضع واحد<sup>١٠</sup>.

#### التشبيه المفرد:

وردت أنواع كثيرة من التشبيه في هذه الرسالة الأدبية العلمية ومن ذلك: "برقه كالإحريض"<sup>١١</sup>، وودقه مثل الإغريض<sup>١٢</sup>. "١٣" في هذه الجملة ذكر أبو العلاء المعري مبلغ أستاذه في العلم، بأنه رجل ذو معرفة واسعة إذ علمه "خفي غير وميض"، عند ظهور علمه، يعرفه الكل لتبحره في مجالات علمية، أورد هذا عن طريق تشبيه علم أستاذه بالبرق والعصفور والمطر والطلع.

يفهم من الجملة تشبيهان:

١- "برقه كالإحريض"، حيث صور أبو العلاء علم أستاذه بالبرق الذي كالإحريض، فاستعار لفظ "البرق" بمعنى العلم على سبيل الاستعارة التصريحية - وذلك ليشير إلى علو كعبه في العلم، لأن البرق خفي وميض كالعصفور، وإذا اعترض في نواحي السحاب، يكون متلها أحمر وأصفر كالعصفور.

فعقد التشبيه بين علم أستاذه وبين البرق الذي كالإحريض، فيظهر أمام الناس متلوناً في ألوان مختلفة كما أن البرق والعصفور يظهران في مختلف الألوان، فالمشبه هنا هو "البرق" والمشبه به "الإحريض"، ثم أرسل التشبيه وذكر الأداة "الكاف".

ومما زاد هذا التشبيه جمالا ما أبرزه الكاتب من خياله حيث استخدم كلمتي البرق والإحريض في معنى العلم؛ لأن البرق شيء خفي وميضٌ في نواحي السحاب بمجرد ظهوره ولهبه يعقبه المطر، دلالة على غزارة علمه، فلا غرابة في ذلك فالعصفور أحمر وأزرق، وأستاذه يمر في مجالات العلوم. وفي هذا مبالغة من الكاتب في مدح أستاذه.

٢- "وودقه كالإغريض" - في هذا استمر الكاتب يصف ثقافات أستاذه ويصوره بالوابل العظيم قطره، العميم خيره - فاستعار لفظ "الودق" - للعلم على سبيل الاستعارة التصريحية - دلالة على غزارة علم أستاذه. فعقد التشبيه بينه وبين الطلع، المشبه هو "الودق" والمشبه به "الإغريض"، الأداة "مثل" ووجه الشبه محذوف وهو اجتماعهما في البياض. ومن القيم البيانية في هذا التشبيه، استعمال كلمة "ودق" بمعنى العلم، للمبالغة، وإبراز غزارة علم أبي القاسم المغربي، لذا عقد التشبيه بينه وبين الطلع بجامع البياض، وهذا لخياله الواسع، فصور في ذهن المتلقي تشبيه ما يدرك عقلا، وهو "العلم" بالمحسوس، وهو المطر الوابل إثباتا لما في نفسه.

"وجعل الله رتبته التي هي كالفاعل والمبتدأ، نظير<sup>١٤</sup> الفعل في أنها لا تنخفض<sup>١٥</sup> أبداً. فقد جعلني إن حضرت عرف شاني،<sup>١٦</sup> وإن غبت لم يجهل مكاني، كيا في النداء والمحذوف من الابتداء، إذا قلت زيد أقبل، والإبل الإبل، بعد ما كنت كهاء الوقف إن أغيت فواجب، إن ذكرت فغير لازب<sup>١٧</sup>، إني وإن غدوت في زمان كثير الدد،<sup>١٨</sup> كهاء العدد لزمت المذكر فأتت بالمنكر، مع إلف<sup>١٩</sup> يراني في الأصل، كألف الوصل، يذكرني لغير الثناء، ويطرحني عند الاستغناء"<sup>٢٠</sup>.

وقوله: "وجعل الله رتبته التي كالفاعل والمبتدأ نظير الفعل في أنها لا تنخفض أبداً". ففي هذه الجملة بين الكاتب رتبة ومنزلة أستاذه أبي القاسم المغربي بأنه رجل عظيم الرتبة رفيع المكانة عالي القدر فاق أقرانه من جميع النواحي، وبين الكاتب هذا عن طريق تشبيه رتبة الأستاذ ببعض المصطلحات النحوية معتبرا حالاتها المعنوية: ولهذا يرى المتلقي تبحره في النحو ومعرفته بالدلالات اللغوية لمصطلحاتها.

ورد في الجملة تشبيهان هما:

٣- أراد أبو العلاء تصوير منزلة أستاذه ومدى رفعته ومكانته بين أبناء زمانه، فشبه رتبته بالفاعل والمبتدأ بجامع لزوم الرفع في كل، فكما أن رتبة أستاذه في حال الرفع دائما، كذلك الفاعل والمبتدأ مرفوعان دائما لا ينصبان ولا يجزان.

وفي هذا التشبيه ذكر المشبه وهو "الرتبة" والمشبه به "الفاعل والمبتدأ" وأداة التشبيه "الكاف"، بينما أجمل بحذف وجه الشبه وهو "الرفع الدائمة" تأكيد للمعنى.

ومما يزيد هذا التشبيه جمالا استخدام "حركة" المبتدأ والفاعل والفعل في محل مرتبة أستاذه مما يلفت أذهان النحويين إلى تصوير هذه المرتبة بهذه الحركات التي تكون دائما في أعلى الحروف، ويثير بخيالهم إلى أن أستاذه ثقة في العلم كما أن الفاعل والمبتدأ عمدة في الجملة.

٤- نظر المعري إلى تلك الرتبة الشبيهة بالفاعل والمبتدأ سائلا الله أن يديم رفعتها ولا تنخفض أبدا، فتكون في هذه الحالة نظيرة الفعل، أي شبيته بجامع عدم قبول الخفض في كل، فالفاعل في حالاته الإعرابية يرفع وينصب ويجزم ولكنه لا يخفض، أي لا يجز. وفي هذا التشبيه ذكر المشبه، وهو "رتبه التي كالفاعل والمبتدأ". والمشبه "الفعل" وأداة التشبيه وهو لفظ "نظير" ووجه التشبيه الذي هو عدم قبول الخفض في كل؛ والمفهوم من قوله: "لا تنخفض أبدا"، فهذا التشبيه فصل ذكر في وجه الشبه، ويلاحظ أن استعمال الكاتب كلمة "نظير" أداة لعقد التشبيه وهي نادرة الاستعمال يدل على نبوغ المعري وتمكنه في اللغة.

ومما يزيد هذا التشبيه جمالا ما قام به الكاتب من نقل ذهن القارئ من شيء معنوي "الرتبة" إلى باب من أبواب العلم والمعرفة وهو - علم النحو- لأن كل من وقف على الحالة الإعرابية للمبتدأ، والفعل والفاعل يعرف أنه لا يدخلهما الخفض ولا الحذف، فعقد التشبيه بينه وبين مرتبة شيخه ووجه الشبه بينهما عدم السقوط في كل.

٥- "وقد جعلني إن حضرت عرف شاني وإن غبت لم يجهل مكاني" كياء في النداء والمخدوف من الابتداء، إذا قلت زيد أقبل، والإبل الإبل".

شرح أبو العلاء المعري يذكر التدريب الذي تلقاه من أستاذه أبي القاسم المغربي، لأنه هياؤه وأعدده ليكون عالماً مشهوراً. لا يتغافل عنه الناس في حضوره ولا في غيابه لما وجدته من العلم والتربية من أستاذه الكريم.

عقد المعري التشبيه بينه وبين ياء النداء والمخدوف من الابتداء، لأن ياء النداء إذا ذكرت فهي معروفة محسوسة، وإذا حذفت تلاحظ وجوباً، فإذا قيل "زيد أقبل"، يعرف ويلاحظ ياء النداء المخدوفة كما في "يوسف أعرض عن هذا" (سورة يوسف: ٢٩). وكذلك المخدوف من الابتداء في قولك: "الإبل الإبل" أي "الإبل هي الإبل"، فكلمة هي مبتدأ مخدوف إلا أنه يقدر وليس مجهولاً لدى القارئ. ولا بد من تقديره في مكانه، والاعتبار بعمله الإعرابي ومكانته في التركيب.

وفي هذا التشبيه ذكر المشبه وهو الضمير الذي هو المفعول به في قوله: "جعلني" والمشبه به وهو "ياء النداء والمخدوف من الابتداء" وأداة التشبيه هي الكاف، كما ذكر وجه الشبه الذي هو الصفة المشتركة بين المعري وياء النداء والمخدوف من الابتداء، وهي معرفة شأن كل منها عند ذكره وعدم الجهل بمكانه في حال غيابه، ويفهم وجه الشبه هذا من قوله: "إني حضرت عرف شاني وإن غبت لم يجهل مكاني". وهذا تشبيه مفصل لذكر وجه الشبه فيه.

ومن القيم الفنية لهذا التشبيه استخدام ياء النداء والمخدوف من الابتداء بمنزلة أستاذه، وأخذ بخيال النحويين إلى تقدير أستاذه. لأنه لا ينساه الناس أبداً ولا ينكرونه وراء الجدار، كما أن ياء النداء والمخدوف من الابتداء في أي حال لا تنسى ولو لم تذكر، وأتى بهذا في صورة فنية رائعة.

٦- "بعد ما كنت كهاء الوقف إن ألغيت فبواجب، وإن ذكرت فغير لازب".

ففي هذه العبارة بين أبي العلاء المعري حالته ومنزلته قبل أن يدربه ويربيه أستاذه أبو القاسم، فلم يكن من قبل شيئاً، ولم يكن معروفاً، وليس له أية قيمة ولا منزلة بين الناس، فعدم ذكره واجب في ذلك الوقت، فلتوضيح هذه الصورة عقد التشبيه بينه وبين هاء الوقف لأنها إن ألغيت فواجب، وإن ذكرت فغير لازم مع أنها مكتوبة كقولك: يا فاطمة أو يا فاطمه.

وفي التشبيه ذكر المشبه وهو ضمير المتكلم في قوله: "كنت" والمشبه به "هاء الوقف" كما ذكر أداة التشبيه الكاف في قوله "كهاء الوقف" ووجه الشبه وهو كونه شيئاً لا يعتبر به.

ومما يزيد هذا التشبيه جمالا تصوير الكاتب نفسه بهاء الوقف بخياله الواسع الذي يأخذ نفس السامع إلى الأحكام الإعرابية لهاء الوقف حتى يدرك أنه لم يكن شيئاً في الماضي كما أن هاء الوقف لم تكن شيئاً يعتبر به.

٧- "إني وإن غدوت في زمان كثير الدد كهاء العدد لزمت المذكر فأنت بالمنكر".

وصف أبو العلاء المعري زمانه بأنه زمن كثير فيه اللهو واللعب، وظهر فيه الباطل والمنكرات، لدرجة تستند فيه الأمور إلى غير أهلها، فيلحق بالذكر ما للإناث وعكس ذلك، فلتوضيح هذه الصورة عقد تشبيها بين الزمان وهاء العدد، التي تلزم المعدود المذكر بدلا من المؤنث في مثل قولك: "أربعة أقلام" فلزوم هاء العدد المذكر شيء منكر وغريب، لأن التاء تناسب المؤنث لا المذكر.

وفي التشبيه ذكر المشبه، وهو "الزمان" والمشبه به وهو "هاء العدد"، وأداة التشبيه وهي "الكاف"، أما وجه الشبه فهو الإتيان بشيء منكر وغريب من إلزام الشيء ما لا يستحقه، وهي صفة اشترك فيها كل من المشبه والمشبه به.

ومن جمالية هذا التشبيه ما أدركته الباحثة من تبحر الكاتب في علم النحو، وصور زمنه بهاء العدد، وما يخطر ببال النحو في إسناد الأمور إلى غير أهلها كما أسندت التاء في المذكر لا مؤنث.

٨- "مع إلف يراني في الأصل، كألف الوصل، يذكرني لغير الثناء ويطرحني عند الاستغناء".

بين أبو العلاء المعري كيف وجد نفسه في عصره بين أصحابه لا يشكرونه ولا يستغنون بغيره عنه ويطرحونه جانبا ولا يعتبرون به. أراد المعري توضيح هذه الصورة فعقد تشبيها بينه وبين ألف الوصل، الذي يتوصل به إلى النطق بالحرف الساكن بعده. وإذا جاء حرف متحرك قبله اكتفى به وطرح ألف الوصل جانبا لا يلفظ به، فكأنه لا وجود له أصلا، فقولك: "احترام الآخر فرض" استعينت بهمزة "احترام" للوصول إلى نطق حرف الحاء الساكن، أما إذا قلت إن احترام الآخر فرضٌ" فالنون المفتوحة في "إن" توصلك إلى النطق بالحاء الساكنة دون الاستعانة بألف الوصل في ذلك ولا النطق به.

وفي التشبيه ذكر المشبه وهو ضمير المفعول به الراجع إلى المعري في قوله: "يراني" والمشبه به وهو "ألف الوصل" وأداة التشبيه وهي "الكاف" أما وجه الشبه فهي الصفة أو الحالة التي اشترك فيها الطرفان من أن كلا منهما يذكر لغير الثناء ويطرح عند الاستغناء. والقيم الفنية لهذا التشبيه تتمثل في استخدام الكاتب "ألف الوصل" وشبه نفسه به. وصور أمام النحويين ألف الوصل في الجملة بطريقة فنية رائعة تأخذ بأذهانهم كأنه هو ألف الوصل، لذلك لا يعتبر الناس به.

٩- "وحال كالهزمة تبدل العين وتجعل بين بين، وتكون تارة حرف لين، وتارة مثل الصامت الرصين، فهي لا تثبت على طريقة، ولا تدرك لها صورة في الحقيقة"<sup>٢١</sup>.

وصف المعري كيف وجد نفسه بين زملائه، ليس له حالة واحدة عندهم، بل له أحوال مختلفة، فوضح ذلك عن طريق تشبيه نفسه بالهمزة في أحوالها المختلفة. أولاً: تبدل عينا في عننة تميم مثل قولهم ظننت عنَّ عبد الله قائمٌ؟ ثانياً: تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو. ثالثاً: تكون حرف لين حروف اللين ثلاثة، الألف والواو والياء، وذلك إذا أدخلت همزة الاستفهام على الهمزة المسماة "ألف

قطع" مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة، تقول في المضمومة "أأكرمك"؟ بتحقيق الهمزتين وأوكرمك؟ بقلب الثانية واواً، وفي المكسورة بقلبها ياء تقول: أَيْنَك؟ وفي المفتوحة آثرته؟ همزة الأولى ومددت ألف التعريف فأشبهت الفتحة بلا نبرة. رابعا: صامت الرصين: وذلك إذا جعلت همزة متحركة.

عقد المعري التشبيه بين هذه الأحوال المختلفة للهمزة بحال من وجد نفسه فيه من عدم تثبته وبقائه على حالة واحدة عند زملائه لأنهم لا يؤدونه حقه. فذكر المشبه "حال" والمشبه به "الهمزة" والأداة "الكاف" ووجه الشبه يتمثل في اشتراك المشبه والمشبه به في الأحوال المختلفة.

ومما يزيد هذا التشبيه جمالا ما قام به الكاتب من تشبيه نفسه بالهمزة، والذي يتبادر إلى ذهن الصرقي هو عدم بقاءه وثبوتها على حالة واحدة عند زملائه، ومنهم من يجعله في منزلته كما تجعل الهمزة حرفا صامتا فتحرك، وأتى بذلك في صورة فنية رائعة، شبه المعقول "حاله" بالمحسوس الهمزة.

١٠ - "نوائب ألحقت الكبير بالصغير، كأنها ترخيم التصغير، ردت المستحلس إلى حليس، وقابوس إلى قبيس" ٢٢.

شرح المعري في هذه الفقرة يصف زمانه، وكيف وجد نفسه في المصائب. حيث أذل العزيز وأعز الذليل. وشبه كيفية تدليلها للعزيز بترقيم التصغير حين تحذف منه الزوائد فصار مجرداً عن كل الزيادة كما يقال في المنصور نصير، ثم أتى بمثال هذا التصغير في كلمتي المستحلس وقابوس عند التصغير. يقال حليس يحذف الزوائد (م، س، ت)، وقبيس يحذف الألف والواو.

وذكر المشبه "النوائب"، والمشبه به "ترخيم التصغير" و"الكاف" الأداة، وأجمل التشبيه ولم يذكر وجه الشبه وهو اشتراك المشبه والمشبه به في الإذلال.

القيم الفنية في هذا التشبيه تتمثل في تشبيه النوائب بترخيم التصغير، والذي يدركه النحوي أن هذه النوائب التي تذل العزيز، لا تنقص من منزلة العزيز شيئا كما أن ترخيم

التصغير — بعد حذف الزوائد — لا ينقص من منزلة الاسم شيئاً، بل يزيده شرفاً وتعظيماً كما في قول النابغة:

فإن يقدر عليك أبو قبيس \* تمط بك المعيشة في هوان<sup>٢٣</sup>

### التشبيه التمثيلي والضميني:

#### التمثيلي:

"ورد عبده الزهري من حضرته المطهرة، وكأنه زهرة نقيع، أو وردة ربيع كثيرة الورق طيبة العرق"<sup>٢٤</sup>.

وصف المعري "الزهري" عبد أستاذه أبي القاسم المغربي الذي جاء بكتاب المختصر وشبهه بالزهرة في المكان الواسع المستنقع فيه الماء. ووردة الربيع كثيرة الأوراق طيبة الرائحة. ويفهم من هذه القطعة تشبيهان:

" وكأنه زهرة نقيع " وهذا تشبيه مفرد، وأما قوله " وردة الربيع، كثيرة الورق. طيبة العرق " وينعقد التشبيه هنا بين الرسول والوردة في زمن الربيع، لأنه يكثر أوراقها فيه ورائحته الطيبة، كما أن الرسول جاء بخير كثير ونفع عام، فالتشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه فيه صورة منترعة من متعدد من كثرة الأوراق ورائحة طيبة.

وجمالية هذا التشبيه تتجلى في وضوح ما جاء به الرسول من العلم والخير والنعمة، لأن الزهرة والوردة فيها تمتع النفس ويحييها ويجعل الإنسان في نشاط، وفي كتاب المختصر ما يغذى العقل من العلم الكثير، وجاء بهذا التشبيه في صورة فنية رائحة فشبه المحسوس بالمحسوس.

#### التشبيه الضميني:

١- "وأنا ثابت على هذه الطوية ثبات حركة البناء، مقيم تلك الشهادة بغير استثناء، غني عن الإيمان فلا عدم مقسم على ما قلت فلا حنث ولا ندم، وإنما تخبأ الدرّة الحسناء الحرة ويجاد باليمين في العلق الثمين"<sup>٢٥</sup>.

المعري هنا عقد التشبيه بين استغناؤه عن القسم في شهادته وثنائه لأستاذه، لأن هذه الشهادة والثناء لا تحتاج إلى القسم لأن الأستاذ يستحقها فشبهها باللؤلؤة الثمينة الكبيرة التي تستر



للمرأة الحرة الحسنة، لأن هذه الشهادة والثناء تستر له كما تستر اللؤلؤة للمرأة الحرة الحسنة. فلم يأت بهذا التشبيه في صورة تشبيه مألوف من ذكر المشبه به. بل ذكره ضمنا في سياق الكلام وهو ما يسميه البلاغيون بالتشبيه الضمني.

ومما يزيد هذا التشبيه روعة ما قام به المعري من بيان استحقاق أستاذه لثناء باستحقاق الحسنة الحرة بالدره، لأن كلا يعرف أن الدره لا تستحقها عادة إلا الحرة. والأمة لا تليق بها غالبا كما أن الشهادة والثناء والذكر الحسن يستحقها لأستاذه دون غيره، فأتى بهذا التشبيه في صورة رائعة كأنه يؤكد ما لأستاذه من استحقاق الثناء.

٢- "إن حكم التأليف في ذكر الكلمة مرتين كالجمع في النكاح بين الأختين؛ الأولى حلٌّ

يرام، والثانية بسل حرام، كيف يكون في الهودج لميسان والسبة خميسان<sup>٢٦</sup>."

ويفهم من هذه القطعة ثلاثة تشبيهان. واثان تشبيه مفرد سبق ذكره في مبحثه. وأما قوله كيف يكون في الهودج لميسان وفي التشبيه - خميسان. فتشبيه ضمني، فقد شبه المعري تكرار اللفظ مرتين بجعل المرأتين في الهودج الواحد. ووجود الخميسين في الأسبوع الواحد، وهذا مستحيل، فأتى بهذا التشبيه في غير صورة التشبيه المألوف حيث جاء به كأنه دليل على المشبه.

#### الخاتمة:

تناولت هذه المقالة أنواع التشبيه الواردة في رسالة الإغريض لأبي العلاء المعري بتقسيمها إلى ثلاثة محاور: المحور الأول نبذة عن المؤلف والمؤلف، والمحور الثاني دراسة نظرية عن التشبيه وأقسامه، وفي المحور الثالث الشروع في عرض نماذج التشبيه الواردة في الرسالة وتحليلها بغية كشف الأسرار الموجودة فيها. وقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- أن المعري بحر متفنن في ميادين العلم المختلفة.
- رسالة الإغريض جامعة لعلوم شتى من علم اللغة والنحو والعروض والأدب والنقد وعلم النجوم والجغرافيا، وكلما ورد في كتب التراث من اختلاط المسائل البلاغية بالنقد والنحو واللغة وغيرها، ونراه جليا وتطبيقيا في هذه الرسالة.

## الهوامش والمراجع

١. جميل بك العطا، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، طبع برخصة نظارة المعارف الجليلية، د. ت. ص: ٣٠٠٠.
٢. المعري أبو العلاء، رسالة الإغريض وشروحها الثلاث، تحقيق السعيد السيد عبادة (الأستاذ الدكتور) مكتبة الآداب علي حسن، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠١٣م، ص: ٢٣.
٣. بسيوني، المرجع السابق، ص: ١٥.
٤. ابن منظور، المرجع السابق، المجلد ١٣، ص: ٥٠٣.
٥. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٦. بكري، شيخ أمين (الدكتور)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥م، ج/٢، ص: ١٥.
٧. الهاشمي، السيد أحمد، المرجع السابق، ص: ٢٣٩-٢٤٠.
٨. المعري أبو العلاء، رسالة الإغريض وشروحها الثلاث، المرجع السابق، ص: ١٤١، ١٧٤، ١٨٤، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٨٤، ٣١١، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩.
٩. المرجع نفسه، ص: ٣١١، ٤٢٣.
١٠. المرجع نفسه، ص: ٤٣١.
١١. الإغريض: نوع من العصفور، إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، جمهورية، الطبعة الرابعة منقح، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مكتبة الشروق الدولية، ص: ١٧٢.
١٢. الإغريض: ما ينشق عنه الطلع من الحبيبات البيض، المرجع السابق، ص: ٦٧٣.
١٣. المعري أبو العلاء المرجع السابق، ص: ١٤١..

- ١٤ . نظير: المثل، والمساوي، إبراهيم أنيس وغيره، المرجع السابق، ص: ٩٧١.
- ١٥ . لا تنخفض: لا تجر، لا تنحط، المرجع السابق، ص: ٢٥٥.
- ١٦ . شاني: مقداري، المرجع السابق، ص: ٤٧٧.
- ١٧ . لازم: لازم شب، المرجع السابق، ص: ٨٥٤.
- ١٨ . الدد: اللهو واللعب، المرجع السابق، ص: ٢٨٦.
- ١٩ . إلف: صاحب ومحب، المرجع السابق، ص: ٢٣.
- ٢٠ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ١٧٤، ١٨٤.
- ٢١ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ١٩١.
- ٢٢ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ١٩٦.
- ٢٣ . ديوان النابغة، ص: ١١٣.
- ٢٤ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ٤٣١.
- ٢٥ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ٣١١.
- ٢٦ . المعري أبو العلاء، المرجع السابق، ص: ٤٢٣.

## الثقافة العربية وأثرها في الثقافات النيجيرية

(الثقافة اليوروبية نموذجاً)

الدكتور عبد الرزاق كاتبي

ومحمد يس سليمان عبد الله

طالب الدكتوراه في جامعة ولاية كوار

07069415275

### المقدمة

من الأمور المسلمة بها لدى المهتمين بالثقافات في العالم أجمع، أن الثقافة العربية تعتبر ظاهرة بارزة في كل طباق الأرض التي احتل بها الإسلام، وكانت جذورها عميقة للغاية قبل بعثة نبي الإسلام، حتى كان العرب يرون أن ثقافتهم العربية لا تسير معها أية ثقافة في العالم كله. وتمثل في اللغة العربية عدد لا يحصى من الخطب والحكم والوصايا والأمثال والقصائد الشعرية بأصنافها وأنواعها حتى كان العرب يتفاخرون باستطاعتهم على نظم الشعر وضرب الأمثال والحكم والبلاغة.

ولما بعث الله نبي الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم، وبدأ ينزل عليه القرآن الكريم، تحسنت حالة الثقافة العربية، وبرزت بشكل مشرق منير.

وبالإسلام ونبيه صارت الثقافة العربية منقحة ومغربة ومصححة، إذ كتاب الإسلام كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، من نطق به صدق، ومن أحكم به عدل ومن تأثر به أصاب. ولذا وذاك توسع - ببعثة النبي العربي القرشي بدين الإسلام - مفهوم الثقافة العربية ليشمل كلمة الإسلام ودراساته وتعاليمه وثقافته.

فالثقافة العربية لم تصل إلى نيجيريا إلا بوساطة الإسلام، خاصة في الجنوب، وحيثما احتل الإسلام احتلت معه العربية وحيثما تمكن الإسلام تمكنت معه الثقافة العربية وبانتشار الإسلام في أرجاء العالم انتشرت الثقافة العربية إلى حد لا يعرف كنهه إلا الله رب العالمين.

لهذا استطاعت الثقافة العربية بمكوناتها العظيمة أن تؤثر في ثقافات الأمم التي وصلت إليها عن طريق الإسلام والعربية تأثيراً كبيراً، ونرى آثار ثقافتها واضحة وضوح الشمس في شتى الأرض جمعاء ومنها نيجيريا، حيث إن الثقافة العربية أثرت في كثير من ثقافتها وخاصة في بعض لغاتها كالهوسوية والفلانية واليوربوية والكانورية والنفوية، واللغة هي أهم منابع الثقافة. فهذا البحث عبارة عن دراسة الثقافة العربية وأثرها في الثقافة اليوربوية، وفي هذه العجالة يتم تناول الموضوع ببساطة ووجازة عسى الله أن يوفقنا لإلقاء الضوء الكاشف على بعض جوانبه المهمة التي تعطي شيئاً من الفهم والبيان من خلال النقاط الآتية:

- مفهوم الثقافة.
- المقصود بالثقافة العربية.
- وجود العرب في نيجيريا.
- مكانة اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا.
- الإسلام واللغة العربية.
- أثر الثقافة العربية في الثقافة اليوربوية.
- الخاتمة والنتائج.

#### أولاً: مفهوم الثقافة

تعني الثقافة في اللغة العربية: الحذاقة والفظانة، والذكاء، فهي من المادة (ث ق ف) الثلاثية، من باب ظرف. يقال: ثقّف الرجل: صار حاذقاً خفيفاً، فهو ثقّفٌ، مثل: ضحّم فهو ضحّمٌ. (١) وثقّف فلان: صار حاذقاً فطنا (٢)، وثقّف فلان الكلام: حدقه وفهمه بسرعة، أو أدركه، والثقاف من النساء الفطنة، والثقيف: الحاذق جداً (٣).

والثقافة والحضارة كلمتان مترادفتان غير أن الثقافة خاصة بالأفراد والحضارة عامة بالأمة والمجتمع يقال: رجل مثقف، وأمة متحضرة أو متدنية كما أفاد الإلوري في دروس الثقافة الإسلامية. (٤) وثقّف الشيء: أقام المعوجّ منه وسواه. وثقّف الإنسان: أدّبه وهدّبه وعلمه. (٥) من خلال هذه البيانات ندرك أن كلمة الثقافة تعني: الحذاقة والفظنة والفهم والإدراك والمعرفة.

وأما الثقافة في المفهوم الاصطلاحي: فهي عبارة عن العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحدق فيها<sup>(٦)</sup>. وفي هذا التعريف ثلاثة أشياء تتضمنها الثقافة، إلا أن العلوم والمعارف شيء واحد، والعلم يعني إدراك شيء بحقيقته والمعرفة تعني إدراك شيء بحاسة من الحواس ولكنهما يدلان على الإدراك. وهناك تعريف للثقافة ساير هذا التعريف، إلا أنه أضاف شيئاً جديداً وهو القائل: الثقافة: التمكن من العلوم والفنون والآداب<sup>(٧)</sup>.

وكما أفادنا الإلوري: أن الثقافة: هي التمكن والنضوج في العلوم والآداب والأخلاق، فالعالم النحرير المتمكن من فنون العلم نظرياً وعملياً يسمى مثقفاً، والأديب الناقد المستنير الذي يملك زمام الأدب بسائر فروعها يسمى أديباً مثقفاً<sup>(٨)</sup>.

ومن خلال هذه التعاريف نعلم أن الثقافة هي الكل الذي يتضمن العلم والمعرفة والعقائد والفنون والعادات والتقاليد والأخلاق والآداب، وهي عبارة عن كل ما حصل الإنسان عليه من العلوم والمعارف والأخلاق والأساليب، إما عن طريق الموهبة، أو الاكتساب، أو ما استطاع الإنسان أن يقوم به في مجتمعه، فصادف أهلاً وقبولاً في المجتمع حتى يتأسى الناس به وصار ذلك المجتمع متميزاً بذلك عن غيره من المجتمعات الأخرى. لهذا تعتبر الثقافة من المكتسبات الإنسانية وتنبع الثقافة من اللغة والدين والعادات والتقاليد<sup>(٩)</sup>.

وأما اللغة فهي ظاهرة اجتماعية ونفسية، قابلة للتطور والتغيير مع تطور المجتمع وتغير نوااميس الكون، وخاضعة للأيديولوجيات المختلفة تحمل أفكارها ومعتقداتها ومفاهيمها الثقافية<sup>(١٠)</sup>. عرفها أحد القدماء بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ويرى آخرون أن اللغة هي الإنسان، وهي مظهر حقيقته، واللغة ثمرة العقل، والعقل جوهر الإنسان، وكان من المنطق أن نقرر أن اللغة محل هذا الجوهر ومظهره، فالعقل كالكهرباء يعرف بأثره، ولا ترى حقيقته<sup>(١١)</sup>. والدين هو أهم أركان الثقافة، لأنه يملئ على الناس التقاليد والآداب والأخلاق الصحيحة<sup>(١٢)</sup>. وأما التقاليد فهي العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف<sup>(١٣)</sup>.

ومن بين هذه المصادر للثقافة، تمثل اللغة المصدر الأول والأساسي من بينها عموماً؛ إذ كل الشعوب في العالم اعتمدت على لغتها اعتماداً مباشراً في نقل ثقافتها إلى الشعوب الأخرى.

لهذا قال الإلوري: اللغة هي التي تترجم عن أفكار الأمة في آمالها وآلامها، وهي وسيلة رباط الوحدة والإخاء والتضامن بين من يتكلمون بها، وهي التي توحد أساليب تفكيرهم وشعورهم<sup>(١٤)</sup>.

ويرى الباحثان أن الثقافة تعتبر أحد أركان الحضارة، إذ تقوم بمنزلة الخوافي لقوادم الحضارة وتتمثل في اللغة والعقيدة والقيم السلوكية والأفكار الإنسانية والعادات والتقاليد الموروثة من الأسلاف، أو المستوردة من الخارج والعلوم والمعارف والفنون والآداب والأخلاق والأذواق والأساليب والمهارات، وما شاكلها من الجوانب الأخرى التي تمتاز بها أمة عن غيرها من الأمم في العالم الإنساني.

#### ثانياً: المقصود بالثقافة العربية

تعد الثقافة العربية من أغنى الثقافات العالمية، تجلت فيها العبقريّة العربية، فهي صورة حية ومرآة صادقة لحياة العرب وأفكارهم ومشاعرهم وانفعالاتهم وخلقاتهم، كان أصلها ثابتاً للغاية قبل ظهور الإسلام، لكن بعثة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بدينه الإسلام وكتابه القرآن أحدثت تغييراً جليلاً لمعالم الحياة العربية وثقافتها المعروفة في العصر الجاهلي، إذ تم جمع شتات القبائل العربية في أمة عربية واحدة، دينها الإسلام ودستورها القرآن الكريم، تخضع لرئيس واحد هو الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام. وقد أوجد الإسلام للعرب مفاهيم دينية وخلقية واجتماعية، ومعتقدات جديدة تباين تلك التي كانت شائعة في العصر الجاهلي، وتحسنت حالة الثقافة العربية بفضل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فأغناها معاني جديدة سامية وبيانا رائعا ماتعا، ولذا كان القرآن الكريم بمثابة التحرير للغة العربية من قيود السجع والتكلف، وقد نقل اللغة العربية من البداوة إلى المدنية ومن الضياع والاندثار إلى الحفظ والبقاء، والقرآن أكد ذلك في قوله تعالى: إنا نحن نزلنا

الذكر و إنا له لحافظون (الحجر:٩)، ويمكننا القول إن لغتنا العربية مدينة (بكلّ هذا الفضل) بالقرآن الكريم الذي جاء باللسان العربي ليرفع ذكر العرب في العالمين<sup>(١٥)</sup>.

وتتجلى الثقافة العربية في عديد من الأبيات الشعرية التي قالها العرب الأفعاء وغيرهم، ومن الخطب الرائعة والحكم والوصايا والأمثال، وما شاكلها من فنون الأدب العربي والإسلامي. وباختصار شديد إذا صحّ القول بأن الثقافة تعني في المدلول الاصطلاحي: العلوم والمعارف والآداب، والسلوك والأسلوب، فيصحّ القول أن الثقافة العربية تعني: علوم ومعارف وآداب عربية تتمثل في فنون الأدب العربي التي منها الخطب والوصية والقصة والحكم والشعر والمسرحية. ولهذا المقصود بالثقافة العربية ندرك أنها هي الثقافة التي اعتمدت على الأدب والفكر العربي في وضع الأساسيات الأولى للمجتمعات العربية.

تتكون الثقافة العربية من شيئين رئيسين هما اللغة العربية والإسلام، فلهذا توسع مفهوم الثقافة العربية ليشمل كلمة الإسلام وسماها بعض العلماء: الثقافة العربية الإسلامية، واللغة هي وعاء العلوم جمعاء، وأداة التفاهم بين الأسرة الواحدة والشعب الواحد والأمة الواحدة، وهي أول وسيلة لتحسين الثقافة وتكوين الحضارة. وهي الوسيلة المباشرة لنقل الشعور والعواطف من ذهن إلى ذهن ومن شخص إلى شخص<sup>(١٦)</sup>.

وفي محاربة اللغة العربية محاربة للثقافة العربية، لأنها وعاء ثقافتها وعلومها وحاملة أفكار أمتها وقيمها ومعتقداتها ومفاهيمها الثقافية، وعدم اللغة عدم لثقافتها.

### ثالثا: وجود العرب في نيجيريا

كان العرب أمة مشهورة بالهجرة والتنقل من مكان إلى آخر، طلبا للعيش الرغد لأنفسهم ومواشيهم، وكانوا يتنقلون من جزيرة العرب وينتشرون في الأقطار، ويتوغلون في البلاد فملؤوا الآفاق وعمروا الأقطار حتى وصلوا إلى نيجيريا. ولقد أفادنا مفتي ديار نيجيريا سماحة الشيخ إبراهيم صالح في كتابه: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم- برنو: أن القبائل العربية المنحدرة من الشرق إلى السودان، ثم إلى "وداي" و"باجرمي" و"كانم" قد دخلت هذه البلاد قبل القرن الخامس عشر والسادس عشر، ووجود العرب في هذه البلاد أمر لا يشك فيه



أحد له معرفة بهذه البلاد، والعرب يملؤون مساحة كبيرة في نيجيريا. وتفضل فضيلته بإفادتنا أن العرب في نيجيريا" يقدر عددهم بنسبة ٩% أو ١٠% من مجموع السكان، ودعم قوله بتصريح رئيس وزراء الإقليم الشمالي في بعض المناسبات بأن ببلاده مواطنين عربا يقدر عددهم بمليونين، ولكنه (أي الشيخ إبراهيم) لم يكن راضيا بهذا القدر فقال: وهذا لا شك محمول على أقل تقدير، لأن العرب في "بورنو" وحدها أيضا لهم رقم عال جدا، فكيف إذا أضيف إليهم كل العرب الموجودين ببلاد "هوسا" والأقاليم الغربية والشرقية، ومنطقة "لاغوس" (١٧).

ولما رأى المفتي بعض الباحثين يشكّون في صدق تلك الأرقام لقدر العرب في نيجيريا وبعض المتعصبين الذين يزعمون أن العرب الموجودين في نيجيريا ليسوا من العرب، قام بإنزال مطر ردود عليهم بقوله: ولا يشك أحد زار هذه البلاد في هذا الأمر، فإن قبائل "البقارة" أو السيارين من العرب، لا يُشك في عروبتها، وهكذا سكان المدن والقرى، منهم أيضا عرب محتفظون بلسانهم وأنسابهم (١٧).

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وجود العرب في نيجيريا وإن كان مقدارهم أقلّ بالنسبة لسكان نيجيريا، ووجود العرب الأتخاء فيها دليل على أن العرب من الأجناس التي تكونت منها نيجيريا ودولتها، فالعرب أمة لها ثقافتها العربية ووجودهم أيضا يؤدي إلى وجود الثقافة العربية في نيجيريا وهي تؤثر وتتأثر.

#### رابعا: الإسلام واللغة العربية

كانت الصلة التي جمعت الإسلام واللغة العربية صلة دمية روحية حتى صار شيئا واحدا من حيث لا يمكن أن يتجزأ أحدهما عن الآخر. والعربية هي اللغة التي اختارها المولى الحكيم لكتابه المحكم ورسالته الأخيرة إلى البشرية، لحكمة اقتضاها العليم الخبير. والخصائص التي امتازت بها العربية عن سائر اللغات في العالم، وقدرتها على استيعاب المعاني الجليلة الجليلة واسعة المدى.

والعربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال عز من قائل: "ولقد نعمل أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" سورة

النحل: (١٠٣). والعربية تختص بالفصاحة البيّنة وكثرة المفردات وهي لغة الإعراب ذات أساليب عديدة للتعبير عن شيء واحد، قال المولى الجليل: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف: ٣).

وكما أفادنا الإلوري في الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا قائلا: "والمسلمون في مشارق الأرض ومغارها ثقافتهم واحدة مبنية على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأداتها هي اللغة العربية التي لا يختلف فيها عربهم وعجمهم، لذلك ظلوا أمة لا مثل لها في عالم العقيدة وعالم العبادة وعالم الاجتماع حتى قال: "فما من مسلم إلا وهو يتذوق قليلا من اللغة العربية بدافع العقيدة ودافع الإيمان ودافع العبادة ودافع النسك، وما من عالم مسئول إلا وهو يرغب في التعمق في اللغة العربية ليكون متمكنا في معاني القرآن والحديث والفقهاء وسائر العلوم التي يرجع فيها إليه الناس جميعا" (١٩).

ومن خلال هذه الكلمات ندرك حقيقة الإدراك أن فهم الإسلام فهما صحيحا لا يكون إلا بفهم العربية فهما دقيقا، إذ كتاب الإسلام عربي، ونبي الإسلام عربي ولغته عربية. والعربية جزء لا يتجزأ من الإسلام.

فقد التزم الإسلام العربية كل الالتزام، فللعربية تاريخ متصل بالإسلام، ولالإسلام جذور عميقة في العربية، وهي التعبد بتلاوة القرآن الكريم داخل الصلاة وخارجها، والحج وأذكارها تقال باللغة العربية. فقد فرض الإسلام على كل مسلم ومسلمة أن يؤدي الصلوات خمس مرات كل يوم إماما كان أو مأموما، وأن يؤذن ويقيم ويكبر ويهلل ويتشهد باللغة العربية، ورتب ثوابا جزيلا لكل من يقرأ القرآن بالعربية، سواء فهم معناه أو لم يفهم، فامتزجت العربية بالإسلام امتزاج الروح بالجسد (٢٠).

#### خامسا: مكانة اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا

احتلت العربية في نيجيريا مكانة مرموقة عالية وشغلت ثقافتها منزلا كريما، لا من حيث إنها لغة الإسلام ولغة كتابه ولغة نبيه (صلى الله عليه وسلم) فحسب، بل إنها من المكونات التي تكونت منها نيجيريا ودولتها العريقة.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل هذا على وجود الجنس العربي الأصيل في نيجيريا حتى استطاع العرب في نيجيريا استرقاق الأهالي رجالا ونساء، كبارا وصغارا في بنو، ورحلوا أكثر من وجدوه في شكل رقيق إلى مصر وما جاورها من الأقطار العربية التي يصل تجارها إلى بلاد "النوبة" و"سودان وادي النيل" (٢١). وهناك أسباب كثيرة جعلت العربية من مكونات دولة نيجيريا منها: أن هناك دولاً أسست في نيجيريا وأديرت بالعربية حتى صارت هي لغة رسمية في تلك الدول قبل الاستعمار، كالدولة التي أسسها الشيخ عثمان (عام ١٨٠٤م)، وهي مختلفة تمام الاختلاف عن غيرها من الدول السابقة في بلاد الهوسا، أو في بنو. فقد أسست من أول الأمر على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية ونُظِم دقيقة لا بد من معرفتها قبل تطبيقها. وهذه مملكة واسعة ولا بد أن يكون لها ديوان أو عدة دواوين منظمة، ولا بد أن يكون لها محاكم شرعية وما إلى ذلك مما تتطلبه الدول المسلمة، ولا بد لهذه الحكومة أن تجد عددا من المثقفين الذين يمكنهم أن يقوموا بإدارة تلك الدواوين. وبما أن اللغة العربية هي لغة الثقافة فلا بد إذن من أن تهتم بها الحكومة وتثقف بها أبناءها، وقد قامت بذلك خير قيام، حيث فتح العلماء أبواب بيوتهم على مصاريعها لتدريس الدين واللغة العربية (٢٢).

ومنها: وجود الأسفار والمؤلفات العربية التي ألفت في نيجيريا في نواحي شتى من علوم لغوية وأدبية ودينية وفلسفية واجتماعية وثقافية، إضافة إلى وجود العلماء والطلاب الذين أجادوا اللغة العربية في نيجيريا وحازوا قصب السبق في التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وخلصواهم باللغة العربية الفصحى، وكذلك وجود الأئمة والخطباء الذين كانت منابرهم ناطقة بخطبة عربية رائعة، زيادة على وجود عدد من الأدباء الشعراء والكتّاب الذين ملؤوا المكتبات العربية بأبحاثهم وأشعارهم وأسفارهم الضخمة القيمة. ومنها وجود المجلات والجرائد العربية النيجيرية ووجود معظم الجامعات النيجيرية التي تدرس فيها اللغة العربية دراسة مستفيضة لا سطحية، حتى تسمى بعض الجامعات في نيجيريا بلغة عربية مثل جامعة الحكمة بالورن. ومنها كون

بعض المفردات في بعض اللغات النيجيرية عربية لفظا ومعنى، وتنطق بها، وسنلقي الضوء على هذا الجانب في المحور التالي.

### سادسا: أثر الثقافة العربية في الثقافة اليوروبية.

كان ظهور الثقافة العربية في نيجيريا حدثا جليلا وظاهرا بارزا غير أكثر معالم الحياة النيجيرية، وأثر في كثير من ثقافاتنا، فتأثرت ثقافات نيجيريا بها تأثرا كبيرا وخاصة الثقافة اليوروبية.

وكما ثبت في الأدب المقارن: أن الأدب القومي إذا تجاوز حدوده اللغوية والوطنية إلى أدب آخر، إما أن يؤثر فيه فيفيد، أو يتأثر به فيستفيد.<sup>(٢٣)</sup> وتتجاوز الثقافة العربية حدودها اللغوية والوطنية إلى نيجيريا، استطاعت أن تؤثر في كثير من الثقافة اليوروبية حتى غدت الثقافة العربية تمثل جزءا من مكوناتها وأشكالها وصورة من صور حياتها، وتظهر ظهور الشمس في مفرداتها وتقاليدها وعاداتها. حتى صارت بعض الثقافة اليوروبية منسية. والمستويات التي تأثرت بها اليوروبية باللغة العربية كثيرة منها:

- ١- الأصول الدموية الواقعة بين العرب ويوروبا.
- ٢- المصطلحات الدينية عن طريق الدين.
- ٣- أسماء البضائع المستوردة عن طريق التجارة.
- ٤- المستحدثات الحديثة عن طريق العمولة.

وسيتّم إيراد أبرز النواحي التي يبدو فيها أثر الثقافة العربية في الثقافة اليوروبية فيما يلي

١- اللغة: تعتبر اللغة أهم منابع الثقافة على صعيد العالم، وهي وعاء العلوم والمعارف وأداة التفاهم بين أفراد الشعب والأمة. وباللغة يقع الاتصال والتفاعل بين ثقافة وأخرى. ولقد أثرت اللغة العربية في بعض اللغات النيجيرية حيث أخذت بعض الشعوب النيجيرية مفرداتها من العربية كالشعب اليوروبي الذي يُعدّ أصل بعض مفردات لغته عربيا قطعاً.

ولقد عالج الإلوري هذه الظاهرة اللغوية في كتابه أصل قبائل يوربا مؤكداً أن الخمسين في المئة من كلمات يوربا لا تزال تحتفظ ولو بحرف واحد على الأقل من أصلها العربي، مما

يستدل به على أنها عربية الأصل معنى ولفظا وذلك فيما يشترك في استعماله المسلم والكافر على السواء. وأتى بأمثلة كثيرة منها ما يلي:

|                   | اليوروبية | العربية |
|-------------------|-----------|---------|
| Olohun            | أولوهن    | الله    |
| Osu               | أوشو      | الشهور  |
| Oru               | أورُو     | الحرور  |
| Odun              | أودُون    | العيد   |
| Ore               | أوري      | الخير   |
| Osi               | أوشي      | الشمال  |
| Omi               | أومي      | الماء   |
| Egun              | أيجن      | الغول   |
| Ebu               | أيبُو     | العيب   |
| Faari             | فاري      | الفخر   |
| Amo <sup>٢٤</sup> | أما       | الحمأ   |
| Waju              | واجو      | الوجه   |
| Āara              | آر        | الرعد   |
| Awada             | أود       | الهوادة |
| Hada              | أَد       | حد      |
| Tele              | تلي       | تالي    |
| Asale             | أسلي      | آصال    |
| Okele             | أوكيلي    | أكل     |

وعند الحلف تستعمل يوربا لفظة "والله" "تالله" كثيرا، و"يس"، و"القرآن"، و"الكعبة" قليلا، و"قبر النبي" نادرا. وكذلك تأثرت اليوروبية بالعربية في استعارة الاصطلاحات الدينية والحضارية لتسد بها الفراغ وأمثلتها ما يلي:

|                   |                     |                |
|-------------------|---------------------|----------------|
| Mosalasi          | مَسَلَسِ            | مسجد           |
| Kabari            | كَبَرِي             | قبر            |
| Annabi            | النبي               | النبي          |
| Kurani            | قُرَانِ             | القرآن         |
| Arafah            | عرفة                | عرفة           |
| Tesuba            | تَسُبَا             | سبحة/تسبيح     |
| Tada              | تدا                 | مداد           |
| Kalamu            | كَلَمُ              | القلم          |
| Wasi              | واظي                | الوعظ          |
| Taosiri           | توسري               | تفسير          |
| Musulumi/Musuluma | مُسْلِمُ/مُسْلِمَا  | المسلم/المسلمة |
| Mumini/Mumina     | مُؤْمِنِي/مُؤْمِنَا | المؤمن/المؤمنة |
| Lamlaana          | لَمْلَانْ           | رمضان          |
| Biri sami- sami   | بِرِ زَمَزَمِي      | بئر زمزم       |

وأسماء الأيام السبعة في الأسبوع بالعربية هي التي يستعملها اليوروبيون حيناً، إلا أن استعمال ألفاظ الأيام بالإنجليزية غلب على العربية لدى معظمهم، ولكن ما زالت اليوروبية تحتفظ بعربيتها وهي كما تظهر في القائمة:

|       |         |
|-------|---------|
| السبت | أَسْبِ  |
| الأحد | أَلَادِ |

|                              |            |
|------------------------------|------------|
| الإثنين                      | أَتْنِي    |
| الثلاثاء                     | أَتَلَاتَا |
| الأربعاء                     | أَلَارَبَا |
| الخميس                       | أَلْمِسِ   |
| الجمعة                       | جَمَا      |
| حتى كانوا ينشدون بها بقولهم: |            |

|                  |                      |
|------------------|----------------------|
| Alaruba Kokoro   | يوم الأربعاء مفتاح   |
| Alamisi Silekun  | يوم الخميس فتح الباب |
| Ojonla Wole      | يوم الجمعة دخل       |
| Abi/ Jimoh Ojore | أو يوم الجمعة سعيد   |

**ملحوظة:** لم ينس بعض اليوروبيين أسماء الأيام السبعة في الأسبوع الأصلية في اللغة اليوروبية، ولكن قد نجد بعض اليوروبيين من لا يسمعونها ولا يعرفها ألبتة، وهي كما تظهر في القائمة:

|           |          |
|-----------|----------|
| اليوروبية | العربية  |
| Aiku      | الأحد    |
| Aje       | الإثنين  |
| Isegun    | الثلاثاء |
| Ojoru     | الأربعاء |
| Ojọbọ     | الخميس   |
| Ẹti       | الجمعة   |
| Abamẹta   | السبت    |

وهناك كلمات عربية استعارتها اليوروبية لسد فراغها منها ما يلي:

|           |         |
|-----------|---------|
| اليوروبية | العربية |
|-----------|---------|

|                 |                       |            |
|-----------------|-----------------------|------------|
| Alafia          | أَلَاْفِي             | العافية    |
| Alaye           | أَلَايِي              | الحي       |
| Ala             | أَلَا                 | الأحلام    |
| Esu             | أَيْشُو               | الشیطان    |
| Ale             | أَلِّي                | اللیل      |
| Amo             | أَمَا                 | الحمأ      |
| Imo             | عِمَا                 | العلم      |
| Patapata        | بتابتا                | بتاتا      |
| Saari           | سَارِي                | سَحُورُ    |
| Sakaa           | زَكَا                 | زكاة       |
| Jakaa           | جَكَا                 | زكاة الفطر |
| Muduu           | مُدُو                 | مُدُّ      |
| Haji            | حَجِّ                 | الحج       |
| Alaji           | أَلَاجِ               | الحاج      |
| Alaja           | أَلَاجَا              | الحاجة     |
| Makaa           | مَكَا                 | مكة        |
| Madina          | مدينة                 | مدينة      |
| Abaya           | أَبَايَا              | عباءة      |
| Jalabia/Jalamia | جَلَابِيِي/جَلَامِيَا | جلابية     |
| Utuba           | خطبة                  | الخطبة     |
| Ladani          | لَدَنِي               | المؤذن     |
| Imamu           | إِمَام                | الإمام     |
| Adua            | أَدْعَا               | الدعاء     |



بهذه الكلمات كلها ندرك أن اللغة اليوروبية تأثرت بالعربية إلى حد بالغ، ووجدت في العربية ما يسد حاجتها في التعبير. ومن الكلمات التي سدت بها اليوروبية فراغها كلمة: "المنافق". هذه الكلمة عربية الأصل يستعملها اليوروبي أكثر من لفظها اليوروبي الذي هو: "Alagabangebe" أو "Seyisoun".

وهناك كلمات كثيرة جدا في اللغة اليوروبية التي يبدو فيها جليا أثر اللغة العربية أمثال:

|                      | اليورباوية  | العربية |
|----------------------|-------------|---------|
| Alubarika            | أَلْبَرْكَ  | البركة  |
| Hantu                | حَنْطُو     | الخط    |
| Labari               | لَبْرِي     | الخبر   |
| Asiri                | أَسْرِي     | السر    |
| Alari                | أَلْرِ      | الحرير  |
| Oseḷe                | أَوْسَيْلِي | حصل     |
| Alada                | أَلَادَ     | العادة  |
| Dilali               | دِلَالِ     | الدلال  |
| Aka- Salika          | أَكْدَلِكْ  | هكذاك   |
| Arisiki              | أَرْزِقِي   | الرزق   |
| Ireṣi                | إِرِيْزِ    | الأرز   |
| <sup>٢٥</sup> Karama | كَرَمَا     | كرامة   |
| Samani               | زَمَانِ     | الزمان  |
| Sanman               | سَنْمَنْ    | السماء  |

٢- العادات والتقاليد: هي كل ما انتقل إلى الإنسان م آباءه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم والأعمال<sup>(٢٦)</sup>. ولقد تأثرت الثقافة اليوروبية في هذه الناحية بالثقافة العربية إلى حد بالغ حتى صارت بعض التقاليد والعادات اليوروبية الأصلية منسوخة ومنسية إما

لكونها وثنية شيطانية، أو لكونها بدوية، أو غير ذلك، مثلا ليوربا عادات خاصة في النكاح ودفن جنازة الحامل والمستئم، وغير ذلك من العادات اليوروبية الأصلية قبل أن تتأثر بالثقافة العربية الإسلامية وصارت تلك العادات منسوخة.

ومما يتصل بالتقاليد تسمية الأولاد اليوروبية بالأسماء العربية لفظا ومعنى حتى غير المسلمين من النصرانيين والمشركين يسمون أولادهم بأسماء عربية إسلامية مثل: أيوب، موسى، عيسى، جمعة، حفصة، زلفى، سلوى، بيضاء، كلثوم، أبوبكر، وفي جانب التقاليد أسلوب التحية العربية الإسلامية في الشعب اليوروبي ولم يتوقف على المسلمين فقط، بل جمع غير المسلمين لمعاملاتهم ومعايشتهم مع المسلمين نحو "سلام عليكم" ومن جانب التقاليد تقمص معظم اليوروبيين المسلمين وغيرهم تقمص العرب في البلاد العربية.

٣- الكتابة العجمية: من مظاهر تأثير الثقافة العربية في الثقافة اليوروبية استعمال الحروف العربية في مجال الكتابة باللغة اليوروبية، فالعلماء اليوروبيون الأقدمون كانوا يستخدمون الحروف العربية في تخليد بعض الآثار، والكتابة بهذا الشكل هي التي اصطلحت عليها فيما بعد بالكتابة العجمية، فكانوا يستخدمونها في كتابة الرسائل وبعض الأسرار أو الأدوية اليوروبية والتاريخ والوثيقة. ولقد عالج الأستاذ الدكتور محمود محمد جمبا هذه الظاهرة في كتابه "أثر الإسلام والأدب العربي في الأدب النيجيري المكتوب" حيث قال:

"يعرف استخدام الحرف العربي لكتابة اللغات غير العربية بالعجمي، ويطلق عليه النيجيريون أجمي أو أنجمي. وقد دأب أهل المنطقة منذ فجر الإسلام فيها على تقييد أفكارهم، وأغانيتهم الشعبية، وأشعارهم الوعظية بالحرف العربي، إلا أن نموه وازدهاره يرجع إلى المجاهدين في العصر الفودي ويمكن رصد حوالي سبعة من وجوه تأثير الإسلام والعربية في هذا النمط وهي ظاهرة استعمال الحرف العربي نفسها، واستعمال المفردات العربية ومطالع القصيدة، وشكل الشعر، والوزن والقافية والاقتباس ونقل معنى الشعر" (٢٧).

٤- مجال الرسم: المسلمون اليوروبيون يستعملون الخطوط العربية في تزيين المساجد والمعامل والبيوت والشركات ويستعملونها في الكتابة المزخرفة على اللافتات والسيارات.

٥- إنشاء المدارس العربية: هناك مدارس ومراكز ومعاهد وكليات وجامعات أنشئت في بلاد يوربا لتدريس اللغة العربية وثقافتها، أو تدرس فيها الثقافة العربية إلى مستوى قريب جدًا لمستوى تدريسها في البلاد العربية كمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيني ليغوس، للشيخ آدم عبد الله الإلوري، والزمرة الأدبية الكمالية، للشيخ كمال الدين الأدبي بالورن، والمعهد النيجيري، للشيخ مرتضى عبد السلام في إبادن، ومدرسة دار العلوم، لجبهة العلماء والأئمة بالورن، ومركز التعليم العربي الإسلامي بأغودي، إلورن، للشيخ يحيى مرتضى أغودي، ودار الكتاب والسنة بالورن، للشيخ الدكتور محمد الجمعة السلطان، ومركز دار القرآن للتعليم العربي الإسلامي بأوتي، إلورن، للشيخ سليمان عبد الله، ومركز دار الإرشاد والإسعاد بأوريلي، ليغوس، للشيخ محمد سعيد أولاومي، وجامعة الحكمة بالورن، وكلية محي الدين للتربية بالورن، للشيخ سحبان جبريل عبد الله.

٦- تأليف الكتب وإخراج المجالات: من مظاهر تأثير الثقافة العربية في الثقافة اليوربوية في نيجيريا استعمال اللغة العربية في مجال تأليف الكتب وإعداد الخطب المنبرية وإخراج المجالات من قبل المثقفين بالثقافة العربية.

٧- استعمال اللغة العربية في بعض البرنامج في المجتمع اليوربوي في نيجيريا كلغة رسمية فيه، حيث لا يسمح لأي واحد أن يلقي ما عنده بلغة غير عربية. ومنها: وجود عدد كبير من الأدباء الشعراء والخطباء والكتّاب اليوربويين الذين لهم المقدرة العظمى على الإبداع العربي الجيد، أمثال الأستاذ الدكتور عيسى ألي، والأستاذ عبد الواحد جمعة أربي، والخليفة إبراهيم سعيد أولاومي (مدير مركز دار الإرشاد والإسعاد)، والسيد عبد اللطيف سعيد أولاومي، والسيد إبراهيم عبد الرزاق الخليلي، إضافة إلى أدباء آخرين لهم عدة دواوين شعرية جمعت أشعارهم العربية، وكذلك كتاب المسرحية والقصة أو الرواية، فالمقالة أو الخاطرة. وبالنسبة للخطباء فإن الخمسين فصاعد من المساجد الجامعة في المجتمع اليوربوي تلقى فيها الخطبة بالعربية الفصحى.

في الصفحات السابقة استطعنا أن نلقي الضوء على ماهية الثقافة معجماً واصطلاحاً، فحاولت الدراسة بيان المقصود بالثقافة العربية بالدقة، ثم تناولت وجود العرب في نيجيريا وألقت الضوء على العلاقة الوطيدة بين الإسلام واللغة العربية، وأفصحت عن مكانة اللغة العربية وثقافتها في نيجيريا، ثم ركزت على أثر الثقافة العربية في الثقافة اليوروبية، متطرفة إلى ظاهرة اللغة حيث وُجدت كلمات عربية أصلية، استعارتها اللغة اليوروبية لتسد بعض الفراغ، وهي كلمات مستعملة لدى المسلمين منهم وغيرهم، وكذلك هناك اصطلاحات دينية وحضارية وأسماء الأيام، استعارتها اليوروبية وتأثرت بها، إضافة إلى ظواهر أخرى من ناحية العادات والتقاليد، وتأليف الكتب وإخراج المجالات واستعمال اللغة العربية في بعض البرامج والمناسبات، وكذلك وجود عدد الأدباء من الشعراء والخطباء والكتّاب الذين يؤلفون كتبهم الضخمة وخطبهم القيمة باللغة العربية الفصحى.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن الثقافة اليوروبية تأثرت إلى حد كبير بالثقافة العربية في مفرداتها وعاداتها وتقاليدها وغيرها من المصطلحات الدينية والحضارية المستوردة من العربية إلى اليوروبية.

وأخيراً نوصي الباحثين من أبناء يوربا وغيرهم بالسير قدماً في معالجة هذه الظاهرة، ونوصي مدرسي المدارس العربية بالخوض في دراسة أثر الثقافة العربية في اللغات النيجيرية ليعرف الطلاب مدى تأثير هذه البلاد بالثقافة العربية.

### الهوامش والمراجع

- ١- محمد بن أبي بكر عبد القادر، الرازي، مختار الصحاح، عين بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، مادة: ث- ق- ف- ص: ٨٤.
- ٢- إبراهيم أنيس وشركاؤه: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، مطبعة القاهرة، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، مادة: ثقف، ص: ١١٨.
- ٣- اليسوعي: معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق بيروت- لبنان ١٩٧٣ م ط ٢٣، ص: ٧١.
- ٤- الإلوري: آدم عبد الله، دروس الثقافة الإسلامية، موشن- لاغوس، مكتبة دار النور ، ط ٣، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ص: ٤.
- ٥- إبراهيم أنيس وشركاؤه، المرجع السابق، ص: ١١٨
- ٦- إبراهيم أنيس وشركاؤه، المرجع السابق ص: ١١٨
- ٧- اليسوعي: معلوف ، المرجع السابق، ص: ٧١.
- ٨- الإلوري: آدم عبد الله، المرجع السابق، ص: ٤.
- ٩- الإلوري: آدم عبد الله، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ١٠- محمد أبو عيد، من دلائل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، تقديم: الهجرسي: مصر، فؤاد، دار المنارة، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، ص: ١١.
- ١١- محمد أبو عيد، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٢- الإلوري: آدم عبد الله، المرجع السابق، ص: ٥.
- ١٣- إبراهيم أنيس وشركاؤه، المرجع السابق، ص: ٧٨٨.
- ١٤- الإلوري: آدم عبد الله، المرجع السابق، ص: ٥.
- ١٥- محمد أبو عيد، المرجع السابق، ص: ١٢.
- ١٦- الإلوري: آدم عبد الله، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مطبعة الثقافة الإسلامية، مركز التعليم العربي أجيجي لاغوس، ط ٢، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢، ص: ١٥٦-١٥٧.

- ١٧- إبراهيم صالح بن يونس بن محمد الأول الحسيني النوي، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبرا طورية كانم- برنو، مكتبة القاض شريف كانو- نيجيريا، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص:٧.
- ١٨- إبراهيم صالح بن يونس بن محمد الأول الحسنى النوى، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ١٩- الإلوري: آدم عبد الله، المرجع السابق (الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا)، ص: ١٥٧-١٥٨.
- ٢٠- الإلوري: آدم عبد الله، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، دار النور، موشن لاغوس، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص:٢٣٩.
- ٢١- إبراهيم صالح بن يونس بن محمد الأول الحسنى النوى، المرجع السابق، ص: ١٠.
- ٢٢- غلادنتى: شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الأفريقية، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص:٦٩.
- ٢٣- حسن جاد حسن، الأدب المقارن، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، المطبعة غير مذكورة، ص:٣٣.
- ٢٤- الإلوري: آدم عبدالله، أصل قبائل يوربا، مطبعة الثقافة الإسلامية أجيبي نيجيريا، غير مؤرخ، ص:٣٤-٣٦.
- ٢٥- أولوغيلي: شعيب السيوطي، تأثير النظام الصوتي للغة اليوربا في اللغة العربية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الناشر غير مذكور، ص: ٦٤-٦٦.
- ٢٦- اليسوعي: معلوف، المرجع السابق، ص:٤٩.
- ٢٧- مشهود محمود محمد جمبا (الأستاذ)، أثر الإسلام والأدب العربي في الأدب النيجيري المكتوب، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م، ص: ١٣-١٤.

## الثقافة العربية في مدينة إلورن وآفاق التطوير

**Ganiyu Adebayo Alabi**

Department of Arabic

Federal College of Education, Okene, Kogi State

### المقدمة

كانت اللغة العربية لغة شعب في جزيرة العرب، وبدأت تتمتع بإقبال مدهش بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بالدين الإسلامي ونزول القرآن الكريم بها. ومن هنا أضحت هذه اللغة التي تقيدت بشعب لغة عالميه ترافق الإسلام وتسير معه إلى حيث سار ويدخل معه كل ناحية وزاوية. وانطلاقاً من هذا كان تاريخ اللغة العربية في قطر غير عربي يتقيد بتاريخ دخول الإسلام فيه، فلذلك تعالج هذه الورقة دخول اللغة العربية إلى مدينة إلورن وتطورها على مر الأقطار والقرون، ثم يتم تقسيم تطور الثقافة العربية في مدينة إلورن إلى طورين باعتبار نظام التعليم السائد خلال هذه القرون. أما الطور الأول فهو طور التعليم العربي على النظام التقليدي، والثاني هو طور التعليم العربي على النظام الحديث. ويستعرض الطوران حسب القرون الآتية:

الثقافة العربية في القرن التاسع عشر.

الثقافة العربية في القرن العشرين.

الثقافة العربية في القرن الواحد والعشرين.

وتبرز خصائص العربية عبرها وبعض أعلامها البارزين ومجهوداتهم الأدبية وغيرها ثم

يعقب الباحث الدراسة بالخاتمة.

## الثقافة العربية في القرن التاسع والعشرين

### الطور الأول: طور التعليم العربي على الطريقة التقليدية

تدور الدراسة في هذا الطور حول حركة هذه الثقافة على أيدي العلماء الذين عاشوا في القرن وانقضت حياتهم في القرن نفسه، والذين ولدوا فيه وامتدت حياتهم إلى القرن العشرين. ويلاحظ أن تاريخ دخول الإسلام إلى مكان وخاصة إذا كان خارج بلاد العرب هو تاريخ دخول الثقافة العربية فيه كما سبق الذكر، فلا يمكن الجزم بالقول في تاريخ دخول الإسلام إلى مدينة إلورن، غير أن الرواية الموثوق بها أثبتت أن بعض العلماء سكنوا موضعا في إلورن تسمى بربوة السنة (والتي تم تأسيسها فيما بين ١٨٠٠ - ١٧٧٠م) <sup>(١)</sup>، ويعتبر هؤلاء حملة لواء الثقافة العربية فيها، وعلى أيديهم كانت تنتشر الثقافة العربية في هذا القرن قبل تأسيس الدولة الإسلامية فيها، وأصبحت فيما بعد مركزا علميا يأتيه الناس من كل فج عميق. يُذكر من هؤلاء العلماء الشيخ سنوسي والشيخ محمد بينمبو والشيخ سنوسي جدّ الإمام متاشي والشيخ محمد الثاني جدّ المقدم بشر أدنبا، وعلى رأسهم الشيخ الطاهر شولابيروا. ويوجد علماء أو مسلمون آخرون في مواضع مختلفة في إلورن مثل الشيخ أبو بكر الفلاني والشيخ محمد إساليكوتو؛ والشيخ أولوفادي، <sup>(٢)</sup> ولما جاء الشيخ صالح بن جنتا الملقب "بعالم" انضم إلى هؤلاء وتعاون معهم على تأسيس الدولة الإسلامية. وعلى هذا الأساس المتين بنى ابنه الأمير عبد السلام، حيث كان يستوفد العلماء من بلدان أخرى وسار على المسرى كل أمير جاء بعده، يولى كل منهم اهتمامه بالثقافة العربية ويدنن العلماء إلى أنفسهم يستشيرونهم في بعض الأمور <sup>(٣)</sup>.

وقد أثبت بعض الباحثين أن المدارس القرآنية انتشرت في مدينة إلورن في عهد أمير "شيت" حيث كثر العلماء الوافدون من بلدان أخرى، فكان الإسلام قد ترسخ بنيانه نحو نهاية القرن التاسع عشر وتقدم أيضا التعليم العربي. والدليل على ذلك توفر الكتب العربية المدروسة في ذلك الوقت والتي تشمل: تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، واعتماد العلماء الصحيحين في الحديث، والمختصر لمحمد بن معطي السوداني، وفي



القواعد كتاب النحو وقواعد الثقافة العربية لمحمد الصنهاجي، وفي الفقه كتاب مختصر الخليل وكتاب الرسالة لأبي زيد القيرواني وتحفة الحكام، والعشماوية<sup>(٤)</sup>. بهذا الازدهار حظي هذا القرن بعلماء مثقفين ينشرون الإسلام وثقافته في أرجاء بلاد يوربا، غير أن التعليم عصرئذ كان يجري على الطريقة التقليدية حيث كان التلاميذ يجلسون على جلود الأبقار والحصائر منحنيين أمام المعلم، ويقروون الكتب المخطوطة باليد وبالخط المغربي، ولم يحدد للالتحاق بالمدرسة سنا ولا للتخرج.

ومن العلماء الذين ذاع صيتهم في هذا القرن الشيخ أبي بكر بوي، والشيخ عبد الله روفوغو، والشيخ محمد التاكتي، والشيخ إبراهيم "قنبري كرتنو" (قبر العلوم)، والشيخ إبراهيم بتوري الأكديزي، والشيخ محمد الرفاعي إندا الصلاقي، فأخذت الثقافة العربية تزدهر على أيدي أمثال الشيخ أحمد بيغوري، والشيخ أحمد بن أبي بكر الفلاني (إكوكورو)، والشيخ عبد الله بدندي، والشيخ محمد الأمين عبد القادر بن خضر السارمي، والشيخ سعد الدين القوروي، والشيخ عبد الرحمن ألابدون، والشيخ بشر أدنبا، والشيخ عبد القادر أفنشو، والشيخ محمد الجامع اللبيب الملقب بتاج الأدب.<sup>(٥)</sup> وبعد الشيخ محمد الجامع اللبيب من أحد الكتاب النوابع في هذا القرن، وهو الذي نحوا جديدا بالتعليم العربي، فأثبت الإلوري بأنه أول من أجاز استعمال الكتب المصورة من علماء نيجيريا واستعمل أسلوبا جديدا ومنهجاً حديثاً<sup>(٦)</sup>، ولكن هذه الطريقة لم تنتشر ولم يسجل له من أخذ بهذا على يديه من معاصريه. ومن مؤلفاته، المنظومة النحوية الأدبية ودرر المرجان في التصريف. وقد أنشأ بعض هؤلاء العلماء قصائد بليغة في بعض أغراض الشعر العربي، منهم الشيخ عبد الله بدندي، والشيخ أحمد بيغوري، والشيخ أحمد (إكوكورو)، وفيما يلي نماذج من أعمالهم الأدبية:

قال الشيخ عبد الله بدندي:

بدأ مدحي بإلاه \* وهو عوني غير واه

قلت شطرا غير ساه \* خير حمد للإلاه

وهو باق لن يزالا

كل شخص عنه ألق \* عد لأمر ذي وفاق  
مدح صاحب البراق \* صل على خير خلق  
ثم سلم اتصالا  
في مراد للعلی من \* سعيد أو شقي  
قل بتيسر الولي \* جئت مدحا للنبي  
نظم قولي ليس هزلا<sup>(٧)</sup>

ومن المنظومات النحوية للشيخ محمد الجامع اللبيب تاج الأدب ما يلي:

ألا يامريد العلم والفقہ والحجا \* تعلم علوم النحو ترق المنابر  
كلامهم العربي فيه ثلاثة \* فاسم وفعل بعده الحرف يا حبر  
فيعرف بالجر وأل أو إضافة \* كذلك الندا الإسناد ذا الاسم يا بر  
وتنوينه الإعراب ذاك علامة \* لاسم وأسماء البنا وارع يا حبر  
وتثنية الأفراد وجمعه \* وتأنثه تذكيره أبدا تجري<sup>(٨)</sup>

### الثقافة العربية في القرن العشرين.

#### الطور الثاني: طور التعليم العربي على النظام الحديث

تتطرق المناقشة في هذا الطور إلى العلماء الذين ولدوا قبل منتصف هذا القرن، والذي حظي بجهابذة العلماء من الفقهاء والكتاب والوعاظ والخطباء والمدرسين في دهااليزهم المنتشرة في جميع أنحاء المدينة، منهم: الشيخ المفتي محمد كمال الدين الأدبي، والشيخ الإمام المجاهد آدم عبد الله الإلوري، والشيخ أبو بكر الصديق أبارعدوما، والشيخ سليمان أمين الله أوكي أبوم الفتيلي، والشيخ عبد الرحمن صلاح الدين، والشيخ خضر أباؤكغي، والشيخ يحيى مرتضى أوكي أغودي، والشيخ سليمان طن برنو، والشيخ أحمد كنيكي، والشيخ عبد الله تميم "المقدم الكبير" والشيخ سليمان ياي أولوسن، والشيخ جرجيس أكلني والشيخ محمد الغالي أليا.

بدأ هذا الطور بالتعليم العربي على النظام الحديث في آخر العقد الثالث من هذا القرن، حين واجهت الإسلام وثقافته العربية تحديات جسيمة بسقوط إمارة إلورن تحت أقدام

المستعمرين، فبدأ التعليم الإنجليزي في هذا القرن ينافس الثقافة العربية، ولم يبق لعلماء إلورن إلا أن يقوموا عن ساعد الجد ليقاوموا هذا الطغيان الإنجليزي. وأول من بادر لمقاومة هذا الطغيان بشجاعة نادرة هو الواعظ المجدد الشيخ محمد كمال الدين الأدبي، كانت مقاومته من وجهين: **الوجه الأول:** أنشأ معهد العلوم العربية للجماعة الأدبية في إلورن عام ١٩٤٢م، وطبق فيه تجديدات متمثلة في جمع التلاميذ على المقاعد، حيث يكتب المعلم على السبورة، وأنشأ فصولا دراسية للتلاميذ في مستوى دراسي واحد، وخصص كل مرحلة وفصل بكتب مقرر معينة، ونقل التلاميذ الناجحين من فصل إلى آخر في نهاية كل عام<sup>(٩)</sup>، وهذا المعهد هو الذى حوله إلى معهد إلورن الديني الأزهرى عام ١٩٦٣. (١٠)

**الوجه الثاني:** أسس مدرسة أخرى عام ١٩٤٧م تتعلم فيها العلوم الغربية والعربية جنبا إلى جنب، (Akwukewe) بواسطة جمعية إسلامية أنشأها عام ١٩٤٢م، وسميت المدرسة مدرسة أنصار الإسلام الابتدائية. هذه هي الرؤيا والرسالة التي تحملها الطريقة الازدواجية التي شاع نوعها في أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا، والتي يتولى المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية (NBAIS) شؤونها في هذه الآونة. كل ما ذكر في ضمن التجديدات التي قام بها هذا الشيخ المبتكر وبعض النشاطات الأخرى غير أكاديمية مثل الرياضة والتمثيلية، ولقي في سبيله أذى كثيرا من قبل بعض العلماء المعاصرين له الذين عدوا هذه التجديدات بدعة<sup>(١١)</sup>.

يضاف إلى هذا الجهد في تطوير الثقافة العربية إنشاء مركز زمرة السعداء بإسالي أوكو  
١٩٥٩م، ومدرسة دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بإسالي كوتو عام ١٩٦٣م، والتي أشرف عليها العلامة الإلوري بأمر من الأمير التاسع المغفور له الشيخ ذو القرآن الغميري، ثم مركز التعليم العربي الإسلامي بأوكي أعودي للشيخ يحيى مرتضى ١٩٦٣م، ومعهد معشر الصالحين بكننو ١٩٧٢م، ومعهد زمرة الصالحين بأولوجي ١٩٥٣م، ومعهد أحباب الصالحين أوكي أبومو \سوي إلورن عام ١٩٩٢م، وهكذا كان تنتشر المدارس النظامية إلى وقتنا الحاضر.

لقد حقق علماء هذا الطور إنجازات تأليفية هائلة شعرا ونثرا، ويعد العلامة العبقري الشيخ آدم عبد الله الإلوري من أعظمهم تأثيرا من هذه الناحية، حيث سجل له مؤلفات كثيرة من الكتب العربية المقررة وغيرها في شتى الميادين العربية. ومن مؤلفاته ما يلي: الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، وموجز تاريخ نيجيريا، والإسلام اليوم وغدا، وفلسفة النبوة، والإسلام وتقاليد الجاهلية، ونسيم الصبا، وتوجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا. وللشيخ أبي بكر الصديق أبارغدوما أيضا تأليف في الفنون العربية المتنوعة مثل مفاتيح السرور في توسل بأسماء علماء إلورن، وإحياء بلد زكي، وقصائد ممتازة في أغراض الشعر المختلفة، مثل مجموع القصائد الخمسة وقصائد الاعتراف بالجميل.

### نماذج من إنتاجهم:

قال الشيخ آدم عبد الله الإلوري في أحد مؤلفاته:

### كرامات الأولياء كمعجزات الأنبياء

"اتفق الجمهور على أن الله وهب أوليائه كرامات شتى كما أعطى أنبياءه معجزات، غير أن الفرق بين المعجزات والكرامات هو أن الأولى مقرونة بالتحدي ودعوى النبوة والرسالة، وأن الثانية ليس فيها التحدي ودعوة النبوة والرسالة، ولا تستمر على حالة واحدة كالمعجزة. والكرامات أنواعها كثيرة: منها إظهار الطعام في غير أوانه، أو حصول ماء في زمان عطش، أو قطع مسافة بعيدة في مدة قريبة، أو تخليص من عدو أو خطر، أو سماع خطاب من هاتف أو إجابة الدعاء، وهي أكثرها وقوعا وأقربها حدوثا." (١٢)

قصيدة للشيخ أبي بكر أبارغدوما يرثي بها موسى ابن أخيه:

الموت داء عضال \* وليس منه دواء

ومن بذلك يرضى \* ينال منه شفاء

ومن بكره يدوم \* فليصنعوا ما يشاء

وربنا لا يخاف \* ممن أسأ أو ثناء

بموت موسى صبرت \* ومنك يرجى جزاء

في ليلة يوم السبت \* أتاه منك فناء  
اغفر إلهي لموسى \* في كل ما قد عصاه  
في سره والعلان \* وأنت منه حماه (١٣)

لقد خرجت هذه المدارس النظامية أجيالا قاوموا ودافعوا عن الإسلام مدفعين عنه مضرات التعليم الإنجليزي، فيوجد خريجو هذه المدارس موظفين في المؤسسات الحكومية المختلفة، ومنهم من يشتغل في الجامعات الفيدرالية والولائية وغيرها أمثال المرحوم الأستاذ الدكتور موسى علي أجيتمبابي، والأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا، والأستاذ الدكتور حمزة عبد الرحيم، والأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام، والأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد ألارو، والأستاذ الدكتور يوسف لنري بدماص، والأستاذ الدكتور إبراهيم إسحاق أولايوولا، والدكتور عبد القادر الجمعة السلطان شولابيرو، والدكتورة حسنة فُنمَلَايو أبوبكر، والدكتور يعقوب يوسف، والدكتور عبد الصبور ألياي وغيرهم.

### الثقافة العربية في القرن الواحد والعشرين

كانت الثقافة العربية تتمتع بإقبال مدهش قبل هذا القرن، فأخذت تتوسع وتزدهر يوما فيوما في هذا القرن، وخاصة بكثرة العلماء الذين تخرجوا في المدارس النظامية على أيدي علماء القرن العشرين وغيرهم من الذين لم يحظوا بحضور المدارس النظامية. ثم ازداد عدد الأدباء والمؤلفين ونحوا بجهودهم منحى جديدا حيث كانوا يؤلفون في الفنون الحديثة مثل الرواية، والمسرحية والسيرة الذاتية وأدب الرحلة.

يذكر من كتاب هذا القرن البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا، والبروفيسور مشهود محمود محمد جمبا والشيخ آدم يحيى الفلاني، والمرحوم الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، والبروفيسور أحمد شيخ عبد السلام، والبروفيسور حمزة عبد الرحيم والبروفيسور عيسى ألي أبو بكر، والدكتور مرتضى عبد السلام الحقيقي، والدكتور إدريس عثمان الكنكاوي، والأستاذ عبد الحميد يوسف علي، والمرحوم عبد اللطيف مي كبرا، والأستاذ الدكتور إبراهيم إسحاق أولايوولا، والمرحوم عثمان أيلينلا، والدكتور إسحاق أيوب بَبَاوي، والدكتور عبد الرفيع عبد

الرحيم أسليجو، والدكتور صالح محمد جمعة الأشو، والدكتور عيسى عبد الكريم الصارم، والمحامي إبراهيم سعيد الغميري، والدكتور أحمد أبوبكر عبد الله، وعبد الغني أديبايو ألي والأستاذ حامد محمود الهجري، والشيخ محمد الأول عبد السلام (صاحب القرآن) وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

### نماذج من إنتاجاتهم التأليفية.

#### خلاصة الأخبار في زيارة ولاية أدرار للأستاذ الدكتور مشهود محمود جمبا (٢٠١٥)

تناول الكتاب مجالا ندرت فيه التأليف، وهو مجال أدب الرحلة، ولمؤلف هذا الكتاب ثلاثة كتب أخرى في المجال نفسه. أما هذا الكتاب فيشمل قصة أحداث الرحلة التي قام بها الكاتب إلى أدرار عاصمة ولاية أدرار بالجمهورية الجزائرية، كانت تدعى ببلاد "نوات" قديما وتقع في الجنوب الغربي من الجزائر. ذكر المؤلف داعي الزيارة بأنه استجابة لدعوة إلى مؤتمر دولي حول المخطوطات انعقد في الجامعة الإفريقية بمدينة أدرار الجزائرية. وصف الكاتب مدينة أدرار وصفا دقيقا، ثم الجامعة التي انعقد فيها المؤتمر قائلا "..... يبلغ عدد طلبة الجامعة في أثناء زيارتنا لها حوالي ١٠،٠٠٠، ١٠ طالبا وطالبة وعدد الأساتذة ٤٥٠ واسم مديرها حاليا الدكتور عباس عمار"

شرح يصف أحداث المؤتمر بأنه افتتح في اليوم الثاني من نزولهم حيث ألقى المشاركون مقالاتهم، وألقى د. خليل بودوفو بالشراكة مع د. قاسم إبراهيم مقالة عنوها: دور الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تحقيق المخطوطات العربية؛ قصيدة الشيخ أحمد الجزائري أنموذجا، وألقى د. مشهود جمبا مقالة بعنوان المخطوطات العربية في إمارة إلورن بنيجيريا والجهود الرامية إلى حمايتها، وقدم د. عيسى ألي مع د. عبد الرشيد مقدم مقالة بعنوان "الشيخ الإمام المغيلي وآراؤه العلمية في نيجيريا دراسة فنية.

وفي اليوم الثالث أخبر بإقامة الحفلة الختامية حيث ألقى د. خليل بودوفو مقالة مختصرة، وألقى الدكتور عيسى ألي قصيدة، فألقى هو الآخر قصيدة افتتحها بيت استقبله الجمهور بهتاف ارتجفت منه الصالة قائلا:

قالوا تعال وقل شعرا فقلت لهم \*\*\* عيسى أمير قوافي جمب شعور  
ثم أردف البيت بعد سكون الصالة من هتاف مدو وضحك عريض كما وصفه الكاتب  
نفسه، بقصيدته التي منها مايلي:

يا زائرا أرض التوات تحيتي \*\* لشيوخها وشبابها تترقرق  
بلد الرجال جميعهم ركبوا العلا \*\* بعزيمة وكرامة وتفيلقوا  
وتبحروا في ذي المعارف كلها \*\* وتحدثوا وتفلسفوا وتمنطقوا  
سطروا العلوم بنظمهم وبنشرهم \*\* نفعوا الأنام بعلمهم وتحققوا  
فأنتى أخيرا على الذين دعوهم وأوهم ونصروهم:

شكر الإله صنيعكم لرجالنا \*\* سنظل دوما بالضيافة ننطق  
وفي اليوم السادس أخذوا في العودة، وفي ذلك يقول الكاتب "وبدءا على عودة  
استأنفنا الرحلة من مطار هوارى بومدين .... وصلنا مطار مرتضى محمد بليغوس في السادسة  
صباح يوم الأحد ٨ ديسمبر، ٢٠١٣م. دخلنا مدينة إلورن بمشيئة الله تعالى سالمين في الثانية  
نهارا، والله الحمد أولا وآخرا".<sup>(١٤)</sup>.

### السيد الرئيس لحامد محمود إبراهيم الهجري (٢٠١٠)

السيد الرئيس: هي رواية سياسية تصور بدقة وبراعة حالة السياسة في نيجيريا بكل  
ما تتصف بها من المشاكل والمكافحة المريرة العدوانية من قبل المشاركين. يأمل إسماعيل أن  
يكون رئيس الدولة ولكن الله حقق أمنيته في ابنه منصور، وكان منصور شخصية طيبة كريمة،  
يتصف بأخلاق نبيلة كما أشار إليه الهجري قائلا:

" وكان منصور نفسه رحيفا يشفق على البائسين والمحرومين كل الإشفاق، وكم قاسم ما  
أرسل إليه من كنو... إنه رمز البر والإحسان وعنوان الشفقة والحنان. "وأثرت هذه الصفات  
فيه حين تولى رئاسة الدولة بعد أن ارتقى من أسفل السلم إلى أعلاه حيث سعى في توفير  
المشاريع العمرانية. ومستلزمات الحياة، وترميم الطرق الوعرة. وكانت المستشفيات في عهده  
مثرية بالأدوية، ولم يعد المتخرجون يشكون من عدم الوظائف، وعادت الإضرابات نسيا

منسيا... تغيرت الأوضاع إلى أحسن ما يكون وأصبحت البلاد جنة الله تجري فيها الأنهار من ماء غير آسن ينعم الفقراء مع غيرهم بخيرات الدولة وبركاتهما... كل هذا جعله حب الطلبة والمساكين، وينعم بدعاء الشيوخ والفقراء المسلمين منهم وغيرهم".

أما العرابون والأثرياء الذين انسدت في وجوههم أبواب الرشوة والاستغلال فإنهم له لكارهون، ومكروا مكرا كبيرا وجعلهم الله الأخسرين، دبروا اغتياله ولكن الله نجاه. وفي ذلك قال الكاتب ".....وما إن دخل سيارته حتى رجت الأرض رجا وزلزلت زلزالا شديدا، إنه صوت قنبلة ذرية أصيبت السيارات الواقفة في انتظار الرئيس، ما هذا؟ هذه مصيبة كبيرة وربّ الكعبة، سيارات الرئيس، أين هو؟ أين السيارات التي دخل فيها؟ هل هي مفخخة كغيرها؟ من دبر هذه المكيدة؟ من وراء هذه المصيبة؟ يا أعداء الإنسانية، يا أعداء الرحمة، يا أعداء البر والإحسان.....أنقذ الله السيد الرئيس بأعجوبة نادرة، فانقلب بنعمة من الله لم يمسه سوء فاتبع رضوان الله والله ذو فضل عظيم." (١٥)

#### قد غارت النجوم لعبد الغني أديبايو ألي (٢٠٠٥م)

هذه هي ثلاثة المسرحيات العربية النيجيرية المطبوعة، نشرت عام ٢٠٠٥م، فهي مسرحية مأسوية تعالج مشكلات اجتماعية عائلية حيث أجبر الوالد ابنته على الزواج بصديقه التاجر الغني وأكرهها على ترك خطيبها الذي يهواه قلبها، رغم ما يتصف به من الأخلاق الدينية النبيلة. رفض الأب جميع النصائح التي قدمت إليه، وأبى إلا أن يزوجه صديقه من أهل بلده. لم تلبث المرأة في بيت التاجر حتى بدأت تعاني من المكر والعداوة والعدوان من ضرتها وابنها ما أنقضت ظهرها وأخرجتها نهائيا من بيت زوجها. عادت إلى مقرها الأول وتمنت العودة إلى عشيقه الأول لتبدأ معها العلاقة من جديد، ولكنه خاب رجاؤها حيث رد عليها بفوات الأوان وقال لها صراحة: "قد غارت النجوم". وفيما يلي قطعة من المسرحية:



### الفصل الخامس: المنظر الثالث

(تجلس جميلة في الصالة وتدخل سلمان)

جميلة: صباح الخير!.

سلمان: أي خير في صباح محتتظة تريد أن تحصد ما لم ترزع، لا تسلمي علي من اليوم ولا تظني أنك وجدت مكان الاستقرار، ما وصلت بعد إلى مكانك فاستعدي للانتقال!.

جميلة: (تفكر في نفسها) متى يتركني هذا الولد سليمة؟، لقد أدخلت نفسي في مكان ضيق.

### في الفصل السادس والمنظر الأول

(جميلة مع عشيقها الأول بعد أن فشل زواجها مع الحاج داؤد)

جميلة: وكما قرأت في رسالتي جئت فقط لأستعفيك.

نبيل: قرأت جميع الرسالة وفهمت ما فيها جيدا، والله هو الغفور الرحيم. وقد عفوت عنك، أما بالنسبة للرجوع إلى أمرنا فالباب مؤصد دونه، بل قد غارت النجوم.

أما السنة لمرتضى بن عبد السلام الحقيقي (٢٠٠٧م) وعلى الطريق للشيخ آدم يحيى الفلاني (٢٠٠٩م) وخادم الوطن لحامد محمود إبراهيم الهجري (٢٠٠٩م) والرحلة لعلي عبد القادر العسلي (٢٠٠٩م) وفي سبيل المجد لمرتضى إمام أكويدي (٢٠١٢م)، فإنها قصص في قالب السيرة الذاتية، كلها ذات أفكار متناسبة مع اختلاف خبرات وتجارب أصحابها، بل وأساليهم، وهي تصور ما قاساه كاتبوها في سيرهم نحو العلا، وتوحي بأن طريق العلا محفوفة بالأسى والمكاره، وأنه لا بد لكل رام أن يتسلح بالصبر والمثابرة والهمة العالية، وأن يجعل خير زاده التقوى حتى لا ينسحب فيكون النجاح حليفه نهايا<sup>(١٦)</sup>.

### الخاتمة

تطرق البحث فيما سبق إلى أن دخول العربية أول ما دخلت إلى نيجيريا وغيرها من البلدان الأعجمية كان بمرافقتها للدين الإسلامي الذي هي لغته، وعن هذا الطريق دخلت العربية إلى مدينة إورن. وأما حملة لوائها الأولون المشهورون فهم علماء ربوة السنة، وازدهرت هذه الثقافة بعد تأسيس الدولة الإسلامية فيها على أيدي الشيخ صالح (عالم) بمعاونة علماء

ربوة السنة، ثم عمل الأمراء في نشر هذه الثقافة بمجهوداتهم الجزيلة وبدأت تنتشر قرنا بعد آخر بفضل العلماء الغيورين عليها حتى أوجدوا لهذه المدينة المقامة الأمامية بين بلدان اليوريا وغيرها ولقبت لهذه الميزة الفذة "بمدينة العلماء."

## الهوامش والمراجع

- ١ مشهود محمود جمبا، علماء الإمارة: ترجمة نخبة من أعلام إمارة إلورن (تحرير)، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٥م ص ١٧.
- ٢ عثمان عبد السلام الثقافى، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال القاهرة: دار الفكر العربي. الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ \ ١٤٣٠. ص ٣١.
- ٣ - آدم عبد الله الإلوري، لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن من ١٨٠٠-١٩٨٠ موشى - نيجيريا: مكتبة دار النور. غير مؤرخ، ص ١٨.
- A.S. Transmission of Learning in Modern Ilorin: A History، 4 Aliyu Islamic Education 1897-2012 PhD Tesis Universiteit of . P. 41-42 2015. Leiden.
- ٥ - مشهود محمود جمبا، المرجع السابق ص ١٤.
- ٦ - آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق ص ٦٨.
- ٧ - عثمان عبد السلام الثقافى، المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٨ - أولايوولا إبراهيم إسحاق، الشعر التعليمى العربي في نيجيريا: قصيدة محمد الجامع اللبيب (تاج الأدب) النحو نموذجاً. ٢٠١٥/١٤٣٢ إلورن: منارة العلم والثقافة في غرب افريقيا. ص ٤٩٥-٤٨٠.
- ٩ - أولادوشو عبد الغني عبد السلام، إنجازات الشيخ محمد كمال الدين في التربية العربية والإسلامية في بلاد اليوربا، مجلة العربية والدراسات الإسلامية، إصدار قسم الأديان جامعة إلورن، العدد ١٩٩٢، ١٣م، ص ٩٤-٨١.
- ١٠ - مقابلة مع الشيخ يعقوب عَلَّعَنُ في بيته كان من الفوج الأول في المعهد الأزهرى، ١٠\١٠\٢٠١٨ والحاج موسى ألفنلا مصطفى الكومماتا، في مدرسة أنصار الإسلام الابتدائية، أوكيكييري، وهو أيضا من الفوج الأول في المعهد ٢٩\١٠\٢٠١٩ انظر لمحات البلور المرجع السابق ص ٨٢.

- ١١- مؤسسة محمد كمال الدين التعليمية، مشروع جامعة محمد كمال الدين إلورن: مؤسسة محمد كمال الدين التعليمية، ٢٠١٢م، ص ١٠.
- ١٢- آدم عبد الله الإلوري، توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب افريقيا موشن- نيجيريا: دار النور ط.٣. ٢٠٠٦، ص ٨٦.
- ١٣- مخطوطة محفوظة في مكتبة الكاتب الخاصة.
- ١٤- عبد الغني أديبايو ألي، القصة والمسرحية: تاريخ وأصول لطلاب الدراسات العربية في نيجيريا إلورن: المكتب الألي للمسرحية العربية، ٢٠١٥، ص ١٣٣-١٣٠.
- ١٥- المرجع نفسه، ص ١٢٨-١٢٦.
- ١٦- المرجع نفسه، ص ١٦٢-١٦١.

## الثقافة العربية وتحديات البطالة في شمال نيجيريا

الدكتور سابو الحاج ثاني

08036291540

و

الدكتور ثالث مختار قاسم

08036622904

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرأوا كيني

### المقدمة

تعتبر البطالة ظاهرة عالمية ذات آثار اقتصادية واجتماعية، وتعمل الدول المتقدمة والنامية على مواجهتها، وهي تحدث في الدول النامية لأسباب قصور النمو الاقتصادي عن ملاحقة السكان، ونتيجة لعجز المدخرات المحلية عن تمويل الاستثمارات اللازمة لتوفير فرص العمل. وتسعى نيجيريا إلى محاولة القضاء على حل الهيكل الاقتصادي في نيجيريا من خلال السياسات الاقتصادية، وتسعى أيضا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاقتصادية التي من أهمها تحقيق النمو الاقتصادي لتوفير فرص العمل وعلاج مشكلة البطالة بين مستوى المعيشة، لذلك يجب على الدول دراسة تطور هذه المشكلة والوقوف على أسبابها، ومحاولة وضع بعض مقترحات.

هذا البحث، عبارة عن استعراض تفاقم البطالة في نيجيريا من خلال بيانات، والظاهرة الأشد تأثيرا، هي بطالة الشباب بين حملة المؤهلات الدراسية، ويتضح كذلك أن البطالة في المدن أعلى من الريف، وكانت البطالة هي أقوى التحديات التي تهدد نظام الدولة إن لم تقم لمقاومتها. سينبني هذا البحث على النقاط التالية:

- تعريف البطالة والثقافة العربية.

- تحديات البطالة والثقافة الإسلامية في نيجيريا وشمالها.

- معالجة مشكلة البطالة في منظور الثقافة العربية والإسلامية.

- الخاتمة.

### تعريف البطالة

البطالة، بكسرة الباء أو فتحه (البطالة/البطالة)، وهو مصدر بطل، يبطل، فهو بطل... وبطل عمله: فسد،<sup>(١)</sup> منه قوله تعالى: " فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون". (الأعراف: ١١٨). أي فسد إفك السحر<sup>(٢)</sup>. بطل العامل: تبطل، بطل رسم شيء، رجل بطل. وأما اصطلاحا فهي عدم مهنة لقادر على العمل والعاطل عن العمل.

ويمكن تعريف البطالة وفقا للمفهوم العلمي بأنها الحالة التي لا يستخدم فيها المجتمع قوة العمل فيه استخداما كاملا. وتعد البطالة من أخطر وأكبر المشاكل التي تهدد استقرار الأمم والدول، وتختلف حدتها من مجتمع لآخر، فالبطالة تشكل السبب الرئيس لمعظم الأمراض الدولية والاجتماعية. ولذلك توجد العبارتان للبطالة، الأولى هي عدم الاستخدام الكامل لقوة العمل، والثانية عدم الاستخدام الأمثل للعمل. وفيما يتعلق بالعبارة الأولى إشارة إلى حالة البطالة السافرة، والبطالة الجزئية، ومعنى ذلك يتمثل في وجود أفراد قادرين على العمل وراغبين فيه، يبحثون عنه ليعملوا، وبالتالي وقت العمل والإنتاج الذي يحققونه يسوى صفرا. والثانية: تتمثل في وجوه أفراد يعملون أقل من المعدل الطبيعي المتعارف عليه في المجتمع، أو يعملون عددا من الأيام الأقل.<sup>(٣)</sup>

أنواع البطالة: تنقسم البطالة إلى الأنواع المختلفة ومنها:

البطالة الهيكلية: هي البطالة التي تظهر بسبب النمو والتطور في بعض المجالات المهنية التي تستبدل الأيدي العاملة في تطبيق النشاطات بمجموعة من الآلات التكنولوجية مما يؤدي إلى قلة الحاجة إلى الموظفين بسبب عدم امتلاكهم للمهارات الكافية للتعامل مع التطورات الحديثة، فهذه البطالة جزئية تقتصر على قطاع إنتاجي، أو صناعي معين لا تمثل حالة عامة من البطالة.

**البطالة الاحتكاكية:** هي البطالة التي تظهر عند الأفراد القادرين على العمل أثناء تركهم لعملهم القديم والبدء في البحث عن عمل جديد، إذ يفقدون القدرة على تحصيل المراد خلال هذه الفترة، وقد تنشأ هذه عندما ينتقل عامل من منطقة، أو إقليم جغرافي يبحث عن العمل في منطقة أخرى، أو إقليم جغرافي آخر.

**البطالة الدورية:** هي عبارة عن الركود الذي يصيب الحالة الاقتصادية الخاصة بمجموعة من المنشآت خلال فترة زمنية معينة، أو في مناطق محددة مع وجود منشآت في مناطق أخرى، تعمل بشكل ممتاز نتيجة تذبذب الدورات الاقتصادية، يفسر ظهورها بعدم قدرة على استيعاب أو شراء الإنتاج المتاح مما يؤدي إلى ظهور الفجوات الطلي الكلي. تعتبر البطالة الموسمية إجبارية على اعتبار، إن العاطلين عن العمل في هذه الحالة هم على استعداد للعمل بالأجور السائد إلا أنهم لم يجدوا عملاً.

### أسباب البطالة في نيجيريا

تعد نيجيريا إحدى الدول الإفريقية المزدهمة بالسكان، وهي من أكبر الدول الإفريقية، ارتفعت مساحة اقتصادها على قطاع النفط الإفريقية، مع ذلك يتراوح معدّل بطالة نيجيريا حوالي ٦٠%، وذلك حسب إحصائيات عام ٢٠١٥م. تعددت أسباب ظهور البطالة في نيجيريا وتتفاوت من مجتمع لآخر. وتعود أسبابها إلى العوامل الآتية:

- قلة الوظائف وفرص العمل بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان، مقارنة بالوظائف التي توفرها الدولة.

- ركود مهنة تعليمية حيث فقد أبناء الدول المعلومات الصحيحة التي تقوم للعمل.

- الركود والانكماش الاقتصادي والتعرض إلى أزمات مالية مع أن الرؤساء يقولون خرجت الدولة في أزمة انحسار.

- قلة تمويل المشاريع الاقتصادية.

- تأثر إيرادات خزينة الدولة بتغير أسعار النفط. وهذا أدى إلى تعرض الدولة لأزمات مالية متعددة.

- عدم قدرة الدولة على الاستمرار في تمويل المؤسسات التي كانت قائمة عليها.
- صعوبة وجود كفاءات معينة ذات خبرات ومهارات مطلوبة من الأيدي العاملة للحرف والصناعات الموجودة.
- عزوف الشباب عن الاستثمار المولد لمناصب العمل التي من شأنها أن ترفع من التنمية، وتفضيلهم للنشاط التجاري، وذلك بسبب عدم تقديم الدولة أي مساعدات مالية، أو قروض لمساعدة الشباب على الاستثمار الجيد. (٤)

### تعريف الثقافة

**الثقافة لغة:** العلوم والمعارف والفنون التي يطلب والحدافة. (٥) أما اصطلاحاً: فتعرّف من ناحية العلماء العرب بأنها مجموعة من العادات والأفكار التي يكتسبها الفرد من مجتمعه. يقول الأستاذ عقيل عيدان: إن الثقافة اصطلاحاً هي أسلوب الحياة إجمالاً، أي هي النظام الاجتماعي وما له من معتقدات وعادات. والتربية والتعليم هي واسطة من وسائل المحافظة على الثقافة وإيراثها من السلف إلى الخلف. (٦) وتختلف ثقافة كل مجتمع عن الآخر. والعربية اسم مؤنث منسوب إلى عرب، كقولك الوحدة العربية منظمة العمل العربية، القومية العربية.

### مكونات الثقافة العربية

تتكون الثقافة العربية من مكونين رئيسيين، اللغة العربية ووالثقافة الإسلامية، ومن هنا إصرار بعض الدارسين على تسميتها الثقافة العربية والإسلامية؛ لأنها توأمان متلاصقان لا ينفصلان في نيجيريا، حيث دخلت اللغة العربية والإسلام في آن واحد دون أن يسبق واحد على آخر. واللغة هي وعاء العلوم جميعاً، وأداة الاستفهام والتعبير العلمي والفني ووسيلة التأثير في العقل والشعور عبر جسور فنونها المثيرة؛ شعرها ونثرها، وحكمها وأمثالها، وقصصها وأساطيرها، وسائر ألوانها وأدواتها، والفنية جزء من ثقافتها يقال الثقافة العربية وهي نتيجة الإسلامية.

### تحديات التعليم الثقافة العربية والإسلامية بشمال نيجيريا:

من أبرز المشكلات التي تواجه الثقافة العربية والإسلامية داخلية وخارجية ما يلي:



١- عدم التمويل: إن المدارس العربية التي تعنى بتدريس اللغة تعد على أصابع اليد، وأنشئت بجهود ذاتية، وليست حكومية أو مؤسسية، مما يكون تداعيات سلبية في دعم وتمويل تلك المدارس، لأن المؤسسين لا يرون من شأنها ثمرة دنيوية.

٢- عدم الاعتراف الحكومي: ومع الجهد المضني الذي يبذله أصحاب المدارس العربية فإن ٩٠% منها ليس معترفا بها رسميا من السلطات الحكومية، وهذا بالطبع له انعكاسات خطيرة على المؤسسات التعليمية وأصحابها. برغم أن هذا الوضع لم يكن مرضيا لأصحاب المدارس العربية.

٣- ظاهرة الازدواج اللغوي الثقافي: من أبرز المشاكل التي تقابل جهود المستعربين في نيجيريا وبخاصة شمال نيجيريا، ظاهرة الازدواج الثقافي التي يعيشها المجتمع، فالثقافة السائدة الرسمية بين صفوف النخبة والمتقنين هي الثقافة الإنجليزية<sup>(٨)</sup> ولذلك فإن كثيرا من المتقنين بثقافة عربية في أي مجال من المجالات إذا لم يكونوا على قدر من الثقافة الإنجليزية التي تؤهلهم لتقديم أنفسهم، فليس لهم حظ في حضور فاعل ومعتبر على ساحة، مهما بلغوا من الكفاءة والتمكن في مجالات تخصصهم.

٤- غياب الحضور المعتمد: كان رواد الثقافة العربية يعانون -في ساحة الثقافة- من عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس التي تدرس العربية، فظلت الساحة الثقافية الأخرى ترفض الاعتراف بمتقني اللغة العربية مما جعل المستعربين يشعرون بشيء من الدونية، ويعيشو في حالة من التهميش والاعتراب داخل مجتمعهم.

٥- مزاحمة الإنجليزية العربية: تضايق الإنجليزية العربية في مجالات الحياة، وهو أمر مشهود وطبيعي في مجتمع يعتمد على الإنجليزية. وتلك من أكبر التحديات تجاه دارس العربية فيما تصبو نفسه إلى تحقيقه في المجتمع.<sup>(٩)</sup>

٦- تدني المستوى الاقتصادي: يعد الوضع الاقتصادي عاملا قويا في تصاعد معاناة رواد العربية في البلاد، فأكثر المستعربين يعيشون في ظروف اجتماعية مالية قاسية، نظرا لعدم

الاعتراف الرسمي بمؤهلاتهم، أو قصر مجال عملهم فقط على التدريس في المدارس العربية الدينية الأهلية والحكومية.

٧- عدم وجود وسائل الاتصال بالعربية: كان فقدان الوسائل المعينة لتنمية القدرات الاتصالية مشكلة كبيرة نظرا لشدة الحاجة إليها. فهذه المشكلات وغيرها تمنع الثقافة العربية من أعلى ذراها.

### تحديات البطالة:

تعد البطالة من أخطر وأكبر المشكلات التي تهدد استقرار الأمم والدول، بل هي السبب الرئيس لفشل الأمم وفسادها، وتختلف ظاهرتها من مجتمع لآخر، فنحن في نيجيريا تواجهنا كغيرنا من الدول الإفريقية الغربية تحديات في مناحي الحياة ومستوياتها كافة، ولعل ما يذكر من جراء مشكلة البطالة اشتعال نار الفتنة بين القبائل والمواطنين وبين شعب وشعب، وأزمة سياسية متزايدة، مما أدى إلى السرقة والغصب والنهب والхиانة واختطاف وإرصاد المسافرين وغيرهم، وهي تحديات مستمرة في كثير من القطاعات الوطنية، الظاهرة التي أدت إلى فشو الاختلال التعليمي، وخاصة في تنفير بعض الطلبة من تعلم العربية، إذ التدريس هي المهنة الوحيدة المتوقع الحصول عليها، فهي أيضا ضيقة الفرصة من قبل الحكومة، إلا في بعض المؤسسات الأهلية التي لا تدفع إلا رواتب زهيدة بوازع الاستغلال في مجال التوظيف.

### علاج البطالة في منظور الثقافة العربية والإسلامية

كما سبق أن الثقافة العربية والإسلامية لا تنفصلان، ولقد حرص الإسلام على دفع المسلمين إلى العمل، وحضهم عليه، وفتح أمامهم أبواب العمل الصالح لاكتساب المعيشة على مصراعيها، لينتار كل إنسان ما يناسب قدراته من عمل طيب، وجاء الأمر بانتشار في الأرض بعد الصلاة طلبا للرزق. قال تعالى: "فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" (الجمعة: ١٠) أي واطلبوا من فضل الله (١٠). وفي هذه الآية إشارة إلى الأمر بالتجارة. وكذلك حث الإسلام على المهن والحرف اليدوية وجعل كل كسب حلالا، قال تعالى: " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن

أعييها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غضبا" (الكهف: ٦٩). ووردت أحاديث كثيرة تبين فضل الكسب والمهن والحرف اليدوية. فعن المقدم بن معدي كرب أن رسول الله قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده". فقد روى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بجمرة الحطب على ظهره فيبيعهما، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه...". وفي الحث على المزارعة والغرس، قوله تعالى: "قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله، إلا قليلا مما تأكلون" (يوسف: ٤٧). وفي الحديث: "ما من مسلم يزرع زرضا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة". ولقد كان الرسول والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه من أحرص الناس على العمل إلى جانب الدعوة إلى الله، فكان نوح نجارا، يصنع الفلك. قال تعالى: "ويصنع الفلك وكلما مر عليه مالأ من قومه، سخروا منه قال إن تسخر منكم كما تسخرون" (هود: ٣٨). وكان إدريس خياطا وكان داود حدادا، وكان موسى أجيرا عند شعيب: "قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين" (القصص: ٢٧). وكان صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم ويعمل بالتجارة قبل البعثة. وهؤلاء المذكورون هم أفضل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة، كانوا يعملون لمعيشتهم، أكد ذلك قوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا" (الفرقان: ٢٠). وقد اقتدى به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فحرصوا على العمل والسعي في طلب الرزق، فكان منهم الصانع، والتاجر، والمزارع، وكانوا يتمتعون بالغنى وسعة الرزق، وكانوا يمارسون أعمالهم مع انشغالهم بالدعوة والجهاد في الغزوات والحروب والفتوحات، ولو تبع الناس ما أمر الله به من اقتداء برسول الله كما قال في القرآن: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" الأحزاب: ٢١)، ولو كنا نقتدي بهم كما أمرنا الله تعالى لانكشفت عنا مشاكل الحياة كلها، ونحن نقول

على سبيل التوصيات أن تهتم الدولة بفئة الشباب وخاصة المثقفين للثقافة العربية الإسلامية عن طريق إيجاد المشاريع التي توفر لهم فرص العمل لسد رمق الحياة، ويستطيعون من خلالها الإبداع في عملهم، والاستغناء عن طلب المشاريع الوافدة من الدول الخارجية، منها:

- تطوير التعليم في الدول إلى مستويات تناسب احتياجات ومتطلبات السوق المتطورة لحل مشكلة الانفجار السكاني عن طريق توعية السكان بتنظيم النسل.

وتشجيع وتسهيل الاستثمار داخل الدولة الذي سيساعد على إيجاد فرص عمل جديدة.

- تشجيع التعاون مع القطاع الخاص ليساهم في حل مشكلة البطالة، وللمساهمة في توفير فرص عمل للشباب وتطوير مهاراتهم، وبهذه نزول تحديات البطالة ولم تبق أي نوع من البطالة، وقد يمكن ذلك إذا كان رؤساء الدول على الحق والأمانة والعهد وتوجه إلى الله بكل أمورهم.

#### الخاتمة

هذه الدراسة عبارة عن تحديات الثقافة العربية ومشكلة البطالة، تناولت المقدمة، ثم تعريف البطالة والثقافة العربية لغة واصطلاحاً.

فأبرز البحث بعض أنواع البطالة الموجودة في نيجيريا مع إشارة إلى حدة كل واحد نظراً لاختلاف المكان والزمان، وتحدثت البحث عن أسباب البطالة الخارجية والداخلية. وكذلك ذكر الباحثان مشكلة الثقافة العربية في نيجيريا من بدايتها إلى الوقت الراهن، ثم اقترح البحث الحل الناجع حسب الثقافة العربية والإسلامية من ترغيبهم لفتح أبواب العمل والأمل للشعب ليختار كل إنسان ما يناسب قدرته. وقد تمت كل هذه البيانات بعرض أدلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

ونوصي كلا من الحكومة والأفراد بالقيام بالواجب لحل هذا الخطر الذين يهددنا اليوم. (وفقنا الله جميعاً).

الهوامش والمراجع

- ١- جماعة من كبار اللغة بين العرب، المعجم العربي، المنظمة للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة. ص: ١٨٢.
- ٢- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج/الأول، دار الصابوني، ص/ ٤٥٢.
- ٣- 957 - 1999 vol.3 1999 - 957، [jagric.eonomandsocialmansut.univ](http://jagric.eonomandsocialmansut.univ) 2012.
- ٤- موقع انترنت [www.aluktah.net/sharia](http://www.aluktah.net/sharia) يوم الجمعة ٢٠٠١-٢٠١٨
- ٥- المرجع نفسه.
- ٦- أحمد العايد وآخرون، المعجم الوسيط، ط/٤ مكتبة الشرون الدولية ص: ١٠١.
- ٧- شبكة الإنترنت.
- ٨- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى، تاريخ: ١٩٧٢.
- ٩- المرجع السابق، ص: ٢٤.
- ١٠- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج/الأول، دار الصابوني...

## الثقافة الإسلامية في إمارة: بدّي دراسة تاريخية

الدكتور سعد الله موسى سعيد

قسم التربية بالعربية، اكلية عمر سليمان للتربية، عَشُو ولاية يُوِي

08066112475

### المقدمة

تهدف هذه المقالة إلى دراسة حالة الثقافة الإسلامية في إمارة بدّي الواقعة تحت حكومة بدّي المحلية بولاية يُوِي، ويشتمل البحث على دراسة آثار الثقافة الإسلامية المتمثلة في اللغة العربية، ودراسة تطورها في الإمارة، كما تقوم بدراسة حالة الكتاتيب، ونظام التعليم فيها، وحلقات التعليم، والمساجد، والمناسبات الدينية. وقد كتب كثير من الكُتَّاب والباحثين عن إمارة بدّي في نواح مختلفة، منهم من كتب عن تاريخها قبل الاستقلال كما فعل **Aji Suleiman** في كتابه المكتوب باللغة الإنجليزية ( *The great Bade Emirate history and Economic perspectives* ) و **Akilahyel** ، **Ali Sunama** في كتابه ( *A history of Bade in Pre-colonial period* ). طرق الكاتبان في كتابيهما تاريخ إمارة بدّي في غابر الزمان، إلا أنهما لم يطرقا حالة الإسلام في الإمارة، وكتب السيد آدم أبو بكر مؤخرا عن إمارة بدّي في مقالته (رواد الثقافة الإسلامية في إمارة بدّي)، وتحدث عن الإسلام وثقافته فيها، ولم يتناول آثار الثقافة الإسلامية في الإمارة، ولكن هذه المقالة ستعيد النظر في هذه الثقافة الإسلامية، حيث يستخدم الباحث المنهج التاريخي لمعالجة الموضوع على ضوء نقاط آتية:

- التمهيد.

- دخول الإسلام في إمارة بدّي.

- تطور الثقافة الإسلامية في الإمارة.

- آثار الثقافة الإسلامية في الإمارة.

## التمهيد

الثقافة: هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها<sup>١</sup>. وإن الثقافة والعلم يلتقيان في إعداد المادة العلمية اللازمة لبناء الفرد ليرتقي في مدارج الحضارة، فلا شك أن الثقافة تكون مرحلة أرقى من مرحلة التعلم، فلا يعد الأمر قاصراً على معلومات تقدّم في محارب العلم لمن يتجه إليها، بل أصبح الطالب هو الذي يبحث عن الثقافة سواء في محارب العلم أو خارجها، والتثقيف الذاتي ظاهرة اجتماعية، إذ أصبحت الثقافة تعني ظاهرة الحياة المتحضرة ينبغي أن يلم بها الإنسان المستنير، جاهداً في طلبه؛ لأنه لا ينبغي أن يكون في معزل عن متطلبات العصر، وينبغي أن لا يقصر في تراثه العلمي والأدبي، فالكتاب للجميع والثقافة للجميع والمجتمع كله يتحرك مع التيار الثقافي، وليس طلبة المدارس والمعاهد وحدهم، وكذلك الباحث وإن تخصص في فرع من فروع المعرفة فلا ينبغي له أن يعيش داخل دائرة مغلقة يتفوق في ذلك الفرع وحسب، بل لا بد أن يلم بثقافة عصره واتجاهاته الفكرية وأن يكون مع تخصصه موضوعياً يأخذ من كل فن بطرف<sup>٢</sup>.

وإمارة بَدِيّ تقع حالياً في ولاية يوبي، شمال نيجيريا، وكانت من الإمارات القديمة التي تفرعت عن إمبراطورية كانم برنو. ولقد أحدث الإسلام فيها تغيرات جوهرية، وتحولات جذرية في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وبلغت هذه الإمارة بفضل الإسلام مكانة سامية بين الأمم والشعوب المجاورة لها.

كانت إمارة بَدِيّ تحت سيطرة إمبراطورية كانم برنو قبل استقلالها سنة ١٨١٨م، كما كانت تابعة لولاية برنو القديمة حتى زمن تأسيس ولاية يوبي. لذا تقع -حالياً- في أقصى الشمال الغربي لولاية يوبي، في شمال شرق نيجيريا، على ساحل نهر يوبي الذي ينبع أصالة من مرتفعات وسط نيجيريا، ويلتقي بنهر مسوّ، ثم يصب أخيراً في بحيرة تشاد. تشغل مساحة ٥٠٩٤ كيلو متر مربع. ما بين خطي العرض ١٢٠ و ٢٢،٢، وخطي الطول ١٠،٥٠ و ١٣،١١ تقريباً<sup>٣</sup>.

لقد أشارت بعض المراجع إلى أن شعب بَدَيّ - بالرغم من أنهم من أصل واحد - انقسم إلى عشائر متفرقة، وانتشر في قرى متجاورة، كل عشيرة لها زعيمها الخاص يأمر وينهى، وهو بمثابة شيخ القبيلة عند العرب في الجاهلية. ومن خلال هذا التنظيم العشائري الصغير، انبثقت النواة الأولى لتأسيس إمارة بَدَيّ، ثم اجتمع زعماء هذه العشائر وشكلوا وحدة قومية، وانفقوا على تعيين دُوْعُنْ بَابُوجِي (Dugum Babuje)، رئيساً للزعماء، فصار بذلك أول ملك رسمي للبدويين عام 1842م<sup>٤</sup>.

### الإسلام في إمارة بَدَيّ:

يرجع تاريخ دخول الإسلام إلى إمارة بَدَيّ إلى زمن قديم بعد دخوله مملكة برنو القديمة عن طريق رجل تاجر يأتي إلى عَشُوْ بسلعته، ولما وطدت العلاقة بينه وبين أهل البلدة بدأ يدعوهم إلى الإسلام، فلاحظوا منه الأخلاق الحميدة، وطلبوا منه أن يعلمهم الإسلام ومبادئه، بهذا الطريق اعتنق الكثير منهم الإسلام<sup>٥</sup>. ويذهب البعض الآخر إلى أن الإسلام عرف طريقه إليها منذ زمن قديم عن طريق القوافل التجارية، وحجاج بيت الله الحرام، فتسرب بين الأفراد ثم الشعب، إلا أن الإسلام آنذاك كان ممزوجاً بالتقاليد المحلية والطقوس الشركية التي كادت تغطي على التعاليم الإسلامية في كثير من الأحيان. ثم وصل الإسلام إلى ذروته حين يصل إلى الطبقة الحاكمة، ويعلن الملك صالح بن أجي (1894 - 1919) إسلام مملكته، فأصبحت هذه الإمارة منذ ذلك مملكة إسلامية<sup>٦</sup>.

### الثقافة الإسلامية وأوائل رجالها:

الإسلام دين الثقافة والحضارة وأينما يدخل يدخله بثقافته وحضارته، والذي يعتنق الإسلام ديناً يجب عليه تعلّم ثقافته وحضارته، فهو دين يدعو منذ أيامه الأولى إلى العلم والمعرفة. قال الله تعالى في محكم كتابه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)). (سورة العلق: ١-٥). وهذه الآيات الخمسة، هي أولى الآيات نزلت على رسول الإسلام



صلى الله عليه وسلم، وتدعو إلى العلم والمعرفة نداءً علنيًا، ويدل دلالة واضحة على أن الإسلام لا يدخل مكانًا إلا بعلمه وثقافته وحضارته.

ومنذ أن دخل الإسلام إمارة بدّي بدأ أهلها يتعلمون علومه ولغته العربية، لكي يتيسر لهم فهم شرائعه وأداء فرائضه، من توحيد، وصلاة، وصوم، وزكاة، وحج بيت الله، وعن طريق تعلم هذه المبادئ بدأت تدخل في الإمارة الثقافة الإسلامية، وهناك بدأ العلماء بذل جهود جبارة في نشر الإسلام بفتح الكتاتيب قي بيوتهم والمساجد لتعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن ومبادئ الإسلام، وحققت هذه الجهود نجاحا بارزا في غرس الثقافة الإسلامية في الإمارة.

### أوائل رجال الثقافة الإسلامية في إمارة بدّي:

من أوائل رجال الثقافة الإسلامية في هذه الإمارة الشيخ أبو بكر مصطفى؛ أول إمام المسجد الجامع لهذه الإمارة، وقد قدم من دمغرم بجمهورية النيجر، إثر الطلب من مسؤولي الإمارة عن من يعلمهم مبادئ الدين وشرائعه، وقد جاهد الشيخ في توطيد الثقافة الإسلامية في الإمارة، وما زالت الإمامة فيها محكورة على أبنائه الثلاثة وأحفادهم حتى اليوم.

إلى الشيخ أبي بكر وأبنائه الثلاثة (الشيخ أبو بكر بن أبي بكر مصطفى، والشيخ أحمد كاك بن أبي بكر مصطفى، والشيخ ليمن أبة بن أبي بكر مصطفى)<sup>٧</sup>، ثم الشيخ محمد بن محمد دودو الذي قدم من جيجا بولاية كيبى، نيجيريا، والشيخ محمد بن آدم طن جنجري، الذي قدم من قرية "رغيم" بولاية جيجاوا، والشيخ عبد القادر التالكي من قرية تالكو بولاية جيجاوا، والشيخ حسن بن عثمان الملقب بـ "أعلاء"، والذي قدم عشو من يسفاري، إليهم جميعا يرجع غرس النواة الأولى للثقافة الإسلامية في إمارة بدّي.<sup>٨</sup>

### آثار الثقافة الإسلامية في الإمارة:

دخل الإسلام الإمارة، وما لبث حتى بدأ العلماء يجتهدون ويبدلون ما في وسعهم في نشر ثقافته، فأخذوا يستفتحون الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين قراءة القرآن، وأمارات الثقافة الإسلامية بدأت تلوح في جميع أنحاء الإمارة، وتلاحظ آثارها في كل مكان، ومن آثار الثقافة الإسلامية في الإمارة ما يلي:

## الكتاتيب:

لقد علمنا فيما سبق مدى ضرورة التعلم والتعليم في الإسلام، ولذلك أخذ العلماء يجعلون بيوتهم ومساجدهم أماكن التعليم لأبناء المسلمين مبادئ الإسلام وعلومه، وهذه الأماكن - بيوت العلماء والمساجد- عرفت فيما بعد بالكتاتيب، يتعلم الولدان فيها القرآن الكريم. إن كلمة **كتاتيب** جمع **كُتَّاب**، يقصد بها مكان يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن وتحفيظه، وقد ذكر الإلوري في كتابه: "نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي"، أن الكتاتيب عبارة عن مكان صغير يسع عددا من الصبيان تحت إشراف معلم أو معلمين، وقد يكون غرفة، في بيت المعلم، أو حانوتا، أو دهليزا من دهاليز المنزل أو المسجد، يذهب إليه الصبي غالبا إذا بلغ ست سنوات ليتلقى التعليم فيه نظير أجر معين في كل أسبوع أو شهر أو سنة.<sup>9</sup>

**نظام التعليم في الكتاتيب:**

كان نظام التعليم في الكتاتيب هو أن يذهب الصبي إلى الكُتَّاب مرتين، صباحا ومساء في كل يوم ماعدا يومي الخميس والجمعة، يستريح فيهما المعلم، ويراجع الأولاد دروسهم فيهما استعدادا لدروس جديدة في الأسبوع التالي. ويستمر التعليم في فترة الصباح من الضحوة إلى الظهر، يباشر فيهما التلميذ القراءة أولا ثم الكتابة ثانيا، ثم يعود إلى المنزل ليتناول الغذاء. وتبدأ فترة المساء بعد صلاة العصر غالبا إلى آخر النهار. ومنهج القراءة في الكتاتيب هو أن يقرأ التلميذ الدروس المكتوبة في اللوح، ويكرر قراءته حتى يتقنه أو يحفظه، فإذا حفظه يحوّه ليكتب مكانه درسا جديدا، ويجلس المعلم أمامهم على الحصيصة أو الكرسي، يلقن التلاميذ دروسهم وهم ملتفون حوله.

وتوجد هذه الكتاتيب في إمارة بدي بكثرة، وهذه الكثرة التي جعلت الباحث يزعم أنه من الصعوبة بمكان تعداد هذه الكتاتيب. وأحيانا تجد التلميذ إذا أتم تصحيح دروسه من المعلم يأوي هو وحده إلى مكان خال من انزعاج، يراجع درسه إلى أن يتقنه أو يحفظه، وربما يمكث في ذلك المكان ثلاث أو أربع ساعات يكرر درسه إلى أن يتقنه أو يحفظه.

### إسلاميات (المدارس الإسلامية):

بالإضافة إلى الكتابات توجد في إمارة بَدَيَّ مدارس أخرى تدرس فيها قراءة القرآن والعلوم الدينية الأخرى، مثل الفقه والحديث والسيرة النبوية، والتوحيد، وتسمى هذه المدارس "الإسلاميات"، وربما يقصدون "المدارس الإسلامية"، ولبعض هذه المدارس عناوين، أو أسماء مثل: مدرسة نور الدين الإسلامية، ومدرسة تأديب الأولاد، ومدرسة عمر مُويي الإسلامية في غَشُو وغيرها.<sup>١٠</sup>

### نظام التعليم في الإسلاميات:

يرتاد الأولاد الإسلاميات غالبا في المساء، و يرجع سبب ذلك إلى أن الأغلب من الأولاد يذهبون إلى المدارس الحكومية في الصباح، ولذلك خصص المساء وقت التعليم فيها. وربما يخصص من هذه المدارس قسط من مبانها لتعليم النساء الكبار العلوم الإسلامية، من فقه، وحديث، وسيرة نبوية، وقراءة القرآن، ويرتدنها غالبا في مساء يومي السبت والأحد، في كل الأسبوع؛ لأن أكثرهن موظفات، يذهبن إلى أماكن عملهن في بقية أيام الأسبوع. ودراسة النساء في هذه المدارس تعتبر فرصة هامة لتعليمهن العلوم الدينية، ويدل كذلك على اهتمام أهل الولاية لتعليم النساء، سواء كبارهن أو صغارهن.

### المناسبات الدينية:

من آثار الثقافة الإسلامية في الإمارة المناسبات الدينية، ومن هذه المناسبات عقد النكاح، وحفلة المولد النبوي، وفي هذه المناسبات يغتنم العلماء الفرصة لإلقاء الوعظ والإرشاد أمام الجمع الغفير من الناس، ليذكروهم بأوامر الله ونواهيه ويرغبوهم في الجنة وما فيها من نعيم مقيم، ويهربونهم بالنار وآلامها الدائمة لمن عصى الله تعالى، وهذه المناسبات ما زالت تظهر فضائلها إلى هذا الوقت، وقد تكون المناسبة عقد النكاح، وإقامة الجنازة للميت. وفي عقد النكاح: تقام الوليمة ندبًا، لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف - كما في صحيح البخاري-: "أولم ولو بشاة"<sup>١١</sup>.

### تطور الثقافة الإسلامية في الإمارة:

ما لبث حتى بدأت الثقافة الإسلامية تتطور وتزدهر في إمارة بدّي، وأصبحت اللغة العربية تدرس في الحلقات والمدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، وتوظّف فيها الحكومة المعلمين لتعليم أبناء المسلمين دين الإسلام ولغته العربية. وبالإضافة إلى ذلك يمارس العلماء تعليم الكبار في بيوتهم والمساجد، ويطلق على مثل هذا التدريس بالحلقات.

### المدارس النظامية:

توجد في إمارة بدّي مدارس تختلف مراحلها، ومن هذه المدارس ما كانت على مستوى ابتدائية، وثانوية، ومدرسة الدراسات الإسلامية العالية، وكلية التربية، والجامعة، كلها تساهم في نشر الثقافة الإسلامية في الإمارة. ما يلي كلام موجز عن هذه المدارس:

### المدارس الابتدائية والثانوية:

هذه المدارس لا تألو جهداً في تثقيف أبناء المسلمين الثقافة الإسلامية. وفي المدارس الابتدائية يتعلم الأولاد مبادئ الإسلام بدءاً من العقيدة الإسلامية الصحيحة، وقراءة السور القصار، ثم تعلّم كيفية الوضوء والصلاة. تشترك المدارس الحكومية والخاصة في تعليم الأطفال مبادئ الإسلام في هذه المرحلة. ومن هذه المدارس على سبيل المثال لا الحصر: (مدرسة رحمة الابتدائية)، (Rahmat Primary School) و(مدرسة ببُجّي الابتدائية)<sup>١٢</sup>. (Babuje Primary School)

توجد المدارس الثانوية، حكومتها وخصوصيتها بالكثرة في أهم مدن الإمارة، مثل بلدة غَشُو وَجْكَسْكَو. ويتعلم الأولاد العلوم الإسلامية واللغة العربية فيها على وجه أوسع وأعمق، تمهيداً لهم بما الطريق إلى التخصص في الدراسات الإسلامية والعربية - في المستقبل - في الكليات والجامعات. وكل ما تعلمه الأولاد من المعلومات الدينية في المدارس الثانوية هي التي تؤهلهم للامتحانات الثانوية العامة في آخر المرحلة الثانوية. ومن المدارس الثانوية في إمارة بدّي: (مدرسة غفميت دّي الثانوية)، (Govt Day Secondary School) و(مدرسة

سَنَعُوَ الثانوية الحكومية<sup>١٣</sup>، (Sango Secondary School)، ومدرسة الثانوية الحكومية للبنات - دَاغُون (GGASS- Dagona)

لما تطورت الثقافة الإسلامية في الإمارة، طولبت الحكومة بضرورة إنشاء مزيد من المدارس لتعليم الأولاد والبنات مبادئ الإسلام وشرائعه، ولبت الحكومة هذه الدعوة بتأسيس المدرسة العربية الثانوية الحكومية للبنات بدَاغُون في إمارة بَدَي سنة ٢٠٠٠م<sup>١٤</sup>، (Govt Arabic Girls Secondary School- Dagona)، وقد حُصِصت المدرسة لتعليم البنات الدراسات الإسلامية والعربية، كما تدرس فيها جميع المواد التي تدرس في المدارس الثانوية الحكومية الأخرى. وساهمت المدرسة في تطوير الثقافة الإسلامية ونشرها، كما ساعدت على ترويج تعليم النساء في إمارة بَدَي.

#### كلية عمر سليمان للتربية:

هي من أقدم الكليات في ولاية يَوُي، إذ يرجع تاريخ تأسيسها إلى ما قبل تأسيس الولاية. أشارت بعض المراجع إلى أنها أسست سنة ١٩٨٦م، وهي في بداية الأمر الكلية العالية للمعلمين (ATC)، ثم حوّلت إلى كلية التربية سنة ١٩٨٦م<sup>١٥</sup>. ومن المواد التي تدرس في الكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وذلك ليتمكن المسلمون من تعلّم علوم دينهم الحنيف، ولتحقيق ذلك أُسِّس فيها قسما الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، وأخيرا أسس قسم التربية بالعربية (Arabic...)، وفي هذه الأقسام الثلاثة يتم تعلم الدراسات الإسلامية والعربية على المستوى العالي.

ومن إنجازات هذه الكلية في نشر الثقافة الإسلامية في إمارة بَدَي تخرّيج المتخصصين في العلوم الإسلامية والعربية في كل من قسمي اللغة العربية والتربية بالعربية، وقسم الدراسات الإسلامية، (ISS DEPT)، ومنها انتشار الثقافة الإسلامية في الإمارة بواسطة ما يقدمه الطلاب من البحوث في الدراسات الإسلامية واللغة العربية والتربية الإسلامية، خاصة في تناول آثار علماء الإمارة بالدراسة شعرا ونثرا.<sup>١٦</sup>

### مدرسة الدراسات الإسلامية العالية - عَشُو:

أُنشأت مدرسة الدراسات الإسلامية العالية في بلدة عَشُو سنة (٢٠٠٠م) بمجهودات جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، فرع عَشُو بولاية يُوِي، وكان من أمنيات الجماعة تطوير اللغة العربية في هذه الديار، بحيث يتمكن أبناء المسلمين من تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الولاية. والمدرسة التي بدأت بفصلين، وثمانية معلمين، ما لبث حتى صارت مدرسة ذات أهمية وقيمة في البلد شهدت تطورا ملحوظا حين تولى محمد زَنْغَنَّا رئاستها عام ٢٠٠٨م، وكان متخصصا في الدراسات الإسلامية على مستوى الدبلوم، ونائبه في ذلك الوقت، حماد محمد جَنْجَرِي؛ المتخصص في الدراسات العربية، وقد حصل على الشهادة الإجازة العالية "الليسانس"، في اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، ساي بالنيجر سنة ٢٠٠٥م<sup>١٧</sup>.

والجدير بالذكر أن عدد النساء المسجّلات في هذه المدرسة للدراسة أكثر من عدد الرجال المسجّلين، مما يدل على رغبة بنات الإمارة في تعلُّم العلوم الدينية واللغوية. ويبلغ عدد المسجلين للدراسة فيها الآن أكثر من خمسمائة طالب رجالا ونساء، ويبلغ عدد الفصول اثني عشر فصلا<sup>١٨</sup>.

### الخاتمة:

حاول الباحث إلقاء الضوء على حالة الثقافة الإسلامية والعربية في إمارة بَدِي، وفيما يلي نتائج توصل إليها:

- أدرك الباحث أن الثقافة العربية قد دخلت هذه الديار بدخول دين الإسلام إليها، وذلك قرابة أحد عشر قرنا مضى. وقد ذكر بعض المراجع أن الإسلام هو الذي يمهد السبيل للأدب العربي، وقد دخل الإسلام بَرَنو على أيدي البرابرة، وهم الذين نشروا الإسلام وحضارته بتلك البلاد، وعلى أيديهم قامت الدولة الإسلامية الأولى في القرن الخامس الهجري بالجزء الشمالي الشرقي حتى شملت بلاد كَنو وكشنة وغيرها مما يعرف اليوم بشمال نيجيريا.

- أشار إلى أن الثقافة العربية والإسلامية في إمارة بدّي لم تنشأ من فارغ، بل اعتمد على عدد من العوامل، منها:

- وجود العلماء الذين بذلوا جهودا جبارة في نشر الثقافة الإسلامية في إمارة بدّي
- فتح الكتاتيب التي تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية.
- المدارس النظامية التي اعتنت بالدراسات الإسلامية واللغوية، كمدرسة الدراسات الإسلامية العالية في عَشُو، وكلية عمر سليمان للتربية في عَشُو.
- الإنتاجات العلمية والأدبية واللغوية الضخمة التي تركها علماء هذه الإمارة، وقد استطاع هؤلاء العلماء توضيح آرائهم اللغوية والأدبية من خلال مؤلفاتهم المتنوعة شعرها ونثرها، وفتحوا الباب للذين يأتون من بعدهم ليدخلوا حيث شاؤوا.

#### الاقتراحات والتوصيات:

يختتم هذا البحث المتواضع ببعض الاقتراحات على الباحثين بأن يضاعفوا جهودا في البحث في إنتاجات علمائنا الكرام بهذه الديار، لما اشتملت عليه كتاباتهم من الحقائق التاريخية، ويوصي الذين بأيديهم زمام الأمور الدينية في هذه البلاد أن يقوموا بالمعاونة على نشر البحوث التي كتبت حول إنتاجات علماء هذه البلاد لكي يعم نفعه الداني والقاصي.

## الهوامش والمراجع

- ١- إبراهيم أنيس والآخرين، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، غير المؤرخ، ص ١١٨.
- ٢- السيد تقي الدين، الأدب والحضارة، دار نهضة مصر، للطبع والنشر المجاك- القاهرة ١٩٨٣م، ص ٥٨.
- ٣- 'A history of Bade in Pre- colonial period' Ali Sunama ،Akilahyel Ibadan (2007). P 1 ،Boga press
- ٤- 'The great Bade Emirate history and Economic ' Aji Saleh ،Suleiman- Aje printer Abuja (2007) PP 4-5 'perspectives
- ٥- محمد جنجري، مناهج المدارس الإسلامية الابتدائية في بلدة عَشُو، الناشر غير مذكور وغير مؤرخ، ص ٢١.
- ٦- آدم أبو بكر، رواد الثقافة الإسلامية في إمارة بَدَي (adams guru@com،yahoo)
- ٧- محمد جنجري، مناهج المدارس الإسلامية، المرجع السابق، ص ٢٣.
- ٨- آدم أبو بكر، رواد الثقافة الإسلامية في إمارة بَدَي، المصدر السابق والموقع ذاته. ٩-
- آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية ١٩٨١م، ص ٣٥.
- ١٠- المقابلة بين الكاتب والشيخ أحمد صلاح، في بيته يوم الإثنين ١٧/٩/٢٠١٨م.
- ١١- عثمان بن فودي (الشيخ): إحياء السانة وإخماد البدعة، الحاج طن اغي طابربرو صكتو، غير مؤرخ، ص ١٧٦.
- ١٢- المقابلة بين الكاتب ومآلم الشيخ عثمان، أحد المدرسين في المدارس الابتدائية، في بيته يوم الإثنين ١٧/٩/٢٠١٨م.
- ١٣- المقابلة نفسها.
- ١٤- المقابلة بين الكاتب والسيد دُوُو مأكير دَعَوْن في بيته، يوم الإثنين ١٧/٩/٢٠١٨م.
- ١٥- Umar Suleiman College of Education Hand book 2012. p 3



## الثقافة العربية وتحديات البطالة في نيجيريا

علي أيوب إدريس

قسم اللغة العربية، كلية بنيامين عثمان للتربية (دس)

07036463337

و

إسحاق محمد دس

قسم اللغة العربية، كلية بنيامين عثمان للتربية (دس)

09064705592

### التمهيد

لقد أعلن نبي الإسلام أنه يحمل رسالة إلى العالم أجمع، ولا شك أنه دعوة عالمية، لأداء رسالة سماوية ترهنها علمية لغتها، ولذلك قال الله تعالى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (الزخرف: ٣)، وقوله تعالى: (بلسان عربي مبين) (الشعراء: ١٩٠). والمقصود بالخطاب هنا ليس عربا فقط، بل العالم كله، وكأن معنى الآية: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا"؛ يكمن في أن العربية لغة تصلح بأن تخاطب العالم أجمع، لأنها لغة مبينة أدق المعاني بأبسط الألفاظ وأجملها، ومن ثم كان حريا بنا أن نعقل ما يتنزل علينا بها من قرآن، وأنه لما جاء الإسلام ونزل القرآن باللغة العربية سَمَا قدرها، وارتفع شأنها، وكثر سوادها وصارت لغة حية بينما ماتت أخواتها، أحيائها بالإسلام والقرآن، فأصبحت لها صولة وجولة، شوكتها قوية، وحيث تمكن الإسلام من الحكم صارت العربية لغة الدولة، والقراءة والكتابة، ولغة التعليم والتربية. ولغة التاريخ والتشريع...<sup>(٢)</sup>.

### مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا

تعريف الثقافة لغة: الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها ترجع الفروع، وإقامة درء الشيء، ويقال ثقفت القناة: إذا أقمت عوجها، وثقفت هذا الكلام من فلان، ورجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء، ويقال: ثقفت به: إذا طفرت به<sup>(٣)</sup>.

تعريف الثقافة اصطلاحاً: ذلك المفهوم الكلي الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع<sup>(٤)</sup>.

### الثقافة العربية قبل الاستعمار في نيجيريا

أدت اللغة العربية دوراً مهماً في نيجيريا قبل الاحتلال البريطاني، والطرافة في هذا الطور أن اللغة العربية راجت تجارتها من دون منافسة، إذ كانت فريدة في الميدان مدة لا تقل عن أربعة قرون، وذلك قبل اعتداء الدول الغربية على إفريقيا، ومن ثم المنافسة بين لغة المستعمر العربية وثقافتها، ثم تحول الصراع إلى محاولة القضاء عليها باستبدال الإنجليزية بها، وقد تم لها ما أرادوا أخيراً<sup>(٥)</sup>.

إن تعلم اللغة العربية عند مسلمي نيجيريا جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي، وعندما يدرس المواطن المسلم النيجيري اللغة العربية فهدفه هو اتخاذها وسيلة لغاية، وغايته هي فهم الإسلام، ثم أداء واجباته الدينية أداءً حسناً، وهو الهدف الرئيس لدارسي اللغة العربية، ليس في نيجيريا وحدها بل في غرب إفريقيا عامة وفي نيجيريا خاصة، والله در القائل:

حفظ اللغات علينا \* فرض كفرض الصلاة

فليس يحفظ الدين \* إلا بحفظ اللغات<sup>(٦)</sup>

فقد أثبت المؤرخون غير المسلمين أن كتابة التاريخ بصورة كاملة وصحيحة لا تتم إلا بالرجوع إلى ما سجّله علماء اللغة العربية عن إفريقية، ولذا أتى على هذه اللغة وثقافتها الدكتور عيسى ألي أبوبكر حيث قال:

ما أجمل الضاد في دنيا الجمال إذا \* أعيد في القوم يوم الزينة الكلم  
أداؤها آية الآيات تحرسها \* عين الإله فلا يغتالها العدم  
إذا تتبعت أسرار البيان ترى \* فيها أفانين قول زانها الحكم  
وصوتها اللذ في أفواهنا شهد \* تمج في سمعها الأوتار والنغم  
تدوم دولتها فينا على مفض \* من الأعادي وترجو عزها الأمم  
أضحى مقامك بعد اليأس يحمد \* من ليس في قلبه عن أمرها سأم

أرى شبيبة قومي يحفلون بها\* ولا يصدهم عند العدى ألم (٧)

### الثقافة العربية في عهد الاستعمار في نيجيريا

عمل الاستعمار البريطاني على إغراء أهالي نيجيريا في قبول الثقافة الغربية بعدة وسائل، وأغروا المسلمين بكل حنكة وحيلة الثعلب، حتى وجدوا لثقافتهم ثلاثة أصناف من أنصارها: أولها: التبشير الذي يركب الصعب والذلول في نشر الإنجيل بلغة الإنجليز، وإغداق الرزق على من يحب الإنجليزية ومن لا يحبها.

ثانيها: الاستعمار الذي يعظم قدر من يعرف الإنجليزية ويرسله إلى إنجلترا ليعود إلى بلاده حاكماً أو موظفًا كبيرًا، أو مديراً في المؤسسات الحكومية.

ثالثها: أنصار العربية الذين انضموا إلى موكب الإنجليزية، يقدرونها ويقدمون مجدها، ويرون من لا يعرفها على هامش الحياة وفي ذيل القافلة<sup>(٨)</sup>.

إن المستعمرين البريطانيين على رغم عداوتهم للإسلام وللغة العربية استفادوا إفادة كبيرة من الثقافة العربية، لأنهم أدركوا في شمال نيجيريا حيث استقر الإسلام، نظاماً إدارياً ثابتاً، فأعجبوا بهذا النظام القائم على قدم وساق، والذي كان على نمط ما عندهم من النظام الإداري من حيث التنسيق والتنظيم والتنفيذ، فاضطروا إلى ممارسة نظام الحكم غير المباشر، أي أنهم كانوا يحكمون بواسطة الإداريين المحليين المثقفين بثقافة إسلامية عربية.

ولكي يتمكن الاستعمار " الاستدمار " البريطاني من فرض هيمنته على المنطقة بصورة كاملة لم يجد بدا من استبدال الثقافة الإنجليزية بالثقافة العربية، وقام بإيفاد رجال التبشير من مختلف أنحاء الغرب على نيجيريا، وبنيت كنائس ومدارس لبث عقيدتهم الغربية، وذلك هو أسلوب الاستعمار في كل مكان وزمان. وعند ذلك، قاوم الشعب النيجيري، هذا التصرف الاستعماري بما يلي:

(أ) قيام حماة الإسلام بإلقاء التوعية والإرشاد للمسلمين، بأن يأخذوا حذرهم من الوقوع في فخ التبشير، فتراجع الكثيرون عن إدخال أبنائهم مدارس التبشير، وكانت المدارس الحكومية غير التبشيرية آنذاك قليلة في نيجيريا، وهي كذلك إلى يومنا هذا.

(ب) ما ذكره الشيخ آدم عبد الله الإلوري في إحدى كتبه أنه: "جاء مستشرق إنجليزي عام ١٨٩٣م من جزر الهند الغربية، اسمه الدكتور "ويليت بليدن"، وكان يجيد العربية والتركية إلى جانب الإنجليزية، لما نزل إلى نيجيريا أدرك المسلمين في تأخر وتخلف بعيد في ميدان التعليم الإنجليزي، فسألهم عن السبب، فأجابوا أنهم يخافون من ضياع عقيدة أولادهم بدخول تلك المدارس، فأجابهم أن الخطب يسير، والحل الوسط موجود. فاتصل بالملكة فيكتوريا - ملكة إنجلترا في ذلك الوقت، فطلب منها فتح مدرسة خاصة لأبناء المسلمين، فوافقت الحكومة على ذلك في لاغوس بالجنوب، وفي كانو في الشمال، وكانت المدرسة تسمى المدرسة الإسلامية الحكومية، فبدأت المدرسة تؤدي رسالتها خير أداء، حتى تخرج فيها الدفعة الأولى، ثم قامت الدنيا ولم تقعد في نفوس رجال الكنائس فقاموا بالاحتجاجات والاعتراضات على ضرورة إسقاط كلمة إسلامية من اسم المدرسة، لتبقى مدرسة حكومية خالصة، فتم لهم ذلك<sup>(٩)</sup>.

(ج) إنشاء الجمعيات الإسلامية، لتنشئ بدورها مدارس إسلامية عربية على غرار ما للجمعيات التبشيرية، وفي سنة ١٩٥٢م أسس فضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري مركز التعليم العربي الإسلامي في أبيوكوتا، بولاية أوغو، جنوب نيجيريا، ثم انتقل إلى لاغوس عاصمة نيجيريا القديمة، وأنجز هذا المركز إنجازا كبيرا، بحيث صار منبرا يشع منه نور الإسلام في أرجاء نيجيريا وخارجها، كجمهورية بنين، وغانا، وساحل العاج وتوغو وغيرها من الدول المجاورة، وفي هذا العمل الجبار الذي قام به هذا المركز، يقول شاعر المركز عند ما بلغ عمر المركز أربعين عاما:

ها أنا المركز إني ملجأ \* للورى في العلم مني يقرأ  
وأروي كل غمر يظماً \* بمياه العلم مني يهنا  
وكأنني المنتهى والمبدأ  
يا عظيم المن أنت الحكم \* علم الإنسان ما لم يعلم  
أنا للإسلام ديني علم \* في بقائي مذ أنت الأكرم  
سرمدا أحبي مئات الأربعين<sup>(١٠)</sup>

وفي عام ١٩٦٠م، نالت نيجيريا استقلالها، وتسابقت الدول العربية إلى فتح السفارات في لاغوس عاصمة نيجيريا السابقة، وقامت نيجيريا بفتح سفاراتها في تلك الدول العربية الإسلامية، وأسفر عن ذلك توسع دور اللغة العربية للعمل في تلك السفارات المفتوحة في البلدان العربية وساعدت إدارة الجنرال يعقوب غوان - الرئيس النيجيري الأسبق (١٩٦٦-١٩٧٠م) على توظيف مجيدي اللغة العربية في سفارات نيجيريا في الأقطار العربية، وقررت إرسال البعثات إلى جمهورية مصر العربية للتدريب على الترجمة، وازدادت عناية المسؤولين في الدولة بشأن اللغة العربية<sup>(١١)</sup>.

فكان تدريس اللغة العربية - ولا يزال - نشطا في المعاهد العربية الإسلامية، وفي جامعات نيجيريا، وفي جامعات أخرى خارج نيجيريا من ثمرات خريجي هذه المعاهد. أما تدريسها في المدارس الحكومية الخالصة، فهي بمنزلة مادة إضافية، وليس لها قيمة أو عناية تذكر، خصوصا في ثانويات نيجيريا، ولذلك تجد المثقفين بثقافة العربية في نيجيريا عندهم شعور بالنقص والخجل وعدم المبادرة في أكثر من المجالات الحياتية<sup>(١٢)</sup>.

### مفهوم البطالة لغة واصطلاحا

تعبر كلمة البطالة عن الحالة التي لا توجد فيها وظائف، وهذا ليس إلا المعنى اللغوي لها، أما مفهوم البطالة في الاصطلاح، فهو وجود أفراد في المجتمع، لديهم القدرة على العمل، واستخدموا كافة السبل المتاحة للبحث عن وظيفة تلائم قدراتهم، ولكن لم يتمكنوا من الحصول على فرصة عمل مناسبة<sup>(١٣)</sup>.

وبناء على هذا المفهوم، تعد البطالة من المشكلات الاجتماعية الخطيرة على الفرد والمجتمع، لما يترتب عليها من حالات نفسية سيئة على العاطلين الشباب مما ينعكس سلبا على الفرد والمجتمع، وذلك أن أغلب هؤلاء الشباب والعاطلين قد يبلغ بهم الفقر والحاجة إلى درجة اليأس من الحياة، وكرهية المجتمع، وربما إلى الانحراف السلوكي من تعاطي المخدرات، وقد يصل الأمر إلى تكوين عصابات إجرامية، إذا، من هنا ندرك خطورة البطالة وتحدياتها على المجتمع.

### الثقافة العربية وتحديات البطالة في نيجيريا

إن الحديث عن الثقافة العربية وتحديات البطالة في نيجيريا حديث يندب له الجبين، خصوصا إذا عرفنا كيف كانت اللغة العربية في نيجيريا، لغة دولة ودواوين الحكومة، لغة التجارة ولغة الاقتصاد منذ القدم، حتى وصفت اللغة العربية في التعبير الدارج بأنها " بنت سوق"، حيث نشأت وترعرعت بين أحضان التجارة، وهي الحرفة الرئيسة - بعد الرعي - التي كان العرب يلتمسون بها أسباب الرزق، وهذا الذي جرّهم إلى غرب إفريقيا خصوصا نيجيريا.

ولما جاء المستعمر إلى نيجيريا حاول جاهدا في إبعاد دارسي العربية عن ميادين الحكومة ودواوين الدولة مؤامرة يخططها لتضعيف الثقافة العربية في نفوس الناشئين من الشباب المسلمين، وظل يعمل ليلا ونهارا على تحقيق ذلك حتى غدت الثقافة الغربية محبوبة عند من لم يكن يحبها، وصارت متداولة في المكاتب والأسواق والمحلات والشوارع والندوات الرسمية وغير الرسمية في البلاد، وملاّت مدارسها بأبناء الأغنياء والأمراء والعلماء أنفسهم.

ثم أسرع الاستعمار والتبشير إلى إنشاء مصانع ومعامل تجارية وتبشيرية، إلى جانب محاكم ومكاتب ودواوين حكومية استعمارية لتوظيف المثقف الغربي إثر تخرجه في مدارسها، فأصبحت معيشة من تثقف بثقافة عربية في ضيق ومشقة، وليس أمامه إلا المساجد، وليس عنده قيمة أمام رجال الدولة ولا عند رجال الثروة جاه، فهب المسلمون لإتقان اللغة الإنجليزية مع الاحتفاظ بإسلامهم، ولكن المبشرين وقفوا لهم بالمرصاد، ووضعوا الأشواك في طريق التعليم العربي، وسدوا أبواب الوظائف الحكومية أمام من يحتفظ بتعليم الإسلام وتقاليده، فلا يوظفون إلا من يبيع دينه بدنياه، ولهذا السبب قامت فئة من العلماء من أهل الغيرة الإسلامية بإنشاء المدارس الإنجليزية الخاصة بأبناء المسلمين ليتعلموا فيها وهم محتفظون بعقيدتهم الإسلامية، وهذه المحاولة تشكر عليها، لأن النملة تشكر على قدر حملها، إلا أن تلك المدارس تخضع للمناهج التي تملئها الحكومة الاستعمارية التبشيرية، فلم تفرض الحكومة العربية فيها شيئا يذكر، وإنما فرضت في الأسبوع حصّة، أو حصتين للديانة الإسلامية والمسيحية، وليست

كافية للمسلمين لمعرفة دينهم وثقافتهم، إلا في الشمال حيث يهتم الآباء بالتعليم العربي قبل دخول أولادهم المدارس.

ومما لا شك فيه، ما سبق ذكره أن التحديات تواجه دارسي العربية في نيجيريا منذ القديم، إلا أنها في عصرنا الراهن تخففت لحد ما، بحيث تجد جامعات رسمية وغير رسمية في الشمال والجنوب تخرّج وتوظّف دارسي العربية في نيجيريا، إلا أن مشكلة اهتمام الحكومة بتوظيف من يتقن الإنجليزية - ما زالت على قدم وساق - وتفضيله على من يتقن العربية؛ لأن هذا الزمن بلا شك زمن "النجلة"<sup>(١٤)</sup>، فأن أسهم اللغة الإنجليزية أعلى وأكثر تداولاً، وأوسع تعاملًا في جميع الأسواق اللغوية العالمية، لأنها لغة المعرفة الحديثة، ولغة الإنترنت، كأنها صارت رديفاً للدولار، وهذا كلام الفرد والدولة فيه سيان، كما قال شاعرهم:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَيْبِكَ الدُولَارُ \* أَصَابَكَ الْهَلَاكُ وَالذَّمَارُ<sup>(١٥)</sup>

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً عندما كان للثقافة العربية في نيجيريا نصيب الأسد - كما يقال - لم نكن نسمع "البطالة، والتدهور الاقتصادي، عند دارسي اللغة العربية" وكل هذه العبارات السابقة المفرّعة لم نجد لها في قاموسنا، إلا عندما جاء المستعمر البريطاني إلى أرضنا، وقلب الحقائق، وجعل السماء أرضاً والأرض سماء، وحارب اللغة العربية بقوة الأسد وحيلة الثعلب ووضعت اللغة الإنجليزية مكان اللغة العربية.

والملاحظة أنه ليس من الحكمة أن نتكلم بإسهاب في التعليم الكتابي دون أن نلتفت إلى التوظيف في نهاية التعليم، ودون أن نلقي نظرة عابرة في التعليم الصناعي الذي هو العمود الفقري للمعيشة عسى أن نجد حلاً لما يعقب التعليم من البطالة، أو نجد مذهباً لما ينفع المعيشة من الصناعة، فالحق أن الحلّ الوحيد لأزمة البطالة في الثقافة العربية في نيجيريا هو ما قاله الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه ( نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي):  
"إن الغاية من التعليم الكتابي هي إزالة الأمية ومحاربة الجهالة ثم إنها وسيلة إلى الحصول على الوظيفة كما هو الحال اليوم في معظم بلدان العالم، أما الغاية من التعليم الصناعي فهي محاربة

الفقر والمرض، ثم إنها وسيلة إلى تحصيل المعيشة والرفاهية لنيل السعادة للفرد والجماعة في المجتمع البشري" (١٦).

ومن ناحية أخرى تأتي مشكلة البطالة وفقدان العمل للمتخرجين من الجامعات، فالدول النامية كنيجيريا مثلاً تعتر بأنها تسعى في تعميم التعليم بين الأمة ولا تلتفت إلى إنشاء المصانع والمزارع لتوظيف المتخرجين الذين أعوزهم الحصول على الوظائف التي تدر عليهم ما يستعينون به على قضاء حقوقهم وواجباتهم بعد تعلمهم. فعسى أن تهدي حكومة نيجيريا إلى ما يعود إلى أمتها بالنفع الدائم الأبدى.

### الخاتمة ونتائج البحث

لقد تناول الباحثان في هذه المقالة مفهوم الثقافة، والثقافة العربية قبل الاستعمار وفي عهد الاستعمار في نيجيريا، والثقافة العربية وتحديات البطالة مع استعراض بعض الجوانب التي تمس الموضوع من قريب أو من بعيد، ويمكن الخروج ببعض النتائج الآتية:

- ينبغي الاهتمام بالتعليم الصناعي الذي هو العمود الفقري للمعيشة.
- يجب على المثقفين بالثقافة العربية إنشاء المدارس والجامعات والجمعيات.
- يستحسن - إن لم نقل واجبا- تعلم الإنجليزية على دارجي العربية في نيجيريا.
- إبعاد الشعور بالنقص عن دارجي العربية في نيجيريا في المجالات الحياتية.
- تفعيل كثير من القوى والطاقات والإمكانات التي وهبها الله للإنسان لتحقيق غاية المعيشة.
- مقاومة كل ما يأتي من قبل الأعداء بشأن تقليل قيمة اللغة العربية في نيجيريا.
- البحث عن قنوات التمويل لضمان استمرارية تدريس اللغة العربية في نيجيريا.



### الهوامش والمراجع

- (١) جمال الحسين أبو فرحة، العربية في سوق اللغات، مجلة فيصل الأدبية، الرياض، دار  
الفيصل الثقافية، عددان، ٣ - ٤ ص: ٩٤.
- (٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ط: ١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨، ص: ١٤٠.
- (٣) [www.alukah.net](http://www.alukah.net)
- (٤) موسى عبد السلام مصطفى أيبكن، طغيان الثقافة الغربية على الثقافة العربية في نيجيريا،  
مجلة فيصل الأدبية، الرياض، دار فيصل الثقافية، العدد ٥، ص: ٤٥.
- (٥) آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، القاهرة مكتبة وهبة، ط: ١،  
١٩٨٠م ص: ١٥.
- (٦) موسى عبد السلام أيبكن، مجلة فيصل الأدبية، المرجع السابق، ٤٦.
- (٧) الدكتور عيسى ألي أوبكر، ديوان الرياض، مطبعة ألي جمبا، إلورن، الطبعة الأولى  
٢٠٠٥م، ص ١٤٩-١٥٠.
- (٨) أيبكن، المرجع السابق، ص: ٤٩.
- (٩) المرجع نفسه، ص: ٥٠.
- (١٠) المرجع نفسه، ص: ٥٠.
- (١١) [www.edarabia.com/ar/5](http://www.edarabia.com/ar/5)
- (١٢) وليد الغاني، أسهم العربية في السوق اللغوية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات  
المجلس ٢٠٠٩، ص: ٥١.
- (١٣) المرجع نفسه، ص: ٥٢.
- (١٤) الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية بيروت، ص: ٤٥.
- (١٥) المرجع نفسه، ص: ١٤٦.

## الثقافة العربية وتحديات البطالة في نيجيريا:

### خطبة الشيخ الإمام علي عبد الله النصراوي نموذجاً

**Dr.Ahmad Yusuf Imam**  
Department of Arabic Studies  
Nasarawa State University, Keffi

د. أحمد يوسف إمام

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصراوا

+2348034481923

#### المقدمة

تعدّ الخطابة فناً من فنون الكلام، غايتها إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أو غير ذلك<sup>(١)</sup>، ولهذا يسعى الخطيب إلى تنبيه سامعيه على ما استجدّ في الحياة من خطورة تهدد كيان المجتمع، كما استهدفته خطبة الإمام علي النصراوي، والتي تمحورت حول البطالة في المجتمع ناعية على ظاهرها في الحياة البشرية، وستتم معالجة هذا الموضوع في حدود محاور تالية:

- نبذة عن حياة الشيخ الإمام علي عبد الله النصراوي
- مفهوم الثقافة العربية والبطالة
- الثقافة العربية في نيجيريا
- عرض الخطبة ودراستها دراسة أدبية تحليلية
- الخاتمة.

## حياة الشيخ الإمام عليّ عبد الله النصراوي

نسبه:

هو الشيخ الإمام عليّ بن عبد الله مَآلَم بَاكُو بن غَالَدِيمَا غَارِيوَا كوري. كان أصله من دُومَا، وأما أمه فهي فاطمة بنت القاضي آدم؛ أستاذ مشهور وقاض من قضاة نَصْرَاوَا، وهو كَنُويّ أصلاً ونَصْرَاوي مسكناً<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا وذاك، فإن الإمام من ناحية العرق أو الجنس يحمل عريقتين متباينين في ذاته، فهو أَلْأَعُوّيّ الدُومُوّيّ من قبل أبيه، والهوسويّ الكَنُويّ من قبل أمه.

لقبه وكنيته:

لم يكن الإمام عليّ عبد الله النصراوي كالعلماء المشهورين بكنيتهم أو لقبهم، بل اشتهر بكنيته عند أهل بيته فقط، وكانوا يكتونه بأبي إبراهيم، وأبي سليمان، واشتهر بأبي سليمان بينهم أكثر.

وأما لقبه فيلقب بِيَايَا، وحتى لا تكاد تسمع أحداً يسميه باسمه في حارته إلا بِيَايَا، ولكن هذا قبل أن يعين إماماً وخطيباً، ولما عُيِّنَ إماماً وخطيباً تغيّر وتلاشى هذا اللقب تدريجياً وأصبح فيما بعد يسمى الإمام، وأما سبب تسميته بِيَايَا؛ فلأنه هو أكبر الأولاد عند أبيهم<sup>(٣)</sup>. ولد الشيخ الإمام عليّ عبد الله النصراوي في بلد نَصْرَاوَا في (٢٠ مايو ١٩١٨م)<sup>(٤)</sup>.

نشأته وتعلمه:

نشأ الشيخ الإمام عليّ وترعرع في قرية نَصْرَاوَا بين يدي والديه الكريمين في سعادة ومحبة، وتربّى وتهدّب في بيتهما، وورث التربية الإسلامية من الحياء والكرم وعفة النفس وحب الأقارب والأبعد والإيثار والكفاح منهما، وكان والده عبد الله مشغلاً بتدريس القرآن ومبادئ العلوم الدينية والعربية في نَصْرَاوَا، وكان ذلك في دهليزه، وقد علّمه أبوه السور القصار من القرآن الكريم، أمثال الفاتحة وسورة الإخلاص والفلق والناس وغيرها، ثم أخذ بعد ذلك يتعلم القرآن قراءةً وكتابةً على اللوح حتى ختم القرآن عنده<sup>(٥)</sup>.

لم يتعمق والد الإمام في الكتب الفقهية الملكية المطولة كتعمق بعض علماء نَصْرَاوَا، وكان يريد لابنه التعمق في تلك الكتب، لهذا بعث ابنه إلى الشيخ الإمام مالم محمد نَتَعَالَى، وهو إمام وخطيب في نَصْرَاوَا عهدئذٍ، وأخذ عنده بعض المبادئ الفقهية على مذهب الإمام مالك، ولم تقف جهود الإمام في التعلم عند أستاذه الإمام مالم نَتَعَالَى، بل واصل سيره لطلب العلم قدماً، وذهب إلى الأستاذ مالم بابا بن مالم محمد نَتَعَالَى، وأخذ عنه العلوم الفقهية والأحاديث النبوية، وعلى هذا يقول الإمام نفسه عن تعلمه: "لم يكن أبي مشتغلاً بتعليم العلوم الفقهية واللغوية، بل شغله القرآن، وتعليمه قراءةً وكتابةً؛ ولذلك جُلْتُ في البلد بحثاً للعلم والعلماء، وزرت الإمام مالم محمد نَتَعَالَى، وأخذت عنه، ثم الأستاذ مالم بابا بن محمد نَتَعَالَى، وأخذت العلوم عنه أيضاً" وممن استفاد منهم من العلماء خارج بلده، العالم المتفطن الأستاذ آدم العُنْدَوِيُّ الذي زار نَصْرَاوَا، ونزل في بيت مالم ثالث، ونشر فيها العلوم العربية والإسلامية، واستفاد الإمام من علومه اللغوية والنحوية الكثيرة (٦).

استفاد الإمام علي كذلك من الأستاذ عبد الله الملقب بِ(مَيْسُوتَمَ مَالَمَ)، وهو من سَكَّان حارة سَلَعٍ في بيت الشيخ مالم سَلَعٍ، المشهور بالعلوم والتصوف في كُنُو خاصة وفي نيجيريا عامة، وأخذ العلوم الكثيرة من فقه وعلوم الحديث والنحو والأدب وغير ذلك منه (٧). لم يكتف الشيخ الإمام علي عبد الله بما وجده عند هؤلاء الشيوخ، بل عاد إلى كُنُو للمواصلة في طلب العلم، واتصل بالشيخ الشريف أحمد أنوار بَاكِنِ زُوَا كُنُو، ولازمه وأخذ عنه الفنون العربية والإسلامية حتى جمع دقائق العلوم وفضائل النفوس، وأثر الأستاذ في حياة الإمام العلمية والصوفية، وكان الإمام يقول فيه: "وبه فهمت بعض العلوم بمعناه الكامل وحققت ما عندي من العلوم، وكذلك أخذ عنده الإذن لقراءة الطريقة التجانية، وعلوم التصوف (٨).

### مفهوم الثقافة والبطالة لغة واصطلاحاً:

الثقافة في اللغة من ثَقَفَ الرجل ثقفا وثقافة، أي صار حاذقا فطنا، والثقافة هي عبارة عن العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها (٩).

وأما في الاصطلاح، فهي مجموعة الأعراف والطرق والنظم والتقاليد التي تميز جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها، وعلى مستوى الفرد يطلق اللفظ على درجة التقدم العقلي التي حازها، بصرف النظر بالطبع عن مستويات الدراسة التي أنجزها (١٠). ويمكن لنا أن ندرك من التعريف أن مفهوم الثقافة يشير إلى كل ما يصدر عن الإنسان من إبداع أو إنجاز فكري أو أدبي أو علمي أو فني (١١).

فكثيرا ما تستخدم الثقافة للإشارة إلى النشاط الاجتماعي الذهني والفني، وفي أحيان أخرى إلى النشاط الفني وحده، أو النشاط الأدبي والفني دون النشاط العلمي الذي يعده البعض غير خاضع لأنساق الثقافات، باعتباره مرتكزا على حقائق مطلقة بعيدة عن التأثير بالذوق أو البيئة أو الموروثات جميعا (١٢).

وأما البطالة بالمفهوم الاقتصادي، فهي التوقف عن العمل، أو عدم توافر العمل لشخص قادر عليه وراغب فيه، وقد تكون بطالة حقيقية أو بطالة مقنعة، كما قد تكون بطالة دائمة أو بطالة جزئية وموسمية، وتتضاعف تأثيراتها الضارة إذا استمرت لمدة طويلة، وخاصة في أوقات الكساد الاقتصادي، وكان الشخص عائلا أو ربًا لأسرة، إذ تؤدي إلى تصدع الكيان الأسري، وتفكك العلاقات الأسرية، وإلى إشاعة مشاعر البلادة والاكئاب (١٣).

### الثقافة العربية في نيجيريا:

وأما الثقافة العربية في نيجيريا، فهي لم تخرج عن معناها في بلدان أخرى، إذ هي كل ما يصدر عن الإنسان من إبداع أو إنجاز فكري أو أدبي أو علمي أو فني، وكانت الثقافة العربية في نيجيريا عريقة التاريخ لدخولها بدخول الإسلام وتطورت بتطوره في نيجيريا، وقد شغلت أقلام الكتاب بكتابة عنها منذ العصور الأولى، فكتب محمد بلو بن الشيخ عثمان كتبا، ومنها "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور"، وكذلك الشيخ آدم عبد الله الإلوري في مؤلفاته، ومنها الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، والدكتور علي أبوبكر في بحثه للحصول على الدكتوراه عن الثقافة العربية في نيجيريا، من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال. وكذلك الدكتور أحمد سعيد غلادنثي كتب عن حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، وتبعهم باحثون

آخرون منهم من كتب عن الثقافة العربية في ولايته، فمنهم من كتب عن بلده أو مدرسته أو شيخه أو أستاذه وغير ذلك، وكلها عبارة عن إبراز إبداع فكري أو أدبي من الشعر والنثر، أو إنجاز عملي من إنشاء المدارس والمعاهد العلمية.

وهذه المدارس والمعاهد لعبت دورها في مقاومة البطالة في نيجيريا؛ لأن الطالب يشتغله التعلم عن البطالة ويتثقف بما يجده من العلوم في المدارس ويعرف قيمة نفسه ووقته ولا يجلس عن العمل فتجده دائما يتفكر في حسن دنياه وآخرته، ويشغل كل اشتغال بما يجده من العمل. وفي جانب إيجاد العمل فإن المدارس العربية التي هي مقر الثقافة العربية أوجدت أعمالاً لأبنائها وغيرهم، ومنهم من يكون مدرسا، أو مديرا، أو منظفا، أو حارسا في المدرسة، سواء كان المدرسة حكومية أو أهلية.

وأما جانب الأدب العربي وبخاصة الشعر العربي، فإن من الشعراء من اتخذوا شعرهم مكسبة، إلا أن هؤلاء قليلون في نيجيريا، بل لا يكاد يوجد في نيجيريا، ومن دور الشعر أيضا أن شعراء نيجيريا قالوا الشعر تنبيها عن عيوب البطالة، وأما النثر فإن من كتابه من اتخذه مكسبة ككتاب القصص والروايات والصحائف والجرائد والمجلات التي تكتب بالعربية وهذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الخطباء المثقفون بالثقافة العربية قد كتبوا خطبا زجرة عن البطالة ناعية على عيوبها، ومن بينهم الشيخ الإمام علي عبد الله النصراوي الذي اتخذ الباحث خطبته المعنونة بـ "في نداء الشباب" نموذجا، ليبين أماكن الزجر عن البطالة وعيوبها من بين أفكار الخطبة وبعض الصور الفنية فيها.

### عرض خطبة الإمام علي في نداء الشباب:

الحمد لله الذي جعل الشباب حماة الأوطان، ونصر بهم الشرائع والأديان، وأظهر بهم الحق في سائر البلدان، وجعل منهم رواة الحديث وحملة القرآن، ورفع بهم راية التوحيد على عبادة الأوثان، وحفظ بهم الآداب، والأخلاق، والأعراض، والأنساب... أيها المسلمون إذا درستم التاريخ، وسيرة صاحب الشريعة الإسلامية، وجدتم الذين اتبعوه بادي الرأي هم الشبيبة الفتية أولى المههم العلية، والنفوس الطاهرة الزكية، وهم الأربعون السابقون إلى الشريعة المحمدية

والتعاليم السماوية، وهم الذين زرع الله بهم العروش القيصرية والأسرة الكسروية، فحياكم الله يا شبان، وحيا الله أعمال الشباب، بماضي عزيمتكم تحقق الأعمال، وبهمتكم العالية تدرك الأطماع وتنال، وعلى كواهلكم المتينة تحمل الأثقال، وبسواعدكم القوية تكون الصناعة والأعمال، وأنتم التجار، والزراع، والعلماء، والأبطال، وأنتم الشعراء، والخطباء، والصحافيون، والكتاب، فيا أسس المجد، ودعائم الشرف، ويا خير خلف لخير سلف، لا يجرفنكم سيل المدينة الخبيثة فيمن جرف، ولا تشغلوا عن الواجبات بأسباب الراحة والترف، ولا يصرفنكم الشيطان عن صفات الرجولة وتقاليديكم القومية فيمن صرف، فيذهب عزكم، ويحل بكم الدمار، والتلف، ولا تشبهوا بالنساء في تصفيف الشعور، وتنسيق الثياب، تراب العمل يا شباب خير من زعفران البطالة، وأبغض الناس إلى الله السبهل (١٤)، الذي يضيع دينه، ونفسه، وعياله، وشر البلاد بلد يصاب أهلها بالفقر، والجهالة، وحالة، كهذه التي ترون عليها بلادكم اليوم، هي بمست الحالة، فجهل، وذل، وفقر، ومسكنة، وتقصير، وإعجاب... ووقفنا الله جميعا لمتابعة رسله وكتبه، ويتغمدنا بفضله، ورحمته، آمين. إن الله يأمركم بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء، والمنكر، والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون. يغفر الله لنا ولكم (١٥).

مناسبة الخطبة:

عنوانها الإمام بـ"في نداء الشباب"، ومضمونها الرئيسي تنبيه الشباب. وهي خطبة اجتماعية عالجت المشاكل الاجتماعية النيجيرية من البطالة وغيرها.

أهم أفكار الخطبة:

- الافتتاح بالثناء على الله بما اختص به من التكريم والتفضيل والجود على الشباب، ثم الدعاء للصالح والهداية لشباب اليوم، سأئلا الله عز وجل أن يجعلهم كالشباب الغابرين من الصحابة، ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وصف حالة الشباب من الصحابة رضوان الله عليهم لتكون نموذجا حيا لشباب اليوم.

- الرجوع إلى الله بالدعاء؛ لأن الدعاء من وسائل الهداية والتوفيق في الحياة، فالإمام يريد لسامعه الخير فدعا الله سبحانه وتعالى أن يحيي الشبان حياة طيبة، وأن يصلح أعمالهم حتى ينتفعوا بثمراته.
- فوائد الهمم العالية، وتشجيع الشباب عليها، وتنبههم على مكائدهم في المجتمع، فبهمتهم تتحقق الحياة، وتدرك الأطماع، وبهم تقوم الصناعة، والتجارة، والزراعة، وهم العلماء، والأبطال، والشعراء، والخطباء، والصحافيون، والكتاب.
- النهي عن سيئات الأعمال، وعن التفاعل مع فساد أهل العصر، وترك الواجبات واتباع الشيطان، والتشابه بالنساء في الظاهر.
- النهي عن البطالة والتواكل، ويرى الخطيب أن يكون الشباب أشعث أغبر في طلب المال والعلم خير له من أن يكون له أحسن ثياب بلا مال ولا علم ولا كسب.
- ذكر حال البلد، وتشجيع الشباب على قيام بواجباتهم، وذكرهم بأن أخسر وأهلك وأبلى بلاد بلد أصاب أهلها الفقر والجهل كحالة بلدهم اليوم، وبين لهم التحديات التي كانت تواجههم في المستقبل فقال: من يقوم على هذه البلاد بعد موت أربابها، ومن ينزل منزل الشيوخ والرؤساء بعد مغادرتهم، ما فيه أحد إلا الشباب، وغير ذلك.
- ذكر فوائد الاجتماع التي يصلح بها البلد، ونبه الإمام الشباب والشيوخ على فائدة الاجتماع، وخاصة الاجتماع في المساجد للجمع ومدارسة الأمور فيما بينهم، وذكر لهم أنها مما يصلح بها البلد، ومن ذلك أيضا معرفة الحقوق وأدائها من جميع الجوانب، من ابن لأبيه، وأب لابنه، وزوج لزوجته والعكس سواء، وكبير لصغير والعكس، ورئيس لرعيته والعكس، فإن أدى كل واجبه وتكاتفوا في العمل حصل المراد، وصلحت البلاد، واستقامت الأمور.
- الدعوة إلى التقوى وتوحيد الكلمة والصفوف التي هي أصل النصر والفلاح والفوز في الدارين.



- الترغيب في النكاح والاهتمام بحقوقه، فقد اتخذ الإمام حديث النبي صلى الله عليه وسلم حجة لهذه الفكرة ورغب في النكاح كما رغب الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب في زمنه، ثم تبتهم ونهاهم عن تبديل الخبيث بالطيب والقبيح بالحسن والحرام بالحلال، ورغبهم كذلك في تعليم نساءهم الدين، وطلب من الشباب أن لا يتركوا زوجاتهم يخرجن كخروجهن في الجاهلية.

- اغتنام الفرصة، وهي فكرة جامعة وملخصة لجميع ما سبق في الخطبة، إلا أن الإمام اتخذ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة لتحقيق هذه الأمنية فذكرها واكتفى بها بدون تعليق ولا شرح خلافا لعاداته لأفكاره، ثم الدعاء.

### بعض الصور الفنية في الخطبة

#### المطلع:

افتتح الإمام الخطبة بالحمدلة، ثم الدعاء للشباب، وبعده التوحيد لله تعالى، وختم مطلع الصلاة والسلام على المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومع هذا كله نشم رائحة براعة الاستهلال في هذا المطلع، وهي مسجوعة أيضا، استمع إليه يقول: "الحمد لله الذي جعل الشباب حماة الأوطان، ونصر بهم الشرائع والأديان..."

#### التخلص:

من تتبع الإمام في هذه الخطبة يعرف أن الإمام يحسن في تخلصاته، وأكبر ما أعجب الباحث في هذه التخلصات، هو أن الخطبة خطبة اجتماعية، ومر الإمام على الموضوعات الكثيرة فيها، وكل منها تستحق أن يكتب عنها الخطبة، ولكن الإمام جمعها في موضوع واحد وسماها "في نداء الشباب"، وتجدده فيها يخرج ويتخلص من موضوع لآخر بدون أن يعرف السامع أو القارئ، إلا في بعض المواضع التي استعمل فيها حروف النداء.

وبدأ موضوعه بالحمد لله تعالى ثم ذكر فيها ثناءه على الله تبارك وتعالى بما أنعم به على هذه الأمة من الشباب، ثم تخلص منه إلى الدعاء للشباب بدون أن يعرف السامع أنه انتقل من الحمدلة إلى الدعاء، ومن الدعاء إلى شهادته لله بالوحدانية والعبودية، وبسيدنا محمد

بالرسالة، ثم تنفس وانقطع من هذه التخلصات الحسنة بالصلاة على رسول الله قائلًا: اللهم فصل...، الذي يدل على انتقاله من موضوع لآخر؛ ثم مدح الشباب من الصحابة رضوان الله عليهم أصحاب الهمم العالية، ثم تخلص منه إلى الدعاء للشباب، وذكر محاسنهم وتخلص منه إلى النهي عن السيئات من الأعمال، ومنها إلى حالة البلاد، وذكر فوائد الاجتماع، ومنه إلى معرفة الحقوق، وهكذا كان الإمام ينتقل ويتخلص من خطبته ويحسن فيها على حسب رؤية الباحث.

### المقطع:

أما مقطع الخطبة، فهو مقطع ديني، إذ اختتم الإمام بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي جمع جميع المعاني المذكورة في الخطبة، ليثبت معانيه وأفكاره في نفوس الشباب، ثم الدعاء وذكر الآية، استمع إليه يقول: وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس؛ حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك". رواه الحاكم والبيهقي جعلني الله وإياكم ممن عرف الحق وشهد به (... إن الله يامر بالعدل والإحسان...) [غافر: ٢٨].

### الألفاظ والتركيب:

كانت ألفاظ الخطبة سهلة عذبة، إلا أن الخطيب يأتي أحياناً ببعض الألفاظ الجيدة في سبكها، والبعيدة في إدراك معانيها لدى المبتدئ، ومثال ذلك قوله: تنسيق وهو من نسق الشيء نسقاً: نظمه، السبهل، أي: الرجل الفارغ لا شيء معه، تكاتف القوم أي: تساعدوا وتعاضدوا، جرف الشيء جرفاً، أي ذهب به كله، غسق الليل ظلمته، وضح النهار ظهوره، بادى الرأي ظاهره الذي لا ريبه فيه. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن الإمام يجري مع عصره في ألفاظه، وهو يستعمل لفظ الصحافة بمعناه عند أهل العصر، مع أنه لم يدرس العربية على المدارس النظامية، ولم يذهب إلى بلدان العرب إلا لأداء الحج.

ومما يزيد ألفاظه رونقا وجمالا في هذه الخطبة حسن الترتيب، فكان يرتب ألفاظه ترتيباً منطقياً؛ ومثال ذلك قوله: "فجهل وذل وفقر ومسكنة وتقصير"، فإن الجهل سبب للذل

والذلّ يسبب الفقر، والفقر يوصل إلى تقصير في جميع جوانب الحياة، فقد أجاد الإمام في هذا الترتيب لما له من ملكة لغويّة فائقة، ويكثر من الجمل القصار، مثل قوله: "واقطعوا دابر الفساد، وحاربوا أهل الإلحاد، وكونوا كالبنين. فوحدوا الكلمة، وأجمعوا شمل الأمة"، وكذلك من عناصر الشارح في الجمل المنعوتة والمضافة، مثل قوله: "وجدتم الذين اتبعوه بادي الرأي هم الشبيبة الفتية أولى المههم العليّة، والنفوس الطاهرة الزكية"، وقوله: "بادي الرأي" نعت لضمير المتصل في اتبعوه، وهو أيضا مضاف ومضاف إليه.

### المعاني:

اهتم الإمام في هذه الخطبة اهتماماً بالغاً بالقضايا الاجتماعية الدينيّة، ومنها تاريخ الشباب من الصحابة ليتوسل به إلى إصلاح المجتمع، ثم حرّض الشباب وشجّعهم وحرّكهم على فعل الحسنات، ومن المعاني التي لم يتغافل عنها الإمام في خطبته هو تنبيهه عن المفساد التي عمت البلاد، ثم ذكر ما يصلح هذا الفساد، ومما أشار إليه في إصلاح الفساد الاجتماع للعبادة، والتشاور فيما بين العباد، ومنها أيضا الآداب، وكذلك الترغيب في النكاح واغتنام الفرصة، وهذه كلها معانٍ دينية، ومما زادها رونقاً وجمالاً تأكيدها بالآيات من الذكر الحكيم، مثل قوله تعالى: (ولا تكونوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) [الأنعام: ١٥٩]. وكذلك من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

### الأسلوب:

تعتمد الخطبة أساليب مختلفة من الاستفهام، والأمر والنهي، والإيجاز، والإطناب، والنداء، والسجع، والطباق، والطباق المتعدد، وغيرها من الأساليب لأغراض متنوعة، ويشير الباحث إلى بعضها خوفاً من الإطالة فيما يلي:

### أسلوب الإطناب:

من الأساليب التي استعان بها الإمام في إيصال معانيه إلى سامعيه في هذه الخطبة أسلوب الإطناب، فإنه يستعمله لغرض الإيضاح والشرح والبيان، استمع إليه حيث يطنب

بالشرح والبيان لكلمة أصحاب في قوله: اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه من أنصار ومهاجر، وعلى التابعين لهم بإحسان في مكارم الأخلاق، وجميل الآداب، ولو قال الإمام أصحاب وسكت يفهمه السامع ويكتفي، ولكن زاد من أنصار ومهاجر لغرض الشرح والإيضاح، وهكذا في قوله: وعلى التابعين لهم بإحسان في مكارم الأخلاق، وجميل الآداب، وقوله جميل الآداب إطناب؛ لأنه لو اكتفى بالتابعين لهم بإحسان في مكارم الأخلاق لكفى وتم معناه عند السامع؛ لأن من كان له مكارم الأخلاق، يكون له جميل الآداب، ومعنى جميل الآداب ومكارم الأخلاق كشيء واحد.

وكذلك في قوله: وأن يعيد لنا بماضي عزمتمهم العز السالف، والمجد الغابر، فيه الإطناب، لأنه لو أسقط المجد الغابر، واكتفى بالعز السالف لثم معناه، ولكنه لما يريد زيادة الإيضاح والشرح لمعنى العز السالف كرر هذا المعنى بألفاظ غيرها لغرض الشرح وزيادة الإيضاح فقال: المجد الغابر، وهذا إطناب غرضه الشرح والتوضيح.

#### أسلوب السجع:

غلبت الأسجاع على الخطبة، منها قوله: "الحمد لله الذي جعل الشباب حماة الأوطان، ونصر بهم الشرائع والأديان، وأظهر بهم الحق في سائر البلدان، وجعل منهم رواة الحديث وحملة القرآن، ورفع بهم راية التوحيد على عبادة الأوثان".

ومن قرأ الفقرة السابقة يعرف يقينا أنها مسجوعة، وأن أحرفها الأخيرة هي النون، ولو كانت شعراً لسماها الأدباء بالنوتية، وذلك لأنّ السجع في النثر كالقافية في الشعر، وأحياناً تتساوى فقراتها كما في قوله:

وأظهر بهم الحق في سائر البلدان.

وجعل منهم رواة الحديث وحملة القرآن.

وعدد كل من الهاتين الفقرتين السابقتين ست كلمات في كل فقرة، وأما الكلمات المسجوعة في القطعة السابقة فإنها موزونة على وزن فعلاان بفتح الفاء وهي: الأوطان،

والأديان، والأوثان، إلا البلدان، القرءان، فإنهما على وزن فعلان، بضم الفاء، وهذا مما يجذب السامع أن يصغي إلى الخطيب.

وبالرجوع إلى الخطبة مرة أخرى تجد الإمام يستعمل السجع في قوله: "بماضي عزيمتكم تحقق الأعمال، وبهمتكم العالية تدرك الأطماع وتنال، وعلى كواهلكم المتينة تحمل الأثقال، وبسواعدكم القوية تكون الصناعة والأعمال، وأنتم التجار، والزراع، والعلماء، والأبطال".

وبالنظر إلى القطعة يتضح جلياً أن الأحرف الأخيرة وما قبلها في الكلمتين الأخيرتين من الفقرة متفقة، وهذا نوع من الأسلوب مما يستميل السامع ويغريه إلى الإصغاء.

### أسلوب الطباق:

يكثر الإمام من أسلوب الطباق وغرضه بهذا النوع من الأسلوب هو الإيضاح، لأنه يذكر ما يقابل ويتضح المعنى للسامع، ومن أمثال ما جاء من أسلوب تقابل التضاد قوله: ألا فيوقر الصغير منكم الكبير، وهنا ذكر الإمام الصغير والكبير المتضادين، فالصغير ضد الكبير. وكذلك في قوله: ليرحم الكبير منكم الصغير. فيه طباق؛ لأنه كالسابق، وأما الطباق المتعدد، فإن الإمام يكثر منه في هذه الخطبة، ومن ذلك قوله: ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب، والقبيح بالحسن، والحرام بالحلال، وهنا في هذه الفقر قابل بين ثلاث وضدهم وهم كالاتي:

الأولى: بين الخبيث والطيب، والخبيث ضد الطيب، وهذا تقابل التضاد.

الثاني: بين القبيح والحسن، والقبيح ضد الحسن، وهذا تقابل التضاد.

الثالث: بين الحرام والحلال، والحرام ضد الحلال، وهذا تقابل التضاد.

ومما كان فيه الطباق المتعدد في الخطبة قوله: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الظاهر، الباطن، الأول، الآخر، فهنا طابق بين الظاهر والباطن، والظاهر ضد الباطن، وهو تقابل التضاد، وبين الأول والآخر، والأول ضد الآخر، وهو تقابل التضاد.

### الخاتمة:

تناولت المقالة نبذة وجيزة عن حياة الشيخ الإمام علي عبد النصراوي، وذلك من خلال التعرف على نسبه وولادته ونشأته، ثم مفهوم الثقافة والبطالة لغة واصطلاحاً، وكذلك مرت

المقالة على الثقافة العربية في نيجيريا، ثم تناولت الخطبة المعنونة بـ "في نداء الشباب" للإمام علي نموذجاً، فنظر الباحث إلى أهم أفكارها ومطلعها وتخلصات الخطيب فيها، ثم مقطعتها وكذلك بعض الصور الفنية، بدءاً بأسلوب الإمام في اختيار ألفاظه وتراكيبه، وكذلك المعاني والإطناب والسجع والطباق. ومن النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

- إن الإمام علياً عبد الله استقى معلوماته من علماء بلده وخارج بلده.
- كثرة ورود السجع في الخطبة وبخاصة في المقدمة.
- إن الخطبة المدروسة تتسم بسلامة أفكارها.
- إنها حافلة بالصور الفنية.
- إن بعض مميزات الأسلوب الخطابي موجودة في الخطب المدروسة مثل التكرار والترادف والكلمات الجزلة وتعاقب ضروب التعبير، من إخبار إلى استفهام إلى تعجب إلى استنكار.

## الهوامش والمراجع

- (١) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعلية، دار المعارف بيروت لبنان، د.ت.، ص ١٩.
- (٢) مقابلة شفوية مع الإمام في منزله بنصراوا، ولاية نصراوا يوم ٢٠١٥/٢/٥ م.
- (٣) مقابلة شفوية مع مالم محمد نَكْفِي في منزله بنصراوا يوم ٢٠١٥/٣/٨ م.
- (٤) المرجع السابق، نفس التاريخ والمكان. ونَصْرَاوَا هي الحكومة المحلية بولاية نَصْرَاوَا الحَالِيَّة، تبعد من لَافِيَا، عاصمة الولاية نَصْرَاوَا بحوالي مائة وخمسين كلوميترًا، ونَصْرَاوَا قرية عامرة بالسكان من القراء والعلماء والتجار والمزارعين من قبائل شَتَّى.
- (٥) المرجع السابق، نفس التاريخ والمكان.
- (٦) الشيخ الإمام المرجع السابق، نفس التاريخ والمكان.
- (٧) الشيخ الإمام المرجع السابق، نفس التاريخ والمكان.
- (٨) الشيخ الإمام المرجع السابق، نفس التاريخ والمكان.
- (٩) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين - بيروت، ط الرابعة - يناير ١٩٩٠، ج ٥، ص ٢٠.
- (١٠) موسوعة المفاهيم الإسلامية، ج ٥، ص ٤٠٧، المكتبة الشاملة.
- (١١) موقع وزارة الأوقاف المصرية مفاهيم اسلامية، <http://www.islamic-council.com>، ج ١، ص ١٠٧.
- (١٢) المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- (١٣) مجموعة من العلماء والدعاة والمفكرين، مقالات موقع الألوكتووني <http://www.alukah.net>، عام ١٤٢٩هـ، ص ٢.
- (١٤) السبهلل أي الرجل الفارغ لا شيء معه.
- (١٥) وجدت هذه الخطبة عند ولد الإمام الأستاذ سليمان علي عبد الله

## دور المدارس العربية في تطور الثقافة العربية في بلاد يوربا

الدكتور ميكائل أديبسي فولورنشو

قسم اللغات واللغويات، جامعة ولاية أوشن، أوشوبو

و

جامع أديبايو عبد العزيز

قسم الدراسات العربية، كلية التربية لولاية أوشن، إيش، نيجيريا

### المقدمة

تشمل بلاد يوربا ما يسمى بجنوب غربي نيجيريا اليوم ولو كان بعض من أبنائها موجودين في بلاد الداومي، وفي شمال الأوسط. وأثبت التاريخ أنّ أول بلدان يوربا هو بلد إيفي ( Ile - Ife) الذي كان ساكنوها وثنيين على الأكثر، لكنّ دخول الإسلام فيها وافق وقت دخوله في بلاد هوسا (شمال نيجيريا) على أيدي المالبين التاجرين إليها، الذين بدؤوا تدريس وتعليم الناس أمور دينهم في الأماكن التي نزلوا فيها شيئا فشيئا، حتى تحوّلت هذه الأماكن إلى المدارس العربية يدرس فيها التلاميذ أمور دينهم ومبادئ اللغة العربية معا. وهذه المدارس لعبت دورا فعالا في تطوير الثقافة العربية في بلاد يوربا، وذلك لما ظهر فيها من جهودات العلماء. فالهدف من هذه المقالة هو إبراز الأدوار التي قامت بها المدارس العربية في تطوير الثقافة العربية في بلاد يوربا، والتي تجلت في مظاهر النثر والشعر وإقامة الحفلات والفعاليات التي تلقى فيها المقالات والقصائد والأناشيد كما تشمل تأليف الكتب الدينية واللغوية كلها باللغة العربية، وكذلك إلقاء الخطب المنبرية وغيرها، بل تعدت أنشطت هذه الثقافة العربية إلى إنشاء المدارس العربية غير النظامية والكتاتيب النظامية، وإقامة مناسبات الدعوة للوعظ والإرشاد، وإنشاء المطابع التي تنشر الكتب المكتوبة باللغة العربية كلها بواسطة ظهور المدارس العربية في بلاد يوربا.



### موجز تاريخ بلاد يوربا والمدارس العربية فيها

إنّ الكتابة عن المدارس العربية في بلاد يوربا لا تخلو من ذكر شيء يسير عن بلاد يوربا؛ فالأمة الناطقة باليوربوية كانوا أصحاب اللغة والثقافة والدولة، ولما زحفت جحافل الاستعمار إلى ديارهم في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي فأثرت في لغتهم كما أثرت فيها اللغة العربية من قبل، وزعزت ثقافتهم، وتشتت دولتهم، فعوضهم من بعد استقرارهم اضطراباً، ومن بعد عزتهم ذلة ومن بعد أمنهم خوفاً<sup>١</sup>.

تقع بلاد يوربا جنوب نهر النيجر مع الامتداد من حدود هذا النهر شرقاً وشمالاً حتى تكتسح الأراضي المتحددة إلى المحيط الأطلسي جنوباً، وحتى بلاد الداھومي غرباً<sup>٢</sup>. وبنظر إلى أصل قبائلها في ما قبل ألف سنة حيث قد استعمرها القبائل المختلفة حسب التاريخ كالبرابرة والزنوج والنوفاة قبل نزول اليوربا الجدد الذين هم من العرب. وأقدم بلادهم (Oyo-Ile) ثمّ (Ile-Ife) ثمّ أثبت لهم (Ikoyi)، ومنها نزحت القبائل المنتشرة وأسست جميع المدن الحاضرة<sup>٣</sup>.

اتفق المؤرخون على أنّ بلاد إيفي (Ile-Ife) أول بلدان في بلاد يوربا، وأنّ الإسلام دخل بلاد يوربا وقتما دخل بلاد هوسا في شمال نيجيريا، على أيدي المالمين التجار. وظهر أنّ دخول الإسلام إلى بلاد يوربا وافق ظهور جميع الحركات الدينية وتعليماتها.

هذا يشير إلى أنّ وقت دخول الإسلام إلى بلاد يوربا هو نفس وقت ظهور المدارس العربية فيها ولو كانت في المرتبة المحلية التقليدية؛ فالإسلام هو العامل الأول في ظهور المدارس في بلاد يوربا إذ يتعلم أفراد الأشخاص أمور دينهم من العلماء الذين نزلوا وقاموا فيها، فيتعلمون القراءة والكتابة على قدر الحاجة قبل أن يطلقوا عليها اسم مجلس الكتاب. قال الإلوري في هذا الصدد:

"فليس من الإمكان أن يقوم كل والد بتعليم ابنه الكتابة وإنما كان يبعث به إلى معلم ليعلمه في منزله أو مكتبه، ولم تكن المكاتب المبنية منتشرة على أوسع نطاق ولكنها موجودة في بعض الأماكن"<sup>٤</sup>. وزاد عليه الإلوري أنّ اسم المكتب كان معروفاً للعرب قبل الإسلام وكان يطلق

على المكان الذي يتعلم فيه التلاميذ الكتابة والقراءة، ثم تطور إلى استعمال اسم الكتاب بصيغة الجمع نظرا لكثرة من يكتب هناك من المتعلمين<sup>٥</sup>.

المعروف باليوربيين أصلا هو أنهم وثنيون، والعلماء الوافدون إليها هم الذين قاموا بتأسيس مجالس التعليم في مختلف أماكنهم حتى ظهرت فيها الكتاتيب ويحضرها أبناؤهم بعناية لتعلم قراءة القرآن وحفظه فقط، كما كان في معظم بلدان غرب أفريقيا. قال الإلوري:

"وأما أهل نيجيريا وما حولها من بلاد غرب أفريقيا، فالغالب أنهم لا يخلطون في تعليمهم القرآن للولدان بشيء من العلوم، بل يقتصرون على تعليم القرآن استظهارا كالبرنوين والسنغاليين والهوسويين، أو سردا لسائر اليوربيين الذين يكتفون بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلاة المفروضة"<sup>٦</sup>.

وهكذا بدأ ظهور المدارس العربية في نيجيريا عامة، وأما في بلاد يوربا خاصة فبمعاونة المجاهدين من مدينة إورن ومجاورتها، وكذلك من الرجال العرب الذين نزلوا بلاد يوربا وأسسوا فيها المدارس العربية، ومن أمثال هؤلاء ما ذكره الإلوري حيث قال: ثم جاء الأستاذ محمد مصطفى الشامي؛ نزيل لاغوس ١٩٠٤م، أسس بها مدرسة عربية وألف كتابه المسمى مفتاح اللغة العربية للتعليم أفريقيا الغربية قبل أن تليها المدارس العربية أسستها بعض الأشخاص والجمعيات والمؤسسات الإسلامية<sup>٧</sup>.

والجدير بالذكر، أنّ في كل بلاد يوربا نوعا من المدارس العربية منها ما كان مركزا، أو معهدا، ومنها ما كان نظاميا وغير نظام، ومنها ما كان على المنهج القديمي أو الحديثي وكذلك الكتاتيب.

إنّ أول شيء اهتم به الإنسان هو أمور التعليم، وبه كرم الله الإنسان على جميع خلقه وبعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ووجهه بتعليم أثناء بعثته. والإنسان من بداية ظهوره إلى العالم يتعلم مفردات الكلمات وأسماء الأشياء وغير ذلك خارج المدرسة ولا معلم يعلمه، لكن عن طريق طبيعي فقط. ولما خلق الله البشر ووهبه العقل للتفكير، اتسعت فكرة الإنسان إلى تأسيس الأماكن يجتمعون فيها للتعليم والتدريس واتخذوا هذه الأماكن وسيلة

لأداء مهمة التعليم، ومن هنا بدأت المدارس بالظهور وتطوّرت لتصبح من أهم مؤسسات مهمة لا غنى عنها. قال الألورى: "التعليم عريق في الإنسان رقيق لعقله الأول. بدأ بتعلم اللغة كأداة التفاهم، ثمّ بالصناعة كوسيلة المعيشة، ثم بالرسم كأداة الكتابة".<sup>٨</sup>

والمدرسة هي مؤسسة تعليمية يتعلم فيها التلاميذ الدروس بمختلف العلوم وتكون الدراسة بها عدة مراحل وهي الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، وتسمى بالدراسة الأولية الإجبارية في كثير من الدول<sup>٩</sup>، وتعدّ أيضا مكانا أو مؤسسة لتثقيف وتعليم الأطفال والمراهقين تحت سن الجامعة، كما يمكن أن تكون مؤسسة لتعليم مهارة أو عمل محدد<sup>١٠</sup>.

وتعريف جامع ما كتب عن المدرسة أنّها مؤسسة اجتماعية رسمية تقوم بعدة وظائف ومهام، أهمها وظيفة التعليم ونقل الثقافة والتربية، وإيجاد البيئة المناسبة للنمو العقلي والجسدي والانفعالي والاجتماعي<sup>١١</sup>.

والمدرسة، لفظ جمع أنواع المدارس الموجودة في العالم، وهي من الجهود التي قام بها رجال الدين، إما الوثنيون واليهود والنصارى، حتى رجال الدين الإسلامي الذين قاموا بالدراسة والتعليم وتأسيس المدارس قبل اشتراك الحكومة فيها. قال الإلوري: "فللكهان في الوثنية والموبدان في المجوسية والأحبار في اليهودية وللقسيس ف النصرانية وللفقهاء في الإسلام أدوار هامة في نشر التعليم في ربوع العالم، ولولاهم لم تبين المدارس ولا المراكز، ولم تؤسس المعاهد ولا الجامعات قبل أن تنشط الحكومات أخيرا بالقيام بأمر التعلم".<sup>١٢</sup>

والحديث عن دخول الإسلام في نيجيريا هي نقطة انطلاق للحديث عن أولية تعليم مبادئ أمور الإسلام واللغة العربية وثقافتها في جميع الأماكن في نيجيريا شرقا وغربا حتى وصل مثل ذلك إلى بلاد يوربا. هذا، فإنّ الإسلام يهتم بنقل كل العوامل التي تتعلق به من وحي القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم اللذين يعتبران عاملين قويين للثقافة العربية. ولقد صدرت المصادر أنّ الإسلام متى وصل إلى مكان أخذ من نشاطه بإنشاء المساجد والمدارس كما دخل في مدينة كنو إحدى ولايات هوسا في القرن الرابع عشر الميلادي وبقية بلاد الهوسا شيئا فشيئا حتى دخل بلاد يوربا بواسطة القوافل والتجار، وجعلوا مركز وقوفهم مركزا لتعليم

مبادئ أمور دينهم، فأصبحت هذه الأماكن والمراكز مكانا تنشر فيه الثقافة العربية والعلوم الدينية.

أثبت كثير من الباحثين أنّ انتشار الإسلام هو سبب الوحيد لانتشار اللغة العربية وثقافتها لما وجب على كل مسلم معرفة شيئا من أمور دينه قدر ما يؤدي به فروض عينه من الصلاة والصيام، وغيره وقراءة القرآن الكريم وبعض الأذكار، وهذا حملهم إلى إنشاء المدارس للتعليم.

فالمدارس العربية في صورتها ومقصدتها لا تختلف عن بقية المدارس في العالم منذ العصور القديمة، حيث كانت غاية المدرسة هي إحياء وتطور ثقافة الأمة على حسب ما يجري بها اليوم عند العرب وغيرهم.

وقد ساعدت المدارس على نضج اكتساب المهارت الاجتماعية الأساسية التي يحتاجها الأطفال في الحياة اليومية كما تعطي الأطفال عدة تحركات من حركة علمية في عدة المواضيع؛ فالثقافة العربية تبدأ من هذه المدارس بمعاونة الأساتذة لذين يبذلون ما في وسعتهم من الفوائد العلمية والإرشادات الخالصة.

### أهمية المدارس في المجتمع الإنساني

ذكر عبد الله بن محمد الإسماعيل<sup>١٣</sup> أنّ المدرسة في أية مرحلة كانت تلعب أدوارا مهمة في حياة المتعلمين، خصوصا في تربية الأولاد، وتساعدهم على إظهار قدراتهم وإمكاناتهم ودعمهم في مواهبهم وتنمية شخصياتهم بشكل سوي. ومن هذه الأدوار ما يلي:

- إكمال دور الأسرة التربوية، حيث إنّ المدرسة تساعد على تيسير حياة الأطفال من الطفولة إلى المراهقة، إذ تساعد على تشكيل شخصيتهم وتؤثر في تعليمهم القيم ومبادئ العلوم الأساسية.

- التبسيط وإزالة التعقيد، أي أنّ المدرسة تقوم بتبسيط العلوم والمبادئ بأفضل الوسائل التي تتوافق مع فهمه.

- توسيع آفاق الطفل وتنمية خبراته.

- تعزيز تحاسن والتألف بين الأطفال.
- اكتساب الأطفال مهارات مختلفة كالعامل الجماعي، والتواصل مع الآخرين وغيرها في المهارات التي تساعد في رفع مستوى ذكاء الطفل وتفاعله مع البيئة.
- الاعتناء بالطفل الموهوب على اكتساب مواهبهم والاستفادة من قدراتهم الذهنية<sup>١٤</sup>.

### الثقافة العربية و مظاهرها في بلاد يوربا

هي عبارة عن نظام اجتماعي بكل ما له من عادات ومعتقدات وتربية وتعليم، وتعتبر الثقافة العربية من أهم وأغنى الثقافات على صعيد العالم. ترسخت جذور هذه الثقافة قبل الإسلام، وبزغت بشكل مشرق تمثلت في عدد كبير من الخطب والحكم والقصائد الشعرية والأمثال؛ حيث تجلّت عبقرية اللغة وكانت أهم صورة حياة العربية قديما ومرآة تعكس بوضوح أفكارهم ومشاعرهم وعمق حياتهم<sup>١٥</sup>.

والثقافة العربية في بلاد يوربا تظهر بواسطة المدارس العربية التي تلعب دورا فعالا لدى أبنائها وأثرت في كتاباتهم وإنتاجاتهم العلمية والفكرية من شعر ونثر فنيين. ومن العوامل التي ساعدت على تطور الثقافة العربية في بلاد يوربا ما تلي:

- تأسيس المدارس العربية لتعليم التلاميذ.
- حركة الدعاة المسلمين الذين يحملون لواء الدين إلى مختلف الأمصار.
- رحلة العلماء والمسافرين ونزولهم إلى الأماكن التي تحولت إلى المدارس العلمية اليوم.
- دور المساجد حيث يتم إلقاء الخطب المنبرية باللغة العربية في كل أيام الجمعة.
- حركة الطرق الصوفية والتي أدت إلى معرفة ما تؤدي بها الأذكار اليومية والأعمال الصوفية باللغة العربية.
- عناية الجمعيات الإسلامية بنشر اللغة العربية وثقافتها من إقامة الدورات التربوية والمؤتمرات العلمية، كجمعية أنصار الدين وجمعية أنوار الإسلام وجمعية أنصار الإسلام وغيرها في بلاد يوربا.

### الثقافة العربية في بلاد يوربا

لا تختلف الثقافة العربية التي توجد عند العرب والعجم عن التي في بلاد يوربا. ولقد ثبت أنّ فضل دخول الإسلام إلى هذه البلاد هي العامل الوحيد التي ساعدت إلى ظهور ثقافتها عند أبناء يوربا في أشعارهم ونثرهم الفني.

وتأثيرات الثقافة العربية عند أبناء يوربا تبدأ من تأثيرات اللغة العربية باللغة اليوربوية في كلمات دخيلة في لغة يوربا مثل: قلم (Kalamu)، البركة (Alubarika)، قرآن (Kurani)، الوجه (Iwaju)، حقيقة (Akiika)، إبليس (Bilisi)، الخميس (Alamisi)، مكرور (Makaruru)، الجبت (Jibiti)، جمعة (Jimoh)، الجور (Ojooro)، فتنة (Fitinah) ونحوها.

ليس هذا فحسب بل تظهر هذه الثقافة في كتاباتهم ورسائلهم وأشعارهم وأناشيدهم، وفي خطبهم المنبرية في المساجد وفي المجالس والمؤتمرات الإسلامية.

### المدارس العربية وتطور الثقافة العربية في بلاد يوربا

قسم الإلوري علماء بلاد يوربا إلى أربعة أقسام وذكر فيهم الوعاظ، الدعاة إلى الله والأساتذة المدرسون الذين يعلمون القرآن الكريم والعلوم في منازلهم، أو دهاليزهم، أو زواياهم، أو في مساجدهم، والعُباد والزُّهاد؛ أصحاب الأذكار والأوراد وملازمة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أصحاب الطب الروحاني والطب الجسماني. ومن هؤلاء بدأت أمور التعليم والتدريس عن طريق تقليدي قبل اشتراك الحكومة فيها.

فالعلماء الذين هم الأساتذة، قال عنهم الإلوري: "هم الأساتذة المدرسون الذين يعلمون القرآن والعلوم في منازلهم أو دهاليزهم أو زواياهم أو مساجدهم، كان هؤلاء غالبا يعلمون مجانا....."١٦.

قد لعب الإسلام دورا فعالا في بداية التعليم في بلاد يوربا كما ذكرنا سابقا، فمن العلماء من يدرسون الأبناء مبادئ الدين والمفردات العربية، وساعدوا كثيرا في تأسيس الكتاتيب والمدارس

التي أسهمت في انتعاش الحركات الإسلامية باللغة العربية في بلاد يوربا وتطوير الثقافة العربية فيها.

ذكر الدكتور غلادنشي شيئا من أدوار المدارس العربية في تطور الثقافة العربية وذكر بأن المدارس قامت بهذه المسؤوليات بناء على ما يلي حسب ملاحظاته:

- بداية تعليم قراءة القرآن وحفظ شيء منه.
  - تعليم القراءة والكتابة باللغة المحلية باستخدام الحروف العربية.
  - بداية تعليم الكتب الدينية المكتوبة باللغة المحلية.
  - محاكاة تلك الكتب الدينية عن طريق كتابة الشرح والحواشي لها.
  - بداية التأليف، إما نثرا أو نظما، بأسلوب فقهي علمي.<sup>١٧</sup>
- والمحقق أن دور المدارس في تطور الثقافة العربية يظهر في الأشعار التي يقرؤها أصحابها على غرار هضمهم لعلم القوافي، حيث استطاع التلاميذ والدعاة يقرضون الأشعار باللغة العربية، وأحيانا يقرضون ما يوافق بحور العروض والقوافي باللغة المحلية، وهو ما يسمى بواكا (WAKA)، يستعملونه في مجالس الدعوة والتفسير وأماكن الوعظ والإرشاد. وتوجد في قصائدهم قدرة البلاغة الرفيعة، وكذلك قوة التعبير بالشعر والإيجاز المعقول. كتب كثير منهم في مختلف الموضوعات الأدبية والدينية كالرثاء، والمدح، والتعزية، والتهنئة، وفي الفقه، والتوحيد وغير ذلك.

نذكر هنا قسطا من قصيدة كتبها الشيخ أحمد اليوروبوي، نزيل لاغوس من مدينة شاكي سنة ١٩٣٢م وهو يذكر الموت:

أعوذ بالله من الرزايا \* وكل شيطان أبي البلايا  
بسم الإله خالق البرايا \* الغافر الذنوب والخطايا  
لله حمدي عالم الخبايا \* من الأمور الكل و الجلايا  
ثمّ الصلاتان مع التحيا \* على النبي صاحب المزايا  
وبعد ذا يأيها البرايا \* فكلنا رهائن المنايا

تلسست خواصنا البلايا \* تعممت عوامنا الفنايا  
هبوا بها الإصباح والعشايا \* على الجلايا وعلى الخفايا  
مضى الملوك من ذوى المطايا \* حتى الصناديد ذوى السرايا  
قد غيرت أزماننا الدنيا \* وبدلت أحوالنا الخزايا  
ومن يشأ فليختر الخزايا \* أو فليكن من صالحى السجايا<sup>١٨</sup>

وهناك قصيدة أخرى قالها أحمد الرفاعي عندما نشب الخلاف بينه وبين علماء إبادن في قيمة الدينار والدرهم، وهي:

ومن لا يطيع الحق بعد ظهوره \* يصير شقيا بالمعاصي وماردا  
إذا نلت عين الحق لا تكتمنه \* وكن في ثبات الحق للدين صامدا<sup>١٩</sup>

وهناك أدوار أخرى لعبت بها المدارس العربية في تطور الثقافة العربية في بلاد يوربا كإقامة حفلات الدينية والمسابقات العلمية التي تلقى فيها المعلومات المختلفة عبر فن المقالة للتهنئة أو التعزية أو الترحيب أو غير ذلك.

وبواسطة المدارس العربية وتعليم اللغة العربية في بلاد يوربا تدرجت الثقافة العربية إلى اشتراك في تحقيق ما يلي:

- تأليف الكتب المقررة وغير المقررة، ومذكرة التعليم، والكتيب، والمحفوظات والأناشيد.
- إلقاء الخطب المنبرية باللغة العربية في كل الأسبوع.
- إلقاء المقالة باللغة العربية في الميادين العلمية والحفلات الدينية.
- تكوين قسم اللغة العربية وآدابها في الكليات والجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية وثقافتها.
- استخراج الجرائد والمجلات المكتوبة باللغة العربية كما قامت بها جمعية المسلمين العالمية في ولاية لاغوس.
- تأسيس المدارس التي يتعلم منها التلميذ اللغة العربية الفصحى.



وقد ساهمت هذه المدارس العربية في إظهار الثقافة العربية الفصحى في بلاد يوربا كذلك في ظهور المطابع والمكتبات التي تعنى بنشر الكتب العربية كمطبعة الثقافة الإسلامية بأغيغي، لاغوس، وبعض المطابع التي تم تأسيسها على أيدي الأفراد في بلاد يوربا. ومن هنا نرى أنّ المدارس العربية في بلاد يوربا بمعاونة المدرسين والتلاميذ لعبت أدواراً لا تحصى في تطور الثقافة العربية.

#### الخاتمة

لقد نالت المدارس العربية من معاهدها وكتاتيبها في بلاد يوربا أهمية تأسيسها في حفظ التراث العربي والنهوض به في هذا البلد، كما تحتم بحفظ أمور الدين الإسلامي الذي جعل التعليم مهمة وغاية وجعله طريقة لحفيظ العقيدة الإسلامية الصحيحة. فالمراكز والمعاهد في بلاد يوربا لا تزال تنتج العلماء العاملين والدعاة والكتاب والمؤلفين، ونجد منهم أمثال الشيخ يونس سنوسي؛ صاحب كتاب "خمسون الفريضة"، وكذلك الشيخ آدم عبدالله الإلوري الذي استوطن بلاد لاغوس وتلاميذه من فروع مركزه كالشيخ مصطفى سنوسي زغلول وغيره. رأينا أنّ كثيراً من هذه المدارس تستعمل الكتب المقررة المكتوبة من قبل مؤسسها وأساتذها. هذا يشير إلى دور فعّال قام به المدارس العربية في تطوير اللغة العربية، فجزى الله المدرسين والكتاب ورجال الدين والوعاظ والمتعلمين الذين قاموا بالجهد الكبير في نشر الإسلام وثقافته العربية في بلاد يوربا.

الهوامش والمراجع

- عبد الحفيظ أحمد أديدميخ: موجز تاريخ يوربا وعلاقتها باللغة العربية والإسلام في Adekunle Ojelabi. A Text of West African History:1000 A.D. to the 1970 p. 61-66. Educational Research Institute Present Day. ibadan ,Ibadan
- الألوري، آدم عبد الله. ١٩٨٨م. نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا. مكتبة الآداب للمطبعة النموذجية، الطبعة الثانية ص: ١٨.
- الإلوري، آدم عبد الله. ١٩٧١م. الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي الفلاني. الطبعة الثانية بدون ذكر الناشر. ص: ٣٣-٣٢.
- الإلوري، آدم عبد الله. ١٩٨٠م. نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي. دار العربية للطباعة والنشر، بيروت. ص: ٣٢
- الإلوري، المرجع نفسه. ص: ٣٢.
- المرجع نفسه. ص: ٣٤
- المرجع نفسه. ص: ٥٧
- المرجع نفسه. ص: ٩.
- 14/10/ <http://arm.wikipedia.org> retrieved 2018
- m- <http://school.www.thefreedictionary.co>
- بسام محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي الجريمة، بريطانيا. E-kutub
- الإلوري، آدم عبد الله. ١٩٨٠م. نظام التعليم العربي... المرجع السابق. ص: ٩.
- عبد الله ابن محمد الإسماعيل: أهمية دور المدرسة في التربية، الألوكة ٢٠١٥م  
18/10/2018.net Retrieved [www.alukah](http://www.alukah)
- أ. د. موسى نجيب معوض: ٢٠١٣م. دور المدرسة في رعاية الطفل الموهوب. الألوكة  
18/10/2018.net Retrieved [www.alukah](http://www.alukah)
- Mawdoo3.com.

- الألووري، آدم عبد الله. نسيم الصبا في أخبار الإسلام...المرجع السابق. ص : ١١٨
- غلادنشي، شيخو أحمد. ١٩٩٣م. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الإفريقية. ص: ١٦٧.
- الإلووري، آدم عبد الله. نسيم الصبا في أخبار الإسلام...المرجع السابق. ص: ٢٠٤.
- المرجع نفسه. ص: ٢٠٥.

## أثر الثقافة العربية في شعوب شمال نيجيريا (الهوسا والفلاي والكانوري)

الدكتور طنجوم عثمان غوني

قسم اللغات الجامعة الفيدرالية كاشري ولاية غمي

08065756171

و

الدكتور آدم عبد القادر

و

الأستاذ: عاشر أمين يوسف

قسم اللغة العربية، كلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون، كنو

08059275070 – 09066733977 - 08027085307

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن هذا البحث يهدف إلى المسح في شعوب القسم الشمالي من بلاد نيجيريا ليضع يده على جوانب ذات علاقة بعادات وتقاليد هذه الشعوب وكيف وصلت الثقافة العربية الإسلامية إلى هذه المنطقة، وبالتالي استطاعت أن تؤثر في كيان شعوب البلاد وعاداتها وعقائدها وتقاليدها ثم امتدت - نتيجة رسوخ الإسلام في المنطقة - إلى أمم لاعلاقة لها بالإسلام لوجود علاقات اجتماعية بالمسلمين المجاورين لهم. فجاء البحث مؤزعا حسب المحاور الآتية:

المحور الأول: مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا.

المحور الثاني: لمحة عن الثقافة العربية.

المحور الثالث: اتصال شمال نيجيريا بالثقافة العربية وانتشارها.

المحور الرابع: أثر الثقافة العربية في شعوب شمال نيجيريا.

### المحور الأول: مفهوم الثقافة لغة واصطلاحاً

إن أصل كلمة الثقافة - في اللغة- مستمدة من الفعل " ثقف " بفتح القاف، ويقرأ بضمها وبكسرهما، توحى الكلمة في اللغة بعدة معانٍ منها: الفطنة والذكاء والتهذيب وضبط العلم وسرعة التعلم. ويقال قديماً: غلام ثقف أي ذو فطنة ثابت المعرفة فيما يحتاج إليه. وهي أيضاً كانت تستخدم للدلالة على اسم آلة الثقافة التي تستخدم لتسوية اعوجاج الرماح والسيوف قديماً<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح هناك الكثير من التعريفات التي وضحت مفهوم الثقافة، ولعل من أقدمها وأكثرها شمولاً هو تعريف " إدوارد تايلور " حيث عرف الثقافة بأنها ذلك المفهوم الكلي الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"<sup>(٢)</sup>.

ومن التعريفات المبسطة لمفهوم الثقافة ما يصفها على أنها هي "الرقى في مختلف الأفكار النظرية، وذلك يشمل علوم السياسة والقانون والتاريخ والفن ولا سيما الأخلاق والسلوك"<sup>(٣)</sup>.

ومن أحدث التعريفات المتفق عليها لمفهوم الثقافة هو ما تم الاتفاق عليه عام ١٩٨٢م في مؤتمر ميكسيكو الذي نص على أن الثقافة "هي كل السمات المادية والروحية والعاطفية والتي تتيح لمجتمع ما أو لفئة فيه أن تتميز بتلك السمات عن غيرها من الفئات في ذات المجتمع أو عن غيره من المجتمعات"<sup>(٤)</sup>.

### المحور الثاني: لمحة عن الثقافة العربية.

الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم وفي نخوضها، ولكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وعناصرها. ويتكيف فرد كل أمة بثقافة مجتمعه التي استمدتها من المجتمع بواسطة اللغة التي يتحدث بها ذلك المجتمع.

وقد عرف التاريخ الإنساني ثقافات عريقة متعددة قبل الثقافة العربية بقرون، سادت القيادة الفكرية في أزمانها، من بينها الثقافة اليونانية، والثقافة الرومانية، والثقافة الهلينية، والثقافة الهندية والثقافة المصرية الفرعونية والثقافة الفارسية<sup>(٥)</sup>. ولم تزل بقية آثار هذه الثقافات قائمة في البلاد التي قامت فيها هذه الدول وفي كتب تراثها إلى يومنا هذا.

ثم تسلم العرب زمام القيادة الفكرية والثقافية والعلمية للبشرية في القرن السابع للميلاد، واستمروا في مركزهم المتميز إلى القرن الخامس عشر منه، عرف العالم الثقافة العربية الإسلامية خلال هذه الفترة الزمنية في أوج تألقها وتقدمها، حتى إذا ما تراجع العرب والمسلمون عن مقدمة الركب الثقافي العالمي ودب الضعف في كيانهم، وتوقفوا عن الإبداع في ميادين الفكر والعلم والمعرفة الإنسانية، انحسر مدّ ثقافتهم وغلب عليهم الجمود والتقليد والضعف أمام تيارات الثقافة الغربية العاتية التي أثرت بقوة في آدابهم وفنونهم وطرق معيشتهم<sup>(٦)</sup>.

ومصادر الثقافة العربية هي القرآن الكريم والسنة النبوية، باعتبارهما المعين الأساسي للعلوم الإسلامية واللغة العربية والمرجع الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق في مجالات المعرفة والوجود والقيم، وفيما يتعلق بالفكر والواقع والنظر والسلوك<sup>(٧)</sup>.

فالمسلم مهما كانت لغته وثقافته التي اكتسبها في وسط المجتمع الذي نشأ وترعرع وعاش فيه، يتعلم قراءة القرآن الكريم، كما يتعلم تفسيره ويتفكر في آياته وأحكامه، ويتعلم السنة النبوية ويفقهها ويجيل فكره في فهم مقاصدها ومقاصد الشريعة الإسلامية بصفة عامة، كل ذلك يجعله يتأثر بمصادر الثقافة العربية بوصفه مسلماً.

وأداة الثقافة العربية هي اللغة العربية إذ اللغة هي أداة التفاهم بين الأسرة الواحدة والشعب الواحد والأمة الواحدة، وهي أول وسيلة لتحسين الثقافة وتكوين الحضارة؛ لأن اللغة هي الوسيلة المباشرة لنقل الشعور والعواطف من ذهن إلى ذهن ومن شخص إلى شخص، وهي التي تترجم عن أفكار الأمة في آمالها وآلامها، وهي إذن رباط الوحدة والإخاء وأداة التضامن والتفاهم والتعاون بين أفراد الشعب والأمة<sup>(٨)</sup>.

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ثقافتهم واحدة مبنية على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأداتها هي اللغة العربية التي لا يختلف فيها عربهم وعجمهم، لذلك ظلوا أمة لا مثيل لها في عالم العقيدة وعالم العبادة وعالم الاجتماع<sup>(٩)</sup>.

وعلى هذا صارت العربية ديننا يتقرب به المسلم إلى الله تعالى. يقول الثعالبي: "ومن أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها أنزل الله أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها"<sup>(١٠)</sup>.

ومن هذه العقيدة امتدت العربية مع امتداد الإسلام في ربوع العالم بعد أن كانت محدودة في شبه جزيرة العرب وبعض أطراف الشام والعراق قبل الإسلام. وتتسم الثقافة العربية الإسلامية أساساً بسمتين اثنتين: سمة الثبوت فيما يتعلق بالمصادر القطعية وما جاء به من عقائد وتشريعات، وقيم ومناهج، وسمة التغيير فيما يتعلق باجتهادات المسلمين وإبداعاتهم القابلة للصواب والخطأ، وبالتالي الاختلاف، أما الجانب القطعي في الثقافة العربية الإسلامية فيتسم بما يتسم به الإسلام من خصائص بصفته ديناً ومنهجاً للحياة.

### المحور الثالث: اتصال شمال نيجيريا بالثقافة العربية وانتشار الثقافة فيها.

تشكل نيجيريا إحدى الدول الكبرى في بلاد غربي إفريقيا، كما تمثل أعظم دولة من حيث الكثافة السكانية والثروات الطبيعية في القارة الإفريقية، تمتد إقليمها الشمالي شرقاً إلى بحيرة تشاد وجمهورية الكمرون وشمالاً إلى جمهورية النيجر، وغرباً إلى جمهورية بنين، ويضم أراضي هذه المنطقة حوالي ٢٥٥,٠٠٠ ميلاً أي ٤١٠,٠٠٠ كيلومتراً، وذلك ما يعادل حوالي ٦٢% من الكتلة الأرضية للبلاد<sup>(١١)</sup>.

ويحتوي شمال نيجيريا على تسع عشرة ولاية من ولايات نيجيريا الست والثلاثين بما في ذلك عاصمة الدولة أبوجا. وهي: ولايات كَنُو، وجِغَاوَا، وكَدُونَا، وكَتْسِينَا، وسُكُونُو،

وَزَنْفَرًا، وَكَيِّي، وَبَرْئُو، وَيُوبِي، وَبُوْثِي، وَغُومِي، وَأَدَمَاوَا، وَتَرْبَا، وَبَلَاثُو، وَنَصْرَاوَا، وَكُوغِي، وَبُونِي، وَكُورَا، وَنِيَجَا.

وعلى حسب ما تفيد نتائج التعداد السكاني الذي أجري عام ٢٠٠٦م أن مجموع سكان نيجيريا آنذاك هو حوالي ١٤٠,٠٠٣,٣٥٤٢ نسمة، وأن شمال البلاد يضم من ذلك ٥٣٧٢%. وهذا العدد يشمل المسلمين والمسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى، إلا أن المسلمين يشكلون الأغلبية من سكان شمالي البلاد.

وفيما يتعلق باتصال شمال نيجيريا بالثقافة العربية، فإنه لا يمكن الحديث عن ذلك بمعزل عن دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة؛ إذ اللغة العربية أداة للثقافة العربية المتمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشريعة الإسلامية بصفة عامة كما مر سابقا. تفيد المصادر التاريخية أن وصول الإسلام إلى شمال نيجيريا في المرحلة الأولى كان عن طريق التجارة، إذ كانت العلاقة التجارية موجودة بين بلاد المغرب وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء بما فيها ولايات الهوسا وكانم برنو. فهذه العلاقة التجارية هي التي وضعت الحجر الأساسي الأول للعربية في شمال نيجيريا<sup>(١٢)</sup>.

أما دخوله في المرحلة الثانية عن طريق وصوله إلى الطبقة الحاكمة وانتشاره على أيديها بالطريقة الرسمية، فإن معظم المصادر التاريخية تؤكد " أن الإسلام دخل مملكة كانم برنو في القرن الحادي عشر، وأول من اعتنقه من ملوكها هو " مَيِّ هُمِّي جَلْمِي" (١٠٩٧-١٠٨٦) وسمى نفسه بعد إسلامه محمدا، وأسلمت على يده مملكته كلها، وأما في ولايات الهوسا فإن الإسلام دخل في كَنُو مثالا في القرن الرابع عشر، وأول ملك أسلم فيها هو علي يَاجِي (١٣٨٥-١٣٤٩) وانتشر الإسلام في عهده<sup>(١٣)</sup>.

ثم ساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية كثير من العلماء الذين يمرون بشمال نيجيريا في طريقهم إلى الحج ذاهبين أو عائدتين، وذلك قبل ظهور الدعوة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فُودِي، كالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ أحمد بابا التنبكتي وغيرها.



وعندما قام الشيخ عثمان وأنصاره بالجهاد لنشر الإسلام في أوائل القرن التاسع عشر، كان أكبر همهم بعد تحطيم الوثنية نشر مبادئ الإسلام الصحيحة والثقافة العربية، فكثر المدارس القرآنية والمعاهد العلمية في مختلف ربوع الدولة من سوكونو وكنو وكشنا وزاريا وغوند وبوتشي وغيرها، فأنتجت هذه المعاهد علماء مثقفين بالثقافة العربية والإسلامية ازدهرت اللغة العربية وانتشرت على أيديهم وعلى أيدي تلاميذهم شيئا فشيئا، فكانت لغة الثقافة والعلم، وقد عني بها عدد وفير من أهل نيجيريا فجعلوها لغتهم الأولى دونوا بها المؤلفات ونظموا القصائد والأشعار، وقد برع الكثير منهم براعة تضعهم في مستوى الكتاب العرب<sup>(١٤)</sup>.

ظل التعليم الإسلامي والعربي ينمو ويتطور من القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثالث عشر، وحينئذ بدأ يتقلص بسبب الاستعمار الذي حارب الفكر الإسلامي واللغة العربية، وعمل على نشر الثقافة الأوربية واللغة الإنجليزية بالبلاد، فأخذت اللغة الإنجليزية تحل محل اللغة العربية بعد أن مهد الإنجليز لتعلمها السبل والأسباب، ورفعوا شأن من يعرفها وجعلوها اللغة الرسمية للبلاد<sup>(١٥)</sup>.

لكنه على الرغم من تقلص نفوذ اللغة العربية وتراجع الثقافة العربية في المنطقة خلال فترة الاستعمار البريطاني التي امتدت نحو ٦٠ عاما، فإن ذلك لم يكن ليقضي على هذه اللغة وهذه الثقافة بصورة كلية، فسرعان ما عاد إلى اللغة العربية والثقافة العربية بصفة عامة مكانتها بعد رحيل المستعمرين واستقلال البلاد في شمال نيجيريا، وغدت تحتل مكانة عالية لدى شعوب المنطقة حتى أخذت تنافس الثقافة العربية التي نشرها الاستعمار وتزاحمها في المنطقة<sup>(١٦)</sup>.

#### المحور الرابع: أثر الثقافة العربية في شعوب شمال نيجيريا.

يقطن شمال نيجيريا في الوقت الراهن شعوب عديدة تتباين في عاداتها وتقاليدها ودياناتها، لكن أهم شعوب المنطقة التي يبدو عليها أثر الثقافة العربية بصورة واضحة إلى جانب نفوذها في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي هي الهوسا وال فولاني والكانوري، فلهذه الشعوب الثلاثة مكانة عالية في شمال نيجيريا كان لها تاريخ عريق في المنطقة.

تأثرت هذه القبائل أكثر من غيرها في هذه المنطقة بالثقافة العربية بصفة قوية منذ توغل الإسلام في المنطقة إلى يومنا هذا، فأصبحت الثقافة العربية جزءا لا يتجزأ من عاداتها وتقاليدها وأفكارها وكيانها وصورة حياتها<sup>(١٧)</sup>. وعلى الرغم من أن هذه اللغات لا تمت إلى العربية بصلة من حيث الأصل إلا أنهم قد استعاروا منها ما لا يقل عن خمس كل واحدة منهم، ولا شك أن الخمس كثير، إذ ليست هناك لغة أخرى خارجة عن نطاق اللغات السامية استعارت من العربية أكثر من هذا المقدار إلا اللغة الفارسية<sup>(١٨)</sup>. ويمكن حصر أجلى النواحي التي يبدو فيها أثر الثقافة العربية في هذه الشعوب الثلاث فيما يلي:

### ١ - مفردات اللغة

واضح كوضوح الشمس أن هذه الشعوب الثلاثة قد أخذت أو استعارت - إن صح التعبير - قسطا كبيرا من مفردات لغاتها من اللغة العربية، وقد عالج الدكتور علي أبو بكر الموضوع في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا"<sup>(١٩)</sup>، وذكر أن كلا من لغة الهوسا ولغة الفولاني قد استعارت ما لا يقل عن خمس مفرداتها من اللغة العربية. فكلمات: أَلْقَالِي، أَلْجِيْحُو، سِرْد، لِيْمَامِي، لِنَزَامِي، في اللغة الهوساوية مثلا كلها مأخوذة من الكلمات العربية: القاضي، اللجام، السرج، الإمام، اللجام. كما أن كلمات نحو: مُودُو، أُنِيِيْحُو، أَلْكَمَارِي، بِنْدِقَار، شِيْهُو في اللغة الفولانية مأخوذة من الكلمات العربية: مؤدب، النبي، القمح، بندقية، شيخ. وكذلك كلمات نحو: أَدْن، لِيْرَا، كِتَاو، لُوْر، أَلْرَم، في اللغة الكانورية مأخوذة من الكلمات العربية: الدين، الآخرة، الكتاب، الإبرة، القلم.

فهذه نبذة من مئات الكلمات التي استعارتها هذه شعوب من العربية وأصبحت من

مفرداتها.

### ٢ - التقاليد

فيما يتعلق بالتقاليد، فإن هذه الشعوب قد تأثرت بالثقافة العربية في مجالات كثيرة تتصل بعاداتها وتقاليدها، ومن مظاهر ذلك أسماء أفراد هذه الشعوب، فإن أكثر الأسماء لهذه الشعوب ذكورها وإناثها أسماء عربية إسلامية، إلا أنه قد يحدث تغيير بسيط عند النطق ببعض

هذه الأسماء، وهذا يرجع إلى طبيعة اللغة التي استعارت الاسم من العربية، فقد تحذف بعض الحروف ليلائم الاسم مع وضعها اللغوي كما في "نوح" يقولون "نُه" أو يغير الحرف الذي لا يستعمل في لغتها بالحرف المستعمل كما حدث في الاسم السابق؛ وكما في "مصطفى" يقولون "مسطفى" بالسين في محل الصاد، أو يبدلون الحرف بحرف آخر كما يبدلون الصاد طاء، ثم يدغمون الطاء في الطاء فيقولون في "مصطفى" "مُطْفَى" (٢٠).

ومن الملاحظ أن أثر الثقافة العربية في شعوب هذه المنطقة لا تتوقف عند حد اللغة والتقاليد في التسمية وغير ذلك لدى المسلمين فحسب، بل يمتد إلى مجموعات أخرى غير المسلمة فمن ذلك جريان ألفاظ عربية إسلامية على ألسنة أفراد وجماعات ليس لها علاقة مباشرة بالثقافة العربية، كجريان ألفاظ عربية إسلامية على ألسنة المسيحيين الذين يعيشون في أوساط المسلمين، نحو: "السلام عليكم، والحمد لله، ولفظ الجلالة عند القسم، والله، وسبحان الله، علاوة على ذلك يتسمى بعضهم بأسماء عربية إسلامية فتجد على سبيل المثال فيهم أسماء نحو: حسن، وإبراهيم، ومحمد وفاطمة وما إلى ذلك.

### ٣- التأليف والنظم

من مظاهر تأثير الثقافة العربية في شعوب شمال نيجيريا، استعمال اللغة العربية من قبل العلماء والأدباء والمثقفين بالثقافة العربية في مجال التأليف والنظم، وقد كان لهذا النشاط تاريخ عريق إذ تفيد شواهد تاريخية أن لعلماء منطقة كانم برنو وأدبائها وعلماء بلاد الهوسا وأدبائها نصيبا كبيرا في تأليف الكتب وإنشاء الرسائل ونظم القصائد الشعرية باللغة العربية. وظل هذا النشاط إلى يومنا هذا، فتجد العلماء والأدباء في المعاهد الدينية التقليدية مع أقرانهم المعلمين في المدارس والأساتذة في الكليات والجامعات ينتجون أعمالا تأليفية وآثارا أدبية قيمة باللغة العربية تتناول شتى المجالات الحياتية بما في ذلك الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك. ويضاف إلى ذلك وضع المؤلفات باللغات المحلية باستعمال الحروف العربية، وهو ما يعرف بـ"أجمي"، وهذه ظاهرة تأليفية وأدبية شائعة ومعروفة لدى معظم شعوب شمال

نيجيريا لاسيما شعوب الكانوري والهوسا والفلايني، إذ أن لكل منها أعمالا تمثل هذا النوع من النشاط التأليفي منذ القدم إلى الحاضر. (٢١)

#### ٤ - مجال التعليم

لعل من النواحي التي يبرز فيها أثر الثقافة العربية في شمال نيجيريا هو مجال التعليم العربي الإسلامي، إذ "الاتكاد قدم الإسلام تثبت في بلد من البلاد حتى تتأثر ثقافته في أرضها، ولاتلبث حتى تظهر فيها مدرستان عربيتان أولاهما: المدارس القرآنية وثانيهما مدرسة العلوم (المعاهد).

فقد انتشر في كل من بلاد كانم برنو وبلاد الهوسا عبر العصور والقرون مدارس وكتاتيب قرآنية ومعاهد تقليدية لنشر العلوم الإسلامية قبل ظهور الاستعمار الغربي في المنطقة، ثم ظهرت المدارس الإسلامية الحديثة على غرار المدارس الغربية التي انتشرت في البلاد بعد مجيء المستعمرين، وكذلك الكليات والجامعات وأخذت كل منها تساهم إلى حد بعيد في نشر الثقافة العربية في المنطقة بصورة ملحوظة، فقد خرجت هذه المدارس والكليات والجامعات عددا لا يعد ولا يحصى من التلاميذ والطلاب في مجال التعليم بما في ذلك حاملي الشهادات والدرجات العلمية العليا، إضافة إلى الأعداد الكثيرة للمثقفين بهذه الثقافة بواسطة النظام التعليمي القديم الذي شاع في المنطقة قبل مجيء الاستعمار.

#### الخاتمة

تناولت هذه المقالة بصورة موجزة تعريف الثقافة بصفة عامة لغة واصطلاحا، ثم نظرت إلى الثقافة العربية الإسلامية نظرة سريعة ألفت من خلالها ضوءا على مكانتها بين ثقافات الأمم الأخرى سبقتها في العالم البشري، وكيف اتصلت وتوغلت إلى شمال نيجيريا واتصلت بشعوبها منذ قرون عديدة، ثم أسفرت عن بعض مظاهر تأثير هذه الثقافة في أهم القبائل الموجودة في المنطقة. ومن ثم توصلت المقالة إلى نتائج منها:

١ - أن أكثر القبائل انتشارا في شمال نيجيريا هي: قبيلة الهوسا، وقبيلة الفولاني، وقبيلة الكانوري.

٢- أن الثقافة العربية راسخة في ربوع هذه الشعوب منذ قرون عديدة.

٣- أن تأثير الثقافة العربية الإسلامية منتشر في هذه المنطقة حتى ظهر أثره في عادات أمم لاعلاقة لها بالإسلام.

## الهوامش والمراجع

- ١- محمد بن بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٨٤. بتصرف.
- ٢- أحمد محمد عاشور، تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً، [www.alukah.net](http://www.alukah.net)، ص ١٢. بتصرف.
- ٣- المرجع نفسه والصفحة.
- ٤- عباس العقاد، الثقافة العربية، مصر، القاهرة، الهداوي، صفحة ٧، بتصرف، د|ت.
- ٥- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، صفحة: ١١.
- ٦- المرجع نفسه، ص: ١٢.
- ٧- المرجع نفسه، ص: ١٢.
- ٨- آدم عبدالله الإلوري (الشيخ): الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص: ١٥١.
- ٩- المرجع نفسه، ص: ١٥١.
- ١٠- المرجع نفسه، ص: ١٥٢.
- ١١- محمد مي أبوكر (الدكتور)، أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا: دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية المنعقد بمدينة دبي عام ٢٠١٤م، ص: ٢.
- ١٢- شيخو أحمد سعيد غلادنتي (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م، المكتبة الإفريقية، ط ٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص: ٢٨. بتصرف.
- ١٣- المرجع نفسه، ص: ٣٣.

- ١٤- المرجع نفسه، ص: ٤١ .
- ١٥- أحمد شلبي (الدكتور) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٢م، ص: ٦٠٢ .
- ١٦- محمد مي أبوكر (الدكتور)، المصدر السابق، ص: ٤ .
- ١٧- المرجع نفسه، ص: ٤ .
١٨. على أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، دار الأمة، الطبعة الثانية ٢٠١٤م، ص: ٤١٣ .
١٩. المرجع نفسه، ص: ٤١٤ .
- ٢٠- آدم عبدالله الإلوري (الشيخ): الإسلام في نيجيريا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ \_ ١٩٧٨م، ص: ٥٢٠ .
- ٢١- محمد مي أبوكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٦ .

## أثر الثقافة العربية في ثقافة قبيلة هوسا - فلاني في نيجيريا

محمد أول حاشد

قسم اللغة العربية، كلية القانون والدراسات الإسلامية

نَافَطَ، ولاية عُمني

07035414703

و

يوسف علي موسى

كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية

مسو، ولاية بوشي

08036399228

### المقدمة:

لكل ثقافة هوية، ولكل أمة ثقافة تعبر عن كونيتها، وتعكس طبيعتها وتسجل عطاءها الكبير عبر مرور الأيام والسنوات، فالثقافة قيمة جوهرية أصيلة ومصدر لحركة الإبداع الإنساني في تجلياته المتنوعة، حيث تتكيف مع المحيط الإنساني، لأن طبيعتها لدى أي أمة من الأمم وفي كل عصر من العصور مؤثرة في غيرها أو متأثرة بغيرها.

وليست الثقافة العربية بمعزل عن الثقافات الأخرى، فهي لم تكن في أي مرحلة تاريخية منعزلة ومنطوية على ذاتها جامدة لا تتحرك، راکدة لا تتفاعل، عقيمة لا تؤثر أو تتأثر، فهي ثقافة حية نابضة بالحياة، تنمو وتتطور، بحسب القدرات التي توفرت لدى الأمة العربية، للنمو العقلي والفكري، والنضج الحضاري لأنها ذات مصادر مستمدة من القيم الخالدة التي جاء بها الوحي الإلهي، قرآنا وسنة.

ومن هذا المنظور نفهم أن الثقافة العربية أصبحت ظاهرة بارزة في كل بقاع العالم التي حل بها العرب، فنيجيريا التي كانت عضوا لهذه البقاع منذ العصور الوسطى، أو القرن الحادي عشر



على وجه التحديد، ساعدها الاندماج الثقافي على التأثر بالثقافة العربية في لغاتها وتقاليدها وآدابها، حتى قيل من الصعب جدا أو من المستحيل أن يوجد الآن، الفصل بين ما هو ثقافة عربية وما هو ثقافة محلية لبعض القبائل النيجيرية لشدة ما يلاحظ من تزاوج بين الثقافتين ورسوخ آثار الثقافة العربية في الثقافات المحلية لهذه المنطقة<sup>١</sup>.

### أثر الثقافة العربية في قبيلة هوسا فلاني:

تسكن نيجيريا في القديم والحال قبائل عديدة تختلف في عاداتها وتقاليدها ودياناتها، فمن أهم القبائل التي تظهر فيها معالم الثقافة العربية بصورة واضحة إلى جانب نفوذها في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، هي هوسا- فلاني<sup>٢</sup>، ولهذه القبيلة مكانة عالية في نيجيريا كما كان لها تاريخ أصيل في المنطقة، وستتطرق إلى أهم النواحي التي برز فيها أثر الثقافة العربية في هذه القبيلة، فيما يلي:

### أثر الثقافة العربية في العادات

للثقافة العربية أثر في معظم عادات سكان المنطقة الشمالية في نيجيريا، كما إذا نظرنا إلى بعض أسماء الملابس التي تلبسها هذه القبيلة مثل: الكَبَّاء، في اللغة الهوسا وألْكَبَّاري في اللغة الفلانية، فهي مأخوذة من اللغة العربية "الجبة" وألْجَيْفُو في اللغة الهوسا، وِجَيْب في اللغة الفلانية، مأخوذ من اللغة العربية "الجيب" وِخَرَمِي في اللغة الهوسا وِجَرَامُوْل في اللغة الفلانية، مأخوذة من اللغة العربية "الحرم" وِجَجَابِي في اللغة الهوسا وِجَجَابِيُوْل الفلانية، مأخوذة من اللغة العربية "الحجاب"

وفي الجانب التقليدي، وخاصة فيما يتصل بالتسمية، نجد كثيرا من الأسماء المستعملة لدى هذه القبيلة في تسمية أولادهم مأخوذة من أسماء عربية إسلامية، وإن نال بعضها تحريفات بسيطة مثل مَانُو، مَمَّنْ، سُلِي حَلَّرْ دَوْدَا إِيْد وغيرها، في الهوسا فهي مأخوذة ومحرفة عن أصولها العربية، عثمان أو سليمان، محمد، خضر، داوود، إدريس<sup>٣</sup>.

كما أن أسماء نحو بُوبَا، يُورُو، حَمَّنْ، لدى الفلانيين مأخوذة ومحرفة عن أصولها العربية، أبوبكر، إبراهيم، محمد، جبريل<sup>٤</sup> وكذلك كيفية لبس بعض الثياب مثل: العمامة والقلنسوة وغيرها.

وفي النظر إلى إمارة هذه القبائل تجد كثيرا ما تستعمل الأسماء العربية في تنصيبهم للرؤساء، مثل كلمة: وَزِيرِي فِي الهوسا وَوَزِيرِيْجُو فِي الفلانية، مأخوذة من اللغة العربية "الوزير" وَكِيلِي فِي الهوسا وَوَكِيلِيْجُو فِي الفلانية، مأخوذة من اللغة العربية "الوكيل" وتجد كذلك نوع اختصار مناصب الأمراء لا تجد فرقا يذكر بين معظم قبائل العرب وسكان بعض المناطق في نيجيريا وتوليتهم إياها. وكذلك في استعمالهم الأسلحة الحربية مثل: السيوف، والرماح، والسكاكين والجُنَات، واستعمالهم الخيول في الرحلات والحفلات واتخاذها آلات للزينة، والملاحظة تأثر ثقافة هذه القبائل بالعربية لم يقتصر على ما ذكر فقط، بل حتى على بعض المأكولات والمشروبات، مثل: الكُبْسُ وَالْكََاكِي وَالْيَوَا، وكل هذه الأسماء مأخوذة من العربية. "الخبز، الكعك، الحلوة" وغير ذلك.

#### أثرها في النحو:

فيما نشاهد عند استعمال معظم اللغات لسكان نيجيريا نعرف أنها تتأثر بالنحو العربي مثل: لغة الهوسا، فقد انقسمت كلماتها إلى اسم وفعل وحرف كالعربية، "سُونَا" "أَيْكِي" "حَرِي" ، وكذلك في الفعلية والفاعلية والمفعولية، "أَيْكِي" "أَيْكَتُو" "كَرْبُو"، وغير ذلك. وفي النظر إلى الضمائر المستعملة في معظم اللغات ندرك أنها قلما تخلو من الضمائر العربية، فلنضرب الأمثلة باللغة الفلانية في ذلك: إنها تأثرت بالعربية في جوانب متعددة، كبعض الحروف في ضمائها مع ما لا مفر منه من التغييرات والانحرافات البسيطة، وحذف بعض الحروف أو إبدالها حرفا آخر، مثل: أَنْ مأخوذة من العربية أَنْتَ وَأَنْتِ، وَمِيْنُ فِي أنا وَمِيْنُ فِي نحن وَأَنْنُ فِي نحن أيضا، وَهَنْكُو فِي هو وَهَمِّي فِي هم وهن وَأَنْنُ فِي أنتم. وعند تأمل هذه الضمائر المستعملة في هذه اللغة يظهر لنا أن معظم الحروف فيها حروف عربية مع ما فيها من التحريف.

وكذلك تجد قضية التذكير والتأنيث في الهوسا مأخوذة من العربية مثل: لِتَأْفِنِكَ مأخوذة من اللغة العربية "كتائبك" لِتَأْفِنِكَ مأخوذ من اللغة العربية "كتائبك"، واتصال الضمائر فيها بالياء في حال التذكير وفي حال التأنيث بالتاء مثل: يَأْزُو مأخوذ من اللغة العربية "جاء"، وتَأْزُو مأخوذ من اللغة العربية "جاءت"، إلا أنها تأتي في أول الكلمة في الماضي والمضارع، خلاف اللغة العربية. ومن هنا نفهم أن الاستعمال لم يدل إلا على تأثير اللغتين بالعربية.

### في العروض:

بناء على أن قبيلة (هوسا - فلايني) متأثرة بالثقافة العربية في كثير من عاداتها وتقاليدها، فالأمر لم يتوقف إلى حد هذه العادات فحسب، بل حتى في شعرها وعروضها كما نرى في قول معاذ هَطِيَجَا في إحدى قصائده:

= مُعَنَّعَرَا أَدَمَاوَا \*\*\* غَرِنُ طِيَا بَا بَاوَا  
 = وُرِنُ غِيَطَا عُنُ دَاوَا \*\*\* أِبْنَشِ نَانَنُ دِيَوَا  
 دَأَزْزِكِي نَسَانِيَا

وقول علي تمنغي زاريا:

= عَاكَ مَيَّوَعْدِي دَطَطِي \*\*\* مِي يَسَا وَاوَا كُرُوَطِي  
 = كُوَا دَمَنُ وُنْدِي كَحَرَطِي \*\*\* شَكْرُنْكَ دَسْنُكَ شُوَطِي  
 كُنْنَا بَادَا سُدَاوِيَوَا

وكذلك ندرك تأثير قبيلة (هوسا - فلايني) بالثقافة العربية في الأوزان أو التزام القوافي، وفي كما في قول الشيخ الناصر كَبَر:

= نَا تُوَبَ نَابِ ائِبْنَعِجِي \*\*\* نَا دَيْنَا أَيَكِنُ مُنْكَرِي<sup>٦</sup>  
 مستفعلن / مستفعلن \*\*\* مستفعلن / مستفعلن

إلى قوله:

= يَا رَبِّ كَيِّ مَنَا عَافَرَا \*\*\* دَنُ سَيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِي

وكذلك في قول عبد الله كُني:

=مَفْطِرِي نُنْدِ رَبِّ الْعَرْشِ اللَّهُ\*\*\* دَنْ سَيِّ صَلَاةٍ نُدُو بُرْنَاطُ بُرْنَابِي

إلى قوله:

= تُوَيْبِ عُرْتُو بُتُوَيْبِنَا وَلَا تُفْئِي\*\*\* يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّ عُلْدِ هَفْرَبِي

مستفعلن فعلمن/مستفعلن فعلمن/ مستفعلن فعلمن/ مستفعلن فعلمن

وهناك تأثير واضح في التزام القوافي الداخلية والخارجية أو التكرار. وخير شاهد لذلك ما قاله علي طَنْ سَيِّدٍ فِي إِحْدَى قِصَائِهِ:

سُكُّكُمْ مَكَّا كِي كَا كَفْ كِمِكُمْ\*\*\* دِرْقَاشِي أَيِكِنْ يَإِي كُوَيْشِنْ كَاسَا

وكذلك قول الشيخ عبد الله كُني:

تُوُّ وَجْمَا مُرَّرٌ\*\*\* تُوُّ وَجْمَا مُرَّرٌ

وَلَكَاجِ فُو مُرَّرٌ\*\*\* كُوُودِفُو سُور

فُوْمُنْ يَرِي مُرَّرٌ<sup>٧</sup>

ومثال هذا التكرار للكلمات أو الحروف في اللغة العربية قول إمرئ القيس:

= وَسَنْ كَسْنِيْقِ سِنَاءِ وَسِنْمَا\*\*\* ذَعَرْتُ بِمَدْلَاجِ الْهَجِيرِ نَهْوُضُ<sup>٨</sup>

وقول الأعشى:

ولقد غدوت إلى الحانوت يتبعني\*\*\* شاو مثل مثل شلول شلشل شول<sup>٩</sup>

إذا تأملنا ما سبق إيراده نعرف أن الثقافة العربية لها تأثير كبير في ثقافة هذه القبائل.

### في التأليف والنظم والترجمة:

من مظاهر تأثير الثقافة العربية في قبيلة (هوسا فلايني) استعمال اللغة العربية من قبل العلماء والأدباء والمثقفين بالثقافة العربية في مجال التأليف والنظم، وقد كان لهذا النشاط تاريخ طويل، إذ تفيد شواهد تاريخية أن لعلماء المنطقة التي تسكنها هذه القبيلة وأدبائها حظا وافرا في تأليف الكتب وإنشاء الرسائل ونظم القصائد الشعرية باللغة العربية، وكذلك في مجال التفسير والترجمة<sup>١٠</sup>.

وقد انتشر عن هذه العملية في القبيلة مثلا ترجمة القرآن الكريم وتأليف كتب أخرى باللغة الهوسوية والفلانية، كما نلاحظه في آثار الشيخ عبد الله بن فودي، فمنها تأليفه في التفسير: "ضياء التاويل إلى معاني التنزيل"، وكذلك محمد الناصر كبرا تأليف في التفسير بلغة هوسا: "إحسان المنان"، ولجلس راية الشيخ عثمان بن فودي أَدَمَاوَا "توضيح القرآن في اللغة الفلانية" وغير ذلك.

وكذلك مما يعجب القراء والباحثين أن الشيخ محمد الناصر كبر وهبه الله سبحانه وتعالى موهبة برع فيها على سائر العلماء والأدباء حيث يستطيع تفسير النظم العربي بالنظم الهوسوي كما في تفسيره لمنظومة الإمام يحيى القرطبي حيث يقول:

قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ حَقًّا بِيَرِّي \*\*\* كَمَرٌ يَزِدُ كَكَرْبُؤَا عُرْنُ أَحْمَدَنْ  
كَطَيْتَ تَعَالَى دَصَلًا دَزْكََا \*\*\* دَصَوْمُ دَحَجْنُ عَرْنُ أَحْمَدَنْ

وهذا تفسير قول يحيى القرطبي:

قواعد الإسلام خمس فاعلم \*\*\* ما جاء في نص الحديث المحكم  
أولها التوحيد والصلاة \*\*\* ثم الصيام بعده الزكاة  
وحج بيت الله للمسطاع \*\*\* ذاك الذي بأشرف البقاع

وقد أظهر هذا الشيخ براعته وتفوقه على أقرانه في عصره، حيث تتبع هذه المنظومة من البداية إلى النهاية وهو يفسرها بما بدا له في النظم الهوسوي، ملازم الأبواب والفصول حسبما نظمها صاحبها بلا خلاف ولا تغيير في المعنى والدلالة.

#### الخاتمة

لقد استطعنا بحول الله وقوته أن نسلط الضوء على بعض الظواهر التي أثرت فيها الثقافة العربية في ثقافة قبيلة (هوسا - فلاني) في نيجيريا، والتي تعتبر من أقدم القبائل الإفريقية نالت حظا وافرا بتلقي الثقافة العربية منذ ظهورها على القارة، وقد كشفت هذه الدراسة، أن لهذه القبيلة ثقافة راسخة، وأثرا بارزا في المنطقة، وهذا يتمثل كما نشاهد أمامنا في عدة مجالات، منها

العادات، والنحو، والعروض، ومن التزام القوافي الداخلية والخارجية، وفي التأليف والنظم والترجمة وغير ذلك.

أخيرا، أكدت هذه الدراسة - مع كونها موجزة - وجود أثر الثقافة العربية في قبيلة هوسا فلاني في نيجيريا من مجالات عديدة ذات أثمار يانعة تصلح للدراسة والبحث، وتشجعنا كذلك على العناية بالآفاق الجديدة في مسيرتنا البحثية.

الهوامش والمراجع

- ١- انظر أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا للدكتور محمد مي أبوبكر ص ٢.
- ٢- المرجع نفسه ص ٣.
- ٣- المرجع نفسه ص ٤.
- ٤- المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ٥- مخطوطة الشيخ طاهر عثمان بوشي وعندنا نسخة.
- ٦- انظر وَأَقْرَ إِنْفِرَاجِي ج ٢ ص ٣.
- ٧- انظر معارج الوصول للشيخ الناصر كبير، ج ١، ص ٨.
- ٨- انظر مخطوطة الشيخ عبد الله كُني.
- ٩- انظر مختار الشعر الجاهلي، ط، ٥ ص ٦٥.
- ١٠- انظر خزانة الأدب، ج ٣، ص ٢٢٥.

## إسهامات الشيخ عثمان أولانسي في نشر الثقافة العربية والإسلامية في نيجيريا

إدريس محمد محمد

جامعة ولاية نصرأوا، كيني

08065475928

و

ولانسي حسن عثمان

جامعة الوفاق الدولية، نيامي جمهورية نيجر

+٢٣٤٨١١٠٤١٢٠٠٢/+٢٣٤٨١٨٨٩٦٢٠٨٣

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.  
كانت مدينة إبادن من المدن التي حظيت بالثقافة العربية والإسلامية في نيجيريا، فنالت شرفا كبيرا بوفد العلماء إليها من كل فج عميق، ولعب الوافدون دورا لا يستهان به في نشر الثقافة العربية والدراسات الإسلامية في ديار نيجيريا. وكان الشيخ أبو القاسم عثمان أولانسي من أولئك العلماء العاملين بما أتاهم الله، وقد في نمو الفكر الديني في زمانه، حيث قاد رجال زمانه بما جاء به من مدينة زاريا مسقط رأسه في فترة من الزمن، وما زالت آثاره تقرأ من قبل تلاميذه إلى يومنا هذا.  
وتهدف هذه الورقة إلى إبراز بعض أدوار هذا الشيخ في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة مع إشارات بصيصة إلى قصائده وحكمه البالغة التي صارت مضرب مثل في جنوب بلاد يوربا خاصة، وفي نيجيريا عامة.



اسمه، مولده ونسبه:

هو أبو القاسم عثمان "أكنبي" بن عبد الله بن يوسف بن حبيب الله أولانسي<sup>١</sup>. ولد في بلاد زاريا<sup>٢</sup> في منطقة تسمى بـ "كوفاندوكا"<sup>٣</sup> (kofa doka) في ولاية "كادونا"، يوم الأربعاء جمادى الآخرة. ولم يُعرف على وجه تحديد سنة ولادته.

كان الشيخ رحمه الله ينتسب من جهة أمه (عائشة) إلى مدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا<sup>٤</sup>. وينتسب من جهة أبيه يوسف أيودابو (Ayodapo) إلى يوريا؛ من مدينة "إبادن" عاصمة ولاية أويو، وتعد أسرته: "لانسي" من أوائل الأسرة التي استقرت في مدينة إبادن منذ تأسيسها.

كان والده يوسف "أيودابو" تاجرا ثريا، ويعمل مع الحكومة في نقل القطار من شتى بلاد يوريا إلى بلاد هوسا والبلدان المجاورة، ويتصف بالعدالة والأمانة في عمله وحب العلم وأهله، فقد أتى به القدر إلى بلاد زاريا وأخذ معه زوجته "السيدة عائشة" فسكننا هنالك إلى حين، وهناك أنجب الشيخ مع بقية الأولاد، وكان الشيخ هو الولد الوحيد، وله أختان اسمهما "زينب وجميلة" فالأسف أنهما توفيتا في الغربية، وبقي الشيخ وترا بين يدي أبويه<sup>٥</sup> رحمهم الله جميعا.

### ج- حياته العلمية:

قد أسلفنا القول بأن أبويه سافرا إلى بلد زاريا من أجل العمل الحكومي فاستوطننا هنالك حتى رزقا بولادة الشيخ فيه، وقد يكون هذا السفر بداية رحلته العلمية، وكان أبوه محبا للعلم وأهله، فلما بلغ حدّ التمييز، بحث له عالما كفتا يساعده على التكوين تكويننا علميا، فذهب به أبوه إلى معلم من علماء بلاد زاريا حينذاك، بعد تدبّر وتفكّر من إنسان صالح يجدر ترك ابنه له لتعلم الدين منه<sup>٦</sup>، وذلك في نفس المنطقة "كوفادوكا" kofa doka التي يسكن جل علماء الشريعة في بلاد زاريا عهدئذ، وخاصة العالم الكبير اسمه "الشيخ مالم ثاني أبوبكر" الذي ذاع صيته أنه عارف بالله ومعلم الصبيان<sup>٧</sup>، وكان لا يفارق بيته إلا بعد العشاء.

وقيل: إن الشيخ رحمه الله خدم أستاذه خلال ثمان و ثلاثين سنة<sup>٨</sup>، وقيل أكثر من خمسين سنة ٥٠، والبعض قالوا إنهم لا يستطيعون تحديد سنة قضاها في دار شيخه، وقد سمعنا أن الشيخ

عثمان لانسي أخبر أستاذه ذات يوم أنه أراد العودة إلى مسقط رأس أبيه، فقال له أستاذه: "يا عثمان إن مثلك في بلاد يوريا كمن لبس الديباجة والذهب ثوبا، وتوجه صوب الحقول ومزارع الأعشاب ويظهر لهم لباسه، ألا ترى أن الحيوانات هم الذين يشهدونه؟ فإنهم لا يعرفون لك من قيمة. ابق معنا هنا، فإن أهاليك هناك لا يعرفون قيمتك قط"<sup>٩</sup>.

وبعد وفاة الشيخ مالم الثاني أبوبكر تغمده الله برحمته، اعتقد بعض تلاميذ مالم الثاني مغادرة بيت أستاذهم إلى معلم آخر، لأنهم ظنوا أن أبناء أستاذهم ليست لهم الكفاءة المعتمد عليها ليتعلموا علم الدين على أيديهم، فهذا شغل بال أبناء الشيخ مالم الثاني وأكبر تلاميذه الشيخ عثمان لانسي، وكان شيخ لانسي يستطيع تدريسهم، ولكن لأنه "بيريسي" (يوريا) لم يسلموا له يد القيادة والاستفادة منه.

ثم أسس مدرسته الخاصة في حي "سابونغيري" ورزقه الله عدّة تلاميذ، فلما بلغ الناس عن وجهوده في المكان الذي انتقل إليه، جاؤوه وافدين، وبعد أن تبين له ذلك خاف أن تعود مدرسة أستاذه إلى الإهمال وخمود الذكر، فعاد إلى بيت أستاذه مرة ثانية مع جميع تلاميذه؛ فتوقف من التنقل من "كوفاندوكا" إلى أي مكان آخر<sup>١٠</sup>.

### عودة الشيخ إلى بلاد يوريا:

قضى الشيخ عنفوان شبابه في بلاد زاريا على طلب العلم وإفادة الآخرين، وبقدرة الله جل وعلا أنفق كل حياته على الدعوة والإرشاد. فقد اختلفت الآراء في سنة عودة الشيخ لانسي نهائيا من بلاد زاريا إلى بلاد يوريا، وبلغنا أن الشيخ عاد عام ١٩٣٨م<sup>١١</sup>، وفي رواية أخرى أنه تقدّم من زاريا إلى إبادن في ٣١/٠٢/١٩٣٦م، وقيل وافق هذا اليوم يوم وفاة أديبسي (Adebisi) أحد أعيان بلدة إبادن يومئذ<sup>١٢</sup>، فاستطاع خلال مكوثه في إبادن أن يقوم بأعباء الدعوة الإسلامية معلما ومؤلفا وداعية ومرشدا، استفاد منه الكثير وخرّج عددا من التلاميذ، ثم توفي يوم الثلاثاء جماد الأخرى الموافق ١٤-٠٤-١٩٥٤م. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

### جهود شيخ لانسي في نشر الثقافة العربية في نيجيريا:

يعنى بالجهود الآثار المرئية وغير المرئية الظاهرة في لسان الحال، فالشيخ عثمان لانسي من أكابر علماء بلاد يوربا الذين تجاهل بعض المؤرخين آثارهم في مؤلفاتهم. فقد بدأ الشيخ لانسي نشر اللغة العربية وآدابها منذ أن توفي أستاذه على حد قول الشيخ قاسم عثمان لانسي المتوفي ٢٠١٤م، فجمع أفئدة من تلاميذ أستاذه وعلمهم ما تعلم من أستاذه الشيخ مالم الثاني أبوبكر الزاري.

وكان أوّل ما تفضّل به الشيخ لانسي هو الدعوة إلى الإسلام التي هي فريضة على كل مسلم، وواجب كل عالم، ووجوبه كوجوب الشرع على عباد الله؛ وخاصة المتعلّم منهم، فقد ثبت لدى كثير من الناس أن الشيخ عثمان لانسي يقوم بدعوات وإرشادات في كل ربوع مدينة إبادن، ويحدّثهم عن فعل المنكرات والمحرمات والبدع، وكان رحمه الله يذكر البدع التي يرتكبها الناس وبعض العلماء في البلد، وبلغنا أن الشيخ لم يكن يسبّ أحدا ولا يتناول عليهم، إلا أنه يقدّم البيان حول أمور الدين؛ وهذه هي الحكمة والأساليب البالغة التي دلت عليها تعاليم الإسلام طبقا لقوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" سورة النحل آية ١٢٥، وشهد له على ذلك كثير من الناس، وبجانب العملية الدعوية يعلّم الأجيال أمور دينهم، وقد ثبت أنه أول من جاء بكتاب "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" إلى بلاد إبادن<sup>١</sup>، فيقع أكثر جلساته الوعظية في أيام رمضان الكريم، حيث يستنبط الأحكام الشرعية في كل آية وصل إليها، ويفسّرهما على النمط الصحيح للتفسير، إنه رحمه الله تعالى بارع في علوم الشريعة والفقه، وله في الأدب شيء لا يستهان به.

### أسلوبه في التدريس:

إن أوّل ما أسسه الشيخ في زاريا بعد وفاة أستاذه مدرسته في "سابونغري"، رزقه الله بعدة التلاميذ، فلما بلغ الناس عنه وجهوده في المكان المنتقل إليه، جاؤوا وافدين إليه تاركين مدرستهم، وبعد أن تبين له ذلك خاف أن تتخلّى مدرسة أستاذه فيضيع ذكرهما، فعاد إلى

بيت أستاذه مرة ثانية مع جميع تلاميذه؛ فتوقف من التنقل من "كوفاندوكا" إلى أيّ مكان آخر<sup>١٥</sup>. فخلف في زاريا عديدا من التلاميذ، منهم من لحق به بعد المغادرة، كالشيخين؛ عبد الحميد يهوذا والشيخ محمد بلا والشيخ محمد الجامع من زاريا.

وقيل بأنه جلب معه كتب اللغة والأدب والميراث، عند عودته إلى مدينة إبادن فكرس حياته في تدريس أبناء البلد اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وجاء في معرض بعض الكتاب عنه بأن الله: "أكرم هذا البلد بوجود الشيخ عثمان عبد الله يوسف أولانسي في العقد الثالث من القرن الماضي في بلاد إبادن؛ وقد جاء إلى البلد بالعلم وقصد نشره، حيث كان أوّل من أتى ببعض كتب اللغة إلى إبادن منها نوابغ الكلم، وتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير الطنطاوي الجوهري، ومقامات الحريري، ومختصر الخليل، وشرح ابن عقيل، وكان الشيخ عثمان رحمه الله يأمر طلابه بحفظ هذه النصوص، ولاسيما متون علم اللغة كمقصورات ابن دريد وألفية ابن مالك"<sup>١٦</sup>.

كان يدرّس هذه النصوص من كتب الفقه والدين، ويفرض عليهم حفظها، فكلّ طالبٍ يكتب دروسه في قرطاس مقطوعة، فقد عثر الباحثان على بعض نسخ من المخطوطات، إلا أن بعضها مرّت عليها السنين. وكان رحمه الله ينزل في لاغوس ليعلم بعض الناس علوم الدين والفقه فقد عثر الباحثون على بعض مخطوطات كتبها تلاميذه حين يتلقون منه الدروس الدينية في الحديث عن فضل شهر شعبان<sup>١٧</sup>.

وقد أخبرنا الشيخ سليمان زاريا، وكان والده أحد تلاميذ الشيخ، بأن أباه يقول له وتلاميذه الآخرين حين يشرح لهم النصوص الدينية، إن الشيخ لانسي يفسرها بلغة يوربا ومن أجله هو يفسرها بلغة هوسا، ثم يطالبهم بحفظها<sup>١٨</sup>، لذلك لم يهتم الكثير منهم بحفظ هذه المخطوطات إلا قليلا منها، وتلك هي عادة كل من كان علمه يحفظ عن ظهر قلب.

وأشار كثير من تلاميذه إلى علاقته مع الشيخ محمد غبريم بن محمد الداغري، وقد كان يزور الشيخ لانسي في إبادن، وآخر نزوله كان للتعزية بعد وفاته سنة ١٩٥٤م، وقيل إنه قدّم تأليفا من مؤلفاته إلى الشيخ لانسي ليحتفظ به له، وأنه أرسل كتابه المشهور "جهاز السارح السائح

والسابع العاكف الفالح في توجيهات بالصلاة الفاتح" إلى خليفته الحاج قاسم عثمان لانسي، وبقية أولاد الشيخ لانسي.

شاعريته:

كان الشيخ لانسي رحمه الله تعالى كاتباً ناهماً، وشاعراً مفلحاً، وكان جلّ أشعاره في المدائح النبوية والشعر الصوفي، والدعاء والمناجاة، والوعظ والإرشاد، ومنها أبياته الشهيرة مالتى كتبها مدحا لأحد تلاميذه الشيخ عبد الغني صلاح الدين المشهور بـ"بابا لوبا"، وقيل بأن أبيات القصيدة أكثر مما عثرنا عليه إلا أنّها ضاعت بسبب إهمال بعض الناس لها، ومطلعها:

جميع تلاميذي مصاييح في الدنا \* وجنة فردوسٍ جلوس جميعنا

وقد اختار عبد الغني إلهُنا \* وقولوا جميعا بارك الله ربنا

فقد سمّي مدرسته بعده بـ"مدرسة تنوير الإسلام"، وانتقلت المدرسة من مقرّه "أريما أوجابو" إلى مكان خصص لصلاة العيد في حيّ "أوري ميحي إيدي" ( ore meji, yidi) في مدينة إبادن، وكان مدير المدرسة حينذاك ابنه الشيخ مرتضى عثمان أولانسي، فتخرّج على يدي أبنائه وتلاميذه المتعاونين في المدرسة آلاف من طلاب العلم قبل أن صارت تاريخاً.

ثم تفرّعت من تلك المدرسة: "تنوير الإسلام" مدارس عدّة في إبادن وبلدان أخرى في شمال نيجيريا وجنوبها، فمنها معهد الشيخ عبد المؤمن الإسلامي، للشيخ عبد المؤمن تيجاني، وشمس السعود الإسلامي للشيخ عبد المجيد ألييتا، وكلّ هذه عمرت أكثر من سبعين سنة، ثم المؤسسة على النظام الثقافي "المعهد العربي النيجيري" لمؤسسها الشيخ مرتضى عبد السلام، التي احتفلت بستين سنة من تأسيسها في هذه السنة. وقد لقي حفيده حسن لانسي بمالم محمد الثاني بن عبد المؤمن تيجاني في ولاية برنو ميدوغوري، وهو كذلك سمّي مدرسته بـ"تنوير الإسلام" على غرار مدرسة درس فيها والده الشيخ عبد المؤمن تيجاني.

مما سبق عرض سريع لإبراز آثار الشيخ لانسي وجهوده في نشر الثقافة العربية في ديار نيجيريا، إضافة إلى تسليط الضوء على مكانته العلمية بين أهل العلم في زاريا وإبادن ولاغوس، ومساهمة فعّالة في إمداد روح البقاء للدراسات العربية من خلال إنتاجاته العلميّة ومهنته التدريسيّة، ثمّ دعوته التي تعين على إحياء السنة النبوية العليّة، وأنه من العلماء ذوي العزم الفائق، والمشهورين في بقاع بلاد يوريا بصفة خاصة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا البحث هو أنّ جل أعمال أو مكتوبات هذا الشيخ مخطوطة احتفظ بها أصحابها، ويرون من تقديسها عدم سماح لنشرها لترى نور الطباعة، فمن ثمّ لم يستطع الباحثان لقاء خليفته للعثور على بعض هذه الأعمال العلميّة الغزيرة ولا لتحقيقها.

وما زالت هناك جهود متواصلة لتحقيق هذا الهدف، ولنشرها وإدخالها بعد الدراسة في سلك الآثار الخالدة. وبالتالي لم تنحصر جهوده في نشر اللغة العربية فحسب، بل تعدّها إلى علوم الشريعة، علما أن أسلوب دعوته يسعى نحو محاربة البدعة والكفر في ذلك العهد، ونوصي الباحثين بأن يهتموا بهذا السّفر المهمل، لكي يساعد على نشر الثقافة العربية من خلال أعمال علمائنا في غرب إفريقيا.

## الهوامش والمراجع

- أصل قبائل يوربا، آدم عبد الله الألوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، أجيبي نيجيريا، س/بدون، ص: ٤.
- زاريا بلدة تقع في ولاية كادونا في شمال نيجيريا، عرفت من قبل بـ"بلاد زازو" تسمية على ملك البلد، وكلمة زاريا تأتي في [wikipedia](#) - وتعني "امرأة جميلة" - على ألفاظمتنوعة كالآتية: .zaria,zariya,dhariya.
- مقابلة شفوية مع الإمام الشيخ محمد القاسم أطورومولا، نهار يوم الخميس ٢٠١٤/٠٣/٢٠ م.
- مقابلة شفوية مع الإمام الشيخ قاسم أولانسي، نهار يوم الجمعة ٢٠١٤/٠٣/٢١ م.
- The rev. Samuel Jonhson, The History of The Yorubas, edited by: Dr. O. Johnson, Lagos, CSS book shops limited, first Edition: 1921, reprinted: 2017. P.g: 294.
- مقابلة شفوية مع الإمام الشيخ قاسم أطورومولا أولانسي، نهار يوم الخميس ٢٠١٤/٠٣/٢٠ م.
- كان من حسن التربية أن يميّز الآباء والأمهات بين المعلمين الذين سيقدمون أبناءهم إليهم للإرشاد والتعليم، فإنهم أصل معرفتهم ومغرس عقيدتهم، فإن أحسنوا فبهم الحسن، والعكس كذلك.
- مقابلة مع الإمام الشيخ قاسم أولانسي، نهار يوم الخميس ٢٠١٤/٠٣/٢٠ م.
- لقاء مع الإمام الشيخ قاسم أطورومولا أولانسي، نهار يوم الجمعة ٢٠١٤/٠٣/٢١ م.
- مقابلة مع الإمام الشيخ قاسم أطورومولا أولانسي، نهار يوم الجمعة ٢٠١٤/٠٣/٢١ م.
- مقابلة مع الإمام الشيخ قاسم أطورومولا أولانسي، نهار يوم الخميس ٢٠١٤/٠٣/٢٠ م.
- مقابلة شفوية مع الإمام الشيخ قاسم أطورومولا أولانسي، نهار يوم الجمعة ٢٠١٤/٠٣/٢١ م.

- مقابلة مع الدكتور عبد القادر بن قاسم بن عثمان أولانسي، يوم السبت ١٥/٠٣/٢٠١٤م عن الشيخ عبد الغني بابا لوبا سنة ١٩٩٨م.
- مقابلة مع الدكتور عبد القادر بن قاسم بن عثمان أولانسي، يوم السبت ١٥/٠٣/٢٠١٤م عن الشيخ عبد الغني بابا لوبا سنة ١٩٩٨م.
- مقابلة مع الشيخ عبد القادر بن قاسم بن عثمان أولانسي، يوم الجمعة ١٤/٠٣/٢٠١٤م.
- منهل الظمآن في كرامات الشيخ عثمان لانسي، تأليف الشيخ عبد الله بن صلاح الدين أولودو، مكتبة ابن جنيد، ولاية أوغن، نيجيريا، جزء الثاني، سنة ٢٠١١م ١٤٣٢هـ ص: ٤.
- من أواخر علماء لاغوس المبرزين في العلم والسياسة، وُلد عام ١٨٩٢م، ثم توفي بلاغوس سنة ١٩٦٧م له حظّ وافر في العلم.
- مقابلة مع الشيخ الخليفة عبد القادر بن الشيخ عبد الغني بابا لوبا في مسجد الشيخ لانسي، يوم الأربعاء ٩/٠٤/٢٠١٤م.



## الثقافة العربية في ولاية غومبي

Usman Lamido Duwo

+2348066825038

### المقدمة

تضمنت هذه المقالة قضايا الثقافة العربية والحقائق التاريخية المتعلقة بمنطقة ولاية غومبي كتعليم القرآن الكريم والأحزاب الدينية وبعض الإمارات التي بني أساسها على قواعد الدين الإسلامي.

وقد كان لتاريخ الثقافة العربية في ولاية غومبي دور هام ومزبة لا تنكر، وله أثر قوي في دفع عجلة تقدم اللغة إلى الأمام؛ لأن دراسة العربية لا تكون تسلية بذكر الوقائع والأخبار فقط، ولكنها تكون تذكرة وتربية لأحوال الأمم الماضية وبيئاتهم المختلفة في العصور الماضية لتحسين شؤونهم في الحياة الحاضرة.

وبالعودة إلى فجر تاريخ تطور ثقافة اللغة العربية في ولاية غومبي وجدنا أنه يستغرق سنوات عديدة منذ اتساع النفوذ الإسلامي، ولكنه تاريخ محدود في دائرة ضيقة في بعض الحكومات لم يتسع إلى سواها؛ لأن علماء ولاية غومبي كانوا لا يكثرثون بتدوين حوادث بلادهم التي شاهدوها، ولا بدراسة أحوال أرضهم التي نشؤوا فيها وترعرعوا فوقها، وإنما يطمحون إلى دراسة أحوال البلاد النائية ويصرفون النظر عن بلادهم الدنية.

وقد كان لغومبي علماء جهابذة أنشؤوا المعاهد والمدارس، فليس هناك عالم إلا له معهد تقليدي يقدم فيه دروسه لطلاب العلم. وستلقي هذه المقالة الضوء البصيص على دور المدارس النظامية في نشر الثقافة العربية والمواد المدروسة في ولاية غمبي، كما أنها ستتناول إسهامات العلماء الأجلاء الذي تخرجوا في هذه المدارس حسب الطاقة فيما يلي.

### التعريف بولاية غومبي:

كانت ولاية غومبي إحدى ولايات شمال نيجيريا، وتقع في وسط شمال شرقي نيجيريا، وتتحد ببلدتها في الغرب بدارزو (Darazo) وكِرْفِي (Kirfi)، وفي الجنوب الغربي تتحد بحكومة أَلْقَالِيرِي المحلية (Alkali) الواقعة، في ولاية بُوتْشِي (Bauchi)، وفي الجنوب تتحد بحكومة كَرِيم لَامِيْطُو المحلية (Karim Lamido) الواقعة في ولاية تَرَابَا (Taraba).

وفي شمالها الشرقي تحُد (Gombe) بحكومة فَيْكَا المحلية (Fika) الواقعة في ولاية يُوبِي. وأما حدودها النهرية التي تصدر عنها الماء، فهي نهر عُونُغُولَا الذي اشتمل على كثير من الأرض الجنوبية، من البحيرة المجاورة، وينتهي إلى نهر "نُومَن" في ولاية أَدَمَاوَا (Adamawa).<sup>١</sup>

وفي الشرق تحُد ولاية غومبي حكومة بَايُو المحلية (Bayo) الواقعة تحت ولاية بُرْئُو (Borno)، وقد توجد جداول المياه المختلفة التي تسقي نهر غونغولا من ولاية آدموا. وكان يسكن ولاية غومبي قبائل كثيرة، وأكثرها انتشارا ونفوذ القبيلة الفلانية التي كانت تسكن شمال الولاية، وتليها قبيلة بُولَاوَا (Bolawa) التي تسكن ولاية نفسها، ثم قبيلة تيرًا (Tera) التي تسكن حكومة ديبا المحلية (Deba) الواقعة في شرقي الولاية، وكذلك كما توجد قبيلة جُوكُن (Jukun) التي تسكن الجنوب الغربي في حكومة أُوْكُو المحلية (Akko)، وأكثرهم مسلمون مع أنهم يسكنون مع عبدة الأوثان.

وهناك أيضا قبيلة تَنْغَالِي (Tangale) التي تعد من أشهر قبائل مدينة غومبي، وهي متديّنة بالدين الإسلامي والمسيحي، ولكن المسيحيين هم الأكثر في حكومات كبليري (Billiri) وكَلْتُنْغُو (Kaltungo) وشَنْغُوْم (Shongom) وبلَنْغَا (Balanga)، غير أن كل من هذه الحكومات لا تخلو من قبائل هوسا وفلان المنتشرة في كل أنحاء حكومات ولاية غومبي.<sup>٢</sup>

### تطور اللغة العربية وثقافتها في ولاية غومبي:

دخلت اللغة العربية في مدينة غومبي منذ دخول الإسلام في ولايات هوسا في القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أن الإسلام واللغة ليس لهما قوة ولا نفوذ ولا نظام تام في تلك الأيام، حتى جاء العصر الفلاني بتأسيس الدولة الفودية على يدي المجاهد الكبير الشيخ عثمان بن فودي، حين أرسل تلميذه الشيخ "بُوبَا يَرُو" إلى بلاد غومبي لنشر الدعوة الإسلامية، ثم أضحى أميراً بدون قتال ولا نضال<sup>٣</sup>، وأسست إمارة غومبي في تلك المنطقة سنة (١٨٠٤م)، ومن ثم أسلم أكثر أهلها، فاصطبغت حياة المدينة بصغة إسلامية، ثم اعتنق ملوكهم الدين الإسلامي وجاهدوا في الله حق جهاده، فانتشرت الثقافة العربية والإسلامية في المنطقة وتوسعت رقعة الإسلام ببناء المساجد وتأسيس المدارس القرآنية والمعاهد العلمية، مما ساعد كثيراً على تطوير اللغة العربية والدراسات الإسلامية<sup>٤</sup>.

وفي التراث الديني، فإن ولاية غومبي لا تقل أهمية عن سائر الولايات الشمالية النيجيرية في إنشاء المدارس العديدة التي تدرس فيها الدراسات الإسلامية والعربية بالطريقة التقليدية، وكان طلابها اليوم يشاركون في النشاطات العلمية، إذ يتسابقون في الفعاليات الإسلامية، وللشباب نصيب أوفر؛ إذ يوجد فيها الخريجون من المدارس الإسلامية النظامية الذين ساهموا في الحركة الثقافية العربية الإسلامية في ولاية غومبي.

وقد تعد مدينة غومبي مركزاً هاماً من مراكز تطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية في شمال شرقي نيجيريا، حيث يوجد كثير من الكتاتيب والمعاهد الدينية واللغوية تدرس فيها العلوم العربية والدراسات الإسلامية، حيث يجمع كل عالم بين اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فالعالم باللغة العربية، هو العالم بالدراسات الإسلامية، فلذلك تجد كل عالم متفتناً؛ لأن نظام الدراسة في تلك الأزمنة يجمع بين الثقافتين معاً.

ففي ثقافة العربية والإسلامية يبدأ الطالب تعلّمه بالكتب الفقهية البسيطة، كقواعد الصلاة<sup>٥</sup> والأخضري<sup>٦</sup>، والعشماوي<sup>٧</sup>، والعزبة<sup>٨</sup>، والرسالة<sup>٩</sup>، فيندرج هكذا إلى أن يصل إلى المطولات، وفي النحو يبدأ الطالب بكتاب الأجرومية، ثم ملححة الإعراب، ثم قطر الندى إلى أن يصل إلى

ألفية ابن مالك<sup>١٠</sup>. وفي الأدب يبدأ الطالب بالكتب المنظومة، أمثال بردة المديح والهمزية، ثم العشرينيات، ثم مختار الشعر الجاهلي والمعلقات إلى أن يصل الطالب إلى مقامات الحريري. وفي الحديث يدرس الطالب كتاب الأربعين النووي، وعمدة الأحكام وبلوغ المرام، ثم موطأ مالك، ثم الصحاح الست، ثم يدرس التفسير، ويدرس كذلك الصرف والبلاغة والعروض للتمكن في اللغة العربية.

وقد قسم المرحوم الدكتور علي أبوبكر العلماء القائمين بالتدريس في هذه المعاهد إلى

قسمين:

- العلماء المتفنون.

- العلماء المتخصصون.

وهذا فيما يبدو، تقسيم مجازي، لأن نظام التخصص غير موجود في تلك الأزمنة، وهكذا المعاهد بالذات، فليس تخصصاً بمعنى الكلمة وإنما هو عبارة عن ميول العالم كما هو معلوم أن لكل إنسان ميوله واتجاهاته المخصوصة له، فمن العلماء من يميل أكثر إلى العلوم الشرعية فيعتنى بها أكثر في التدريس، ومنهم من يميل إلى الدراسات اللغوية فيعطيها اهتماماً كبيراً<sup>١١</sup>. وأما حالة المدارس النظامية في غومبي، فهي لا تختلف عن حالتها في بقية البلدان بشمال نيجيريا، فكل عالم يستطيع أن ينشئ معهداً أو مدرسة، فيقوم هو بنفسه بالتدريس في جميع الأيام ما عدا يوم الخميس والجمعة، أو يوكل بعض تلاميذه، أو بعض أبنائه بذلك العمل، ويكون التدريس فيها مجاناً في أغلب الوقت تعبداً لله وابتغاء مرضاته وأداءً لواجب الدين المفهوم من قوله - صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية".

ومن العلماء الذين أنشؤوا المدارس العربية والإسلامية في ولاية غومبي ما تأتي أسماؤهم:

(١) الشيخ إبراهيم بَعُو.

(٢) معهد الشيخ مَنْزُو بن آدم.

(٣) معهد الشيخ مُودُبُو جُبُو.

(٤) معهد الشيخ مُودِبُو تَكَر.

- ٥) معهد الشيخ تجاني وَزِير.
- ٦) معهد مودبو علي مَائُو دَاغ.
- ٧) معهد الشيخ حسن مَرَوَا.
- ٨) معهد الشيخ مودبو إدريس.
- ٩) معهد الشيخ عيسى شَنْعُو.
- ١٠) معهد الشيخ علي غَارُوزِ.
- ١١) معهد الشيخ أحمد بُولَارِي.
- ١٢) معاهد القاضي أبو بكر سَمْبُو نَافَطَ.
- ١٣) معهد سعيد دُكُو.
- ١٤) معهد ليمن عمر فَنْدِغَا.
- ١٥) معهد مودبُو غرغا.

وهناك معاهد كثيرة في أنحاء هذه الولاية وسنذكر بعضها، مع تقديم نبذة من تراجم المؤسسين خشية الإطالة.

#### أولاً: معهد الشيخ منذو بن آدم

نشأ الشيخ منذو بن آدم في بيت كريم الأصل والحسب، أخذ مبادئ العلوم اللغة العربية والإسلامية على يد والده المرحوم الشيخ آدم بن آدم، ولما شب وترعرع أرسله والده إلى أزري طلباً للعلم، ثم انتقل بعد ذلك إلى مِسَو، ومنها انتقل إلى كَانُو حيث استقر عند الشيخ تجاني زَنْغُون بَرِي - بَرِي، حتى أصبح عالماً متفناً في العلوم الإسلامية والعربية، ولما توفي والده رجع الشيخ مَنَدُو إلى بلده غومبي وأخذ ينشر العلم في المنطقة، وكان يجلس للتدريس كما كان معروفاً في أيام أبيه من الصباح بعد صلاة الصبح مباشرة إلى المساء، وكان يدرس الفقه والحديث والتوحيد والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والأدب والتاريخ الإسلامي، ولم يزل كذلك إلى أن وافته المنية عام (١٩٦٢م). رحمه الله رحمة واسعة.

أسس الشيخ مدرسة نور الإسلام لإحياء سنة خير الأنام، عام (١٩٧٠م)، ولعبت هذه المدرسة دورا إيجابيا في تربية أبناء المسلمين وتعليمهم أمور دينهم والثقافة العربية<sup>١٢</sup>.

### ثانيا: معهد الشيخ مودبو تكرر

كتب الشيخ مُودِبُو تَكْرُز عن حياته في أوراق مخطوطة بيده، حيث ابتدأ بقوله: أنا محمد بن آدم بُوطُو بن محمد تكرر، وُؤلد مودبو تكرر في قرية تسمى (بَاكَادِر) في حكومة أَكُو المحلية في العام (١٣٣٥م) الموافق (١٩١٤م)، من أبوين كريمين فلانيين، ثم انتقل والده إلى شِبَال (Shabal) إحدى قرى أَكو بغومي فنشأ تحت كنف والده الذي قام بتربيته وتأديبه بتربية إسلامية، وكان والده عالما كبيرا وكان يلازمه في معظم ساعاته<sup>١٣</sup>.

بدأ الشيخ تعليمه القرآن الكريم على يد والده إلى أن حفظ القرآن ودرس مبادئ العلوم عند والده، ثم بدأ ينتقل من هنا إلى هناك طلبا للعلم، ولم يزل ينتقل من عالم إلى عالم آخر حتى استقر أخيرا في كانو عند الشيخ تجاني (زَنْغُون بَرِي-بَرِي)، فلأزمه حتى أصبح عالما متفنا، ثم أجازته شيخه بإجازة التدريس وطالبه بالرجوع إلى بلده غومي ليؤسس معهدا ويواصل في نشر العلوم العربية والإسلامية، فرجع إلى غومي وعكف على التدريس على نفس المنهج المعتاد في البلاد حتى توفاه الله سنة (١٩٨٣م)<sup>١٤</sup>.

وقد أنشأ الشيخ مودبو تكرر

كلية مودبو تكرر للغة العربية والثقافة الإسلامية عام (١٩٧١م)، فهي من أقدم المدارس النظامية في نشر ثقافة اللغة العربية والإسلامية في ولاية غومي، وقد تطورت تطورا ملموسا حتى أصبحت ضمن المدارس الثانوية التي تعطي الشهادة الثانوية في ولاية غومي<sup>١٥</sup>.

### المدارس والكليات النظامية الحكومية

هذه المدارس والكليات لا يمكن أن يذكرها الكاتب إلا سردا لضيق المقال؛ لأن كل حكومة محلية تتمتع بها إلا حكومة واحدة وهي: حكومة شَنْغُو المحلية (Shango)<sup>١٦</sup>. ولهذا، يمكن بعض هذه المدارس النظامية الحكومية في ولاية غومي كما يلي:

١. كلية تدريب معلمي اللغة العربية، والتي أصبحت الآن كلية الدراسات العربية؛ فهي أقدم الكليات وأكبرها في نشر الثقافة العربية، ولقد أسست هذه الكلية سنة (١٩٦٠م)، وهي كلية كبيرة جدا. وهي ليست تحت الولاية وإنما هي كلية فدرالية أسست في مدينة غومبي. ويأتيها الطلاب من أنحاء نيجيريا طلبا للدراسات العربية والإسلامية، كما أن المدرسين يفدون إليها من الدول العربية كمصر والسودان وليبيا، وكذلك دول غرب إفريقيا مثل غانا (Ghana) و مالي (Mali) وغيرها<sup>١٧</sup>.

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتنقسم إلى قسمين:

١. قسم الدراسات الإسلامية العالية.

٢. قسم الدراسات الثانوية.

فالقسم الأول كل شيء فيه يجري باللغة العربية ما عدا المواد الإضافية مثل الإنجليزية ولغة هوسا. وهذه الكلية لعبت دورا هاما في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وخاصة في ولايات الشمال الشرقي وما جاورها، وتخرج دفعات كثيرة من المعلمين فانتشر خريجوها في الدولة ونالوا مناصب كثيرة في مجال القضاء والتدريس والوظائف الحكومية الأخرى، ووصل بعض خريجي هذه الكلية إلى أقصى مراحل التعليم حيث يوجد منهم دكاترة وأساتذة وما زالت تؤدي رسالتها إلى يومنا هذا، وقد رجعت هذه المدرسة تحت مدارس الحكومية لولاية غومبي، ويبلغ عدد طلابها حوالي ألف طالب<sup>١٨</sup>.

وفتح فيها قسم الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتربية، وذلك في عام (٢٠٠٤)، وقد تخرج في هذه الكلية اثنتا عشرة دفعة، وما زال يواصل سيره في التعليم إلى اليوم. وكانت لهذه الكلية معادلة بمعهد التربية، بجامعة أحمد بللو زاريا.

ومن المدارس الثانوية التي تتماشى مع كلية الدراسات العربية من حيث المنهج والمواد المدروسة:

- كلية كويني للغة العربية والدراسات الإسلامية، والتي أسست عام (١٩٧٨م)، على يدي المرحوم الحاج إسحاق عُمنّا، وألحقت أيضا بمعهد التربية بجامعة أحمد بلو زاريا.

- مدرسة العلوم العربية والإسلامية التابعة لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، فرع جوس، أسست عام (١٩٩٢م) وألحقت كذلك بمعهد التربية أحمد بللو زاريا.
  - معهد تحفيظ القرآن والثقافة الإسلامية التي أسسها الحاج إبراهيم زمفرا عام (١٩٩٤م)، وألحقت بمعهد التربية جامعة أحمد بللو زاريا.
  - مركز تحفيظ القرآن والثقافة الإسلامية التابعة لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة فرع كدونا، وألحقت بمعهد التربية جامعة أحمد بلو زاريا<sup>١٩</sup>.
- وقد لعبت هذه المدارس دورا إيجابيا في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية حتى أدت إلى إنشاء المعاهد والجامعات التي يوجد فيها أقسام تدرس فيها الدراسات الإسلامية، وكانت للغة العربية فيها نصيبها في المواد المدروسة.

#### الخاتمة

تلك هي ظاهرة الثقافة العربية في ولاية غمبي، والتي تثبت اهتمام أهلها باللغة العربية والدراسات الإسلامية. الوضع الذي أدى إلى وجود عدّة المدارس الأهلية والحكومية بناء على الكتابات التي انتشر منها الوعي الثقافي لإرساء التعاليم الإسلامية العربية في الولاية. لقد استطاعت المقالة؛ المقدمة أن تؤرّخ لفترة دخول الإسلام وثقافته في الولاية ثم أشار إلى تطور اللغة العربية وثقافتها بذكر أقدم معاهد اللغة العربية وأطوارها في نشر الثقافة العربية والإسلامية، وكذلك المدارس النظامية ودورها في تطوير اللغة العربية وثقافتها في ولاية غومبي.



الهوامش والمراجع

١. الحسن شيخ ملري: مساهمة د. إبراهيم القاصي، بحث تكلمي مقدم إلى كلية الدراسات العليا جامعة ميدغري للنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها سنة ٢٠١١ ص ١٠
٢. tarihin masarautar Gombe، Nagodi Musa Ibrahim ، p.13،2012
٣. عبدالله آدم إلورن (الشيخ)، الإسلام في نيجيريا، مكتبة الوهبة دار المصرية القاهرة، سنة ٢٠١١م، ص: ١١٨
٤. المرجع السابق، ص: ١١٩
٥. أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي، السيدة- كتاب قواعد الصلاة في مذهب إمام مالك
٦. عبدالرحمن العلامة- الأخصري، كتاب الأخصري على مذهب إمام مالك
٧. صالح عبدالباري (الشيخ) كتاب العشماوي على مذهب إمام مالك
٨. أبو الحسن (المالكي الشاذلي) كتاب العربية على مذهب إمام مالك
٩. أبو زيد القيروان، كتاب كبير في الفقه على مذهب إمام مالك
١٠. آدم محمد عمر/ إسهامات الشيخ يحيى أحمد في الخطابة العربية وتطورها في مدينة غومبي/ بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بامعة ميدغري قسم اللغة العربية سنة: ٢٠١٢ ص: ٢١
١١. علي أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا - ١٧٥٠-١٩٩٠م عام الإستخلال، دار الأمة لوكالة المطبوعات كانوا نيجيريا، الطبعة الثانية س ٢٠١٤ ص: ٢٢٣
١٢. وزير أبوبكر المرجع السابق ص: ١٧
١٣. آدم محمد عمر إسهامات الشيخ يحيى أحمد في الخطابة العربية وتطورها في مدينة ميدغري قسم اللغة العربية، عام ٢٠١٢ ص: ١٢
١٤. آدم محمد عمر - المرجع السابق، ص: ١٣

١٥. مقابلة الشخصية مع أبناء المرحوم الأستاذ محمود مودبو تكرر. يوم الخميس ٢-٣-٢٠١٨ مساء.

١٦. مقابلة شخصية مع مدير الكلية السيد محمد ابوبكر صباحا ٢٨-٢-٢٠١٨

١٧. محمد كبير إسماعيل، مساهمة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية غومبي، بحث  
الليسانس مقدم إلى جامعة أحمد بللو زاريا سنة ٢٠٠٥ ص: ٦٦

١٨. آدم محمد عمر المرجع السابق ص: ١٥

١٩. محمد كبير إسماعيل المرجع السابق ص: ٦٦

## أثر الثقافة العربية في الثقافات النيجيرية الشمالية:

### (الثقافة الهوسوية نموذجاً)

يحيى طاهر

08038872165

قسم اللغة العربية،

كلية ولاية جغاوا للشريعة والدراسات الإسلامية، رنغم

#### المقدمة

أصبحت الثقافة العربية ظاهرة بارزة في كل بقاع العالم التي حلّ بها الإسلام، لا سيّما المناطق التي يلاحظ فيها الوجود الإسلامي بصورة مكثّفة. فشمال نيجيريا الذي كان جزءاً من المناطق الإسلامية منذ العصور الوسطى، أو القرن الحادي عشر الميلادي على وجه التحديد، كما تفيده المصادر التاريخية المحلية، يتميز بكونه منطقة تتمتع بانتشار الثقافة العربية وتقدمها وانصهارها مع ثقافات الشعوب التي تعيش في الأراضي الشاسعة لهذه المنطقة. وإنه من الصعوبة - إن لم يكن من المستحيل الآن - الفصل بين ما هو ثقافة شعوب عربية وما هو ثقافة محلية لهذه الشعوب لشدة ما يلاحظ من تزاوج بين الثقافتين ورسوخ آثار الثقافة العربية في الثقافات المحلية لهذه الشعوب<sup>١</sup>.

إنّ تاريخ اللغة العربية في بلاد هوسا عامة وشمال نيجيريا على وجه الخصوص، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بانتشار الإسلام في تلك البقاع، والهوسويون أنفسهم ينظرون إلى اللغة العربية والدين الإسلامي بوصفهما وجهين لعملة واحدة، وكثيراً ما يستخدمون العبارتين مترادفتين<sup>٢</sup>. وللهوسوية وثقافتها صلات متينة وتجارب ثرة مع اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي امتدت عبر قرون. لذلك تعتبر اللغة الهوسوية أكثر اللغات الإفريقية - باستثناء السواحيلية - تأثراً باللغة العربية<sup>٣</sup>.

وعلى ضوء ما سبق ذكره، فهذا المقال بعنوان: أثر الثقافة العربية في الثقافات النيجيرية الشمالية: (الثقافة الهوسوية نموذجاً). يتكون من النقاط التالية:

- التعريف بالثقافة العربية.
- نشأة الثقافة العربية.
- مصادر الثقافة العربية ومقوماتها وخصائصها.
- نبذة عن منطقة شمال نيجيريا وانتشار الثقافة العربية فيها.
- التعريف بالشعب الهوسوي وثقافته.
- أثر الثقافة العربية في الثقافة الهوسوية في شمال نيجيريا.
- التحديات التي تواجه تقدّم الثقافة العربية في منطقة هوسا بشمال نيجيريا وحلولها.
- الخاتمة؛ وتحتوي على خلاصة المقال ونتائجه والتوصيات.
- الهوامش والمراجع.

### التعريف بالثقافة العربية

**الثقافة في اللغة:** كلمة مشتقة من مادة (ث - ق - ف)، ومصدرها (التقف)، والفعل (تقف)، يقال: ثقف الشيء إذا لزم، وثقفت الشيء: تعلمته بسرعة<sup>٤</sup>. وثقف الرجل: صار حاذقاً وفطناً<sup>٥</sup>. وقيل الثقافة هي: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها<sup>٦</sup>. وبعبارة أخرى: الثقافة في اللغة العربية من الفعل (تقف)؛ أي صار حاذقاً، وتثقف الشيء يعني تسويته وتهذيبه وصقله، فالثقافة إذن، تعني التسوية وتهذيب والصقل<sup>٧</sup>.

**والثقافة اصطلاحاً:** هي مجموعة من الأعراف والطرق والنظم والتقاليد التي تميز جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها<sup>٨</sup>.

وعرفت منظمة اليونسكو (UNESCO) الثقافة بمعناها الواسع في مؤتمرها الخاص بالثقافة بأنها: "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"<sup>٩</sup>.

يستخلص من التعريفات السابقة حقيقة كون الثقافات لا تصنعها الشعوب بوعي، وإنما هي تصنع وتتكون من عناصرها من تلقاء نفسها عبر الأجيال، أثناء تجارب الشعوب الطويلة مع الحياة ومع البيئة ومع غيرها من الأمم<sup>١٠</sup>.

### الثقافة العربية

يقصد بالثقافة العربية: "ثقافة الشعوب التي اعتنقت الإسلام"<sup>١١</sup>. وقيل: الثقافة العربية هي: "ثقافة الأمة العربية، التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها"<sup>١٢</sup>.

يجب أن نتنبه هنا في إطلاق مصطلح "الثقافة العربية" فقط دون ثقافة الشعوب الإسلامية التي لغتها غير عربية، مثل: باكستان، وإيران، وبنجلادش، وغيرها، فهو إطلاق مجازي، لأنه ليس هناك فرق بين إطلاق مصطلح "الثقافة العربية" و"الثقافة العربية الإسلامية"، على ثقافة الشعوب الناطقة بالعربية فقط،<sup>١٣</sup> كما أن إطلاق مصطلح "الثقافة الإسلامية" الذي يشير إلى ثقافة الدول الإسلامية الناطقة بغير العربية يعني الثقافة العربية الإسلامية<sup>١٤</sup>.

### نشأة الثقافة العربية

عند الحديث عن نشأة الثقافة العربية، يمكن القول إنها نشأت مع مجيء الإسلام وانتشرت بانتشاره؛ حيث شملت رقعة واسعة من العالم، امتدت من غانة إلى فرغانة، ومن المحيط الأطلسي إلى الصين، وقد دخلت شعوب مختلفة الثقافات في حوزة الإسلام، وانصهرت ثقافتها المختلفة في بوتقة الإسلام، وخرجت لنا الثقافة العربية الإسلامية التي غطت هذه الرقعة المتسعة من الأرض، وظلّ العالم الإسلامي دولة واحدة لعدة قرون، لها رئيس واحد هو الخليفة، ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية، وعاصمة واحدة هي عاصمة الخلافة، يتنقل الناس والتجار والرحالة في أرجائها... وقد ظلّت ثقافة شعوبها سواء كانت دولة واحدة أم عدّة دول "ثقافة" واحدة حتى أواخر القرن الماضي [القرن العشرين الميلادي]، عندما احتلّ الاستعمار أغلب دول العالم الإسلامي، وعمل على غزو "الثقافة العربية الإسلامية"، وهُدّد

وحدتها، وقد ظلّت الثقافة العربية الإسلامية محافظة على وحدتها لم تتغيّر مفاهيم عناصرها حتى أواخر القرن العشرين الميلادي<sup>١٥</sup>.

### مصادر الثقافة العربية ومقوماتها وخصائصها

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأساسي للثقافة العربية الإسلامية، بفضل ما ورد فيه من تعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية، ولكونه صالحا لكل زمان ومكان، ومسيرا لمتطلبات كل عصر ومستجداته، وتشكل السنة النبوية المصدر الثاني للثقافة العربية الإسلامية. وكما اعتمد المسلمون في نهضتهم الفكرية والعلمية والحضارية على القرآن ودعوته، واعتمدوا كذلك على سنة نبيهم بعد أن جمعوها ودوّنوها وفصلوا أبوابها، واستثمروها في جهودهم العلمية ومناهجهم المعيشية، وبذلك تكون الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة أساسا من القرآن والسنة، ثقافة مفتوحة، داعية إلى التعايش والحوار والتفاهم<sup>١٦</sup>.

ويستنتج من هذا كله أن الثقافة العربية الإسلامية تختلف عن الثقافات الأخرى؛ في أنّ مقومات كلّ منها تختلف عن الأخرى؛ فالثقافة العربية الإسلامية إسلامية المصدر، يستمدّ كيانها من القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتهادات العلماء في ظل اللسان العربي المبين، بينما نجد الثقافة الغربية على وجه الإجمال، تستمدّ مصادرها من الفكر اليوناني، والقانون الروماني، واللغة اللاتينية، والتفسيرات المسيحية التي وصلتها<sup>١٧</sup>.

وأما عن مقومات الثقافة العربية، فيمكن القول إنها تتمثل في كونها عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي شأن كلّ ثقافة، تتكوّن من مقومات أساسية: فكرية وروحية، أهمها العقيدة، وهي الإسلام، واللغة العربية وآدابها، والتاريخ والتراث، ووحدة العقلية، والمزاج النفسي. وقد تأكّد أنه لا يمكن لأية ثقافة من الثقافات أن تنمو، إلا إذا كانت ذات صلة بدين من الأديان، فالدين هو الذي يكسب الحياة الاجتماعية معناها، ويمدّها بالإطار الذي تصوغ فيه اتجاهاتها وآمالها<sup>١٨</sup>.

هذا، فاللغة العربية مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة وأداة فحسب، ولكنّها لغة فكر أساسا. وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء

الإسلام، وإن كانت تحتفظ بلغاتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها فصارت تكتب بها<sup>١٩</sup>. وتجدد الإشارة هنا إلى أن ثقافات العالم مبنية على اللغة، فاللغة وعاء الثقافة، واللغة مثلها مثل الثقافة لا تنتمي إلى الوراثة أو الجنس، بل تكتسب وتتعلم<sup>٢٠</sup>.

والحديث عن خصائص الثقافة العربية يدفعنا إلى القول بأن أهم خصائصها تتميز بها الثقافة العربية، هي أنها امتزجت بالثقافات الأخرى التي كانت سائدة في عهود الإسلام الأولى، وتفتحت لعطاء الأجناس والأقوام وأهل الديانات والعقائد التي تعايشت مع المجتمع العربي الإسلامي، فصارت بذلك ثقافة غنية المحتوى، متعددة الروافد، متنوعة المصادر، ولكنها ذات روح واحدة، وهوية متميزة متفردة<sup>٢١</sup>. ومن أهم خصائص الثقافة العربية الإسلامية كذلك الانفتاح على الثقافات الشرقية والغربية، مع المحافظة على الأصول الثابتة من دون تجاوزها<sup>٢٢</sup>.

نبذة عن منطقة شمال نيجيريا وانتشار الثقافة العربية فيها:

تتكوّن دولة نيجيريا الاتحادية من ست وثلاثين ولاية بالإضافة إلى العاصمة "أبوجا"، وتحتوي منطقة شمال نيجيريا على تسع عشرة ولاية. وعلى حسب ما تفيدته نتائج التعداد السكاني عام ٢٠٠٦م ثبت أن المسلمين يشكلون الأغلبية من سكان شمال نيجيريا<sup>٢٣</sup>.

ويعيش في المنطقة الشمالية شعوب عديدة، تتكوّن من قبائل ومجموعات مختلفة، منها الهوسا (Hausa)، والفلانين (Fulani)، والكانوري (Kanuri)، كما أنّ منها النوبي (Nupe)، والتيفي (Tiv)، وغيرها. لكنّ المجموعات الثلاث الأولى تشكّل أهم شعوب المنطقة<sup>٢٤</sup>.

إنّ تاريخ اتّصال شمال نيجيريا بالثقافة العربية [وانتشارها]، هو في الحقيقة راجع إلى تاريخ الوجود الإسلامي في المنطقة، إذ يلاحظ بعض الدارسين أنّ انتشار الإسلام في إفريقيا هو انتشار لظواهر ثلاث، وهي "انتشار الثقافة العربية الإسلامية"، وانتشار الدين الإسلامي، وانتشار اللغة العربية...<sup>٢٥</sup> فهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّه لا يمكن الحديث عن تاريخ انتشار الثقافة العربية في هذه المنطقة بمعزل عن تاريخ الإسلام وانتشاره فيها، إذ أنّ هذه

الثقافة جزء لا يتجزأ عن الإسلام، وأتت من مكوثاته الأساسية. وعلى هذا يقدر أن تاريخ اتصال المنطقة بالثقافة العربية هو في الوقت نفسه تاريخ الوجود الإسلامي بالمنطقة<sup>٢٦</sup>.

هذا، وقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية بما فيها اللغة العربية والتعليم العربي، وازدهرت ازدهارا واسعا في بلاد نيجيريا، لا سيما إقليمها الشمالي عبر العصور، بجانب الدين الإسلامي، حيث اتخذت اللغة العربية لغة رسمية للدولة في مملكة كانم - برنو، وولايات الهوسا، وفي عهد الخلافة الإسلامية بسوكوتو، فكانت تصدر بها المراسيم وتجري المراسلات والمكاتبات في الشؤون الداخلية أو العلاقات الخارجية، وبها يدون التاريخ والقرارات السياسية والإدارية والقضائية، كما ترم بها العقود التجارية وغير ذلك. هذا إلى جانب استعمالها لغة للشعائر الدينية، ونشر التعليم وتأليف الكتب ونظم القصائد الشعرية<sup>٢٧</sup>.

وهكذا ظلت اللغة العربية والتعليم العربي والثقافة العربية بصفة عامة تتمتع بمكانة عالية ونفوذ قوي في شمال نيجيريا عبر العصور والقرون حتى مطلع القرن العشرين الميلادي حين ظهر الاستعمار البريطاني على أراضيه، وقام بتقليص نفوذها وعزلها عن الساحة السياسية والإدارية واستبدال اللغة الإنجليزية بها<sup>٢٨</sup>.

لكنه على الرغم من تقليص نفوذ اللغة العربية وتراجع الثقافة العربية في المنطقة خلال فترة الاستعمار التي امتدت نحو ٦٠ عاما، فإن ذلك لم يكن ليقضي على هذه اللغة وهذه الثقافة بصورة كلية، فسرعان ما عاد إلى اللغة العربية والثقافة العربية بصفة عامة مكانتهما بعد رحيل المستعمرين واستقلال البلاد. ولقد تطورت الثقافة العربية وانتشرت بصورة ملحوظة في عهد ما بعد الاستقلال في شمال نيجيريا، وغدت تحتل مكانة عالية لدى شعوب المنطقة حتى أخذت تنافس وتزاحم الثقافة الغربية التي نشرها الاستعمار في المنطقة<sup>٢٩</sup>.

#### التعريف بشعب هوسا وثقافته:

- شعب هوسا، هو أحد الشعوب التي تعيش في مناطق غرب إفريقيا في شمال نيجيريا، وجنوب غرب النيجر. وتوجد جماعات تابعة لهذا الشعب في السودان، والكاميرون، وغانا، وساحل العاج، وتشاد، كما توجد لهم مجتمعات في غرب إفريقيا. وقد انتقلت جماعات



كبيرة من هوسا إلى المدن الساحلية في غرب إفريقيا مثل لاجوس، وأكرا، وكاماسي، وكوتونو، وبعض الدول مثل ليبيا. تتجمع قبائل هوسا في قرى صغيرة تعيش على الزراعة والتربية الماشية. ويتحدثون لغة الهوسا، وهي واحدة من مجموعة اللغات التشادية، والتي تنحدر من عائلة اللغة الأفرو-أسيوي<sup>٣٠</sup>. ولشعب هوسا بشمال نيجيريا ثقافته المتمثلة في عاداته وتقاليده وأفكاره ومعتقداته، وغير ذلك مما يدخل تحت ما تتضمنه الثقافة من معان.

وأما عن ثقافة شعب هوسا التي اشتهر بها كائرا عن كائرا، فتتمثل في ممارسة الزراعة، والاستقرار في حواضر، أبرزها مدينة كنو، والتي ظلّت منذ عشرة قرون مركزا للإشعاع الإسلامي والثقافة العربية. ولقد أصبح الإسلام هو الدين السائد بين قبائل هوسا، حيث تمّ نشره على أيدي المسلمين القادمين من شمال إفريقيا، ومن مالي، والدول المجاورة الأخرى. ويُريّ الهوسويون أبناءهم على التعاليم الإسلامية منذ الصغر. وبالنسبة للزواج فهناك قواعد محددة تحكم الزواج لدى أهالي هوسا، حيث إنّ الزواج عندهم يتمّ وفق الشريعة الإسلامية. وتعتبر الموسيقى جزءا حيويا في حياة قبائل هوسا، وأمرا تقليديا يلقي الدعم من قبل هذه المجتمعات. وفيما يتعلّق بملابس أهالي هوسا وتصميمها، فإنها تكون من نفس الأزياء التي تنتشر في غرب إفريقيا<sup>٣١</sup>.

#### أثر الثقافة العربية في الثقافة الهوسوية بشمال نيجيريا:

إنّ انتشار الثقافة العربية الإسلامية في مختلف البلاد التي دخلها الإسلام، جعل كثيرا من معالم الثقافات المحلية القائمة تتكيّف مع مقوّمات الثقافة العربية الإسلامية؛ فأصبحت الطقوس والتقاليد والأعراف تنسجم في غالب الأحيان، مع ثوابت الثقافة العربية الإسلامية، حتى ولو اختلفت فيما بينها في الممارسة والتطبيق، إلّا أنّ هذا الاختلاف لا يصل إلى مجال العقائد والقيم والمقاصد، كما هو الشأن مع الثقافات غير الإسلامية القديمة والحديثة<sup>٣٢</sup>.

وعلاقة الاتصال بين اللغتين العربية والهوسوية من نوعين: اتصال مباشر وغير مباشر، فالإتصال المباشر يعني أنّ المتحدثين باللغتين يعيشون في مكان واحد في ظروف تسمح بالتأثير والتأثر مباشرة، كما هو الحال بالنسبة لمجتمعات هوسا في البلاد العربية المختلفة. أما

الاتصال غير المباشر بين اللغات فيعني ذلك النوع من الاتصال الذي يحدث من خلال التقاليد الأدبية بواسطة الكلمة المكتوبة، أو الاتصال الهامشي على مستوى الأفراد، دون أن يعيش المتحدثون بهذه اللغات في شكل جماعات في مكان واحد تحت ظروف تسمح بالتأثير اللغوي المكثف. وهذا النوع من العلاقة هو الذي كان، ولا يزال إلى حدّ ما، قائما بين اللغة العربية واللغة الهوسوية في غرب إفريقيا، وفي إطاره تحقق الأثر الحقيقي للغة العربية والأدب الإسلامي على اللغة الهوسوية وقاد إلى نشأة وتطور الأدب الهوسوي المكتوب<sup>٣٣</sup>.

ويدلّ دلالة واضحة على علاقة الاتصال بين الثقافة العربية والثقافة الهوسوية تسرب الألفاظ العربية إلى الهوسوية، ويؤكد ذلك قول الأستاذ الدكتور بدري محمد فهد: "وقد تسربت الألفاظ العربية إلى لغة هوسا في غرب إفريقيا، إذ يقدر عدد العبارات العربية فيها بـ ٥٠٠٠٠ عبارة..."<sup>٣٤</sup>.

وكما أشارت الدكتورة نادية إلى هذه العلاقة، بقولها:

"ولقد ارتبطت الهوسا بالثقافة العربية الإسلامية عدّة قرون، فكانت تكتب بالخطّ العربي، وتحتوي على عدد كبير من الكلمات العربية المقترضة، قد تزيد على ١٢٠٠ كلمة، وظلّت تدوّن بالخطّ العربي إلى أن دخل الاستعمار إفريقيا وعدل بدوره نظام الكتابة لأهداف سياسية استعمارية، حيث استبدل نظام التدوين بالخطّ اللاتيني بدلا من الخطّ العربي، وقد سار هذا النظام داخل المؤسسات الحكومية والمدارس وغيرها إلى يومنا هذا"<sup>٣٥</sup>.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه لم يبق تقليد استخدام الحرف العربي في كتابتها [الهوسا] إلّا في الأوساط التقليدية المتخصصة جدّا، أي المسنين وفقهاء أو علماء الدهاليز<sup>٣٦</sup>.

وفي هذه العجالة نذكر بعض الأمثلة كنماذج دالة على تأثير الثقافة العربية في الثقافة الهوسوية في مجالات متعددة على وجه الاختصار لا الحصر.

**اللغة:** لا شك أنّ الثقافة العربية أثرت في الثقافة الهوسوية من ناحية اللغة وما تحتويه من حقول دلالية، ويتمثل ذلك في الجدول الآتي:

| الكلمة الهوسوية   | الكلمة العربية | الحقل الدلالي         |
|-------------------|----------------|-----------------------|
| أَلَّا            | الله           | أ. الدين الإسلامي     |
| أَنْبِي           | النبي          | " "                   |
| كُرْآني / قُرْآني | القرآن         | " "                   |
| أَدْدِينِي        | الدين          | " "                   |
| سَلَا             | الصلاة         | " "                   |
| مَجْلِسَا         | المجلس         | ت. نظام الحكم         |
| وَزِيرِي          | الوزير         | " "                   |
| هَآكِمِي          | الحاكم         | " "                   |
| أَلْقَآيِي        | القاضي         | " "                   |
| وَكِيلِي          | الوكيل         | " "                   |
| وَيِي             | الولي          | ج. الأحوال الشخصية    |
| سَدَاكِي          | الصدّاق        | " "                   |
| إِدَا             | العِدّة        | " "                   |
| قَزِي             | القذف          | " "                   |
| لَآني             | اللعان         | " "                   |
| سِفْلِي           | الصّففر        | خ. الموازين والمقاييس |
| كَلُو             | الكيلو         | " "                   |
| تُمْنِي           | الثلّمن        | " "                   |
| رُبُو / رُبُوِي   | الربع          | " "                   |

وقد ثبت حسب الاستقراء أنّ أكثر الحقول الدلالية حظوة بالكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا هو حقل الدّين الإسلامي، وهذا يؤكّد تاريخ ارتباط اللغة العربية بانتشار الإسلام في تلك البقاع<sup>٣٨</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ معظم الكلمات العربية المقترضة في الهوسوية ما زالت تحتفظ بمعانيها القاموسية الأصلية، ولكن هناك ما طرأ عليه بعض التغيرات الدلالية كوسيلة للتكيف مع البيئة الاجتماعية والثقافية الهوسوية<sup>٣٩</sup>.

**التقاليد:** أمّا في جانب التقاليد، وخاصة فيما يتصل بالتسمية، فنجد أنّ كثيرا من الأسماء لدى هذه القبيلة في تسمية أولادهم مأخوذة من أسماء عربية إسلامية، وإن طرأ عليها بعض تحريفات بسيطة. ومن ذلك أسماء: مَانُو، مَمْنُ، هَيْرُ، دَوْدَا، سُلِي، إِيْدِي، وغيرها لدى هوسا، فهي مأخوذة ومحرّفة عن أصولها العربية: عثمان، محمّد، خضر، داود، سليمان، إدريس، علي التوالي<sup>٤٠</sup>.

ومن ذلك تسمية أسماء أيام الأسبوع في العربية وأوقات الصلوات الخمس، وعقود الأعداد من عشرين إلى تسعين، ويتمثل ذلك فيما يلي:

| أوقات الصلوات |           | أسماء أيام الأسبوع |            |
|---------------|-----------|--------------------|------------|
| الخميس        |           |                    |            |
| العربية       | الهوسا    | العربية            | الهوسا     |
| الصبح         | أَسْبَا   | الأحد              | هَدِي      |
| الظهر         | أَزْهَرُ  | الاثنين            | لِيْتِنُ   |
| العصر         | لَأَسْرُ  | الثلاثاء           | تَلَاتَا   |
| المغرب        | مَعْرِيَا | الأربعاء           | لَارِيَا   |
| العشاء        | إِسْشَا   | الخميس             | أَهْمِسُنْ |
| -             | -         | الجمعة             | جُومَا     |

ويؤيد ما سبق وروده في الجدول قول الدكتور علي أبوبكر:

"وقد تأثرت كلتا اللغتين [الهوسا والفلاينية] بالعربية إلى حدّ أن أسماء الأيام السبعة في الأسبوع بالعربية هي التي تستعمل فيهما، وحتى أصبح هوسا والفلاينيون لا يعرفون الآن أسماء هذه الأيام الأصلية في اللغتين. أمّا أوقات الصلوات الخمس فالعربية هي المعلومة والمستعملة، إذ لم تكن هذه الأوقات موجودة في اللغتين. وكذلك عقود الأعداد من عشرين إلى تسعين، فالعربية هي المستعملة فيهما..."<sup>٤١</sup>.

ومما يلاحظ من آثار الثقافة العربية في هذه المنطقة جريان ألفاظ عربية إسلامية على ألسنة أفراد وجماعات ليس لها علاقة مباشرة بالثقافة العربية الإسلامية، ومعظم هؤلاء يتواجدون في بعض القبائل التي لا تدين بالإسلام أو فيها نسبة قليلة من المسلمين، فاستعمالهم لألفاظ عربية إسلامية جاء نتيجة لمعاشرتهم المسلمين ومجاورتهم إياهم. فنجد كثيرا من الألفاظ العربية الإسلامية تجري على ألسنتهم، نحو: "السلام عليكم"، و"الحمد لله"، و"صدقة"، و " أمين"، وغير ذلك من الألفاظ العربية الإسلامية التي تجري على ألسنة المسيحيين الذين يعيشون في أوساط المسلمين في المنطقة<sup>٤٢</sup>.

نتيجة لما سبق، نجد كثيرا ما تسمى بعضهم بأسماء عربية إسلامية مع كونهم مسيحيين، فنجد على سبيل المثال أسماء مركبة، نحو: جُونُ مُحَمَّد، وجُونُسُونُ أَحْمَد، ومَائِيُو حَسَن، وغير ذلك، فهذه إشارة واضحة إلى مدى تأثير الثقافة العربية ورسوخها في تقاليد شعوب شمال نيجيريا، وأنّ هذه الثقافة أخذت تتسرّب إلى أوساط غير المسلمين من شعوب منطقة هوسا بسبب المعاشرة والمجاورة<sup>٤٣</sup>.

ومن مظاهر تأثر الشعب الهوسوي بالتقاليد العربية كون بعض الأطعمة والملابس وأدوات الزينة مأخوذة من العرب؛ ومن ذلك: أَلْكَاكِي (الكعك)، وأَلْكَبْسُ (الخبز)، وشَاي (الشاي) وغيرها، إذ أنّ هذا النوع من الأطعمة لم تكن معروفة عند الشعب الهوسوي قبل اتصاله بالأمة العربية وتأثره بثقافتهم. ومن الملابس التي أخذها الشعب الهوسوي من العرب: أَبَايَا (العباء)،

وَأَلْجَبًا (الْجَبَّة)، وَهَجَابِي (الحجاب). ومن جانب أدوات الزينة، أنواع الطيب مثل: أَلْمِسْكِ (المسك)، وَهَمْرًا (الحمرة).

وأما من ناحية التقاليد المأخوذة من العرب في أيام الزفاف ما يطلق عليها: ليلة عربية (Arabian night)، وهي عبارة عن ليلة يجتمع فيها كل من أصدقاء العريس وأقربائه وكذلك صديقات العروس وأقربائها، في زِيِّ العرب، ويتناول الحاضرون الشاي، ثم يغادرون بعد أن قضوا بعض الوقت يتبادلون الأفراح والمسرات<sup>٤٤</sup>.

### مجال التعليم العربي:

من أجلى النواحي التي يبرز فيها أثر الثقافة العربية في الشعب الهوسوي بشمال نيجيريا هو التعليم العربي. فلتعليم العربي وما يحويه من مجالات معرفية أصول ثابتة وتاريخ عريق في هذه المنطقة، إذ أنّ تعليم اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية الإسلامية كان - ولا يزال - يشكل جزءاً أساسياً من النشاط التعليمي لدى هذا الشعب<sup>٤٥</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ التعليم العربي الإسلامي قد انتشر في بلاد هوسا عبر العصور والقرون عن طريق مدارس وكتاتيب قرآنية، ومعاهد تقليدية لنشر العلوم الإسلامية قبل ظهور الاستعمار الغربي في المنطقة. ثمّ ظهرت المدارس الغربية التي انتشرت في البلاد بعد مجيء المستعمرين، وكذلك الكليات والجامعات، وأخذت كلّ منها تساهم إلى حدّ بعيد في نشر الثقافة العربية في المنطقة بصورة ملحوظة. فقد خرّجت هذه المدارس والكليات والجامعات عددا لا يعدّ ولا يحصى من التلاميذ والطلاب في مجال التعليم العربي، ونتج عن كلّ ذلك كثرة عدد المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية بواسطة النظام التعليمي الحديث، بما في ذلك حاملي الشهادات والدرجات العلمية العليا، إضافة إلى الأعداد الكبيرة من المثقفين بهذه الثقافة بواسطة النظام التعليمي التقليدي القديم الذي شاع في المنطقة قبل مجيء المستعمرين<sup>٤٦</sup>.

### مجال التأليف والنظم والترجمة:

ومن مظاهر تأثير الثقافة العربية في الشعب الهوسوي في شمال نيجيريا استعمال اللغة العربية من قبل العلماء والأدباء والمثقفين بالثقافة العربية في مجال التأليف والنظم. وقد كان لهذا

النشاط تاريخ طويل، إذ تفيد شواهد تاريخية، أن لعلماء بلاد الهوسا وأدبائها، وخاصة بعد قيام الدولة الإسلامية بسوكوتو دورا كبيرا في هذا المجال<sup>٤٧</sup>.

هذا، وقد ظلّ هذا النظام قائما إلى يومنا هذا، فنجد العلماء والأدباء في المعاهد الدينية التقليدية مع أقرانهم المعلمين في المدارس والأساتذة في الكليات والجامعات ينتجون أعمالا تأليفية وآثارا أدبية قيمة باللغة العربية، تتناول شتى المجالات الحياتية بما في ذلك الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد، وما إلى ذلك<sup>٤٨</sup>. ولا يقلّ مستوى بعض المؤلفات عن مستوى الكتب التي ألّفت وتؤلّف في البلاد العربية<sup>٤٩</sup>.

ويضاف إلى هذا النشاط ما يعرف بالترجمة التقليدية المحليّة أو أجم (Ajami) لدى هوسا، وهو عبارة عن استخدام الحروف العربية في وضع الحواشي باللغة المحليّة على نصوص عربية إسلامية بغية الشرح والتوضيح، أو وضع مؤلفات باللغات المحليّة باستعمال الحروف العربية<sup>٥٠</sup>.

وتمثّل العملة النيجيرية نموذجا حيا لرسوخ الثقافة العربية في ثقافة شعوب شمال نيجيريا وتقاليدها، حيث إنّ الحروف العربية تستخدم في كتابة بعض وحدات العملة النيجيرية بلغة الهوسا، نحو: نَيْرَا طَرِي (مائة نيره)، نَيْرَا طَرِي يُو (مائتا نيره)، نَيْرَا دُبُو (ألف نيره)، وهكذا<sup>٥١</sup>. وقد نتج عن هذا النشاط أيضا ترجمات للقرآن الكريم في المنطقة، كترجمتي المرحومين الشيخ محمد ناصر الكبرى الكنوي والشيخ أبوبكر محمود جومي، وكما أنتج العلماء والأدباء أعمالا تأليفية وأدبية كبيرة بواسطة هذه الطريقة<sup>٥٢</sup>.

ويؤيّد ما سبق الحديث حوله قول الدكتور علي أبوبكر: "... وقام رجال الدين بترجمة الأمور الدينية إلى اللغتين [الهوسا والفلانبة] لنشر الإسلام والثقافة العربية..."<sup>٥٣</sup>.

### مجال الرسم والكتابة المزخرفة بالحروف العربية:

من مظاهر تأثير الثقافة العربية في الشعب الهوسوي بشمال نيجيريا استعمال الحروف العربية في مجال الرسم والكتابة المزخرفة. ويظهر ذلك في عدّة أشكال. فمن ذلك ما يتمثل في صور فنّ الزخرفة والديكور (decoration)، حيث تستخدم الخطوط العربية التي تحمل

آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية، أو آثار الأدباء، أو الحكماء، كأدوات للزينة والديكور تعلق على الدور والمساجد والمكاتب، أو تكتب على جدران المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد التعليمية<sup>٥٤</sup>.

### مجال الأدب:

كان أثر الثقافة العربية في الأدب الهوسوي ظاهرة ملحوظة، حيث إن هذه الظاهرة تم اكتشافها من طرف العلماء الكتاب والباحثين منذ القرن التاسع عشر الميلادي. تقول الدكتورة نادية: "ومما يؤكد تأثر الثقافة الهوسوية بالثقافة العربية الإسلامية، أنّ الظهور الحقيقي للأدب الهوسوي إلى حيز المعرفة كان بعد دخول اللغة العربية والإسلام إلى تلك البلاد"<sup>٥٥</sup>.

ويضيف الدكتور علي أبوبكر مثنيا القول السابق: "إنّ الأدب الهوسوي استعار أوزان الشعر العربي، وذلك أنّ رجال الدين الذين ترجموا مبادئ الإسلام من العربية إلى اللغتين لم يقتصروا على كتابتها بالنثر وحده، بل بذلوا جهودهم في ترجمتها بالنظم أيضا"<sup>٥٦</sup>.

وقد نشأت القصيدة الهوسوية الإسلامية صورة طبق الأصل للقصيدة العربية، حاملة في ثناياها جميع عناصر القصيدة العربية الفنية شكلا ومضمونا، بما في ذلك الأوزان الشعرية والمحسنات البديعية... ولا تختلف عن القصيدة العربية إلا في موضوعاتها التي انحصرت في المسائل الدينية والجهادية. وقد صبّ فيها مؤلفوها كلّ خبراتهم التي اكتسبوها من خلال تأليفهم باللغة العربية، وتنفرد بنيتها الخارجية بنمط خاص يتمثل في افتتاحها بالحمد والشكر للخالق المنان، ثمّ الصلاة على النبي المختار وعلى آله وأصحابه والتابعين الأخيار، ثمّ يرمز لتاريخ تأليفها بعبارة يمثل كل حرف عددا معيّنا (مثلا الرمز "شركد" = عام ١٢٢٤م)<sup>٥٧</sup>.

ومن نماذج القصيدة الهوسوية المتأثرة بالقصيدة العربية، قول أحد الشعراء يمدح أمير كتاغُم

(Katagum)، قائلا:

نَا عُوَدَ الرَّحْمَانِ سَرْكِي وَوَدَّ يَي \* كَوْتَا يَيِّي كُوُوْمُ بَيِّ وَارَبَا  
يَا بَا مُسْلِمِي شِي يَبَبُوا كَافِرِي \* نَنْ دُونِيَا بِحَطَامِ بِي دَابِي بَا  
أَرْجِيمُ سَرْكِنُ جِنْفِي رَنْ لَاحِرَا \* سَيِّ صَالِحِينَ أَكِي بِي بَا كُوُوَابَا



في هذه الأبيات يحمّد الشاعر الله الرحمن الذي عمّنا جميعا بهباته ولم يخصص أيّ في الدنيا، وأعطى المسلم كما أعطى الكافر في الدنيا، ولم يُفضّل واحدا على الآخر، كما أنّه هو الملك الذي خصّ الصالحين برحمته يوم القيامة دون غيرهم<sup>٥٨</sup>.

فهذه الأبيات مأخوذة من قصيدة طويلة، فقد افتتحها الشاعر بالثناء على الله تعالى وعلى رسوله الكريم، ثم استطرّد في ذكر مناقب ممدوحه، ثمّ اختتمها بالثناء على الله أيضا، وهذه هي الطريقة التقليدية. ويبدو أنّ الذي استنّها هو الشيخ عبد الله بن فودي في أشعاره العربية والفلانية والهوسوية. وما زال الشعراء المحدثون يقلّدون طريقه<sup>٥٩</sup>.

ويجب التنبيه في هذه النقطة إلى أنّ عامل الارتباط بالقافية الواحدة في نظم القصيدة الواحدة لعب دورا كبيرا في إدخال عدد كبير من الكلمات العربية في لغة الهوسا، وذلك لأنّ القافية تستلزم أن يكون في أواخر الأبيات من القصيدة حرفا موحدًا<sup>٦٠</sup>. إن دلّت هذه المظاهر على شيء، فإنما تدلّ على أثر الثقافة العربية ومدى رسوخها وانصهارها في الثقافة الهوسوية بشمال نيجيريا.

#### التحدّيات التي تواجه الثقافة العربية في منطقة هوسا بشمال نيجيريا وحلولها:

مما سبق تناوله يمكن القول إنّ للثقافة العربية جذورا راسخة وآثارا بارزة في شعوب شمال نيجيريا؛ وأنّ هذه الثقافة تزدهر وتنتشر، إلّا أنّ هناك مشاكل وتحديات تعرقل سيرها وتعوق رقيّها في المنطقة. ومن أبرز هذه التحديات أو المشاكل ما يلي:

- عدم الاعتراف بكون اللغة العربية لغة رسمية ثانية، كما حصل للغة الفرنسية، مع أنّ في نيجيريا من كانت العربية عندهم بمثابة اللغة الأمّ لقبيلة "شوّ"، كما أنّ هناك كثيرا من المسلمين الذين يستخدمونها في حياتهم الدينية والاجتماعية والثقافية.

- قلة توفير فرص العمل للمثقفين بالثقافة العربية، حيث تنتهي فرص معظم المتخصصين في اللغة العربية أو في الدراسات الإسلامية في التدريس والقضاء، ولا حظّ لهم في غير هاتين الفرصتين إلّا نادرا<sup>٦١</sup>.

- كون الاعتراف الرسمي بالمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية (NBAS) من قبل الحكومة الفيدرالية اعترافا سطحيا، أو حبرا على الأوراق، حيث إنّ حاملي الشهادات الثانوية من المجلس المذكور لا يُسمح لهم بالالتحاق بكثير من التخصصات في الكليات والجامعات، إلا في قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية أو الشريعة.
- ظاهرة ازدواجية اللغوية - الثقافية، حيث إنّ الثقافة السائدة الرسمية هي الثقافة الإنجليزية، ولذلك فإنّ كثيرا من المثقفين بالثقافة العربية إذا لم يكونوا على قدر من الثقافة الإنجليزية التي تؤهلهم لتقديم أنفسهم، فليس لهم حظّ في حضور فاعل ومعتبر على الساحة، مهما بلغوا من الكفاءة والتمكّن في مجالات تخصصهم<sup>٦٢</sup>.
- التغيّب المتعمّد لرواد الثقافة العربية في الساحة الثقافية، بسبب سطحية الاعتراف الحكومي بالمدارس التي تدرس فيها العربية، فإنّ الساحة الثقافية هي الأخرى ترفض الاعتراف بمثقفي اللغة العربية، مما جعل المستعربين يشعرون بشيء من الدونية، ويعيشون حالة من التهميش والاعتراب داخل مجتمعهم.
- عدم وجود وسائل الاتصال بالعربية، لأنّ فقدان الوسائل المعينة لتنمية القدرات الاتصالية يعدّ المشكلة الكبرى، نظرا لشدة الحاجة إليها، على الرغم من وجود أعداد هائلة من طلبة العلم والأساتذة الذين يتشوّقون إلى ذلك، فوجود منبر إعلامي باللغة العربية يساهم في توحيد الفكر والرأي العام لهذه الشريحة، إضافة إلى ذلك ليس هناك مطابع ودور نشر عربية، الأمر الذي يشكّل عائقا لنشر المحاولات العلمية والإبداعية<sup>٦٣</sup>.
- وأما الحلول المقترحة للمشاكل والمعوقات التي تمّت الإشارة إليها، فيمكن القول إنّها تتمثل في القيام بما يلي:
- اعتراف حكومة نيجيريا بكون اللغة العربية لغة رسمية ثانية، كما حصل للغة الفرنسية.
- توفير فرص العمل للمثقفين بالثقافة العربية، عن طريق إعطائهم الفرص في شتى المجالات التي لها علاقة بتخصصاتهم.

- اعتراف الحكومة بالمدارس التي تدرس فيها العلوم العربية والإسلامية، والاعتراف بحاملي الشهادات الثانوية من المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية (NBAS) اعترافا محضاً، وأن يُسمح لهم بالالتحاق بالكليات والجامعات التي يريدونها، واختيار التخصصات التي يفضلونها لدراساتهم الجامعية.
  - اعتبار الحكومة المثقفين بالثقافة العربية في التفاعل الرسمي وفي مجالات تخصّصهم، وأن يكون المثقفون بالثقافة العربية على قدر عالٍ من الثقافة الإنجليزية لتؤهلهم لتقديم أنفسهم عند الحاجة إلى ذلك.
  - الحضور الفعّال لرواد الثقافة العربية في الساحة الثقافية، والاعتراف بمثقفي اللغة العربية في الساحات الثقافية، مع شعورهم بالمساواة مع أصحاب التخصصات الأخرى داخل المجتمع.
  - إيجاد وسائل الاتصال بالعربية، لأنّ إيجاد الوسائل المعينة لتنمية القدرات الاتصالية للمثقفين بالثقافة العربية يعدّ حلاً كبيراً للمشاكل الثقافية التي يعاني منها المثقفون بالثقافة العربية.
- الخاتمة:**

خلال الرحلة القصيرة مع المقال؛ تمّ تناول مفهوم الثقافة والثقافة العربية، ثمّ نشأة الثقافة العربية ومصادرها ومقوماتها وخصائصها، وكذلك كيفية انتشار هذا النوع من الثقافة في نيجيريا الشمالية بصفة عامة، وعند الشعب الهوسوي بوجه خاص. وقد تناول المقال كذلك نبذة يسيرة عن منطقة شمال نيجيريا كحدّ مكانيّ للمقال، كما جعل الشعب الهوسوي وثقافته كمحور الدراسة، متطّرقاً إلى الحديث عن أثر الثقافة العربية الإسلامية في ثقافته (الشعب الهوسوي) في شتى مجالات الحياة، ثمّ التحديات التي تواجه هذا النوع من الثقافة في المنطقة مع ذكر الحلول المقترحة لها.

وأما توصيات المقال فتتمثل في الآتي:

- إقامة الندوات والمؤتمرات لهدف تحريك الباحثين في مجال الثقافة العربية، أو الثقافات الأخرى داخل الدولة.
- إنشاء مراكز للحفاظ على تراث الثقافة العربية في المدارس والجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية وآدابها وثقافتها والعمل على تطويرها.
- تسوية الحكومة بين شهادة الدراسات الإسلامية العالية (SISCE) الصادرة عن المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية (NBAIS) وبقية الشهادات الثانوية كشهادتي وائيك (WAEC) ونيكو (NECO) ليتمّ العدل بين المواطنين.

## الهوامش والمراجع

١. راجع: محمد مي أبوبكر (الدكتور)، "أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا: دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار"، ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، المنعقد خلال الفترة من ٧ - ١٠ مايو ٢٠١٤م الموافق ٨ - ١١ رجب ١٤٣٥هـ، بمدينة دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص: ١.
٢. ينظر: الأمين أبو منقعة (الدكتور)، سلسلة لغات الحرف القرآني، كتاب تعريف عن تاريخ لغة الهوسا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، جامعة الخرطوم - السودان، ص: ١٧.
٣. راجع: المرجع السابق، ص: .
٤. ينظر: كتاب أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، د.ت.، ج-٥، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث، ص: ١٣٩.
٥. راجع: موقع وزارة الأوقاف المصرية، "مفاهيم إسلامية - كلمة (الثقافة)"، ج - ١، ص: ١٠٧، زيارة ٨ - ١٠ - ٢٠١٨م، متاح على: <http://www.islamic-council.com>
٦. المرجع نفسه، والصفحة .
٧. راجع: محمود الجوهري (الدكتور)، "الثقافة العربية ووحدها"، موقع شبكة الألوكة، تاريخ النشر: ٢٩-١٠-٢٠١١م = ١-١٢-١٤٣٢هـ، زيارة ١٠-٥-٢٠١٨م، متاح على: <http://www.alukah.net/culture/0/35667>
٨. راجع: موقع وزارة الأوقاف المصرية، المرجع السابق، ص: ١.
٩. صباح محمد جاسم، "مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها"، مجلة ديالى، العدد: ٤٤، ٢٠١٠م، كلية العلوم الإسلامية - جامعة ديالى، جمهورية السودان، ص: ٦٧٩ .
١٠. راجع: محمود الجوهري (الدكتور)، الموقع السابق.
١١. الموقع نفسه.

١٢. راجع: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، ط - ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو، ص: ١٧.
١٣. راجع: محمود الجوهري (الدكتور)، الموقع السابق.
١٤. نفس الموقع.
١٥. الموقع نفسه.
١٦. راجع: عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص: ١٤، نقلا عن الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو، الرباط، ١٩٩٧م.
١٧. المرجع نفسه، ص: ١٤-١٥، نقلا عن أنور الجندي، معلمة الإسلام، المجلد الأول، ١٩٩٠م، المكتب الإسلامي - بيروت، ص: ٥٢٤-٥٢٥.
١٨. ينظر: المرجع نفسه، ص: ١٥، نقلا عن أنور الجندي، المرجع السابق، ص: ٥٣٢.
- راجع: عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص: ١٥-١٦.
- المرجع نفسه، ص ٢٠.
٢١. راجع: عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص: ١٨، نقلا عن أنور الجندي، معلمة الإسلام، ص ٥٣٤.
٢٢. المرجع نفسه، والصفحة.
٢٣. ينظر: المرجع نفسه، ص: ٢.
٢٤. ينظر: نفسه، والصفحة.
٢٥. راجع: محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٢، نقلا عن حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار العربي - القاهرة، ٢٠٠٢م = ١٤٢٣هـ، ص: ١١١.
٢٦. راجع: محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٢.

٢٧. راجع: محمد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٣.
٢٨. المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
٢٩. ينظر: المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
٣٠. ينظر: هاوسا (شعب)، مجلة المعرفة، د.ت.، زيارة ٥-١٠-٢٠١٨م، متاح في:  
<http://www.marefa.org/index.php?title=oldid=1710599>
٣١. ينظر: هاوسا (شعب)، مجلة المعرفة، الموقع السابق.
٣٢. راجع: عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص: ١٧ - ١٨، نقلا عن الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، ص: ٥٦.
٣٣. راجع: الأمين أبو منقعة (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ١٧.
٣٤. ينظر: بدري محمد فهد (الأستاذ الدكتور)، " أثر الإسلام في انتشار العربية في إفريقيا"، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد ٤، ١٩٤١هـ = ١٩٩٨م، ص: ١٨٤ - ١٨٥.
٣٥. راجع: نادية عبد الفتاح الباجوري (الدكتورة)، الحكايات الشعبية عند الهوسا في نيجيريا: (دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية)، ٢٠١٥م، د.ط.، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص: ٨٢ - ٨٣.
٣٦. راجع: الأمين أبو منقعة (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ث.
٣٧. المرجع السابق، ص: ١٩ - ٢٠.
٣٨. المرجع نفسه، ص: ٢١.
٣٩. المرجع نفسه، ص: ٢٠.
- ينظر: محمد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤. ٤٠.
٤١. ينظر: علي أبوبكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ عام الاستقلال، ط - ٢، ٢٠١٤م، دار الأمة، كنو - نيجيريا، ص: ٤٢٠.
٤٢. ينظر: محمد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤.

٤٣. ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.
٤٤. مقابلة شفوية أجراها الباحث مع الدكتور أول آدو أوجَرَ في مكتبه بكلية ولاية جغاوا للشريعة والدراسات الإسلامية برنغم، يوم الأربعاء، ٣ - ١٠ - ٢٠١٨م.
٤٥. ينظر: محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤.
٤٦. المرجع نفسه، ص: ٤ - ٥.
٤٧. ينظر: المرجع نفسه، ص: ٥.
٤٨. المرجع نفسه، والصفحة.
٤٩. ينظر: نادية عبد الفتّاح الباجوري (الدكتورة)، المرجع السابق، ص: ١٠.
٥٠. ينظر: محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٥.
٥١. المرجع نفسه، ص: ٦.
٥٢. المرجع نفسه، ص: ٥.
٥٣. راجع: علي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤٢١.
٥٤. محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٥.
٥٥. راجع: نادية عبد الفتّاح الباجوري (الدكتورة)، المرجع السابق، ص: ٨٦.
٥٦. ينظر: علي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤٢١ - ٤٢٢.
٥٧. راجع: الأمين أبو منقّة (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٢٨.
٥٨. ينظر: علي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٤٢٢ - ٤٢٤.
٥٩. ينظر: المرجع نفسه، والصفحة.
٦٠. ينظر: المرجع نفسه، ص: ٤٢٢.
٦١. ينظر: محمّد مي أبوبكر (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٥.
٦٢. ينظر: الخضر عبد الباقي محمّد (الدكتور)، " الثقافة العربية في نيجيريا والتحدّيات المعاصرة"، موقع مداد، تاريخ النشر: ٢٧ شّوال، ١٤٢٨ هـ = ٨-١١-٢٠٠٧م، زيارة ١٠-١٠-٢٠١٨م، متاح على: <http://www.midad.com/article/217228>



## الثقافة العربية ومظاهرها الإسلامية في بلاد يوروبا

د. يحيى توين مرتضى

**Dr. Yahya Toyin Muritala,**  
Arabic Unit, Department of Linguistics,  
African and European Languages,  
Kwara State University, Malete, Kwara State.  
yahya.muritala@kwasu.edu.ng

### المقدمة

الثقافة مصطلح يُستخدم للإشارة إلى طريقة الحياة الكلية لشعب من الشعوب، وإلى ضروب النشاط في مختلف الميادين مثل الفنّ والأدب والموسيقى. وهي تشتمل على كلّ ما صنعه شعب من الشعوب وابتدعه من الأفكار والأشياء وطرائق العمل فيما يصنعه ويوجده. وتشتمل كذلك على الفنون والمعتقدات والأعراف والاختراعات واللغة والتقنية والتقاليد. ويُماثل مصطلح الثقافة الحضارة، غير أنّ المصطلح الأخير يشير في الأغلب إلى طرائق الحياة العملية الأكثر تقدماً. أمّا الثقافة فهي أيّ أسلوبٍ للحياة، بسيطاً كان أم معقّداً. وتتكوّن الثقافة من الطرق التي يتعلّمها ويكتسبها الإنسان للعمل، والشّعور، والتفكير، أكثر من كونها وراثيّةً.

وإذا صحّ القول إنّ الثقافة تشمل معتقدات قوم كما تشمل لغتهم، فإنّ الفكرة القائلة إنّ الدين مع اللغة المتعلقة بذلك الدّين، فكرة سليمة، لأنّ الاعتقاد واللغة عنصران مهمّان من عناصر الثقافة، أو بعبارة أخرى شيئان متلاصقان لا يفترقان في كينونة ثقافة المنتمين إلى الدين وإن لم يكن كثير منهم من أهل تلك اللغة. هذا، وقد كانت الصلة بين اللغة العربية والدّين الإسلامي خيراً مثل أقومه في تكوين ثقافة إنسانيّة تميّز باشمال العنصرين المُهمّين اللدّين هما اللغة والدين، مما لا مثيل لها من بين سائر الثقافات الإنسانيّة العالمية الأخرى، الأمر الذي

قد ميّز الأمة الإسلامية وفرّدها بين الأمم الأخرى على وجه الأرض منذ القدم وحتى يومنا هذا.

وإذا كانت الأمم تقاس بثقافتها، فإنّ الأمة الإسلامية من خلال تاريخها الفكري الطويل تُعدّ الأمة العظمى في العالم بتلك الميزة. وليست الأمة تستحقّ هذا المجد والتقدير من أجل ذلك فحسب، بل قد سجّل التاريخ الفكري للمعرفة والثقافة والعلوم والحضارة الزاهرة بين صفحاته للمسلمين أعظم قدراً من المساهمة في بناء صرح التقدم في الحياة.

رغم محاولة الاستعمار والتغريب أو الاستشراق وكيدهما على التفريق بين اللغة العربية ودينها والثقافة بجميع الوسائل المتاحة من جانب، وعلى تشويه الأفكار الإسلامية للحط من شأن العرب، والثقافة العربية الإسلامية من جانبٍ آخر، فإنّ ظاهرة واضحة قد أثبتت وجود الصلة القويّة بين اللغة والدين وأكّدت ظهورها. وجود مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في البيئات المسلمة بما فيها جمهورية نيجيريا الفدراليّة ظاهرة من ظواهر التماسك بين الثقافة العربية والثقافة الإسلاميّة في النشاطات اللغوية اليوميّة.

هذا، فيشير البحث هنا إلى بعض مظاهر إسلاميّة للثقافة العربية في بلاد يوربا النيجيريّة من حيث تبنيّ التقاليد والأساليب العربية في المعاملات الحيويّة واستخدام المفردات والعبارات العربية المتداولة اليوميّة. ذلك أنّ الدراسة في هذا البحث تستنتج فكريّةً، تحسّين وضع اللغة العربية في بلاد يوربا والعالم الإسلاميّ عامة، وبالتنبه إلى التّحديات في وجه تلك مظاهر الثقافة العربية الإسلاميّة، والترغيب في الاحتفاظ بالآثار العربية اللغويّة والدينيّة، والعناية بنشر فهم خصائص الثقافة العربية الإسلامية من أجل العمل الناجح بمقتضاها التوازنيّة، والتكاملية، والوظيفيّة، والرّبانيّة، والعالميّة، والإيجابية.

### مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة اجتماعيّة فكريّة نيجيريّة تتعلّق بتفرقة اللغة العربية عن الثقافة الإسلاميّة التي بشرفها تتشرف كلغة حيّة باقية من بين سائر اللغات الأخرى المتّصلة بالأديان السماويّة، كما يعالج قضية التغيّرات الثقافيّة في العصر الحاضر، ومن ثمّ يجدر القيام بالواجب العلمي

اللغوي لتحسين الوضعي للثقافة واللغة والأفكار العقديّة في هذا المجال. ومن هذا المنطلق، تُدرّك الحقيقة أنّ طريقة الثقافة العربية في كل مكان، تختلف في النظر إلى الأمور عن أسلوب الغرب القائم على الفصل بين القيم وصاحب النظرة الخالصة إلى التاريخ والإنسان والحياة. الطابع الأخلاقي هو القاسم المشترك الأعظم لمختلف القيم والمقوّمات، يستمدّ وجوده من التوحيد، ولا ينفصل عنه. ذلك هو عامل آخر للخلاف والنظر بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي. وليس في الثقافة العربيّة كلّها لغة دينيّة، أو نظرة دينيّة، أو حركة دينيّة، فالنظرة الإسلامية تتسم بالشمول بين ما هو دينيّ، وما هو دنيويّ، ولا تنفكّ عنه.

### مفهوم الثقافة:

يصعب الحصول على تعريف قاطعٍ لكلمة "الثقافة" لعدم اتّصالها المباشر بالمدلول اللغوي، ذلك لعجز معظم القواميس والمعاجم اللغويّة القديمة والحديثة عن الإتيان بأصلٍ دالٍّ على المقصود الذي يناسب وينسجم مع المدلول الفكري للكلمة. بيّد أنّ بعض العلماء قد اجتهدوا في وضع تعريف مقنع لها، ويتّضح من خلال ذلك أنّها هي كلّ ما يتّصل بمقوّمات الفرد والمجتمع من النواحي الاعتقاديّة والفكريّة والسلوكيّة والاجتماعيّة<sup>١</sup>. ولذلك قال تيلر Tailer: "ذلك الكلّ المعقّد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفرنّ والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من القدرات"<sup>٢</sup>. فمفهوم الثقافة، بالتالي، هو مجموع القيم والمفاهيم التي تحكم سلوك الأفراد أو المجتمعات في حقبة معيّنة من التاريخ<sup>٣</sup>. وأمّا الثقافة العربيّة الإسلاميّة، فمقوّماتها هي العقيدة، واللغة العربيّة وآدابها، والتاريخ العربي الإسلامي، والتراث، والأمة والوطن، ووحدة العقليّة، والمزاج النفسي.

### بين اللغة العربية والثقافة:

اللغة العربيّة هي إحدى لغات العالم استعمالاً، وإحدى اللغات الخمس الرسميّة في هيئة الأمم المتّحدة ومنظّماتها، وهي اللغة الأولى لأكثر من ٢٠٠ مليون عربي، واللغة الرسميّة في ١٨ دولة عربيّة، كما يجيدها أو يُلمّ بها نحو ٢٠٠ مليون مسلم من غير العرب إلى لغاتهم أو لهجاتهم

الأصليّة. ويُقبَلُ على تعلّمها كثيرون آخرون من أنحاء العالم لأسباب تتعلّق بالدين أو بالتجارة أو العمل أو الثقافة أو غير ذلك<sup>٤</sup>.

والعربيّة هي اللغة السامية الوحيدة التي قُدِّرَ لها أن تُحافظَ على كيانها وأن تُصبحَ عالميّةً. وما كان ليتحقّقَ لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها؛ إذ لا يمكن فهم ذلك الكتاب المبين الفهمَ الدقيق، وتدوُّقُ إعجازِهِ اللغوي إلاّ بقراءته بلغته العربيّة. كما أنّ التراثَ الغنيّ من العلوم الإسلاميّة مكتوب بتلك اللغة. ومن هنا كان تعلّم العربيّة مَطْمَحًا لكلّ المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو مليار مسلم في شتى أنحاء العالم. ويمكن القول إنّ أكثر من نصف سُكان إفريقيا يتعاملون بالعربيّة<sup>٥</sup>. أمّا من جانب صلتها مع الثقافة العربية الإسلاميّة، فهي (أيّ اللغة العربيّة) متمثّلة في أنّها:

- مقوِّمةٌ أساسيَّةٌ من مقوِّمات الثقافة العربيّة: فاللغة العربيّة ليست "لغة أداة" فحسب، بل هي لغة أداة ولغة فكرٍ أساسًا. ولقد كانت اللغة العربيّة رابطة بين المسلمين قوامها "القرآن الكريم"، ثمّ هي رابطة بين العرب عن طريق الثقافة. فاللغة العربيّة لغة قوميّة ولغة فكر إنسانيّ عالميّ هو الإسلام<sup>٦</sup>.
- كانت عاملاً هاماً في مقاومة الاستعمار: وقد كشف التاريخ عن مدى أهمية اللغة العربيّة في الحفاظ على كيان الأمة العربيّة وعلى مقوِّمات الثقافة العربيّة<sup>٧</sup>.
- امتازت بخصائص أكفل بحاجة العلوم: ذلك أنّها كانت قادرةً دائماً ومتّسقةً دائماً لتقبل كلّ حاجات الفكر والحضارة<sup>٨</sup>.
- كان لها أثرها البعيد المدى في عمق الثقافة العربيّة: ويرجع ذلك إلى عدة عوامل هامة، منها أنّها أضخم اللغات ثروة، ومقاطع، وحرّوفاً، وتعبيرات. أمّا غنى اللغة العربيّة بالألفاظ فلا جدال فيه. فقد استطاع الأوائل أن يشتقّوا منها مترادفات متعدّدة، وتنوّع الأساليب والعبارات في اللغة العربيّة هو خير دليلٍ على ذلك. فالمعنى الواحد يمكن أن يؤدّي معاني كثيرة بتعبيرات مختلفة؛ كالحقيقة والمجاز والتصريح والكناية<sup>٩</sup>، والمشتراك، والأضداد الخ.

- لغة أمةٍ واحدةٍ: اللغة العربية لغة أمة واحدة تحمل فكرًا ما يزال حيًّا متفاعلاً لم يتوقف أو يتجمّد<sup>١٠</sup>.

- علامة الحياة: تعرف مدى أهمية اللغة في حياة الأمم بأنّها هي علامة الحياة، وأنّ الحرمان من اللغة هو الموت<sup>١١</sup>.

- حققت عنصر الحياة والاستمرار: استطاعت اللغة العربية في خلال تاريخها الطويل أن تُحقّق عنصر الحياة والاستمرار، ولم تعجز عن التعبير والاستيعاب للنهضات والحضارات، ولم تكن لغةً دينيةً بالمعنى الذي عرفت به اللغة اللاتينية، فهي ليست لغة دين كهنوتي محدود بدور العبادة، ولكنها لغة دين هو في ذات الوقت دين وحياة ومجتمع وحضارة. ولم تعجز في عصر من العصور عن الوفاء بحاجات عصرها وبيئتها<sup>١٢</sup>.

- كاشفة عن فارق كبير بينها وبين اللغات الأخرى: كشفت اللغة العربية عن فارق كبير بينها وبين اللغات الأخرى كاللغة اللاتينية التي ماتت وسكنت المتاحف مثلاً، وتفرّعت منها لغات أخرى، بحيث إنّ أيّ فرنسيّ أو إنجليزيّ أو ألمانيّ لا يستطيع اليوم أن يتابع تراث لغته لأكثر من ثلاثة أو أربعة قرون، بينما يستطيع العربي أن يتابع تراثاً يمتدّ إلى خمسة قرون أو يزيد<sup>١٣</sup>.

- محفوظة بالقرآن: إنّ القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة، وسيحفظها على مرّ الدهور<sup>١٤</sup>.

#### الآثار العربية في الثقافة الإسلامية عامة:

وكما سبقت الإشارة أنّ قضية التأثير أو التأثر بين العربية والثقافة الإسلامية أمرٌ تبادليّ بالأخذ والعطاء، فقد ثبت بالنسبة إلى دور الإسلام في التأثير في اللغة العربية أنّ المسلمين قد اهتموا بضبط اللغة وجمعها، وتحديد ألفاظها، وقد أدّى هذا الاهتمام إلى ظهور المعاجم اللغوية وعلوم النحو والصرف والعروض، وهي من العلوم الدينية بمنزلة الآلة. وللقرآن الكريم أثر كبير في حفظها وإعطائها قوّة الثبات والصمود والقدرة على التّحدي، ولولا القرآن الكريم لأصابها ما أصاب اللغات الأخرى من تطوّر وتبادلٍ وتغيّرٍ بل وموتٍ كاللاتينية وغيرها<sup>١٤</sup>.

أما من ناحية تأثير اللغة العربية في الثقافة الإسلامية، فقد ظهر تأثيرها في المعاملات والتفاعلات المتداولة بين عامة المسلمين في مختلف لغاتهم وجنسياتهم وبيئاتهم وأوطانهم المختلفة، ومن أوجه متعددة؛ منها:

- أسلوب التحيّة الموحّدة، بالتسليم الإسلامي العربي المعروف، وردّه.
  - استخدام بعض مصطلحات عربيّة متعلّقة بالدين الإسلامي كالصلاة، والزكاة، والحجّ، والمسجد، والجنّازة، والدعاء، والنكاح، والطلاق، وقلّ أن يوجد مسلم لا يفهم أو لا ينطق بتلك المصطلحات اللغويّة العربيّة يوميّاً مهما كان ضعفه في العربيّة، وإن لم يكن من أصلٍ عربيّ.
  - وأسلوب الكتابة بالأحرف المتأثّرة بالحروف العربيّة عند بعض اللغات المنتمية إلى الإسلام كالفارسيّة، والتركيّة، والمالايويّة، والهوسا، والأوردية وغيرها من اللغات التي تُعْتَبَرُ لغات المسلمين. وبجانب ذلك، هناك بعض لغات تُكْتَبُ أحياناً على نمط الكتابة العربية بما يُعرَفُ بالكتابة الأعمجيّة، ومن ضمن غرار تلك اللغات لغة يوربا.
  - وقرض مفردات اللغات العربية إلى بعض تلك اللغات المذكورة. فالسماء سماء في لغتيّ هاوسا ويوربا، و"الخبر" معناه *Labare* في اللغتين؛ هاوسا ويوربا، وكذلك يعني "البصل" *Alubosa* في اللغتين كليهما.
  - اللغة العربيّة وسيلة مهمّة في أداء الواجبات الدينيّة أو العبادات المحتاجة إلى التلقّظ بالمأثورات والعبارات الروحيّة كالقراءة في الصلاة، والتلاوة القرآنيّة، والتلبية في الحج والعمرة، والأدعية والأذكار المأثورة، والرّقى المسنونة وغيرها.
  - وقد أثّرت العربيّة في القراءات القرآنيّة من حيث إنّ لكلّ قارئٍ دليله المقنّع في اللغة، لاسيما إذا كان القارئ من أصحاب القراءات الصحيحة أو المتواترة<sup>١٥</sup>.
- ومن أجل الإيجاز، تنحصر الدراسة عن هذه المناسبة التأثيريّة للغة العربيّة في الثقافة الإسلاميّة في ثلاث نقاطٍ في هذا المحور. والنقاط تتركز على كتابة بعض اللغات المنتمية إلى الإسلام

بالحروف العربيّة، وعلى الألفاظ العربيّة الدخيلة على الثقافة اليوروباووية المسلمة في نيجيريا، وأخيراً على الألفاظ اليوروباووية الإسلاميّة.

**النقطة الأولى:** كتابة اللغات المنتمية إلى الإسلام بالحروف العربيّة: كانت طفرة الخطّ العربي بظهور الإسلام واندفاع المسلمين لتعلّم القراءة والكتابة لحفظ القرآن والحديث وتدوينهما ولكتابة الرسائل أيضاً. ثمّ تطوّر رسم الحرف إلى ما هو عليه الآن. وقد انقسم شكل رسم الحروف إلى أشكال فنيّة سُمّيت الخطوط، منها الكوفي، والنسخ، والثلث، والفارسي، والرقعة، والديواني<sup>١٦</sup>. ولمّا أسلم بعض البلدان غير العربيّة، اقتطفوا الخطّ العربي على كفيّة كتابة القرآن في كتابة لغاتهم الأولى، حتى أصبحت الحروف العربيّة حروفاً لكتابة بعض هذه اللغات إلى يومنا هذا. ومن بين هذه اللغات؛ اللغة التركيّة، واللغة الفارسيّة، واللغة المالايويّة، ولغة الهوسا<sup>١٧</sup> في نيجيريا على سبيل المثال والاختصار.

**النقطة الثانية:** الألفاظ العربيّة الدخيلة على الثقافة اليوروباووية الإسلاميّة في نيجيريا: هناك روايات عديدة عن تاريخ دخول الإسلام إلى بلاد يوربا؛ منها ما يثبت العلاقة التجاريّة القديمة بين برنو وأويوكي منذ القرن الحادي عشر، وكذلك العلاقة مع بلاد هوسا وبرغو، مما أدّى إلى الاحتكاك بين هذه القبائل، وبالتالي، دخول الإسلام بواسطتها إلى بلاد يوربا<sup>١٨</sup>. ويظهر لنا أنّ الإسلام كان عاملاً قوياً في تمهيد الطريق للغة العربيّة، في جميع الدول الإسلاميّة غير الناطقة باللغة العربيّة. ومن ثمّ فإنّ التعليم العربي، يوجب الاهتمام بتاريخ الإسلام في هذه المنطقة. ومن أجل هذه العلاقة الوطيدة بين الإسلام واللغة العربيّة فإنّه من المفروض أن يؤدّي المسلمون صلواتهم المشروعة في كل يوم وليلة بسور القرآن وآياته الكريمة. ولهذا لا يكاد إنسان يعتنق الإسلام إلّا وهو يسارع إلى دراسة القرآن وكتب السنّة. ومن المسلمين من يتابعها بشيءٍ من مبادئ الفقه واللغة العربيّة وقواعدها التي بها يتمّ فهم معاني القرآن والحديث اللدّين بهما يقام الدين الإسلامي.

هذا، وقد اقتبست اللغة اليوروباووية كميّة كبيرةً من المفردات العربيّة عن طريق التجارة والمعاملات قبل الدخول في الإسلام، وبسبب اعتناق المواطنين اليورباويين للإسلام. وهذا

شأن أية لغةٍ تأثرت أيما تأثرت بحضارة الأمة الإسلامية ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها الفكرية، ودرجة ثقافتها، ونظراتها إلى الحياة العامة<sup>١٩</sup>.

وإذ لا يحتاج هذا العمل إلى المناقشة العلمية التي دارت حول ماهية اللغة الوسيطة لنقل المفردات العربية إلى اللغة اليورباوية النيجيرية، فرأى أنه من الممكن والمعقول أنهما كما أخذت المفردات العربية مباشرة من العرب أنفسهم عن طريق التجارة وعند ذهابهم للحج عن طريق السودان، اعتماداً على ما قرره ديمبي أبو بكر<sup>٢٠</sup>، كذلك أخذتها من لغة الهوسا كما أشار إلى ذلك الشيخ غلادنشي<sup>٢١</sup>. وبالجملة، فقد نقلت لغة يوربا المفردات العربية من الطريقتين كليهما.

وانطلاقاً من ذلك، يُذكر عدد من المفردات المستعارة من اللغة العربية إلى لغة يوربا في القائمة التي تحتوي على مفرداتٍ دينية واجتماعية واقتصادية:

أ قائمة بعض الألفاظ العربية المستعارة إلى لغة يوربا بدون تحريفٍ، ولا إبدالٍ، ولا حذفٍ، ولا زيادةٍ إلا في النطق والتنغيم.

| الألفاظ العربية | المعاني اليورباوية المنقولة |
|-----------------|-----------------------------|
| الدين           | Adini                       |
| دعاء            | Adura / Adua                |
| العادة          | Alaada                      |
| العافية         | Alaafia                     |
| الله ربّي       | Alawura <sup>٢٢</sup>       |
| الغيب           | Aleebu                      |
| البركة          | Alubarika                   |
| البصل           | Alubosa                     |
| الجنّ           | Alujannu                    |
| أجلّ            | Ajali                       |



|                      |  |
|----------------------|--|
| Alamori              | الأمر                                    |
| Anobi                | النبي                                    |
| Arisiki              | الرزق                                    |
| Asiri                | السّر                                    |
| Daaba                | دابّة                                    |
| Duniyan              | دنيا                                     |
| Fitila               | فَتِيلَة (السَّمْعَة أَوْ<br>المِصْبَاح) |
| Fitina               | فِتْنَة                                  |
| Halaali              | حلال                                     |
| Haramu               | حرام                                     |
| Hijaabu              | حجاب                                     |
| Maraba               | مرحبًا (بك)                              |
| Minbari              | منبر                                     |
| Musiiba              | مصيبة                                    |
| Naamu                | نَعَم                                    |
| Nankali              | نقل                                      |
| Riba <sup>٢٣</sup>   | ربا                                      |
| Saa'a <sup>٢٤</sup>  | ساعة                                     |
| Sababi               | سبب                                      |
| Tuuba                | توبة                                     |
| Wahala <sup>٢٦</sup> | وَهْلَة <sup>٢٥</sup>                    |
| Woli                 | وليّ                                     |

ب قائمة بعض الألفاظ العربية المستعارة إلى لغة يوربا بتغيير بسيطٍ إمّا عن طريق

الحذف أو الإبدال الصوتي، أو زيادة حرف يورباوي

| الألفاظ العربية     | المعاني اليورباوية المنقولة    |
|---------------------|--------------------------------|
| الحاجّ / الحاجة     | Alaaji/ Alaaja <sup>٢٧</sup>   |
| القاضي              | Alikali <sup>٢٨</sup>          |
| الوضوء              | Aluwala <sup>٢٩</sup>          |
| بَعْل <sup>٣٠</sup> | Baale                          |
| دبّر                | Dabaru                         |
| حيضة                | Eela <sup>٣١</sup>             |
| فخر                 | Faari <sup>٣٢</sup>            |
| فضّة                | Fadaka <sup>٣٣</sup>           |
| الأضحى (عيد الأضحى) | Ileya                          |
| جيفة                | Jifa (Oku jifa <sup>٣٤</sup> ) |
| قبر                 | Kabari <sup>٣٥</sup>           |
| قَدَر               | Kadara <sup>٣٦</sup>           |
| قلم                 | Kalamu <sup>٣٧</sup>           |
| كافر                | Keferi <sup>٣٨</sup>           |
| الخبر (الأخبار)     | Labare <sup>٣٩</sup>           |
| الأذان              | Ladani <sup>٤٠</sup>           |
| الإمام              | Lemomu                         |
| ملائكة              | Moleeka <sup>٤١</sup>          |
| لحم                 | Nama                           |

|                       |                         |
|-----------------------|-------------------------|
| Odun                  | عيد                     |
| Olohun                | الله                    |
| Saabaka <sup>٤٢</sup> | شبكة                    |
| Saari <sup>٤٣</sup>   | سحور                    |
| Saati <sup>٤٤</sup>   | ذات                     |
| Samani <sup>٤٥</sup>  | زمان / زمن              |
| Sanmo                 | سماء                    |
| Seria <sup>٤٦</sup>   | شريعة                   |
| Sinaa <sup>٤٧</sup>   | زنا                     |
| Tesubaha              | تسيح (أي: مسبحة - سبحة) |
| Tunfulu               | طفل                     |
| Wakati <sup>٤٨</sup>  | وقت (أي: ساعة)          |

**النقطة الثالثة:** جملة من الألفاظ والعبارات اليورباوية المخترعة لخدمة دين الإسلام وغير مستعارة من أصولٍ عربيّة: سُمّيت مجموعة من الألفاظ اليورباويّة في هذه الدراسة بألفاظٍ يورباويّةٍ إسلاميّةٍ لأنها مخترعة لخدمة حاجات المسلمين اليورباويين في البحث عن الألفاظ المناسبة لبعض الأفكار الدينيّة اللغويّة. لقد لجأ كبارهم وأعلامهم إلى الاختراعات اللغوية فوضعوا تلك المفردات للتعبير عن الأغراض الدينيّة التي يصعب تبديلها بكلمات ذات يورباويّة الأصول، وليست لحروف تلك الكلمات وأصواتها، من حيث البنية والتركيب، أصول عربيّة خالصة كذلك، غير أنّ بعض هذه الكلمات نُقلت من لغة الهوسا مثل: مسلاسي من مسالاتشي *Masalasi-Masalachi* (أي مسجد) في اللغة العربيّة. إضافة إلى ذلك، فهناك بعض المفردات الهوساويّة الدخيلة إلى اللغة اليورباويّة من خلال الاحتكاك الديني والمعاملات الإسلاميّة والتي لا تتجذّر من أنظمة التراكيب العربيّة ولا من أصول يورباويّة، مثل

تاكادا، مسلاسي، سُونا، وُنكا، وغير ذلك. وكذا، توجد عبارات مرَّبة من كلمات يورباوية لتؤدِّي مفاهيم وعقائد وقيمًا إسلامية في المجتمع اليورباوي وخاصة بين المسلمين.

أ الألفاظ اليورباوية الإسلامية غير المنقولة من أي لغة من اللغات:

| Yoruba      | Arabic                           |
|-------------|----------------------------------|
| Aawe gbigba | الصيام / الصوم                   |
| Age         | إبريق                            |
| Didego      | حِجَامَة                         |
| Eleha       | المنتقبة / المحجوبة / المحتجبة   |
| Hantu       | الخطّ العربي                     |
| Iboju       | النقاب                           |
| Ibori       | الخِمار / البرُّقع               |
| Ijade       | خروج                             |
| Ijirebe     | دعاء                             |
| Ile Keu     | مدرسة قرآنية / مدرسة عربية دينية |
| Irun kiki   | الصلاة / إقامة الصلاة            |
| Isinu       | إفطار                            |
| Itunu       | فطر / عيد الفطر                  |
| Kayokayo    | عاشوراء                          |
| Keu kike    | قراءة قرآنية / قراءة عربية دينية |
| Tada'a      | حبر اللوح                        |
| Walaha      | اللّوح                           |
| Were jiji   | شعْرُ رمضانيُّ يورباويُّ         |

ب الألفاظ اليورباوية الإسلامية المنقولة من لغة الهاوسا أو عن واسطتها:

| Yoruba    | Hausa Origins | Arabic Meaning |
|-----------|---------------|----------------|
| Labidun   | Dabino        | تمر            |
| Laada     | Laada         | ثواب           |
| Masalaasi | Masallaci     | مسجد           |
| Suuna     | Sunan         | تسمية          |
| Waka dida | Waka          | غناء           |
| Wonka     | Wanka         | غسل            |

ج - العبارات اليورباوية المحدثه لسياقة مفاهيم متعلقة بالثقافة الإسلامية اللغوية من غير

تركيباتٍ عربيّة:

| العبارات اليورباوية المحدثه | المعاني العربيّة                                     |
|-----------------------------|--|
| Bembe Oru                   | الدُّفُّ <sup>٤٩</sup> الليلي                        |
| Dumbu Eran                  | ذبح الدابة   |
| Esin Sisin                  | عبادة دينية  |
| Gigun Eran                  | نَحْر الدَّابَّة                                     |
| Idide Oru                   | قيام الليل أو التَّهَجُّد (صلاة الليل) <sup>٥٠</sup> |
| Igbende                     | البعث من الأجدات                                     |
| Irole Aiye                  | مساء الدنيا  |
| Ojo Ajinde                  | يوم القيامة  |
| Ojo Igbende                 | يوم البعث من القبور                                  |
| Ojo Igunran                 | يوم النَّحْرِ  |

|            |              |
|------------|--------------|
| Ojo Ikehin | اليوم الآخر  |
| Saara sise | إعطاء الصدقة |
| Saka yiyo  | إيتاء الزكاة |

### التحدّيات في وجه الثقافة العربيّة الإسلاميّة:

بدأت الحملات التغريبيّة تتوجّه إلى الثقافة العربيّة من خلال أرسخ الحصون وأقواها، وهو الإسلام نفسه. وقد حاولوا عدّة مرّاتٍ وما زالوا في الدعوة إلى التفرقة بين الدّين والقوميّة العربيّة، بل بين الإسلام واللغة التي أنزل بها دستور الأمة الإسلاميّة نفسها أيّ العربيّة. ولقد واجهت اللغة العربية أقسى ألوان التحدّي في سبيل القضاء على وحدتها، وتغليب العاميات الإقليميّة عليها. وقد بدأت الحملة من منطلق مقارنة اللغة العربية باللغة اللاتينيّة التي دخلت المتاحف محلية الطريق للغات الإقليميّة واللهجات المحليّة.

وبالجمله فإنّ التحدّيات الصادرة من قبل هؤلاء المعرّبين والمستشرقين يمكن أن تشمل وتمثّل على هذه المحاولات التالية:

- المحاولة في إيقاف اللغة العربيّة عن النموّ في الأوطان الإسلاميّة بما فيها الدول العربيّة وغير العربيّة علمًا أنّها هي لغة الفكر والثقافة والعبادة لدى هؤلاء المسلمين الذين قد يبلغ عددهم حاضرًا حواليّ مليار والنصف، فهو الدّين الثاني في أكثرية عدد المنتمين. ذلك عن طريق الدعوى أنّ الحضارات الإنسانيّة والتطوّرات الحديثة تنحصر في اللغات الأوروبيّة، وأنّ اللغة العربية لغة الدّين والعبادة فقط.

- كانت المحاولة المتواصلة في تبديل الفصحى بالعامية في كثير من البلدان العربيّة.  
- وقام الأعداء بالسعي في خلق لغةٍ وسطى بين العامية والفصحى، وذلك لعزل اللسان العربي والثقافة عن مستوى القرآن الكريم من الفصاحة.  
- وكذا المحاولة في هدم دولة الإسلام والقضاء عليها، وقد سلكوا في تحقيق ذلك طريق تجزئة الأمة الإسلاميّة وتفتيتها، فأثاروا النعرات الإقليميّة والقوميّة، وجنّدوا لذلك أعوانًا لهم داخل ديار المسلمين.

- والمحاولة في الغارة على حضارة الإسلام وثقافته سعيًا وراء هدم عقائده وأفكاره، ونشر الأفكار الغربية بديلة عنها.

- الغزو الفكري عن طريق التبشير: أخذت أوروبا تغزو العالم الإسلامي عن طريق التبشير باسم العلم والإنسانية تمهيدًا لاستعمار العالم الإسلامي كله، ورصدت لذلك الأموال الضخمة. وبعد جهود متواصلة استمرت عشرات السنين انتشرت الجمعيات التبشيرية في كثير من البلدان الإسلامية، وكان معظمها جمعيات إنجليزية وفرنسية وأمريكية، وعن طريقها تغلغل النفوذ الغربي في البلاد الإسلامية. وأصبحت هذه الجمعيات مع الزمن هي الموجهة للنعرات والعصبيات، والمسيطرة على توجيه المتعلمين من المسلمين فكانوا نقمة على أمتهم لمشاركتهم المبشرين في تنفيذ مخططاتهم وتحقيق أهدافهم<sup>٥١</sup>. ومن وسائل هذه حركة التبشير، التعليم بإنشاء الكليات الجامعية في مراكز بلدان العالم الإسلامي<sup>٥٢</sup> كالكلية السورية الإنجليتية التي أقاموها في بيروت عام ١٨٦٥م وهي المسماة الآن بالجامعة الأمريكية. ولم يكتفوا ببيروت بل أقاموا كلية في القاهرة وأقاموا كلية "روبرت" في استنبول، وكلية لاهور، وكلية "غوردن" في الخرطوم، وإلى جانب ذلك الجامعة اليسوعية في بيروت<sup>٥٣</sup>. ومن الوسائل تأسيس الجمعيات المختلفة: "كجمعية الفنون والعلوم" و"الجمعية العلمية السورية". وأخطر هذه الجمعيات "الجمعية السريّة" التي تأسست في بيروت سنة ١٨٧٥م. وعن طريق هذه الجمعيات تمكنت أوروبا من القضاء على الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الإسلامي وبسط نفوذها السياسي والثقافي والعسكري عليه<sup>٥٤</sup>. ومنها التطبيب وتأسيس المكتبات والطباعة والصحافة والنشر والعمل الاجتماعي<sup>٥٥</sup>.

#### الاحتفاظ بالآثار اللغوية للثقافة العربية الإسلامية:

الثقافة العربية الإسلامية تهدف في حقيقتها إلى نشر العدل والأخوة الإنسانية بين كافة الأجناس والفئات البشرية، بينما الثقافة الغربية تهدف إلى استغلال الغني للفقير والعظيم للحقير، واستعباد الناس بعضهم بعضًا، واستعمار القوي للضعيف، والتسلط على خيرات البلاد واستخدامها وفق ما يحقق لهم النفع والمصلحة الخاصة. ومن هنا يبدو الفرق واضحًا بين

الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى، كما يتجلى بوضوح خطأ القول بوحدة الثقافة العالمية، ولو قيل وحدة المعرفة العالمية لكان ذلك مقبولاً، لأن المعرفة تضم المعارف والعلوم العامة التي هي ملك للبشرية كلها. ذلك لأن الثقافات ذاتية وخاصة ومتصلة بأممها لا تنفك عنها، وهي من أجل ذلك لا تنصهر ولا تذوب في بوتقة واحدة، ولكنها تتلاقى وتتعارف ويأخذ بعضها من البعض الآخر ما يزيد قوة، ويرفض بعضها من البعض الآخر ما يصاد وجوده أو يتعارض مع الأصول الأساسية لمقومات فكره وكيانه وذاتيته<sup>٥٦</sup>.

وإذا كان هذا الفرق مما يميز الثقافة العربية الإسلامية ويُوقِّفها أو يُفضِّلها على الثقافات الأخرى، فلا حاجة للمسلمين إلا إلى الاحتفاظ على الآثار اللغوية التي من خلالها تتمثل الثقافة وتحيا في حياتهم اليومية من النواحي التعبيرية. هذا، وقد قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} <sup>٥٧</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام: "من رغب عن سنتي فليس مني"<sup>٥٨</sup>.

وإذ لم تكن اللغة العربية في نظر المسلم مجرد أداة للتخاطب أو التفاهم أو مصطلحات لمسميات الأشياء لتمييز بعضها عن بعض، وإنما هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي لغة التشريع الذي يضبط حياة الناس وينظّمها في كل زمان ومكان، وبغيرها يستحيل الاجتهاد لأن نصوص القرآن والسنة لا يمكن فهمهما إلا بها، فهي شرط أساسي فيه<sup>٥٩</sup>. وهي رهينة على جميع الأفراد المسلمين؛ عربهم وغير العرب منهم أن يقوموا بمساهماتهم تجاه الاحتفاظ على الآثار اللغوية لهذه الثقافة العربية الإسلامية حتى لا تنقرض فتذوب مع الزمن والظروف بكيد أعدائها وأعداء المسلمين أنفسهم.

### خصائص الثقافة العربية الإسلامية المتطلّبة:

ينبغي ويُشترطُ للقيام بهذه المساهمات الفكرية اللغوية فهم خصائص الثقافة العربية الإسلامية نفسها حتى يتسنى استيعاب الفكرة ومن ثم المبادرة إلى العمل الناجح بمقتضياتها، وتتمثل الخصائص في هذه العناصر التالية:



أ **التوازن:** إنّ الإسلام نفسه يدعو إلى التوازن والوسطية في كلّ شيءٍ، ولأجل ذلك عُرِفَت الثقافة العربيّة الإسلاميّة بالوسطية، فالإنسان المسلم يرى نفسه أنه ليس مفردًا، بل هو في جماعةٍ، وهو كالأخرين من الناس ليس في أصله خير مطلق، ولا شرّ مطلق، بل خلق سويًّا محايدًا، فهناك توازن وثيق بين الجسم والعقل والروح. فلا يجوز الاهتمام بالقيّم الروحيّة على حساب القيّم الماديّة بل الموازنة بينهما. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>٦٠</sup>. وقال الرسول صلى الله عليه وسلّم: "ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته وليس بخيركم من ترك آخرته لدنياه"<sup>٦١</sup>.

ب **التكامل:** أمّا التكامل، فالمقصود به هو عدم تناول أحد الجوانب دون الآخر، فهو تناول كلّ شيءٍ حتى الإنسان والحياة كلاًّ متكاملًا مع المجتمع الذي يعيش فيه. فالثقافة العربيّة الإسلاميّة ثقافة متكاملة لم تترك أمرًا من أمور الدنيا والآخرة ولا فعلاً من أفعال الإنسان ولا تصرّفًا من تصرّفاته ولا اتّجاهًا من اتّجاهاته إلاّ أعطته حكمه الشرعي، ووضعتة في ميزانه الحقيقي وجعلت كلّ ذلك مرتبطًا بالعقيدة الإسلاميّة برباط وثيقٍ محكمٍ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>٦٢</sup>. فهذا التكامل ملتصقٌ بهذه الثقافة ويكون من خصائصها ومميّزاتها البارزة.

ت **الوظيفيّة:** وتعني هذه الفكرة أن يكون إنتاج جميع الأفراد المسلمين في وظيفة خدمة المجتمع الإسلامي<sup>٦٣</sup>، من جميع النواحي اللغويّة والثقافيّة والاجتماعيّة والخلقيّة.

ث **فكر ربّانيّ:** وذلك أن مصدر الثقافة العربيّة الإسلاميّة هو الوحي؛ أيّ الكتاب والسنة، وهذا يُبعدها عن التناقض والضلال والانحراف، ويجعل التزام العمل ينبع من داخل النفس.

ج **العموم والعالمية:** الثقافة العربيّة الإسلاميّة ثقافة إنسانيّة عامّة لا تفرق بين إنسانٍ وإنسانٍ، فهي صالحة لأن تكون ثقافةً لكلّ إنسانٍ بغضّ النظر عن لونه ودمه وموطنه، فهي عامّة لجميع البشر في كلّ زمانٍ ومكانٍ، فليست خاصّة بقومٍ ولا محصورة بمكانٍ.

ولا محدودة بزمان<sup>٦٤</sup>. والإسلام يحارب كلّ دعوةٍ عنصريّةٍ، وقد حدّرَ الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم من مثل تلك الدعوات فقال: "دعوها فإنها دعوة منتنة"<sup>٦٥</sup>. وقال: "ليس منّا من دعا إلى عصبيّة"<sup>٦٦</sup>.

ح فكر ذو قيمٍ ومثُلٍ سامية: الثقافة العربيّة الإسلاميّة مبنية على الإيمان بالله واليوم الآخر وهذا الأساس للثقافة العربيّة الإسلاميّة هو أقوى دوافع الخير، وأقوى باعثٍ لوجود القيم والمثل في الحياة. هذه القيم لها وزن واعتبار، فهي لا تنحني أمام المصالح الفرديّة والفوائد الماليّة، ولا توزن بالمادّة، لأنه لا يوجد معيار للمقارنة توضع فيه. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }<sup>٦٧</sup>.

خ الإيجابية: تدفع الثقافة العربيّة الإسلاميّة الإنسانَ وتُشجّعه إلى العلم والعمل والتخلّق بالأخلاق الحسنة، وتغرس في نفسه التعاون والإيثار، وتُخرّجه من الجمود الفكري، وتدفعه إلى التفكير العميق المستنير والتأمل والتدبّر كما تدفعه إلى القوّة والعزّة. وهذا الفكر يُشعرُ الإنسانَ الملتمزم به بضخامة مسؤوليّته وبأهميّته في الحياة الدنّيا، وأنّه لم يُخلَق عبثًا. فهو ذلك الإنسان الذي تراه مؤمنًا عابداً، عاملاً مفكراً محباً للخير نزاعاً إليه، كارهاً للشّرّ منفراً منه، يتعاون على البرّ والتقوى لا على الإثم والعدوان<sup>٦٨</sup>.

#### الخاتمة:

قد حاول الغرب بكلّ ما في وسعه من كيدٍ وتخطيطاتٍ وبكلّ ما أتيح له من قوّة وسيطرة، بل وبكلّ وسيلةٍ من الوسائل منذ القديم البعيد على التفريق بين اللغة العربيّة والثقافة الإسلاميّة، ولم ينجح. وإذ كانت المساهمات الفكرية العلميّة المتواصلة لتطوير اللغة العربيّة والثقافة الإسلاميّة في جميع الأوطان المنتمية إلى الإسلام بما فيها جمهوريّة نيجيريا أمراً تبادلياً، فقد انتشرت الثقافة العربيّة الإسلاميّة في بلاد يوربا بإنشاء علوم لغويّة متعدّدة تعين إحياء اللغة العربيّة مع ثقافتها الإسلاميّة عن طريق تأسيس المدارس والمعاهد والمراكز العلميّة والكليّات والجامعات. ومن المعلوم أنّ المسلمين، بثقافتهم العربيّة الإسلاميّة الزاهرة قد كان لهم دور مهمّ لا يُنسى في تاريخ تطوّر اللغة العربيّة واللسانيات العامّة.

هذا، وقد أثرت اللغة العربية في كتابات بعض لغات المسلمين بما فيها اللغة الفارسيّة، واللغة المالايويّة، واللغة التركيّة، واللغة الأورديّة، ولغة الهوسا، ولغة يوروبا وغيرها من اللغات المنتمية إلى الإسلام. أثرت اللغة العربيّة في كثيرٍ من تلك اللغات من ناحية توفير المفردات العربيّة، بل في توفير التعبيرات اليوميّة المستخدمة إلى يومنا هذا. كما يكون من آثارها الكبرى دورها في اختلاف القراءات القرآنية تسهيلاً للمسلمين من مختلف الأجناس.

وإذا أدرك المسلمون أهمية التأثير والتأثر بين اللغة العربيّة والثقافة العربيّة الإسلاميّة العامّة، فقد كان من المستحسن، قيام كلّ واحد منهم بدوره في الدفاع عن اللغة وثقافتها حتى لا تنقرض أيّة منهما. ومن أجل المحافظة على الأصالة للثقافة العربية الإسلاميّة، ساهم هذا البحث في جمع بعضٍ من المفردات والعبارات الإسلاميّة العربيّة وغير العربيّة الدخيلة إلى الثقافة اليورباويّة بما يزيد على مائة، ومن ثم القيام بذكر التحدّيات القديمة والحديثة في وجه الثقافة العربية الإسلاميّة، ثم بالحث الشديد للعناية بالاحتفاظ بالآثار اللغوية للثقافة العربية الإسلاميّة في بلادنا اليورباوية وفي جميع أنحاء الدولة النيجيريّة والعالم كلّه، وشجّع على الالتزام بخصائص الثقافة العربيّة الإسلاميّة التي تتمثّل في التوازن ووسطيّتها، والتكامل، والوظيفيّة، والفكر الرّبّاني، والعموم والعالميّة، والقيم العالية، والإيجابية.

وقد أشار البحث في نتيجته إلى بعض أمور مهمّة، منها:

- وجود الصلة القويّة بين اللغة العربيّة وثقافة المسلمين في جميع أنحاء العالم، وخاصة في بلاد يوروبا.
- للثقافة العربية الإسلاميّة خصائص لا توجد في الثقافات العالميّة الأخرى، منها التوازن، والوسطيّة، والتكامل، والوظيفيّة، والفكر الرّبّاني، والعموم والعالميّة، والقيم العالية، والإيجابية.
- المساهمة في الاحتفاظ بالآثار اللغوية للثقافة العربية الإسلاميّة.

الهوامش والمراجع

١. محمود الخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ج ١، ص ٤٦.
٢. المرجع نفسه.
٣. يوسف نور عوض، المقومات الإسلامية للثقافة العربية، (بيروت: دار القلم، د.ت) ص ٥.
٤. مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، الطبعة الأولى، المجلد ٢١، ص ١٢٨.
٥. المرجع نفسه.
٦. أنور الجندي، الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتمائها، ص ٣٦.
٧. المرجع نفسه، ص ٣٧.
٨. المرجع نفسه.
٩. المرجع نفسه، ص ٣٨.
١٠. المرجع نفسه.
١١. المرجع نفسه.
١٢. المرجع نفسه، ص ٣٩.
١٣. المرجع نفسه.
١٤. المرجع نفسه، ص ٤٠.
١٥. محمد حسن العمارة، الفكر التربوي الإسلامي، (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، الطبعة الأولى، ص ٤٦.
١٦. انظر: سورة النحل: ١٠٣، وسورة الشعراء: ١٩٥، وسورة فصلت: ٣، وسورة فصلت: ٤٤، وسورة يوسف: ٢، وسورة الرعد: ٣٧، وسورة طه: ١١٣، وسورة الزمر: ٢٨، وسورة الشورى: ٧، وسورة الزخرف: ٣، وسورة الأحقاف: ١٢.
١٧. الموسوعة العربية العالمية، مج ٢، ص ٥٥٧.

١٨. المرجع نفسه.
١٩. آدم عبد الله الألوري، موافق متوسطة من مركز التعليم العربي الإسلامي، (القاهرة: مطبعة المعرفة، ١٩٩١م)، ص ٣٩.
٢٠. عبد الحميد أمين، دراسة تقابلية بين اللغة العربية ولغة اليوروبا على مستوى الجملة البسيطة، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في تعليم العربية للناطقين بغيرها، (الخرطوم: معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ١٩٩٠م) ص ٣٤-٣٥.
٢١. R. D. Abubakre , “Aspects of Diffusion of Arabic to Yoruba” (NATAIS, 1983), Vol. II No. 4, p. 4.
٢٢. أحمد شيخو غلادنشي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، (القاهرة: دار المعارف، مصر، ١٩٨٨م)، ص ٧١.
٢٣. هذا تركيب خبري يوروبوي
٢٤. يستعمل اليوروبويون كلمة "الربا" غالبًا لمعنى الرشوة، فقلّ استعمالها بينهم للمعنى العربي أو الشرعي المقصود.
٢٥. تُستخدم تلك الكلمة لمعنى "العهد" أو "العصر" أو "الدور" أو "الزمان" أو "مدّة الحكم" في معظم الأحيان.
٢٦. روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي - إنكليزي، ص ١٢٤٩.
٢٧. المقصود اليوروبوي بهذه الكلمة هو التعب، وليست الكلمة على مقصودها العربي المباشر.
٢٨. بحذف حرف "الحاء" تمامًا عند النطق والكتابة اليورباوية.
٢٩. حدث التغيير في كتابة الكلمة هنا عن طريق إبدال "القاف" بـ "الكاف"، وإبدال "الضاد" بـ "اللام"، ذلك لأنّ القاف والضاد غير موجودتين في لغة يوروبا.
٣٠. التغيير هنا عن طريق إبدال "الضاد" بـ "اللام".
٣١. روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي - إنكليزي، ص ٢٤٢.

٣٢. التغيير هنا عن طريق حذف حرف "الحاء" في بداية كلمة الحيضة تمامًا.
٣٣. التغيير الحادث هنا هو عن طريق حذف حرف "الحاء" في وسط الكلمة تمامًا.
٣٤. الغير هنا عن طريق إبدال "الضاد" بـ "الذال" و "التاء المربوطة" بـ "الكاف".
٣٥. تُستخدم كلمة "جيفة" في لغة اليوربا للميتة حتفَ أنفها بدون ذبح أو قتلٍ شرعيٍّ، أو لمن مات حتفَ أنفه.
٣٦. التغيير الحادث هنا كان عن طريق إبدال حرف "القاف" بـ "الكاف".
٣٧. التغيير الحادث هنا كان عن طريق إبدال حرف "القاف" بـ "الكاف".
٣٨. التغيير الحادث هنا كان عن طريق إبدال حرف "القاف" بـ "الكاف".
٣٩. تغيير الصوائت
٤٠. التغيير في هذه الكلمة كان بسبب نقلها باللغة الوسيطة التي هي لغة الهاوسا.
٤١. حدث التغيير هنا عند المحاولة في استخدام كلمة "الأذان" بدلاً من كلمة "المؤذن" المناسبة.
٤٢. التغيير هنا كان بسبب حذف حرف "الهمزة".
٤٣. التغيير هنا كان بسبب إبدال "الشين" بـ "السين".
٤٤. التغيير هنا كان بسبب حذف حرف "الحاء" في وسط الكلمة تمامًا.
٤٥. التغيير هنا عن طريق إبدال "الذال" بـ "السين"، لعدم وجود حرف الذال في الأصوات اليوروباووية.
٤٦. التغيير هنا عن طريق إبدال "الزاي" بـ "السين"، لعدم وجود حرف الزاي في الأصوات اليوروباووية.
٤٧. التغيير هنا عن طريق إبدال "الشين" بـ "السين"، لعدم وجود حرف الشين في الأصوات اليوروباووية.
٤٨. التغيير هنا عن طريق إبدال "الزاي" بـ "السين"، لعدم وجود حرف الزاي في الأصوات اليوروباووية.

٤٩. التغيير هنا عن طريق إبدال "القاف" بـ "الكاف"، لعدم وجود حرف القاف في الأصوات اليوروباووية، وتُستخدم كلمة الوقت لغير مقصودها العربي الحقيقي عند اليوروباويين غالبًا، إذ يعنون بها معنى "الساعة".
٥٠. آلة موسيقية، انظر: روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي - إنكليزي، ص ٥٤٥.
٥١. المرجع نفسه.
٥٢. سميح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة السابعة، ١٩٨١م)، ص ٤٢٧ - ٤٢٩.
٥٣. مصطفى الخالدي وغيره، البشير والاستعمار، ص ٤٧.
٥٤. المرجع نفسه، ص ٩٠.
٥٥. عزّ الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، (عمّان - الأردن: دار الفرقان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٨.
٥٦. المرجع نفسه، ص ٣٨ - ٤٠.
٥٧. محمود الخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ص ٧٥ - ٧٦.
٥٨. سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
٥٩. رواه الترمذي ومسلم وأحمد.
٦٠. محمد حسن العمارة، الفكر التربوي الإسلامي، ص ٤٦.
٦١. سورة القصص، الآية: ٧٧.
٦٢. رواه ابن عساکر والديلمي.
٦٣. سورة النحل، الآية: ٨٩.
٦٤. أبو العينين، أصول الفكر التربوي الحديث، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص ١٤٦ - ١٤٧.
٦٥. عزّ الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٣.
٦٦. رواه مسلم في صحيحه عن جابر.

## تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى

د. ثاني أبوبكر عبد الله

ومحمد نوح لوي

قسم اللغة العربية، جامعة بوتشي غطو،

ولاية بوتشي، نيجيريا.

07012525298 08063872689

### المقدمة

لقد تفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع ثقافات الأمم والشعوب التي عرفت الإسلام، والتي اتصل بها المسلمون أو انضوت تحت لوائه. وكان هذا التفاعل الثقافي المرن المتفتح، أهمّ عنصر من عناصر القوة في الثقافة العربية الإسلامية، ودافعاً نحو الانفتاح على الثقافات وهضمها واستيعابها وتكييفها مع روح الثقافة العربية الإسلامية، كما كان هذا العنصر حافزاً إلى فهم طبائع الأمم والشعوب والغوص في أغوارها والتماس الحكمة من حضاراتها، تحقيقاً لمبدأ التعارف القرآني، وتأكيداً لرسوخ الهوية الثقافية الحضارية العربية الإسلامية. ولقد كان تفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى، وسيلةً لتحرير الشعوب والأمم من الخرافات والوثنيات والعصبية والمظالم، وطريقاً إلى إيقاظ الوعي والوجدان وتحرير العقل والنفس، حتى استقامت هذه الثقافات على كلمة الله الحق بالتوحيد، واستمدت من القرآن الكريم قيمها الأساسية: عبادات ومعاملات وأخلاقاً، ونظام مجتمع، ومنهج حياة جامعة بين العقل والقلب، والروح والجسد، والدين والعلم، والدنيا والآخرة. وسوف تتكون المقالة - إن شاء الله - على النقاط التالية بعد المقدمة:

- التعريف بالثقافة.
- مصادر القوة في الثقافة العربية.



- الثقافة العربيّة والمجتمعات الأخرى.
- تأثير الثقافة العربية في النهضة الأوروبية.
- الثقافة العربية في منطقة إفريقيا.
- الخاتمة.

### التعريف بالثقافة

الثقافة مصطلح حديث (لكنها كلمة عريقة قديمة في العربية بمفهوم آخر، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ "ثقف" "حيث ثقفتموهم") في اللغة العربية، وجاء في المعجم الوسيط<sup>١</sup>: ثقف الرجل: صار حاذقا فطنا، والثقاف: هي العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها. وهي تعنى باختصار: كل ما صنعه الإنسان أينما وجد؛ ولذلك فليس هناك مجتمع بلا ثقافة؛ فكل مجتمع مهما صغر حجمه أو كبر له ثقافته الخاصة به.

الثقافة ظاهرة تخص الإنسان فقط لأنها نتاج عقلي، والإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدرته العقلية والإبداعية، وهي التي ساعدت الإنسان على:

- التواصل مع الآخرين عن طريق اللغة
- التكيف مع البيئة المحيطة سواء كانت طبيعية أو اجتماعية

تنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية بين الفرد والآخرين

إن الأهمية الاجتماعية للثقافة دفعت بالكثير من العلماء والباحثين منذ القرن التاسع عشر إلى محاولة وضع تعريف أو تحديد لمفهومها، لكن تعدد وتنوع التعريفات جعل محاولة حصرها عسيرة. ونحاول في هذا المجال تسليط الضوء على جزء من هذه التعريفات ونستهلها بالمدلول اللغوي. "يقال "ثقفت الشيء حذقته" و"ثقف يثقف ثقافة: فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، وثقفه يثقفه ثقفا: غلبه في الحذق، والثقفيف: الحاذق الفطن". و"ثقف ثقافة: صار حاذقا، وثقف الكلام فهمه بسرعة"<sup>٢</sup>. ويجب التذكير أن ابن خلدون رغم أنه لم يستعمل مصطلح الثقافة حسب ما يتداول الآن، إلا أنه يُعدّ أول من قدّم تعريفا للثقافة ولو بصفة غير دقيقة، وهذا قبل ظهور كلمة "ثقافة" بألمانيا بقرنين من الزمان، إذ ميّز بين

"ثقافة البداوة" و"ثقافة المدن" واعتبرت هذه الأخيرة أرقى من الأولى بسبب غضارة العيش أو الثروة، فالثقافة حسب ابن خلدون هي آداب الناس في أحوالهم في المعاش كالعمران والصنائع والفنون والدراية في مجالات الحياة اليومية. وتتشكل آداب الناس بالتعليم والاكتساب وأعمال الفكر.<sup>٣</sup>

والواقع أن كلمة الثقافة Culture هي واحدة من بين الكلمات التي يكتنفها التعقيد والغموض، فهي مشتقة من اللاتينية Colere بمعنى ربي واعتنى. وتدل كلمة ثقافة بشكل عام على الجانب الفكري من الحضارة. أما كلمة حضارة Civilization فتدل على الجانب المادي. على أننا نجد ترادفا في المفهوم الانجلوساكسوني للكلمتين. فكلمة Culture كثيرا ما تأتي مرادفة لكلمة Civilization.<sup>٤</sup>

ولعل أقدم تعريف للثقافة وأكثره انتشارا ذلك الذي قدمه إدوار تايلور في نهاية القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" مفاده أن الثقافة هي: "كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع".<sup>٥</sup> ومن أهم التعريفات وأكثرها وضوحا ذلك الذي نحتته روبرت بيرستند حين قال: "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع".<sup>٥</sup> وفي هذا السياق يعرف مالك بن نبي الثقافة على أنها "الجو المشتمل على أشياء ظاهرة مثل الأوزان والألحان والحركات وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد بمعنى أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين أو سلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر".<sup>٦</sup>

إن تعدد تعريفات الثقافة نابع . في الحقيقة . من تباين الدارسين، فمنهم من يميل إلى دراسة الثقافة في حد ذاتها والتنقيب عن وظائفها الاجتماعية المطلقة، وهناك من يرجح كفة التاريخ ولا يفهم الثقافة إلا من خلال منظورها التاريخي. ويمكن اختصار مفاهيم الثقافة العديدة والمتنوعة في محورين أساسيين: الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي الذي يشمل كل ما يقوم به الإنسان من نشاط فكري أو مادي. أما المعنى الثاني فيرتبط بنوع الأساليب وأشكال القيم التي يبتكرها

الإنسان ليكسب إنسانيته معناها الخاص، وينظم بها حياته الخاصة والاجتماعية والفكرية والروحية والجمالية. أي أن الثقافة وفق هذا المنظور تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع وما يتصل بهما من المهارات والوسائل. فالثقافة بهذا المعنى هي المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير.<sup>٧</sup>

### مصادر القوّة في الثقافة العربية:

في إطار المنظور الرحب الواسع، يمكن أن نقول، إن الثقافة العربية، ثقافة القوة والبأس، لا ثقافة الضعف والبؤس. والقوّة تؤدّي إلى النظام والانسجام والتناغم، في حين أن الضعف يتسبّب في الفوضى والصراع والتصادم. ومن ثمة كانت الثقافة العربية، ثقافة الحوار والتفاهم والتواصل، ولم تكن قط لتتأى عن التلاقح والتمازج والتداخل. في حين كانت بعض الثقافات التي تنتسب إلى الأمم والشعوب القديمة، تنزع نحو الانعزال والانغلاق، وتصطبغ بصبغة العرقية والعنصرية، ولم تكن على الإجمال، ثقافةً متفتحة، قابلةً للأخذ والعطاء.<sup>٨</sup>

إن الثقافة قوّة فاعلة من قوى البناء الحضاري في مدلوله الشامل، الفلسفي والأدبي، السياسي والاجتماعي، الاقتصادي والتنموي. والثقافة طاقةٌ للإبداع في شتى حقول النشاط الإنساني، ثم إن الثقافة البانية المهادفة الفاعلة، لا بد وأن تكون في خدمة السياسات التي تتجه نحو ترقية وجدان الإنسان، وتهذيب روحه، وصقل مواهبه، وتوظيف طاقاته وملكاته في البناء والتعمير، والتي تعمل من أجل تحقيق الرقي والتقدم والرخاء والازدهار.<sup>٩</sup>

ولا يمكن للثقافة أن تمتلك القوة والمناعة، وتنهض بهذه المسؤولية على الوجه المرغوب فيه، إلا إذا توفّرت لها ثلاثة شروط تعتبر من مصادر القوة في الثقافة العربية، ومن أسس النهضة الثقافية، ومن العناصر الأساسية لبنية الثقافة العربية:<sup>١٠</sup>

أولاً: أن تكون الثقافة ذات مركّزات تستند إليها ومبادئ تقوم عليها، فلا تكون ثقافة منبّة الجذور، لا هوية لها تُعرف بها، ولا خصائص لديها تميّزها.

ثانياً: أن تكون الثقافة ذات أفق مفتوح ورؤية شاملة، لها قابلية للتفاعل مع الثقافات الأخرى، ولها استعداداً كاملاً في أصولها للتعامل مع الثقافات الإنسانية من هذه المنطلقات.

ثالثاً: أن تكون الثقافة ذات منحى إنساني تتخطى به المجال المحلي أو الإقليمي، إلى الآفاق العالمية، من دون أن ينال ذلك من خصوصيتها، أو يؤثر في طبيعتها، فتكون بذلك ثقافة تتواصل بشري، وتجاوز إنساني، وثقافة تفاهم يؤدي إلى التعايش بين الأمم، وثقافة تعاون يحقق التضامن بين الشعوب.

بتوافر هذه الشروط، لا تكتسب الثقافة العربية القوة والمناعة فحسب، ولكنها تكتسب إلى ذلك القدرة على السمو والرقى، لأن الثقافة القوية القادرة على البناء، هي تلك الثقافة التي تسمو بالإنسان إلى المقام الأرفع والمكانة الأسمى. وكما يقول الرئيس علي عزت بيجوفيتش، فإن حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع، ومعنى الثقافة، القوة الذاتية، أما الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم. إن الثقافة تميل إلى التقليل من احتياجات الإنسان، أو الحد من درجة إشباعها، وبهذه الطريقة تُوسّع في آفاق الحرية الداخلية للإنسان. وتلك هي القوة الروحية والنفسية والعقلية التي تمكن الإنسان أن يمارس وظائفه في الحياة على النحو الذي يرضي خالقه أولاً، ثم يرضي نفسه بعد ذلك.

إن إبراز هذه السمات والخصائص التي تنفرد بها الثقافة العربية، أمرٌ نراه ضرورياً في سياق الحديث عن الثقافة العربية والثقافات الأخرى، سواء أكان القصد من هذا الموضوع هو المقارنة التي تعنى بيان أوجه الأشباه والنظائر، وكشف نواحي الالتقاء والافتراق، أم رسم حدود العلاقة التي يفترض أن تقوم بين الثقافة العربية، وبين الثقافات الأخرى.

وفي كلتا الحالتين، فإن المنطلقات الأساسية في البحث عن مصادر قوة الثقافة العربية، وعن خصائصها، ووظائفها، ورسالتها وأهدافها، ومظاهرها، تستند إلى ثلاثة أسس:<sup>١١</sup>

**الأساس الأول:** إن الثقافة العربية في مبادئها وأصولها، وفي مفاهيمها ودلالاتها، تعبّر عن جوهر رسالة الإسلام السمحة، فهي بذلك ثقافة إنسانية بالمعنى العميق، تفتتح على ثقافات

الأمم والشعوب، فتلاقح وتتمازج وتتصاهر معها، وإن مصدر ثرائها وقوتها ومناعتها يكمن في هذه الخاصية التي لا يعرف التاريخُ الثقافِيُّ البشري نظيراً لها.

ولقد حدّد المفكّر مالك بن نبي أربع دعائم تقوم عليها الثقافة العربية، هي:

(أ) الدستور الأخلاقي.

(ب) الذوق الجمالي.

(ج) المنطق العملي.

(د) الصناعة أو (التقنية).

والثقافة التي يعرفها الغربيون بصورة عامة بأنها (فلسفة الإنسان)، يحدّها مالك بن نبي بالقول إنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كـرأسمالٍ أوّلى في الوسط الذي ولد فيه. أي أنها المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته. وعلى هذا الأساس تكون الثقافة (نظرية في السلوك) أكثر من أن تكون (نظرية في المعرفة). وفي هذا التحديد يكمن الفرق بين الثقافة والعلم، فالثقافة سلوك، أما العلم فمعرفة. والثقافة بهذا المعنى وثيقة الصّلة بالتاريخ والتربية، فليس ثمّة تاريخ لأمة بلا ثقافة، والشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتماً تاريخه، إذ هي الوسط الذي تتكوّن فيه خصائص المجتمع التاريخية من عبقرية وتقاليد وأذواق ومشاعر. والثقافة من ناحية ثانية، تنحدر بمضمونها التربوي من حيث إنها دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوّع الاجتماعي.

**الأساس الثاني:** إن الثقافة العربية، في عمقها وجوهرها، ثقافةٌ تدافع، لا ثقافةٌ تصارع، فالتدافع هو سنة الحياة، أما التصارع، أو الصراع، فهو مفهومٌ يعود إلى التراث الإغريقي والروماني الذي عرف أساطير صراع الآلهة، ولا يعبر عن الطبيعة البشرية والفترة الإنسانية. وهذا أيضاً منبع من منابع القوة والحيوية والقدرة على الحضور في ساحة التنافس الثقافي، لأن التدافع الثقافي مصدرٌ قوّة، في حين أن التصارع، أو الصراع الثقافي، يؤدّي إلى إضعاف الذات، والنيل من القدرات والملكات، ويسير في اتجاه معاكس للغايات الإنسانية النبيلة.<sup>١٢</sup>

وليس عزوف الثقافة العربية الإسلامية عن الصراع، ضعفاً في تركيبها أو خللاً في عناصرها الأساس، ولكنه عنصرٌ تحضّرٌ فيها، وعلامة نضج ووعي، ومظهرٌ صحة. ومن المؤكد أن خاصية النزوع نحو التدافع بدلاً عن التصارع، هي التي مكّنت الثقافة العربية من الصمود أمام الأعاصير الثقافية والفكرية والمذهبية التي واجهتها عبر العصور.

**الأساس الثالث:** إن كثيراً من جوانب الثقافة العربية، في أوضاعها ومستوياتها الحالية، مع شديد الأسف والأسى، لا تعبّر عن هوية المجتمع العربي، لأنها جوانب يعترتها الضعف من كل النواحي، ولأن هناك تفاوتاً ظاهراً بين المنابع وبين البدائع، ونقصد بذلك أن أساس هذه الجوانب ليس مستمداً في مجمله من المنابع الأصلية، وأن هذه الظاهرة هي مصدرُ الضعف العام في الثقافة العربية الإسلامية في المرحلة التاريخية الراهنة.

إن الثقافة العربية هي ثقافة اجتهاد وإبداع مستمرين في إطار الضوابط الشرعية والقيم الخلقية، وتعبّر عن هوية الأمة. لذلك فإن عطاء هذه الثقافة، عطاءً متجدد بتجدد الأحوال واختلاف القضايا والأفعال.

ولا ينبغي أن نخدع أنفسنا فنحسب أن الثقافة هي إبداعٌ وابتكارٌ في المقام الأول، وأن قوة الإبداع تنبع من عقل الإنسان المثقف المبدع ومن خياله ووجدانه، وأن لا صلة لذلك كله بالقيم والمقومات. إن هذا وهّمٌ من جملة الأوهام التي تسود حياتنا العقلية وأجواءنا الثقافية. إن الثقافة العربية لن تقوى على مواجهة الأخطار التي تتهددها والتحديات التي تواجهها، إلا إذا استمدت قوتها من جذورها وأصولها، ومن قيم الأمة ومقوماتها. وليس في ذلك أي نوع من الحجر على الإبداع، أو القيد على التفكير والتعبير.<sup>١٢</sup>

### الثقافة العربية والمجتمعات الأخرى:

#### الثقافة والمجتمع:

تحظى الثقافة بأهمية خاصة بما تثيره من نقاش حول وظيفتها ودورها في حياة الإنسان وفي بناء المجتمعات. وتأتي هذه الأهمية من العلاقة العضوية بين الثقافة والمجتمع، ذلك أن الثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، كما أن المجتمع لا يقوم ولا يحافظ على استمراره إلا بالثقافة. ومن

هنا فإن الثقافة تلعب دورا أساسيا في حياة الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع. فضلا عن أنها تشكل الثقافة رافدا حيويا في التمييز بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى وبين مجتمع وآخر، بل إن الثقافة هي التي تميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى.

إن فعالية الإنسان أو المجتمع عبر مختلف المراحل التاريخية لدليل على موقع الثقافة في المجتمع التي بفضلها تمكن الإنسان من التكيف مع محيطه وبيئته، ذلك أن كل إنسان أو مجتمع يبني مجتمعه وينتج ثقافته على طريقته الخاصة والمناسبة للزمن والمكان، ويكتسب خصوصيته من إطار بيئته، ومن ثم تتعدد المجتمعات وتنوع الثقافات وتتطور في الاتجاه الذي يضمن استمرارية الحياة ويجعلها تتجدد بشكل مستمر. ذلك أن الإنسان بطبيعته لديه استعداد وقابلية للتنوع والتغير والتجدد، وهذا ما يؤدي إلى تباين أشكال الحياة، وصور التعبير والتعامل مع الحياة. لكن هذا التعدد والتنوع لا يعني التنافر بين المجتمعات، بل إن التنوع يعزز التكافل الإنساني ويضمن التطور.<sup>١٣</sup>

إن اهتمام المجتمعات المعاصرة بالثقافة نابع من الدور الذي تلعبه في المجتمع، بل إن الثقافة أصبحت عنصرا فعالا في تنمية المجتمع، وهذا ما دفع بالمجتمعات المعاصرة إلى تشجيع التنمية الثقافية. لأن النشاطات الثقافية تساعدنا على أن نفهم من نحن وما نحن عليه هنا والآن، وتمكننا من إدراك معنى الهوية الذاتية التي تخصنا بوصفنا أفرادا داخل الأمة، وكذلك معنى وجودنا ومكانتنا في العالم. ومن هنا فإن الثقافة تلعب دورا هاما في التربية، وتساعد الناس على تنمية مواهبهم وتمكنهم من إيجاد السبل الصحيحة التي توجههم نحو التكيف مع المحيط. وعليه فإن المجتمعات المعاصرة مطالبة بأن توفر لكل فرد الوسائل الفعالة حتى يتمكن من ممارسة النشاطات الثقافية والفنية المختلفة وأن تتيح الفرص أمام الجميع تحقيقا لمبدأ الديمقراطية.

إن وجود الهياكل والنشاطات الثقافية في المدينة دليل على حيوية المجتمع، فضلا عن أنها تساعد على التنمية المستدامة وتساهم في التحسين الشامل لنوعية الحياة. إن كل الأعمال التي

تقوم بها المجموعة لصالح التراث والعمران أو الإبداع الفني تعمل على تنمية القيم وتزيد من متعة الحياة التي لها دون شك مردود اقتصادي واجتماعي.

من جهة أخرى، فإن الفنون الحية تترك آثارا إيجابية وتتيح المجال واسعا أمام قطاعات أخرى، وذلك بفضل ما تدره هذه الفنون من مزايا على الحياة الاجتماعية العامة. ولعل المستفيد الأول من هذه الأنشطة هو المدن والجماعات المحلية التي تجني ثمار جهودها الرامية إلى إقامة تظاهرات ثقافية في محيطها، والتي تعود بالفائدة على مختلف القطاعات. وقد أظهرت الدراسات الحديثة الأثر الاقتصادي للثقافة من خلال توفير العمالة وجلب الاستثمار. أي أن الإنفاق على قطاع الثقافة لا يعني التحرك لصالح الحياة الاقتصادية وحسب، وإنما الاستثمار الثقافي يترك آثارا خارجية متنوعة، لأن توافر المنتج الثقافي واستهلاكه يعود بالفائدة على المجتمع ويحقق الانسجام الاجتماعي ويسهم في تكوين الإنسان وينمي ذوقه الجمالي ويجعله يشعر بالراحة والاطمئنان.<sup>١٤</sup>

وقد نتج عن تفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأمم والشعوب الأخرى، أن صارت هذه الثقافة متعددة المشارب متنوعة الفروع. وكان ذلك مصدرا من مصادر قوة التفاعل في الثقافة العربية الإسلامية. وكان التفاعل الثقافي في حقيقة الأمر، خاصية الحضارة الإسلامية، إذ لم يعرف التاريخ الإنساني في مختلف عصوره، أن ثقافة منتصرة والبة قبلت التفاعل مع الثقافات المنهزمة، وأقبلت على التواصل مع الحضارات المنهارة، وأبقت على مصادرها وآثارها، وتسامحت مع الأديان والعقائد التي نبعت منها.

ولقد فتح تفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى، الأبواب أمامها للاغتراب من منابع هذه الثقافات التي كانت مراكزها في الشام ومصر وفارس، ومنبعها الأصلي في بلاد اليونان. وكانت هذه البيئة تربة خصبة تستطيع إذا بذرت فيها البذور الصالحة أن تنبت صفوة من الرجال والباحثين، ومدارس ثقافية وفكرية تغذي العقل وتعني الوجدان. ثم جاء الإسلام فأمد هذه التربة الخصبة ببذور صالحة، وغدتها روح الإسلام بينوع لا ينضب من الفكر والمعرفة، فظهر في ذلك الجو المزدهر مجموعات العلماء والفلاسفة الممتازين الذين لا يعدون



بالعشرات بل بالمئات. وهذه المدارس لما تفاعلت معها الثقافة العربية الإسلامية، قدّمت التربة التي استطاعة المسلمون أن ينبثوا فيها ثقافة جديدة، وفلسفة، وعلومًا دينية، وطبًا ورياضة وغيرها. وأن يحملوا منها علومًا مزدهرة عميقة الجذور.<sup>١٥</sup>

ولقد كانت قدرة الثقافة العربية الإسلامية على هذا الضرب من التفاعل عاملاً مساعداً على انتشارها وامتداد فروعها وتعميق جذورها في بيئات مختلفة ومجتمعات متعدّدة. واتخذ هذا التفاعل أشكالاً وصوراً شتى تبلّورت جميعها في أنماط من السلوك، ومدارس من التفكير، وأساليب من التعبير، هي المظهر العام للثقافة العربية الإسلامية، وهي النتيجة الطبيعية لتفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الثقافات الأخرى، على هذا النحو من المرونة والتسامح والانفتاح مع التّشبيث بالأصول والجذور، وفي إطار الهوية الحضاريّة الثقافيّة المميّزة.

#### تأثير الثقافة العربية في النهضة الأوروبية:

في بحثه عن أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي، يقول الكاتب ت. كولريونج (T.C. young) " إن الدّين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين، داخل هذه الألف سنة، نساfer إلى العواصم الإسلامية، وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، يجب التذكير به دائماً. وفي جملة ذلك تراثنا الكلاسيكي الذي قام الإسلام على رعايته خير قيام، حتّى استطاعت أوروبا مرّة أخرى أن تفهمه وترعاه. كل هذا يجب أن يمازج الروح التي نتجّه بها - نحن المسيحيين - نحو الإسلام، نحمل إليه هدايانا الثقافيّة الروحية، فلنذهب إليه - إذن - في شعور بالمساواة نوّدي إليه الدّين القديم. ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدّينا ما علينا برّحه. ولكننا سنكون مسيحيين حقاً إذا نحن تناسينا شروط التبادل، وأعطينا في حبّ واعتراف بالجميل".<sup>١٦</sup>

لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، ولقد نقل العلماء العرب المسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التّراث العلمي الذي تقدّم عليهم في التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التي كانت لغة علم وثقافة. وأثر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوروبية.

وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية طابعاً واضحاً ومؤثراً في عديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام التقييم والصفى ونظام العشري، ونظرية التطور قبل "داروين" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل "نيوتن" بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالاً، إن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية، فالفكر العربي الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات، امتدت من الحضارات القديمة، من مصرية وآشورية وبابلية وصينية، إلى حضارة الأغريق والاسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي تأثر علماءه بمن تقدمهم، وأثروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرأوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية.

لقد حافظت الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية من الضياع، إذ لولا المثقفون والعلماء العرب لما وصلت إلى أيدي الناس مؤلفات يونانية كثيرة مفقودة في أصلها اليوناني ومحفوظة بالعربية. ولقد ظل الغرب يشغل على الثقافة العربية حتى بعد أن تقلص ظلها في أندلس بجيلين أو أكثر، حتى وصل إلى العصر الحديثة. وظلت الثقافة العربية الإسلامية تستهوي الكثيرين من أبناء العالم الغربي، إذ لم تتوقف الترجمة عن العربية في عصر النهضة وما بعد عصر النهضة، رغم الاتصال المباشر بالعالم اليوناني والحضارة اليونانية اعتباراً من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، عندما بدأت الكتب اليونانية تُنقل رأساً إلى اللاتينية من دون الاستعانة بالترجمات العربية. فالثقافة العربية لها قيمتها وشخصيتها، فقد أنتجت الكثير مما لم تستطع الثقافة اليونانية إنتاجه في الحقول كافة: إضافات وابتكارات واكتشافات عربية لم يعرفها اليونان.<sup>١٧</sup>

إن حركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية التي خرجت بها أوروبا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة، لم تقتصر بل على "نقل" المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصريّة، من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فحسب، إن أوروبا المسيحية قد "نقلت" أيضًا معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطًا من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة وحياتها الخاصة. ولو أن الكنيسة الكاثوليكية لم تضع ثقلها الفرنجة في معركة تور سنة ١١٤ هـ (٧٣٢م)، لعمت الحضارة الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية في أوروبا منذ ذلك الزمن الباكر، ولوقرت الكنيسة الكاثوليكية على العالم نزاعاً طويلاً وشقاءً مريباً.<sup>١٨</sup>

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، ونهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية، ووجدوا أنها تراثٌ علميٌّ عظيمٌ، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. ولقد كان العرب والمسلمون يمثلون العلم الحديث بكلّ معنى الكلمة، كانوا روادًا في المناهج العلمية الحديثة، ولقد اكتسب المثقفون والعلماء في أوروبا من الثقافة العربية الإسلامية أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي، بحيث وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة العربية الإسلامية ضالّتهم المنشودة، فعكفوا على نشرها.<sup>١٩</sup>

إن الانبهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، وفي الثقافة والعلوم الأوروبيين، جعل مفكرةً عالميةً ألمانيةً تصدع بهذه الحقيقة بقولها: "إن تلك الحضارة الزاهرة التي مرت بأشعتها أوروبا عدّة قرون، تجعلنا نعجب أشدّ العجب، إذ هي لم تكن امتدادًا حضاريًا لبقايا حضارات عابرة، أو لهياكل حضارية محلية على قدر من الأهمية، أو أخذًا لنمط حضاري موجود، أو تقليدًا يُنسج على منواله المعهود، كما نعرف في الأقطار الأخرى مهد الحضارة في الشرق. إن العرب بثقافتهم الذين أبدعوا هذه الروعة الحضارية إبداعاً".<sup>٢٠</sup>

وبينما كانت أوروبا ترتع في غياهب العصور الوسطى، كانت الحضارة الإسلامية (التي هي محض الثقافة العربية الإسلامية) في أوج ازدهارها. لقد أسهم الإسلام كثيرًا في تقدّم العلم

والطبّ والفلسفة. وقال (ويل ديورانت Will Durant) في كتابه (عصر الإيمان The Age of Faith): "إن المسلمين قد ساهموا مساهمة فعّالة في كل المجالات، وكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطبّ، والرازي أعظم الأطباء، والبيروني أعظم الجغرافيين، وابن الهيثم أكبر علماء البصريات، وابن جبير أشهر الكيميائيين". وكان العرب روّادًا في التربية والتعليم. وقال ديورانت في هذا الشأن أيضًا: "عندما تقدّم (روجر بيكو Reger Bacon) بنظريته في أوروبا بعد ٥٠٠ عام من ابن جبير، قال إنّه مدين بعلمه إلى المغاربة في إسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشّرق. وعندما ظهر النوابع والعلماء في عصر النهضة الأوروبية، فإنّ نبوغهم وتقدمهم كانا راجعين إلى أنّهم وقفوا على أكتاف العمالقة من العالم الإسلامي".<sup>٢١</sup>

### الثقافة العربية في منطقة إفريقيا:

كان للغة العربية أهمية كبيرة في إفريقيا، ولها تاريخ قديم في المنطقة، عبرت الحضارة العربية إلى الصحراء الكبرى من الشّمال الأفريقي إلى غربيه بسبب العلاقات التجاريّة التي كانت سائدة بين سكّان شمال إفريقيا وغربيها، وكانت هذه التجارة نقطة تحوّل كبير نحو الانطلاق باللغة العربية وآدابها إلى غربي إفريقيا، وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل التجاريّة، كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر وتتجه إلى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى إلى المراكز التجاريّة الرئيسيّة في غربي إفريقيا مثل: غانا القديمة، وتبكتو، وغاوي وجني وولايات الهوسا، وكانم برنو وغيرها.<sup>٢٢</sup>

وجدير بالذكر أنّ العلاقة التجاريّة بين تلك الممالك والعالم العربي بدأت منذ القرن السّابع الميلادي وازدهرت في القرن الحادي عشر، وقد كانت هي اللبنة الأولى التي تسربت منها الكلمات العربيّة إلى لغات شعوب غربي إفريقيا، جراء تبادل السلع بين البائع والمشتري، وبمرور الزمن اندمجت بعض الكلمات العربيّة ببعض الكلمات المحليّة لاسيما بعد دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة.<sup>٢٢</sup>

تذكر بعض المصادر أنّ تجار المغرب ومصر كانوا يترددون على الأسواق الرئيسيّة في إفريقيا، وذلك في العقود الأخيرة للقرن السابع الميلادي الموافق للقرن الأولى الهجري، ومن الطبيعي أنّ

ينقل المهولاء التجار لغتهم إلى القارة وهذا في غربها، ولكن من المؤكد أن انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في إفريقيا مواكب مع انتشار الإسلام، فهما متلازمان حيثما يدخل الإسلام دخل معه اللغة العربية، ولا يكاد الإسلام يستقر في مدينة أو قارة حتى يفتح الدعاة أو التجار فيها مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة العربية التي لا يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا بدونها.<sup>٢٣</sup>

وتاريخ اتصال نيجيريا وتفاعل أهلها بالثقافة العربية هو في الحقيقة تاريخ دخول الإسلام في المنطقة، إذ يلاحظ بعض الدارسين والباحثين أن انتشار الإسلام في إفريقيا هو انتشار لظواهر ثلاث، وهي: "انتشار الثقافة العربية الإسلامية، وانتشار الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، وانتشار اللغة العربية..."<sup>٢٤</sup>

فهذا يعني أنه لا يمكن الحديث عن تاريخ انتشار الثقافة العربية في هذه المنطقة بمعزل عن تاريخ الإسلام وانتشاره فيها، إذ أن الثقافة تكوّن جزءًا لا يتجزأ عن الإسلام، وأنها من مكوناته الأساسية. فعلى هذا يقدر أن تاريخ اتصال المنطقة وتفاعلها مع الثقافة العربية هو في الوقت نفسه تاريخ وجود الإسلام نفسه في المنطقة.

### المقترحات:

- توجيه الشباب تلاميذ وطلبة إلى مطالعة الكتب الثقافية العربية وذلك من خلال إقامة معارض دائمة للكتب داخل المدارس الثانوية والجامعات وإجراء مسابقات ثقافية لأفضل ملخص كتاب ثقافي أو علمي وفي مختلف الموضوعات الثقافية.
- تخصيص أماكن في الثانويات والكليات والجامعات لتنصيب المجالات الثقافية الحائطية التي يعرض فيها الشباب أحدث ما قرأ من مقالات.
- تشجيع الشباب إلى ارتياد المكتبة والقراءة فيها فهي أحد أوعية المعلومات الأساسية والمهمة في حياة الباحثين والمتخصصين وهي أيضاً ملتقى ثقافي وفكري تلي طلب القراءة من مختلف التخصصات العلمية والثقافية.

. توجيه الشباب وتوعيتهم بأهمية الثقافة في أبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأثر الكل على حياة الفرد والمجتمع، وذلك من خلال عقد ندوات ولقاءات مع رجال الفكر والسياسة والاقتصاد.

### الخاتمة والتوصيات:

يتناول هذا المقال المتواضع تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى، من حيث بدأ مفهوم الثقافة ودورها في المجتمع، وتحدث عن الشروط التي تعتبر من مصادر القوة في الثقافة العربية. وبعد هذا العرض المتواضع توصل المقال إلى النتائج التالية:

- إن تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى وسيلة لتحرير الشعوب والأمم من الخرافات والوثنيات والعصبيات والمظالم، وطريقاً إلى إيقاظ الوعي والوجدان وتحرير العقل والنفس.
- فالثقافة ظاهرة تخص الإنسان فقط لأنها نتاج عقلي، والإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدرته العقلية والإبداعية، والثقافة هي أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى.
- إن الثقافة طاقة للإبداع في شتى حقول النشاط الإنساني.
- إن الثقافة العربية هي ثقافة اجتهاد وإبداع مستمرين في إطار الضوابط الشرعية والقيم الخلقية، وتعبّر عن هوية الأمة.
- تقوم الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطبيعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية.
- انتشار الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، وقد نهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية، ووجدوا أنها تراثٌ علميٌّ عظيمٌ، فاشتغلوا بدراسته وتحليله.

- كان طابع الثقافة العربية الإسلامية طابعاً واضحاً ومؤثراً في العديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية.
- اندماج بعض الكلمات العربية ببعض الكلمات المحلية الإفريقية لاسيما بعد دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة.
- اتصال شعوب إفريقيا وتفاعلها مع الثقافة العربية هو في الوقت نفسه تاريخ وجود الإسلام نفسه في المنطقة.

#### توصيات:

- توفير مفهوم شامل وموحد عن الثقافة العربية.
- الارتقاء بالدراسات والبحوث والتوثيق والترميم وتطوير أوجه النشاط في جميع مجالات الثقافة.
- تنشيط التعاون والتنسيق وتبادل الأفكار والمعلومات عن الثقافة العربية.
- تصنيف المؤلفات والمخطوطات وغيرها عن الثقافة العربية.
- بذل الجهد للحفاظ على التراث الثقافي العربي خصوصا في علاقته مع الثقافات الأخرى.
- إنشاء للثقافة العربية والعمل على تطويرها في المؤسسات العلمية.

## الهوامش والمراجع

- ١ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، مادة: ث. ق. ف.
- ٢ - مخلوف بوكروح؛ حنان الحاج علي؛ مارينا برهم؛ بسمة الحسيني، الدليل إلى الإدارة الثقافية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ١٥.
- ٣ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٤ - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٥٥ - ميكائيل ثومبسون وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة على السيد الصاوي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٧، ص ٩.
- ٦ - مخلوف بوكروح وغيره، المرجع السابق، ص ١٦.
- ٧ - مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، ترجمة عمر كامل مسقاوي، صيدا، بلا ت، ص ٧١.
- ٨ - الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، الطبعة الثانية، تونس، ١٩٩٠، ص ٤٣.
- ٩ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والتّقافات الأخرى، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الطبعة الثانية: ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م، ص ٢٧.
- ١٠ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، في بناء الحضارة للعالم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - رباط، ١٩٩٧ م، ج ٢، ص ٢٦٥.
- ١١ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والتّقافات الأخرى، المرجع السابق، ص ٢٨.
- ١٢ - المرجع نفسه، ص ٣٠.
- ١٣ - المرجع نفسه، ص ٣٢.
- ١٤ - مخلوف بوكروح وغيره، المرجع السابق، ص ١٧.



- ١٥ - المرجع نفسه، ص ١٩.
- ١٦ - أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧١، ص ٣٧-٣٨.
- ١٧ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والتّقافات الأخرى، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ١٨ - المرجع نفسه، ص ٣٣.
- ١٩ - عمر فزّوخ، الثّقافة الإسلاميّة، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٠٥.
- ٢٠ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الحضارة الإسلامية والتّحدّيات القرن الحدي والعشرين، مكتبة المدبولي، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٥٣.
- ٢١ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والتّقافات الأخرى، المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٢٢ - أحمد عمر بشير، المدخل للأدب العربي في غربي إفريقيا، مركز التعليم عن بعد، جامعة ميدغري نيجيريا، د.ط. ٢٠١٦، ص ١١.
- ٢٣ - المرجع نفسه، ص ٢١.
- ٢٤ - أثر اللغة العربية في شعوب شمال نيجيريا، دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديد للاستثمار، ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، المنعقد خلال الفترة من ٧-١٠ مايو ٢٠١٤م الموافق ٨-١١ رجب ١٤٣٥هـ بمدينة دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص ٣.

## دور أقسام اللغة العربية بجامعة نيجيريا في مكافحة البطالة:

### قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرادوا، كشنه أنموذجا

سعيد يوسف

Sa'id Yusuf

قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرادوا، كشنه

07034323302،08068585805

#### التمهيد

إن مما لا يختلف فيه اثنان إسهامات أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية في مكافحة البطالة في نيجيريا؛ لكونها إحدى الأماكن الحديثة والمنابع العصرية التي تسعى وراء بث اللغة العربية في المواطنين الراغبين فيها، فيتقنونها ويتمكنون منها، علماً بأنها لغة علم ومعرفة وحضارة، بل هي اللغة الوحيدة -من بين اللغات الثقافية العالمية- التي احتفظت بمزاياها وخصائصها عبر العصور والأيام، فأصبحت تُستعمل من جوانب مختلفة في شؤون الحياة. وقد كانت هذه اللغة من ناحية كاللغة الأولى أو الثانية عند المسلمين النيجيريين لاستخدامهم إياها في عباداتهم ومعاملاتهم، بل وتبادل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع دول العرب من قبل أفراد هذه البلاد وحكومتها. وهذه النقطة الأخيرة تحتاج -لا محالة- إلى هذه الأقسام في إنجاب وتأهيل رجال أكفاء وخبراء يصلحون لهذا العمل والمسئولية بإتقان وتمكّن في كل مكان.

ويحتوي البحث - ما عدا التمهيد والخاتمة والهوامش - على ثلاثة محاور، كما يلي:

المحور الأول: مفهوم البطالة، أسبابها وانتشارها في نيجيريا ووسائل التغلب عليها.

المحور الثاني: التعريف بقسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرادوا، كشنه.

المحور الثالث: دور قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرادوا، كشنه في مكافحة البطالة.

**المحور الأول: مفهوم البطالة، أسبابها وانتشارها في نيجيريا ووسائل التغلب عليها.**

**تعريف البطالة:** تعبر كلمة "بطالة" عن الحالة التي لا يوجد فيها وظائف، وهذا ليس إلا المعنى اللغوي لها، أما معنى البطالة الاصطلاحي فيمكن أن يكون أوسع، فيعرف مفهوم البطالة على أنه وجود أفراد في المجتمع، لديهم القدرة على العمل، واستخدموا كافة السبل المتاحة للبحث عن وظيفة تلائم قدراتهم، ولكن لم يتمكنوا من الحصول على فرصة عمل مناسبة. ويعبر مفهوم البطالة عن الأشخاص المؤهلين للعمل، أي أنه يستثني المتقاعدين، أو العاجزين عن العمل بسبب الشيخوخة أو المرض، كما يستثني الأطفال أيضاً، ويطلق على هذه الشريحة مسمى القوى العاملة<sup>(١)</sup>.

### **أسباب البطالة:**

تعد ظاهرة البطالة من أخطر الظواهر الاجتماعية، والتي تشكل عامل تهديد اقتصادي واجتماعي وأخلاقي وثقافي، كما أن ارتفاع معدل البطالة في المجتمع النيجيري يسبب عقبة كبيرة. لذلك فلا بد من الوقوف على أسباب البطالة، والبحث عن حلولها، حيث تختلف هذه الأسباب باختلاف ظروف كل مجتمع، ومنها<sup>(٢)</sup>:

### **أسباب سياسية:**

تعاني حكومة نيجيريا من الفساد والأناية، وانعدام التنمية السياسية التي يجب أن تؤثر في تطوير الوضع الاقتصادي.

### **أسباب اقتصادية:**

يعمل عدم قدرة الدول والحكومات على تطوير قطاع الأعمال، على تقلص فرص العمل المتاحة، فيما لا يتوقف نمو حجم المؤهلين، ما يتسبب لاحقاً في عدم تكافؤ عدد الفرص مع عدد المؤهلين، وهذا مما يزيد مشكلة البطالة.

### **أسباب اجتماعية وثقافية:**

تؤدي بعض الثقافات المجتمعية مثل "ثقافة العيب" إلى ازدياد معدل ظاهرة البطالة، ودخولها حيز المشكلة، كما تؤدي ظواهر اجتماعية مثل ارتفاع معدلات السكان إلى تنامي مشكلة

البطالة أيضا، حيث إنها تزيد من عدم تكافؤ عدد المؤهلين مع عدد الفرص المتاحة، على المستوى البعيد. ويمكن أخذ مشكلة عدم قدرة بعض المجتمعات على تطوير أفكار مشاريع جديدة بعين الاعتبار، بالإضافة إلى مخرجات العملية التعليمية، التي تنتج أحيانا أجيالا مؤهلة للاستجابة لليأس، أو الاستسلام لانسداد الأفق<sup>(٣)</sup>.

**حلول مقترحة لعلاج مشكلة البطالة في نيجيريا:** هناك مجموعة الحلول تنفع في التغلب على البطالة لو أعرناها عين الاعتبار، ويمكن ذكرها إجمالاً فيما يلي:

- تفعيل دور الدولة في محاربه البطالة، ويجري ذلك بتطبيق الحكومة دورها في الاقتصاد، بدعم القطاع العام مالياً وبنياً وبشرياً، وإصلاحه، والقضاء على الفساد، وتفعيل الرقابة فيه.
- خفض الضرائب، الذي من شأنه التشجيع على الإنفاق، ما يحسن من الوضع الاقتصادي العام للوطن، ويزيد من فرصة الاستثمار التي توفر فرص عمل محتملة.
- دعم المشاريع الصغيرة وتفعيل التمويل الصغير، بالإضافة إلى إبرام اتفاقيات اقتصادية واستثمارية مع الدول المجاورة، وتشجيع الاستثمار من خلال خفض مستوى المتطلبات والشروط التي تفرضها الحكومة على المستثمرين.
- تطوير قطاع التعليم بما يتلاءم مع التطور التكنولوجي، لإنتاج جيل قادر على تطوير الأفكار المواقبة.

**المحور الثاني: التعريف بقسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه.**

أسس قسم اللغة العربية بتأسيس جامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه (المسمى بجامعة ولاية كشنه سابقاً)، تحت كلية العلوم الإنسانية سنة ٢٠٠٦م. بدأ القسم برناجه الدراسي في العام الدراسي ٢٠٠٦/٢٠٠٧م بثلاثة وثلاثين طالبا في الفرقة الأولى وتسعة طلاب في الفرقة الثانية. ثم التحق بالقسم في العام الدراسي التالي (٢٠٠٧/٢٠٠٨م) أحد عشر طالبا للفرقة الأولى وتسعة عشر طالبا في الفرقة الثانية<sup>(٤)</sup>.

وُظِّفَ عدد من المحاضرين لإجراء النشاطات الأكاديمية للقسم تحت رئاسة رئيسه الأول، وهو الأستاذ عبد الرحمن لَوَّلُ أدورو، ويحتوي عمال القسم الأكاديميون وقتئذٍ على: أستاذين مساعدين ومحاضرين وخمسة معيدين. وقد بلغ عدد أكاديمي القسم حاليا سبعة عشر شخصا/محاضرا تحت رئاسة الدكتور عبد العزيز أحمد ماش<sup>(٥)</sup>.

خدم القسم-منذ تأسيسه- كثيرٌ من الأساتذة والدكاترة بمختلف رتبهم الدراسية، وُظِّفَ بعضهم على الموعد العقدي وبعض على السبتي، وبعض آخر على الزیاري. تخرج الفوج الأول بمرحلة الليسانس في اللغة العربية (بناهن عددهم خمسين) في العام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م، وتوالى بعد ذلك تخرج عدد كبير من الطلاب<sup>(٦)</sup>.

استأنف القسم برامج الدراسات العليا في العام الدراسي ٢٠١١/٢٠١٢م بطلاب الماجستير، أما الدكتوراه فلم يبدأ إلا في العام الدراسي التالي ٢٠١٢/٢٠١٣م. بدأ تخرج طلاب الدراسات العليا للقسم في العام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٤م، ويقرب عدد الخريجين حاليا خمسين<sup>(٧)</sup>.

**المحور الثالث: دور قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه في مكافحة البطالة.**

تسهم أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية إسهامات قيمة وتلعب أدوارا ملموسة في مكافحة البطالة في هذا الوطن؛ وذلك لنيل الثقافة العربية قبولا ورواجا لدى الشعب النيجيري حاليا، وخاصة لدى شبان شمال نيجيريا. فقد كان يزداد- هذه الأيام- عدد الطلاب الملتحقين بالجامعات لدراسة اللغة العربية؛ علما بأن لهم الحسنى وفرص العمل في عدة أماكن بعد تخرجهم.

وقسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا- كأحد الأقسام والجامعات التي تساعد على مقاومة مشكلة البطالة- فتخرج منه ما لا يقل عن خمسمائة طالبا (حصلوا إما على الليسانس أو الماجستير أو الدكتوراه) منذ التأسيس، يعمل معظمهم مدرسين في وزارات التعليم

في مختلف الولايات، وبعضهم في المدارس الخاصة، وبعضهم في الكليات والجامعات، وبعضهم في هيئات الأمن وأماكن أخرى، كما فضل بعضهم القليل التجارة<sup>(٨)</sup>. ويعرض الباحث هنا جدولاً لخريج القسم العاملين في مختلف الأماكن كنموذج، أو على سبيل المثال لا الإحاطة والإيفاء بكلهم.

أ خريج القسم العاملون في المحكمة<sup>(٩)</sup>:

| S/N | REG. NO         | NAME                      | YEAR OF GRADUATION | EMPLOYED AT                                  |
|-----|-----------------|---------------------------|--------------------|--|
| 1   | HUM/08/ARA/0253 | Danjana Umar Mukhtar      | 2011/2012          | Shari'a Court Katsina, Charanchi State.      |
| 2   | HUM/09/ARA/1105 | Abubakar Alhafiz MIKA"ILU | “ “                | ،The Grand Khadi Katsina State Sharia Court. |
| ٣   | U1/10/ARA/0990  | Mustapha Aliyu Nasir      | 2013/2014          | Sharia Court of Jigawa State. Appeal         |

ب العاملون في المجالس، أو الوكالات والهيئات الوطنية<sup>(١٠)</sup>:

| S/N | REG. NO         | NAME               | YEAR OF GRADUATION | EMPLOYED AT   |
|-----|-----------------|--------------------|--------------------|---|
| 1   | HUM/06/ARA/1180 | Sada Akilu Dutsi   | 2010/2011          | Nigerian Materiological Agency (NIMET)                            |
| 2   | U1/10/ARA/0650  | Bello Isma'il      | 2013/2014          | Nigeria Immigration Service                                       |
| 3   | U1/10/ARA/0825  | Tanimu Shitu Idris | “ “                | National Board of Arabic and Islamic Kebbi State, Studies Chapter |

ج- العاملون في الكليات والجامعات<sup>(١١)</sup>:

| S/N | REG. NO             | NAME  | YEAR OF GRADUATION | EMPLOYED AT                                   |
|-----|---------------------|---|--------------------|---|
| 1   | HUM/06/A<br>RA/0419 | Binta Bello<br>M/Fashi                          | 2009/2010          | Federal College of<br>Katsina, Education      |
| 2   | HUM/06/A<br>RA/0287 | Zakariyya<br>Aliyu<br>Zakariyya                 | “ “                | Umaru Musa<br>,Yar’adua University<br>Katsina |
| 3   | HUM/07/A<br>RA/0084 | Mahmud<br>Abubakar<br>Garba                     | 2010/2011          | Umaru Musa<br>,Yar’adua University<br>Katsina |
| ٤   | HUM/07/A<br>RA/0171 | Awaisu<br>Ibrahim                               | “ “                | North West<br>Kano, University                |
| ٥   | HUM/08/A<br>RA/0023 | Sa’id<br>Yusuf                                  | 2011/2012          | Umaru Musa<br>,Yar’adua University<br>Katsina |
| ٦   | U1/10/ARA<br>/0195  | Abdulmaje<br>ed<br>Husamatu<br>Najeebulla<br>hi | 2013/2014          | Federal University<br>Katsina, Dutsinma       |
| ٧   | U2/11/ARA<br>/1079  | Ibrahim<br>Abubkar<br>Ahmad                     | “ “                | Federal University<br>Katsina, Dutsinma       |
| ٨   | U1/11/ARA<br>/0014  | Abdulkadir<br>Bashiru                           | 2015/2016          | Federal University<br>Katsina, Dutsinma       |

د- العاملون في المدارس الخاصة<sup>(١٢)</sup>:

| S / N | REG. NO         | NAME                   | YEAR OF GRADUATION | EMPLOYED AT   |
|-------|-----------------|------------------------|--------------------|---|
| 1     | HUM/07/ARA/0028 | Samaila Sulaiman Imam  | “ “                | Al-Huda Academy Katsina                             |
| 2     | HUM/08/ARA/0781 | Adamu Nura             | 2012/2013          | Madina Community Jibia L.G .Institute Katina State. |
| 3     | U1/10/ARA/0419  | Salmanu Abubakar Usman | 2013/2014          | Imam Malik Katsina. Academy                         |
| 4     | U1/10/ARA/0433  | Rukayya Muhammad Babba | 2014/2015          | Daarul Bilal Bin Rabah Litahfizil Qur'an. Katsina   |
| 5     | U1/10/ARA/0491  | A/Aziz Ilyasu Sabuwa   | 2015/2016          | Al-Huda Academy Katsina                             |

هـ- العاملون في وزارات التعليم/التربية (المدارس الحكومية الولائية، أو الفدرالية)<sup>(١٣)</sup>:

| S/ N | REG. NO         | NAME                       | YEAR OF GRADUATION | EMPLOYED AT  |
|------|-----------------|----------------------------|--------------------|--|
| 1    | HUM/06/ARA/0940 | Hassan Muhammad Abdulazeez | 2009/2010          | Sir Usman Nagogo College of Arabic and Islamic Studies (SUNCAIS) |
| 2    | HUM/06/ARA/0    | Fatih                      | “ “                | Teachers Service   |



|    |                     |                                  |               |  |
|----|---------------------|----------------------------------|---------------|--|
|    | 280                 | Garba                            |               | Board Katsina State.   |
| 3  | HUM/07/ARA/0<br>795 | Zakariyya<br>Isma'il<br>Sani     | 2010/201<br>1 | Sir Usman Nagogo<br>College of Arabic<br>and Islamic Studies<br>,(SUNCAIS)<br>Katsina. |
| 4  | HUM/09/ARA/0<br>620 | Nura<br>Gwanda                   | 2011/201<br>2 | Teachers Service<br>Board Katsina<br>State.  |
| 5  | HUM/09/ARA/1<br>032 | Na'ibi<br>Usman<br>Balarabe      | “ “           | State Primary<br>Education Board<br>Kano Gwarzo<br>State                               |
| 6  | HUM/09/ARA/0<br>790 | Jazuli<br>Sabi'u<br>Awwal        | “ “           | Sir Usman Nagogo<br>College of Arabic<br>and Islamic Studies<br>,(SUNCAIS)<br>Katsina. |
| 7  | HUM/09/ARA/0<br>348 | Imam<br>Surajo<br>DALHAT<br>U    | “ “           | Sir Usman Nagogo<br>College of Arabic<br>and Islamic Studies<br>,(SUNCAIS)<br>Katsina. |
| 8  | HUM/09/ARA/0<br>435 | Idris<br>Adamu<br>SANI           | 2013/201<br>4 | Katsina Local<br>Education<br>Katsina Authority<br>State.                              |
| 9  | HUM/09/ARA/0<br>105 | Gali<br>Mustapha<br>MUHAM<br>MAD | 2012/201<br>3 | Teachers Service<br>Board Katsina<br>State.  |
| 10 | HUM/09/ARA/1<br>010 | Umar<br>Salisu<br>JAFAR          | 2011/201<br>2 | State Primary<br>Education Board<br>Katsina.   |

|    |                     |                                 |               |   |
|----|---------------------|---------------------------------|---------------|---|
| 11 | HUM/08/ARA/0<br>478 | Ibrahim<br>Musa<br>MUHAM<br>MAD | 2012/201<br>3 | Teachers Service<br>Board Katsina<br>State.   |
| 12 | HUM/09/ARA/0<br>103 | Abbas<br>Ibrahim<br>ISAH        | 2011/201<br>2 | Teachers Service<br>Board Katsina<br>State.   |
| 13 | HUM/09/ARA/0<br>917 | Aminu<br>Ahmad<br>RADDA         | 2013/201<br>4 | Charanchi Local<br>Educatio<br>Katsina ,Authority<br>State.                         |
| 14 | HUM/09/ARA/0<br>928 | Aminu<br>Umar<br>ABDULL<br>AHI  | 2011/201<br>2 | Teachers Service<br>Board Katsina<br>State.   |
| 15 | HUM/09/ARA/0<br>744 | Alhaji<br>Muhamma<br>d IMAM     | 2012/201<br>3 | Charanchi Local<br>Educatio<br>Katsina ,Authority<br>State.                         |
| 16 | HUM/09/ARA/0<br>947 | Muhamma<br>d Dahiru<br>UMAR     | “ “           | Rimi Local<br>Educatio<br>Katsina ,Authority<br>State.                              |
| 17 | HUM/09/ARA/1<br>094 | Atiku<br>Ahmad<br>FASKARI       | “ “           | Faskari Local<br>Educatio<br>Katsina ,Authority<br>State.                           |
| 18 | HUM/09/ARA/0<br>943 | Muhamma<br>d Murtala            | 2011/201<br>2 | Sir Usman Nagogo<br>College of Arabic and<br>Islamic Studies<br>Katsina. ,(SUNCAIS) |

هذا، وإن دلت هذه الجداول على شيء، فإنما تدل على أن اللغة العربية وثقافتها يصلح استخدامها في كثير من الأشياء خلاف زعم مُنتقديها أن وظيفتها قاصرة على النشاطات الدينية فحسب.

وهكذا كان يقوم القسم والجامعة (كغيرها من الأقسام العربية بجامعة نيجيريا) بدور لا يستهان في تقليل البطالة في نيجيريا على الرغم من ارتفاع معدّل البطالة في الدولة من ١٦,٢% في سنة ٢٠١٧م إلى ١٨,٨% في هذه السنة<sup>(١٤)</sup>، وذلك لأسباب منها: ازدياد تعداد السكان ونموّه وكساد الاقتصاد الوطني، والفساد، واختلاس بعض الأفراد المواطنين ثروة البلاد وسوء تدبير مواردها<sup>(١٥)</sup>.

لاحظ الباحث أن اللغة العربية من المواد المعاصرة التي اكتسبت قبولاً ورواجاً في سوق العمل المحلي والوطني والعالمي، ولذا قلّ وجود المتبطلين ممن درسها وتخصص فيها. وهذا يكفي منتقديها أنها كانت خلاف ما زعموا؛ لأن الطلاب والدراسين للغة العربية يسعون لنيل أهداف ومرام، أهمها ما يلي<sup>(١٦)</sup>:

#### ١ - الغرض الديني:

تدفع المسلم النيجيري إلى تعلم اللغة العربية أغراض أساسية منها: الدين الإسلامي؛ فهي لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فالإمام بما ضروري كي يساعده على فهم دينه فهما لاتشويه فيه؛ لذلك، يتعلمها المسلم، وهو في سنّ مبكرة.

أما الإسلام فقد التزم العربية كل الالتزام، فللعربية تاريخ متصل بالإسلام، وللإسلام جذور عميقة في العربية، وهي التعبد بتلاوة القرآن الكريم، داخل الصلاة وخارجها، والحج وأذكاره، تقال باللغة العربية. فقد فرض الإسلام على جميع المسلمين تأدية الصلوات، خمس مرات كل يوم، وأن يؤذّنوا، ويقيموا، ويكبّروا، ويهلّلوا، ويتشهدوا باللغة العربية، فرتب ثواباً جزيلاً لكل من يقرأ القرآن الكريم، سواء فهم معناه أو لم يفهم، فامتزجت العربية بالإسلام امتزاج الروح بالجسد.

## ٢ -الاتصال الخارجي:

إن واقع الأمور في العالم الحاضر، يجعل - من الضروري - على كل دولة مستقلة أن تؤسس العلاقات الثنائية بينها، وبين البلدان الأخرى لأسباب سياسية، واقتصادية، وثقافية، وتكنولوجية، وتمارس نيجيريا، ضمن هذا النطاق العلاقات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، مع كل أنحاء العالم بما في ذلك البلدان العربية.

## ٣ -الثقافة الأفريقية:

إن دراسة اللغة العربية تساعد بالفعل على معرفة الوثائق التاريخية، والمصادر الأساسية لتاريخ ثقافة أفريقيا الغربية المكتوبة باللغة العربية بما فيها نيجيريا، وقد أثبت المؤرخون غير المسلمين أن كتابة تاريخ أفريقيا بصورة كاملة وصحيحة، لا تتم إلا بالرجوع إلى ما سجله علماء اللغة العربية عن أفريقيا<sup>(١٧)</sup>.

## ٤ -فرص العمل:

يعطي تعليم اللغة العربية فرصة العمل في المؤسسات الحكومية بأنواعها الثلاثة: الفيدرالية، والولائية، والمحلية، ويساعد - على وجه خاص - حكومة نيجيريا في شؤون الحج، وخدمات أخرى تعود بالنفع الجليل على البلد وشعبه. وهناك أهداف إضافية أخرى كالدعوة الإسلامية، ونقل آداب الأمم الأخرى إلى اللغة العربية والعكس<sup>(١٨)</sup>.

هذه الأهداف وغيرها من الأسرار التي تتيح للمتخصصين في الثقافة العربية فرص العمل في مختلف الأماكن سواء أكان محليا أو وطنيا أو عالميا.

## الخاتمة:

تناول البحث مفهوم البطالة وأسباب انتشاره في نيجيريا؛ والتي منها سياسية، واقتصادية، واجتماعية وثقافية، وذكر حلولاً مقترحة للتغلب عليها. ثم عرف بقسم اللغة العربية جامعة عمر موسى يرادوا، كشنه، وأبرز -بعد ذلك- إسهاماتها القيمة في تقليل مشكلة البطالة في هذا الوطن. وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها ما يلي:

- يتمثل دور قسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه في مكافحة البطالة في هذا الوطن من حيث تأهيل الرجال الأكفاء للعمل والتوظيف في مختلف الأماكن والهيئات والمنظمات والوكالات المحلية أو الوطنية أو الدولية.

- إن الفساد القومي وكساد الاقتصاد الوطني ونموّ تعداد السكّان من الأسباب التي حالت دون ظهور الإسهامات القيمة التي تبذلها الأقسام العربية في الجامعات النيجيرية وغيرها من المهتمين المساهمين في إنهاء أو استئصال مشكلة البطالة في نيجيريا.

- ١ - <https://www.hellooha.com/articles/63-البطالة-أسبابها> - وعلاجها. تاريخ زيارة الموقع: ٢٢-١٠-٢٠١٨م.
- ٢- المرجع نفسه.
- ٣- المرجع نفسه.
- ٤- دليل طلاب الليسانس، قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه من العام الدراسي ٢٠١٤م-٢٠١٧م، Printed by S.M Printers & P.R Consultants، ص: ٦.
- ٥- المرجع نفسه والصفحة.
- ٦- المرجع نفسه والصفحة.
- ٧- المرجع نفسه والصفحة.
- ٨- مقابلة الباحث الشفهية مع: السكرتير(مرتضى ثاني) لقسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه، في مكتبه. تاريخ المقابلة: ٢٢-١٠/٢٥/٢٠١٨م.
- ٩- مقابلة الباحث الشفهية مع محمد مرتضى، خريج وطالب الدكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا- كشنه، في منزله. بتاريخ المقابلة: ٣١/١٠/٢٠١٨م.
- ١٠- مقابلة الباحث الشفهية مع: السكرتير(مرتضى ثاني) لقسم اللغة العربية بجامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه، في مكتبه. تاريخ المقابلة: ٢٢-١٠/٢٥/٢٠١٨م. ومقابلته مع: محمد ثاني رابع، خريج قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا- كشنه. وهو حاليا مدير شبكات غورزو (Gwarzo Networks)، سائُن لآي (Sabon Layi)، كشنه، في دكانه. تاريخ المقابلة: ٢٩/١٠/٢٠١٨م.
- ١١- مقابلة الباحث الشفهية مع: بشير عبد القادر، خريج قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا- كشنه، وهو حاليا محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة دوظنما الفدرالية، كشنه، وكانت المقابلة في منزله. تاريخ المقابلة: ٢٩-١٠/٣٠/٢٠١٨م. ومقابلته مع:

السكرتير(مرتضى ثاني) لقسم اللغة العربية جامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه في مكتبه. تاريخ المقابلة: ٢٢-٢٥/١٠/٢٠١٨م.

١٢- مقابلة الباحث الشفهية مع: السكرتير(مرتضى ثاني) لقسم اللغة العربية جامعة عمر موسى يرأدوا، كشنه في مكتبه. تاريخ المقابلة: ٢٢-٢٥/١٠/٢٠١٨م، ومقابلته مع: محمد ثاني رابع، خريج قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا-كشنه. وهو حاليا مدير شبكات غورزو (Gwarzo Networks)، سائُن لآي (Sabon Layi)، كشنه، في دكانه. تاريخ المقابلة: ٢٩/١٠/٢٠١٨م. وكذلك المقابلة مع: عمر عثمان كبير، خريج وطالب الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا-كشنه في منزله، تاريخ المقابلة: ٣١/١٠/٢٠١٨م.

١٣- مقابلة الباحث الشفهية مع هؤلاء الأشخاص: بشير عبد القادر، والسكرتير(مرتضى ثاني) لقسم اللغة العربية جامعة عمر موسى يرأدوا، و محمد ثاني رابع، محمد مرتضى، وعمر عثمان كبير في الأيام والأماكن المذكورة سابقا.

١٤- انظر الموقع:

<https://tradingeconomics.com/nigeria/unemployment-rate>

تاريخ زيارة الباحث الموقع: 22/10/2018.

١٥- المرجع نفسه.

١٦- أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى(الدكتور): مقال بعنوان: طغيان الثقافة الغربية

على الثقافة العربية في نيجيريا على الموقع:

[http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-](http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=2963)

[0.php?id=2963](http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=2963) تاريخ زيارة الموقع: 23/10/2018.

١٧- المرجع نفسه.

١٨- المرجع نفسه.

## اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في مدينة أزري "مشكلات وحلول"

محمد محمد سعد

قسم الإعداد والتربية المتواصلة، كلية أحمد رفاعي للقانون والدراسات الإسلامية،  
ميسو، ولاية بوتشي

### المقدمة

الحمد لله الذي اختار اللغة العربية لكتابه، وجعلها لغة خير خلقه، ووعاء نشر دينه،  
والصلاة والسلام على من عمت دعوته وشملت رسالته، وتفوقت أمته، سيدنا محمد، وآله  
وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن السنوات الأولى في حياة بني البشر من أخصب الأطوار لتلقي أسباب  
الحياة إيجابا وسلبا، وهي المرحلة المثالية في غرس الأخلاق الحميدة في ذاكرة الناشئين، وتعتبر  
المرحلة الابتدائية مرحلة التفتح في حياة الطفل، ولها أهمية كبيرة من بين المراحل التعليمية، وقد  
تواجهها المشاكل يرجع مصدرها إلى الحكومة والأفراد والمجتمع في مدينة أزري خاصة، وفي  
أنحاء الدولة عامة.

وهذه المقالة تسعى وراء ما تعانيه اللغة العربية من حيث الكشف عن المشاكل  
ووسائل الحلول الناجحة، وسيتم العرض حسب ما يلي:

### نبذة عن مدينة أزري

تقع مدينة أزري في الإقليم الشمالي من ولاية بوتشي، وتبعد عن مدينة بوتشي بمقدار  
مئتي كيلومتر، وهي عاصمة إمارة كناغم، كما تبعد عن خط الاستواء بمقدار تسع ونصف  
سنتغراد (9.30) شمالا، وتبعد عن خط العرض بمقدار أحد عشر ونصف (11.30) شرقا.  
وقد أثبت التاريخ أنها مدينة قديمة، أسسها رجل صياد يقال له "أزر"، وكانت أسرته  
تسكن حذاء جبال "شرا"، وذلك حوالي سنة ٢٠ من ميلاد المسيح عليه السلام، وكان "أزر"



هذا، يفتد إلى هذه الربوع للصيد، ويقيم أياما، ثم يرجع إلى "شرا"، ولم يزل كذلك حتى شعر الناس بمرصد صيده وطفقوا يأوون إليه حتى استوطنوها فصارت حلة بقرب قرية بدر(Bidir)<sup>(١)</sup>.

هذا وقد وصل الإسلام حسبما ثبت في المصادر التاريخية حوالى سنة ١٣٨٧هـ، ويعد الحاج عمر بملى (Bamalli) الذي حط رحله وألقى عصا الترحال في "كفن رومي" (Kafin Rumi) من أوائل العلماء الذين نشروا الإسلام في المدينة. وبوصول الإسلام وصلت اللغة العربية، إذ هما توأمان يسيران سير الشعرى والجوزاء. وبعد حقبة من الزمن صارت مدينة أزري محفلا للعلماء، وأصبحت المدارس عامرة بحد جيد من ناحية الأمراء، لاسيما الأمير التاسع - الشيخ عبد القادر، والذي بذل جهده في توطيد العلم<sup>(٢)</sup>.

#### أهمية اللغة العربية لدى طلاب المرحلة الابتدائية

كان من واجب المسؤول عن التربية أن يهتم بطلاب المرحلة الابتدائية، كما قيل: "إن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر"، وهي بداية الخطوة لبناء الأساس التعليمي لجميع مراحل التعليم حتى نهاية الحياة، وهي مرحلة بداية تعلم القراءة والكتابة، قال جلّ شأنه: (اقرأ باسم ربك الذي خلق\* خلق الإنسان من علق\* اقرأ وربك الأكرم\* الذي علّم بالقلم). (سورة العلق الآية: ١-٤).

وعلى هذا، يمكن تلخيص أهمية المرحلة الابتدائية في النقاط الآتية:

- تعتبر هذه المرحلة مرحلة التعليم الإلزامي، ومن ثم تعتبر من لوازم الآباء.
- هي مرحلة التكوين العاطفي والعلاقات الاجتماعية التي توطد الطفل مع البيئة التي يعيش فيها، ويلج في ميدان المصالح المشتركة.
- هي مرحلة تكوين معرفة الحقوق التي له، والحقوق التي عليه، ولا بد بالإضافة للتحصيل العلمي من تحقيق التوافق الاجتماعي.
- هي مرحلة التكوين الشخصي والفكري والمهاري والعلمي. هذا من الناحية العامة، وأما من حيث اللغة العربية فتتخصر أهميتها لدى طلاب المرحلة الابتدائية فيما يلي:

- أ تمكنهم من القراءة الصحيحة، والقدرة على تحسين الكتابة.
- ب إتاحة الفرصة في تحسين التعبير السليم.
- ج كونها الباب الموصل إلى فهم الدين الحنيف.
- د اعتبارها المفتاح إلى معرفة الثقافة الإسلامية على مستوى العالم، ومعرفة حضارات الأمم الغابرة.
- ه التمكن في معرفة المكتوب باللغة العربية في الكتب والمجلات المنشورة عبر الإذاعات المسموعة والمرئية على القناة الفضائية<sup>(٣)</sup>.

### منهج تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية

عرف المنهج بأنه مجموع مادة دراسية ما، تتضمن موضوعات مختارة وبرامج تعليمية تدخل ضمن إطار عمل المدرسة، أو تنظيم الخبرات والمعلومات التي يتوسل بها المدرس ليوصل إلى الطالب إرشادا تعليميا من المدرسة. وليس ثمة شك في أن للمنهج دورا فعالا في تنمية عملية التعليم، لا في المرحلة الابتدائية فحسب، بل في كل ميادين التعليم<sup>(٤)</sup>.

وهدفه الأساسي هو السعي وراء تنمية مقاصد الناشئين، ولا بد من مراعاة سنّ الأطفال وبيئتهم والمواد المدروسة لمستواهم. وقد أحل المستعمرون اللغة العربية والدين ضمن المواد التي تدرس في المدارس الحكومية استجابة لرغبة الأمراء وإرضاء للآباء<sup>(٥)</sup>.

ولاحظ الباحث على منهج المدارس الابتدائية أنه لم يختص اللغة العربية، بل هي داخلة في حصص الدراسات الإسلامية، لذلك أصبح حظ اللغة العربية لم يبلغ ثلاثين في المائة (٣٠%)، وللدراسات الإسلامية (قرآن، حديث، فقه، سيرة، تهذيب الأخلاق) أكثر من سبعين في المائة (٧٠%)<sup>(٦)</sup>.

### مشكلات تدريس اللغة العربية في أزمري

المشكلة، هي تعطيل يحول بين الاستجابة وتحقيق الهدف، أو عوائق تعترض الوصول إلى الهدف. ولا شك أن اللغة العربية تواجه الصعوبات التي تمنع ازدهارها ومحاذاة أختها اللغة

الإنجليزية، وإذا حصلت المشكلات في المرحلة الابتدائية ولم يوجد لها حل، من الممكن تسربها إلى جميع المراحل فوقها<sup>(٧)</sup>.

وهذه المشكلات فيما يراه الباحث لا تنحصر في جانب دون آخر، بل هي موزعة بين المسؤولين عن التعليم والتعلم والتي ترجع إلى الآتي:

أ مشكلات الحكومة: الحكومة على مستواها من حيث التعليم لها دور فعال في تحريك عجلة العلم إلى الأمام، وقد أدرك الباحث أن لتدريس اللغة العربية في مدينة أزري مشكلات كثيرة منها:

- عدم اهتمام الحكومة باللغة العربية وتدريسها حسا ومعنى.
- عدم توظيف المدرسين المؤهلين للتدريس اعتناء بشهادات الزور، فالشهادة هي الأصل في تأهيل التدريس، لا العلم والتجربة.
- تثبط الحكومة في إعطاء العناية التامة بمدربي اللغة العربية، لما سبق رسوخه في قلوب أهل الحل والعقد منذ عصر الاستعمار من كراهية اللغة العربية، واختيار اللغة الإنجليزية عليها بحيث تدرس مرة، أو مرتين في الأسبوع، وفي الحصص الأخيرة وقت ضعف الطلبة واشتياقهم إلى نهاية الدوام.
- قلة توفير وسائل الإيضاح في نجاح عملية التعليم.
- تساهل الحكومة في حقوق المدرسين ورواتبهم الشهرية، مما يجعل بعضهم يغيبون عن التدريس لطلب ما يسد بقية حوائجهم من حرفة ما.
- دور الرشوة في عملية المراقبين، تمنعهم من تأييد المحسن وتسديد المخطئ.
- قلة الفصول، هي السبب الرئيس في زيادة عدد الطلاب في الفصل الواحد على مائة تلميذ، ويضاف إلى ذلك عدم المقاعد في الفصول.
- عدم إيجاد الأنشطة التي تحبب اللغة العربية لطلاب المرحلة الابتدائية من عقد المسابقات الثقافية وتوفير الجوائز الكافية.

## ب مشكلات الآباء والبيئة

- فلآباء دور في ازدهار مهارتي القراءة والكتابة كما تشاركهم البيئة والمجتمع في تنمية مهارتي الاستماع والتخاطب، ويعد من المشكلات ما يلي:
- تكاسل الآباء في شراء أدوات الدراسة اللازمة كالكراسات والكتب وآلات الكتابة، أو تغيير الملابس الرسمية عند البلى.
  - عدم مراقبة التلاميذ من قبل الآباء والبحث عما تعلموا، وخاصة في اللغة العربية أقل من القليل.
  - هجران التخاطب باللغة العربية أمام الأبناء، أو معهم حتى من المتقنين لها.
  - قلة زيارة الآباء لمدارس أبنائهم، والفحص عن أوضاع المنهج للمواد عامة، وعن وضع اللغة العربية خاصة.
  - عدم احترام امة الآباء اللغة العربية، ومن أجل ذلك لا يدفعون كل نفيس لها، بل إن بعضهم يزديها ويستهزئ بمن يتعلمها.
  - عداوة اللغة العربية الموروثة عند أهل الخلايا، الذين يقولون "عَرَبِيَّةٌ غُوْرُوْنُ بُوْكَو" أي بمعنى: "اللغة العربية بذر الثقافة الغربية"، وذلك مما زاد كراهيتها في البيئة الهوسوية عامة وعند أهل أزري خاصة.

## ج- مشكلات مدرسي اللغة العربية

- من أهم مشكلات المدرسين مايلي:
- عدم اتخاذ وظيفة التدريس مهارة.
  - الشعور بالنقص من جانب مدرسي اللغة العربية بحيث لا يشاركون إخوانهم في رفع شأن الحاذقين.
  - قلة مساعدة المدرس لتلاميذه على المشاركة.
  - قلة التنوع في أسئلة الاختبار وتحضير الدرس.
  - ضعف المدرس في تحديد واجبات طلابه.

- قلة تشجيع المعلم طلابه على التعبير الحر وإلقاء الحياء وراء ظهورهم، إذ لا يتعلم مستحي.

- الغياب عن الدرس، أو الحضور متأخرا عن بدء الدرس.

#### د- مشكلات التلاميذ

قد يصدر عن الطلاب غرائز تعد مشكلة في صد عملية التدريس ومنها ما يلي:

- إهمال التلاميذ في إحضار ما ينبغي من الكتب المدرسية والدفاتر في اللغة العربية.

- التسلل بالخروج عن الفصل في حصة اللغة العربية؛ لأن من طبيعة الإدارة جعل اللغة العربية في الحصص الأخيرة.

- تراخي التلاميذ في حل التمرينات والتدريبات أثناء الحصة.

- اعتماد التلاميذ على غيرهم في حل الواجبات المنزلية.

#### هـ- مشكلات المنهج والنظام التعليمية

يقوم المنهج في عملية التعليم بمنزلة الطريق، من ضل فيه لا يصل إلى الهدف المنشود، وقد يفشل التعليم بانحراف المنهج، وبعد البحث البسيط عن منهج تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية في مدينة أزري وضواحيها، أدرك الباحث أن المشكلات الآتية تواجه هذه المهنة:

- كبر حجم المنهج بحيث لا يناسب المدة المحددة.

- عدم ملائمة المنهج لحاجات التلاميذ الرئيسة والثانوية.

- ضعف تلبية الموضوعات لميول التلاميذ.

- عدم مناسبة المنهج لمستويات التلاميذ.

- تحضير الموضوعات العديدة في اليوم الدراسي الواحد.

- قلة استعداد الأنشطة في المنهج لتحقيق الأهداف المرجوة<sup>(٧)</sup>. وبهذه وتلك يصبح المنهج

لا يؤهل التلاميذ لاستقبال امتحان الحصول على الشهادات الثانوية برعاية: (WAEC،

(NBAIS،NECO).

## ما الحلول؟

هناك عدة وسائل لحل هذه المشكلات، وذلك يتيسر، إذا قامت ثلاث فئات آتية بما يجب عليها حسب الإمكان:

- الحكومة: وعلى الحكومة أن تهتم بتوظيف المؤهلين علما وكفاءة، لا الاعتماد على الشهادات فقط، أو العلاقات السياسية، وأن تقوم بتوفير الفصول والمقاعد والأدوات التعليمية، كما يجب أن تهتم بحقوق المدرسين كالرواتب الشهرية، وكذلك الاعتناء بالمنهج الملائم للتلاميذ وبيئتهم وميولهم.

- المدرسون: لما كان مدرسو اللغة العربية في هذه المراحل الابتدائية مسلمين، يستحسن أن يلتزموا ما يلي:

أ الإخلاص لله وحده، ولا يعني هذا أن يدرسوا مجانا.

ب التقوى والشعور بأن الوظيفة عبادة.

ج الصدق والأمانة في القول والعمل.

د حسن المظهر والمنطق كلما يبرز أمام التلاميذ في الفصل وخارجه.

ه العناية بالوقت والاهتمام بالتلاميذ.

و احترام شخصية التلاميذ وآرائهم ومدح أو تقدير من أجاز عن سؤال المدرس.

ز الاتصاف بالأخلاق الحمودة.

ح التوسط في معاقبة أصحاب الجرائم، وبالتالي أن يتحاشا معلم اللغة العربية- الفصل بين الخصوم، وذلك يكون سببا لكرهة التلاميذ له وملادته.

- الآباء: يجب على الآباء تزويد أبنائهم الأدوات المدرسية الملائمة، من توفير الملابس

والكتب والدفاتر، ومن ثم يجب أن يراقبوا مستوى أبنائهم من زيارة مدارسهم وبث

الشكر للأساتذة وإلقاء بعض الملاحظات التي رأوها تجاه المدرسة، ويضيف الآباء إلى ما

تقدم ذكره، أن يعدوا الجوائز للفائقين نهاية كل فترة أو كل سنة دراسية.

## الخاتمة

مما سبق يتبين للقارئ أن اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في المدارس الحكومية في حالة الانحطاط لقلّة اهتمام الحكومة وضعف رغبة الآباء، ولذلك قام الباحث بإلقاء هذه المقالة رجاء أن تبسط الحكومة يد العون مع المدرسين والآباء في قيام كل بواجبه تجاه تدريس اللغة العربية لتلحق بزميلاتها في التفوق والازدهار في دولتنا خاصة وعالمنا عامة.

## التوصيات

- في هذه السطور الأخيرة يوصي الباحث المسؤولين بإصلاح أوضاع اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية في هذه المدينة، ومن هذه التوصايا ما يلي:
- تصحيح المفهوم الخاطيء بأن اللغة العربية لغة صعبة، بل هي سهلة.
  - الشعور بوجوب تعلم اللغة العربية لفهم كتاب الله وسنن نبيه عليه الصلاة والسلام.
  - تأليف كتب متنوعة تناسب البيئة، واستعمال الوسائل التعليمية الحديثة.
  - بناء المدارس الخاصة لتدريس اللغة العربية من قبل الحكومة، وإيجاد لجنة في كل حي، هدفها المحافظة على حرمة اللغة العربية والسعي وراء انتشارها.
  - تشجيع الطلاب على الاستماع إلى البرامج والأخبار المنشورة باللغة العربية.

### الهوامش والمراجع

- داود أبوبكر (الدكتور)، تطور العلوم الإسلامية في إقليم كتاغم، بحث مقدم لنيل شهادة التربية الوطنية بكلية التربية، أزري، سنة ١٩٩١م، ص: ٢.
- عبد الله عثمان، تطور الإسلام في أزري، بحث مقدم لنيل شهادة التربية الوطنية بكلية التربية، أزري، سنة ١٩٩٦م، ص: ١٣.
- مارية محمد شفيح، المشاكل والتوقعات بشأن تنفيذ أهداف تعليم اللغة العربية في نيجيريا، ورقة مقدمة في المؤتمر الوطني لجمعية معلمي اللغة العربية بجامعة ولاية كوار "مليتي"، سنة ٢٠١٢م، ص: ٤.
- مارية محمد شفيح، المرجع نفسه، ص: ٥.
- رابع عبد الله، تدريس اللغة العربية في مدينة زاريا، المؤتمر الوطني جامعة ولاية كوار مليتي، سنة: ٢٠١٢م، ص: ٦.
- رابع عبد الله و نوح طلحة عبد الله، تدريس اللغة العربية في مدينة زاريا، المؤتمر الوطني جامعة ولاية كوار مليتي، سنة: ٢٠١٢م، ص: ٧.
- مرتضى بدماصي (الدكتور)، مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، شركة روساديك ولاية كورا، نيجيريا. سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ص: ٥.
- رابع عبد الله و نوح طلحة عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٢.



## طرق تدريس اللغة العربية في كلية التربية ولاية جفاوا:

### دراسة وصفية تحليلية

الدكتور مبارك عبد الوهاب حسن

و

حمزة عمر جاهون

قسم اللغة العربية، كلية التربية ولاية جفاوا، غمل

#### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإنه لا يخفى على أحد عالمية اللغة العربية وعلميتها، بما تحمل في ذاتها من مميزات وخصائص حيث اختارها تبارك وتعالى لغة القرآن الكريم ولسان نبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومما نراه اليوم أنّ اللغة العربية بقدر حظّها الوافر من أكبر لغات العالم لا من حيث عدد الذين يتحدثون بها فحسب، بل من حيث المساحة الجغرافية التي تنتشر فيها، وفوق كل ذلك تعتبر لغة ثانية لكل مسلم أيّاً كان منابعه أو جنسه.

ويُعدُّ البُعد الديني من أقوى الدوافع التي تجعل المسلمين العرب وغيرهم يتعلمون اللغة العربية، وهذا هو الشيء الذي نراه في نيجيريا عند أكثر المسلمين وهم غير العرب؛ لكنّهم مع ذلك يتعلمون اللغة العربية ويحْتُونُ أبناءهم على تعلّمها.

ومنذ بداية دخول الإسلام إلى دولة نيجيريا بدأ النيجيريون يتعلمون اللغة العربية، ويعلمون أبناءهم جيلاً بعد جيل، وبالأخص عصر الفوديين؛ لأنّها دخلت في التعامل اليومي والتواصل، بل وصارت اللغة العربية تستخدم في مجالات الحياة اليومية المتنوعة.

### مشكلة البحث:

رغم البحوث والنشاطات التي قام بها العديد من العلماء والطلاب حول المنهج وطرق تدريس اللغة العربية، لاحظ الباحثان مشكلات تعترى طرق تدريس اللغة العربية في المعاهد التربوية العليا، منها:

- ١- قلة المتخصصين في مجال تعليم اللغة العربية في ولاية جغاوا.
- ٢- منهج اللغة العربية في المعاهد التربوية العليا لا يُشبع رغبات الطلاب ولا يغطي حاجاتهم النفسية والاجتماعية والثقافية.
- ٣- قلة المعلمين المدربين بطرق التدريس الحديثة وعدم معرفة كيفية استخدامها في تدريس اللغة العربية.

### نبذة وجيزة عن تأسيس كلية التربية والتعليم بولاية جغاوا - غمل

يرجع تاريخ تأسيس هذه الكلية حينما قدمت لجنة التأهيل قراره تحت رئاسة غلادنتي لحكومة ولاية كنو، وذلك في شهر إبريل سنة ١٩٧٦م، ثم قبلت الحكومة تلك التوصيات التي في طياتها إنشاء وتأسيس كلية ترقية المعلمين الولائية.

أسست الكلية لتأهيل المعلمين غير الأكفاء لتزويدهم بالمهارة التدريسية وهم غير حاملين شهادة التربية والتعليم النيجيرية (N.C.E) يتفاهم عددهم في المدارس الثانوية.

وبعد ثلاث سنوات بهذه العملية في داخل كنو دعت الحاجة الكبرى لتوسيع شتى الفنون لذلك انتقلت إلى مقرها الرئيس في غمل سنة ١٩٨٠م، ضمن إدارة وتنفيذ الحاكم الحاج محمد أبوبكر ريمي، مع كون الحاج آدو غورم مديرا لها.

وبعد سنين أسس المعهد العالي للتربية والتعليم سنة ١٩٨٧م، لذلك أصبحت الكليات الست ضمن إدارتها كلية التربية والتعليم اشتملت على كلية ترقية المعلمين في كل من Gumel و Kumbotso، وبعد تكوين ولاية جغاوا من ولاية كنو صارت الكلية لولاية جغاوا سنة

١٩٩١م.

في الحقيقة إن تأسيس هذه الكلية أشبع حاجاتها في إنتاج المعلمين الأكفاء بشهادة التربية والتعليم النيجيرية (N.C.E)، مع تقدم ونجاح باهر من الناحية التعليمية والتربوية في ولاية جفاوا.

### طرق التدريس:

تعريف لغوي للتدريس: فالتدريس من درس، فيقال " درس الشيء - يدرسه درساً ودراسةً، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه. ويقال أيضا: " دارست الكتب وتدارستها وادّارستها، أي: درستها. وفي الحديث الشريف: (تدارسوا القرآن) أي اقرؤوه وتعهّدوه لئلا تنسوه. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم، منها: "أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين"، الأنعام: ١٥٦.

لم يقتصر ذكر الكلمة لأهميتها في القرآن الكريم فحسب، بل امتد إلى سنة الرسول الكريم، فقد روي عن أبي هريرة قوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". رياض الصالحين ١٩٧٩ ص ٣٥١.

التدريس في الاصطلاح: هو مجموع الأدوات التي يستخدمها المعلم لتحقيق سلوك متوقع لدى المتعلمين، وطرق التدريس أحد عناصر المنهج، والتفكير السائد في مجال التدريس هو الاتجاه نحو الانتقاء، أي اختيار ما يبدو أنه الأفضل من مختلف الطرق والأساليب، فلا ينبغي الاعتماد على طريقة واحدة.<sup>٢</sup>

وتعني طرق التدريس في تعريف آخر: مجموعة الأنشطة والإجراءات المترابطة المتسلسلة، التي يخطط لها المعلم أو المدرس، وينفذها في غرفة الصف، أو خارجها، والتي تسمح له بتحقيق هدف أو مجموعة أهداف معينة على وجه أكمل.<sup>٣</sup>

وقال آخرون: هو الطريقة أو الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس، أو هو الأسلوب الذي يتبعه المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بصورة تميزه من غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة، ومن ثم يرتبط بصورة أساسية بالخصائص الشخصية للمعلم.

والمقصود بالأنشطة والإجراءات هو مجموع العملية العقلية التي يمارسها المعلم في سبيل التعامل مع المادة العلمية في الموقف التعليمي وما يتصل بها من اهتمامات واتجاهات وقيم نحو المادة العلمية ونحو تلاميذه ونحو العملية التعليمية كلها، وكذلك الأداء الذي يصدر عن المعلم سواء كان لفظيًا أو حركيًا.

إذا، فالمقصود بالتدريس هو كافة الظروف والإمكانات التي يوفرها المعلم في موقف تدريس معين، والإجراءات التي يتخذها في سبيل مساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف المحددة لذلك الموقف، وهذا يعني أن هناك ظروفًا وإمكانات يجب توفيرها، وهذا الظروف والإمكانات تتمثل في مكان الدراسة ودرجة الإضاءة والتهوية فيه، ومستوى الاهتمام الذي يصل إليه التلاميذ، والكتاب المدرسي والسبورة، وأي أجهزة يوفرها داخل الفصل، أو أي وسيلة يستخدمها في هذا الإطار.

#### أسس طريقة التدريس:

- ١- السير من المعلوم إلى المجهول: وعلى ذلك فإن الواجب علينا طبقًا لهذه القاعدة أن نستعين بما يعلمه التلميذ فنجعله أساسًا لما نريد أن نزوده به من المعلومات الجديدة.
- ٢- السير من السهل إلى الصعب: على المعلم أن يتعرف على طبائع التلاميذ حتى يعلم ما يوافق ميولهم، بحيث يصل بهم إلى الغاية من تعليمهم.

٣- السير من المجمل إلى المفصل: مما رتبته المرثون على هذه القاعدة تفضيل الطريقة الكلية على الطريقة الجزئية في تعليم التهجي لصغار التلاميذ<sup>٦</sup>.

٤- السير من الخاص إلى العام: فعلى مدرس اللغة العربية أن يسير من الأمثلة والمسائل الجزئية إلى القاعدة والتعريف والقانون العام، إذا تم شرحها ومناقشتها، استخلص التلميذ القاعدة منها، واستنبطوا بأنفسهم تعريفها.

٥- السير من المبهم إلى الواضح: على مدرس اللغة العربية أن يتعرف على معلومات التلاميذ التي صادفتهم في حياتهم؛ وذلك بتحليل هذه الأشياء وتوضيح كل جزء منها<sup>٧</sup>.

٦- أن يؤكد في أذهان التلاميذ أن اللغة العربية أولا هي وسيلة فهم وإفهام، ثم تعبير وتصوير، قبل أن يكون قواعد وقوانين، ومن ثم واجب أن يستغل المعلم كل المناسبات والأحداث، والمواقف التي تتطلب الحديث والتعبير لكي ينمي لدى تلاميذه حب اللغة، والإقبال عليها، والحديث بها، والفخر بالانتماء إليها، والاعتزاز بتراتها<sup>٨</sup>.

من العوامل التي تؤثر في طريقة تدريس اللغة العربية ما يلي:

- ١ - الهدف من الدرس ٢- الوسائل التعليمية ٣- القراءات الخارجية ٤- خبرة المعلم ٥-
- التوجيه التربوي للمعلم ٦- مستوى الطلاب وقدراتهم واستعداداتهم ٧- تنظيم المنهج
- الدراسي ٨ - إمكانات البيئة ٩- طبيعة الموضوع الدراسي ١٠- إدارة المدرسة ١١- التنظيم المدرسي<sup>٩</sup>.

### الأسس العامة لتدريس اللغة العربية:

- ١- مراعاة ميول التلاميذ، بحيث يعطون من المواد ما يلائمهم، ويتفق مع رغباتهم، وبيعتهم، واستعداداتهم، كي يستفيدوا من الدراسة.
- ٢- تشجيع التلاميذ على أن يتعلموا بأنفسهم، ويعتمدوا عليها، ويثقوا بها في أعمالهم وبحوثهم، وأن لا يعتمدوا على المدرس إلا عند الضرورة.
- ٣- تشويق التلاميذ إلى العمل وترغيبهم فيه، لا تنفيرهم منه، حتى يعملوا برغبة، فإن من يعمل برغبة لا يتعب.
- ٤- العمل بقاعدة الحرية المعقولة في التعليم، وعدم إرهاق المتعلم بأوامر ونواه لا حاجة إليها.
- ٥- إيجاد روح التعاون، بأن يتعاون التلميذ مع المدرس، والمدرس مع التلميذ، والأب مع المعلم، وبعبارة أخرى البيت مع المدرسة، للنهوض بالمتعلم وبلوغ الغاية التي ننشدها من التربية والتعليم.<sup>١</sup>

يمكن أن نذكر كيف ينبغي أن يكون معلم اللغة العربية في الآتي:

- ١- القدوة الطيبة: وتقع في المرتبة الأولى للمعلم، وهو المثل الأعلى للطالب، لأنه يمثل أقدس شيء لديه من جهة الدين، وكذلك هو أول ما يميل إليه من جهة اللغة كلغة عالمية.
- ٢- السيطرة على المادة العلمية والإمام بكل فروع اللغة العربية: وخصوصاً تلك التي تدرس بمراحل التعليم العام.
- ٣- الثقافة العامة: ومعلم اللغة العربية في هذه المرحلة هو حلقة وصل بين الماضي والحاضر، لأنه قرأ الماضي وخبره، وفهم الحاضر وامتصه.
- ٤- أن يكون معلم اللغة العربية معداً إعداداً تربوياً: فهذا الإعداد هو الذي يجعل منه مربيًا، وقائدًا وموجهًا.

- ٥- أن يكون مدرس اللغة العربية على وعي تام بأهداف اللغة العربية وأهميتها في توجيه الإنسان الذي يرفض التخلف والجمود، ويطمح للتطور ويسهم في عملية البناء والتعمير.
- ٦- أن يحبّ مدرّس اللغة العربية عمله ويفتخر به، لأن حب الإنسان لعمله أمر تفرضه رغبة النجاح فيه، فمن أحب عمله برع فيه وتفوق<sup>١١</sup>.
- ومهما يكن من أمر فإن هذه الشروط وغيرها التي تم ذكرها يجب أن تتوافر في مدرس اللغة العربية ليس قاصرا عليه وحده، بل واجب عامة المدرسين في كل مكان.

### طرق للتدريس

هناك عدة طرق التدريس لعل أشهرها ثلاثة:

- ١- طريقة المحاضرة: هي أن يعرض المدرس المعلومات والحقائق الخاصة بالموضوع عرضا شفويا مستمرا في الغالب، ومحور هذه الطريقة هو المعلم، ويقتصر دور الطلاب على الاستماع والتلقي.
  - ٢- طريقة المناقشة: تعتبر هذه الطريقة واحدة من طرق الشرح كما أنها تستخدم كطريقة لمراجعة المادة يشترك فيها كافة الحضور.
  - ٣- طريقة التعليم المبرمج: التعليم المبرمج هو تعليم بالآلة التي تزود بكم المعلومات والموضوعات بعد البرمجة، ولا تسمح الآلة للطلاب بالانتقال من سؤال إلى آخر حتى تكون إجابته صحيحة بالنسبة للسؤال الذي قبله.
- في ضوء ما سبق يرى الباحثان أن معلم اليوم يمكن اعتباره مثيرا للتعليم - منظما للتعلم - معدا للتعلم - مقوما للتعلم - مصدرا للتعلم - موجهها للتعلم.
- وهنا يقترح الباحثان القيام بخمس خطوات رئيسة في عملية تدريس اللغة العربية:

1. خطوات التمهيد Preparation.

2. العرض Presentation.

3. الربط بين الخبرات الجديدة والقديمة Association.

4. التعميم Generalization.

5. التطبيق وإجراء التجارب

بعد تحديد الأهداف واختيار المحتوى تأتي مرحلة تحديد طرائق التدريس وأساليبه المناسبة، التي ينبغي أن تكون ملائمة، وحتى تكون كذلك يراعى عند اختيارها أن تكون متنوعة بحيث تشمل على أساليب التعليم الذاتي، والمحاضرات وحلقات النقاش، والتعليم الفردي والتدريس المصغّر وغيرها من الطرق والأساليب التي يرى المسؤولون ضرورة استخدامها.

### الإطار التطبيقي

تناول الباحثان في الإطار النظري للبحث قضية طرق التدريس في جميع جوانبه، وتأسيس معهد التربية ولاية جغاوا، مما أعطى ملامح عامة عن تلك المعهد. استخدم الباحثان في هذه الدراسة (المنهج الوصفي).

وصف مجتمع الدراسة: يشمل مجتمع الدراسة معرفة آراء المدرسين والطلاب، حول طرق تدريس اللغة العربية في كلية التربية بولاية جغاوا.

حجم مجتمع الدراسة: إن عدد الأساتذة في قسم اللغة العربية في كلية التربية بولاية جغاوا يبلغ ٢١ معلماً ومعلمة، وكذلك عدد الطلاب يبلغ ٨٠٠ طالباً وطالبة تقريبا.

عينة الدراسة: اختار الباحثان عينة الدراسة من معلمي اللغة العربية وطلابها في كلية التربية ولاية جغاوا.

حجم العينة: شملت عينة الدراسة ٢٠ مفحوصاً بالنسبة للمعلمين، من بين ٢١ معلماً، وتشمل عينة الدراسة ٢٠ مفحوصاً بالنسبة للطلاب، من بين ٨٠٠.

أدوات الدراسة: (الاستبيان) أعد الباحثان استبياناً من سبعة أسئلة، بالنسبة لمعلمي ومتعلمي اللغة العربية في معهد التربية ولاية جغاوا، غمل.

العبارة الأولى : المادة التعليمية المقدمة إلى الطلاب روعي فيها التدرج.

|          |         |          |       |           |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
|----------|---------|----------|-------|-----------|



|      |     |     |     |         |
|------|-----|-----|-----|---------|
| ٤٠   | 6   | 8   | 26  | التكرار |
| %١٠٠ | 15% | 20% | 65% | النسبة  |

يوضح الجدول أعلاه من المفحوصين أن ٢٦ بنسبة ٦٥% يرون أن المادة التي تقدم إلى الطلاب روعي فيها التدرج، حيث يرى ٨ منهم بنسبة ٢٠% لا يرون ذلك، وأما ٦ بنسبة ١٥% أجابوا بلا أدري.

ويلاحظ الباحثان أن المواد التعليمية التي تقدم للطلاب قد روعي فيها نوع من التدرج. العبارة الثانية: الطريقة المتبعة في المنهج الحالي تحقق الأهداف التربوية التي من أجلها وضع المنهج.

|          |         |          |       |           |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
| ٤٠       | ٥       | ٢١       | ١٤    | التكرار   |
| %١٠٠     | ١٢,٥    | %٥٢,٥    | %٣٥   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ١٤ من المعلمين وهم بنسبة ٣٥% وافقوا على أن الطريقة المتبعة في التدريس تحقق أهدافا تربويا التي من أجلها وضع المنهج، بينما يرى ٢١ بنسبة ٥٢,٥% عكس ذلك، وأجاب ٥ منهم بنسبة ١٢,٥% بلا أدري. وقد لاحظ الباحثان خلال ذلك أن الطريقة المتبعة في التدريس لا تحقق الأهداف التربوية التي من أجلها وضع المنهج. العبارة الثالثة: عدم إتقان طرق التدريس عند بعض المعلمين يقلل من استجابة الطلاب.

|          |         |          |       |           |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الإستجابة |
| ٤٠       | ١       | ١        | ٣٨    | التكرار   |
| %١٠٠     | %٢,٥    | %٢,٥     | %٩٥   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ٣٨ من المعلمين وهم بنسبة ٩٥% وافقوا على أن عدم إتقان طرق التدريس عند بعض المعلمين يقلل من استجابة الطلاب، بينما يرى الباقي أن عدم إتقان هذه الطرق لم يقلل من استجابة الطلاب. ويرى الباحثان أن عدم إتقان طرق التدريس الحديثة لدى كثير من المعلمين يعطل من رغبة الطلاب في المادة، فيقلل من استجابتهم.

العبارة الرابعة : طريقة الترجمة تعطل سرعة إتقان الطلاب للمهارات اللغوية.

| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| ٤٠       | ١       | ٧        | ٣٢    | التكرار   |
| %١٠٠     | %٢,٥    | %١٧,٥    | %٨٠   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ٣٢ من ضمن المفحوصين وهم بنسبة ٨٠% يرون أن طريقة الترجمة تعطل سرعة إتقان الطلاب للمهارات اللغوية، وكثير من المعلمين يستخدمون طريقة الترجمة في التدريس. بينما يرى ٧ منهم بنسبة ١٧,٥% أن طريقة الترجمة أثناء التدريس لا تعطل سرعة إتقان الطلاب للمهارات اللغوية. وقد لاحظ الباحثان أن استخدام المعلمين لطريقة الترجمة في تدريسهم حقيقة يعطل سرعة إتقان الطلاب للمهارات اللغوية.

العبارة الخامسة : الزمن المخصص للدرس لا يكفي لإجراء تدريبات لغوية كافية.

| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| ٤٠       | ١       | ١٧       | ٢٢    | التكرار   |
| %١٠٠     | %٢,٥    | %٤٢,٥    | %٥٥   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ٢٢ من المفحوصين بنسبة ٥٥% يرون أن الزمن المخصص لتدريس اللغة العربية لا يكفي لإجراء تدريبات لغوية كافية، بينما يرى ١٧ بنسبة ٤٢,٥% عكس ذلك، حيث أجاب واحد منهم بلا أدري.

يرى الباحثان أن الحصص الموزعة في تدريس اللغة العربية لا تكفي من إجراء تدريبات لغوية كافية، الأمر الذي يحول بين الطلاب وفهم المواد اللغوية.

العبارة السادسة : طريقة تدريس الحوار تتيح الفرصة للنقاش.

| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| ٤٠       | ١       | ١٣       | ٢٦    | التكرار   |
| %١٠٠     | %٢,٥    | %٣٢,٥    | %٦٥   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ٢٦ بنسبة ٦٥% يرون أن طريقة الحوار تتيح الفرصة للنقاش، أما ٣٢% منهم لا يرون ذلك. ويرى الباحثان أن طريقة الحوار بين المعلم والطلاب تتيح لهم فرصة للنقاش، وهذا النقاش يقودهم إلى التمكن في اللغة العربية.

العبارة السابعة: يعتمد الطلاب في فهم دروس اللغة العربية على الشرح الذي يقدمه المعلم.

| الإجمالي | لا أدري | لا أوافق | أوافق | الاستجابة |
|----------|---------|----------|-------|-----------|
| ٤٠       | ٣       | ١        | ٣٦    | التكرار   |
| ١٠٠%     | ٧,٥%    | ٢,٥%     | ٩٠%   | النسبة    |

يوضح الجدول أعلاه أن ٣٦ من المعلمين بنسبة ٩٠% يرون أن الطلاب يعتمدون في فهم الدرس على الشرح الذي يقدمه المعلم، بينما يرى البعض غير ذلك. وقد لاحظ الباحثان أن الطلاب يعتمدون كلياً في فهم الدرس على الشرح الذي يقدمه المعلم.

#### الخلاصة:

يتضمن هذا المقال ملخصاً لأهم النتائج التي توصل إليها الباحثان، مع تقديم التوصيات والمقترحات في ضوء أهم النتائج التالية.

- ١- قلة المعلمين المدربين على تعليم اللغة العربية في كلية التربية لولاية جغاوا.
- ٢- عدم توفير الوسائل التعليمية المناسبة والتقنيات الحديثة لتعليم اللغة العربية.
- ٣- عدم وجود زمن كاف لتدريس اللغة العربية.
- ٤- عدم تدريب المتعلمين على الأوضاع الصحيحة لأعضاء جهاز النطق عند تدريس الأصوات.
- ٥- عزوف الطلاب عن التحدث باللغة العربية داخل قاعات الدراسة تجنباً للوقوع في الأخطاء النحوية.

#### المقترحات:

- ١- إجراء بحوث مشابهة حول طرق تدريس اللغة العربية تقدمها مؤسسات أخرى وجامعات، ومعاهد العليا.

- ٢- إجراء بحوث لدراسة اتجاهات الطلاب في المعاهد التربوية العربية العليا بولاية جغاوا فيما يتعلق بطرق حديثة لتعليم اللغة العربية.
- ٣- إجراء دراسات مشابهة لهذه الدراسة للوقوف على سلبياتها والعمل على تعديلها، والوقوف على إيجابيتها والعمل على تطوير طرق تدريس اللغة العربية.
- ٤- يرجى من المنظمات العربية والإسلامية القيام بزيارة تفقدية لهذه المعاهد للوقوف والاطلاع على الصعوبات والمشاكل التي تعرقل طرق ومسيرة تعليم اللغة العربية في هذه المعاهد.

### الهوامش والمراجع

١-Page 1-2 Jigawa State College Of Education, Gumel. Students Hand Book 2010 - 2014

- ٢- ابن منظور، لسان العرب، طبعة ١٩٩٢م، ص ٨٠.
- ٣- حسن شحاتة ، المنهج الدراسي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، ص: ٩٥.
- ٤- علي منير ويوسف العنيزي، طرق التدريس العامة، مكتبة الفلاح، ص ٢٧.
- ٥- فراس إبراهيم، طرق التدريس ووسائله وتقنياته ووسائل التعليم والتعلم، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص ٦.
- ٦- حمد عزت عبد الموجود وآخرون، أساسيات المنهج وتنظيماته، ١٩٧٩م - ١٩٨٩م دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ١٢٢ - ١٢٣.
- ٧- علي منير ويوسف العنيزي، طرق التدريس العامة، مكتبة الفلاح، ص ٢٧
- ٨- فراس إبراهيم، طرق التدريس ووسائله وتقنياته ووسائل التعليم والتعلم، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص ٦.
- ٩- محمد عزت عبد الموجود وآخرون، أساسيات المنهج وتنظيماته، ١٩٧٩م - ١٩٨٩م دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ١٢٢ - ١٢٣.

## اللغة العربية في جامعة ولاية نصرآوا: الواقع وآفاق التطوير

د. محمد تنكو علي

08065353243

و

د. روضة أحمد

08065823264

قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصرآوا، بكيفي

### المقدمة

إن اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ومع بدهة هذه المعلومة فقد كررها القرآن الكريم أكثر من عشر مرات<sup>١</sup>. وذلك للتأكيد على أهمية هذه اللغة في حياة المسلمين ومصلحة البشرية قاطبة. وإدراكا لهذه الأهمية تعلمت جميع الشعوب المسلمة اللغة العربية واتخذتها لغة علمها وحضارتها وحكمها وتجارها حتى أصبحت لدى كثير من شعوب هي اللغة الأم التي يتكلمون بها سليقة، وغابت عنهم لغاتهم الأعجمية.

ومن أجل نزول القرآن باللغة العربية وأهميتها للمسلم في إقامة شعائر دينه وإدارة حياته الإسلامية على جميع المستويات، أفتى العلماء المسلمون بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم إلى الحد الذي يُصلح به فرض عينه في النطق بالشهادين وإقامة الصلاة وقراءة القرآن الكريم ومعرفة ما لا يُعذر أحدٌ بجهله في الدين، كما اعتبروا تعلمها جزءا لا يتجزأ من الدين، وندنوا على وجوب التضلع فيها إلى حد النبوغ والرسوخ لكل من أراد أن يتخصص في أي فرع من فروع الدراسات الإسلامية. قال الإمام الشافعي-رحمه الله: "فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسييح، والتشهد، وغير ذلك. وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله الله لساناً من حتم به نبوته،

وَأُنزِلَ بِهِ آخِرُ كِتَابِهِ: كَانَ خَيْرًا لَهُ. كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الصَّلَاةَ وَالذِّكْرَ فِيهَا، وَيَأْتِيَ الْبَيْتَ، وَمَا أُمِرَ بِإِتْيَانِهِ، وَيَتَوَجَّهَ لِمَا وُجِّهَ لَهُ. وَيَكُونُ تَبَعًا فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ، وَتُدْبَ إِلَيْهِ، لَا مَتَّبِعًا<sup>٢</sup>.

ولقد استجاب الشعب النيجيري المسلم لهذه الفتاوى فبذل قصارى جهده في تعلّم اللغة العربية وتعليمها والتمرس فيها إلى الحد القصوى حتى اتخذها في عهد دولة ابن فودي الإسلامية لغته الرسمية والثقافية<sup>٣</sup>، وبرع فيها العلماء إلى حد النهاية. "وخدموا الثقافة العربية خدمة قلّمًا قام بها شعب غير عربي الأصل"<sup>٤</sup>. واستمر الحال على هذا النمط إلى أن انقضت المستعمر على الدولة فأزالتها وسعى بكل الوسائل إلى إلغاء اللغة العربية من الحياة العامة، واستبدل بها اللغة الإنجليزية، فتنقلصت منزلتها ولكنها لم تمت حيث استمرّ المسلمون بتعليمها حفاظًا على دينهم وثقافتهم الإسلامية. ولما أنشئت المدارس الحديثة على نظام المستعمر ظلت العربية عنها بعيدة وطريدة إلى أن نالت البلاد النيجيرية استقلالها عام ١٩٦٠م، فبدأ الخناق على العربية يتخفف إلى أن وجدت مدارس حكومية عربية، وتسلت العربية إلى الجامعات الرسمية بدءًا بجامعة إبادن، عندما أنشئت قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٦١م، إلى أن وصلت أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى أكثر من ثلاثمائة قسم في الجامعات والمعاهد العليا الحكومية وغيرها حسب المعلومات من مجلس القبول والامتحانات الوطنية في غرة أكتوبر من عام ٢٠١٨م.

ومن الجامعات الحديثة التي حظيت بافتتاح قسم اللغة العربية فيها جامعة ولاية نصرأوا بكيفي. وقد ساهم هذا القسم في تطوير اللغة العربية بالجامعة وبالولاية والمنطقة، بل وصل تأثيرها إلى شرق البلاد وغربه وشماله وجنوبه، غير أن هذه المساهمة لا تزال بحاجة إلى جهود لتعزيزها ودفع العقبات أمامها. ومن هذه الجهود إبراز هذه المساهمة والكشف عما يكتنفها من عثرات مع اشتتشاف المستقبل والتواصي باقتراحات للتطوير. فالهدف من هذا المقال وصف حالة اللغة العربية في جامعة ولاية نصرأوا، واقتراح سبل التفادي من العقبات في سبيل تطويرها. وتكمن أهمية الدراسة في توسيع رقعة التعليم العربي وتنمية قدرات ومهارات متعلميه وخدمة الإسلام به في مختلف أرجاء الوطن النيجيري. وإنما يرصد المقال حدوده في سير اللغة

العربية بجامعة ولاية نصرأوا وخصوصا بقسم الدراسات العربية منها من عهد إنشائها كشعبة في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى شعبة في قسم اللسانيات ثم قسم مستقلا، وهذا السير يستغرق خمسة عشر عاما من ٢٠٠٣-٢٠١٨م.

### اللغة العربية في جامعات نيجيريا

تُمثّل اللغة العربية إحدى اللغات السامية التي تكلمت بها الشعوب المختلفة من أولاد سام بن نوح، وهي لغة أمة العرب القديمة حسب رأي المؤرخين والأدباء في تقسيم الأنساب واللغات، وهي أخت للبرانية والسريانية في الفصيلة الثانية من فصائل اللغات الإنسانية الثلاث، ويظهر أنها أقرب اللغات السامية إلى أصلها<sup>٥</sup>.

والمعنيّ باللغة العربية في هذا المقال: علومها وفنونها التي تدرّس للطلاب ليتذوقوها ويتمرسوا فيها نطقا وكتابة وخطابا وتعلّما ومزاولة في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذه العلوم محصورة في مجالين؛ هما الدراسات اللغوية والدراسات الأدبية، فينتظم الأول في النحو والصرف والاشتقاق والعروض وفقه اللغة، واللسانيات، والإنشاء والمطالعة، والترجمة، والمعاجم. ويتعلق الثاني بالشعر والنثر والقصة والمسرحية والرواية، والنقد الأدبي، والبلاغة بفنونها: البيان والمعاني والبديع، وغير ذلك.

وللغة العربية خصائص كثيرة تميزها عن سائر اللغات في قدمها، وسعتها ومرونتها، وعدد ألفاظها، واشتقاقها، ومزية المترادفات، والجمع بين الضدين، والتفرد ببعض الحروف الخاصة، ودقة الفروق اللغوية، والسهولة في القراءة والكتابة، والنضح، والتغليب والالتفات والحكمة والبيان، وتأليف قلوب الناطقين بها، وتأثيرها في اللغات الأخرى وغير ذلك. وأبرز خصائصها على الإطلاق هو اصطفاء الله تبارك وتعالى لها لتكون وعاء كتابه الأخير الذي أنزله على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قرآنا عربيا<sup>٦</sup>. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥.

أما الجامعات النيجيرية فهي المؤسسات العلمية للدراسات العالية التي تهدف إلى تصحيح الأفكار وتطوير العلوم وتوفير الطاقات لتطوير البلاد والعباد في جميع مجالات الحياة في الوطن النيجيري. وهذه الجامعات أنشأتها أول مرة الحكومة النيجيرية، فكانت كما لاحظ غلادنتي - حين نشأتها - بحق "عبارة عن سلعة مستوردة من الخارج، ونبت ثقافي أجنبي تتعلق جذوره بالثقافة الغربية، وذلك لأن الجامعات لم تبني على أساس تقليدي معروف، ولكنها استوردت استيرادا وغرست غرسا"<sup>٧</sup>، فلا هي نبعت من حلقات المساجد ولا تطورت من المعاهد العلمية، ولا كانت مناهجها موضوعة لتلبية الحاجات ومطالب البلاد الحقيقية، ولم تكن اللغات المحلية ينظر إليها بشيء من الاعتبار، بل كانت تزدرى وتوصم بالسذاجة والبساطة وعدم صلاحية التدريس وتهمتها -زورا- بفقدان القواعد النحوية والآداب القديمة. واللغة العربية التي امتزجت بطبيعة القوم فأصبحت لغة محلية لوحقت كذلك بالمصير نفسه، بل بأشد من ذلك لكونها لغة الدين والثقافة التي تراد إزالتها من الوجود النيجيري<sup>٨</sup>.

ومع أن الأمور تبدلت بمرور السنين وتطور الأحوال والحكومات، فوجدت اللغات المحلية والديانات الوطنية واللغة العربية محلها من الدراسة في الجامعات، فلا تزال هذه الجامعات إلى حد كبير يصدق عليها الوصف بكونها "مكانا لمحو الثقافة الوطنية (الإسلامية) وتخطيطها وبناء الثقافة الغربية"<sup>٩</sup>. ولعل الوضع قد تحسن شيئا ما، بعد مرور السنين حتى أصبحت تخرج الدكاترة والبرافسة في ميادين التخصص العربي والإسلامي.

ولقد وجدت اللغة العربية سبيلها إلى الجامعة النيجيرية عندما أوصت لجنة أشبي<sup>١٠</sup> بإدخال الدراسات الإفريقية ذات الصلة بالمجتمع في مناهج جامعة إبادن، وبتأسيس جامعة في شمال نيجيريا يكون مقرها زاريا، فأنشأت جامعة إبادن قسما خاصا باللغة العربية والدراسات الإسلامية على نمط أقسام الدراسات الشرقية في إنجلترا عام ١٩٦١م، وكان التعليم بها حول تعليم اللغة العربية لا تعليم اللغة نفسها. وأُسست جامعة شمال نيجيريا (جامعة أحمد بلو) عام ١٩٦٢م، فانضم إليها بعض كليات شمال نيجيريا، وكوّنت نواة أقسامها وكلياتها، فكانت كلية عبد الله بايرو بكنو - التي أنشئت عام ١٩٦٠م حين لمست الحكومة الشمالية الحاجة



الشديدة إلى فتح قسم خاص يُعد الطلبة للالتحاق بالجامعة والتخصص في اللغة العربية والدراسات الإسلامية- إحدى هذه الكليات. ففرع عنها في الجامعة الجديدة: كلية الآداب والدراسات الإسلامية، ثم تطورت هذه الكلية إلى جامعة مستقلة عام ١٩٧٥م وتسمت بجامعة بايرو كنو<sup>١١</sup>.

ثم تتابعت الجامعات في تدريس اللغة العربية؛ إما في أقسام لها مستقلة، أو في أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أو في شُعَب لأقسام الدِّيانات، أو اللغويات، أو اللسانيات، أو اللغات الأجنبية، إلى غير ذلك. وهذا يصدق على جامعات الحكومة الوطنية والحكومات الولائية والجامعات الخاصة. وقد بلغ عدد الجامعات في نيجيريا حسب إحصائيات اللجنة الوطنية للجامعات (NUC) لحد شهر نوفمبر ٢٠١٨م مائة وخمسة وستين جامعة (١٦٥)؛ ثلاث وأربعون (٤٣) منها وطنية (فدرالية)، وسبع وأربعون (٥٧) منها ولائية، وخمس وسبعون (٧٥) منها خصوصية<sup>١٢</sup>. وأكثر من عشرين (٢٠) جامعة<sup>١٣</sup> من هذه الجامعات تُدرِّس اللغة العربية وتمنح عليها الشهادات العلمية: إما على جميع المستويات الجامعية من الدبلوم والليسانس والدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه. أو على بعض هذه المستويات، ويتم هذا غالبا في كليات الآداب والتربية.

### اللغة العربية في جامعة ولاية نصرارا

جامعة ولاية نصرارا: هي إحدى الجامعات الولائية في وسط شمال نيجيريا، وهي أول جامعة ولائية في المنطقة تؤسسها حكومة منتخبة بعد عودة البلاد إلى النظام الديمقراطي. أسست بموجب قانون الولاية الرقم الثاني لعام ٢٠٠١م المعتمد من قبل مجلس النواب عام ٢٠٠٢م. وبه افتتحت الجامعة أعمالها، وتشتغل حالا في ثلاثة مقرات. المقر الدائم، ومقر بيانكو (Pyanku) ومقر لافيا. فالمقر الدائم بكيفي في طريق أكوانغا (Akwanga) يحتضن إدارة الجامعة، وسبع كليات؛ هي كليات إدارة الأعمال، والآداب والتربية والقانون والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية والتطبيقية والعلوم البيئية، وكافة المديريات (Directorates)؛ وهي مديريات كثيرة. ومقر بيانكو على طريق نصرارا بكيفي أيضا

يحتضن مدرسة الدراسات التمهيديّة (School of Preliminary Studies) ومركز الدراسات المستمرة (Centre for Continuing Education)، أما مقر لافيا فهو في لافيا عاصمة الولاية؛ وهو يحتضن كلية الزراعة. والجامعة من أشهر الجامعات الولائية في نيجيريا وأنشئها.

وبالجامعة من البرامج العلمية على مستويات ما قبل الليسانس (Sub-Degree) والليسانس، والدراسات العليا: الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه، ما تنافس فيه الجامعات العتيقة في الكم والكيف. وغالب هذه البرامج معتمّدة لدى المجلس الوطني للجامعات لفوزها في زيارات مراقبة ضمان الجودة بها من قبل المجلس<sup>١٤</sup>.

أما اللغة العربية فقد تغلّغت في جامعة ولاية نضراوا مبكرا إذ دخلت مع افتتاح الجامعة عام ٢٠٠٢م، حيث وظف ثلاثة محاضرين؛ أبوبكر الصديق إدريس (وكاوا)، وإبراهيم هارون حسن، وسعادة حسن ليمان ليتدووا قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فكلفوا بزيارة الجامعات العريقة للاطلاع على مقرها ومناهجها لتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية، واقترح مقرر للتدريس بالجامعة، فقاموا بذلك، ثم عادوا فاقترحوا مقرا وافقت عليه الجامعة.

وقبل الطلاب للدراسة فكان حظ العربية منهم طالبا واحدا، هو إبراهيم عبد الله (رحمه الله)، به بدئ تعلم اللغة العربية في الجامعة كما بدئ تعليمها بالأستاذ أبوبكر الصديق إدريس؛ فقد كان هو الوحيد لتدريس اللغة العربية من بين المحاضرين الثلاثة، والآخران في الدراسات الإسلامية. ثم ازداد عدد المحاضرين في اللغة العربية مع توظيف الأستاذ إدريس إمام عام ٢٠٠٣م، وحصل انفصال اللغة العربية عن الدراسات الإسلامية قبل إبريل من عام ٢٠١٤م فصارت اللغة العربية شعبة تحت قسم اللغات واللسانيات إلى أن استقلت بقسم لها عام ٢٠١٤م.

وترأس إدارة قسم اللغة العربية منذ بدايتها إلى أن استقلت بقسمها الأستاذ أبوبكر وكاوا (٢٠١٥-٢٠٠٢م)، ثم تولى القسم بعده الدكتور آدم أيوب بنثي (٢٠١٥-٢٠١٥-

مارس ٢٠١٨م)، ثم تولاهما من بعده الدكتور ثالث عبد الكريم وهو الرئيس حاليا. وتطور القسم تدريجيا فتكاثر عدد طلابه وأساتذته، وأصبح يربي الطلاب في اللغة العربية على جميع مستويات الدراسة الأكاديمية، وتخرج فيه كثير من الطلاب في الليسانس والدراسات العليا من شتى ربوع نيجيريا وبعض الدول المجاورة<sup>١٥</sup>.

### إنجازات اللغة العربية في جامعة ولاية نصرأوا

حازت اللغة العربية ممثلة بقسمها: قسم الدراسات العربية على إنجازات كثيرة في مجالات شتى يمكن حصرها في الأساتذة والطلاب والمنهج والمكتبة والبحوث وإدارة القسم، وفيما يلي بيان موجز لجوانب الإنجازات الملموسة:

#### الأساتذة:

أنجز القسم في استقطاب الأساتذة المحاضرين إليه، حيث ابتدأ بمحاضر واحد، ثم تزايد العدد بالجهود الجبارة لإدارة القسم إلى أن أصبح القسم يتمتع الآن بقدر كاف من المحاضرين ذوي كفاءات علمية فائقة، وتخصصات متنوعة، ومستويات علمية شتى. لقد بلغ عدد المحاضرين الدائمين بالقسم إلى عشرين محاضرا، إضافة إلى أستاذ معار وآخر زائر. فجملتهم اثنان وعشرون (٢٢) محاضرا<sup>١٦</sup>، وأغلب هؤلاء - خمسة عشر<sup>١٧</sup> منهم تحديدا - دكاترة متخرجون في جامعات من نيجيريا والسودان.

واستقطب القسم الكفاءات العالية من أساتذة اللغة العربية للامتحانات الخارجية لطلابهم وقضاء الإجازة السببية فيه، والزيارة إليه من أغلب الجامعات النيجيرية التي تدرس اللغة العربية من أمثال الأستاذ الدكتور مصلح تايو يحيى من جامعة جوس، و الأستاذ الدكتور رشيد أ. راجي، من جامعة إلورن، والأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر، والأستاذ الدكتور طاهر سيد، والأستاذ الدكتور الطاهر محمد داود، من جامعة بايرو كنو، والأستاذ الدكتور عبد الباقي أغاكا، والأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى، والأستاذ الدكتور يَعْوَلْ، والأستاذ الدكتور أرزك طن زاك من جامعة عثمان طن فوديو صكتو، والأستاذ الدكتور محمد الثاني عبد المؤمن من جامعة ميدغري، وآخرين من جامعات كتسنا وكوغي<sup>١٨</sup>.

ثم درّب القسم أعضائه على مستوى الدراسات العليا حتى خرّج من أعضائه لحد الآن تسعة بشهادات الدكتوراه هم أبوبكر وكاوا، وإلياس عثمان، وأحمد حامد أحمد، وإسحاق صالح سليمان، وسليمان يوسف، وسابو الحاج ثاني، وثالث مختار قاسم، وروضة أحمد، وأحمد يوسف إمام.

وأخذ القسم على أيدي المحاضرين فاجتهدوا في الحصول على الترقية في التوظيف الجامعي إلى أن بلغ بعضهم إلى أعلى المناصب الأكاديمية والوظيفية، ممن بدؤوا العمل بمستوى مساعدي المحاضرين (Assistant Lecturers)، فالدكتور وكاوا الآن أستاذ كرسي، وكذلك الدكتور ثالث عبد الكريم -رئيس القسم حاليا- وكلٌّ من د. إلياس عثمان، و د. آدم أيوب بنثي، و د. محمد آدم (ناصر) أستاذ مشارك.

وقد تميز بعض أساتذة القسم بالتأليف في مجالات تخصصهم، إضافة إلى نشر المقالات الأكاديمية في المجالات العلمية الداخلية والخارجية، فنشر كل من د. إلياس ود. ثالث عبد الكريم كتابا، وما من محاضر قضى في القسم سنتين إلا وقد نشر مقالا على الأقل في إحدى المجالات بالجامعة أو خارجها، إما من حصيلة المؤتمرات، أو بحث مستقل.

### الطلاب:

أما عن إنجازات قسم اللغة العربية في مجال الطلاب فيتمثل في تزايد العدد واستقراره، فقد ابتداء القسم بطالب واحد، ثم زاد العدد في السنة الثانية إلى ثمانية وهكذا استمر في الازدياد. ودأبت إدارة القسم على اصطيادهم عبر شتى الوسائل المباحة، ولا سيما تحت رئاسة الأستاذ وكاوا. ثم استقر العدد في عهد الدكتور آدم بنثي حيث تراوح بين عشرة طلاب إلى ثلاثين طالبا في مستوى اليسانس، وبين العشرين إلى الثلاثين في مستوى الماجستير، وبين الخمسة إلى العشرة في مستوى الدكتوراه<sup>١٩</sup>.

وتخرج عدد كبير من الطلبة على مستوى اليسانس والدراسات العليا في حدود السنوات المقررة، ثم إن هؤلاء الطلبة جلبوا من مختلف الولايات، بل بعضهم من الدول المجاورة لنيجيريا، مثل تشاد والنيجر، وبالقسم حالا طالب من جمهورية مصر العربية<sup>٢٠</sup>. وتوظّف كثير

من خريجي القسم في جامعات البلاد ومعاهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية، شمالاً وجنوباً، بل وظف بعضهم في القسم ذاته من أهل الولاية وغيرهم. ويوجد من الحاضرين في القسم من خريجه من أصل ولاية نصرأوا الآن خمسة دكاترة<sup>٢١</sup>.

#### المنهج:

أما المنهج فذكر كلٌّ من وكاوا وبنشي<sup>٢٢</sup> أنه يتناغم مع المستوى الأدبي المعتمد من المجلس الوطني للجامعات. وقد أجريت بعض التعديلات في منهج الدراسات العليا مرة. وبهذا يحسبان أن المنهج كافٍ ومتسابق مع كثير من الأقسام على مستوى الدولة في المنهج.

#### المكتبة:

من إنجازات قسم اللغة العربية إنشاء المكتبة الخاصة، والعناية بالمكتبة المركزية وتزويد المكتبتين بالمصادر اللازمة من الكتب والمجلات عن طريق الجامعة والتبرعات الشخصية من المحاضرين وغيرهم<sup>٢٣</sup>.

#### الإشراف على البحوث:

من إنجازات قسم اللغة العربية في الجامعة عدم المماثلة في الإشراف على البحوث، وخاصة في الدراسات العليا، وحسن المعاشرة مع الطلاب والإعانة بما يشجع على التخرج في حدود الزمن المحدد. فنظرة عجل على السيرة الذاتية للدكتور بنشي تبين أنه أتم الإشراف على ستة عشر بحثاً للماجستير وخمس رسائل دكتوراه من بداية الدراسات العليا بالقسم عام ٢٠٠٦م إلى هذا العام ٢٠١٨م<sup>٢٤</sup>، وأشرف الأستاذ الدكتور وكاوا على تسع رسائل للدكتوراه؛ إما مشرفاً مستقلاً أو مشاركاً خلال السنوات ذاتها. وبالجملة فقد خرَّج القسم بدءاً من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٨م ما لا يقل عن أربعين طالباً للدكتوراه، وأكثر من ذلك للماجستير<sup>٢٥</sup>.

#### الدراسات العليا

من الإنجازات كذلك السعي على افتتاح برامج الدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه من وقت مبكر، وذلك عام ٢٠٠٦م، على الرغم من معارضة بعض الكبار في كلية

الآداب، فأصّر أعضاء القسم، يتقدّمهم رئيسهم وكاوا حتى تحقق ذلك بفضل الله ثم بجهودهم المخلصة<sup>٢٦</sup>. وقد أنجزت الدراسات العليا ما سبق ذكره في الحديث عن الطلاب والإشراف على البحوث آنفا.

### إنشاء مجلتين علميتين في القسم

من الجدير بالذكر والإشادة بإنشاء مجلتين لخدمة اللغة العربية، هما: مجلة الإشراف للدراسات العربية والإسلامية الذي اشترك في إنشائه شعبتا اللغة العربية والدراسات الإسلامية حين كانت الأولى تحت قسم اللغات واللسانيات، والثانية تحت قسم الدراسات الدينية عام ٢٠٠٨م، واستمرت بعد استقلالها. وقد صدر من المجلة إلى الآن عشرة أعداد. والمجلة الثانية هي مجلة الضاد؛ وهي خاصة بقسم اللغة العربية. وهما مجلتان حوليتان لم ينقطع إصدارهما إلى اليوم<sup>٢٧</sup>.

### الحصول على الاعتماد الكامل من المجلس الوطني للجامعات مرتين

من الإنجازات كذلك الحصول على الاعتماد الكامل لبرنامج الليسانس للقسم. فقد زار المجلس الوطني للجامعات برنامج اللغة العربية في الجامعة للاعتماد أربع مرات في أعوام ٢٠٠٥م و٢٠٠٦م و٢٠١١م و٢٠١٥م. فرسب البرنامج في الزيارة الأولى لقلّة التلاميذ، وفاز بالاعتماد الكامل في الثانية والاعتماد الجزئي في الثالثة والاعتماد الكامل في الرابعة. وهو الذي يتمتع به القسم إلى اليوم<sup>٢٨</sup>.

### تحديات اللغة العربية في جامعة ولاية نصراوا

أما التحديات التي تواجه اللغة العربية في جامعة ولاية نصراوا فهي أيضا متعددة الجوانب، وغالبها يكمن في الجوانب التي أنجزت فيها من الأهداف والمنهج والأساتذة والطلاب وإدارة القسم والتمويل. وفيما يلي بيان موجز عنها.

### الأهداف:

إن الأهداف الأربعة المسطورة في المستوى الأدنى المعتمد لدى المجلس الوطني للجامعات لليسانس، والأهداف الثلاثة للدراسات العليا في اللغة العربية قاصرة. وهذا القصور

يتمثل في غياب الهدف الديني من دراسة اللغة العربية. والمعروف أن خريجي اللغة العربية يتولون مناصب دينية من تدريس الإسلام، ونشر الدين بالدعوة وارتقاء المنابر وإصدار الفتاوى للعوام والمتعلمين في نيجيريا أكثر من مزاولتهم مهنة التعليم المدني والترجمة والسياسة والدبلوماسية والعلاقات الدولية والصحافة. وقد انتقد بعض الباحثين هذا القصور قائلاً:

والنقطة التي يجب أن نقف عليها برهة من الزمن هي نقطة كفاية الأهداف، وكما يبدو وبدون نقاش طويل، فإن تلك الأهداف غير كافية إذ لا توال هناك أهداف أخرى مهمة ينبغي أن تضاف إليها، مثل: تمكن الطلاب على القيام بالمسؤوليات الدينية كالإمامة والتفسير والخطابة... فهو هدف له أهميته القصوى في الدراسات العربية في هذه البلاد<sup>٢٩</sup>.

#### المنهج:

أما المنهج فإن قسم الدراسات العربية بجامعة ولاية نصاروا يعتمد على المستوى الأدبي بحذافيره، وإنما يزيد بعض المواد الاختيارية من قسم الدراسات الإسلامية التي تدرس باللغة الإنجليزية، ومن التحديات التي تواجه هذا المنهج قدمه وعدم مرونته، وقصوره عن القيام بأهدافه المسطورة على قصورها (أي الأهداف)، وكتابته باللغة الإنجليزية فحسب، إضافة إلى غياب الأدب النيجيري فيه بمختلف مراحلها. وقد ارتأى الأستاذ الدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم أن المنهج "غير كاف وإن كانت للجامعة حرية في الإضافة إليه" وأن "الوحدات أو المقررات المذكورة (فيه) غير كافية"، وأنه "لا يوجد توازن بين الموضوعات (أي المواد التدريسية فيه)، وبينما نرى زيادة كثيرة في بعض نرى نقصاناً زائداً في آخر"<sup>٣٠</sup>.

#### الأساتذة:

أما التحديات التي تواجه اللغة العربية من قبل أساتذتها فتتمثل في انكماش بعضهم وانطوائهم على أنفسهم وعدم الانفتاح على الآخرين والأوضاع السارية في الجامعة، والبعد عن مواكبة التطورات في مجال التخصص، وعدم المراجعة والاستعداد اللازم، أو التحضير للدرس قبل المحاضرة، وتوظيف غير الأكفاء؛ ذوي البضاعة المزجاة في اللغة العربية، الوضع الذي

يظهر جليا في مخاطبات بعضهم ومحادثاتهم مع الآخرين، حيث يحسون بالضعف ولا يستطيعون المحادثة بالعربية أمام الناس خوفا من الوقوع في الأخطاء الفاحشة، وهذا يؤدي بهم إلى ترك التحدث بالعربية ورفضها أيضا<sup>٣١</sup>.

ومن التحديات عدم قيام الأساتذة بالنشاطات العلمية كالندوات العلمية داخل القسم، وعدم تشجيع الطلاب على ذلك لرفع مستوياتهم في الخطابة والكتابة، ثم غياب بعضهم عن حضور المؤتمرات التي تكفل الجامعة لهم بتكاليفه اشتغالا بما لا يهمهم من نشاطات تجارية أو غير أكاديمية.

### عدم التمويل الكافي:

إن قلة التمويل من إدارة الجامعة إلا في أيام زيارة المجلس الوطني للجامعات، وضعف تزويد القسم بالأدوات اللازمة للتدريس من المكاتب وقاعات التدريس من التحديات التي تواجه اللغة العربية في الجامعة، وليست العربية وحيدة في هاتين الظاهرتين، بل هما معضلتان تُفَضِّلان مضاجع جميع الأقسام في الكلية والجامعة عموما.

### الطلاب:

أما التحديات من قبل الطلاب فتتمثل في قلة المقبولين منهم لتعليم اللغة العربية، وفرار صغار الطلبة من التعليم العربي في القسم، وعدم تحاطبهم باللغة العربية في ساحة الجامعة وخارجها<sup>٣٢</sup>، والشعور بالدونية والنقص، وعدم النشاطات الثقافية والاتحاد الطلابي، وعدم التمكن أو تعلُّم اللغة الإنجليزية التي أصبحت ضرورية في الجامعات النيجيرية<sup>٣٣</sup>.

كل ما سبق في الصفحات السابقة هو واقع اللغة العربية في جامعة ولاية نصرأوا بكيفي، بإنجازاته وإخفاقاته أو تحدياته، وما سيتلو هو استشراف لسبل توطيد الإنجازات ومواجهات الإخفاقات والتحديات لإزاحة العقبات في سبيل رقي العربية وتقدمها في الجامعة.



## آفاق تطوير اللغة العربية في جامعة ولاية نصرآوا

لكي نستشرف مستقبل اللغة العربية ونرسم آفاق تطويرها بجامعة ولاية نصرآوا، فلا بد من الأخذ في الاعتبار نفس الجوانب التي رصدنا فيها شَرَّتها وكبوَّتها. وفيما يلي اقتراحات في سبيلها:

### الأساتذة:

- لا بد من البناء العلمي للنفس، وامتلاك ناصية مجال التخصص، قبل التصدر للتدريس الجامعي في اللغة العربية.

- تجب المعونة على الأنشطة العلمية والثقافية بالقسم وإجبار الأساتذة على المشاركة فيها، ولتكن شهرية أو دورية، والتشديد على حضور المؤتمرات والملتقيات والندوات الخاصة والعامة.

- لا بد من التربية على الاعتزاز بهذه اللغة واستعمالها استعمالاً مباشراً للتربية والتعليم مع الاستعانة بوسائل التربية الحديثة وطرق التدريس المعاصرة، والتعاون التام والتفاهم بين الأساتذة.

- تشجيع الطلاب على التحدث باللغة العربية داخل الجامعة وخارجها، والتحدث معهم بها كذلك.

- الإلمام باللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة العربية ضروري لضمان الاندماج في المجتمع الجامعي.

### الطلاب:

- إنشاء برنامج الانتساب لاحتضان الراغبين من ذوي الثقل والمشغل التي لا تسمح لهم بالانتظام في تعلُّم ودراسة اللغة العربية.

- فرض الندوات وتقريرها على طلاب السنة الثانية والثالثة والرابعة في بداية كل فترة، على أن تكون الندوة، إما مسرحية يقدمها الطلبة، أو مقالات بإشراف أساتذة مؤهلين لتصحيح الأخطاء اللغوية.

### الأهداف:

- إضافة الأهداف الدينية الإسلامية إلى الأهداف، وتقرير المواد التي تكفل به. قال العايد: "وإن من الواجب أن لا تخلو أقسام اللغة العربية من موادّ الدراسات القرآنية، خاصة ما يتعلّق بالتجويد والقراءة، وإعراب القرآن، وتفسيره، وإنّ القرآن هو الأولى أن يكون مجالاً للدروس التطبيقية في اللغة العربيّة، لأسبابٍ لا تخفى على ذي بصيرة"<sup>٤٤</sup>.
- إضافة بعض المواد والموضوعات المهمة مع تقليل المواضيع الزائدة عن الحاجة ومراعاة أهميتها ونفعها على الأمة لتحقيق الأهداف كاملة.

### المنهج:

- تطويره ليتكيف مع البيئة والحاجات الحقيقية للمجتمع، مع إضافات مواد حديثة في التخصصات اللغوية والأدبية والاستفادة في ذلك من بعض الجامعات العالمية.
- السعي إلى تطوير المستوى الأدبي للمنهج المعتمد من قبل المجلس الوطني للجامعات.

### إدارة القسم:

- توطيد العلاقة بين هذا القسم والأقسام الأخرى في الجامعات النيجيرية والدول العربية إن أمكن ذلك.
- كتابة كتب ومقالات عن تاريخ القسم وإنجازاته وتحدياته وسبل تطويره.
- حث الموظفين من المدرسين وغيرهم على الأداء الحسن، عن طريق التشجيع والترغيب والترهيب، وتأديب المبطلين والفاستدين بالوسائل المباحة، وعدم التمييز بين أعضاء القسم في التنصيب وتقسيم المواد التدريسية، وتوزيع الطلاب للإشراف، ومراعاة الكفاءة والأهلية والأمانة في كل ذلك.
- تنظيم المؤتمرات السنوية والندوات الشهرية للأساتذة للمناقشة بحضور طلاب الدراسات العليا.

### إدارة الجامعة:

- تمويل القسم تمويلا كافيا حتى يتمكن من تحقيق حاجياته اليومية من غير أن يضطر إلى جعل غرامات على الطلاب.
- توفير مكاتب للأساتذة والمسؤولين في القسم وقاعات واسعة للتدريس والمناقشات والامتحانات.

### الخاتمة:

إن ما سبق من عرض موجز عن واقع اللغة العربية عبر الإنجازات والتحديات والاقتراحات لتحسين جوانب الطلاب والأساتذة والأهداف والمنهج وإدارة الجامعة وإدارة القسم للدليل على الخدمة العظيمة التي تحظى بها اللغة العربية في جامعة ولاية نصراوا. وفي اعتقادنا أن الاقتراحات التي أدلينا بها كفيلة باستدامة هذه الخدمة وتطويرها إن هي قوبلت بالقبول والتطبيق من المعنيين بها والمعتنين المهتمين الغيورين على اللغة العربية في الجامعة وفي الولاية والوطن النيجيري عموما. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع:

- انظر عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، ص٤٥٦.
- الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد شاکر، القاهرة: مكتبة الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، ص٤٧.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة أصحاب الجحیم، تحقيق ناصر عبد الکریم العقل، بیروت: دار عالم الکتب، ط:٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١/٥٢٧-٥٢٨.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٥/٥٣.
- غلادشي، شیخو أحمد سعید، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الرياض: شبكة العبيکان، ط.٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٥٥.
- أبوبکر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال، كنو: دار الأمة لوكالة المطبوعات، ط.٢، ٢٠١٤م. ص٣٦٤.
- عبد الرحيم، حمزة إ.، "تعلم اللغة العربية في الجامعات النيجيرية: الحاجة إلى تقويم المنهج لضمان الجودة" في نثائس: مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، العدد:١٣، سبتمبر ٢٠١٠م، ص٧٧-٩٠.
- يوجد ملخص المقال على موقع مجلة العقبري: <http://abqarijournal.usim.edu.my/archives/vol-3-2004/238-2016-05-25-06-09-02> عشر عليه يوم الأحد ٢٠١٨/١١/٠٤م.
- المقال موجود على الشبكة: <https://www.academia.edu/11093514/%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9%D8%A3%D9%82%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%A7>

[http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference\\_research-858308415-1406013248-34.pdf](http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-858308415-1406013248-34.pdf)  
wnload وجد يوم الأحد ٠٤/١١/٢٠١٨ م.

- المقال موجود على الشبكة:  
[http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference\\_research-858308415-1406013248-34.pdf](http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-858308415-1406013248-34.pdf)  
اطلع عليها الباحثان يوم الأحد ٠٤/١١/٢٠١٨ م.
- نشر في مجلة الإشراف للدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية نصراف، العدد: ١، سبتمبر ٢٠٠٨ م.
- نشر في مجلة اللسان للجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ٢، رقم ٨، ٢٠١٦ م.
- انظر صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين ١٣٧٩هـ/١٩٦٠ ج ١٠ ص ٢١ ورمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م، ج ١ ص ٦١، ٢٥٩).
- ينظر تفصيل هذه الخصائص في الندوي، محمد نعمان الدين، خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م، ص ٣٣-٥٢.
- غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، المرجع السابق، ص ٢٢٣.
- غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، المرجع السابق، ص ٢٢٤.
- راجع غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.
- هي اللجنة العلمية التي شكلتها الحكومة النيجيرية برئاسة السير أرك أشبي ( Sir Eric Ashby) عام ١٩٥٩ م للقيام بالبحث في طلبات نيجيريا في مجال التعليم بعد الشهادة الثانوية والتعليم العالي لمدة عشرين سنة من ١٩٦٠-١٩٨٠ م. انظر غلادنتي، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

- انظر غلادني، المرجع نفسه، ص ٢٢٣-٢٣٤.
- موقع اللجنة الوطنية للجامعات، <https://nuc.edu.ng/home-page> اطلع عليه يوم الأحد ٤/١١/٢٠١٨م.
- عثرنا منها على ثلاث وعشرين (٢٣) جامعة تدرس اللغة العربية كمادة من البحث السريع على الانترنت. ولعل الاستقراء ناقص. انظر: <https://nigerianscholars.com/school-finder/arabic-studies>
- هذه معلومات شخصية وينظر أيضا عنها موقع الجامعة مع أن بعض المعلومات فيه قديمة وهو: <https://nsuk.edu.ng/about-us> وينظر كذلك عبد السلام، عبد الغني أمبولاً في "واقع اللغة العربية في الجامعات غير العربية: جامعة ولاية نصرأوا كيفي نيجيريا نموذجاً"، ص ٤. و S. H. Liman & M. T. Aliyu, "Islamic Studies in Nasarawa State University Keffi: The Journey So Far" in in Y. L. Badmus (Ed.) *Arabic and Islamic Studies in Nigeria* Proceedings of the 33rd Annual National Conference of NATAIS, Ilorin: University of Ilorin Press, 2016. Pp. 97-108.
- مقابلة شفوية مع أ. د. أبوبكر الصديق إدريس وكاوا، بمكتبه في كلية الآداب جامعة ولاية نصرأوا، يوم الثلاثاء ١١/٩/٢٠١٨م، ومقابلة شفوية مع د. آدم أيوب بنثي، بكلية الآداب، جامعة ولاية نصرأوا، يوم الثلاثاء ١١/٩/٢٠١٨م.
- وكاوا، وبنتي في المقابلتين المذكورتين.
- وكاوا، في المقابلة المذكورة.
- وكاوا، في المقابلة المذكورة.
- بنتي، في المقابلة المذكورة.
- كاوا، في المقابلة المذكورة.
- وكاوا، في المقابلة المذكورة.
- وكاوا، وبنتي في المقابلتين المذكورتين.

## تقويم طرق تدريس اللغة العربية في نيجيريا

سليمان محمد رحمة،

المحاضر بجامعة القلم قسم اللغات الإفريقية، فرع اللغة العربية، كاتسينا.

08036078298

مختار مرتضى إبراهيم

المدرس بمدرسة الهدى للتحفيظ والعلوم. كاتسينا.

07069141846

### المقدمة:

ليس من أدنى شك في أن نيجيريا قد أصبحت منذ وقت بعيد في مقدمة صفوف البلدان التي تهتم باللغة العربية اهتماما بالغاً صادقاً، ولا أدل على صدق هذا القول مما نشهده اليوم من ازدهار كبير في كل مجال من المجالات العربية في البلاد النيجيرية، وفي كل مستوى من مستوياتها؛ فكثر المدارس والمعاهد التي تعنى باللغة العربية، وتخرج أفواج في شتى مراحل التعليم... فأصبحت أهمية تدريس اللغة العربية كبيرة جداً، فكانت مثل هذه الدراسات التي تهتم بهذا المجال المهم ضرورية، والحاجة إليها ماسة؛ لأنها -بلا شك- هي التي ستدفع عجلة الأمر إلى الأمام (إن شاء الله). وهذه الدراسة لا تختلف عن غيرها في المساهمة بجهد المقل في إطار تدريس اللغة العربية في نيجيريا، عسى الله أن يجعلها نافعة.

## مفهوم التقويم لغة واصطلاحاً:

## أ- التحديد اللغوي:

يفيد مصطلح التقويم في كلِّ المعاجم العربيَّة - على تعدُّد مشتقَّاته - معاني تقدير الشيء، وإصلاح اعوجاجه، أو التدبير والتسيير، كما يدل على الإقامة؛ أي: الإتمام والإكمال (١)، وفي الحديث النبوي الشريف: (تسوية الصَّفِّ من إقامة الصلاة) (٢)؛ أي: من تَمَّامها وكَمَّالها. ورد في لسان العرب: أقمْتُ الشيء وقومته فقام، بمعنى الاستقامة واعتدال الشيء واستوائه، وقومُ درأه أي أزال عوجَه، وأقام السلعة وقومها أي قدرها. وذكر قوله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو قومتم لنا؟ أي لو سعرت لنا، بمعنى حدّدت لنا قيمتها، فقال عليه الصلاة والسلام هو المقوم (٣)، وجاء في المعجم الوسيط: قوم الشيء أي عدّله وأزال العوج عنه، وقوم السلعة قدرها وثمنها. وقيم الشيء تقيماً أي قدر قيمته (٤).

ونخلص من هذا أنّ التقويم يأتي بمعنى تقدير الثمن وتعديل السلوك، بينما التقييم هو تقدير الثمن فقط. وأجاز مجمع اللغة العربية فيما بعد استخدام التقييم مكان التقويم، بمعنى أنّ التقويم والتقييم مصطلحان يحملان المعنى ذاته. والتقويم بشكل عام هو وسيلة يُحكم بها على مدى النجاح الذي تحقّق من وراء العملية التعليمية كلها، منها المنهاج ومحتواه، وأهدافه، والطريقة والأساليب التي اختارها المعلم لتنفيذ مفردات المنهاج، والطالب المتعلم ومدى ما حصل عليه من معارف ومهارات واتجاهات نتيجة مروره بالمواقف التعليمية (٥).

وهو بهذا المفهوم يشمل جميع أطراف العملية التعليمية، ويلتزم هذه العملية في كل خطوة من خطواتها، ويعكس الآثار الإيجابية والسلبية للظروف والأحوال التي تحدث فيها عملية التعلم، وبذلك يزود هذه الأطراف بالأدوات التي يُحكم بها على النجاح أو الإخفاق ليصار إلى إعادة النظر في مسيرة أطراف عملية التعلم، بغية تحقيق الأهداف المنشودة من هذه العملية (٦).



### خصائص أو شروط التقييم التربوي الهادف:

من الخصائص أو الشروط التي ينبغي العمل على توافرها؛ لكي يؤدي التقييم وظيفته، بناءً وتنفيذًا وتطويرًا - كما بين ذلك الدكتور بن عيسى إحسينات، في مقالته "استراتيجية التقييم والدعم في المجال التربوي التعليمي" ما يلي: (٧)

١- أن يكون صادقًا أو صالحًا: بحيث يتم التوافق بين وسيلة القياس وبين ما نريد قياسه فعلاً، وملاءمة الأسئلة للأهداف التعليميّة.

٢- أن يكون ثابتًا: أي أن يكون في إمكان التقييم إعطاء نتائج منسجمة، الشيء الذي يضمن اتفاق المصححين على تقدير نفس العلامة (النقطة)، خاصة ما نلاحظه من تبائن. مستوى التنقيط بين هذه المؤسسة التعليميّة وتلك، مما يساهم في عدم استفادة فئة على حساب أخرى، خاصّة في المباريات الؤلوج إلى المهنة العموميّة والخاصة، (وهو شكّل من أشكال الإقصاء).

٣- أن يكون موضوعيًا: أي استقلال نتائجه عن الأحكام الذاتيّة للمصحح؛ لأنّ ذلك يضعف درجة أمانة الامتحان، ويقوّي ثقة المتعلّمين في طريقة التقييم.

٤- أن يكون هادفًا: بمعنى أن يتميّز بأغراض تربوية واضحة محدّدة.

٥- أن يكون عادلاً: أي يقوم على أساس احترام شخصيّة المتعلّم؛ بحيث يشارك في إدراك غايته، أو يعتمد على أساس مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين، حتى يتم إشراك الآخرين في بنائه.

٦- أن يكون علميًا: بمعنى أن يكون صادقًا وثابتًا وموضوعيًا؛ من أجل إصدار أحكام سليمة.

٧- أن يكون اقتصاديًا: أي الاقتصاد في التّفقات والجهد والوقت، عكس الامتحانات التقليديّة.

٨- أن يكون مميزًا: بحيث يقوم على التمييز بين الأفراد والمستويات، وبذلك يتناول جوانب النمو والقدرات والمهارات، حتى يعين على اكتشاف المواهب، والتعريف على نواحي الضعف والقوة.

٩- أن يكون مستمرًا: أي يتناول العملية التعليمية بجميع مكوناتها وأبعادها في ضوء واقع المتعلمين، ودراسة مختلف مراحل النمو العقلية والنفسية والاجتماعية، ودراسة المقررات والمناهج التعليمية.

١٠- أن يكون شاملاً: أي يهدف إلى معرفة الأهداف في شموليتها؛ بقصد التشخيص والعلاج والوقاية والتحسين؛ أي: أن يكون معتمداً على وسائل وأساليب متعدّدة، فالعملية التعليمية تتضمن جوانب الخبرة ومستوياتها، وتتضمن جوانب النمو وأهدافه المتنوعة، وهي في كل ذلك تتطلب استخدام وسائل وأدوات متنوعة؛ لكي تعطي التصور الكامل، والصورة الحقيقية لجميع هذه الأمور، دون أن تطمس بعضها أو تتجاهله (٨).

### طرق تدريس اللغة العربية

تعدّ اللغة العربية واحدة من أهم اللغات العالمية وإحدى أقدم اللغات الحيّة، وتعدّ أكثر اللغات تحدثاً ونطقاً في عصرنا الراهن من بين اللغات، ويتحدّث باللغة العربية اليوم أكثر من (٤٦٧) مليون نسمة. وهي أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية ومن حيث المفردات، كما أنّها تتميز بقدرة الشخص على التنويع فيها، وذلك نظراً للمرونة الكبيرة التي تتمتع فيها، ولوجود عدد كبير من المفردات فيها.

أما تدريس هذه اللغة فيعدّ أمراً ليس سهلاً، إذ يحتاج إلى امتلاك المدرس القدير الخبير في ممارسته، وتحقيق النجاح في تعليم اللغة العربية مبني على معرفة تامة لطرق تدريسها والتي حددها العلماء التربويون حسب نقاط تالية:

#### ١- الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية:

هي إحدى أهم طرق تدريس اللغة العربية، وأكثرها استخداماً. تركز هذه الطريقة بشكل أساسي على الطالب، وذلك نظراً لأنها تعتمد على المشاهدة والملاحظة من قبل الطالب،

لكي يصل في النهاية إلى النتيجة والاستنتاج. ويستطيع الطالب من خلال هذه الطريقة الوصول إلى السمات التي تعمل على ترسيخ المعلومات في ذهنه، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الطريقة تعمل على ترتيب الحقائق والوقائع في ذهن الطالب، فتجعل مادة اللغة العربية مادة مشوقة إليه. ولكن ما يعيب هذه الطريقة هو عدم ضمانها الوصول إلى ذات المعلومات أو الاستنتاج من قبل جميع الطلبة. إضافة إلى ذلك، فإن هذه الطريقة تعد من الطرق البطيئة جدا في إيصال المعلومات إلى أذهان الطلبة(٩).

## 2- الطريقة القياسية:

تتميز هذه الطريقة بالانتقال من الحكم على الكل إلى الحكم على الجزء، ويعد المعلم المحور الرئيس في هذه الطريقة، حيث يجب عليه أن يقوم بإيصال المعلومات والنتائج بشكل مباشر إلى ذهن الطالب. ويجذب هذه الطريقة عدد كبير من المدرسين والذين يرون فيها السبيل الأفضل لجعل الطلاب يفهمون المطلوب، ويجبون مادة اللغة العربية. ومن خلال هذه الطريقة يقوم المعلم بإعطاء قاعدة نحوية معينة، ومن ثم يطلب من طلابه التطبيق وفق هذه القاعدة.

وتتميز هذه الطريقة بعدم حاجتها للوقت الكبير، حيث يستطيع المعلم إيصال فكرته لطلابه بأسرع وقت ممكن. والملاحظة أن هذه الطريقة لا تحتاج جهدا كبيرا من الطالب والمعلم، ولكن ما يعيبها هو إلغاؤها لدور الطالب في المشاركة الفعالة في عملية التعليم، فتجعل منه أداة لحفظ المعلومات فقط لا غير. ولكن هذه الطريقة تنافي مع قوانين التعليم والتي تقتضي البدء من الأسهل إلى الأصعب، بينما تبدأ هذه الطريقة من الأصعب إلى الأسهل.

٣- طريقة الأساليب المتصلة (طريقة النص المعدلة): تعد هذه الطريقة من أهم وأبرز طرق تدريس اللغة العربية، وترتكز بشكل كبير على اختيار نصوص متصلة المعنى ومتكاملة الموضوع.

وتتشابه هذه الطريقة مع الطريقة الاستقرائية في كثير من النقاط، ولكنها تختلف عنها في ترابط النص، حيث إن نصوص هذه الطريقة متماسكة ومتراصة، وتعطي معنى كامل، على عكس نصوص الطريقة الاستقرائية والتي لا تكون متكاملة المعنى ومتراصة. وتتميز هذه

الطريقة بأنها تعمل على ترسيخ اللغة العربية من خلال مزجه للنحو بالتعبير الصحيح، كما أنها تربط اللغة بالحياة اليومية، لذلك فإن العديد من الطلاب يميلون إليها ويرغبون فيها؛ فهي تجعل الطلاب أكثر تمرسا وفهما لمعاني اللغة، وذلك لأنها تدرجهم عليها بشكل كبير. والملاحظة على هذه الطريقة هي صعوبة الحصول على نص متكامل المعنى، وغالبا ما تتسم نصوص هذه الطريقة - بشكل عام - بالتكلف والتصنع.

#### ٤- طريقة الحوار والمناقشة:

تعد هذه الطريقة الأساس الذي يعتمد عليه معظم طرق التدريس الحديثة، وذلك لأنها تهتم بالتفاعل والاتصال اللغوي الذي يتم في الصف. ويتم هذا التفاعل بين التلاميذ والطلاب من خلال الإجابات التي يؤديها الطلبة في الصف، أو من خلال الاستفسارات التي يطرحها الطلبة فيما بينهم أو لمعلمهم. كما أن عملية التفاعل اللفظي وتبادل المواقف بين الطلاب تخلق جوا رائعا من الحرية والمشاركة والحوار الدائم.

وتعني طريقة الحوار والمناقشة أن يقوم التلميذ والمعلم في فهم وتحليل وشرح فكرة أو مشكلة معينة، وإيضاح أماكن الاتفاق والاختلاف فيها، وذلك من أجل إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلة.

وللمناقشة نوعان؛ الأول هو المناقشة الحرة، ومن خلاله يتم التوصل إلى أهداف جديدة ومبتكرة. والثاني هو المناقشة المضبوطة أو الموجهة، والتي يتم فيها توجيه النقاش نحو قضية معينة. بناء على هذا، تحمل هذه الطريقة الطالب على احترام رأي الآخر، وهذا الأمر أحد أهم مميزات هذه الطريقة (١٠).

#### ٥- طريقة التسميع والحفظ:

تعتمد هذه الطريقة بشكل رئيس على إتقان حفظ المتعلم لموضوع معين. ومن خلال هذه الطريقة يتم تلقين الطالب حفظ القصائد الشعرية والآيات القرآنية، بالإضافة إلى بعض القواعد في العلوم واللغات. وتعد هذه الطريقة من طرق تحصيل المواد وتعويد الطلاب على

مواجهة الآخرين، والغاية الرئيسة منها هي قياس قدرات التلاميذ على تعلم المادة، والحكم عليهم من خلال أسلوب التسميع.

ومن ثم تتجلى فوائد تدريس اللغة العربية بهذه الطريقة في تعويد الطلبة على أعمال الذكاء والحفظ في الاستفادة من المحفوظ العلمي أو التراثي (الثقافي والأدبي) الكبير الذي تركه الأدياء والعلماء العرب. اللهم إلا أن هذه الطريقة قد تفقد الطالب ملكة الابتكار والأصالة الذاتية إذا لم يمزجها بطريقة أخرى فيها محاولة الإبداع والابتكار.

كانت هذه هي أبرز طرق تدريس اللغة العربية والتي من خلالها يتم تعليم طلاب اللغة العربية بشكل سليم ليلعبوا دورهم في الحفاظ على اللغة العربية وتطويرها إلى الأمام (١١).

### الطرق الحديثة لتدريس اللغة العربية

من الطرق المستحدثة في تدريس اللغة العربية ما يلي:

- استخدام أسلوب القراءة الشفهية، وهذا يتطلب من التلميذ معرفة الحروف العربية أولاً بشكل جيد، ومعرفة مواقعها من الكلمة وطريقة لفظها في كل موقع؛ فالقراءة الشفهية بصوت عالٍ تجعل الدماغ يحزن الكلمات.

- استخدام اللوحات والرسم على اللوح أو السبورة في المراحل الابتدائية لتعليم الأطفال الحروف، كما يمكن اتباع أسلوب البحث عن الحرف الناقص في بعض الكلمات، ومن ثم التركيز على عملية تكوين الكلمات من الحروف وتكوين الجمل المناسبة من هذه الكلمات.

- استخدام أسلوب طرح الأسئلة على التلاميذ، ومن ثم تدوين الإجابات سواء على الورق لمناقشة كل إجابة وسبب الميل إليها، أو من خلال التدوين على اللوح.

- استخدام الأدوات الحديثة مثل: الحواسيب، والآي باد، وشاشات العرض لتشجيع التلاميذ على تلقي المعلومات، ومحاولة استخدام الرسومات البيانية والتوضيحية؛ فهي تزيد من قدرة الدماغ على الحفظ.

- الاستماع إلى النصوص الأدبية بصوت عالٍ ومناقشتها ومحاولة توضيحها، وتحليل كل ما جاء بها؛ فهذا يُحفز التلميذ على التفكير والبحث

- تدريس أقسام اللغة العربية وأصنافها من خلال أسلوب المحاضرة أو التلقين، مع وجود الأمثلة التي توضح المفهوم، واختيار الأسلوب البسيط في التعليم والابتعاد عن التعقيد (١٢).

### تقويم طرق تدريس اللغة العربية في نيجيريا

على أساس ما سبق من ذكر بعض الطرق المستخدمة في تعليم اللغة العربية بوجه عام، لما في هذا التعميم من مبررات منها:

- أن اللغة العربية لغة عالمية، فمن البديهي أن يكون المستخدم هناك هو نفسه هنا، مع عدم إنكار بعض فروق يسيرة لا تذهب بلب المقصود.

- ومنها أيضا أن الغرض في تعليمها واحد؛ وهو كيف يمكن للمدرس أن يجعل طلابه أو تلاميذه يفهمون درسه بشكل جيد ودقيق.

يأتي البحث ببعض طرق صالحة (فيما يبدو له) في تقويم تدريس اللغة العربية على وجه الخصوص وسائر المواد على وجه العموم:

يرى مي عماد الدين في كتابه كيف تكون معلما ناجحا ومحبوبا (١٣) أنه ليس من المنتظر أن تكون كل المواد سواء، من ناحية إتاحة الغرض للمعلم ليجعل أسلوبه طريفا عذبا، فالعلوم مثلا لا تتسع لمثل هذا، ولكن المعلم الماهر لن يعوزه انتهاز الغرض للترفيه عن تلاميذه بين حين وآخر بطريقة لطيفة، تبعث في نفوسهم المرح، خير من ستين دقيقة يحيم عليها جدُّ لا هوادة فيه. ولذلك ينبغي لمدرسي اللغة العربية النيجيريين وغيرهم أن يلتزموا ويتزنوا ببعض صفات حتى يكون تدريسهم تديسا مثاليا. فعلى سبيل المثال ينبغي لهم أن يتبعوا الخطوات الآتية:

#### ١- المقدمة:

يقصد بما إعداد التلميذ لفهم الدرس الجديد، ويكون ذلك بأن يسترجع الصبي بذهنه كل ما يكون قد تلقاه في دروسه السابقة، أو شاهده بنفسه، أو قرأ عنه في كتاب، مما يكون له علاقة بالدرس.

والمدرس الذي يبدأ دون أن يقدم لدرسه بشيء من هذا، يرى في أثناء كلامه أنه مضطر إلى أن يشير إلى ما درسه التلاميذ قبلا، فتكون إشارته مبهمة غير واضحة لا تجدي ولا تفيد. وليس للمدرس أن يذكر في أول درسه شيئا جديدا قط، بل عليه أن يسمع جميع معلومات التلاميذ، فيهدبها ويصلح ما فيها من خطأ، قبل أن يجعل منها أساسا لدرسه الجديد. ويحسن قبل أن ينتقل إلى النقطة الثانية، وأن يذكر بوضوح كل هذه المعلومات التي سبق للتلاميذ درسها بعبارة منظمة موجزة. ومن أكثر الأخطاء شيوعا أن يسرع المدرس في درسه فتكون مقدمته قصيرة غير وافية، أو لا يكون لدرسه أي مقدمة تعد للتلاميذ، وتفتح أذهانهم للدرس الجديد. ذلك أنه لا يكون لأي درس قيمة مالم يرتبط بالدرس الذي سبقه ارتباطا محكما(١٤).

والملاحظة أن المقدمة تكون أقصر ما تكون في حالة ما إذا كان المدرس عالما بدرجة تحصيل تلاميذه، عارفا لقوتهم التفكيرية، وحسن استعدادهم، وهنا قد يكتفى المدرس بقليل من الأسئلة، تذكر التلاميذ للإجابة عنها أهم ما درسه في درسهما السابق. أما إذا كان المدرس درسا جديدا لفصل لا يعرف المدرس أفراده، كأن يكون المدرس طالبا في إحدى مدارس المعلمين، يطلب منه تحضير الدرس وتدريبه فإنه يكون للمقدمة إذ ذاك شأن مهم. وكثيرا ما تستغرق زمتنا ليس بالقصير، فيحاول المدرس أن يقف على درجة معلومات التلاميذ، بأسئلة واضحة سهلة، وقد يجد المدرس عناء كبيرا في وضعها وصوغها. وكل ذلك لجهل التلاميذ جهلا تاما بمستوى هذه الأسئلة(١٥).

## ٢- العرض:

لا يكاد المدرس ينتهي من مقدمته حتى يبدأ بعرض الدرس أمام تلاميذه. والتربويون يقصدون بهذه الخطوة أن يعرض أمام التلاميذ الأشياء المحسوسة، أو الأمثلة المقربة التي يصلون بواسطتها إلى استنتاج قاعدة عامة، أو حقيقة مهمة(١٦).

والأفضل للمرس أن يسير في درسه بتؤدة ونظام، فلا يكون المتسرع العجول، ولا المترث الشديد البطء، وأن يوضح كل أجزاء درسه توضيحا تاما، بعد أن قد رتبها ترتيبا يسهل معه فهمها، واستيعاب دقائقها.

ثم عليه أيضا أن يساعد تلاميذه على درس كل جزء على حدة أولا، ثم يربط هذا الجزء بالدرس في جملته، فإذا كان يريد أن يشرح لتلاميذه درسا كان قد قسمه إلى أربعة أقسام مثلا، فعليه إذا وصل إلى الجزء الثالث أن يتكلم عنه وكأنه جزء منفصل؛ فيشرح ما يريد شرحه، ويعين التلاميذ على درس هذا الجزء حتى إذا ما وثق أخيرا بأنهم قد أدركوا غرضه، وفهموا مراده، فعليه أن يربط الجزء الثالث بالجزءين الأولين، ثم ينتقل إلى الجزء الرابع، وهكذا يصوغ من الأجزاء الأربعة درسا واحدا، مرتبط الأجزاء، متين الصلة، فيجمع ما فصل ويضم ما قسم، وهو في كل ذلك له غرض واحد يرمي إليه، ويسعى إلى تحقيقه، وهو الوصول بتلاميذه إلى فهم درسه.

### ٣- الاستنتاج أو الربط أو الإعادة:

أما الخطوة الثالثة وهي الاستنتاج، فغاية المدرس منها هي إعانة الطلبة على استنتاج ما قد تم تقديمه لهم، وما عرض عليهم من قواعد عامة يصح تطبيقها على ما ورد بدرسه، وعلى كل ما كان من نوعه.

ومن الناس من يجعل الإعادة والربط خطوة أخرى تأتي بعد الاستنتاج فيعمد الواحد منهم - بعد استنتاج القاعدة- إلى إعادة ما قيل، ثم مقارنتها بغيرها من القواعد، مظهرا ما في الاثنين من تشابه، وما ينطويان عليه من خلاف وتباين.

وسواء أكانت هذه خطوة واحدة، أو خطوتين أو ثلاث خطوات، فالغرض الواضح أن يصل المدرس بتلاميذه إلى تكوين معلومات مرتبطة، وأن يستوثق من فهمهم لها، وعدم نسيانهم إياها، فيعتمد في ذلك على الطريقة الاستنتاجية.



#### ٤ - التطبيق:

يتم التطبيق بطريقة النظرة إلى القواعد العلمية المختلفة أو المعلومات المراد تفهيمها للطلاب وكأنها البيت الناقص، لا يزال يحتاج إلى سقف وأبواب، حتى يتم ويصلح للسكن. ذلك لأن القواعد العلمية لا تصلح وحدها أن تكون معينة للإنسان ما لم يصل إلى الدرجة التي يستطيع معها الطالب أن يستعملها في رفع مستواه العلمي والخلقي، وفي فهم ما يحيط به، وأن ينتفع بها في حياته العلمية، وبذلك يحصل على الفائدة التي يطمح إليها من وراء تعلمه، ودرس كتبه.

ومهمة المدرس في كل درس التوضيح بنماذج تطبيقية، فيطبق القاعدة على الأمثلة، ويبرهن على صحة ما يقدمه بشواهد كثيرة يسمعا من تلاميذه كذلك بالطريقة التفاعلية. وبالإضافة إلى تحضير الدروس ينبغي أن يراعى المعلم استخدام بعض القواعد داخل الفصل - كلما كانت الفرصة مواتية - ليجعل الموقف التدريسي أكثر فعالية وحيوية، منها:

- توجيه أسئلة مسلية وجذابة للتلاميذ.
- تزويد التلاميذ بما يساعدهم على الاكتشاف.
- جعل المادة العلمية التي يقوم بشرحها مادة حية داخل الفصل.
- استخدام المعينات التعليمية التي تخاطب أكثر من حاسة استخداما وظيفيا فعالا.
- أن تكون بداية الدرس ونهايته شيئا مثيرا، باستخدام بعض الوسائل أو الألغاز العلمية.
- إثارة التلاميذ للبحث والاستفادة العلمية من الدراسة مع تدريسهم على الدقة العلمية.
- تنمية حب الابتكار عند التلاميذ وجعلهم يستمتعون بالمادة الدراسية التي يتعلمونها، وذلك عن طريق:
- إعطاء بعض التدريبات التي تربطهم بالمادة وتعمق فيهم فهم الموضوع مع مراعاة الفروق الفردية في مستوى الذكاء والإدراك.

- جعل التلاميذ يفكرون في أكثر من حل للمشكلات التي تصادفهم.
- تكليف التلاميذ بعمل بعض الوسائل المعينة التي من خلالها يمكن تقديم بعض طرق الحل غير المألوفة.
- تشجيع التلاميذ على البحث والتقصي ليصل إلى المعلومة بنفسه.
- إثارة حماس التلاميذ واهتمامهم للبحث والقراءة في مجالات أخرى غير المقررة عليهم.
- تعريف التلاميذ بالأدوار العظيمة التي قام بها العلماء العرب في مجالات اكتشاف وتطوير ووضع أسس جديدة في شتى ألوان المعرفة وفي مختلف مجالات العلم (١٧).

#### الخلاصة:

- يحتتم البحث بذكر بعض النتائج التي توصل إليها أثناء عرضه السابق وهي كما يلي:
- إن التقويم مهم جدا، وبشكل عام هو وسيلة يُحكم بها على مدى النجاح الذي تحقق من وراء العملية التعليمية كلها.
  - أنه يشمل جميع أطراف العملية التعليمية، ويلتزم هذه العملية في كل خطوة من خطواتها، ويعكس الآثار الإيجابية والسلبية للظروف والأحوال التي تحدث فيها عملية التعلم، وبذلك يزود هذه الأطراف بالأدوات التي يُحكم بها على النجاح أو الإخفاق لإعادة النظر في مسيرة أطراف عملية التعلم، بغية تحقيق الأهداف المنشودة من هذه العملية.
  - إن تدريس اللغة العربية أمر صعب، إذ تحتاج هذه اللغة إلى امتلاك المدرس المثالي الخبير في مجال تدريسها.
  - لكي يستطيع المدرس تعليم اللغة العربية يجب أن يكون على وعي كامل على بطرق تدريس اللغة العربية.
  - هناك طرق متنوّعة في تدريس اللغة العربية، ومنها: الطريقة الاستقرائية، والطريقة القياسية، طريقة الأساليب المتصلة، وطريقة الحوار والمناقشة، وطريقة التسميع والحفظ، ثم الطرق الحديثة، فيجب في التعامل مع هذه الطرق الالتزام بالأسس المنهجية الدقيقة عرضا وأداء فربط وخاتمة.

أخيراً، يقترح البحث الاهتمام بالجانب التربوي في تدريس اللغة العربية، ورفع مستوى الموظفين المدرسين من هذه الناحية بما ييسر عليهم الأداء الناجح، إضافة إلى تطوير مناهج اللغة العربية ومتابعة سير تدريسها فعقد سلسلة الورشات والدورات والمؤتمرات التي همها تدريب معلمي اللغة العربية.

١- التقويم في النظام التعليمي: تعريفه وأنواعه وشروط إنجاحه. د. مولاي المصطفى البرجاوي، كتاب متاح في شبكة الألوكة الإسلامية والفكرية والثقافية. تاريخ الزيارة : **10/10/2018**

٢- لسان العرب للعلامة محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، مادة قوم. دار المعارف للنشر والتوزيع. د.ت ص ٣٧٨٥.

٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الخامسة ١٤٣٣هـ/٢٠١١م مادة قوم. ص. ٧٦٨.

٤- تدريس اللغة العربية: مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية. جابر، وليد أحمد (٢٠٠٥). الطبعة الأولى، عمان: دار الفكر، ص ٥٩.

٥- المرجع نفسه، ص ٦٠.

٦- استراتيجية التقويم والدعم في المجال التربوي التعليمي، للدكتور بن عيسى إحسينات، بتصرف. موقع [alwatanvoice.com](http://alwatanvoice.com)، تاريخ النشر ٣/٥/٢٠٠٨م. تاريخ الزيارة

**14/10/2018**

٧- مجلة سلسلة التكوين التربوي، العدد ٥ السنة ١٩٩٦. الناشر: دار الخطابي للطباعة والنشر، ص ٢٤.

٨- مجلة النداء التربوي، العدد ٤، السنة ١٩٩٨. الناشر: دار الخطابي للطباعة والنشر، ص ١٦.

٩- التقويم في النظام التعليمي: تعريفه وأنواعه وشروط إنجاحه. د. مولاي المصطفى البرجاوي كتاب متاح في شبكة الألوكة الإسلامية والفكرية والثقافية. تاريخ الزيارة : **10/10/2018**

- ١٠- ما هي أهم طرق تدريس اللغة العربية. موقع **BTS ACADEMY**.  
[www.bts-academy.com](http://www.bts-academy.com)، بحث بعنوان: تاريخ الزيارة : 10/10/2018 .
- ١١- طرق تدريس اللغة العربية. موقع الموضوع. تاريخ الزيارة : 10/10/2018 .
- ١٢- كيف تكون معلما ناجحا ومحبوبا. مي عماد الدين. مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع. د.ت، ص ٥٥.
- ١٣- الأصول التربوية لعملية التدريس. د. مجدي عزيز إبراهيم. الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، سنة النشر ٢٠٠٠م، ص ٣٢ - ٣٣.
- ١٤- المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ١٥- الموجز في التربية وطرق التدريس. راغب متي. بحث علمي متاح في <https://www.google.com/search>، تاريخ الزيارة: 16/10/2018.
- ١٦- كيف تكون معلما ناجحا ومحبوبا. مي عماد الدين، المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٧.

## تقويم طرق تدريس اللغة العربية في نيجيريا

سعيد جمعة أورنكن

Saeed Jumah Orankan

### المقدمة

تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تبين وتوضح حال دراسة اللغة العربية في نيجيريا، ومدى نجاح الأساليب والوسائل المتبعة في تدريس هذه اللغة العالمية قديما وحديثا، مع تشخيص مواطن القوة والضعف في طرق تلقي مادة اللغة العربية في جميع الأقسام والمراحل، وإيجاد الحلول المناسبة مع مراعاة الفروق الفردية والبيئية حتى تتحقق الأهداف التربوية المرجوة من تدريس اللغة العربية، وتلبية الحاجات الطلابية حتى يتمتع الطلاب بالكفاءة والقدرة العلمية بالإضافة إلى حسن الأداء.

معرفة المقصود بالتقويم التربوي اللغوي في مجال دراسة اللغة العربية، مع مراعاة البيئة المعنية المحددة بالدراسة التقييمية، وإبراز وجوه الارتباط، والتوقف بين الأصالة والمعاصرة في مجال الدراسة اللغوية التربوية. وتتخلص أهداف هذا البحث التقييمي على إرساء العديد من المرجّوات نذكر منها ما يلي:

- عرض المعلومات الأساسية في توضيح علاقة التدريس بالتقويم.
- البيانات الشافية عن أنواع التقويم التربوي.
- تأسيس فكرة التكامل والتواصل الدائم بين الدراسة والتقويم التربوي.
- نشر الوعي السليم بأهمية اللغويات العربية في مختلف التخصصات.
- مساهمة نيّرة في غرس حب الدراسة اللغوية العربية في نفوس أبناء الدار مع إيصال المعلومات القيمة إلى أذهان الدارسين.
- تسهيل الفهم في قضية التقويم وإبراز أهميته في نجاح العملية التعليمية.

إن هذا العمل سيتم باتباع المنهج الوصفي، وذلك بجمع المعلومات الأساسية من المصادر والمراجع العلمية المحكمة، تعالج قضايا مطروحة في هذا البحث التّقومي ثم ترتيبها وإعادة قراءتها واستقرائها لبيان وجهات نظر العلماء العرب القدامى والمحدثين، ثم صياغة الآراء حسب قوّتها ومعالجتها لعناصر مفردات البحث.

### المشاكل البيئية التي تواجه تدريس اللغة العربية في نيجيريا

المتتابع للحوادث البيئية الاستعمارية التي حلّت بديار نيجيرية يعلم يقينا أن الضغوط الاستعمارية نالت من اللغة العربية، فهي تتأرجح بين صعود وهبوط وبين نموّ وتدهور بعد أن كانت قويّة في مملكة سكوتو برئاسة الشّيخ عثمان بن فودي وبعدها، حين كانت إدارة دواوين الدّولة باللغة العربية المحضة، وكانت اللغة الثقافية في نيجيريا قبل الاستعمار. وما أراي إلا قائلًا.. هكذا كنّا ومتى نعود!؟

وعليه فإنّ للحملة الاستعمارية تأثيرات سلبية على اللّغة العربيّة من حيث أنّ لغة الاسبعمار حلّت محلّها في دواوين الدولة بحلول هؤلاء المرتزقة وفرضهم اللّغة الإنجليزيّة على جميع السّكان، فبذلك أصبحت اللّغة العربيّة منحصرة في أماكن محدودة. فإنّ الجهود الفردية لا تؤتي ثمارها على التّمط الجيّد المطلوب إذ نظام وأسلوب وطريقة التّدريس فيها على التّمط التّقليدي، وهذه في الحقيقة بحاجة إلى التّغير في المناهج وطرق التّدريس حتى ننافس العالم العربي في نظامه التّدريسي باللّغة العربيّة (١).

### صعوبة طرق التّدريس القديمة

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الأمور الأساسية قبل الخوض في ذكر وإيراد العيوب التي تؤخذ على الطريقة القديمة في تدريس اللّغة العربية، ومن هذه الأمور الأساسية نشاطات التعليم والتعلم (Teaching and learning activities). ويشير هذا المصطلح إلى كلّ نشاط يقوم به المعلم أو المتعلّم أو هما معا، لتحقيق الأهداف التعليمية المحدّدة للمناهج المتمثلة في التّموّ الشّامل المتكامل للمتعلّم، سواء أتم هذا النشاط في داخل غرفة الصّف أم في خارجها، داخل المدرسة أم في خارجها، طالما أنّه يتم تحت إشراف المدرسة. (٢)

ومن المعلوم أنّ التّعليم عمليّة منظمة ومخطّطة يؤدّيها المعلّم بهدف نقل المعلومات والمهارات المختلفة إلى الطّلبة بالإضافة لتنمية اتجاهاتهم وأفكارهم.<sup>(٣)</sup> وتنوّع طرق التّدريس يرجع إلى أهميّة العمليّة التّعليميّة، ومع ذلك فإنّه بتنوّعه تظهر له الإيجابيات تارة والسّلبات تارة أخرى.

ومن العيوب والصعوبات التي تواجه الطريقة القديمة لدى أكثر المدارس العربيّة النّيجيريّة ما يجملها الباحث في التّقاط التّالية:

١ - إهمال استخدام الوسائل التّعليمية المعاصرة التي تظهر المهارات والمواهب لدى طلاب اللّغة العربيّة.

٢ - الاهتمام بالجانب العقلي للطلّاب من خلال تحفيظه للمفاهيم والمعارف وإهمال الجوانب الأخرى.

٣ - وضع المادة الدّراسيّة والمناهج الدّراسيّة دون العناية - عند صياغتها - بالطلّاب أو المعلّم، إلى جانب إهمال الفروق الفرديّة بين الطّلاب.

٤ - كثرة عدد الطّلاب في الفصل تؤدّي إلى الفوضى وعدم الانسجام والتكامل التّربوي بين المواد الدّراسيّة والطلّاب المتعلّمين.

٥ - الاعتماد على طريقة الإلقاء في غالب الأوقات يجعل الطّلاب والمعلّم يشعران بالملل، مما يجعل المعلّم كجهاز للتّسجيل ويقصر دور المتعلّم في الاستماع فقط لا غير<sup>(٤)</sup>.

### ماهية التّقويم ومفهومه

فمنذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، وهو يقوم بعمليات عديدة تجاه نجاحه في الحياة أمثال القياس والعد والتّقدير والتّقييم ومن ثمّ التّقويم بشكل ما، فالحياة بدون هذه العمليات صعبة إن لم تكن مستحيلة، وعلى الرغم من أن هناك فروقا بين المصطلحات الدّالة على هذه العمليات إلا أن البعض يستخدمها كمترادفات، وأما الكلمة التي لها تعلق مرّن بهذا البحث فهو التّقييم والتّقويم Valuing and Evaluation، فهما يفيدان في بيان قيمة الشيء، إلا أن كلمة التّقويم صحيحة لغويا وهي الأكثر استعمالا، وتعني تعيين مواقع الشيء



وبيان ظواهرها، ويطلق عليه أيضا كلمة الحساب ويقال التّقيوم الهجري، أي حساب والزمن والسنين والشهور والأيام<sup>(٥)</sup>.

وكما أنّها تعني بالإضافة إلى قيمة الشيء، وتعني كذلك تعديل أو تصحيح ما اعوج منه، أما كلمة تقيوم فتدلّ على إعطاء قيمة لذلك الشيء<sup>(٦)</sup> ومن هنا تتضح أنّ التّقيوم جزء من التّقيوم وأنّ مفهوم التّقيوم أعم وأشمل من مفهوم التّقييم، حيث لا يقف فيه الأمر عند حدّ بيان قيمة الشيء بل يتعداه إلى محاولة إصلاحه وتعديله بعد الحكم عليه.

### مجالات التّقيوم وأنواعه

لكل شيء مجالاته؛ ولذلك ينبغي أنّ يشمل التّقيوم المنهج بنوعيه (الكامن والفعال) ونتائج تحصيل المتعلّمين، وبناء على ذلك فإنّ التّقيوم يتناول المجالين الرئيسين:

**المجال الأوّل:** تقيوم المنهج، هناك اتجاهات في تقيوم المنهج:

تقيوم المنهج الكامن أو الخامل وتقيوم المنهج الفعال ويعني تقيوم المنهج الكامن الخطة المكتوبة للمنهج أو وثيقة المنهج أو الخطة الدّراسيّة للمنهج، وبعد هذا التّقيوم الخطوة الأولى في تقيوم المنهج حيث يشمل الآتية:

١- تقيوم المنطق والأسس التي يبني عليها المنهج وطرق التّدرّس، وكذلك مدى مراعاة المقاصد التّعليمية والأهداف التي تجنى من خلال دراسة مواد اللغة العربيّة.

٢- تقيوم نشاطات التّعليم والتّعلّم، ويدخل في ذلك مواد التّدرّس المساعدة، وكذلك الاعتناء الكامل الشّامل لتقيوم المنهج الوظيفي، ويعني هذا التّقيوم للمنهج الذي يجري تنفيذه فعلا في داخل غرفة الصّف، ويهتم بخصائص المعلّمين كمعيار للكفايات التّدرّسية والتفاعل بين التّلاميذ والمعلّمين ومن ثمّ بيئة التّعلّم<sup>(٧)</sup>.

### المجال الثّاني: تقيوم الإنتاجات التّعليميّة

ويشمل هذا النّوع من التّقيومات التّربوية اللّغوية في نموّ المتعلّمين في الجوانب المعرفيّة والوجدانيّة، وهي من أهمّ الأمور التي يجب أن يعنى بها عمليّة التّقيوم نظرا للوظائف التي يقدمها في النواحي الثّالية:

١- تقدير مدى فعالية التعلّم للتعرف على الكثير من نواحي القوة والضعف في طرق التدريس.

٢- تعرف المشكلات التي يعاني منها المتعلّمون مما يساعد في اقتراح الحلول المناسبة مع تحديد مستويات المتعلّمين في القدرات والاستعداد، مما ييسّر عملية التوجيه والإرشاد، ويسهل عملية التعلّم والتعليم؛ وبذلك يستطيع المتوقّم القيام بتقويم العملية التعليمية من نواحي طرق التدريس بناء على المناهج التعليمية. ويتنوّع التقويم على النحو التالي:

|                     |                       |
|---------------------|-----------------------|
| ١- التقويم المبدئي  | Initial Evaluation    |
| ٢- التقويم التكويني | Formative Evaluation  |
| ٣- التقويم التشخيصي | Diagnostic Evaluation |
| ٤- التقويم الختامي  | Summative Evaluation  |
| ٥- التقويم التتبعي  | Following Evaluation  |

وكلّ هذه الخطوات لها أهميتها في نجاح العملية التعليمية اللغوية لأن دراسة اللغة العربية لا تثمر إلا إذا كانت منظمة تنظيماً تربوياً لغوياً.<sup>(٨)</sup>

### المساهمة في تطوير دراسة اللغة العربية في نيجيريا

في هذا المطلب يجدر بنا الرجوع السريع إلى ما سبق أن قلنا عن مجهودات السابقين المتعلّمين النجباء الذين كرسوا حياتهم الدنيوية على تعلّم أبناء لغة الدين. فمليء بذلك أرجاء نيجيريا بفوائد ملموسة تجني من خلال دراستهم اللغوية قبل مجيء عصر التدهور والانحطاط، وما أراي إلا قائلاً: هكذا كنّا ومتى نعود؟

فهؤلاء الآباء والأجداد والمشايخ الأجلاء اجتهدوا في الأخذ والعطاء مرّة وفي البذل والإغداق مرّة أخرى، وإذا أردنا رجوع المجد للغة العربية في نيجيريا فلا بدّ من اتّخاذ هذه الخطوات المقترحة والمسجّلة ليعود بنا المجد لاحقاً: نهتمّ بتأسيس المدارس العلمية اللغوية العصرية التي تقام على المنهج الصحيح المناسب باختيار الأساليب وطرق التدريس المناسبة التي تنافس العالم العربي والإسلامي في آن واحد.

وفي الأخير تتلخّص نتائج وتوصيات هذا البحث في ضرورة اتّخاذ الأساليب والطّرق التّدرسيّة المناسبة للبيئة وميول المتعلّمين، وكذلك المراعاة اللاّزمة لناحية الفروق الفرديّة بين الدارسين اللغويّين وغيرهم من المتعلّمين. وخير الوسائل التّعليميّة ما يسهم المعلّم وتلاميذه في إنتاجها لما في ذلك من الاعتماد على النفس، والإيجابيّة والإبداع، فيمكن للمعلّم إعداد كامل للمواد التي كلفت بتدريسها، ويعد نفسه على الأسباب المؤدّيّة إلى نجاح العمليّة التّدرسيّة بطرق مناسبة فلذلك أقترح النّقاط التّالية عسى الله أن ينفع بها المعلّمين والمتعلّمين:

- ١- معرفة المعلّم بخصائص تلاميذه ومستوياتهم المعرفيّة والعقليّة حتى تكون الطّرق التي يعدها مناسبة لمستويات التّلاميذ وقدراتهم.
  - ٢- أن يعوّد المعلم تلاميذه على تحمّل الأخطاء المتوقّعة دون أن يصابوا بالإحباط والملل، وأن يعوّدهم على المثابرة والمحاولة أكثر من مرّة.
  - ٣- التّعرف على الإمكانيات المحليّة المتاحة حيث تحتاج كلّ وسيلة لإمكانيات وخبرات معيّنة لبنائها مساعدة لنجاح طريقة التّدرّس المختارة.
  - ٤- ليس هناك طريقة مثلى لنجاح العمليّة التّعليميّة اللّغويّة، وعلى المعلّم مراعاة الفروق الفرديّة والبيئية لدى المتعلّمين فيختار ما يراه مناسبة لتحقيق الأهداف المرسومة.
- نسأل الله تبارك وتعالى التّوفيق والسّداد.

### الهوامش والمراجع

١. اكتسب الباحث هذه الخبرات خلال زيارته الميدانية عام ٢٠١٨م للمدارس العربية في نيجيريا، أمثال المعهد العربي النيجيري بإبادن، ومدرسة إصلاح الدين إيوو، والمعهد الإسلامي بأيدي.
٢. محمد السيد علي، كتاب علم المناهج، الأسس والتنظيمات، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ص ٢٠٠.
٣. عدنان حسن باحارث، طرق التدريس، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ص ٣٠.
٤. الخبرة المكتسبة نتيجة زيارات الباحث للمدارس
٥. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الريات، حامد عبد القادر، محمد علي البخاري، كتاب المعجم الوسيط، مادة "ق" المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استابول تركيا الجزء الأول.
٦. محمد السيد علي كتاب علم المناهج، الأسس والتنظيمات، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة ص ٢٣٣.
٧. عدنان حسن باحارث، طرق التدريس، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ص ٤١.
٨. محمد السيد علي، كتاب علم المناهج، الأسس والتنظيمات، دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ص ٢٠٣.

## من مشكلات تعليم اللغة العربية في مدارس نيجيريا وطرق علاجها

د. زبير موسى

08065508938

و

د. سابو الحاج ثاني

٠٨٠٣٦٣٩١٥٤٠

قسم دراسات اللغة العربية، جامعة ولاية نصرأوا، كفي، نيجيريا

### المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم لا شك أن اللغة العربية تشغل حيزا كبيرا، وهي العروة الوثقى في دَهَالِيْزِنَا ومدارسنا جميعا، وهي تجمع بين الشعوب العربية والشعوب الإسلامية، ويجب أن نقدم دورا هاما في بنائها. وتهدف هذه المقالة إلى معرفة مشاكل تعليم اللغة العربية وطريق علاجها، وسيتبع الباحثان المنهج الوصفي في هذه المقالة، تحصل الباحث إلى نتائج منها: حل المشكلة لتعليم اللغة العربية في نيجيريا، وتحري طرق التدريس المناسبة.

وتشتمل المقالة على النقاط التالية:

١. أهم مشاكل تعليم اللغة العربية في نيجيريا

٢. طرق علاج مشكلات تعليم اللغة العربية

٣. أسس تعليم مهارات اللغة العربية

٤. الخاتمة

أهم مشاكل تعليم اللغة العربية في نيجيريا.

مشاكل تعليم اللغة العربية في نيجيريا كثيرة نذكر طرفا منها:

أولا: من المشكلات العامة:

- ازدحام الفصول بالطلاب.
- ضعف تجاوب الطلاب مع المدرس.
- وجود اتجاهات سلبية نحو اللغة العربية من بعض الطلاب.
- عدم وجود كتب ومواد تعليمية مناسبة.
- ضعف دافعية الطلاب نحو تعلم اللغة العربية.
- ضعف المدرس في بعض مهارات اللغة وعناصرها.
- عدم قيام بعض الطلاب بأداء الواجبات المنزلية.
- عدم توفر الوسائل التعليمية.
- قلة إلمام المدرس بالجوانب التربوية الحديثة.

#### ثانيا: من المشكلات الخاصة:

- المشكلات التي يواجهها الطلاب، عند تعلم النظام الصوتي للغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، عند تعلم النظام الصرفي للغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، عند تعلم النظام النحوي للغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، عند تعلم النظام الدلالي للغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، في فهم ثقافة اللغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، وهم يتعلمون مهارات الاستماع باللغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، وهم يتعلمون مهارات القراءة باللغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، وهم يتعلمون مهارات المحادثة باللغة العربية.
- المشكلات التي يواجهها الطلاب، وهم يتعلمون مهارات الكتابة باللغة العربية.
- مشكلات خاصة بالجانب التربوي والتعليمي والنفسي.

#### ثالثا: مشكلة تعليم النحو والصرف

ماذا نعلم من القواعد والتراكيب اللغوية؟ وكيف نعلمها؟

ولاختيار محتوى دراسي يجب أن نحدد ما يلي:

- أهداف المقرر.
  - الوقت المتاح لتعليم المقرر.
  - المستوى التعليمي العام.
  - نوع المدرسة فيجب أن يكون مؤثراً في اختيار المحتوى.
  - خصائص المتعلم كالأنتى تغاير الرجل<sup>١</sup>.
- ثم بعد اختيار المحتوى يجب أن نعرف كيف ندرج المادة النحوية في المقرر، فهناك تدرج طولي مثل أن نأخذ المبتدأ وندرسه دراسة مكثفة، وهناك تدرج دوري أو حلقات، أي أن اللغة ليست مفردة بل نظام متشابك، فمثلاً نأخذ المبتدأ أو الخبر جزءاً أساسياً ثم نأخذ غيره، ثم نرجع ونأخذ شيئاً منه وهكذا، وهناك التدرج الوظيفي، باعتبار أن اللغة وظيفة، وهناك التدرج الموقفي مثلاً في المطار أو في المطعم أو في البيت .. وهكذا. ولكن السائد الآن هو التعليم الوظيفي فيعلم مثلاً كيف يشكر سواء في المطار أو في البيت.
- ويدخل في موضوع التداخل النحوي تركيب الكلمات داخل الجملة مثل: الفاعل + أو الفعل + الفاعل وهكذا .. فهذا الترتيب يؤدي إلى خطأ عند دارسي اللغة الأجنبية ويدخل فيه موضوع أداة النفي، وكذلك موضوع تقديم المضاف إليه على المضاف.
- وأيضاً في موضوع التراكيب يدخل موضوع استخدام الفعل مع حروف الجر مثل أفكر في، ويوجد مثل هذا في غير العربية ولكن إذا ترجم ترجمة حرفية يتغير التركيب مثلاً؛ لهذا كان لابد من تدريب الدارس على حروف الجر واستعمالاتها مع الأفعال وهذا يوجد في كثير من اللغات إلا أن العربية لم تعتن بهذا، فلم يعتن الباحثون بهذا المجال.

#### رابعا: مشكلات الكتابة

يذهب كثير من الباحثين إلى أن أول ما يواجه المتعلم للغة العربية هو تشابه الحروف: حيث يجد المتعلم حروفاً متشابهة في الكتابة، ومعيار الفرق بينها هو النطق، واختلاف النقط. ومثال ذلك: ب ت ث، ج خ ح، غ ع.

- كما أنّ الحرف يتغير شكله في أول الكلمة عنه في آخرها، فالحرف الواحد قد يأخذ عند الكتابة أشكالاً مختلفة، فحرف العين مثلاً يأخذ أكثر من شكل كما هي: عند، معه، باع، إصبع.

ويمكن أن نجمل مشكلات الكتابة في الأخطاء التالية التي يقع فيها المتعلمون:

- كتابة الهمزة المتوسطة في غير موقعها.
- إبدال حرف بآخر.
- عدم التمييز بين همزتي الوصل والقطع.
- فصل ما حقه الوصل.
- حذف حرف أو أكثر من الكلمة.
- إضافة حرف أو أكثر في الكلمة.
- الخلط بين الألف الممدودة والمقصورة.
- التنوين، حيث يكتب نوناً.
- كتابة همزة المد همزة عادية.
- كتابة التاء المفتوحة تاء مربوطة.
- كتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة.
- كتابة الهمزة المتطرفة في غير موقعها.
- وصل ما حقه الفصل.
- إثبات همزة " ابن " بين علمين مذكورين.
- الخلط بين الهاء والتاء المربوطة.
- عدم كتابة الألف الفارقة بين واو الجماعة واو الفعل.
- عدم كتابة الواو في كلمة " عمرو ".
- كتابة الشدة بحرفين.



خامسا : مشكلة الدارسين:

- خلفية الدارسين الثقافية والعلمية واجتماعية واللغوية.
- الفروق الفردية.
- اختلاف دوافع الدارسين وأهدافهم من تعلم العربية.
- اختلاف جنسياتهم.

سادسا: مشكلة المعلمين:

- إن القائمين على تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها غالبا غير مؤهلين عملياً وتربوياً ولغوياً.
- قلة الأبحاث المطروحة في ميدان تعليم العربية بالنسبة للمعلم وإعداده تؤدي إلى أن يقف المدرسون المؤهلون في مكائهم ولا يبرحونه.
- قلة الدورات التدريبية التي تقام لغرض رفع كفاءة المعلمين المؤهلين وغير المؤهلين. وهذه مشكلات يمكن حلها بسهولة، ولكن مما يعوق حلها هروب العديد من المؤهلين في هذا المجال على الرغم من قلتهم.

سابعا: أمثلة للأخطاء اللغوية لدى متعلمي العربية الناطقين باللغات الأخرى في نيجيريا:

من الأخطاء الصوتية:

| الصواب  | الخطأ              |
|---------|--------------------|
| رجعنا   | رجأنا بالطائرة.    |
| عمارة   | هذه إمارة عالية.   |
| حيوان   | الفيل هيوان ضخمة.  |
| الحماية | عاشوا تحت الهماية. |
| نظر     | نذر إلى الصورة.    |
| ضخم     | هذا حيوان دخم.     |

|        |                             |
|--------|-----------------------------|
| المطار | غادرت الطائرة المطار.       |
| قلب    | فحص الطبيب كلب المريض.      |
| أثاثاً | اشتريت أساساً جديداً للبيت. |
| أسكنُ  | أسكنونو في بيت واسع.        |
| القميص | بكم هذا القميص؟             |

### من الأخطاء في التراكيب النحوية:

- الساعة ثلاثة. الثالثة
- أسكن في الدور خمسة عشر. الخامس عشر
- الساعة الثامنة إلاّ ثلاث. ثلاثاً
- السيارة في بنت وولد. في السيارة
- بدأت عطلة الصيفية. العطلة
- متى يبدأ الاختبار الشهير؟ الشهري
- أتحدث لغة العربية. اللغة
- زرت المدينة الرياض. مدينة
- سنسافر إلى هند. الهند
- سافر واحد شخص. شخص واحد
- هناك طباخ كثير. طباخون كثيرون
- في الصف عشرون طلاب. طالباً
- هذه جامعة ملك سعود. الملك
- المملكة العربية السعودي. السعودية

### من الأخطاء في المفردات:

- اتّصلت في صديقي أمس. بصديقي
- أخفيت السرّ عنه. عنه

- هل عندك أولاد؟ لك
- هذا منظر ملفت للنظر . لافت
- يتوجب علينا شكر الله . يجب
- المناخ مختلف في بلادي . المناخ
- حكم القاضي على الجاني بالقصاص . القصاص
- غداً يقيم حفل خُطبة ابنه . خُطبة
- انتبه حتى لا تهوى إلى الأرض . تهوي
- رجع الأب بعد غيبة طويلة . غيبة<sup>٢</sup>

إن تعليم اللغة العربية لغير ناطقين بها يساعد الطلاب في إتقان اللغة العربية الفصحى في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، والأمر ازداد أهمية بعد مكتشفات العولمة، ومنتجات العصر بدأت المدارس تتنافس في ابتكار طرق لتعليم العربية، وتعليمها للأبناء.

### طرق علاج مشكلات التعليم اللغة العربية

#### طريقة حل المشكلات

تعد هذه الطريقة من أهم الطرق التي اكتشفت في ضوء المنهج الحديث الذي يؤكد دور المتعلم في العملية التعليمية، فهذه الطريقة تهيئ الفرصة الملائمة للمتعلم للقيام بأنواع النشاط الذهني والعاطفي والحركي الموجه نحو مشكلة معينة. ويعرف أسلوب حل المشكلات عدة تعريفات منها: أنه سلوك ينظم المفاهيم والقواعد التي سبق تعلمها بطريقة تساعد على تطبيقها في الموقف المشكل الذي يواجه المتعلم.<sup>٣</sup>

#### خطوات طريقة حل المشكلات

- الإحساس بالمشكلة
- تحديد المشكلة
- جمع البيانات
- وضع الفروض

- التحقق من صحة الفرض

- الوصول إلى حل المشكلة<sup>٤</sup>

### إيجابيات طريقة حل المشكلات

- تنمي القدر على التفكير لدى المتعلم.

- تساعد المتعلم على تنمية مهارات استخدام المراجع العلمية.

- تساعد هذه الطريقة المتعلم على إبراز شخصيته.

- تعين المتعلم على تنمية المنهج العلمي واستخدامه في حياته العلمية والعملية.<sup>٥</sup>

### سلبيات طريقة حل المشكلات

- تحتاج هذه الطريقة إلى وقت طويل نسبيا مما يؤدي إلى تأخير المتعلم عن دراسة المقررات

الأخرى

- يستدعي نجاح هذه الطريقة توافر المراجع والدوريات القديمة والحديثة<sup>٦</sup>

### أسس تعليم مهارات اللغة العربية

- الممارسة والتكرار.

- دافعية المتعلم.

- تعزيز المتعلم.

- التدرج في تقديم المهارات.

- تشويق الطالب إلى تعلم المهارات.

- إبراز وظيفة المهارة في الحياة.

- توجيه الطلاب.

- متابعة الطلاب للمعلم.

- توفير الهدوء النفسي للمتعلم.

- القدوة الحسنة.<sup>٧</sup>

## إعداد الدرس

يعد إعداد الدرس المهارة الأولى من مجموعة المهارات الرئيسية الثلاث- التخطيط والتنفيذ والتقييم- التي تشكل عملية التدريس: تلك العملية التي يقوم بها المعلم في الموقف الصفّي بغية إكساب تلاميذه مجموعة من الخبرات التربوية الهادفة، ولذلك فتحضير الدرس هو ألف باء التدريس، وتتطلب إجادة كثير من مهارات التدريس الفرعية، كصياغة الأهداف التعليمية، وتحليل المستوى الدراسي، وتنظيم تتابع الخبرات، واختيار الأنشطة والوسائل، وتحديد أساليب التقويم المناسبة، ولأهمية التحضير لمعلم اللغة العربية نتناول في هذا الفصل مفهومه وأهميته وما يشتمل عليه من عناصر، وكراسة التحضير، وفي ما يلي تفصيل لما أجمل<sup>٩</sup>.

## مفهوم إعداد الدرس

لا يعني إعداد الدرس تدوين موضوع الدرس في كراسة التحضير فكيفما اتفق، (وإنما هو عملية منظمة وهادفة، تتضمن اتخاذ مجموعة من الإجراءات والقرارات للوصول إلى الأهداف المنشودة على مراحل معينة وخلال فترة زمنية محددة باستخدام الإمكانيات المتاحة أفضل استخدام)<sup>٩</sup>.

## أهمية إعداد الدرس:

لإعداد الدرس أهمية بالغة للمعلم نشير إليها في النقاط التالية:

- تساعد خطة الدرس المعلم على تنظيم أفكاره وترتيبها.
- يساعد تحضير الدرس المعلم على مواجهة المواقف التعليمية بثقة وروح معنوية عالية.
- يعد إعداد الدرس سجلا مكتوبا لنشاط التعليم والتعلم يرجع إليه المعلم إذا نسي شيئا أثناء التدريس.
- يتيح الإعداد للمعلم فرصة اختيار المادة الشيقة التي تناسب التلاميذ وتدفعهم للتعلم.
- يسمح للمعلم بأن يهيئ ما يلزمه من وسائل تعليمية لدرسه، فيعمل على إحضارها معه إلى الفصل.
- يعطي الإعداد للمعلم فرصة لبيان النقاط الغامضة في الدرس.

- يمكن الإعداد المعلم من تحديد مقدار المادة الذي يحقق الهدف ويناسب زمن الحصة.
- تعد خطة الدرس مهمة من الناحية التربوية إذ يعتمد عليها الموجهون والإداريون في متابعة المعلم وتقييمه<sup>١٠</sup>.

### طريقة التدريس

إن اختيار طريقة التدريس يتم في ضوء أهداف الدرس ومتغيرات الموقف التعليمي ومن هنا جاءت المقولة التي أكدتها كثير من الدراسات في هذا المجال - بأن ليس هناك طريقة واحدة مثلى تصلح لتدريس كل المواد وكل التلاميذ، في كل الظروف. وهذا يرجع إلى أن جوانب التعلم المختلفة تحتاج إلى طرائق متباينة وأساليب متعددة، فإذا أراد المعلم -على سبيل المثال- أن يدرّب تلاميذه على مهارة القراءة الجهرية فإن طريقة التدريس التي سيتبعها معهم تختلف بلا شك عن تلك التي سيعلمهم بواسطتها بعض المفاهيم النحوية أو بعض قواعد الرسم الإملائي وغيرها. كذلك تختلف طريقة تدريس المعلم باختلاف الفصول في الفصل الدراسي الواحد: إذ يكتشف أن ما يصلح أسلوباً لتدريس مع تلاميذ فصل معين، قد لا يكون كذلك مع تلاميذ فصل آخر، فإذا كان هذا التنوع في استخدام طرائق التدريس يحدث في نطاق المادة الدراسية الواحدة، وعلى مستوى الصف الدراسي الواحد فإن حدوثه مع المواد الدراسية والصفوف المختلفة يعد أمراً وارداً لا محالة<sup>١١</sup>.

### الوسائل التعليمية

وهي تعد من العناصر الأساسية التي ينبغي على المعلم أن يضمنها خطة أي درس من دروسه، وكما يتم اختيار المحتوى والطريقة والأنشطة في ضوء الأهداف، كذلك يتم اختبار الوسائل التعليمية. والمهمة الملقاة على عاتق المعلم في هذا المقام، هي أن يفكر ويبحث عن الوسائل التي يمكن أن تثري المواقف التعليمية، وتجعل لها معنى ووظيفة. ذلك أن الاختيار الخاطئ لهذه الوسائل كثيراً ما يعوق إنجاز الأهداف. فيتحتم عليه -في هذه الحالة- أن يختار أو يقوم هو وتلاميذه بإعداد الوسائل والمواد التعليمية التي تسهم في تنمية التفكير الابتكاري لديهم، وسيكون من الخطأ أن يختار المعلم وسيلة تقدم حلولاً جاهزة؛ كأن يستخدم فيلماً

يعرض المشكلة كاملة شارحا أسبابها وحلولها؛ ذلك لأن التلاميذ هنا سلبيا قائما على الاستقبال والتلقي فحسب لن تتاح لهم فرصة التفكير في بحث أسباب المشكلة وتقديم الحلول المناسبة لها<sup>١٢</sup>.

#### الخاتمة

إن الهدف الأساسي في هذه المقالة هو الإشارة إلى حل مشاكل تعليم اللغة العربية في نيجيريا ووجوب مراعاة دور هائل بذل من قبل العام والخاص في نشر العلوم العربية والإسلامية في نيجيريا، بعد تناول هذا الموضوع مشكلات تعليم اللغة العربية في مدارس نيجيريا. لذلك أن هذه الورقة إلى ما فيها من النقاط المرتبة بها، وهي مساهمة إيجابية في حل المشاكل التي نواجهها في مدارسنا، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار تزايد عدد دراسي اللغة العربية من جميع أنحاء الوطن من المسلمين، وليكون تطوير عاما في دراسة اللغة العربية.

## الهوامش والمراجع

١. عبد الله عبد الرحمن الكندري، إبراهيم محمد عطا: تعليم اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، الطبعة الثانية، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٦م، ص: ٤٣
٢. عبد العزيز صفر وآخرون: اللغة العربية للصف الأول (الجزء الثاني)، الطبعة الثانية، الكويت: وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٦، ص: ٤٤.
٣. حمدة حسن السليطي: " برنامج متعدد المداخل لعلاج بعض مشكلات القراءة في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية بدولة قطر" رسالة دكتوراة غير منشورة كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م، ص: ٦١.
٤. عبد الحميد عبد الله: الأساليب الحديثة في تعليم اللغة العربية، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٨م. ص: ٧٧.
٥. محمد مقبل علمات، صبحي حمدان أبو جلاله: أساليب التدريس العامة والمعاصرة، الكويت، مكتبة الفلاح، ٢٠٠١م، ص: ٨١.
٦. حمدة حسن السليطي: " برنامج متعدد المداخل لعلاج بعض مشكلات القراءة في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية بدولة قطر" رسالة دكتوراة غير منشورة كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م، ص: ٥٩.
٧. عبد الحميد عبد الله: الأساليب الحديثة في تعليم اللغة العربية، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٨م، ص: ٣٢.
٨. فهيم مصطفى: مهارات التفكير في مراحل التعليم العام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م، ص: ٥٥.
٩. جمال مصطفى العيسوي: طرق تدريس اللغة العربية بمرحلة التعليم الأساسي، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م، ص: ٣٤
١٠. خالد طه أحمد: تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، العين، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م.



١١. عبد الحميد عبد الله مرجع السابق، ص: ٧٩.

١٢. عبد العزيز صفر وآخرون: اللغة العربية للصف الأول (الجزء الثاني)، الطبعة الثانية،

الكويت: وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٦م، ص: ٨٨

## الرسائل العلمية في الجامعات النيجيرية وآفاق التطور؛

### جامعة عمر موسى يرأدوا نموذجاً

#### الدكتور محمد موسى صالح

قسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا - كَشْنَه

08039275453

#### المقدمة

حظيت البحوث العلمية باهتمام الدارسين المفكرين فكان لها تطور ملموس منذ مئات سنين، في الميادين المختلفة، الظاهرة التي أدت إلى إنشاء الجامعات في أنحاء العالم في بلاد الإغريق وبلاد الصين<sup>١</sup> وأوروبا وبلاد العرب حتى وصل إلى الدول الإفريقية، فأسفر عن ذلك انتشار الثقافة والمخترعات الحديثة بناء على البحوث العلمية التي تقدمها الجامعات<sup>٢</sup>.

يعتقد كثير من الباحثين أن الدراسات العربية النظامية قد بلغت ذروتها في نيجيريا؛ حيث فتحت أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية المختلفة التي تمنح درجات الماجستير والدكتوراه منذ عشرات السنين، وفيها عدد غير قليل ممن بلغوا درجة الأستاذية في هذا المجال. وتلقي هذه المقالة ضوءاً على مدى تطور الدراسات العليا في قسم اللغة العربية في جامعة عمر موسى يرأدوا - كَشْنَه، وهي من الجامعات الولائية، التي ما تزال فتية لم تتجاوز اثني عشرة سنة؛ ومع ذلك فإنها بما تبذل من الجهود قد تخرج فيها عدد كثير من طلاب الماجستير والدكتوراه، ولا يزال الطلاب يفدون إليها من أنحاء نيجيريا طلباً للعلم والمعرفة.

#### تأسيس القسم:

نظراً إلى الحاجة الملحة من قبل المتخرجين الحاصلين على درجة الليسانس في اللغة العربية وطلباتهم المتواصلة لدى الوزارات والمقطعات المختلفة في الولاية، تم تأسيس هذا القسم بعد الزيارة الخاصة التي قام بها المجلس الأعلى للجامعات النيجيرية (NUC) إلى جامعة عمر

موسى يرأدوا كشنه. وكان القسم أحد الأقسام التابعة لكلية العلوم الإنسانية بالجامعة وذلك في سنة ٢٠٠٦م.

أسس القسم لتقديم شهادة الليسانس في اللغة العربية، وشهادة الليسانس لطلاب اللغة العربية في كلية التربية، وتم توظيف عدد من المحاضرين الحاصلين على درجة الدكتوراه والماجستير والليسانس في اللغة العربية<sup>٣</sup>.

وفي عام ٢٠١٢م جاءت فكرة تأسيس الدراسات العليا في القسم، وبما أن القسم غني بالأساتذة الأكفاء الحاصلين على درجة الدكتوراه والأستاذية في اللغة العربية، تمت الموافقة من قبل (NUC)، وذلك بعد زيارة لجنتها المكلفة بالنظر في المنهج والأدوات الدراسية المستخدمة. وبناء على هذه الزيارة انطلق البرنامج في سنة ٢٠١٢م. وقد تم الحصول على المناهج الدراسية المستخدمة في أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية المختلفة ودرست هذه المناهج، واستخرج منها منهج متكامل يستخدم في القسم.

#### طريقة التعليم:

تختلف طريقة التعليم الجامعي والأكاديمي عن المدارس العامة، ففي الجامعة يختار الطالب التخصص الذي يرغب في أن يكمل مشواره العلمي والعملي فيه. وتكون الجامعة بطبيعة الحال أكثر تعمقاً في العلوم التي يختارها الطالب، ويسمى الدرس بالمحاضرة، أما من هو حاصل على شهادة الدكتوراه أو الماجستير فيسمى بمُحاضر.

تعود نشأة الدراسات العليا إلى فترة انطلاق الباحثين بتقصي أثرها إلى الصين واليونان القديمتين، وشبه الجزيرة العربية كما تعود بداياتها في أوروبا إلى العصور الوسطى وبداية عصر النهضة الأوروبية. وتعد مرحلة الدراسات العليا امرحلة متممة لرحلة الطالب الطويلة خلال السنوات الدراسية، والتي تعب خلالها وسهر الليالي لكي يحقق أحلامه<sup>٤</sup>.

والدراسات العليا هي الطريق الذي يمهد للطلاب تحقيق أحلامه، وتتميز بالأبحاث المنهجية الطويلة المحصورة المعمقة التي يقوم بها الباحث بالمقارنة مع مرحلة الليسانس<sup>٥</sup>.

وتنقسم الدراسات العليا إلى رسالة الماجستير، وأطروحة الدكتوراه، وبإمكان الطالب الاكتفاء بمرحلة واحدة من هذه المراحل، أو يواصل المسيرة نحو الدكتوراه.

وتختلف المدة في هذا المستوى باختلاف الدرجة، فدراسة الماجستير تتراوح مدة دراستها بين سنتين إلى ثلاث سنوات، أما بالنسبة للدكتوراه، فإن مدة دراستها تكون بين ثلاث سنوات إلى خمس سنوات.

وغالبا ما تساعد الدرجة التي يحصل عليها طالب الدراسات العليا من فرص حصوله على وظيفة مناسبة، بالإضافة إلى مكانة مرموقة في المجتمع، فهي مرحلة تحتاج فيها الطالب إلى التزام الطالب بالحضور والتواصل مع المشرف بشكل مستمر.

تعد برامج الدراسات العليا أكثر خصوصية من برامج مرحلة الليسانس، حيث إن الطالب في مرحلة الليسانس يدرس الاختصاص بشكل عام، بينما في مرحلة الدراسات العليا فإنه يختص بجزء معين من هذا الاختصاص ويتوسع فيه. إما أن يتخصص في الدراسات اللغوية أو الأدبية.

تركز الدراسات العليا على البحوث الأكثر توجهها نحو الاختصاص، بينما تتطلب برامج مرحلة الليسانس مشروعًا رئيسيًا أو نشاطا يشابه نشاطا معينًا في تخصص (أي يراعى التخصص فيه).

يعد تغيير الموضوعات الجامعية والانتقال إلى مدرسة مختلفة خلال برامج البكالوريوس أمرا سهلا، بينما يعد هذا الأمر صعبا للغاية في برامج الدراسات العليا، وذلك لأنها عبارة عن برامج دراسات عليا متخصصة.

#### تقسيمات مراحل الدراسات العليا:

الدراسات العليا كما هو معروف بأنها المرحلة التي تلي مرحلة الليسانس، وتكون الدراسة أكثر عمقا وتوسعا من المرحلة السابقة. ومراحل الدراسات العليا عبارة عن سلم يجب على الطالب أن يصعد عليه بشكل تدريجي متجاوزا كل مرحلة من هذه المراحل. لذلك فإن الدراسات العليا تم تقسيمها لعدد من المراحل، وهي على النحو التالي.

الدبلوم: وهي أولى مراحل الدراسات العليا للحصول على شهادة تأهيلية لمواصلة الماجستير أو لتخصص إضافي معين، وهي شهادة يحصل عليها الطالب بعد دراسة تتراوح مدتها بين سنة وستين فأكثر حسب الجامعات والاختصاصات، وفي نهايتها يحصل الطالب على شهادة من جهة علمية معتمدة من قبل وزارة التعليم العالي، ويعد الحصول على هذه الشهادة غير ضروري من أجل القبول في الماجستير، فقد يقبل الطالب في الماجستير دون أن يدرس الدبلوم<sup>٦</sup>.

الماجستير: تعد الماجستير إحدى الدراسات العليا الأولى المعترف بها عالمياً، ويحصل الطالب على هذه الشهادة من خلال قيامه ببحث علمي دقيق، وتبلغ مدة الدراسة سنتين أو أكثر. الدكتوراه: هي الدرجة التي لن يستطيع الطالب الحصول عليها إلا بعد أن ينال درجة الماجستير في نظام نيجيريا، وهي عبارة عن سنة منهجية، ورسالة علمية تقدم لإضافة جديدة إلى العلم، وذلك من خلال قيام الباحث ببحث أصيل ومبتكر، وتبلغ مدة الدراسة فيها خمس سنوات على الأكثر، وتعد الدكتوراه درجة علمية عليا لا يستطيع الطالب الحصول عليها إلا بمشاركة علمية بحثية فعالة، وقد تمنح بعض الجامعات الدكتوراه الفخرية لبعض الأشخاص تقديراً لمجهوداتهم، ولكنها أقل منزلة من الدكتوراه العلمية بمعنى الكلمة. الدراسات العليا في جامعة عمر موسى يَزَادُوا:

في سنة ألفين وإحدى عشرة حصل أربعة وعشرون طالبا على القبول في هذه الجامعة والتحقوا بقسم اللغة العربية للدراسة العليا، وقاموا بالدراسة التمهيديّة (course work)، ومدتها سنة كاملة، وبعد انتهائهم من الدراسة قدم كل واحد موضوع بحثه، وعرضها المنسق للدراسات العليا على مجلس الدراسات العليا لمناقشتها، وبعد أن تمت المناقشة، أمرهم المنسق بأن يكتبوا الخطط، للتأكد من صلاحية الموضوع وكفاءة كل طالب في معالجته. ثم عين القسم يوم المناقشة، وأرسل دعوة إلى البرافسة والدكاترة في أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات، مثل: جامعة أحمد بلو زاريا، وجامعة بايرو، وجامعة عثمان بن فودي بصكوتو، طلباً لحضور

هذه المناقشة، واختار القسم أن تكون المناقشة مفتوحة، لتكثير سواد الحاضرين، ليستفيد القسم والطلاب من بعض الملاحظات.

وفي سنة ألفين واثنى عشرة وألفين وثلاث عشرة التحق بالقسم عدد من الطلاب، ليدرسوا الماجستير والدكتوراه، وموضوعاتهم كالاتية:

أولاً- الماجستير:

- "الإلصاق في رواية الأيام لظه حسين: دراسة صرفية تطبيقية" - عبدالسلام أحمد

ثاني MA/12/ARA/0010

- "التقديم والتأخير في ديوان ضياء الفؤاد في سير ومدائح محمد خير العباد: دراسة بلاغية

تحليلية" - إبراهيم محمد بشير MA/12/ARA/0027

- "بناء الجملة في كتاب العبرات للمنفلوطي: دراسة نحوية في ضوء علم اللغة الحديث"-

مختار آدم تدون ودا MA/12/ARA/0028

- "المجاز في اللغتين العربية والهوسا: دراسة تقابلية"- نانا بٲوري MA/12/ARA/0040

- "ظاهرة التقدير النحوي وتطبيقاته في ضياء التأويل في معاني التنزيل للأستاذ عبد الله بن

فودي: دراسة وصفية تحليلية، سورة البقرة نموذجاً"- مجتبى آدم صالح

MA/12/ARA/0058

- "تحليل الأخطاء الإملائية والنحوية لطلاب المستوى الثالث لدبلوم سنة ٢٠١٠م إلى

٢٠١٤م كلية عثمان فودي للغة العربية والدراسات الإسلامية كشنه نموذجاً: دراسة

لغوية" - فاتح غرب MA/12/ARA/0071

- "حروف المعاني ودلالاتها في قصيدة بردة المديح للبوصيري: دراسة نحوية تحليلية"- عبد الله

هاشم MA/12/ARA/0088

- "الأمثال الدالة على الحياة الاجتماعية في اللغتين العربية والهوسا: دراسة دلالية تحليلية"-

كبير رفاعي MA/12/ARA/0104

- "أدوات الربط ومعانيها في ديوان أحمد يهوذا: دراسة نحوية في ضوء علم اللغة الحديث"-

سفيان صالح MA/12/ARA/0108

- "نور البصر في مدح سيد البشر" للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي: دراسة تحليلية على ضوء  
الدراسة النحوية الحديثة" - زيد زكرياء شيخو MA/12/ARA/0079
- "تجليات التناسل الإسلامي في ديوان جميل عبدالله- الكنوي" - جميل بلا  
آدم MA/12/ARA/0037
- "عناصر الرواية في رواية "مأساة الحب" لحامد محمود الهجري. دراسة تحليلية"- أبوبكر عبد  
الله قُوفَرُ بَيَّ MA/12/ARA/0164
- "الموسيقى في "ديوان سبحات الأنوار" للشيخ محمد الناصر كبر: دراسة تحليلية"- لول  
أيوب برا MA/12/ARA/0096
- ثانيًا- الدكتوراه:
- "الشعر الاجتماعي عند عيسى ألي أبي بكر وعبد السلام الثقافي: دراسة أدبية موازنة"-  
محمد منير أبوبكر PhD/12/ARA/0002
- "الموسيقى في ديوان نيل البغيا إنتاجات الشيخ يحيى النفاخ: دراسة تحليلية للنماذج مختارة"  
- آدم عبد القادر PhD/12/ARA/0059
- وإذا نظرنا إلى البحوث المتقدمة نرى نوعا من التطور؛ لأن بعضا منها كانت دراسة مقارنة بين  
اللغتين العربية والهوسا، والدراسة المقارنة من الدراسات الصعبة، ومنها ما تتعلق بتحليلات  
الأخطاء في الإملاء والنحو والصرف لطلاب الليسانس "undergraduate" ،  
والدراسات في جانب الدراسات الدلالية، والدراسة في التناسل.
- ويرى الباحث أن مما ساعد القسم على هذه الإنجازات وجود كوادر من الأستاذة المحاضرين في  
القسم من نيجيريا وبلاد العرب، الذين لهم الحماسة في العمل والإشراف بكل ما لديهم من  
الإمكانات، ومحاولتهم في تنمية الطلاب بالمعارف، مع مساعدة الطلاب بالمراجع والمصادر إذا  
دعت الحاجة إلى ذلك، مع إرشادهم إلى طريق أنسب.

### نتائج البحث:

توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- أن البحوث العلمية تطورت في الجامعات النيجيرية بصفة عامة، وفي جامعة عمر موسى يرأدوا بصفة خاصة، كما يتضح جلياً في البحوث العلمية التي قدمت فيها.
- أن قسم اللغة العربية في هذه الجامعة من الأقسام القليلة التي أنجزت البحوث العلمية القيمة؛ حيث تخرج فيه عدد كبير من طلاب الماجستير والدكتوراه في وقت قصير.
- أن عناوين البحوث العلمية معظمها يتسم بسمات الحداثة، وإن يوجد منها ما يتسم بسمات القديمة.
- أدرك الباحث أن بعض هذه الرسائل أوصى مناقشوها لنشرها لتعم الفائدة، إما على نفقة الجامعة أو القسم.
- توافق عناوين هذه البحوث العلمية ما في صميم الرسالة، ولا تخالفها؛ وذلك لعناية القسم بهذا الجانب.



## الهوامش والمراجع

١. إبراهيم أنيس، عبد العليم متنصر، عطية الصوالجي، حلف الله أحمد: "المعجم الوسيط"، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
٢. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%>.
٣. محمد موسى صالح (د) ومصطفى محمد يوسف (د): منهج دراسات اللغة العربية العليا في جامعة عمر موسى يرأدوا- كشنه عرض ومناقشة، اللغة العربية وآدابها والتعليم العالي في نيجيريا، الكتاب الثاني، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٠م، ص: ٤٠٧.
٤. [https://www.btsacademy.com/blog\\_det.php?page](https://www.btsacademy.com/blog_det.php?page).
٥. <https://ar.wikipedia.org/wik>.
٦. <https://ar.wikipedia.or/wiki..>

## تطوير منهج اللغة العربية في أقسام اللغة العربية في كليات التربية النيجيرية:

### مادة البلاغة العربية نموذجاً

د. أبو الفتح عبدالله

كلية التربية لولاية جغاوا بغمل

08032062344

#### المقدمة

تطور مفهوم المنهج بسبب الدراسات الشاملة التي تمت في مجال التربية وعلم النفس، مما غير من مفاهيم كثيرة فيما يتعلق بطبيعة المتعلم وخصائصه النفسية، وكذلك كان للتغيرات الاجتماعية دور مهم في تغيير هذا المفهوم إضافة إلى الحركات العلمية والتطور في مجال التقني و(التكنولوجيا) التي شهدتها أواخر القرن العشرين، كل هذه التغيرات في ميدان الفكر التربوي أسهم وبشكل كبير في انتقال مفهوم المنهج من إطاره الضيق المحدود بالكتاب أو المقرر المدرسي إلى مفهوم أوسع اعتبر الكتاب المدرسي أحد عناصره ومكوناته وليس هو المنهج بذاته.

إن المناهج التدريسية والمقررات التي يتم اعتمادها من قبل كثير من كليات التربية في أقسام اللغة العربية في نيجيريا تواجه مشكلات جمة حيث تلاحظ أمور بارزة في التوجيهات العامة لكثير من هذه المناهج والكتب وهي التعددية وغياب التنسيق وعدم وضوح الرؤية التي تواجه المنهج بشكل صريح أو ضمني، فأكثر المدرسين وواضعي المناهج التعليمية يعتمدون على المناهج المستعملة في الدول العربية، ويعتقدون بأن الدارسين الأجانب للغة العربية من غير الناطقين بها لا يختلفون في طبيعة تحصيلهم وطرق تعلمهم وأساليب اكتسابهم للغة العربية عن نظرائهم من الناطقين بها، وبالتالي فقد اعتبروا مشكلاتهم اللغوية، وطرق تدريسهم واحدة، والاستراتيجيات المتبعة في بناء المناهج ووضع المقررات تكاد تتشابه، في حين أنه يوجد بون شاسع بين تعلم اللغة العربية بوصفها اللغة الأم، وتعلمها كلغة ثانية أو أجنبية، فهذا مما أدى

إلى الفشل والوقوع في المشاكل التي تعانيها المناهج في معظم برامج تعليم اللغة العربية في نيجيريا.

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى دراسة مناهج اللغة العربية بصفة عامة ومنهج مادة البلاغة العربية بصفة خاصة في نيجيريا لبرنامج كليات التربية في نيجيرية، كما تتناول المناهج التي وضعتها الهيئة الوطنية لكليات التربية النيجيرية. وتكون مادة البلاغة العربية نموذجاً، ثم التقييم والتطوير المقترح للمناهج، وتتمحور هذه المقالة حول النقاط التالية:

- مفهوم المنهج
- منهج اللغة العربية في برنامج شهادة كليات التربية في نيجيريا.
- أهداف تدريس اللغة العربية بما فيها منهج البلاغة العربية لبرنامج شهادة كليات التربية.
- المحتوى.
- عرض المناهج.
- التطوير والتقييم المقترح.
- الخاتمة.

**مفهوم المنهج:** المنهج والمناهج في - اللغة - مشتقان من النهج، وهو الطريق الواضح، أو بمعنى الوسيلة المحددة التي توصل إلى غاية معينة، إلا أن الكلمة إغريقية الأصل، وتعني أيضاً الطريقة التي ينهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين، كما يعود مصطلح المنهج في اللغة الإنكليزية إلى الأصل اللاتيني والذي يعني التسابق<sup>١</sup>.

وأما المنهج في المصطلح التربوي فهي مجموعة من المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يدرسها التلاميذ في صورة المواد الدراسية. اصطلاح على تسميتها بالمقررات الدراسية<sup>٢</sup>، أو مجموعة من الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ يقصد به وراءها الاحتكاك والتفاعل الذي يحدث التطوير أو التعديل في سلوكهم ويؤدي إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الهدف الأسمى للتربية<sup>٣</sup>.

منهج اللغة العربية (البلاغة العربية) حسب وضع الهيئة الوطنية لكليات التربية.<sup>٤</sup>  
(NCCE)

يعتبر منهج اللغة العربية بما فيها منهج البلاغة العربية في مستوى الشهادة الوطنية في التربية في نيجيريا من أهم الوسائل التعليمية لتحقيق ما نرجوه من أهداف التعليم. ويجب أن يبنى المنهج الدراسي على تعاون الفرد والمجتمع لتحقيق الأهداف التربوية، ومن ثم لا بد من تطوير المنهج من حين وآخر، فمنهج اللغة العربية ومادة البلاغة في مستوى كليات التربية في نيجيريا في أشد الحاجة إلى من ينفذ عنه الغبار ويُطوّره ويُقوّمه، حتى يواكب التغيرات التي تطرأ على المجتمع لكي لا يصاب بالتخلف والجمود، ويشتمل المنهج التعليمي على عناصر رئيسية<sup>٥</sup> منها:

**الأهداف:** فالهدف التربوي يعني عملية إحداث تغيرات إيجابية في سلوك المتعلمين، أو أي تغير يراد إحداثه في سلوك المتعلمين كنتيجة لعملية التعلم،<sup>٦</sup> أو بمعنى آخر: فهي النتيجة العامة التي تحدث على مدى طويل، والتي تحقق من خلال مجموع البرنامج التربوي<sup>٧</sup>.  
**أهداف المنهج:** تتخذ المدرسة من المنهج وسيلة لتحقيق أهدافها، وترسم أهداف المدرسة الصورة العامة لأهداف المنهج، غير أن طبيعة محتوى المنهج تؤثر في التركيز على نوعية الأهداف<sup>٨</sup>.

**أهداف المنهج العامة في نيجيريا:** يمكن تحديدها فيما يلي:

- تمكين الطالب من الإلمام بفروع مادتي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتأهله لمواصلة دراسته في إحدى الجامعات.
- تمكين الطالب من أن يعبر عن نفسه تحريريًا وشفويًا باللغة العربية إضافة إلى لغته الأم.
- تمكين الطالب من دراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجدارة.
- تنمية الثقافة العامة للطالب.
- تمكين الطالب من معرفة اللغة العربية والأدب النيجيري بما فيه الأدب العربي بجميع أبعاده<sup>٩</sup>.

## أهداف تدريس اللغة العربية بما فيها منهج البلاغة العربية في مستوى شهادة كليات التربية:

- يهدف برنامج تدريس اللغة العربية في كليات التربية إلى:
  - إعداد المعلمين المتدربين لتعليم اللغة العربية في المدارس الإعدادية والثانوية.
  - تمكين الطلاب من استخدام العربية كلغة التعليم.
  - مساعدة المعلمين المتدربين على اكتساب المقدرة النطقية والكتابية في اللغة العربية.
  - أن يطلع المعلمون على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للناطقين باللغة راجيا به تعيين التفاهم الدولي.
  - إعداد الطلاب لتوسعة الدراسات في اللغة العربية.
  - **المحتوى:** هو أحد عناصر المنهج وأولها تأثيراً بالأهداف حتى يرمي المنهج إلى تحقيقها، ويعرف المحتوى بأنه نوعية المعارف التي يقع عليها الاختيار والتي يتم تنظيمها على نحو معين، سواء كانت هذه المعارف مفاهيم، أو حقائق، أو أفكار أساسية<sup>١١</sup>.
  - **اختيار المحتوى:** إن اختيار المحتوى لا يعتبر عملية سهلة، فالمادة تشمل عدة مجالات وكل مجال يشمل عدة موضوعات، ولكل موضوع عدة محاور رئيسة وأخرى فرعية، وهذه تتضمن معارف ومفاهيم وحقائق، وتواجه واضع المنهج مشكلة اختيار أنسب محتوى للأهداف الموضوعية من بين كم هائل من المعرفة، فعملية اختيار المحتوى تتبع ثلاث خطوات<sup>١١</sup> هي:
  - اختيار الموضوعات الرئيسية.
  - اختيار الأفكار الأساسية التي تحتويها الموضوع.
  - اختيار المادة الخاصة بالأفكار الرئيسية.
- معايير اختيار المحتوى في نيجيريا:** إن عملية اختيار المحتوى لها معايير معينة، يجب أن تؤخذ في الاعتبار، فهذه المعايير نذكرها فيما يلي:
- أن يكون المحتوى مرتبطاً بالأهداف.

- أن يكون المحتوى صادقا وله دلالة.
  - أن يكون هناك التوازن بين شمول وعمق المحتوى.
  - أن يراعي المحتوى ميول وحاجات الطلاب.
  - أن يرتبط المحتوى بالواقع الثقافي الذي يعيش فيه الطالب.
- عرض المناهج:** محتوى منهج مادة البلاغة العربية في مستوى كليات التربية: (السنة الثالثة  
الفترة الثانية)<sup>١٢</sup>.

### ARB 323 Introduction to Arabic Rhetorics : مقدمة في علم البلاغة: (2 C U)

- فكرة عن البلاغة والفصاحة والأسلوب.
- تاريخ نشأة علم البلاغة وتطوره.
- دراسات تمهيدية عن قسم علم البيان " مثل الموضوعات الآتية: التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.
- المعاني: الخبر والإنشاء والفصل والوصل والقصر والإيجاز والإطناب ثم المساوات.
- البديع: الجناس والطباق والتورية والمقابلة وتأکید المدح بما يشبه الذم وعكسه وحسن التعليل ثم أسلوب الحكيم.

#### التقويم:

تدل كلمة التقويم على تقدير أثر التعليم في سلوك المتعلم - الطالب - وقياس مدى نجاحه في تكوين شخصيته وفي تنمية قدراته ومهاراته اللغوية، وفي تزويده بالقيم والمثل المنشودة عن طريق التعلم اللغوي، فالتقويم جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية، فالتقويم هو البحث والاستقصاء لكل العوامل التي تؤثر في العملية التعليمية من منهج، وكتاب، ومعلم، ووسائل التعليمية، لاختبار مدى سلامة الأهداف والمحتوى والأنشطة، وكشف عما فيها من قوة أو ضعف<sup>١٣</sup>.

والمنهج الحقيقي هو الذي يبنى على أساس من التقييم النهائي للمستوى التحصيلي، والقدرات والمهارات والسلوكيات<sup>١٤</sup>، وبعبارة موجزة لآثار العملية التعليمية، وفي ضوءها يعدل أو يطور أو ينشئ إنشاء.

### تطوير وتقييم مقترح لمنهج مادة البلاغة لكليات التربية:

إن منهج مادة البلاغة العربية في كليات التربية النيجيرية حسب وضع هيئة كليات التربية الوطنية، لا بد من تطويره وتقييمه، للكون المادة إحدى المواد العربية المهمة في ذلك المستوى، وتعلمها لدى طالب اللغة العربية وسيلة لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، والنصوص الأدبية، لكن الملاحظة أن الطالب المتخصص في العربية لا يجد عناية كافية بنسبة لدراسته لهذه المادة حسب وضعها في المنهج المقرر، فليس للطالب أي نصيب من تذوقها إلا في فترة واحدة من الفترات الست لهذه البرنامج، فهئة كليات التربية الوطنية التي وضعت هذا المنهج قد ضيعت دراسة موضوعات كثيرة تحت هذه المادة، وألزمت الهيئة الطلبة بدراسة جميع محتويات البلاغة في الفترة الأخيرة في المستوى الثالث فقط، فهذا مما جعلهم لا يعرفون عن البلاغة إلا اسمها، ولا يتذوقون منها إلا مصطلحات فقط، حيث تجد الطالب يكرس جهده في حفظ القواعد والإمام بالقوانين والأقيسة والأمثلة المأثورة كابرا عن كابر، فنجده دائما يحاول أن يملأ إنشاءه بالصور البلاغية، سواء اقتضى المقام أم لا، ظنا أنه يحسن صنعا<sup>١٥</sup>. فهذا هو الذي يجعل الطالب في خطأ فاحش حين يظن الأدب أو الإنشاء ميدانا تظهر فيه مهارته في النحو والصرف واللغة والبلاغة ووسائل التصوير ومهارة التحليل والتراكيب<sup>١٦</sup>. وتفاديا للصعوبات التي تواجه المحاضر في تغطية الموضوعات خلال فترة واحدة، وتحقيقا للهدف التربوي وراء تدريس المادة يقترح الباحث ما يلي:

- توزيع المحتوي بأن يكون لكل فترة من الفترات الست للبرنامج محتويات مخصصة لها،

مثلا:

السنة الأولى: الفترة الأولى: تدرس مقدمة في نشأة البلاغة العربية وتطورها.

الفترة الثانية: تعريف مصطلح البلاغة والفصاحة والأسلوب وأقسام كل منها.

السنة الثانية: الفترة الأولى: دراسة علم البيان.

الفترة الثانية: دراسة علم المعاني ومباحثه.

السنة الثالثة: الفترة الثانية: دراسة علم البديع، مع تدريبات وأنشطة كافية لكل موضوع، وهذا مما يعطى عناية كافية لتدريس مادة البلاغة العربية لتحقيق الهدف التربوي المنشود.

- تضاف ساعة إلى الحصة بدلا من ساعتين في الأسبوع فتكون ثلاث ساعات في الأسبوع.

- تراجع الكتب المقررة وتعتمد المؤلفات الحديثة المبسطة، والتي تختلف عن بعض المقررات القديمة التي تعرض فيها الموضوعات بأبيات شعرية تقليدية مصنوعة غير مناسبة للعصر، ويطول شرحها وتفرعها للموضوع، وقد تجعل أذهان الطلبة مرتبكة، وقد يؤدي هذا الإرباك إلى عدم فهم القاعدة وقد يكون انتقال الطلبة من شرح إلى شرح للموضوع الواحد سببا في نفورهم من مادة البلاغة.

- تكثيف من التدريبات لتعميق الفهم وتنمية الحس البلاغي، فبعض الكتب البلاغية المقررة خالية من التدريبات الإنشائية التي تنمي الذوق البلاغي، وهذا يحرم الطلبة من التمتع بالتذوق والتدريب؛ لأن التدريبات الإنشائية تزيد القاعدة رسوخا في أذهان الطلبة، وتنمي مهارات لغوية بسيطة كما تمكن الطلبة من التفنن في التعبير.

- تحديث الشواهد البلاغية لمراعاة روح العصر وما يتطلبه سيكولوجية التدريس، فأغلب الشواهد البلاغية مكررة مستمدة من الكتب القديمة، وهي لم تتناسب مع الظروف النفسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الطلبة في الوقت الحاضر، فقد سار القدماء من المؤلفين على نمط مناسب لبيئتهم وظروفهم في إيراد الشواهد والأمثلة، وهذا تجده حتى في الدراسات اللغوية مثل النحو، والاتجاهات الحديثة في التدريس تدعو إلى ربط الحياة المدرسية بالواقع المعاش، وهذا يمكن الطلبة من التفاعل بين المادة والمجتمع، فالتطبيقات العلمية الشفوية والتحريرية التي تعطى داخل الفصل تزود الطلبة معرفة بمستواهم وتدفعهم إلى البحث والمطالعة من خلال البحث عن الإجابات الصحيحة



لتلك التطبيقات، لذلك يقترح الباحث ويدعو المسؤولين باستعمال بعض مؤلفات أساتذة الجامعات والكليات، لأنهم قد وضعوا في أكثر من جميع المواد التي تتناسب مع ميول طلاب وبيئتهم.

#### الخلاصة:

إن منهج البلاغة العربية اليوم بحاجة إلى تطوير، وذلك يتطلب تخلصها من الجمود والضعف الذي حل بها في العصور المتأخرة، ومنهج كليات التربية في القضية أولى بالاهتمام، لما لاحظ فيه الباحث من عدم الصرامة في مقررات البلاغة، وأنه من المستحسن توسيع نطاق دراسة المادة في جميع السنوات، بتوزيع موضوعات على جميع الفترات، مع الإكثار من الجوانب التطبيقية ومراعاة الكتب المناسبة مع البيئة وسيكولوجية الطلبة.

#### التوصيات:

يوصى الباحث بالآتي:

- إعادة النظر في المنهج ومقرر اللغة العربية عامة ومنهج مادة البلاغة خاصة، لتقومها وتطويرها وتحديثها.
- تولية الأساتذة الأكفاء لتدريس مادة البلاغة العربية، وعدم ذلك تجعل الطلبة يفقدون الثقة الحب تجاه المادة ويخسرون فوائدها.
- وضع الدورات التدريبية لتكوين الأساتذة في المادة.
- اعتماد الكتب المقررة الملائمة.

### الهوامش والمراجع

١. جامل عبد الرحمن عبد السلام، أساسيات المناهج التعليمية، ٢٠٠٠م، ص: ١٣.
٢. المرجع نفسه، ص: ٣٢.
٣. المرجع نفسه، ص: ٣٦.
٤. مقرر كليات التربية الوطنية، واضع الهيئة الوطنية لكليات التربية النيجيرية، سنة ٢٠٠٩م، ص: ١.
٥. الوكيل حلمي أحمد، المناهج، ٢٠٠٤م، ص: ٩٠.
٦. المرجع نفسه، ص: ٩١.
٧. المرجع نفسه، ص: ٩٧.
٨. المرجع نفسه، ص: ٩٩.
٩. المرجع نفسه، ص: ١٢٣.
١٠. مقرر كليات التربية الوطنية، واضع الهيئة الوطنية لكليات التربية النيجيرية، سنة ٢٠٠٩م، ص: ١.
١١. الأستاذ الدكتور الهاشمي عبد الرحمن عبد على وآخرون، تدريس البلاغة العربية رؤية نظرية تطبيقية، ط: ١، ٢٠٠٥م، ص: ٢٤٥.
١٢. المرجع نفسه، ص: ٢٤٦.
١٣. الأستاذ الدكتور محمد طاهر سيد مقدمة في نشأة البلاغة العربية وتطورها، دار الأمة ط: ٢، ٢٠١١م، ص: ٤٤.
١٤. سويد، على نائي، كيف نتذوق الأدب العربي، كنو، ص: ٣٣.
١٥. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
١٦. المرجع نفسه والصفحة.

## الرموز العلمية في كتاب الحاوي لحروف الأشياء: عرض ودراسة

الدكتور ناصر الدين إبراهيم أحمد

**Dr. Nasiruddeen Ibrahim Ahmed**

Federal University Dutse, Jigawa State

08039449833

و

محمد مختار آدم

**Muhammad Mukhtar Adamu**

Dept. of Arabic, Zamfara State College of Education, Maru.

08032760677

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

وبعد، فقد أسهم العلماء في ميادين العلوم المختلفة إسهامات كبيرة في تسهيل طريقة الإحاطة بالمواد التي حوتها هذه العلوم جملة وتفصيلا، وأدى بهم الأمر إلى وضع القواعد العامة والخاصة لهذه المواد، كما وضعوا الرموز التي تجعل حفظ هذه العلوم سهلا يسيرا، وذلك لوجازتها، ووضوح مراميها. وللعلماء العرب عامة، وللنيجيريين خاصة مشاركة فعالة في هذا الميدان، وذلك لانتشار الرموز العلمية المختلفة في مؤلفاتهم القيمة. ومن هؤلاء العلماء النيجيريين محمد المرتضى الحريري الذي أفرد كتابا لهذه الظاهرة، وسماه بـ"الحاوي لحروف الأشياء". ولجودة هذا الكتاب، وما فيه من الابتكار قام الباحث ببيان الرموز العلمية الواردة في الكتاب بغية تسهيل تناولها للعام والخاص. والمنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي. ويتم تناول الدراسة في غضون النقاط التالية:

- مفهوم الرمز.

- الرموز العلمية وإسهامات العلماء فيها.

- ترجمة المؤلف.

- دراسة لغوية للرموز العلمية الواردة في كتاب الحاوي لحروف الأشياء.

- الخاتمة.

### مفهوم الرمز

الرمز لغة: يؤخذ لفظ " رمز " من مادة " ر م ز " الذي يعني الإيماء والإشارة . إذا قيل: رمز إليه، أي أوماً إليه وأشار إليه بالشففتين أو بالعينين أو بالحاجبين أو بشيء آخر كان.<sup>١</sup> وفي التنزيل العزيز: "قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"، (سورة آل عمران : ٤١) إلا إشارة.

وقد تدل مادة ( ر م ز ) على الحركة والاضطراب، كما ذهب إليه ابن فارس القائل: الرء والميم والزاء أصل واحد يدل على حركة واضطراب. يقال: كتيبة رمازة: تموج من نواحيها. ويقال: ضربه فما ارمأز، أي ما تحرك. وارتمز: تحرك.<sup>٢</sup> وهناك علاقة بين التعريفين، وذلك أن الإيماء والإشارة نوع من الحركة والاضطراب.

وقال صاحب لسان العرب: "الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشففتين. وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشففتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما بيان بلفظ وأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين."<sup>٣</sup>

### الرمز اصطلاحاً:

تعددت تعريفات الرمز واختلفت حسب وجهات نظر الباحثين، وإن كانت كلها تدور في فلك واحد، هناك من رأى أن الرمز: عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس.<sup>٤</sup> وهناك من رأى أنه: ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فهو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء<sup>٥</sup>. ورأى بعض الدارسين أن الرمز شكل أو رسم أو إشارة، أو شيء حسن يحمل معنى اصطلاحياً. ومن ذلك نرمز للأمانة بالكتاب.<sup>٦</sup> فالرمز إذن لغة الإشارة

أو الإيحاء، وهو لن يكون غير ذلك لأن البشر لم يصطلحوا على تلك الرموز إلا لوجود رابطة أو قرينة معنوية بين الدلالة والمدلول.

فإن العلامة ينبغي أن تنقل رسالتها بنظرة واحدة دون الحاجة لأية كلمات، والمعروف أن القدماء المصريين والإغريق استخدموا العلامة، ولكن أكثر من استخدم العلامات هم الرومان، فقد اكتشفت أعداد كبيرة من العلامات بين أطلال مدن رومانية قديمة، ومن العلامات التي عثر عليها ما يمثل عنزة للدلالة على حانوت لإنتاج اللبن، وزوج أحذية لمحل الأحذية<sup>٧</sup>.

والحديث عن الرمز يجرنا إلى الحديث عن "علم الرموز"، وهو علم يتناول دراسة بعض العلامات المستخدمة ضمن ثقافة أو دين معين، والرجوع إلى مصدرها الرئيس، بالإضافة إلى تأثيرها على الطقوس الدينية وطريقة تعامل الناس مع هذا الرمز سواء دينيا أو ثقافيا.<sup>٨</sup> وقد وجد هذا العلم لأول مرة في منتصف السبعينيات عن طريق أستاذ العلوم الإنسانية في جامعة كورنيل يدعي **Victor Turner** الذي درس طريقة تعامل واستخدام شعب أو جماعة معينة لرمز في طقوسهم الدينية، وتأثير هذا الرمز على سلوكهم العام في المجتمع الذي يحيط بهم.<sup>٩</sup> ويختلف علم الرموز عن الرمزية في أن الرمزية هي مجموع الرموز أو الإشارات التي ترسل رسالة ما، سواء كانت مخفية أو مدسوسة أو ظاهرة، بينما تعبر "السمبولوجيا" عن سلوك الفرد، أو عن الطقوس التي يدل عليها الرمز، وتكون عادة مرتبطة بفكرة دينية أو منهجية يتبعها الأفراد ويؤمنون بها، وهناك العديد من الرموز التي انتقلت عبر التاريخ وأصبحت تعبر عن فكرة مختلفة تماما عن الفكرة التي وجدت من أجلها.<sup>١٠</sup>

### الرموز العلمية وإسهامات العلماء فيها

قد سعى العلماء في ميادين العلوم المختلفة، قديما وحديثا، سعيا كريما إلى وضع بعض الرموز المميزة باعتبارها ذات أهمية قصوى، لتكون تلخيصا للحروف أو للكلمات أو للجمل. وفي الرياضيات مثلا، يستخدم رمز (+) ليدل على الإضافة أو الزيادة، و(-) ليدل على الطرح، و(X) ليدل على الأضعاف، و(=) ليدل على التساوي، و(%) ليدل على المئوي. وفي

علوم كمبيوتر يستخدم (//) ليدل على التعليق، و(=!) ليدل على عدم الموافقة، و(/) ليدل على "أو"، و(!) ليدل على "لا"، و(<) ليدل على أصغر، و(>) ليدل على أكبر.<sup>١١</sup>

وفي صناعة المعجم، تستخدم بعض الرموز طلبا للإيجاز، أمثال (ف) ليدل على المفرد، و(ج) ليدل على الجمع، و(م) ليدل على المصدر، و(جج) ليدل على جمع الجمع، و(ث) ليدل على المثني، و(مح) ليدل على المحدث، و(مع) ليدل على المعرب.<sup>١٢</sup>

وفي علم التجويد حاول علماءه تسهيل حفظ حروف بعض الموضوعات، كحروف الإدغام (يرملون)، وحروف القلقلة (قطب جد)، وحروف المد المخفف (حي طهر) والمثقل (نقص عسلكم).<sup>١٣</sup> وكذلك فعل علماء الصرف في حروف الزيادة (سألتمونيها)، وحروف المد (اوى)، وحروف المضارعة (أنيت).<sup>١٤</sup>

وفي القرآن الكريم رموز علمية مختلفة، وتوجد هذه الرموز غالبا على الحرف، منها "ق" و"ج" و"م" و"ص" و"لا" و"س" و"و" وغيرها. ولكل واحد من هذه الرموز دلالاته واستعمالاته. رمز "ق" مثلا يدل على أن الوقف أولى، و"ج" يدل على جواز الوقف، و"م" يدل على لزوم الوقف، و"ص" يدل على أن الوصل أولى من الوقف، و"لا" يدل على عدم جواز الوقف، و"س" يدل على سكتة قصيرة.<sup>١٥</sup>

### أهمية الرموز العلمية

لا جدال في أن للرموز أهمية كبيرة في حياة العلم والمعرفة. ولذلك رأينا العلماء منكبين على استخدامها من حين لآخر. وتكمن أهمية الرموز فيما يأتي:

- الإيجاز: تقوم الرموز مقام الكلمة أو غيرها، وتقلل من ملء الأوراق بالكلمات. فبدلا من أن يكتب في المعجم مثلا: جمع الجمع يكتب مكانه (جج).
- الاقتصاد: كان الحيز الواسع الذي يملأه الكتابات مما يؤدي إلى ازدياد الأوراق، وقضاء الأوقات الطويلة على الكتابة، ينقص باستخدام الرموز.

- **تسهيل الحفظ:** تساعد الرموز على حفظ المعلومات، مثلما رأينا في علم العروض عندما قام (سبكرف) مقام أسماء القافية. السين رمز للمتكاوس، والباء للمتراب، والكاف للمتدارك، والراء للمتواتر، والفاء للمترادف. والمعتبر هنا هو حروف أواخر هذه الكلمات.

### ترجمة المؤلف: محمد المرتضى الحريري

**اسمه ونسبه:** هو أبو أحمد المجتبي محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، ينتهي نسبه من جهة والده إلى الشيخ إبراهيم الحريري، وينتهي من جهة والدته إلى الشيخ علي بدار أَيْلِيْرِي بَكَاتَا، وهي من الديار العريقة بحارة بَكَاتَا في مدينة إلورن، إحدى المناطق الشمالية في جمهورية نيجيريا.

### مولده وحياته العلمية:

كان مرتضى الحريري من مواليد السبعينيات،<sup>١٦</sup> فتق عقله صغيرا بقراءة القرآن على يدي الشيخ نور الدين من بيت طَنْ الجنة بَكَاتَا - رحمه الله رحمة واسعة - . ثم التحق بالمدرسة الإعدادية الحكومية بحارة أوكي أيبو ١٩٩٠-١٩٩٦م، حيث تحصل على الشهادة الإعدادية الحكومية. ولشدة رغبة والديه في العلوم الإسلامية والعربية، أدخله في المركز الأم (مركز التعليم العربي الإسلامي) أغيجي للنهل من العلوم الإسلامية والعربية. وهناك قضى المرحلة الإعدادية ما بين ١٩٩١ إلى ١٩٩٥م، ووالها بالمرحلة التوجيهية (الثانوية) ما بين فترة ١٩٩٦م - ١٩٩٩م، فرجع الأستاذ إلى إلورن ليواصل رحلاته العلمية، والتحق بكلية دار الكتاب والسنة، حيث حصل على شهادة الدبلوم عام ٢٠٠٤م.<sup>١٧</sup>

### آثاره العلمية:

وللسيد الحريري آثار علمية قيمة، وبحوث لغوية ودينية نفيسة نظما ونثرا، ومن كتبه المطبوعة ما يأتي:

- طائفة من الأخطاء الإملائية.
- الحاوي لحروف الأشياء.
- تحقيق القول في إيجاب النقاب.

- زي الإسلام لباس التقوى.
- فتح الجليل في الجرح والتعديل.
- محك الذهب في الحكم والأمثال والأدب.
- قول " صدق الله العظيم " عقب تلاوة القرآن الحكيم بين الشرعية والبدعة.
- كتاب عن صحيح البخاري " اعتراضات وتنبهات ".
- مائة قاعدة وواحدة.<sup>١٨</sup>

### دراسة لغوية للرموز العلمية الواردة في كتاب " الحاوي لحروف الأشياء ":

#### رموز فن الإملاء

الإملاء مادة أساسية من مواد اللغة العربية، وهو مجموعة من القواعد التي تحسن الكتابة العربية من الخطأ، ومن أهم موضوعات الإملاء: كتابة الهمزة، وكتابة الألف، وكتابة الواو، وكتابة الياء، وكتابة التنوين، وكتابة التاء بنوعيهما، وكتابة الحركات على الحروف، من تخفيف وتشديد، ومعرفة الأصوات التي تكتب ولا يتلفظ بها، وغيرها.

قد ذكر الحريري بعض رموز فن الإملاء في " كتاب الحاوي لرموز الأشياء "، منها ما سمي بالحروف المنفصلة المجموعة في " زر ذا ود " <sup>١٩</sup>، و هي الحروف التي لا تتصل بما بعدها بنبرة، خاصة إذا وقع واحد منها في بداية الكلمة، أو في وسطها، كما في " وعد " و " عور "، فإن الواو في المثالين منفصلة عما بعدها، أي قامت وحدها. وكذلك حال " الزين " في " زعم " و " عزم "، و " الرء " في " رجل "، و " كرم "، والذال في " ذهت " و " عذب " والألف في " البيت " و " قال "، والذال في " دفن " و " خدر ".

وإذا دققنا النظر في هذه الأحرف حسب ورودها في الأمثلة السالفة رأينا أنها لا تتصل بما بعدها بسطر بخلاف الحال في الباء والشين في كلمة " بشر "، فإن الباء لم تقم وحدها، وكذلك الشين، بل اتصلت الباء بالشين، والشين بالراء بالنبرة.

ومن رموز فن الإملاء في الكتاب ما أطلق عليه تسمية "حروف الحذف" <sup>٢٠</sup>، وهي الحروف التي تحذف في الكلمة لعل صرفية أو لغوية أخرى. ويرمز إليها بـ "ياوى المنة".



تحذف الواو في نحو "يصل"، فهو من "وصل". فأصله "يَوْصِلُ"، وحذفت الواو التي هي بمثابة فاء الفعل لعله صرفية، وهي وقوعها بين الياء والكسرة.<sup>٢١</sup>

تحذف الهمزة في نحو "يُكْرِم"، مضارع "أكرم"، فأصله "يُؤَكِّرِم"، فحذفت الهمزة تخفيفاً من الثقل الذي ينشأ من توالي الضمتين؛ ضمة الياء وضمة الهمزة،<sup>٢٢</sup> وصار "يكرم".  
تحذف الياء في نحو "اقض"، فأصله "اقضي" لأنه من "قضى يقضي"، حذفت الياء هنا لالتقاء الساكنين، سكون الياء وسكون الأمر.<sup>٢٣</sup>

وكذلك تحذف الألف في نحو "للرجل"، عند اقتران لام الجر بالاسم المعرف بـ"أل"، والعلّة في حذف الألف هنا هي الفرار من الغموض الذي سيحدث إذا تركت. ولو أثبتت الألف لصار "لالرجل" ويمكن اعتبار "لا" هنا حرف النفي، واللام الثانية حرف الجر.  
تحذف الألف المقصورة في نحو "قضت" فرارا من التقاء الساكنين، سكون الألف وسكون تاء التأنيث، فالأصل فيه "قضى+ت"،<sup>٢٤</sup> ولما كانت الألف المقصورة ساكنة، وتاء التأنيث ساكنة، حذفت الألف، ولم تحذف التاء لأنها جاءت لمعنى، وحذف ما لم يأت لمعنى أحسن من حذف ما يأتي لمعنى.<sup>٢٥</sup>

وتحذف التاء المربوطة غالبا عند النسب، و تصير "مكة" "مكيّ" بحذف التاء المربوطة، كما أنها تحذف عند الجمع، كما في "فاطمات". الأصل فيه "فاطمة + ات"، وحذفت التاء المربوطة كي لا تلتقي علامتا التأنيث في كلمة واحدة.<sup>٢٦</sup>

تحذف النون في نحو "أك" خاصة إذا وردت (كان) فعلا مضارعا مجزوما، لم يأت بعدها ساكن ولا يتصل بها ضمير متصل،<sup>٢٧</sup> ومثال ما توفرت فيه هذه الشروط قوله تعالى: "ولم أك بغيا." سورة مريم: ٢١.

تحذف الميم في نحو "فو"، فأصله "فمو"، حذفت الميم وبقيت الواو، ولذلك ينسب إلى "فم" بضمومي. وقد يحدث العكس وذلك بحذف الواو وإبقاء الميم، ويصير "فم"<sup>٢٨</sup>، وكذلك تحذف اللام في نحو "لعل"، ويقال "عل".<sup>٢٩</sup>

## رموز علوم القرآن

علوم القرآن: هي المادة التي تهتم بجميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من جوانبه المختلفة. يتناول علوم القرآن نزول القرآن الكريم وأسبابه، وجمعه وقراءاته، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم.

وردت بعض رموز علوم القرآن في كتاب "الحاوي لحروف الأشياء، منها أحرف فواتح السور القرآنية، وهي مجموعة في قوله: "نص حكيم قاطع له سر". وهذه العبارة ترمز إلى الأحرف الواردة في فواتح السور القرآنية. وقد قسم علماء التجويد هذه الحروف إلى قسمين أساسيين، هما: ما يتألف من حرفين، وما يتألف من ثلاثة أحرف.<sup>٣٠</sup>

أما ما يتألف من حرفين؛ حرف متحرك ومد: (ح، ط، هـ، ر) فإنها تنطق هكذا: حا، يا، طا، ها، را، وحكم مدها حكم المد الأصلي، وهو حركتان.

وما يتألف من ثلاثة أحرف؛ حرف متحرك ومد وحرف ساكن، (ن، ص، ك، م، ق، ل، س، ع) فإنها تنطق هكذا: نون، صا، كاف، ميم، قاف، لام، سين، عين. حكم مدها حكم المد العارض للسكون، وذلك لوجود السكون بعد المد.

## رموز علم التجويد:

التجويد علم بقواعد قراءة القرآن الكريم، ومن موضوعاته؛ أحكام النون الساكنة والتنوين، والمدود، وأحكام اللام والميم الساكنتين، وأحكام الميم والنون المشددتين، ومخارج الحروف وصفاتها، والوقف والوصل وغيرها.

تم جمع بعض الرموز لعلم التجويد في كتاب "الحاوي لحروف الأشياء"، منها رموز أحرف الإدغام، "يرملون".<sup>٣١</sup> فإن النون الساكنة أو التنوين تقلب إلى واحد من هذه الأحرف إذا وردت قبلها، كما في قوله تعالى: "ومن يعمل مثقال ذرة... سورة الزلزلة: ٧، وتقرأ "ومِي يعمل" وذلك بقلب النون الساكن ياء ثم إدغامها في نظيرتها، وتصير " وَمِيَعْمَلْ ".<sup>٣٢</sup> وكذلك تقلب النون الساكنة واوا إذا وردت قبل الواو، وتقلب راء قبل الراء، وميما قبل الميم، ولاما قبل اللام، وكذلك حال التنوين، كما في قوله تعالى: "الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم

من خوف "سورة قريش: ٤"، وإن تنوين آخر "جوع" يقلب واوا، وذلك لوجود الواو بعده، ويصير "جوعو وآمنهم"، ثم تدغم الواو الساكنة في نظيرتها المتحركة وتصير: "جوعو آمنهم". كذلك نفعل مع بقية أحرف الإدغام.

ومن رموز علم التجويد المذكورة في الكتاب حرفا اللين المجموعان في "وي"، وهما الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، والياء الساكنة المفتوح ما قبلها، نحو: حَوْف، وبَيَّت. ٣٣ هناك فرق بين حرفي اللين والواو والياء المادتين، حيث اعتبر القدامى ياء اللين شجرية وواو اللين شفوية، بينما اعتبروا الواو والياء المادتين جوفيتين. والفرق بين الياء والواو الجوفيتين وبين الياء الشجرية والواو الشفوية، هو أن الياء والواو الجوفيتين لا تكونان إلا مدتين، كما في "يقول" و"قيل"، والياء الشجرية والواو الشفوية لا تكونان إلا متحركتين أو ساكنتين، كما في "وعد ويسر" و"قؤل وعين". وتعرف "الياء والواو" الجوفيتان بالصائتين الطويلين، والياء الشجرية والواو الشفوية تعرفان بنصفي الصائت. ٣٤

ومنها حروف الهمس العشرة، وهي مجموعة في قوله: "فحثة شخص سكت". ٣٥ والهمس هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج. ٣٦ وعرف المحدثون الأصوات المهموسة بأنها أصوات لا يتذبذ الوتران الصوتيان معها عند إصدارها. ٣٧ فالحروف المهموسة في الدرس الصوتي التراثي عشرة كما سبق أن ذكرها الباحث، ولكنها اثنا عشر في الدرس الصوتي الحديث، إذ إن الطاء والقاف أضيفتا إلى ما ذكر في الدرس الصوتي التراثي. ومنها حروف الجهر، وهي مجموعة في قوله: "عظم وزن قارئ ذي غض جد طلب". ٣٨ فالجهر هو انحباس مجرى النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج. ٣٩ وعرف المحدثون الأصوات المجهورة بأنها "أصوات يتذبذب الوتران الصوتيان عند إخراجها". ٤٠ الأصوات المجهورة في الدرس الصوتي التراثي تسعة عشر كما ذكرها المؤلف، ولكنها خمسة عشر في الدرس الصوتي الحديث. والمطروحة من هذه الأصوات أربعة، فهي: "أ، أ، ق، ط". فاعتبرت الهمزة في الدرس الصوتي الحديث صوتا متوسطا بين الهمس والجهر، والقاء والطاء صوتي الهمس، ولم تعتبر الألف صوتا مستقلا.

ومنها حروف الشدة : وهي مجموعة في قوله " : أجدت كقطب " <sup>٤١</sup> . فالشدة في المصطلح الصوتي هي انجباس الصوت عند النطق لكمال الاعتماد على المخرج. <sup>٤٢</sup> والشدة في الاصطلاح الحديث معروفة بالانفجار. والأصوات الانفجارية هي الأصوات المتكونة من انغلاق المخرج عند إنتاجها انغلاقا تاما، ثم فتحه فجأة. <sup>٤٣</sup>

هناك فرق طفيف بين الأصوات الشديدة في الدرس الصوتي التراثي والدرس الصوتي الحديث، وذلك أن الجيم صوت شديد عند القدامى ولكنه صوت متوسط بين الشدة والرخاوة في الدرس الصوتي الحديث، وجعل مكانه صوت الضاد الذي اعتبر في الدرس الصوتي التراثي صوتا رخويا. <sup>٤٤</sup>

ومنها حروف البينية، التي هي الحروف الواقعة بين الشدة والرخاوة، وهي مجموعة في قوله: "لرن عمر" <sup>٤٥</sup> وهذه الحروف ليست بالشديدة ولا بالرخوية، وقد أضاف بعض القدامى أمثال ابن جني ثلاثة أحرف أخرى إلى هذه الخمسة وصارت ثمانية، وهي مجموعة في قوله: "لم يرو عنا". <sup>٤٦</sup>

ومنها حروف الاستعلاء السبعة المجموعة في قوله: "قظ خص ضغط" <sup>٤٧</sup> فالاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بحروفه، ومن لوازم الاستعلاء التفخيم. <sup>٤٨</sup> فالتفخيم غَلْظٌ يدخل على الصوت، فيمتلئ الفم بصداه، أو سمن يدخل على الصوت فيمتلئ الفم بصداه.

ومنها حروف الانفتاح فهي خمسة وعشرون، جمعت في كلمات، هي: (من أخذ وجد سعة فزكا خف له شرب غيث). <sup>٤٩</sup> والانفتاح هو افتراق اللسان عن الحنك الأعلى بحيث يخرج الهواء من بينهما عند النطق بحروفه. <sup>٥٠</sup>

ومنها حروف الإذلاق، وهي (فر من لب) <sup>٥١</sup> وهي الحروف التي تخرج من طرف اللسان، وهي أخف الحروف على اللسان وأحسنها انتشارا، وأكثرها امتزاجا بغيرها. وذولق اللسان طرفه، وهي تسمية غلبت على هذه الحروف التي جمعها: (فر من لب). <sup>٥٢</sup>

ومنها حروف الإصمات "جز غش ساخط ضد ثقة إذ وعظه يحك"<sup>٥٣</sup>. الحروف المصمتة، وهي حروف منعت أن تختص ببناء كلمة أكثر من ثلاثة أحرف في لغة العرب، أي هي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة حروفها أكثر من ثلاثة أحرف<sup>٥٤</sup>. وأن كل كلمة عربية على أربعة أحرف أو خمسة لا بد فيها مع حروف المصمت حرف من الحروف المدلقة. فكل كلمة من أربعة أحرف ليس فيها حرف مدلق فهي ليست عربية، مثال: عسجد. ومنها أحرف القلقة المجموعة في قوله: "جد قطب"<sup>٥٥</sup>. والقلقة اصطلاحاً: صوت زائد في المخرج بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الضغط، أو هي انجاس الصوت في المخرج عند النطق بالحرف الساكن حتى ينضغط فيه، ثم انفتاح المخرج بسرعة حتى ينطلق الصوت محدثاً نبرة قوية تسمى القلقة<sup>٥٦</sup>.

### رموز علم الصرف

ورد في الكتاب رمزان لعلم الصرف، وهما: رمز لأحرف المضارعة وهي "أنيت"<sup>٥٧</sup>، وآخر لحروف الزيادة، وهي "سألتمونيها"<sup>٥٨</sup>. "وأحرف المضارعة "أنيت" تزداد في بداية الفعل الماضي ويصير بذلك فعلاً مضارعاً. مثل: أكتب، ونكتب، ويكتب، وتكتب. ولكل واحد من هذه الأحرف دلالة الخاصة. فالألف مثلاً تدل على المتكلم، والنون تدل على المتكلمين، والياء تدل على الغائب، والتاء تدل على المخاطب أو الغائبة. وأما أحرف الزيادة فهي التي تزيد على أصول الكلمات العربية: سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ولكن الزيادة في الحرف قليلة. ومن أماكن زيادة هذه الحروف ما يأتي: تزداد همزة القطع في الفعل المجرد الثلاثي كما في "أَكْرَمَ". وتزداد همزة الوصل، والسين والتاء في الفعل المجرد الثلاثي، كما في "استغفر". وتزداد الألف والنون في الفعل المجرد الثلاثي كما في "انفعل". وتزداد الميم والواو في اسم المفعول للفعل المجرد الثلاثي، كما في "مفعول". وتزداد التاء والألف في الفعل المجرد الثلاثي، كما في "تفاعل" و "افتعل".

وتزاد اللام في الحرف غالبا، مثلما في "لعل". فأصلها "عل"، وزيدت عليها اللام وصارت "لعل".

وتزاد الياء في الفعل الماضي ويصير مضارعا، كما في "يكتب"، فأصله "كتب"، فلما زيدت فيه ياء صار يكتب.

وتزاد الهاء في آخر الكلمة، وسميت بهاء السكت، نحو قوله تعالى: "هلك عني سلطانية".  
سورة الحاقة: ٢٩

### رموز علم الميراث

ورد في الكتاب رمز واحد لعلم الميراث، جمع فيه موانع الإرث، وهي " : زلك عشق." ٥٩  
وموانع الإرث هي العوائق التي نص الشرع على أنها تمنع من التوارث بين الميت وقريبه الحي،  
وهي:

الزاي : تدل على الزنا.

الراء : تدل على الرق أي العبد.

اللام : تدل على اللعان.

الكاف : تدل على الكفر.

العين : تدل على عدم استهلال المولود.

الشين : تدل على الشك ممن مات قبل أحد الاثنين.

### رموز علم العروض والقافية

يهتم علم العروض بالشعر العربي وما يتعلق به من الأوزان، والقوافي، وما يعتري هذه الأوزان من زحافات وعلل. ٦٠ ورد في الكتاب رمزان لعلم العروض، الأول: "لمعت سيوفنا"، ٦١ وهي معروفة بأحرف التقطيع، والثاني: "سبكرف"، ٦٢ وهي معروفة بأحرف ألقاب القوافي. وأحرف التقطيع هي الأحرف المتكون منها التفاعيل العروضية العشر، وهي : فاعلون، فاعلن، مفاعيلن، مستفعلن، مستفع لن، فاعلاتن، فاع لاتن، متفاعلن، مفعولات، مفاعلتن . وإذا نظرنا إلى هذه التفاعيل رأينا أن حروفها لا تخرج عن أحرف التقطيع المجموعة في "لمعت

سيوفنا". فإذا أخذنا الفاء، وألف المد، والعين، واللام، وألف المد، والتاء، والنون، ورتبناها في تشكيل الكلمة رأينا أنه سيكون أمامنا "فاعلاتن".

وأحرف ألقاب القوافي الخمسة "سبكرف" مأخوذة من الأحرف الأخيرة من أسماء القافية. فالسين مأخوذة من الحرف الأخير في المتكاوس، والباء من التراكب، والكاف من المتدارك، والراء من المتواتر، والفاء من المترادف. هذه الخمسة معروفة بأسماء القافية.

#### الختامة

تناول هذا البحث قضية الرموز حسب ورودها في كتاب "الحاوي لحروف الأشياء"، بداية من مفهومها من حيث اللغة والاصطلاح، وأبرز إسهامات العلماء في ميادين العلوم المختلفة فيما يتعلق بالرموز، ووضح أهمية الرموز في العلوم التي تستخدم فيها، فتطرق إلى نبذة تاريخية عن مؤلف الكتاب، ثم بين مفهوم جميع الرموز التي حواها الكتاب.

رأى الباحث أن للرموز العلمية دورا فعالا في تبسيط العلوم، وتقريبها إلى الطلاب والدارسين والباحثين بأيسر الطرق. ولهذا، فعلى الباحثين أن يحاولوا تبسيط العلوم بأنواعها وذلك بأن يجعلوا لها رموزا ممتازة، وأن يقوموا كذلك بشرح وتوضيح ما تم وضع من الرموز لتعميم الفائدة.

الهوامش والمراجع:

١. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط ٢، القاهرة، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٢ م، مادة "ر م ز".
٢. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٦٦ هـ، مادة "ر م ز".
٣. الإفريقي، ابن منظور جمال الدين أبو الفل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ م، باب الزاي، فصل الراء.
٤. كعوان محمد، الرمز والعلامة والإشارة: مفاهيم ومجالات، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص: ٣١.
٥. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٦. المرجع نفسه، ص: ٣٥.
٧. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٨. المرجع نفسه.
٩. المرجع نفسه، ص: ٣٦.
١٠. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
١١. صالح عيسى إياد، تقريب الطلاب إلى علم الحاسوب العربي، مطبعة الناصرية، قورا نمود، ولاية زمفرا، ١٤٣٥ هـ/٢٠١٤ م، ص: ٣٢.
١٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المرجع السابق، ص: ٢٠.
١٣. محمد الصادق فمحا: البرهان في تجويد القرآن، ط ٦، مكتبة جمهورية مصر، ١٩٨٢ م، ص: ٥٦.
١٤. ياسين الحافظ، إتخاف الطرف في فن الصرف، ط ١، دار العصماء، ١٤١٧ هـ/١٩٨٦ م، ص: ٦٧.
١٥. القرآن الكريم بالرسم العثماني، مكتبة الصفا، القاهرة، ص: ٦٠٩.



١٦. المقابلة الشخصية مع الأستاذ محمد المرتضى الحريري يوم الجمعة الموافق ٨/٩/٢٠١٧م، وذلك في بيته، بعد صلاة العصر.
١٧. المقابلة نفسها.
١٨. المقابلة نفسها.
١٩. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، الحاوي لحروف الأشياء، ط ١، مطبعة كيوداملولا، إلورن، ولاية كوارا، ٢٠١٤م، ص: ١٦
٢٠. المرجع نفسه، ص: ١٧
٢١. أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص: ١٨٤
٢٢. المرجع نفسه، ص: ١٨٣
٢٣. ناصر الدين إبراهيم أحمد، توضيح القواعد النحوية؛ شرح كتاب "مائة قاعدة وواحدة" لمحمد المرتضى الحريري، ط ١، مطبعة الناصرية، دوزي ولاية جغاوا، ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥م، ص: ٨٢
٢٤. المرجع نفسه، ص: ٨٣
٢٥. ناصر الدين إبراهيم أحمد، بين السائل والنحو، ط ١، مطبعة كيوداملولا، إلورن ولاية كوارا، ٢٠٠٩ م، ص: ١٤
٢٦. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، تحقيق محمد بهجتة البيطار، ط ١، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٥ م، ص: ٨٥
٢٧. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على أليقة ابن مالك، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص: ٨٣
٢٨. صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، الميل إلى التخفيف في الظواهر الفرعية في القواعد اللغوية، ط ١، ١٤٠٠ هـ/١٩٨١م، ص: ٥٢
٢٩. ناصر الدين إبراهيم أحمد، توضيح القواعد النحوية، المرجع السابق، ص: ٧٦

٣٠. محمد الصادق فمحا، البرهان في تجويد القرآن، مكتبة جمهورية مصر، د.ت، ص: ٣١
٣١. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢١
٣٢. ناصر الدين إبراهيم أحمد، من قايا التنوين، ط ١، مطبعة كيوداميلولا، إلورن ولاية كواراه، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص: ٧٩
٣٣. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٣
٣٤. بشر كمال، دراسات في علم اللغة، ط 1، دار غريب للطباعة النشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص: ١٠
٣٥. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٥
٣٦. حسنى عبد الجليل يوسف، علم قراءة اللغة العربية: الأصول والقواعد والطرق، ط ٢، مؤسسة المختار، مصر، ص: ٦٨
٣٧. ناصر الدين إبراهيم أحمد، الأصوات العربية: صفاتها ودلالاتها، مكتبة الناصرية للطباعة والنشر، دوظي، ولاية جفاوا، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، ص: ١٨
٣٨. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٦
٣٩. حسنى عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: ٦٨
٤٠. ناصر الدين إبراهيم أحمد، الأصوات العربية: صفاتها ودلالاتها، المرجع السابق، ص: ١٧
٤١. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٦
٤٢. ناصر الدين إبراهيم أحمد، الأصوات العربية: صفاتها ودلالاتها، المرجع السابق، ص: ٢٨
٤٣. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص: ٥٠
٤٤. ناصر الدين إبراهيم أحمد، الأصوات العربية: صفاتها ودلالاتها، المرجع السابق، ص: ٢٨
٤٥. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٦

٤٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ط ٢، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٩٩م، ج ١، ص: ٣١
٤٧. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٤
٤٨. حسنى عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: ٦٩
٤٩. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٧
٥٠. حسنى عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: ٦٩
٥١. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٨
٥٢. حسنى عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: ٧٦
٥٣. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٨
٥٤. حسنى عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: ٧٦
٥٥. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٢٩
٥٦. محمد الصادق فمحا، المرجع السابق، ص: ٦٥
٥٧. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٣١
٥٨. المرجع نفسه، ص: ٣١
٥٩. المرجع نفسه، ص: ٣١
٦٠. السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ط ٢، مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص: ٧
٦١. محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري، المرجع السابق، ص: ٣٥
٦٢. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

## المعاجم متعددة اللغات وآفاق التطوير في نيجيريا: قاموس أحمد هارون

الثَّنَائِي: عَرَبِي - هَوَسَاوِي نموذجًا

الدكتور أحمد هارون

قسم الدين والفلسفة، شعبة اللغة العربية

جامعة جوس، جوس، نيجيريا

08022728359

المقدمة:

الحمد لله العليم القائل: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)<sup>(١)</sup>، (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)<sup>(٢)</sup>، والصلاة والسلام على أفضل الأنام خاتم الأنبياء والمرسلين، أفصح العَرَب والعَجَم، محمد بن عبد الله، وعلى آله و أصحابه الهداة الأعلام، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فالمعجم العربي الثنائي اللغة هو الذي يقدّم للطالب والدارس غير الناطق بالعربية مفردات لغوية في لغته الأم، كي يملك حصيلة وافية من الكلمات الأساسية التي بها يتحقق له المهارات اللغوية الأربع في يُسر؛ هي مهارة التعبير الشفوي، مهارة الكتابة، مهارة فهم المسموع، مهارة القراءة. فالمعجم العربية هي الكتب التي تجمع الألفاظ في ترتيب دقيق شرحا واشتقاقا واستعمالا، وبها يكون الطالب مُلمًا باللغة العربية وآدابها ومُتقنًا لها.

فلتأثير المعجم الثنائي القوي ونفعه العام للطلاب والدارسين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية وآدابها في جميع المستويات التعليمية داخل الفصول وخارجها، أردت أن ألقى ضوءا على أهمية هذا الصنف من المعاجم الناجعة لغير العرب متخذا معجمي العربي - الهوساوي نموذجًا. إذ هناك معاجم عربية متعددة اللغات بأهم اللغات العالمية وغير العالمية. منها عربي - إنجليزي / إنجليزي - عربي، عربي - فرنسي / فرنسي - عربي، عربي - إسباني /

إسباني - عربي ، عربي - ألماني / ألماني - عربي ، عربي - إيطالي / إيطالي - عربي ، عربي - روسي / روسي - عربي ، عربي - صيني / صيني - عربي ... وهكذا. فهي معاجم مزدوجة أُلِّفت لتسهيل تعلم هذه اللغات الحية. واللغات باختلافها من آيات الله الباهرة في الكون ، قال الله تعالى في التنزيل العزيز: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)<sup>(٤)</sup>. وقال أيضا: (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتندر به قوما لدا)<sup>(٥)</sup>.

### تعريف المعجم أو القاموس

**المعجم لغة:** من قول العرب: عَجَمَ الحُرْفَ والْكِتَابَ عَجْمًا، أي أزال إبهامه بالنقط والشكل. ذلك لِيُنْطَقَ به نطقا صحيحا كي لا يقع العجم - أي غيرُ العرب - في الخطأ عند النطق به<sup>(٦)</sup>. والأعجم هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب. فأعجم الكتاب: أي نَقَطَه وشكَّله لتمييزه وضبطه، فهو مُعْجَمٌ. والمعجم جمع معجم، وهو مشتق من عَجَمَ، وهذه الكلمة عدة معان متضادة أقربها: قولهم: أَعْجَمْتُ الكتابَ إذا بَيَّنَّته وأَوْضَحْتُهُ.

**والمعجم اصطلاحا:** كتاب يضم عددا كبيرا من المفردات اللغوية مقرونة بشرحها، وتكون موادها مرتبة ترتيبا خاصا على حروف المعجم بحسب طريقة كل مُؤَلِّف. <sup>(٧)</sup> وبعبارة أخرى، هو الكتاب الذي يتناول مفردات لغة ما، حيث يبين طريقة كتابة هذه المفردات، وطريقة نطقها، ومعانيها، واستخداماتها، ومرادفاتهما واشتقاقها، أو بعض هذه الجوانب على الأقل. <sup>(٨)</sup> وبالتعريفين السابقين يتبين أن المعجمات إنما تهتم في الأساس بالكلمات والمفردات. وحروف المعجم هي حروف الهجاء من الألف ... إلى الياء، أي الألفبائية أو هي الأبجدية (ا ب ج د ه و ز ... إلخ).

**والقاموس في اللغة:** البحر العظيم، أي المحيط كالمحيط الأطلسي مثلا، ويقال: قاموس البحر، أي وسطه ومعظمه<sup>(٩)</sup>. و هو عَلَمٌ على معجم الفيروزآبادي المسمى "القاموس المحيط"، فسمي بذلك كل معجم لغوي على التوسع.

## أهمية المعاجم و أنواعها

المعاجم أو القواميس أو المراجع اللغوية بجميع أنواعها، من أهم أدوات الخدمة المرجعية السريعة، وهي متنوعة تنوع الاهتمامات اللغوية، وتنقسم إلى فئتين رئيسيتين هما: المعاجم أحادية اللغة، والمعاجم متعددة اللغات، أو معاجم الترجمة<sup>(١٠)</sup>. وتنقسم الفئة الأولى بدورها إلى الأصناف الآتية:

أ- معاجم المفردات: أي التي تهتم بألفاظ اللغة ومبتها بوجه عام، كـ"الصِّحَاح" في اللغة للجوهري، ولسان العرب لابن منظور و"تاج العروس" للزبيدي وغيرها.  
ب- معاجم المعاني: هي على عكس معاجم المفردات، وتسمى أيضا معاجم المترادفات والأضداد، فتهتم بالأفكار والمفاهيم. كـ"المخصَّص" لابن سيده الأندلسي.  
ج- معاجم النطق: تهتم بالتحقق من طريقة نطق بعض المفردات، وخاصة أسماء الأعلام، كإصلاح المنطق لابن السكيت.

د- معاجم الألفاظ العامية، كمعجم اللغة العامية البغدادية لجلال الحنفي.

هـ- معاجم التعبيرات والاستعمالات، كالمعجم الإنجليزي Wilson: Modern، Folletti  
1966. 436p.، Hill and Wang، American Usage ; A Guide N.Y.

و- معاجم النصوص: تقتصر هذه المعاجم على الألفاظ الواردة في كتاب معين، أو في أعمال مؤلف معين، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني.

ز- معاجم المختصرات والأسماء الاستهلالية: تستعمل هذه في الإنتاج الفكري المتخصص، وخاصة في العلوم والتكنولوجيا وبعض مجالات العلوم الاجتماعية، فيها استعمال الرموز والمختصرات والأسماء الاستهلالية. مثل المعجم الإنجليزي: A Dictionary of  
Acronyms and Abbreviations . Clive Bingley

ح- معاجم الدخيل والمستعار، كالمعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي

ط- معاجم الألفاظ المهجورة، Defunct Dictionaries من أشهر الأمثلة لها في الإنجليزية: James Orchard . Dictionary of Archaic ،Halliwell-Philips Proverbs and Ancient ، Absolote phrases،and Provincial Words Customs.

ي- المعاجم المعيارية: يقصد بها المعاجم المشتملة على المفردات المناسبة لمستوى نحو أو مستوى تحصيلي أو إدراكي معين. وتستعمل هذه المعاجم كأدوات أساسية في تعليم اللغات. فهناك معجم كبير يناسب المتعلمين المتقدمين، ومعجم متوسط للمتوسطين، ومعجم صغير للمبتدئين. كالمعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الصغير، لمجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث) بالقاهرة. والمعجم الإنجليزي: Ogden ،

Charles Kay. The General Basic English Dictionary.

أما الفئة الثانية فنقسمها إلى:

أ- المعاجم الشاملة: هي قواميس عامة لغوية وعلمية، متعددة اللغات، وتسمى أيضا معاجم الترجمة، حيث تشتمل على مفردات إحدى اللغات وما يقابلها بوحدة أو أكثر من اللغات الأخرى. وعادة ما نلجأ إليها حين نصادف- في الاطلاع على نص بإحدى اللغات الأجنبية - كلمة لا نعرف ما يقابلها بلغتنا أو باللغة التي نترجم إليها. وبعض هذه المعاجم شامل في تغطيته بمعنى، ويتضمن المفردات العامة التي تستعمل في جميع مجالات المعرفة الإنسانية والحياة، وأكثرها موجه لخدمة مجالات خاصة بعينها<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة المعاجم متعددة اللغات الشاملة ما يلي:

- إلياس أنطون إلياس القاموس العصري إنجليزي - عربي و عربي - إنجليزي، القاهرة، المطبعة العصرية.

- منير البعلبكي المورد قاموس إنجليزي - عربي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.

-روحي البعلبكي المورد قاموس عربي - إنجليزي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين،

١٩٨٨م.

-رياض جيد القاموس الوحيد ألماني - عربي ، القاهرة، المطبعة المصرية.

- جبور عبد النور وسهيل إدريس المنهل قاموس فرنسي — عربي بيروت، لبنان، دار الآداب.
- أدبية فرح، محمد سعيد، رياض كريم القاموس (قاموس عام لغوي علمي) عربي — إنجليزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠١١م.
- أدبية فرح، محمد سعيد، رياض كريم القاموس (قاموس عام لغوي علمي) إنجليزي — عربي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ٢٠٠٩م.
- وغير هذه من المعاجم الشاملة ثنائية اللغة المزدوجة. من هذه المعاجم ما يفيد في الترجمة إلى العربية، ومنها ما يفيد في الترجمة من العربية. وقاموس أحمد هارون، عربي-هوساوي، والذي يتم عرضه في هذا المقال نموذج من هذا الصنف.
- ب- المعاجم المتخصصة:** هي المعاجم الخاصة والتي تشتمل على الألفاظ والمصطلحات المتخصصة، كالمعاجم العلمية الخاصة بالطب والصيدلة والرياضيات والفيزياء والكيمياء وتقنية المعلومات والهندسة، وكذلك القانون والتربية وغيرها من التخصصات. وهي متعددة اللغات أيضا، أو ثنائية اللغة، فإنها تفوق في عددها المعاجم الشاملة بلا شك. والملاحظ أن جميع المجالات المتخصصة تحظى الآن بهذا النوع من المعاجم، نكتفي هنا بأبرز النماذج في بعض المجالات الأساسية فيما يلي (١٢):
- محمد أمين النبهاي معجم المصطلحات المكتبية إنجليزي — عربي، جدة، المملكة العربية السعودية، دار الشروق ١٩٧٩م.
- حامد عبد السلام زهران قاموس علم النفس إنجليزي — عربي، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٧م.
- أبو العلا عفيفي وآخرون مصطلحات الفلسفة باللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٤م.
- مصطفى الشهابي معجم الألفاظ الزراعية القاهرة، مطبعة مصر ١٩٥٧م.



- "المعجم الموحد لمصطلحات الحاسبات الإلكترونية" عربي-إنجليزي-فرنسي، عمان، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ١٩٨١م.
- "معجم المصطلحات العلمية في علوم الحشرات والحيوان والنبات" القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٩م.
- حارث سليمان الفاروقي المعجم القانوني إنجليزي - عربي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٠م.
- ميلاد بشاي معجم المصطلحات الطبية والعلمية الحديث إنجليزي - عربي، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م.

### أهمية المعاجم متعددة اللغات

(قاموس أحمد هارون الثنائي، عربي-هوساوي نموذجاً)

حين بدأت حركة الترجمة في طلائع عصر النهضة الأدبية الحديثة في عهد محمد علي باشا بمصر ظهرت بعض المشكلات أهمها الحاجة إلى ألفاظ بديلة لما لم يُوجد له مُقابلٌ بين أيدي المترجمين، ولهذا ظهرت معاجم كثيرة متعددة اللغات، عربية-إنجليزية، أو عربية-فرنسية، أو عربية-إيطالية وبالعكس بشكلٍ مُزدوجٍ، غير أن كُتّاب هذه المعاجم كانت تقوم أمامهم صعوبات إذا لم يجدوا اللفظ المقابل بين أيديهم، ولذلك نشأت الحاجة إلى مجامع لغوية تتولى وضع ألفاظٍ و مصطلحاتٍ بطرق سليمة، كالاتفاق، والنحت، أو تعريب اللفظة بعد إخضاع لفظها للسان العربي بالنقص أو الزيادة أو التحريف، فتم إنشاء المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩١٦م، و مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢م، و المجمع العلمي العراقي في بغداد على غرار المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٤٧م، و مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٦<sup>(١٣)</sup>. فقد لعبت هذه المعاجم متعددة اللغات أو المزدوجة دوراً فعّالاً و كانت عاملاً مؤثراً جداً من عوامل النهضة اللغوية والأدبية في العصر الحديث أو المعاصر. فلا شك وبلا مُنازع أن المعجم الثنائي عربي-هوساوي، وبالعكس، على هذا النمط سيُسهمُ إسهامات

كبيرةً في دفع عجلة الثقافة العربية والإسلامية إلى الأمام وتوسيع آفاقها و تطويرها في نيجيريا وما جاورها من دول غرب أفريقيا حيث تُستعمل لغةُ الهوسا في نطاق واسع.

إن إعداد معجم عربي - أجنبي (عربي - هوساوي مثلا) أمر صعب بكثير من إعداد معجم أجنبي - عربي (هوساوي - عربي مثلا)، وذلك لعدة أسباب منها كثرة الألفاظ العربية التي تتقارب معانيها العامة، حتى يظن الناظر للوهلة الأولى أنها من المترادفات، بينما يكشف البحث والمراجعة والتدقيق عن وجود اختلافٍ بينها، كما تتباعد معانيها الخاصة<sup>(١٤)</sup>. منها أيضا دقة اللفظ العربي في الدلالة على المعنى المراد، فلو أخذنا أوقات الليل مثلا لوجدنا أن لكل فترة قصيرة منه اسماً مختلفا عن الفترة اللاحقة، ففي الصباح وحده نجد: العَلَس و العَبَش والسَّحَر والفَجْر المستطيل والفجر المستطير، ثم الصباح والشروق والإصباح والضحي، وفي أول الليل نجد مثل ذلك، فهو يبدأ بالأصيل ثم الغروب والمغرب والعَتَمَة والعشاء والعشاء الآخرة والظلمة والفحمة والدُّجَّة، وكذلك الفرق بين الضِّيَاء والتُّور... إلخ. ولا تُوجد هذه الفروق و الدقة في اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية والفرنسية ولغة الهوسا<sup>(١٥)</sup>.

وفي الأسماء والصفات نجد أيضا مثل هذا التعدد أيضا، فليست أسماء الأسد أو السيف الكثيرة في اللغة العربية مترادفاتٍ، بل يحمل كل اسم منها مواصفات محددة للمسمى وهذه لا تترجم بكلمة مقابلة، بل تحتاج إلى جملة لإيضاحها<sup>(١٦)</sup>.

وأسماء الحيوانات والطيور والحشرات والنباتات والأطعمَة والأشربة والألبسة الموجودة في قُطْرٍ من الأرض والمعدومة في قُطْرٍ آخر بحيث لا اسم لها هناك لعدمها من مشاكل تأليف المعجم الثنائي عَرَبِي وَأَعْجَمِي، كعربي-هوساوي. ومنها المصطلحات الحديثة وتعدد مصادر وضعها، واختلاف هذه المصادر حول المسمى الواحد. ومنها تشابه بعض الألفاظ رسما واختلافها معنى لا يوضحه إلا تشكيل الكلمة بشكل كامل، أو شبه كامل. ومنها استعمال نفس الأسماء لمسميات مختلفة مثل: أبو بريص، فهو من أسماء الوَزَغ tsaka واسم لطائر والوزغ كذلك اسم لنوع آخر من الطيور<sup>(١٧)</sup>.

إن المعاجم أو القواميس أو المراجع اللغوية عامةً من أهم ما يحتاج إليه كلُّ متعلِّمٍ لأي لغة والدارس والباحث والمترجم، فهي من أهم أدوات الخدمة المرجعية السريعة. وطلاب اللغة العربية من غير الناطقين بها - كالهوسا، أو الناطقين بلغة الهوسا في جميع المستويات التعليمية - بحاجة ماسة إلى قاموسٍ ثُنائيٍّ لغوي عام، عربي-هوساوي، لا غنى لهم عنه في تعلم اللغة العربية الأجنبية و إتقانها تحديداً وكتابةً و استماعاً و قراءةً.

هذا المعجم المسمى "قاموس أحمد هارون الثُنائي، عربي-هوساوي" معجم ثُنائي للترجمة من العربية إلى الهوسوية، فهو من معاجم القرن الحادي والعشرين الراهن، حيث يشتمل على مفردات اللغة العربية الغزيرة، القديمة منها والحديثة والمعاصرة، وما يقابلها أو يتقارب معانيها العامة بلغة الهوسا. جمع عددا كبيرا من الألفاظ العربية في ترتيب دقيق وفق الحرف الأول منها، وتناولها ترجمةً و ترادفاً و شرحاً و اشتقاقاً و استعمالاً. وعادةً ما نلجأ إلى مثل هذا القاموس الثُنائي ونحتاج إليه حين نصادف في الاطلاع على النصوص العربية الأجنبية كلمةً لا نعرف ما يقابلها أو يرادفها أو يتقارب منها بلغة الهوسا.

إنه معجم شامل في تغطيته، فليس بمعجم خاصٍ مُوجَّهٍ لخدمة مجال بعينه، بل هو قاموس لغوي عام من أمثال "القاموس العصري؛ عربي- إنجليزي" لإلياس أنطون إلياس، و"المورد؛ عربي- إنجليزي" للروحي البعلبكي، و"القاموس؛ عربي-إنجليزي" لأديبة فرح ورفاقها، وغيرها من أمثلة المعاجم متعددة اللغات أو الثُنائية اللغة الشاملة. ومن هذه المعاجم المزدوجة -عربي-أجنبي / أجنبي-عربي- ما يفيد في الترجمة من اللغة الأجنبية إلى العربية، ومنها ما يفيد في الترجمة من العربية إلى اللغة الأجنبية.

### طريقة الاستعمال

اتبع "قاموس أحمد هارون الثُنائي، عربي-هوساوي" في ترتيب كلماته الحرف الأول فالثاني فالثالث فالرابع فالخامس على جذر الكلمة ومجردة من الحروف المزيدة على ترتيب حروف الهجاء الثمانية والعشرين المعروف، أي الطريقة الألفائية أو النظام الهجائي العادي

على النحو التالي: ( ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي).

تُبنى الكلمة العربية من الحروف الهجائية؛ والكلمة ثلاثة أنواع، اسم وفعل وحرف، والحروف كلها مبنية. والمعاجم تضم الكلمات بأنواعها الثلاثة. وباستيعاب ما جاء في باب المجرد والمزيد من الأفعال والأسماء والصحيح والمعتل والإعلال والإبدال في علم الصرف والتصريف، و هو علم يبحث عن أبنية الكلمة العربية وصيغتها وبيان حروفها من أصالة، أو زيادة، أو حذف، أو صحة، أو إعلال، أو إبدال... إلى غير ذلك<sup>(١٨)</sup>، يحصل المرء على دُرَيْة في البحث عما يريد من الكلمات في هذا القاموس الثنائي باتباع الملاحظتين التاليتين:

1. احذف من الكلمة التي تبحث عنها كل ما اتصل بها من علامات مضارعة، أو ألفات وصل، أو ضمائر، أو حروف جر، أو علامات تأنيث، أو جمع، أو تثنية (يرد الجمع والمثنى إلى صيغة المفرد)... إلخ.

2. ثم أسقط حروف الزوائد منها حتى إذا حصلت على الحروف المجردة لها فتحت القاموس باحثاً عن معناها. خُذْ - على سبيل المثال - قولَ الشاعر الجاهلي تَأَبَّطُ شَرًّا يَصِفُ فِرْسًا جَوَادًا كَرِيمًا عَلَيْهِ:

وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَجِي \* مِّنْ حَرِّقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمُتَدَارِكِ

وطَبَّقْ عليها الإسقاط المذكور أعلاه تحصل على أصول كلمات هذا البيت

وجذورها مجردة للبحث عنها في المعجم، وهي:

سَبَقَ وَفَدَ رِيحٌ مِنْ حَيْثُ نَحَا حَرَقَ مِنْ شَدِّ دَرَكٌ

يُرَدُّ الحرف المحذوف من الكلمة حين البحث عنها في المعاجم. فكلمات (ابن، أب، دم، يد) حذفت الواو من الكلمات الثلاث الأولى بدليل أنها ترد في النسب فتقول: (بنوي، أبوي، دموي). وحذفت الياء من يد إذ أصلها (يَدِي) على وزن فَعَلٍ ساكنة العين؛ لأن جمعها أَيِّدٌ وَيُدِيٌّ، وبدليل أن فعلها (يَدِي فُلَانٌ)، فالبحث يكون عن (ب ن و)، (أ، ب، و)، (د، م، و).

وما حذف في الأفعال بسبب اتصال الفعل بالضمائر المتحركة أو بنائه للأمر أو الجزم مثل: قُمْنَا، لم يُقْم، لم يَزْم، بَعَثُ. فقد حذفت الواو من الفعلين الأولين لالتقاء الساكنين وأصل الفعل (قَوْمْنَا) (لم يقوم)، وحذفت الياء من الفعل الثالث يَزْمِي للجزم، وحذفت الياء من (بَعَثُ) والأصل (بِيعَثُ).

فحين البحث عنها نبحت (قوم) و(ر م ي) و(ب ي ع)، وكثيراً ما يدل المصدر أو الجمع أو النسب على الحرف الأصل المحذوف.

يتبع هذا القاموس الثنائي في ترتيب كلماته الطريقة الهجائية العادية - كما أسلفنا - (ا ب ت ث ج ح خ)، فهذا أبسط النظم المعجمية، وتسمى بالمدرسة الحديثة؛ لأنها أسهل طرق ترتيب المعاجم حيث نضع الكلمة تحت الحرف الأول مع مراعاة الثاني فالثالث. ولقد سار على هذه الطريقة عدد كبير من المعاجم التي أُلفت حديثاً.

فيعتبر الحرف الأول فالثاني فالثالث فالرابع فالخامس؛ إذ أن المجرد في الأسماء يصل إلى خمسة حروف على حين لا يتجاوز المجرد في الأفعال أربعة حروف. ونجد فيه كلماتنا في المواضع الآتية:

|         |           |           |     |
|---------|-----------|-----------|-----|
| سَبَقَ  | باب السين | فصل القاف | فعل |
| وَفَدَّ | باب الواو | فصل الدال | اسم |
| رِيحٌ   | باب الراء | فصل الحاء | اسم |
| حيث     | باب الحاء | فصل التاء | حرف |
| نَحَا   | باب النون | فصل الواو |     |

(لأن الألف المقصورة تُرَدُّ إلى أصلها الواو أو الياء ليعرف أين يبحث عن كلماته،

خاصةً إذا سار المعجم المستعمل على نظام القافية).

|        |           |           |     |
|--------|-----------|-----------|-----|
| حَرَقَ | باب الحاء | فصل القاف | فعل |
| شَدَّ  | باب الشين | فصل الدال | فعل |
| دَرَكَ | باب الدال | فصل الكاف | فعل |

وبتقليب صفحات هذا القاموس الثنائي (عربي-هوساوي)... حتى يصل إلى الحرف الأول المطلوب، يتبع هذا الترتيب والنظام الألفبائي المتسلسل ... حتى يجد ما يطلب ويقف على مترادف أو ترجمة أو شرح معنى ما يريد من الكلمة العربية وسائر أفراد أسرته ومشتقاتها بلغة الهوسا، كترتيب بعض المعجمات العربية المشهورة، مثل "مختار الصحاح" للرازي (ترتيب الدكتور محمود خاطر)، و"المصباح المنير" للفيومي، و"أساس البلاغة" للزمخشري، و"أقرب الموارد" للشيخ سعيد الشرتوني، و"المنجد" للأب لويس معلوف اليسوعي، و"المعجم الوسيط" للمجمع اللغوي المصري، وغيرها من المعاجم التي سارت على هذا النظام.

### نماذج مختارة من قاموس أحمد هارون الثنائي، عربي - هوساوي

هذه مُقْتَطَفَاتٌ من المواد اللغوية التي يضمها هذا القاموس والتي تُعَدُّ بألآلاف من الكلمات (نحو ٣٠ ألف كلمة تقريبا)، فهو الآن في شكل مسودة مخطوطة كاملة تحت التحرير و الطبع وعلى وشك النهاية، مشتمل على صور توضيحية لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير (١٩):

### من حرف الألف

|                                       |                                    |
|---------------------------------------|------------------------------------|
| kayan aiki                            | أَدَاةٌ                            |
| kayan gida                            | أَدَوَاتٌ مَنزِلِيَّةٌ             |
| kayan rubutu                          | أَدَوَاتُ الْكِتَابَةِ             |
| ya biya bashi                         | أَدَى الدَّيْنِ                    |
| biyan bashi                           | أَدَاءُ الدَّيْنِ                  |
| ya cika aiki ، ya yi aiki da kyau     | أَدَى الْعَمَلِ                    |
| bayarwa ، cikawa ، biya ، aiwatarwa ، | أَدَاءٌ                            |
| bada amana ، riqon amana              | أَدَاءُ الْأَمَانَةِ               |
| ma`anar magana ko aiki                | مُؤَدَّى الْكَلَامِ أَوْ الْفِعْلِ |
| mazubin ruwa ، masakin ruwa           | إِدَاوَةٌ                          |

من حرف الباء

|   |                               |
|---|-------------------------------|
| Shi ne harafin larabci na biyu            | بَاءٌ                         |
| a abu kaza ، da abu kaza                  | بِكَذًا                       |
| a gidan na sauka                          | نَزَلْتُ بِالْأَدَارِ         |
| da alqalami na rubuta                     | كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ          |
| harafi ne na rantsuwa                     | بِـ                           |
| na rantse da Allah sai na aikata abu kaza | بِاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ كَذًا |
| saboda abu kaza                           | بِكَذًا                       |
| Allah ya kama shi da laifinsa/saboda      | أَخَذَهُ اللَّهُ بِدَنْبِهِ   |
| laifinsa                                  |                               |

من حرف التاء

|   |                      |
|---|----------------------|
| Shi ne harafin Larabci na huxu          | تَاءٌ                |
| ya yi hamma                             | تَمَّ بَ / تَتَاءَبَ |
| hamma                                   | تُؤَبَاءُ / تَأَبُّ  |
|   | تَتَأَوَّبُ /        |
| ya xaukarwa wanda aka kashe fansa       | تَأَرَّ الْقَتِيلِ   |
| ya xauki fansa ، ya rama                | تَأَرَّ النَّارَ     |
| xaukar fansa ، ramuwa ، ramuwar gayya   | تَأَرَّ              |
| jini                                    | تَأَرَّ              |
| qurji ، qari mai tauri da               | تُؤَلُّوَةٌ          |
| yake bayyana a fatar jiki               |                      |
| abu ya tabbata                          | تَبَّتْ الشَّيْءُ    |
| tabbatuwa ; jarumta، jajircewa          | تُبُوتٌ / تَبَّاتٌ   |
| tabbatacce                              | تَابِتٌ              |
| tantance gaskiyar al`amari، haqiqancewa |                      |

، bin diddigi

تَثَبَّتْ

ya tabbatar da abu

tabbatarwa

أَثَبَّتْ الشَّيْءَ

ya tsare wane ، ya xaure shi ، ya kama

إِثْبَاتٌ

shi

أَثَبَّتْ فُلَانًا

hujja ، dalili

ثَبَّتْ

mahayan dawaki ، mayaqaqan dawaki

ثُبَاتٌ

### آفاق تطوير المعاجم الثنائِيَّة اللغة (العربية واللغات النيجيرية)

اللغة العربية كُتِلَّة واحدة، أو بعبارة أخرى وَحْدَة واحدة في جميع العصور، في الماضي والحاضر والمستقبل ... وفن تأليف المعاجم يسير بسير الزمن، والتطور المستمر في الحياة يُؤَثِّرُ فيه على الدوام. فلكل عصر معجمه الخاص به، بل لكل قرن. إن اللغة ماضيًا وحاضرًا، فلها قديمها الموروث، وحاضرها الحي الناطق، ومستقبلها الآتي بالجديد والألفاظ الطارئة التي تدعو إليها ضرورات التطور في الحياة، وتفرضها الحضارة الإنسانية في العلوم والآداب.

من أهم الوسائل لإنهاض اللغة العربية لغير الناطقين بها وضع معجم ثنائي مُحَكَّم الترتيب سهل التناول يقدِّم إلى المتعلم ما يحتاج إليه من مواد لغوية غزيرة في لغته الأم، أو المألوفة كالهوسا بأسلوب واضح يسير.

إن وضع المعاجم عمل شاق طويل المدى، فقد استغرق هذا القاموس قاموس أحمد هارون الثنائي، عربي-هوساوي عشرين سنة تقريباً في جمعه وإعداده. ويكفي جيلاً بأكمله أن يرسم في دقة المنهج، وأن يطبقه على خير وجه، تاركاً للخلف أن ينهض بما تقاصر عنه جهوده، ذلك بإدخال ألفاظ حديثة ومصطلحات جديدة في الطبقات المتتابعة. فوضع المعاجم عمل مستمر و بابه مفتوح لا يُعْلَقُ مَدَى الدهر.



من هنا نخلص إلى أن هذا القاموس قاموس أحمد هارون الثنائي، عَرَبِي-هُوسَاوي تطور كبير وتوسع هائل في حقل التأليف المعجمي الثنائي، أو المزدوج بين اللغتين العربية والهوسوية التي تُعتبر بحق أكبر اللغات النيجيرية وأكثرها انتشاراً.

إنه قاموس ثنائي فريد من نوعه، لم يسبق له مثيل في حجمه الكبير وضبطه وشكله و دقته، و غزارة مواده اللغوية في اللغتين العربية والهوسوية. ونتوقع أن يُثيرَ هذا القاموسُ - بعد نشره - النقدَ البناءَ والاعتراضَ النافع والملاحظات القيِّمة والتصحيحات المُصَوِّبَةَ للأخطاء والزلات والعتثرات التي لا يخلو منها أي عمل بشري كهذا، للتفادي منها في الطبعات التالية خدمةً للعلم والمعرفة، فلا تعدم الحسنة داما، ولكل جَوَادٍ كَبُوتَ (وفوق كلِّ ذي علم عليم<sup>(٢٠)</sup>)، فكمال العلم لله وحده (والله بكل شيءٍ عليم<sup>(٢١)</sup>). و نتمنى كذلك الترحيب المُشجِّعَ بمثل هذا القاموس نشرًا للعلم ووسائله.

#### توصية قيِّمة

إن وضع المعاجم الثنائية اللغة أو المزدوجة المُكثِّفة، من العربية إلى اللغات النيجيرية الكُبْرَى والصُّغْرَى، وبالأخص عَرَبِي-هُوسَاوي (كهذا)، عَرَبِي - فُلَانِي، عَرَبِي - كَانُورِي، عَرَبِي - يُوْرُوْبُوِي، عَرَبِي - إِغْبُوِي وبالعكس عمل مُرَحَّبٌ به والحاجة إليه ماسَّة لل غاية، للنهوض باللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، إذ أن اللغة العربية هي لغة الإسلام و لغة الوَحْيَيْنِ (الكتابِ والسنة)، لا بديلَ لها ، ومن اللغات العالمية الحية في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والرياضية وغيرها من جميع مجالات الحياة البشرية المختلفة على وجه المعمورة.

## الهوامش والمراجع

- (١) سورة البقرة ٣١.
- (٢) سورة إبراهيم ٤.
- (٣) مجلة اللوح، المجلد الرابع، العدد الأول، يناير ٢٠١٤م.
- (٤) سورة الروم ٢٢.
- (٥) سورة مريم ٩٧.
- (٦) ابن جنى الخصائص ٧٦/٣، وابن منظور لسان العرب، مادة عجم ٦٩٧/٢ بتصرف.
- (٧) أبو سكين، عبد الحميد محمد، الدكتور المعاجم العربية، مدارسها ومناهجها، ص ٧-٨.
- (٨) الجوهري، مقدمة الصحاح، ص ٣٨، و٤٢. والباتلي، أحمد بن محمد المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، ص ١٣.
- (٩) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، الشيخ مختار الصحاح، باب القاف مادة ق م س ص ٢٨٦.
- (١٠) حشمت قاسم، الدكتور، المكتبة والبحث، ص ١٣٩-١٤٧.
- (١١) المرجع السابق ص ١٤٨.
- (١٢) المرجع السابق ١٤٨ بتصرف.
- (١٣) ويكيبيديا، الإنترنت، الرابط: [www.ar.m.wikipedia.org](http://www.ar.m.wikipedia.org).
- (١٤) أدبية فرح و رفاقها، تقديم القاموس، عربي-إنجليزي ص ٣-٤ (٢٣) المرجع السابق بتصرف ص ٣-٤.
- (١٥) المرجع السابق بتصرف ص ٣-٤.
- (١٦) المرجع السابق بتصرف ص ٣-٤.
- (١٧) المرجع السابق بتصرف ص ٣-٤.

(١٨) سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، -استعمال المعجمات- ص ٤٤، و

أيمن أمين عبد الغني، "الصرف الكافي" ص ١٩.

(١٩) أحمد هارون، الدكتور "قاموس أحمد هارون الثنائي، عربي- هوساوي، جزء من باب

الألف و الباء و الثاء.

(٢٠) سورة يوسف ٧٦.

(٢١) سورة البقرة ١٧٦.

## التوافق الدلالي بين الصيغ الصرفية: دراسة صرفية دلالية لنماذج مختارة

الدكتور أحمد أبوبكر

و

بلا عبدالله أزي

قسم اللغة العربية، جامعة ولاية بوتشي غطو، نيجيريا

### المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على الهادي نحو الطريق المستقيم، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله وصحبه ومن لبى دعوته إلى يوم الدين. وبعد/

فإن اللغة العربية قلب من قوالب الكلام البشري، وهي إحدى اللغات السامية، ذات قابلية عجيبة للتطور، بل هي وعاء أمين للتراث الإسلامي. فهدف هذه المقالة هو إبراز أهمية فهم الصيغ الصرفية من خلال التوافق الدلالي، حيث تنحصر النقاط في النقاط المعالجة فيما يلي:

- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للصيغة.
- التوافق الدلالي بين صيغ الصرفية.
- الخاتمة

### مفهوم الصيغة اللغوي

الصيغة في مفهوم المعجمي هي مصدر صاغ الشيء يصوغه صوغاً وصياغة أي سبكه<sup>١</sup>. وأما تعريفها الاصطلاحي، فهو هيئة لألفاظ مشتقة من غيرها مع مراعاة اتفاق جذورها، ولا تكون إلا من الاسم المتمكن، أو الفعل المتصرف. ويمكن توليد الصيغة عن طريق الاشتقاق، وهو أخذ أحد اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في الاستعمال على المعنى والحروف الأصلية.

وأركان هذه العملية اسم موضوع لمعنى مسمى آخر، له نسبة إلى ذلك المعنى مشاركة بين الاسمين في الحروف الأصلية، سواء حدث هذا التغيير بين اللفظين في حروف فقط، أو في حركة فقط، أو فيهما معاً<sup>٢</sup>.

والمطرّد في هذا المعنى الفعل والأسماء المتصلة بالأفعال كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والآلة، والمكان، إذ لا تجد فعلاً ولا اسماً متصلاً به، أو بالحروف كيضرب وضارب ومضروب ومضرب<sup>٣</sup>. وتنحصر الصيغة في الأسماء إذا كانت متمكنة، ثم الأفعال المتصرفة، ولا علاقة للصيغة بالأسماء غير متمكنة، أو غير المشتقة، ولا في الأفعال الجامدة ولا الحروف مطلقاً<sup>٤</sup>.

### التوافق الدلالي بين الصيغ

- **التعدية:** هي تصيير الفاعل مفعولاً به، أي أن يجعل ما كان فاعلاً للفعل اللازم، مفعولاً لمعنى الجعل، الذي كان فاعلاً لأصل الحدث.

وقد اشترك صيغتا أفعال وفعل (بتضعيف العين) في هذا المعنى، كما تقول: أقمت زيدا وأقعدته، فمعنى أقمت زيدا، أي جعلت زيدا قائماً، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة، وفاعل بquam في الأصل، إذ الأصل قام زيد وقعد، فإذا كان الفعل لازماً صار بالهمزة متعدياً كما في المثال السابق. وإذا كان متعدياً لواحد صار بها متعدياً لاثنتين، نحو: ألبست زيدا ثوباً، وإذا كان متعدياً لاثنتين صار بها متعدياً لثلاثة، تقول: أريت أو أعلمت زيدا بكراً قائماً.

قال تعالى في تعدية الفعل اللازم بالهمزة إلى مفعول واحد "وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً \* لنخرج به حبا ونباتاً"<sup>٥</sup>. إن الفعلين في الآية الكريمة أنزل، وأخرج، أصلهما نزل وأخرج، وهما فعالان لازمان، فصارا متعديين بزيادة الهمزة فيهما، فتعدى أنزل على الماء، وأخرج على الحبة والنبات.

ويصير الفاعل مفعولا به بزيادة التضعيف نحو: كعلمته وطهرته. تقول أدبت الصبي وعلمته الخبر، وطهرت المكان، قال تعالى: "علمه شديد القوى"، وقال أيضا: "وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود".<sup>٧</sup>

فالفعل "طَهَّر" بتضعيف العين لأجل التعدية، إذا أصله طهَّر بضم العين، وهو فعل لازم، إذ يقال طهر الثوب وطهره غيره، فتعدى إلى واحد، وأما علم فيتعدى إلى اثنين، إذ تقول: علمه الكتاب، وقد يتعدى إلى ثلاثة إذا كان محمولا على أفعل، كحدّث وخبر. نحو: حدثت زيدا بكرا ناجحا<sup>٨</sup>.

### - التفاعل

وهو المفاعلة والمشاركة، وقد اشتركت ثلاث صيغ في هذا المعنى، وهى:

- فاعل

- تفاعل

- افتعل

١- الفعل الثلاثي المزيد بالألف بين الفاء والعين نحو قاتل يقاتل مقاتلة وقتالا على وزن فاعل يفاعل مفاعلة وفعالا، يسمى هذا الباب باب المفاعلة؛ لأن القائم به لا بد أن يكون اثنين حيث يكون كل واحد منهما فاعلا ومفعولا في المعنى، أي أن الفعل تصدر عملياته بين شخصين بحيث يصدر من كل إلى صاحبه. ومثال ذلك: كارمته أي صدر عني الإكرام إليه وصدر عنه الإكرام إليّ<sup>٩</sup>. قال تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها"<sup>١٠</sup>. والفعل: "جادل" من جدل، فزيد عليه الألف فصار جادل يجادل مجادلة، وهو بمعنى المشاركة، لأن المجادلة هي المحاورة ومراجعة الكلام بين المتكلمين.

وقد يكون افتعل بمعنى تفاعل، نحو: اختصم واصطلح يقال: اصطلح الخصمان بمعنى تصالحا، من صلح فزيد عليه الهمزة والتاء فصار اصطلح، فأبدلت تاء الافتعال طاء فصار اصطلح، قال تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين افتتلوا فأصلحوا بينهما"<sup>١١</sup>، واقتتلوا، معناه تقاتلوا، وقاتل بعضهم بعضا.

تأتي صيغة تفاعل بهذا المعنى وهي المشاركة في الفعل بين اثنين فصاعداً، فيكون كل واحد منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى، بخلاف صيغة فاعل، حيث ينسب فيه للبادئ نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية، تقول: خاصم زيد بكراً، وتحاضم زيد وبكراً، ونازع زيد عمراً الحديث، وتنازع زيد وعمرو الحديث.

فوزن تفاعل يفيد الاشتراك في الخصومة مع تحويل الفعل إلى اللزوم بعد أن كان متعدياً، إلى مفعول، وقصر الفعل على مفعول واحد بعد أن كان متعدياً إلى مفعولين. قال تعالى: "ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة"<sup>١٢</sup>. والفعل "تراضى" من رضى، فزيد عليه التاء والألف فصار تراضى على وزن تفاعل. وهو للمشاركة بين اثنين فأكثر.

### ٣- التكثير

تشترك ثلاث صيغ في هذا المعنى وهي فَعَّل بتضعيف العين، وفاعل، وأفعل، وفَعَّل للتكثير غالباً، والتكثير إما أن يكون في الفعل نحو: جَوَّلْتُ وطوَّفت، بمعنى أكثرت الجولان والطوفان، أو يكون في الفاعل نحو: موتت الإبل أي كثر فيها الموت، أو في المفعول نحو: ذبَّحت الغنم، قال تعالى: "وغلقت الأبواب وقالت هيت لك"<sup>١٣</sup>.

وقد تأتي صيغة فاعل وأفعل بمعنى فَعَّل بحيث يكون أفعل وفاعل للتكثير، نحو ضاعفت الشيء وضعفته، أي كثر أصغافه، وناعمه الله كنعمه، أي كثر نعمته بفتح النون، وهي المسرة والفرح والترفة.

ومنه "أصعر" قال الزمخشري: يقال أصعر خده وصعَّره وصاعره بمعنى<sup>١٤</sup>. ولا تصاعر بالألف لغة أهل الحجاز وبغير الألف لغة بني تميم، وقرأ في رواية ورش عن الإمام نافع المدني "تصاعر" بالألف بعد الصاد وتخفيف العين، وقرأ في رواية حفص بغير الألف وتشديد العين، وهما لغتان بمعنى واحد<sup>١٥</sup>.

### - السلب والإزالة

يأتي أفعل لسلب مفعول أفعل، نحو أقذيت عين فلان بمعنى أزلت القذى عن عينه، وقد يكون لسلب الفعل عن الفاعل إذا كان الفعل لازماً، كقولهم أقسط، أي أزال عنه القسط وهو الجور، ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى: "وإن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"<sup>١٦</sup>، وأخفي مضارع أخفى بمعنى ستر، والهمزة هنا للسلب، أي أزلت الخفاء وهو الظهور، والخفاء من الأضداد، يقال: خفيت الشيء أي أظهرته، وخفي الشيء خفاءً وخفية أي استتر. وإذا أزلت الظهور صار للستر، ومعنى أخفي في الآية الكريمة أزيل عنها خفاءها، أي سترها<sup>١٧</sup>.

وقد تأتي صيغة فَعَّل بمعنى السلب والإزالة نحو قذيت عينه، أي أزلت القذى عنها، وقشرته أي أزلت قشره، وفرعته، أي أزلت عنه الفرع قال تعالى: "حتى إذا فرع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق"<sup>١٨</sup>. قال الزمخشري: فرع عن قلوبهم أي كشف الفرع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة<sup>١٩</sup>.

### - الاتخاذ

الاتخاذ هو الحصول على الشيء، أي أخذك الشيء أصله، أو اتخاذ الفاعل المفعول فيما يدل عليه الفعل.

وتشترك صيغتنا "افتعل وتفعل" في هذا المعنى، تقول: اختتم زيد واتزر، بمعنى اتخذ خاتماً وإزاراً، واشتويت اللحم، أي اتخذته شواءً، قال سيبويه: فأما ذبح فبمنزلة قوله قتلت، وأما الذبح فبمنزلة اتخذ ذبيحة<sup>٢٠</sup>. ومن ذلك قول الأعشى في معلقته:

إنا ترينا خفاة لا نعال لنا \* إنا كذلك لا نخفي ونتنعل

الانتعال بمعنى اتخاذ النعل، وانتعل أي احتدى<sup>٢١</sup>.

ومن صيغة تفعل تقول: توسد يده والتراب، أي اتخذها وسادة، وتردّى الثوب، اتخذته رداءً، ومنه تبنيت الصبي، اتخذته ابناً، ويسمى ابن التبني، ومنه قوله تعالى: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"، وتزودوا أي اتخذوا الزاد. ومنه قول طرفة:



ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً\* ويأتيك بالأخبار من لم تزود<sup>٢٢</sup>

وقد تأتي صيغة استفعل بهذا المعنى: نحو استلأم، أي اتخذ الأمة ولبسها، وهي الدرع من أدوات الحرب، واستعبد الرجل فلاناً، أي اتخذه عبداً، واستأجره، أي اتخذه أجيراً، من الإجارة. ومنه استخلف فلان فلاناً، أي اتخذه خليفة، واستعد عدة، واستأمنى أمة.

#### - وقوع معنى الفعل تدريجياً

يشارك صيغتنا تفعل وتفاعل في هذا المعنى، أي أن الفعل حصل مرة بعد مرة بالتدرج، وهو العمل المتكرر في مهلة. نحو: تزايد النيل وتواردت الأخبار أي حصلت الزيادة والورود بالتدرج شيئاً فشيئاً، كما تقول في صيغة تفعل - تجرعه أي شربه جرعة بعد جرعة، ومنه تفهم وتعرف، ومنه قوله تعالى: "يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت"<sup>٢٣</sup>. ومنه قول عنتره:

فبعثت جاريتي فقلت لها أذهبي\* فتحسسي أخبار هالي واعملي<sup>٢٤</sup>

التحسس هو تسمع الأخبار مرة بعد مرة ومنه الجاسوس.

#### - الصيرورة

إما صيرورة الشيء وهذا أصل الفعل نحو: تأيتمت المرأة، أي صارت أيمّاً، وتجر الطين، أي صار حجراً، وتجن اللبن، أي صار جبناً، أو صيرورة ما هو فاعل أفعل صاحب شئ نحو: أورك الشجر أي صارت ذات أوراق. ومنه قول لبيد بن ربيعة العامري:

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت\* بالجلهتين ظباؤها ونعامها<sup>٢٥</sup>

أطفلت هنا بمعنى رزقت أطفالاً، أي صارت ذات أطفال.

وتأتي استفعل في هذا المعنى، نحو: استحجر الطين، أي صار حجراً حقيقة، أو مجازاً نحو: استنوق الجمل، أي صار الجمل كالناقة في طباعها، واستيست الشاة أي صارت الشاة كالتيس في طباعه.

### - اختصار الحكاية

أي اختصار حكاية المعنى، الذي صيغ من الفعل وذلك مثل: كبرت الله، وسبحته وهللتها، أي قلت الله أكبر وسبحان الله والحمد لله، وتقال: آمن وسوف وأيته، بمعنى قال آمين، وسوف ويا أيها. ومنه قوله تعالى: "سبح لله ما في السماوات والأرض"<sup>٢٦</sup>، ففعل "سبح" هنا جاء للدلالة على اختصار حكاية المعنى، أي قالوا سبحان الله، والتسبيح هو تنزيه المولى عز وجل عن كل ما لا يليق به. وتشارك صيغة استفعل صيغة فعل في هذا المعنى كاسترجع، إذا قال إنا لله وإنا إليه راجعون<sup>٢٧</sup>.

### - الدعاء

تأتي صيغة فعل للدعاء على المفعول بأصل الفعل وذلك نحو: جدعته، أي قلت له جدعا لك، أو جدعه الله، والجدع، القطع، أو الدعاء له، نحو سقيته، أي قلت له سقيا لك أو سقاك الله<sup>٢٨</sup>. وتشاركها صيغة أفعل في هذا المعنى. تقول: أسقيته أي دعوت له بالسقيا، ومثله: أشفاه الله، أو أخزاه الله. قال ذو الرمة:

وقفت على ربع لمية ناقتي # فما زلت أبكر عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه # تكلمني أحجاره وملاعبه<sup>٢٩</sup>

وأسقيه في البيت معناه أدعو له بقولي: سقاك الله. أو بقولي سقيا لك.

### - الدخول في الوقت المشتق منه

تقول: أصبحنا وأمسينا وأسحرنا وأفجرنا، وذلك إذا صرت في حين صبح ومساء وسحر وفجر، هذا بمعنى دخول الفاعل في الوقت المشتق منه "أفعل"، قال تعالى: "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"<sup>٣٠</sup>. ومظلمون أي داخلون في الظلام كما يقال: أظلمنا واعتمنا وأسحرنا، أي دخلنا في العتمة والسحر<sup>٣١</sup>.

كذلك تأتي صيغة فعل بهذا المعنى وذلك نحو: هجر، أي سار في الهاجرة، وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر، أو شدة الحر وصبح أي أتى صباحا، ومنه مسى وغلس، قال تعالى: "ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقر"<sup>٣٢</sup>.

أي أتاها صباحا، بمعنى جاءهم وقت الصباح، عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة<sup>٣٣</sup>.

#### - المطاوعة

المطاوعة هي قبول أثر الفعل نحو كسرته فانكسر، ففيه تأثر وتأثير، وهناك بعض الصيغ اشتركت في معنى المطاوعة، منها:

#### - صيغة افتعل

الوزن الموضوع للمطاوعة في الأصل هو انفعل مثل قولك كسرته فانكسر، وينوب افتعل عن وزن انفعل في غير العلاج نحو: عممته فاعتم، ولأمت الجرح فالتأم، ووصلته فاتصل، ونفيته فانتهى، ونهيتته فانتهى.

#### - صيغة أفعَل

تأتي أفعَل لمطاوعة فَعَل، نحو: قشعت الريح السحاب فأقشع، إذا فرّقه ففرق، وكببت الرجل فأكب، إذا أسقطته فسقط، وشنقت البعير فأشنق، إذا استوقفته بجذب زمامه فوقف<sup>٣٤</sup>. وقد يكون مطاوع فَعَل المضعف نحو: فطرته فافطر، وبشرته فأبشر.

#### - صيغة تفاعل

تأتي هذه الصيغة لمطاوعة صيغة فاعل، نحو: باعدته فتباعد وقاربته فتقارب، ناولته فتناول.

#### - صيغة نفعَل

تأتي لمطاوعة فعل مضعف العين، نحو: هدبته فتهذب، علمته فتعلم، خلصته فتخلص، كسرته فتكسر، فجرته فتفجر، قال تعالى: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار"<sup>٣٥</sup>، من فجرتة فتفجر.

#### - صيغة فعل بفتح العين

تأتي لمطاوعة أفعَل، نحو: أدخلته فدخل، وأخرجته فخرج.

#### - صيغة فعل بكسر العين

تأتي لمطاوعة فعل مضعف العين وأفعَل، نحو قولك فرحته ففرح، وغرقته فغرق، وأفرحته ففرح، وأفرعته ففرع.

- صيغة تفعّل

تأتي لمطاوعة فعل، نحو قولك بعثرت الحب فتبعثر، ودحرجت الكرة فتدحرجت.

- صيغة استفعل

تأتي لمطاوعة أفعال نحو: أحكمته فاستحكم وأقمته فاستقام، وأراحه فاستراح، وأضاءه فاستضاء. وأبانه فاستبان وأمره فاستمر<sup>٣٦</sup>.

الختام

لما كان المقالة تهدف أساسا لإثبات دور الصيغ الصرفية في تحقيق التوافق الدلالي، لقد مرّت الدراسة بتعريف الصيغة في المفهوم اللغوي والاصطلاحي، ثم بيان وظائف الصيغة الصرفية من خلال الأمثلة المعروضة من القرآن الكريم وغيره، ثم توصل البحث إلى ما يلي:

- الكشف عن دور الصيغ الصرفية من حيث إثراء المعاني في اللغة العربية.
- التأكيد من نظرية زيادة المبنى لدلالة على زيادة المعنى.
- إبراز أهمية الصيغ الصرفية من حيث اختيارها للدلالة على الاقتصاد اللغوي.

## الهوامش والمراجع

١. ابن منظور لسان العرب، مادة صوغ، دار المعارف بالقاهرة، ص ٢٩.
٢. كمال الدين ميثم البحراني: مقدمة شرح نهج البلاغة، دار الشروق، ص ٤٤.
٣. ابن الحاجب، شرح شافية، ط ١، مطبعة الحجازية القاهرة، ج ٢، ص ٤١.
٤. معاذ محمد رابع، التوظيف البياني للصيغ الصرفية في القرآن الكريم، بحث للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠٠٧م، ص ٢٢.
٥. سورة النبأ، الآية: ١٤-١٥.
٦. سورة النجم، الآية: ٥.
٧. سورة البقرة، الآية: ١٢.
٨. محمد بن الحسن الرضی، شرح شافية بن الحاجب، دار الفكر العلمية بيروت - لبنان، ج ١ ٢ ٣ ٩٣.
٩. عمر بن عثمان سيويه، الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتب، ج ٤، ص ٦٨.
١٠. سورة المجادلة، الآية: ١.
١١. سورة الحجرات، الآية: ٩.
١١. سورة النساء، الآية: ٢٤.
١٣. سورة يوسف، الآية: ٢٣.
١٤. محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، (د.ت)، ج ٣، ص ٢٣٤.
١٥. محمد خليل الخصري: رواية ورش عن الإمام نافع المدني، مكتبة السنة، ص ١٥٦.
١٦. سورة طه، الآية ٥.
١٧. محمد عبد الخالق عزيمة: المعنى في تصريف الأفعال، دار الحديث القاهرة سنة ١٩٩٩م، ص ١٣٠.
١٨. سورة سبأ، الآية: ٢٣.
١٩. محمد بن عمر، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

٢٠. سيبويه، المرجع السابق، ج ٤، ص ٧٤.
٢١. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ص ١١٥١.
٢٢. محمد بن القاسم الأخباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢١٣.
٢٣. سورة إبراهيم، الآية: ١٧.
٢٤. مصطفى السقا، شرح مختار الشعر الجاهلي، ج ١، ص ٣٧٨.
٢٥. أحمد أحمد شتيوي: شرح المعلقات العشر للشنقيطي، ص ٨٨.
٢٦. سورة الحديد، الآية: ١.
٢٧. محمد صالح حسين: شرح الحصن الرصين، دار الأمة ٢٠٠٧م.
٢٨. محمد بن الحسن الرضى، شرح شافية بن الحاجب، ج ١، ص ٩٤.
٢٩. البيتان، مطلع قصيدة لغيلان بن عقبة ذو الرمة، وهما من شواهد الرضى في شرح شافية ابن الحاجب، ص ٩١.
٣٠. سورة يس، الآية: ٣٧.
٣١. محمد بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٣.
٣٢. سورة القمر آية ٣٨.
٣٣. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٣ ص ٢٨٩.
٣٤. السيوطي، همع الهوامع، ج ٣ ص ٢٦٦.
٣٥. سورة البقرة آية ٧٤.
٣٦. محمد صالح حسين، الرجوع السابق ص ٤٢٢.

## التوسيع الدلالي للمفردات والعبارات ذات الدلالات الاقتصادية

### في اللغة العربية

عبد الله موسى

قسم اللغات الجامعة الفدرالية كاشرى، ولاية غومبي

08038500862

و

بلا عبد الله أزي

قسم اللغة العربية بجامعة ولاية بوتشي، غطو

08060366580

### المقدمة:

اللغة ظاهرة مرنة قابلة للتغير شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، ولكنه تغير تدريجي يصيب دلالة الألفاظ مع مرور الزمن وينقلها من طور لآخر، والذي جعل التطور الدلالي أمرا لا مفر منه، هو وجود علاقة قوية بين الحياة الإنسانية واللغة. والتطور له عوامل متعددة بعضها مقصود وبعضها الآخر يتم عفواً الخاطر ولا يمكن السيطرة عليه.

ويحدث تطور دلالة الألفاظ عندما تنتقل دلالة العلامة اللغوية أي الرمز الصوتي الكتابي من مجال ما إلى مجال آخر، حيث تكتسب الكلمة دلالة جديدة، أو تحول دلالة الهامشية إلى دلالة أساسية لأسباب اجتماعية وسياقية وتعبيرية، وهذا التغير أو التطور يشترط توفر مجموعة من العوامل الذاتية، والعوامل الموضوعية، لنجاح عملية التطور.

يتم حصر أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور المعنى في أربعة:

١- توسيع المعنى ٢- تضيق المعنى ٣- انتقال المعنى ٤- كثرة الاستعمال.

فسنقتصر على واحد منها فيما يلي:

### توسيع المعنى:

الاتساع، باب من الأبواب التي أغنت اللغات وبخاصة اللغة العربية، وذلك بواسطة التجوز والتسامح في كثير من التراكيب والدلالات وبناء الألفاظ، لتوسيع رقعة اللغة كمّا ونوعاً. وهو في اللغة من الامتداد والسعة، وهو في علم اللغة استعمال اللفظ ليدلّ على أكثر ممّا وضع له<sup>١</sup>. ومن أمثلة هذا الشكل من التغير الدلالي ما يلي:

- "الورطة": بمعنى الهلاك، وأصل معناها "الرحل: تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص، وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يُرشد إلى الخلاص، ثم استخدمت في كل شدة"<sup>٢</sup>.

- ومثل: "الرافضة": أطلقت في الأصل على "افتح القوس"، فرقة من شيعة الكوفة، لأنهم رفضوا: أي تركوا زيد بن علي عليه السلام حين نهاهم عن الطعن في الصحابة؛ فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه. ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة<sup>٣</sup>.

سوف نورد هنا بعض المفردات والعبارات الاقتصادية التي طرأ عليها توسيع المعنى من قديم إلى جديد.

### الضريبة:

والضريبة جمعها ضرائب، وهو مال تفرضه الدولة على الملك، والعمل، والدخل. والضريبة مبلغ تفرضه الدولة كرسوم على إرادة الأفراد والمؤسسات بعد احتساب الربح الصافي<sup>٤</sup>.

وتدل على الخليقة، وعلى الصوف، وعلى الرجل المضروب بالسيف، ثم تطورت الكلمة فأطلق على ما هو عليه في المصطلح التجاري، يقول الزبيدي "ومن المجاز الضريبة وحدة الضرائب، وهي التي تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها"<sup>٥</sup>. وهو ضرب من التوسع الذي تطور من الخليقة إلى ما يؤخذ في الأرصاد والجزية ونحو ذلك.

### "الاستهلاك"

اتلاف واستعاد بالاستعمال، واستهلاك دين: تسديده على أقساط، واستهلاك: مبلغ من المال أو إقبال على شراء المواد الطبيعية أو الصناعية وسواها. وتدل كذلك على الموت



والثبور جاء في لسان العرب: "قال أبو عبيدة": يقال الهلك هلك يهلك وهلكاً وهلاكاً، مات، واستهلك الرجل في كذا إذا جهد في نفسه واستهلك معه<sup>٦</sup>. ثم توسعت الكلمة فأطلق في علم الاقتصاد بمفهوم آخر، ففي الاقتصاد "تعني الكلمة استعمال البضائع والخدمات، وهذا يعني شراء المستهلك الأخير لتلك البضائع في الخدمات لتلبية احتياجاته الخاصة لا لإعادة بيعها أو تصنيعها<sup>٧</sup>.

### "السيولة":

تطلق الكلمة في الأصل على جري الماء والسوائل وسيلانه، جاء في لسان العرب "سال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً، والسيولة جمع سيل"<sup>٨</sup>. ثم توسعت الكلمة فأطلق في علم الاقتصاد على ما هو جامد، فيقال: سيولة مصرف: وتعني: مبالغ من المال متوفرة لدى مصرف لوفاء حقوق الدائنين والمودعين" ومنها سيولة رؤوس الأموال... إلخ. وهذا ضرباً من التوسع من الأصل إلى غيره.

### الانتعاش:

يعني في الأصل رفع الرأس، جاء في لسان: نعش ينعش نعشا وإنعاشاً أرفعه وانتعش ارتفع. والانتعاش: رفع الرأس<sup>٩</sup>.

وفي تجارة الأسهم المالية تعني الكلمة ارتفاع الأسعار بعد فترة من الركود أو الفتور. فهي تعني بصورة أوسع تحسناً عاماً في الحالة التجارية<sup>١٠</sup>. والذي انتقل الكلمة من مدلولها الحسي الملموس إلى المدلول المعنوي المعقول إنما ذلك نوع من المجاز.

### الاستثمار:

تطلق الكلمة في الأصل على تحميل الشجر، قال الزبيدي في تاج العروس: (الاستثمار تحميل الشجر)<sup>١١</sup>، ثم توسعت الكلمة فأطلق على عالم التجارة في إنماء المال وتثميته وتكثيره وعملية توظيفه. ففي أحد عناوين الصفحة الاقتصادية في جريدة الأهرام المصرية نقراً هكذا "الاستثمارات المصرية في إثيوبيا تتجاوز المليار دولار وتصل لمليارين العام المقبل".

فالذي أنقل مدلول الكلمة من عالم الحسّ الملموس إلى العالم المعنوي المعقول إنّما هو ذلك نوع من توسيع المعنى.

#### التضخم:

تعني الكلمة عموماً الغليظ من كل شيء كما يطلق على عظيم البحر الكثير اللحم<sup>١٢</sup>. ثمّ تطورت دلالة الكلمة فأطلق على الزيادة المفاجئة والحادة في الأسعار، أو الانخفاض في قيمة العملة، سببه زيادة في كمية العملة المتداولة بالنسبة إلى كمية البضائع والخدمات المتوفرة<sup>١٣</sup>.

فتقييد الكلمة على الزيادة المفاجئة أو الانخفاض في قيمة العملة، إنّما كان توسّعاً في مدلول الكلمة.

#### الحصّة:

تعني عموماً النصيب من كل شيء، ثم توسعت الكلمة فأطلق على الشهادة التي تثبت ملكية حاملها حصّة في شركة مساهمة، أو في أرباح المشروع، أو في أصوله وموجوداته<sup>١٤</sup>. فإطلاق الكلمة على الشهادة التي تثبت ملكيّة صاحبها أو حاملها، مع أنّها عموم النصيب توسّع.

#### الاحتكار:

معناها الأصلي "حبس السلعة والامتناع عن بيعها انتظاراً لغلائها"<sup>١٥</sup>، ثم تسرّب التوسع إلى الكلمة فأصاب مدلولها شيء من التوسع حيث تعني الكلمة امتلاك جزء من إمدادات البضائع، أو الخدمات التي ترد إلى السوق، يكفي لخنق المنافسة بين التجار بحيث يؤدي ذلك إلى السيطرة على الأسعار، وتقييد حرية التجارة<sup>١٦</sup>.

وهذا نوع من التوسع حيث إنّ الاحتكار المفهوم منه، والغرض فيه هو انتظار غلائها في السوق للسيطرة على الأسعار وتقييد حرية التجارة وخنق المنافسة، كل هذا نوع من التوسع الدلالي.

### الوديعة:

تعني الكلمة وضع شيء عند الغير كأمانة عنده بغية استرجاعه فيما بعد. جاء في المصباح المنير "الوديعة فعيلة بمعنى فعولة"، وأودعت زيدا مالا دفعته إليه ليكون عنده وديعة"<sup>١٧</sup>. وفي أعمال البيع تعني الكلمة مبلغا من المال يدفع كقسط بضاعة يشتريها الزبون ويحتفظ بها البائع ريثما يتم دفع كامل المبلغ المتبقي من ثمنها"<sup>١٨</sup>.

هذا هو المفهوم الاقتصادي ولا يخفى ما فيه من التوسّع الدلالي، حيث انتقل من الأمانة البحتة التي لا يشترط أن يكون للمودّع يد فيها، بينما في اصطلاح الاقتصادي فهي لكليهما إلى وقت معيّن.

### المؤشر:

يطلق اتللفظ في الأصل على "من يراجع قائمة ويؤشر عليها"<sup>١٩</sup>. أما في الإحصاء فقد توسعت دلالة الكلمة: فهي تعني "رقم دليلي" "أي مقياساً يستخدم لبيان التغيرات النسبية وإجراء مقابلة بينها"<sup>٢٠</sup>. وتقييد الكلمة على رقم دليلي وإطلاقها عليه نوع من التوسّع الدلالي. ومما جاء في هذه الدلالة مقتطف عنوان في جريدة الأهرام: "٢٥% ارتفاعا بمؤشر البورصة الرئيسي وحجم التداول يقترب من ملياري جنيه" جاءت كلمة المؤشر هنا مفردة، وجاءت جمعا في مكان آخر كما في "استهلت البورصة خلال جلسة أمس بداية تعاملات الأسبوع على ارتفاع جماعي لغالبية مؤشرات السوق".

### الحصيلة:

هي من كل شيء عبارة عن "ما بقي وثبت وذهب ما سواه."<sup>٢١</sup>، وفي اصطلاح الاقتصاد تعني الكلمة عموما أي مبلغ من المال يتحقق من صفقة معينة، كحصيلة البيع مثلاً: وهي المبلغ الذي يحصل عليه البائع بعد حسم العلاوات والعمولات وما شابه ذلك.<sup>٢٢</sup>

### الصادرات:

من صدر يصدر، تطلق عموماً على المنتجات والبضائع الوطنية زراعية أو صناعية. وفي اصطلاح الاقتصاد تعني الكلمة "إرسال البضائع من بلد إلى آخر بقصد التجارة، وكاسم تعني البضاعة المصدرة إلى الخارج"<sup>٢٣</sup>. فتخصيص الكلمة في اصطلاح الاقتصاد بإرسال البضائع من بلد لآخر بقصد التجارة، نوع من التوسّع في دلالة الكلمة.

### الانكماش:

هو الإسراع، جاء في لسان العرب: "الكمش: الرجل السريع الماضي. الأصمعي "انكمش" في أمره وشمر بمعنى واحد. وقيل انكمش وتكمش إذا أسرع وقد أصاب الكلمة توسع في مدلولها حيث يعنى بها في حقل الاقتصاد رد هبوط مفاجئ في قيمة العملة بسبب وجود نقص في كمية العملة المتداولة بالنسبة إلى كميات البضائع والخدمات المتوفرة.

### التبادل:

التبادل: بادل الواحد الآخر، تبادلوا الابتسامات، والهدايا، والرسائل. ومنه تبادل ثقافي، وتبادل اقتصادي، وتبادل حر، وهي تجارة حرة بين دول لا تخضع لحظر أو رسوم جمرك. وعموماً: تعني إبدال شيء بشيء آخر. جاء في المصباح المنير: "أبدلته بكذا إبدالاً تنحيت الأول وجعلت الثاني مكانه". وفي اصطلاح الاقتصاد تعني الكلمة الاتجار بالبضائع والعملات والأوراق التجارية. فالذي انتقل بالكلمة من التبادل إلى الاتجار وإطلاقها عليها نوع من التوسع.

### الرصيد:

الرقيب "الراصد بالشيء، الرقيب له، والترصد الترقب"<sup>٢٤</sup>. وفي مصطلح الاقتصاديين توسع مدلول الكلمة فهي تعني عموماً "المبلغ الذي يحتاج إليه لجعل كميتين متساويتين أو متعادلتين، ثم توسعت دلالة الكلمة مرة ثانية فأطلق على الباقي أو صافي الفرق بين المبلغ الدائن والمبلغ المدين في الحساب"<sup>٢٥</sup>.

### البضاعة:

كانت الكلمة تعني في الأصل أي شيء يلبي حاجة، أو يعني بها أي شيء عناية أو مطلب. ثم توسعت الكلمة فأصبحت تعني أي شيء منقول وملموس يستخدم في التجارة<sup>٢٦</sup>.  
المشروع:

هو الطريق المأمون، وفي اصطلاح الفقهاء هو ما أتاح الشرع مزاولته ومداولته وهو من أصل كلمة الشرع، "وأصله الاتجاه نحو الشرعة" بكسر الشين كما هو مورد الماء ومصدر للارتواء بلا رشاء، والطريق المؤدى إليها تسمى: المشرع "بفتح الميم والراء" والشارع هو في العادة درب واضح مأنوس بالمارة، ثم اختفت تلك الدلالة جزئياً ونقل اللفظ إلى القانون الذي ينظم حياة الناس فلا يضلون الطريق لتتحول إلى دلالة مجردة على نظم العقائد والأحكام".  
لكن في اصطلاح الاقتصاد فإن دلالة الكلمة قذفت قذفاً شديداً من المدلولات السابقة واتجهت طريقاً آخر لتتحول من معنى الأمان والإتاحة والتمهيد إلى معنى المغامرة والخطورة. ففي علم الاقتصاد "عمل ينطوي على شيء من المغامرة والخطورة خصوصاً في حقل التجارة، أي الشركة أو المؤسسة، ثم توسعت دلالة الكلمة فعني بها المبادرة والطاعة والحيوية والرغبة في المخاطرة والمجازفة" فهذه الجازفة متأتية من إمكانية التربح والنجاح من جانب أو الكساد والخسارة في ذلك المشروع. فالمشرع بهذه الدلالة أوسع من التجارة التي ترتبط بالحركية والتجول ومباشرة العمل، فالاستثمار في البورصة - على سبيل المثال - لا يتطلب أكثر من شراء الأرصدة عن طريق السماسرة، ثم متابعة أخبار ارتفاعها أو هبوطها عبر الاتصال التليفوني، مع ذلك سمي مشروعاً لما فيه من المخاطرة والمجازفة التي كلها تدخل تحت مدلول مشروع كما في جريدة الأهرام.

### التمويل:

في الأصل تعني "تقديم رأس المال" مول قدم رأس المال<sup>٢٧</sup>. وبالتوسع يعني "علماً أو فناً أو نظاماً في معالجة القضايا المالية في الدولة أو الولاية أو الشركة أو تدبير الأموال والسلف وتنظيم شؤونها وإدارتها".

**السهم:**

تطورت دلالة هذه الكلمة إلى عدة مدلولات فتعني: النصيب والحظ، وتغير الوجه، جاء في لسان العرب "السهم: واحد السهام، والسهم: النصيب المحكم، السهم: الحظ، ويأتي بمعنى تغير الوجه كما جاء في حديث أم سلمة، يا رسول الله ما لي أراك ساهم الوجه"<sup>٢٨</sup>. وفي اصطلاح الاقتصاد: تعني الكلمة "حصّة في ملكية الشركة أو في رأس مال الشركة المستثمر والموزع على حصص يملكها أشخاص متعددون بموجب شهادات أو صكوك.

وتعني الكلمة أيضا: البضائع التي هي أساس كل عملية أو قوامها، أو رأس مال متجر البيع بالمفرق. وحسب الاصطلاح الحديث يقصد بها: المواد المعدّة للتصنيع في الشركة، أو المواد التي يجري تصنيعها أو البضائع المنتهية الصنع الجاهزة للبيع<sup>٢٩</sup>. فانتقال الكلمة من الحظّ والنصيب مطلق إلى تخطيطها، بل رأس مال المتجر أو المواد المعدّة للتصنيع، أو التي يجري تصنيعها أو الجاهزة للبيع، كلّ هذه الأطوار يعتبر نوعا من التغير أو التطوّر الدلالي.

**تعويض:**

تعني الكلمة في الأصل (الخلق)<sup>٣٠</sup>. فهي (تعني أي مبلغ يدفع كتعويض عن أضرار وخسائر، كالذي يدفع بموجب القوانين الخاصة بتعويض العمال)<sup>٣١</sup>.

هذا هو المفهوم الأساسي للكلمة قبل أن يصيها نوع من التعميم، حيث عني بها أيضا (مبلغا من المال يدفعها شخص مقابل شيء ذي قيمة، أو المكافئة أو المال الذي يدفع عن خدمات المادة)<sup>٣٢</sup>. والمفهوم الأخير هذا، نوع من التوسيع الدلالي.

**الخاتمة**

بهذا نأتي إلى آخر هذه المقالة التي تتبعنا فيها كيف تطور المعنى من القديم القاموسي إلى الجديد الاقتصادي، وهذا كله من باب توسيع المعنى، حيث أصبحت الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول. أتى الباحثان بهذا النوع من التوسيع الدلالي في المفردات ذات الدلالات الاقتصادية كما مثل

بكلمة "التضخم" التي تعني عموماً التخليط من كل شيء وتطلق على عظيم البصر الكثير باللحم، ثم تطورت دلالة الكلمة وأطلق على الزيادة المفاجئة والحادة في الأسعار، أو الانخفاض في قيمة العملة سببه زيادة في كمية العملة المتداولة بالنسبة إلى كمية البضائع والخدمات المتوفرة.

ومن النتائج التي توصل إليها الباحثان:

- أن البحث في هذا المجال يزيد الثروة اللغوية.

- تشجيع الباحثين على البحث في ما تتميز به اللغة العربية من خصائص وأسرار في مختلف المجالات.

- الاهتمام بالدراسات اللغوية الحديثة لإثراء مكتبتنا العربية.

## الهوامش والمراجع

١. راميل بديع يعقوب، الدكتور وغيره (١٩٨٧) المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ج ١. ص ٤٦٦.
٢. فر يد عوض حيدر، علم الدلالة: دراسة نظرية وتطبيقية، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٥م)، ص، ٧٢.
٣. المرجع نفسه والصفحة.
٤. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٢، دار المشرق، بيروت، ص ٧٢.
٥. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الأول، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان. ص ٣٤٩.
٦. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، باب هلك، المكتبة الشاملة، ص ٥٠٣.
٧. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، الطبعة الأولى، عربي/ إنجليزي، مكتبة لبنان مكتبة لبنان. ص ١٣٢.
٨. لسان العرب، ج ١١، المرجع السابق، المكتبة الشاملة، ص ٣٥٠.
٩. لسان العرب، المرجع نفسه، بتصريف، ج ٦ باب نعش، المكتبة الشاملة، ص ٣٥٥.
١٠. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ٧٠.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، المرجع السابق، المجلد الثالث، ص ٧٧ - ٧٨.
١٢. ابن المنظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت. ١٩٥٦ م ١٣٧٥ هـ. ص ٣٥٣.
١٣. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ٢٨٦.
١٤. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع نفسه، ص ٢١.
١٥. الدكتور نزيه حمادة، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، ص ٣٠.
١٦. أحمد بن محمد بن عليّ المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بتصريف، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦٥٣.



١٧. معجم مصطلحات الاتصال والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ١٦٨.
١٨. المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ص ٢٧.
١٩. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ٢٨٣.
٢٠. لسان العرب، المرجع السابق، المجلد ١١، باب حصل، المكتبة الشاملة، ص ١٥٣.
٢١. لسان العرب، المرجع السابق، باب رصد، المكتبة الشاملة، ص ١٧٧.
٢٢. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ٤٣.
٢٣. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع نفسه، ص ١١٨.
٢٤. الدكتور أحمد دراج، علم الدلالة وآليات التوليد الدلالي، ط ١، القاهرة مكتبة الآداب، ٢٠٠٩. ص ٧٧-٧٨.
٢٥. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، المرجع السابق، ص ١٩٧.
٢٦. لسان العرب، المرجع السابق، ص ١٩٧.
٢٧. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص ١٣٦٧.
٢٨. لسان العرب، المرجع السابق، ص ٤٨٢.
٢٩. لسان العرب، المرجع نفسه، المجلد ١٢ باب سهم. ص ٣١٤.
٣٠. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال، المرجع السابق، ص ١٩٧.
٣١. مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ص ٤٤٤.
٣٢. معجم مصطلحات الاقتصاد والمال، المرجع السابق، ص ١٩٧.

## دور المخطوط في إبراز التراث العربي النيجيري

### كتاب "الشامل" لموسى الطويل نموذجاً

د. عمر ثاني فغي

**Umar Sani Fagge (Ph.D)**

قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو - نيجيريا

08069486270

#### المقدمة:

هذا المقال: " دور المخطوط في إبراز التراث العربي النيجيري " محاولة لتقديم مخطوط نفيس ألفه الشيخ موسى الطويل، وسماه: الشامل. وضعه نثراً في علم النحو والصرف والخط، ونسج في تأليفه على منوال السيوطي بغية تصحيح ترتيب الأبواب النحوية والصرفية في "همع الهوامع". والمؤلف من عمالقة القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، والقرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وهو من الطبقة الثانية لعلماء حركة الجهاد الفودوي في صكتو. وهدف تقديم المقال هو النظرة في كتاب الشامل ومحتوياته، للوقوف على نفائس علمية فيه. ويظهر بذلك أن المكتبات العربية الإسلامية في بلاد الهوسا زاخرة بالمخطوطات النفيسة القيمة لم تر النور بعد، وتطالب من المؤسسات العلمية خاصة والجامعات إحياءها للاستفادة من كنوزها وثرواتها الفكرية والعلمية والحضارية. ويدور البحث حول ثلاثة مباحث وخاتمة، كما يلي:

المبحث الأول: نبذة عن الشيخ موسى الطويل وآثاره العلمية.

المبحث الثاني: كتاب الشامل ومحتوياته.

المبحث الثالث: منهج موسى الطويل في تأليف الشامل.

الخاتمة: خلاصة ونتائج.

### المبحث الأول: نبذة عن الشيخ موسى الطويل وآثاره العلمية.

هو موسى بن عبد الله بن جبريل الملقب بثلاثة ألقاب: موسى الأديب، لعلو كعبه في العلم والأدب (١)، وموسى الطويل، لطول قامته (٢)، وموسى المنشأ (٣). وهو من عمالقة القرن الثاني والثالث عشرة الهجريين، والقرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ومن الطبقة الثانية لعلماء حركة الجهاد في دولة صكتو (٤). أَلَّفَ كُتُبًا بالعناوين التالية:

١- غليل طالب النحو والصرف والخط الشافي.

٢- الشامل.

٣- السائل في شرح الشامل.

٤- سُئِمَ الطالع على الكوكب الساطع (٥).

يجدر بالباحث أن يقف وقفة يسيرة هذه المخطوطات التي تعد من أنفس موسوعات الدراسات العربية والإسلامية لتسليط الضوء عليها إبرازاً لقيمتها العلمية.

### غليل طالب النحو والتصريف والخط الشافي.

هو كتاب ضمّنه مؤلفه المصادر المعتمدة في علم النحو والصرف والقراءات، وهو من أهم قائمة المشاهير الثقات في علم العربية، وهو مخطوط وضعه المؤلف نثراً في تسعمائة واثنين وعشرين ورقة (٦).

كتاب الشامل: وضعه المؤلف نثراً في علم النحو والصرف والخط، في خمسمائة وثمان ورقة (٧)، وسلك في تأليفه على منوال السيوطي في همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، فهو موضوع هذا البحث، قام الباحث بدراسته وتحقيقه للحصول على درجة الدكتوراه.

السائل في شرح الشامل: هذا الكتاب شرح وبسط لكتاب الشامل، وهو مخطوط وضعه المؤلف نثراً لزيادة الإيضاح في عبارات الشامل، وأضاف في نهايته علم العروض، وعلم البلاغة بأنواعه الثلاثة: (المعاني، والبيان، والبديع)، في سبعمائة واثنين وسبعين ورقة. (٨)

سَلَّم الطالع على الكوكب الساطع: مخطوط وضعه المؤلف نثرا، وهو شرح لكتاب الكوكب الساطع للسيوطي في علم أصول الفقه ومبادئ التصوف، ويحمل الكتاب في ثناياه مقدمة وسبعة كتب وخاتمة، في مائتين وثلاثين ورقة (٩).

ويبدو من هذه الكتب أن الشيخ موسى الطويل عالم نحوي صرفي بلاغي عروضي أصولي، أضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية من كنوز المعرفة ما يستحق الإشادة. ويرى الباحث أنه عبء على الأمة الإسلامية أن يقوم البعض بدراسة وتحقيق هذه الكنوز المعرفية ليستفيد منها العالم.

**المبحث الثاني: الشامل ومحتوياته:** يريد الباحث هنا أن يزود القارئ بموضوع الكتاب وشكله، لإبراز الدرر العلمية فيه.

**موضوع الكتاب:** يدور موضوعه في فلك النحو والصرف والخط، جعله المؤلف حسب الفنون الثلاثة، وهما أقسامه:

القسم الأول في النحو: هو أوفر الأقسام حظا، عالج فيه المؤلف القضايا النحوية بكثافة، حتى بلغ عدد صفحاته ثلاثمائة وسبعا وستين صفحة (٣٦٧). (١٠).

القسم الثاني في التصريف: عالج المؤلف في هذا القسم القضايا الصرفية بأنواعها؛ أي تصريف الأسماء وتصريف الأفعال، والإعلال والإبدال، وبلغ عدد صفحاته مائة وأربعا وعشرين صفحة (١٢٤).

القسم الثالث في الخط: هذا القسم أشبه بالتذييل للكتاب، عالج فيه المؤلف قواعد الرسم الاصطلاحي، والرسم المصحفي، والخط العروضي، وبلغ عدد صفحاته ثمانين صفحة (٨).

**شكل الكتاب:**

جعل المؤلف شكل كتابه على النحو التالي:

- التمهيد: يقع التمهيد في صفتين، ويشمل البسملة والحمدلة والصلصلة، وبيان الموضوعات التي يتناولها الكتاب مع ذكر بعض المصادر صراحة وبعضها ضمنا، ثم اللمحة الخاطفة عن منهج التأليف مع الاعتراف بالعجز البشري، والنقص الإنساني،

فالإشارة إلى الهدف من تأليف الكتاب الذي هو تقريب البعيد، ورد الشريد، والإراحة من التعب، ثم الختام بالأدعية (١١).

- المقدمة: حوت المقدمة في ثناياها خمسا وستين صفحة، وعالجت ثلاث عشرة قضية من القضايا النحوية، وهي: الكلمة، والكلم، والجمله، والقول، والبناء، والإعراب، والحركات، والمبني، والمعرب، وما خرج عن الأصل من الإعراب والنكرة والمعرفة (١٢).

- صلب الموضوع: وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام: النحو والصرف والخط، وهو بمثابة التذييل. والقسم الأول يحمل في طياته خمس شعب من القضايا النحوية، وهي:

الشعبة الأولى: عبارة عن العمد، جمع عمدة، وهو اسم أطلقه النحاة على كل لفظ معناه أساسي في الجملة، لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلمة إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به، ويشمل المرفوعات، والمنصوبات بالنواسخ. ويندرج تحت هذه الشعبة خمسة موضوعات:

أولها: المبتدأ؛ ويندرج تحته ثلاثة أشياء: أحكام المبتدأ - وأنواعه - وآراء العلماء حول ذلك. ثانيها: الخبر؛ ويندرج تحته ثلاثة عشر مبحثا من مباحث النحو، مثل: مغايرة الخبر للمبتدأ - واتحادهما - وإفراده وغير ذلك.

ثالثها: النواسخ؛ وتحتها أربعة مباحث:

أ- كان وأخواتها: عالج تحت هذا البحث ثلاث عشرة قضية نحوية، مثل: ما يعمل بلا شرط - وما يعمل بعد ما الظرفية وهي دام - وما يعمل بعد نفي وهي زال وانفك - وما إلى ذلك.

ب - أفعال المقاربة، تمت في هذا المبحث معالجة ثمان قضايا نحوية مثل: ما دلّ على المقاربة - ما دل على الشروع - ما دل على الترجي وغيرها.

ج - إن وأخواتها: عالج تحت هذا المبحث ثلاث عشرة قضية نحوية مثل: حكم تقديم خبرها - وحكم تأخير خبرها - وحكم حذف خبرها وما إلى ذلك.

د - الأفعال الدالة على الظن: أورد تحت هذا المبحث ثلاثة وأربعين نوعا من الأمثلة، مثل: حجا - ووعد - وزعر - وجعل - وهب - وعلم، وما إلى ذلك.

ثم قسم هذه الأفعال إلى ثلاثة أنواع: نوع يدل على الظن، ونوع يدل على التحويل، ونوع ألحق بأعلم.

رابعها: الفاعل، وتحتته ستة مباحث مثل. التعريف بالفاعل - وتقسيمه إلى صريح ومؤول - وتأخير عن الفعل - وما إلى ذلك.

خامسها: نائب الفاعل، وتحتته خمسة مباحث مثل: أسباب البناء للمجهول - وتعيين نائب الفاعل حيث تعدى الفعل لأكثر من مفعولين وما إلى ذلك (١٣).

**الشعبة الثانية:** عبارة عن الفضلات: جمع فضلة، وهو اسم أطلقه النحاة على كل لفظ معناه غير أساسي في الجملة، ويتم الكلام بدونه، وهي: المنصوبات غالباً؛ وتحتها ثمانية مباحث وهي على النحو التالي:

١ - المفعول به؛ وتحتته ست قضايا نحوية مثل: المفعول به - والإغراء والتحذير وما إلى ذلك.

٢ - المفعول المطلق؛ وتحتته سبع قضايا نحوية، مثل: خلاف النحاة حول الأصالة فيه - والإفادة - والحكم - والنيابة عن المبين وما إلى ذلك.

٣ - المفعول له؛ وتحتته ست قضايا نحوية، مثل: مفهومه - ومشاركته الفعل وقتاً، وفاعلاً وما إلى ذلك.

٤ - المفعول فيه؛ وتحتته إحدى عشرة قضية نحوية، مثل: إبهامه - مختص معدود - مختص غير معدود وما إلى ذلك.

٥ - المستثنى؛ وتحتته عشرون قضية نحوية، مثل: التعريف به - وتقسيمه إلى متصل ومنقطع - واختصاص المنقطع بأدوات معينة وما إلى ذلك.

٦ - الحال، وتحتته ثلاث عشرة قضية نحوية، مثل: نصبه على الأصل - وجزه بباء زائدة - والانتقال وما إلى ذلك.

٧ - التمييز، وتحتته أربع عشرة قضية نحوية مثل: التعريف به - وأحكامه - وخلاف النحاة حول المبرر للنصب وما إلى ذلك.

٨ - نواصب المضارع، وتحت خمس قضايا نحوية مثل: لن بنوعها - ونفي مستقبل ممدود - ونفي مستقبل غير ممدود وما إلى ذلك (١٤).

الشعبة الثالثة: عبارة عن المجزورات: وتحتها ثلاثة مباحث:

أ - مبحث المجزورات بالحروف، وهو منقسم إلى قسمين: قسم تحته عشرة أحرف من حروف الجر، مثل "إلى" و"الباء" و"عن"، وغير ذلك. والقسم الآخر تحته حروف القسم الأربعة، وهي "الباء" وخصائصها، و"التاء"، و"الواو"، و"أيم".

ب - مبحث المجزورات بالإضافة، وتحت ثمان قضايا نحوية، مثل: مفهوم المجزورات بالإضافة - وأنواع الإضافة - وأحكام المضاف وغير ذلك.

ج - مبحث المجزورات بالمجاورة، يكون في عطف النسق، وفي عطف بيان، وفي النعت بقلة، وفي التوكيد بندرة.

الشعبة الرابعة: عبارة عن شعبة الجوازم والحروف غير العاطفة. أما الجوازم فتحتها مبحثان وتذييل:

أ - مبحث الجازم لفعل واحد، وهو أربع أدوات: لا الطلبية - لم - لما - ولام الطلب.

ب - مبحث الجازم لفاعلين: وهو إحدى عشرة أداة، وهي: إن - وإذما - وما - ومن - ومهما - وأين - وأنى - وحيثما - ومتى - وأين - وأي.

ج - التذييل وهو لو وأحكامها، وأما وأحكامها.

أما الحروف غير العاطفة فتحتها تسعة عشر حرفاً، مثل: الهمزة للاستفهام - والألف اللينة - وألاً، وما إلى ذلك. (١٦)

الشعبة الخامسة: عبارة عن نوني التوكيد والعوامل والتوابع وعوارض التركيب: وتحتها اثنا عشر مبحثاً، وهي:

١ - مبحث نوني التوكيد، وتحت عشر قضايا نحوية مثل: مواضع دخولها - ووجوب دخولها - ومنع دخولها وغير ذلك.

- ٢ - مبحث التنوين، وتحتة ثلاث قضايا نحوية وهي: أدلة دخوله في الأسماء - دخوله قياسا وسماعا - أقسامه.
- ٣ - مبحث العوامل، وتحتة تسع قضايا نحوية مثل: الفعل - والمصدر - واسم الفاعل وغير ذلك.
- ٤ - مبحث التنازع في العمل، وتحتة ست قضايا نحوية مثل: التعريف به - وشرطه - وأنواعه من حيث تعدد العامل والمعمول، وغير ذلك.
- ٥ - مبحث الاشتغال، وتحتة ثلاث قضايا نحوية مثل: التعريف به - وشرطه - وأحكامه الخمسة بالنسبة لما يترجح نصبه وما إلى ذلك.
- ٦ - مبحث التوابع، وتحتة خمسة أشياء وهي: النعت - والبيان - والتوكيد - والبدل - والنسق.
- ٧ - مبحث التاريخ، وهو مراعاة القواعد النحوية في تاريخ الليالي والأيام بالنظر لما مضى من السنة والشهور، أو لما بقي منها، وتحت هذا المبحث ثلاث قضايا وهي: قاعدة التاريخ من ما مضى من السنة والشهر - وقاعدة التاريخ من ما بقي من السنة والشهر - وقاعدة ما يؤرخ به وهو الليالي.
- ٨ - مبحث الحكاية، وتحتة قضيتان؛ هما: حكاية الجماعة وحكاية المفرد - وأحكام كل واحدة منهما.
- ٩ - مبحث التأنيث، وتحتة ثماني قضايا مثل: موقف التأنيث - وعلامات التأنيث، وأحكام تأنيث الفعل وغير ذلك.
- ١٠ - مبحث العدد، وتحتة ثمان عشرة قضية وهي: إثبات التاء في العدد من ثلاثة إلى عشرة إذا كان المعدود مذكرا - وحذف التاء في ذلك العدد، إذا كان المعدود مؤنثا، وما إلى ذلك.
- ١١ - مبحث الضرائر، وهو نقل حركة، أو حرف لغير محله لضرورة شعرية أو للحفاظ على السجع.
- ١٢ - باب السبك، أو باب الإخبار بالذي وفروعه، وبالألف واللام، وتحتة مبحثان هما:



**المبحث الأول:** في حقيقة السبك وهي أربعة أشياء:

- أن تبتدى الكلام بموصول مطابق للمخبر به.
- أن تؤخر المخبر به إلى آخر التركيب.
- أن ترفعه على أنه خبر للموصول.
- أن تجعل في مكانه الذي نقلته عنه ضميرا مطابقا له في معناه وإعرابه.

**المبحث الثاني:** في الشروط، وفيه سبعة شروط لما يخبر عنه وهي:

- أن يكون قابلا للتأخير.
  - أن يكون قابلا للتعريف.
  - أن يكون قابلا للاستغناء عنه بالأجنبي.
  - أن يكون قابلا للاستغناء عنه بالمضمر.
  - جواز وروده في الإثبات.
  - كونه جملة خبرية.
  - أن لا يكون في إحدى جملتين مستقلتين.
- وإن كان الإخبار بالألف واللام اشترط فيه عشرة شروط، الشروط السبعة المذكورة، وثلاثة أخرى، وهي:

- أن يكون المخبر عنه جملة فعلية.
- أن يكون فعلها متصرفا.
- أن يكون مقدما.

وهنا نهاية مباحث علم النحو في الكتاب، ويليه مباحث علم التصريف (١٧).

### القسم الثاني من الكتاب

وهذا القسم عبارة عن مباحث علم التصريف بأنواعه.

والشعبة الأولى في هذا القسم هي الشعبة السادسة في تقسيم أصل الكتاب، والشعبة الثانية فيه هي الشعبة السابعة في تقسيم الكتاب.

الشعبة السادسة: تحت هذه الشعبة واحد وعشرون مبحثاً، مثل: مبحث الوزن ومبحث الماضي والمضارع والأمر وغير ذلك (١٨).

الشعبة السابعة: تحت هذه الشعبة تسعة مباحث مثل:

مبحث أمارات الزيادة وأدلتها، ومبحث الإبدال، ومبحث النقل وغير ذلك.

هنا نهاية مباحث علم التصريف في الكتاب ويليه التذييل (١٩).

### فن الخط:

جعل المؤلف فن الخط بمثابة الملحق للمباحث السابقة، وتحت أربعة مباحث: وهي:

- مبحث التعريف بفن الخط.

- مبحث الرسم الاصطلاحي.

- مبحث الخط العروضي.

- مبحث الرسم المصحفي.

وختم الكتاب بخاتمة تحمل في ثناياها بيان مدة التصنيف، وبيان تحرى الدقة في النقل عن المشاهير، و الترتيب الدقيق في سرد القضايا، مع الأدعية بالقبول و الفوز. المبحث الثالث: منهج الشيخ موسى الطويل في تأليف كتابه الشامل.

درس الشيخ موسى الطويل كتب النحاة القدامى منهم والمتأخرين، واستوعبها، ووقف على المدارس النحوية المختلفة من مدرسة البصرة، والكوفة، ومصر، والأندلس، وبغداد، وأحاط بمذاهبها النحوية، وتأثر بأرائها، ويمثل كتاب الشامل خير مثال لخلاصة دراساته النحوية والصرفية واللغوية، ومنه يستخلص منهجه النحوي في التأليف.

وبوقوف الباحث على كتاب الشامل اتضح له منهج المؤلف النحوي، وهو على

النحو التالي:

منهج يمزج بين دراسة النحو وأصول النحو، ويعتمد على جمع الآراء المختلفة والحكم عليها عن طريق بيان الصحيح والمشهور والضعيف، والترجيح، والاختيار، وفيه ميل إلى منهج الكوفيين في التعويل على قياس التمثيل، وهو القياس على ما لم يرد به نقل، وفيه طابع من

يُجيز الاحتجاج بكل ما قرئ به القرآن، سواء كان متواترا، أم آحادا، أم شاذا، وفيه أيضا طابع جواز الاحتجاج بألفاظ الحديث وتراكيبه، وفيه أيضا طابع المزج بين الدراسات النحوية واللغوية.

أما خصائص هذا المنهج فيمكن إجمالها في النواحي الآتية:

١/ استعمال نظام العناوين: كان يستهلّ مباحثه بالعناوين لا بالأبواب

والفصول.

٢/ ترتيب مسائل النحو ترتيبا تعليميا: يعتمد في ترتيب مسائل النحو على

المناسبة وارتباط اللاحق بالسابق، وبهذا استطاع إدخال التصحيحات في ترتيب السيوطي في "مع الهوامع" لمسائل عوارض التركيب (٢٠)، وتصحيح سهو ابن هشام الأنصاري في مغنيه من حيث الخلط بين آيتي البقرة والأعراف، ووضعها تحت مبحث غير مناسب وهو حذف المعطوف عليه (٢١)، ووضع موسى في المكان المناسب وهو حذف الواو مع المعطوف.

وكان هذا صورة واضحة لمنهج المعلم الذي أتقن فنه وأحاط بتفاصيله وخبر خصائصه ودقائقه، ثم وضعه بعد الخبرة والتجربة منهجا صافيا سائغا للدارسين.

٣/ مزج النحو بأصول النحو.

٤/ الإيضاح: من خصائص منهجه، إيضاح المسائل النحوية وذلك في معالجته لقضية

تقديرات الإعراب وغير ذلك.

٥/ عنصر التشويق: يستعمل المؤلف أساليب الوعد تشويقا للقارئ ليتابعه في مسيرته

التأليفية، في أكثر من عشرة مواضع.

٦/ الإيجاز غير المخل: يظهر ذلك في معالجته لقضايا المضمرة.

٧/ الإحالة إلى بعض المصادر والمشاهير: من سمات منهجه إحالة القارئ إلى بعض

المصادر والمشاهير لزيادة الاستفادة.

٨/ كثرة الاستشهاد بالآيات والأبيات: استشهد في الكتاب بما يزيد عن ألف

وأربعمئة من آي الذكر الحكيم، وبثلاثة وسبعين بيتا من الشعر في المبحث الموصول فقط.

٩/ الاستشهاد بالأحاديث: يعدّ ممن تبنى مذهب من يجيز الاستشهاد بالحديث مطلقاً، لذلك استشهد بثلاثة ومائة حديث من الأحاديث الشريفة.

١٠/ الدقة في التعبير: يمتاز صاحب الشامل بالدقة في صوغ الأحكام وعرض المذاهب والآراء.

#### الخاتمة:

استوعب البحث بعنوان دور المخطوط في إبراز التراث العربي النيجيري النبذة عن الشيخ موسى الطويل وآثاره العلمية التي منها كتاب الشامل، حيث تمّ عرض شكله ومحتوياته النحوية والصرفية وفن الخط. ثم تعرض لمنهج المؤلف العلمي وخصائص ذلك المنهج، وأسفر عن النتائج التالية:

- أثبت البحث أن المخطوط له دور في إبراز التراث العربي النيجيري كما اتضح ذلك من كتاب الشامل.
- تعرف على منهج المؤلف وخصائص ذلك المنهج، وبه استطاع إدخال التصحيحات في التركيب النحوي لهمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي.
- تصحيح قضية من قضايا العطف والاستشهاد بأي الذكر الحكيم استشهاداً صحيحاً.

## الهوامش والمراجع

- ١- بنظر: *دراسات عربية*؛ مجلة اللغة العربية جامعة بايرو كنو، العدد الثالث، عام: ١٩٧٧م. وهي مكتوبة على الآلة الكاتبة.
- ٢- مقابلة شخصية مع الشيخ مجتبي غل غل، ومالم إبراهيم غندى؛ نجل المرحوم الوزير جنيد صكتو، وذلك ٢٥ من مايو عام ٢٠٠٧م.
- ٣- الوزير عبد القادر غداد: *مجموع الوزير في مناقب الأمير*، ص: ٦، مخطوط.
- ٤- \_\_\_\_\_: *بسط الفوائد وتقريب المقاصد*، ص: ١٥ مخطوط.
- ٥- John O Hunwick: *Arabic Literature of Africa* p:217 – 218
- ٦- الشيخ موسى الطويل: *غليل طالب النحو والصرف والخط الشافي*، مخطوط، يوجد في مكتبة "مالم مصطفى السلام عليكم"، "قوفر عتيق" في مدينة صكتو.
- ٧- \_\_\_\_\_ *كتاب الشامل*، مخطوط، يوجد في مكتبة المرحوم الوزير جنيد في مدينة صكتو بدون رقم، ومكتبة المرحوم الشيخ محمد ناصر كبر، ومكتبة المرحوم الشيخ إبراهيم عمر كبو، ومكتبة الشيخ مجتبي غل غل في مدينة صكتو.
- ٨- \_\_\_\_\_ *السائل في شرح الشامل*، مخطوط، يوجد في مكتبة الشيخ مجتبي غل غل في مدينة صكتو.
- ٩- \_\_\_\_\_ *سلم الطالع على الكوكب الساطع*، مخطوط، يوجد في مكتبة الشيخ مجتبي غل غل في مدينة صكتو.
- ١٠- عمر ثاني فغي، (الدكتور) *الشامل*، دراسة وتحقيق، ص: ١٤.
- ١١- \_\_\_\_\_: *التعريف بكتاب الشامل للشيخ موسى الطويل*، ندوة علمية مقدمة للحصول على الدرجة الدكتوراه بجامعة بايرو كنو، عام ٢٠١٢م، ص: ١٥.
- ١٢- المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ١٣- المرجع نفسه، ص: ١٧.

- ١٤- المرجع نفسه، ص: ١٩.
- ١٥- المرجع نفسه، ص: ٢٠.
- ١٦- المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ١٧- المرجع نفسه، ص: ٢٣.
- ١٨- المرجع نفسه، ص: ٢٤.
- ١٩- المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ٢٠- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الموامع في شرح جمع الجوامع، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٧هـ ج: ٣ ص: ٢١١-٢٣٥.
- ٢١- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق وتعليق: مازن مبارك (الدكتور)، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٩٩٢م، ص: ٨٢٠-٨٢٢.

## أهمية المخطوطات العربية في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا

الدكتورة فاطمة محمد الثاني

قسم الدين والفلسفة، جامعة جوس

08034503066

### المقدمة

الحمد لله الذي جلّ شأنه، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم. وبعد، فلا شك أن المجتمع الإنساني لا يتطور تطورا ثقافيا إلا عن طريق الاهتمام بالتراث العلمي الذي ورثتها أمة هذا المجتمع من أجدادها العلماء. وهذا التراث العلمي الثقافي هو ما يمهد الطريق للمجتمع كي يسير على الخير والصواب. والمخطوطات العربية أفضل ما يساعد على تطوير ثقافة القوم، لما تحتويه من فوائد علمية يحتاج إليها المجتمع النيجيري.

فمهمة هذه المقالة تكمن في إظهار أهمية المخطوطات العربية في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا من حيث التركيز على التعريف بالمخطوط وما لها من الأهمية في تثقيف المهتمين بالعربية في المجتمع النيجيري. وستنحصر المقالة في المحاور الآتية:

- مفهوم المخطوطات.
- مضامين المخطوطات العربية في نيجيريا ودوافعها.
- أهمية المخطوطات.
- ثم الخاتمة.

### مفهوم المخطوطات في اللغة والاصطلاح

المخطوطات في اللغة من مخطوط، أو مخطوطة، وهي كلمة مشتقة من الخط، يقال: "خط بخط" أي كتب يكتب، فالمخطوط هو المكتوب بخط اليد، والمخطوطة كتاب كتب بخط اليد، أي النسخة المكتوبة باليد<sup>١</sup>. وجمعها مخطوطات. وأما معنى المخطوطات في الاصطلاح

فهو لا يختلف عن معناه اللغوي، إذ هو عبارة عن ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها<sup>٢</sup>. والمخطوط اسم يطلق على كل مكتوب غير مطبوع. حاول بعض الباحثين والعلماء تعيين تعريف مناسب لكلمة المخطوطة وتحديد مدة زمنية لما يعتبر مخطوطة، منهم الدكتور محمد أحمد ميغا حيث يميل إلى أنها هي ما كتبت على ورق ونحوه ومضى على كتابته خمسون سنة فأكثر<sup>٣</sup>، إلا أن البروفيسور ولي سمبو جنيد يرى في ذلك انزلاقاً أكاديمياً؛ لأن ما قاله الدكتور لن يكون شرطاً على كونه مخطوطة، وأن المخطوط هو كل ما كتب باليد وغير مقيد بزمن، وكذلك كلما تم طبعه بدون تحقيق مبرر لصحته فهو مخطوط عنده، وهذا وفقاً لرأي شيخ المحققين عبد السلام محمد هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها<sup>٤</sup>.

يمكن تحديد أنواع المخطوطات حسب المراتب بالمعاني الآتية:

**الأولى:** النسخة الأصلية التي خطتها يد المؤلف، أي كتبها المؤلف بيده، وتدعى بالنسخة الأم، ونسخة المخطوطة المصورة منها بمنزلة النسخة الأصلية إذا كان التصوير واضحاً مثل النسخة الأم، فتأتي بدرجة النسخة المسودة.

**الثانية:** النسخة التي أملاها المؤلف لشخص آخر فكتبها ذلك الشخص بيده بأمر من المؤلف.

**الثالثة:** النسخة المنسوخة أي المنقولة عن الأصلية، ولو نقل بعد فترة طويلة من الكتابة الأصلية أي النسخة الأم.

**الرابعة:** النسخة التي ينسخها الوراقون، إلا أنه ليس لمثل هذه النسخ أهمية حيث لا يمكن الاعتماد عليها في كثير من الأوقات<sup>٥</sup>.

وأما بالنسبة إلى لغة كتابة المخطوطات، فإنها تكتب بأية لغة من اللغات العالمية، كما بين ذلك البروفيسور سمبو ولي جنيد في مقالة له: "إن المخطوط قد يكون مكتوباً باليد وبأية لغة من لغات البشر وبأي نوع من الخط سواء أكان خطاً عربياً أو صينياً... أو غير ذلك"<sup>٦</sup>.



## مضامين المخطوطات العربية في نيجيريا ودوافعها

المخطوطات العربية في نيجيريا هي تلك الكتب أو مجموعة من الأوراق التي كتبت باليد، أي أوجدها علماء نيجيريا وأدباؤها، إما في العصور القديمة أو الحديثة، ولهذه المخطوطات فوائد وأهمية في إصلاح المجتمع النيجيري. يمكن اعتبارها علما وضع لتعليم وتثقيف العامة ليسيروا في حياتهم على بصيرة وهداية، وليمكنوا من مواجهة التحديات العلمية التي تواجه كل مجتمع من حين لآخر، كما تشتمل على توجيهات عقول الناس من عادات مذمومة إلى القيم الأخلاقية النبيلة، حتى يتم القضاء على كثير من المفاسد والخرافات، ولتستقر الخصال السامية المحمودة الحسنة<sup>٧</sup>.

من المعروف أن دولة نيجيريا من الدول التي تعتبر الوارثة الحقيقية للدول الإسلامية المتعاقبة على غرب أفريقيا، حيث ورثت منها دينا وثقافة وعلمًا وحضارة، وقد ترك العلماء النيجيريون الكرام مخطوطات كثيرة بعضها تعالج القضايا الدينية كعلم الفقه والحديث والتفسير والفرائض، وبعض الآخر تهتم بالوقائع التاريخية والأحداث التي وقعت في ميدان الجهاد. ومنها ما يعنى بمعلومات تتعلق بالأحكام السياسية، والتي تتناول مواد اللغة العربية كالنحو والصرف وغيرها، إلا أن عدم وجود فهرس علمي دقيق جامع لهذه المخطوطات - كما قال بعض المؤرخين - سبب في ضياع معظمها.

بدأت المخطوطات النيجيرية منذ القرن الخامس الهجري، أي قبل كيان الدولة الإسلامية الفودوية بقرون، وقد أثبت العلماء العرب بعض الرسائل النيجيرية - مكتوبة بخط اليد - في مؤلفاتهم، كالقلقشندي في القرن التاسع والسيوطي في مطلع القرن العاشر<sup>٨</sup>.

وأما التحديد الزمني لأولية المخطوطات العربية في نيجيريا، فهذا يتوقف على تحديد عمرها، والذي ظهر في التاريخ هو أن القدماء سابقا كانوا يعرفون عمر المخطوطات بواسطة التاريخ المباشر، أو المقشر بالأبجدية، أو بأسماء المتكلمين، أو بعبارات وتوقيف وسماعات في الصفحة الأولى للمخطوطة، أو آخرها، أو بواسطة نوع الخط، أو الورق والخبر، لأن لكل عصر - كما ذكره سعد فهدي - خطأ وزخرفة وفنا تميزه عن غيره، أو يكون بمقارنتها بمخطوطة أخرى

مؤرخة في كتب الفهارس وكتب التراجم والتاريخ، وأما في عصر العولمة فقد استطاع علماء الكيمياء تحديد عمر المخطوطة بواسطة التحليل الكيميائي للأوراق ووجد المخطوطة<sup>٩</sup>. وعلى مدى تتبع ابن خلدون وأتباعه من المؤرخين لغرب إفريقيا، فقد حددوا مصدر العربية في غرب إفريقيا ومخطوطاتها على ست ممالك، انطلاقاً من المملكة صنهاجة وغانة ومالي وصنغاي وكانم وبرنو وأويو القديمة وخلافة صكتو الإسلامية الراقية، التي انطلقت سفينتها منذ أواخر القرون الوسطى على يدي التجار المسلمين، ثم الوافدين من العلماء كمغيلي وأحمد باب التمبكتي، وعبد الله الثقة، ونفر من الوناغرة، وغيرهم من السلف الصالح الذين وضعوا حجر هذه الخلافة التي تمت على أيدي الفوديين أي تلاميذ الشيخ جبريل بن عمر رحمهم الله جميعاً. ويمكن تحديد أولية المخطوطات العربية في نيجيريا بالرجوع إلى حدود نيجيريا الجغرافية التي تبدأ من بحيرة تشاد في الشمال الشرقي وتنتهي مع ولاية كبي وصكتو في الشمال الغربي، وفي الجنوب تتحد مع المحيط الأطلسي، فإن كان هذا موقع نيجيريا، فيجدر أن يقال إن المخطوطات العربية في نيجيريا بدأت مع آل برنو منذ القرن الخامس الهجري، ثم آل الونجرة في القرن السابع، ثم آل فودي في القرن الحادي عشر. وأما الإشارة إلى أولى مخطوطة معينة، أو مجموعة منها، فإنه أصعب ما يكون، ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة طرق الوصول إلى أكثر هذه المخطوطات.

قد تنقسم المخطوطات العربية في نيجيريا باعتبار كُتَّابها في جميع العصور التاريخية للغة العربية وآدابها في نيجيريا إلى أربعة أصناف اعتماداً على أقوال بعض الباحثين، وهي كالاتية<sup>١٠</sup>:

**الصنف الأول:** المخطوطات العربية المطبوعة من تراث الفوديين، منها: الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي، والبحر المحيط في النحو، تحقيق الأستاذ محمد صالح حسن، وتزيين الورقات تحقيق الأستاذ الدكتور بالوغن، والتأويل في معاني التنزيل للشيخ عبد الله بن فودي.

**الصنف الثاني:** المخطوطات العربية غير المطبوعة من تراث آل فودي، منها: الغصن الناضر في بعض قصائد عبد القادر لوزير جنيد، وديوان إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين

محمد بللو بن عثمان بن فودي، جمعه الوزير جنيد، وروض العاشق، تخميس عبد الله بن فودي.

**الصف الثالث:** المخطوطات العربية المطبوعة من تراث بعض العلماء النيجيريين، منها: مؤلفات الشيخ آدم عبد الله الإلوري، ومؤلفات الشيخ ناصر الكبرى، ومؤلفات الشيخ صالح الكانمي، ورسالة سلطان كاشنة أبي بكر بن الأمير إبراهيم إلى أمير المؤمنين عمر بن علي الأكبر، ونحوهما. ويمكن تلخيص مضامين المخطوطات العربية في نيجيريا ودوافعها على النقاط الآتية:

**التعليم الديني:** إن تعليم الدين الإسلامي الحنيف من الدوافع الأساسية لوضع معظم المخطوطات العربية في نيجيريا، فبعد دخول الإسلام إلى قارة إفريقيا عامة وديار نيجيريا خاصة، قام العلماء بتعليم الناس دين الإسلام وحرصوا على ذلك حرصا شديدا، لأن الناس في تلك الآونة غارقون في المعاصي وأفعال الجاهلية والكفر، وكانت هذه النشاطات الشنيعة هي السائدة بين الناس، فتمسك العلماء بالدعوة الإصلاحية وتوجيه الناس إلى سواء السبيل، مما دفعهم إلى كتابة المخطوطات هدف محاربة تلك الظواهر الرديئة، وشرح بعض الكتب الإسلامية، كما عكفوا على كتابة المنظومات العلمية المختلفة تيسيرا للفهم والحفظ وإجادة النطق للحروف، حيث تتميز تلك المخطوطات بسمات الأسلوب العلمي من سهولة التعبير وعدم إخفاء المعاني، لأن الغاية الأساسية لتدوينها هي تعليم الدين وتوضيح العقيدة الصحيحة ومقاصد الشريعة<sup>١١</sup>.

**تثقيف زمرة من أفراد المجتمع:** اعتبارا بما يحيط بتأسيس الدولة الإسلامية التي تسعى إلى تطبيق الأحكام الشرعية منذ البداية، دعت الحاجة إلى تثقيف طائفة من أفراد المجتمع بالثقافة الإسلامية والعربية السامية للقيام بالمسؤولية الحكومية للدولة،-لأن العربية هي اللغة الرسمية وقتئذ- كي يمكنها حمل أعباء الأنظمة الإدارية، كدواوين المنظمة والمحاكم الشرعية والرسائل المتداولة بين الحكام والقواد، فقامت الحكومة بتشجيع تعليم بعض الشعب وتثقيفهم، تشجيعا لهم على التعليم والتدريس والتأليف، حتى صارت بعض المدن مركزا علميا ثقافيا<sup>١٢</sup>.

ثم تطورت اللغة العربية تطورا باهرا، ونهضت حركة كتابة المخطوطات العربية بصفة خاصة متميزة على يدي جهابذة العلماء كعبد الله بن فودي وأمثاله، وكان له مجموعة من مؤلفات التي سميت بـ: "الضياءات" والتي تشمل في معلومات السياسة والقضاء وغيرهما من العلوم. وكان للشيخ عثمان بن فودي أيضا كتاب سماه بـ: "ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل"، وضعه ليوضح لأمرائه وولاته عدة مسائل سياسية متعلقة بالمجتمع الإسلامي، وتحدث كتابه "تنبيه الحكام" عن الحدود الشرعية أيضا<sup>١٣</sup>.

**الدفاع عن حركة الجهاد:** ثمة مخطوطات كثيرة جاءت لبيان أقسام الناس في بلاد هوسا وحكم كل منها، وكان بعضها يوجه الأنظار إلى الأسباب التي أدت إلى تكفير ملوك هوسا، مع ذكر موقف أهل هذه البلاد دفاعا عن حركة الإصلاح<sup>١٤</sup>. وأنه من المعروف أن سمعة هذه الحركة قد ذاعت إلى آفاق بعيدة بأخبار بعضها صحيح وبعض الآخر جريح منحرف. وقد أسفر مما ذكر وغيره تدفق المخطوطات العربية الكثيرة<sup>١٥</sup>.

### أهمية المخطوطات العربية في نيجيريا

إنه لا شك في أن للمخطوطات العربية أثرا وأهمية في تطوير كثير نواحي الحياة البشرية علميا وحضاريا، إلا أن الباحثة - في هذا البحث - تركز العناية على أهميتها في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا، ومن هذه الأهمية:

### إثراء المكتبات العربية النيجيرية

إن هذه المخطوطات العربية قد اشتملت على كثير من المعلومات التي يحتاج إليها المجتمع الإنساني، وقد تطرقت إلى فنون العلم. مما ثبت أن في بعض المكتبات الخاصة ومكتبة بعض جامعات نيجيريا مجموعة من المخطوطات العربية والإسلامية، فمثلا مكتبة جامعة إبادن تحوي عددا لا بأس به من تلك المخطوطات العربية والإسلامية، إذ سعى المسؤولون بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعة تجاه الاهتمام بدور العلماء بمدينة إبادن، فاستطاعوا أن يجمعوا ما تيسر من ذلك<sup>١٦</sup>. وكانت هذه المكتبات ترحب بكل طالب علمي يرغب في اطلاع عليها للدراسة، أو باحث يبحث في قضية، أو محقق يقوم بتحقيقها.

## تجهيز الطلاب بمواد الدراسة وتمارين الألسن على نطق الألفاظ العربية

من المعروف أن الثقافة اللسانية تزدهر ازدهارا فائقا؛ إذا اهتم الشعب بدراسة التراث الذي ورثوها من أجدادهم، ثم ساهموا في التدوين؛ لأنه رابط بين الماضي والحاضر، ثم المستقبل، لكونها الوثائق القوية التي حفظت التراث القديم. ولدراسة هذا التراث شأن عظيم لاكتشاف حياة الأجداد في الزمن الماضي والتعرف على علمهم وحضارتهم وثقافتهم، وما كان لتأثير هذه الحضارات والثقافات أو تفاعلها عبر تاريخها<sup>١٧</sup>؛ لأن الأمة مهما بلغت من العلم والتطور فإنها لا تستغني عن المخطوطات بحال من الأحوال، لأهميتها ومكانتها في المجتمع. علاوة على ما تقدم، كان لهذه المخطوطات العربية أهمية في ترمين الألسنة على النطق بالألفاظ العربية وذلك عن طريق تعلمها من العلماء البارعين، إما خلال التعليم التقليدي الموروث، فيستنتج إلى حذق المتعلمين للغة العربية وإتقانهم إياها.

## تزويد الباحثين بالموضوعات الدسمة القيمة لكتابة البحوث العلمية والأكاديمية

إن أهم ما يحتاج إليه الباحث هو المادة التي يطبق عليها عمله، وخاصة الباحث الأكاديمي، ولا يكون مرتاح البال حتى يحصل على المادة المناسبة لبحثه. لقد أزلت المخطوطات العربية تلك الصعوبات، لأنها تصلح للبحث، كما هي قابلة لإجراء البحوث في مختلف المراحل والمستويات العلمية داخل نيجيريا وخارجها، ويمكن للباحث الحصول على ما يكفيه من المخطوطات لكتابة بحثه، وذلك عن طريق الدراسة التطبيقية المختلفة، كالأدبية والنحوية والصرفية والبلاغية حسب رغبة الطالب الباحث وتخصصه. وكثيرا ما تجد البحوث والمقالات في المجالات العلمية والأدبية في نيجيريا كتبت حول مخطوطة من المخطوطات العربية بقصد إظهار مضمونها وفنيتها أمام القراء، أو بغرض كشف ما كان لها من القيمة العلمية الدسمة.

لقد تمت البحوث الكثيرة في بعض المخطوطات العربية - والحمد لله - ولكن مع ذلك لا تزال فيها ثغرات وفراغات تنتظر الباحثين لسدها وملتها، فمثلا ديوان الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي الذي جمعه الشيخ الوزير جنيد بن البخاري - رحمهما الله - وأسماه: "إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو"، هو مجموعة من قصائد في مختلف الأغراض

والموضوعات، كيميته التي مدح بها الإمام البوصيري، ومنها قصيدته في ذكر غزوة كنو، لا يزال في هذا الديوان قصائد تنتظر الباحثين بقصد كتابة البحوث عنها.

### تحقيق المخطوطات ونشرها

التحقيق كما عرّفه أهل العلم، هو إثبات المسألة بالدليل، ويدور معناه حول التصديق والإحكام والثبات<sup>١٨</sup>. وهو عبارة عن معلومات عامة حول النص وبذل مجهودات وعناية بمخطوطات ذلك النص حتى يمكن التثبيت من استيفائها لشرائط معينة، بغية الوصول إلى الأصل الصحيح أو إلى أقرب صورته<sup>١٩</sup>. وهو العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين. والتحقيق عملية تقتضي إخراج نص مضبوط على الصورة التي وضعها صاحبها أو أقرب إلى ذلك على الأقل. اتفق الشيوخ المحققون على أن يؤدي التحقيق نص الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه بقدر الإمكان<sup>٢٠</sup>.

نظرا لما تقدم من التعريف البسيط للتحقيق، يدرك أنه جهد علمي لا يقل أهميته عن التأليف، وله دوره الخاص في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا، لما فيه من إحياء تراث الأمة وإبرازه أمام الأجيال الحاضرة والقادمة. وإذا قام المحققون والباحثون بتحقيق التراث العربي الموروث من الأجداد، فسيكون ذلك عوناً للأمة في تطوير ثقافة أفرادها ومجتمعها؛ لأن التحقيق لا يتم إلا بالدراسة الدقيقة لنسخ المخطوطات التي تم جمعها، حيث ينظر المحقق إلى أبواب المخطوط وفصوله وأجزائه وخاتمته ليستفيد منه بما يعينه لعملية تحقيقه خاصة وميدان دراسته وتعليمه عامة. وأما النشر فهو منزلة التدوين بعد التحقيق، وكان من أهمية هذه المخطوطات العربية بعد النشر إمكانية الطالب والدارس من الوصول إلى تراث قومه وتعلم خلالها ما يكفيه لمواجهة التحديات العلمية في ميادين العلم والثقافة، التي تتصل بمواد اللغة العربية اتصالاً مباشراً، وتعيّنه كي يكون عالماً بعناصرها ومتقناً لها.

## الختام

وصلت المقالة إلى طورها الأخير بعد أن طافت حول التعريف اللغوي والاصطلاحي للفظ المخطوطات وذكر بعض مضامين المخطوطات العربية النيجيرية ودوافعها، مع الإشارة إلى أهميتها في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا، ويستنتج من هذه الجولة ما يلي:

- لتحقيق المخطوطات العربية ونشرها أهمية في تطوير ثقافة المجتمع النيجيري، كما يكون - هذا التحقيق - دعماً في نشر مهارات الكتابة والقراءة والتحدث باللغة العربية.

- تزويد الباحثين بالموضوعات الدسمة تصلح لكتابة البحوث العلمية الأكاديمية، فهذا يساعد في تكوين الثقافة العربية بين طلاب اللغة العربية ودارسيها في ديار نيجيريا.

- تجهيز طلاب اللغة العربية وآدابها بالمواد الدراسية وتمارين الألسن على التعود بالألفاظ العربية وإتقانها، مع تيسير حركة التدوين التي هي الركن الأساسي للحفاظ على التراث والاعتناء به.

وأما اقتراح الباحثة فهو:

١. أن تشارك الهيئات التعليمية الحكومية وغير الحكومية والباحثون الثقات في الاهتمام بنشر المخطوطات العربية بعد التحقيق.

٢. إنشاء هيئة خاصة للاعتناء بالمخطوطات العربية، يرأسها مجموعة من حماة لغة الضاد ومحبيها.

٣. اهتمام المسؤولين بتكوين جو مناسب لدراسة المخطوطات العربية كمادة في أقسام اللغة العربية وآدابها في جامعات نيجيريا كي يرى معظمها النور، وينير بها الطالب طريقه بغية الوصول إلى المرام.

أخيراً، تأمل الباحثة أن تكون هذه المقالة قد سلّطت الضوء على أهمية المخطوطات العربية في تطوير الثقافة العربية في نيجيريا.

## الهوامش والمراجع

١. يعقوب، الأستاذ حلمي القمص، (الأستاذ) ما هو تعريف المخطوط...، من كتاب النقد الكتابي، <https://sttakla.org>، ٢٠١٦م، ص ٢. نقلا عن المعجم الوسيط.
٢. أبو خثيمة، الوثائق والمخطوطات، منتدى التاريخ، <http://vb.altareekh.com>، ٢٠٠٩م، ص ٢.
٣. ميغا، محمد حمد كان، المخطوط مفهومه وأهميته في الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، مقالة مقدمة في ندوة دولية، نيامي، ٥-٧، ٢٠١٠م، ص ٥.
٤. جنيد، البروفيسور سمبو ولي، المخطوط العربي وإسهام الوزارة الإسلامية في دولة صكتو، مقالة مقدمة في ندوة عالمية، في مجلة المخطوطات العربية بغرب أفريقيا: صيانتها ونشرها، بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا، ٢٠١٠م، ص ٥.
٥. يعقوب، حلمي القمص، ما هو المخطوطات؟ وكيف نشأت؟... من كتاب النقد الكتابي، <https://sttakla.org>، ٢٠١٦م، ص ٢.
٦. جنيد، المرجع السابق نفسه، ص ٦.
٧. إسماعيل، الدكتور رفاعي الحاج، المخطوطات العربية والإسلامية لدى علماء الجهاد الصكتوي وأثرها في توجيه المجتمع النيجيري، مقالة مقدمة في ندوة عالمية، في مجلة المخطوطات العربية بغرب أفريقيا: صيانتها ونشرها، المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠.
٨. الإمام، عبد الرحمن بن أحمد، فهرس المخطوطات العربية في العصر الحديث ودورها في نهضة العلوم العربية العربية، مقالة مقدمة في ندوة عالمية، في مجلة المخطوطات العربية بغرب أفريقيا: صيانتها ونشرها، بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا، ٢٠١٠م، ص ٢٥٩-٢٦٠.
٩. فهدي، سعد وغيره، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتعليق، عالم الكتب، ١٩٩٥م، ص ٧٢.
١٠. الإمام، المرجع نفسه، ص ٢٦٠.



١١. إسماعيل، المرجع نفسه، ص ١٦٧.
١٢. إسماعيل، المرجع نفسه، ص ١٦٧.
١٣. إسماعيل، المرجع نفسه، ص ١٦٧.
١٤. إسماعيل، المرجع السابق نقلا عن "نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان" للشيخ عثمان ابن فودي، مخطوط، ص ١٣٩.
١٥. أبوبكر، علي، (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا، من ١٧٥٠م إلى ١٩٦٠م عام الاستقلال، كنو: دار الأمة لووكالة المطبوعات، ط.٢، ٢٠١٤م، ص ٢٤٦.
١٦. بدماسي، قاسم، أوضاع المخطوطات الإسلامية في بلاد يوربا بالجنوب الغربي من نيجيريا، في مجلة المخطوطات العربية بغرب أفريقيا: صيانتها ونشرها، المرجع السابق، ص ٣١٢.
١٧. العمري، انتصار، المخطوط العربي بين الوصف والتحليل، <http://www.altareekh.com>، ٢٠١١م، ص ٧.
١٨. دياب، عبد المجيد، (الدكتور)، تحقيق تراث العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٣١م، ص ١٣٣.
١٩. هارون، عبد السلام محمد، (الأستاذ) تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة السنة، نقلا عن مزلق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، ١٠٨٣م ص ٦٣.
٢٠. دياب، عبد المجيد، المرجع السابق والصفحة.

## الترجمة وأثرها في اللغة العربية

محمد عبدالقادر

MUHAMMAD ABDULKADIR

و

أحمد محمد بُوي

AHMAD MUHAMMAD BOYI

قسم اللغة العربية ، كلية التربية زَنُغ، ولاية تَرابا

07039871133

### المقدمة

انشغل الإنسان منذ وجوده بكيفية التعامل مع الآخر، والتواصل معه، لذلك كان على هذا الإنسان أن يوجد المنفذ الذي يوصله للطرف الآخر، خاصة إذا كان هذا الطرف يتحدث بلغة أخرى، ويكتب بلغة مغايرة، فكان هنا لا بد من بروز فن جديد هو فن الترجمة الذي أصبح حقلاً حساساً وعلماً من العلوم الهامة التي تدرس، وازدادت الحاجة للترجمة والمترجمين وذلك لغاية ذات أهمية كبيرة في ربط جسور التفاهم بين الدول في شتى بقاع الأرض، إذ أصبح لا يمكن لأمة من الأمم أن تنأى بنفسها عن معطيات الحضارات الأخرى المتعددة المصادر للغات، وهذا المقال يتحدث عن مفهوم الترجمة لغة واصطلاحاً كما يوضح هدفها وأهميتها وأثرها على اللغة العربية.

### الترجمة لغة واصطلاحاً

الترجمة لغة : ترجم الكلام؛ بينه ووضحه، وترجم كلام غيره نقله من لغة إلى أخرى، ولفلان ذكر ترجمته، والتَّرْجَمَان: المترجم، فهو جمع تراجم وتراجمة<sup>(١)</sup>، وفي حديث هِرْقُل: قال لَتُرْجَمَانِه، التَّرْجَمَان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى ، والجمع تراجم<sup>(٢)</sup>. ومن خلال كتب لغة نعرف أن الترجمة في اللغة العربية تدل على (أربعة معان وضحتها لنا الشيخ الزرقاني رحمه الله) كما يلي:

1. تبليغ الكلام لمن يبلغه، ومنه قول الشاعر:  
إن الثمانين - وبلغتها\* قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
2. تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، ومنه قيل في ابن عباس إنه ترجمان القرآن.
3. تفسير الكلام بلغة غير لغته، وجاء في لسان العرب وفي القاموس أن الترجمان هو المفسر للكلام.
4. نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى<sup>(٣)</sup>.

وعلى سبيل الوسع جاز إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان مما عدا هذه الأربعة، فقيل ترجم لهذا الباب بكذا أي عنون له، وترجم لفلان أي بين تاريخه، وترجم حياته أي بين ما كان فيها، وترجمة هذا الباب كذا؛ أي بيان المقصود منه وهلم جراً<sup>(٤)</sup>.

#### الترجمة في الاصطلاح:

أما الترجمة اصطلاحاً فهي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده<sup>(٥)</sup>، ولا يمكن أن تتحقق الترجمة إلا بمعرفة المترجم أوضاع اللغتين وأساليبهما وخصائصهما.

وعرفها بعضهم بأنه نقل الكلام من لغة إلى أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية<sup>(٦)</sup>، أو هي نقل نص أو الكلام من لغة إلى أخرى بأدق وأحسن ما يمكن<sup>(٧)</sup>، وتعتبر الإجادة اللغوية من الأساسية الضرورية اللازمة للمرء حتى يقدم على ترجمة تعبير، أو جملة، أو فقرة، أو نص ما، بالإضافة إلى المهوبة والثقافة والإطلاع ونوعية التعليم التي تدفعه للكشف عن درر وكنوز اللغة المنقول منها ووضعها في أماكنها السليمة في اللغة المنقولة إليها<sup>(٨)</sup>.

ويمكن أن نستخرج من هذه التعريف بالملاحظات التالية:

- الترجمة؛ نقل الكلام، فبينما يكون الكلام في لغة من اللغات، يتحول عن طريق الترجمة إلى لغة أخرى.

- يشترط في الترجمة الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولذلك يتم فيها استيفاء الكلام المترجم كلمة لكلمة، والملاءمة بينها وبين المعنى الأصلي للنص.
- انحصر معنى الترجمة عرفاً واصطلاحاً في المعنى الرابع من معانيها اللغوية، وهي نقل الكلام من لغة إلى أخرى.
- يفهم من الترجمة أنها كالأصل تقوم مقامه وتأخذ اسمه.

### هدف الترجمة

كان هدف الشعوب القديمة من الترجمة هو التعرف على آداب وحضارة بعضها بعضاً والاطلاع والاستفادة مما صنعه الآخرون والوصول إليه في مجالات الأدب والعلوم والفنون. وقد تميزت الشعوب التي ركزت على الترجمة بفهمها لتلاحح الأفكار والثقافات وإدراكها لنتائج هذا التلاحح وأهميته. وفي مراجعة سريعة لتاريخ الحضارات القديمة يكشف المرء أن الحضارات ازدهرت وتألفت حين تُرجمت وتلاححت وكانت الشكوي الوحيدة التي سجلها الجميع هي صعوبة وسائل الاتصال وبُعد المسافات والوقت الذي يتطلبه السفر من نقطة جغرافية إلى أخرى للاستزادة بالعلم والمعرفة، ومن ثم العكوف على نقلها وترجمتها.

أما اليوم فقد شهد عالمنا ثورة في وسائل الاتصال والتواصل بين البشر حيث بدؤوا يتحدثون عن قرية كونية تنطلق الكلمة فيها عبر الأثير أو عبر تقنية الاتصالات لتصل إلى أبعد أصقاع الأرض خلال دقائق أو حتى ثوان، ولهذا أخذ الجميع يحلمون أن البشرية سوف تنصهر في بوتقة واحدة من المعرفة. كانت الترجمة ولا زالت بمثابة الجسر الذي تعبر الثقافات من خلاله إلى باقي المجتمعات من حولها دون أي جواز، فهي تؤدي دوراً كبيراً في خلق الحوار بين الآداب المختلفة، وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات وتهيئ الظروف لإيجاد أدب عالمي مشترك. هذا النشاط في حد ذاته كان موجوداً منذ الأزل، إذ مارسه البشر، سواء عن طريق الإيماء أو الإشارة أو الكلام أو الكتابة، على مرّ العصور، فتبادلوا المعلومات فيما بينهم وتزاوجت الثقافات والحضارات فيما بينها أيضاً<sup>(٩)</sup>.

فكانت الترجمة وما تزال دعامة النهضة الفكرية والثقافية للشعوب وعن طريق الترجمة بدأت النهضة الثقافية في عصر الإسلام الأول، إذ أدرك المسلمون حاجة الأمة إلى استخدام غذائها الفكري،

فندفقت بواسطة الترجمة الوديان من مختلف الثقافات العالمية إلى النهر العربي. لقد عرف الإنسان المتحضر فضل الترجمة منذ زمان بعيد، فهي الجسر الذي تعبر عليه ثقافة الأمم بعضها إلى بعض، فتزيد المعرفة وتعمق حياة هذا العالم. فهي عكاز التقدم والنهضة في كل بلد تخلف عن ركب الحضارة لسبب أو لآخر. إنها الرمز والطابع لحضارة العصر الذي تمثله كل أمة ناهضة. فقد ازداد هذا التواصل بشكل وفير وخاصة في العصر الحاضر بعد الترجمات الحديثة من علمية وسياسية وصناعية وأدبية تنطلق الآن قوية وعارمة مع صدور الجرائد والمجلات والقصص الرائجة المترجمة<sup>(١٠)</sup>.

### أهمية الترجمة:

لا يمكن إحصاء أهمية الترجمة لمختلف أنواعها في بعض السطور لأنها أدت دورا بالغ الأهمية في نقل الحضارات والثقافات والمعارف بين الشعوب، سواء ذلك عن طريق التجارة، أم عن طريق الحرب، ونتيجة لذلك قامت نقاط الالتقاء بين بني البشر، فقويت وحدتهم النفسية والفكرية التي تجمع بينهم، بيد أن نقاط الالتقاء هذه أخذت تتكاثر في العصور الحاضرة مع ما رافقها من أسباب الخلاف، ولكن زوال هذه الأسباب يقترن بالعمل على التقريب بين الشعوب والأمم.

فقد لعبت الترجمة دوراً حضارياً وثقافياً وعلمياً بدأ منذ بزوغ فجر التاريخ البشري، ولا تزال تقوم بدورها حتى وقتنا هذا، وستستمر في أدائه ما بقي للبشر حياة على وجه الأرض. وإن المتبع لتطور الحضارات الإنسانية وتنامي التقدم العلمي الإنساني يجد أن الترجمة ظاهرة تسبق كل إنجاز حضاري لأي أمة، ثم تستمر مواكبةً للنمو الحضاري لهذه الأمة.

إن البلدان الناهضة الساعية والجادة للالتحاق بركب التقدم تهتم بنقل أسرار التكنولوجيا والصناعات والعلوم المختلفة إلى لغتها، حتى تصبح متاحة لأبنائها بلغتهم التي درجوا على استخدامها، لينتقلوا بعد ذلك إلى مرحلة التفكير والتطوير وإحراز التقدم والسبق. وقد وضع العالم المعاصر الدول النامية أمام تحدٍ بالغ، وخيار بين الحياة من خلال مواكبة التطور العلمي المتواصل، والترجمة وحدها هي القادرة على بناء الجسور التي يمكن من خلالها عبور الإنجازات البشرية.

وكذلك لعبت ترجمة دورها الفعال في نقل مفاهيم خطب ومحاضرات وندوات وتصريحات من لغة إلى لغة أخرى فصاعداً نقلاً شفهيًا مباشرًا . وإضافة إلى ذلك، إن الترجمة في الوقت الراهن تلعب دوراً هاماً في التعامل والتعاون التجاري والصناعي والعسكري والدبلوماسي بين دولتين أو أكثر.

وخلاصة القول إن الدور الذي لعبته الترجمة في إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية والثقافية لدى الأمم المختلفة هو أمر لا يمكن إنكاره أو تجاهله. فقد لعبت الترجمة دوراً حضارياً وثقافياً وعلمياً بدأ منذ بزوغ فجر التاريخ البشري، ولا تزال تقوم بدورها حتى وقتنا هذا وستستمر في أدائه على مرّ الحياة.

### أثر الترجمة في اللغة العربية

مما لا شك فيه أن للترجمة تأثيراً واضحاً في اللغة العربية من حيث إثرائها بأعداد من المفردات والعبارات وحتى في زيادة بعض الأصوات والحروف التي تستعمل فيها، وذلك لتسريع حركة الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية بسبب الوضع للدول المتطورة، مما يحتم عليها تلقي كم هائل من الكلمات والمفاهيم الجديدة التي ليس لها مقابلات في اللغة العربية<sup>(١)</sup>، ويمكن تناول هذا التأثير في النقاط التالية:

**المفردات:** يتم هذا بترجمة المفردات عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، كتعريب الألفاظ إذ يتفاوت في ذلك من حيث السهولة والصعوبة ما بين الاستدلال الآلي لأصوات عربية بما يقابلها من أصوات أجنبية لتصبح سائغة للسان العربي، ولهذا تزداد صعوبة عندما يتعلق الأمر بالكلمات التي تضم المزيادات (السوابق واللواحق) ( PREFIXES و SUFFIXES ).

والزوائد في اللغة العربية هي دخول مجموعة من الأحرف، إما في بداية الكلمة وتسمى PREFIXES، أو نهايتها وتسمى SUFFIXES، وكلاهما يؤثر على كلمة بحيث إنه يعطيها المعنى المناقض، أو يغير إعرابها، أو الاثنين معاً. مثال:

CORRECT صحيح IN CORRECT غير صحيح PREFIXES  
USE فعل بمعنى يستعمل USEFUL صفة وتعني مفيد SUFFIXES

وكذلك يزداد صعوبة عند تعريب الأفعال، ومن بين الكلمات التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من اللغة العربية "راديو" "تلفون" "كمبيوتر" "تلفاز" "فاكس" وغيرها، ومن الكلمات التي تضم مزيدات نجد "كيلوغرام" "كيلومتر" "سنتيمتر" "ميكرو" "تلغراف" وغيرها<sup>(١٢)</sup>.

كما أن هناك عدداً كبيراً من الألفاظ أضيفت إلى العربية تحت تأثير اللغة الأجنبية باستعمال عناصر من داخل اللغة عند الترجمة، وقد صيغ كثير من هذه الألفاظ وفق أوزان عربية سليمة، منها ما صيغ على وزن (فعللة) مثل: "العولمة" "الكهربية" ومنها ما صيغ على وزن تفعيل مثل: "تطبيع" "تشخيص" ومنها ما صيغ على وزن تفعّل مثل: "تَصَحَّر" "تَجَنَّس" وغيرها.

**التراكيب:** تؤثر الترجمة على اللغة العربية من حيث تراكيبها سواء على مستوى العبارة القصيرة، أو على مستوى الجملة الكاملة، فعلى مستوى العبارة القصيرة نجد مثلاً استعمالاً واضحاً لعبارات: "أكثر وضوحاً" "more apparent" "وأكثر دقة" "more exact" "وأكثر اتساعاً" "more extensive"، بدلاً من "أوضح" و "أدق" و "أوسع" وذلك تأثيراً باللغة الإنجليزية التي تتبع القاعدة "more + objective or adverb".

كما نجد أيضاً إحلال صيغة الاسم المتبوع بالصفة مثل: الاسم المضاف والمضاف إليه، مثل عبارات: "ندوة توعوية" بدل "ندوة توعية" "مباراة كروية" بدل "مباراة في كرة القدم" وغيرها.

ونجد أيضاً استعمال كاف التشبيه في بعض الصيغ كعبارات "الواقعية كمفهوم أدبي" "البرلمان كسلطة تشريعية" حيث توازي "الكاف" كلمة "as" في اللغة العربية.

أما مستوى الجملة فتأثير صيغة المبني للمجهول باللغة الإنجليزية على اللغة العربية واضح، في حين أن اللغة العربية لا تذكر الفاعل عند البناء للمجهول، ولكن اللغة العربية تذكره، لأن الوظيفة البلاغية للمبني للمجهول فيها تختلف عن وظيفة هذه الصيغة باللغة العربية، ومن ذلك نجد في بعض الترجمات: "أرسلت الرسالة من قبل فلان" ترجمة لعبارة "the letter was sent by some one"<sup>(١٣)</sup>.

**الأصوات والحروف:** دخل على اللغة العربية بعض الأصوات عن طريق الترجمة بالإضافة إلى بعض الأصوات في لهجات أخرى مثل حرف "g" في كلمة "go"، باعتباره صوتاً بدلاً من حرف الجيم "ج" في بعض المناطق العربية، حيث استخدمت المطابع رموزاً لهذه الأصوات "پ" و "ق" و "چ". وهذه الحروف المضافة المستخدمة لا تؤثر سلباً على اللغة العربية بل تمكنها من تمثيل الأصوات المحلية والمترجمة تمثيلاً أدق مما كان متاحاً في السابق، وهذا ما نجده كذلك في اللغة الإنجليزية، حيث تمت فيها تعديلات واضحة لبعض الحروف لتمثيل أصواتها من لغات أخرى مثل: "é" المستخدم في كلمة "café" أو "resqué" مع أن أصل هذا الحرف "é" فرنسي، كما استخدم حرف "ö" في كتابة كلمة "röntgenize"، وكذلك حرف "i" فوقه نقطتان المستخدم "naïve"، وغيرها من الأحرف لتمثيل الأصوات التي لا وجود لها في اللغة الإنجليزية<sup>(١٤)</sup>.

#### الخاتمة:

فقد عكف الباحثان على إنجاز هذا البحث بعرض مفهوم الترجمة لغة واصطلاحاً، وبيان أهمية الترجمة وفعاليتها في كونها القناة الرئيسة للتواصل والتبادل الثقافي بين الشعوب، وبدونها لا يتم تواصل ثقافي ذو شأن، فالبديل الوحيد للترجمة هو اكتساب اللغات الأجنبية الرئيسة في العالم. ثم عرض البحث الهدف الأساسي للترجمة وأنه كامن في تحويل نص من لغة إلى نص مناظر في لغة أخرى، مع الحفاظ قدر الإمكان على محتوى غرض النص الأصلي وسماته الشكلية وأدواره الوظيفية.



### الهوامش والمراجع

- المعجم الوسيط، ص : ٨٣ .
- لسان العرب، ص : ٦٦ .
- هو محمد عبدالعظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر بمصر ، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن .
- مناهل العرفان، ص : ١٠٩ - ١١٠ .
- نفس المرجع السابق ، ص : ١١ - ١٢ .
- ترجمة القرآن ، لعبد الوكيل الدروي ، ص : ١٩ .
- الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، ص : ٨١ .
- الترجمة أصولها ومبادئها، ص : ١١ .
- الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية ، ص : ٧ .
- نفس المرجع السابق ، ص : ١٣ .
- تأثير الترجمة على اللغة العربية ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، ص : ١٩٥ .
- الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية ، ص : ٨١ .
- الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق ، ص : ١٥٣ .
- تأثير الترجمة على اللغة العربية ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، ص : ٢٠٢ .

## الترجمة ودورها في تطوير الدراسات العربية في نيجيريا

عثمان حمن جدّا

د.عليّ عمر فريا

د.محمد يرو أبوبكر

قسم اللغة العربية.

كلية ولاية آدموا للتربية هونغ ص. ب ٢٢٣٧ يولا ولاية آدموا نيجيريا

08032095644.08077647432.

### المقدمة

أدت الترجمة دورا بالغ الأهمية عبر التاريخ في نقل الثقافات والمعارف بين الأمم والشعوب، فاليونان - قديما- كانت ترسل التلاميذ والدارسين إلى مصر القديمة ليتعلموا وينقلوا معارفها الفلكية والحسابية والزراعية إلى اللغة اليونانية. وأتى الرومان بعد ذلك ونقلوا من اليونان آدابها وفلسفتها. ثم جاء دور العرب في النقل عن الإغريقية وبعد ذلك حان دور العصر الوسيط ليدفع الأمم الأوربية لتتنقل معارف العرب بترجمة كتب ابن سينا وابن رشد والكندي والرازي وابن الهيثم وغيرهم. وممن أخذ من العرب الأمم النيجيرية التي نقلت منها الدين والثقافة فازدادت العناية بالترجمة على الصعيد النيجيري في القرن الخامس عشر الميلاديّ بفضل زيارة الوفود التلمسانية تحت رئاسة الشيخ المغيلي لهذه البلاد. فهذه المقالة تحاول بيان دور الترجمة في تطوير الدراسات العربية في نيجيريا، وكشف النقاب عن صورتها العلمية بذكر أسسها، وأنواعها وأثرها في تنمية الثقافة العربية في هذه البلاد بناء على النقاط التالية:

- مفهوم الترجمة.
- الترجمة على مرّ العصور.
- مدخل الترجمة إلى نيجيريا.

- صورة الترجمة العلميّة.
- أسس الترجمة ومؤهلات المترجم.
- أدوات المترجم.
- خطوات يتبعها المترجم عند الترجمة.
- أثر الترجمة في تنمية الثقافة العربية في هذه البلاد.

### مفهوم الترجمة

الترجمة في اللغة مصدر ترجم الكلام ويترجمه إذا بيّنه ووضّحه. وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى<sup>١</sup>. والترجمة في الاصطلاح، هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى. وهي عملية تحويل نصّ أصليّ مكتوب إلى نصّ آخر. والفاعل: مترجم وترجمان. إلا أنّ المترجم: يطلق على القائم بعملية الترجمة كتابة بنقل نصّ مكتوب إلى نصّ مكتوب بلغة أخرى، ويجمع على مترجمين. وأما الترجمان فيطلق على من يترجم ترجمة شفويّة وفوريّة، ويجمع على التّراجم مثل زعفران وزعافر، ويضمّ تاء تُرجمان كما قال ابن منظور لضمّة الجيم كقول الشاعر:

فهنّ يلغظن به إغاطا # كالترجمان لقي الأنباط<sup>٢</sup>

### الترجمة على مرّ العصور

ترجع البذرة الأولى لعملية الترجمة إلى تلك الرسائل التي بعثت إلى "أخناتون" من قبل أمراء الشام لطلب المساعدة والمال، وما جاء بعد ذلك من المعاهدة المعقودة بين ملك الحيثيين وبين رمسيس الثاني فرعون مصر، حيث استطاع كل ملك الاحتفاظ بصورة المعاهدة بلغته. وقال عزّ الدّين نجيب: وقد كان شيشرون الخطيب الرومانيّ أول من حاول وضع منهج محدد للترجمة، فقد اقترح أن يقرأ المترجم النصّ الأصليّ بلغته الأصليّة ثم ينحيه جانبا، ويشعر في إعادة كتابته باللغة المنقول إليها دون التزام بالترجمة الحرفيّة<sup>٣</sup>.

وأما أشهر نصّ أثريّ مترجم في التاريخ هو: (حجر روسيتا ROSETTA STONE) فهو الحجر المكتوب عليه نص ملكيّ صدر عام (١٩٦ ق.م) لتخليد ذكرى الملك بطليموس

الخامس، كتب النصّ على الحجر بثلاث لغات، اكتشف الحجر ضابط فرنسي عام ١٧٩٩م في مصر مدينة الرّشيد<sup>٤</sup>.

ويعتبر ابن الخطاب رضي الله عنه (الخليفة الثاني) هو المساهم الأول في عملية تحريك الترجمة في الإسلام، حيث أمر بتعريب الدواوين من الفارسيّة إلى العربية، فأسس ديوان الجند لتسجيل أسماء الجنود ورواتبهم، وديوان الرسائل أو البريد أيضاً، ثم استكمل في عهد بني أميّة تعريب كل الدواوين.

وأما أول ترجمة إسلاميّة ذات طابع علمي كانت في العصر الأمويّ على يد خالد بن زيد بن معاوية الذي كان محبا للعلم والفلسفة<sup>٥</sup>. وعندما هدأت ثورة الفتوحات، وبدأ الخلفاء والعلماء المسلمون في تأسيس الحضارة الإسلاميّة، حين شرع العلماء يتعلمون العلوم المختلفة: الطبّ والكيمياء والفلك والرياضيات والهندسة، احتاجوا إلى ترجمة ما وقفت عليه الحضارات الإنسانيّة في العلوم المختلفة، حتى استطاعوا تناوله بالفحص والترجمة، والتحليل والزيادة والدراسة.

وبلغت الترجمة ذروتها في العصر العبّاسيّ الأول، وبالأخصّ في خلافة الرّشيد وابنه المأمون حيث أنشأ "بيت الحكمة" في مدينة السلام بهدف تشجيع المترجمين والمعرّبين، الوضع الذي أدى إلى مكافأة القائمين بالترجمة ذهباً بمقابل ما قاموا بترجمته. وهذا مما شجّع كثيراً من العلماء على القيام بعملية الترجمة بجدّ، حتى قاموا بترجمة معظم المؤلفات لأرسطو وأفلاطون، ومؤلفات كثيرة نقلت من اليونان إلى العربية، ثم في العصر الوسيط أثناء الحروب الصليبية بدأت ما يقال: الترجمة العكسيّة، حيث نقل من اللغة العربيّة إلى اللاتينيّة بترجمة مؤلفات ابن سينا وابن رشد وابن النفيس وابن الهيثم والكندي والرّازي وغيرهم<sup>٦</sup>.

### مدخل الترجمة إلى نيجيريا

بدأت نيجيريا - لاسيّما شمالها - تحتك باللغة العربية قبل امتداد الإسلام إليها، وذلك عن طريق العلاقة التجاريّة التي دامت بينها وبين مدن شمال إفريقيا كالمراكش، وتلمسان، وتونس، وطرابلس، ومصر. ويثبت غلادنشي أنّ هذه العلاقة التجاريّة هي التي وضعت الحجر

الأساسي للعربية في هذه البلاد خاصة، وفي إفريقيا عامة<sup>٨</sup>. ثم بدأت اللغة العربية تنمو وتتسع بانتشار الإسلام، لأنّ الدين الإسلامي كان من الدوافع الأساسية التي تجبر المسلمين أن يقبلوا على تعلّم اللغة العربيّة، لكونها وسيلة إلى فهم الكتاب العزيز والأحاديث النبويّة الشريفة. ومن المحتمل أن تكون المراكز، والمعاهد لتعليم العربيّة التي تعتمد كليًا على الترجمة قد وجدت في وقت مبكر بعد ذلك، والتي زادت قوّتها في عهد محمد رمفا (١٤٩٩-١٤٦٣م) أحد ملوك ولاية كانو، لما حدث في هذا العهد من نشاط كبير لنشر الإسلام، والثقافة العربية في ولاية كانو وما جاورها. وفي فترة زيارة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمسانيّ لكانو والبلاد المجاورة تطورت ظاهرة الترجمة عبر تلك التعاليم الإسلامية التي قام بها الشيخ وغيره لإرساء الثقافة العربيّة<sup>٩</sup>. ثم ازدهرت هذه المعاهد العلميّة بعد الجهاد الإصلاحيّ بقيادة الشيخ ابن فودي، لأنّ أهمّ شيء اشتغل به هذا الشيخ وأنصاره، هو نشر التعاليم الإسلاميّة والثقافة العربية، والتعليم في تلك المعاهد يعتمد كليًا على الترجمة كما سيأتي.

### صورة الترجمة العلميّة

بما أننا قد قدّمنا تعريف الترجمة عندما ذكرنا معنى الترجمة وموجز تاريخها، ونريد أن نذكر هنا الأنواع وأنماط الترجمة، ومستوياتها المختلفة، لكي نمكّن للمترجم اختيار مستوى نريد تحقيقه، ومن أنواع الترجمة ما يأتي:

– الترجمة الأدبية: هي أكبر مستويات الترجمة، حيث تتم بنقل النصوص الأدبية من شعر وخطب وحكم وأمثال من لغة إلى أخرى. وهذا أمر صعب جدًّا صعب لاحتياجه من المترجم أن يلمّ إلمامًا كاملاً بأسس علم الترجمة التي سنقوم بتوضيحها فيما بعد. إنه يحتاج إلى نقل النصوص الأدبية بما فيها من جمال وآداب، ويعمل المترجم بما علمه من الآداب في اللغات المترجم منها وإليها.

– الترجمة العلميّة: هي مع تميّزها إلى ذاك الحدّ الكبير الذي تتمتع به، إلا أنّ مستواها يقصر عن المستوى الكبير الذي تتمتع به الترجمة الأدبية. ومهمة المترجم في هذه الترجمة، هو نقل ما في النصّ من ألفاظ، وأفكار، وحقائق، دون تبديل وتأثير على ما في النصّ المترجم من علم،

ويكون المترجم بين يدي حقائق ومفاهيم علمية واضحة من النصوص المقصودة ترجمتها. وهو كلما زادت معرفته بالعلم المترجم منه كلما ازدادت جودة أعماله في الترجمة.

- التعريب: هو كتابة كلمات أجنبية بالهجاء العربي، مثل ( ستوديو Studio).

- الترجمة الحرة: يلتزم المترجم في هذا النوع بموضوع النص المترجم وأفكاره الرئيسة، ويتصرف فيها بطريقة حرة في أسلوب الكتابة، والمصطلحات المستخدمة.

- الترجمة بتصرف: هي ترجمة مهنية، وينقل المترجم فيها المعنى المتضمن في النص الأصلي إلى اللغة المنقول إليها، مع مراعاة تركيب اللغة تقديما وتأخيرا.

- الترجمة التفسيرية: هنا يضيف المترجم بعض الألفاظ لشرح الغوامض في النص الأصلي.

- الترجمة الحرفية: هي ترجمة النص كلمة كلمة، بنفس تركيب الجمل الأصلية. وهذه أدنى مستويات الترجمة.<sup>١٠</sup>

### أسس الترجمة ومؤهلات المترجم

هذه في مجملها مجموعة من القواعد، والمقومات التي تجب معرفتها قبل القيام بعملية ترجمة النصوص من لغة إلى أخرى. وكون الترجمة علما وفنا في نفس الوقت يجب على من يقوم بها أن يتبع أسس الترجمة، وتطبيقها، وتفعيلها، وجعلها سمات شخصية له. ومن هذه الأسس ما يأتي:

- التمرن الكثير والصبر الكبير أثناء عمل الترجمة، لأن المترجم لا بد له من قراءة النصوص المقصودة بالترجمة أكثر من مرة ليقف على ما يحمله النص من ألفاظ ومعان ومعلومات وأفكار وجمال، لأنه محتاج إلى نقل المعنى، والغلاف اللغوي الذي يغلف المعنى، ونقل الأسلوب أيضا.

- المعرفة بمفردات اللغتين المترجم منها والمترجم إليها. ولهذا، توافر قاموس لغوي قوي لديه من لغة إلى لغة أخرى، فهو أمر لا بد منه في نجاح المترجم.

- الإلمام بالثقافة والآداب الخاصّة باللغات المترجم منها وإليها. هذا يساعد على كشف تأثير الثقافات على الكاتب الأول للنصوص. ولهذا، فإنّ المترجم يحتاج إلى اطلاع مستمرّ وثقافة واسعة.

- الأمانة في نقل ما في النصوص من أفكار: وعلى المترجم أن يكون موضوعيًا في ترجمته ويعرف أنّ واجبه هو نقل النصّ بأفكاره ومعانيه دون زيادة أو نقص، للحفاظ على ما صنع له النصّ بداية.

### أدوات المترجم

يلزم للمترجم أن يكون له الأدوات التي تجعله أن يؤدي مهمته على وجه صحيح، ومن تلك الأدوات ما يلي:

- **قواميس ومعاجم أحاديّة اللغة:** على المترجم أن يكون بحوزته هذه القواميس وهي: عربية-عربية وإنجليزية-إنجليزية؛ وهي الحكم والفيصل في توضيح معنى الكلمة العربية والإنجليزية، وهي على درجات وتخصصات، منها ما يغني طالب المرحلة الثانوية، ومنها ما يصلح لطلبة الجامعة ومنها موسوعي يصلح للمترجمين المحترفين.

٢- **قواميس ثنائية اللغة:** إنجليزية/عربية وعربية / إنجليزية عامة.

٣- **معاجم فنون اللغة:** تساعد هذه المعاجم في رفع كفاءة المترجم.

٤- **معاجم اللغة العامية (اللهجات العربية):** مثل معجم الألفاظ العامية لأنيس فريجة.

٥- **معاجم المصطلحات والعبارات:** مثل: معجم المصطلحات الأدبية لدكتور سعيد علوش.

٦- **معاجم الأمثال:** مثل معجم الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري.

٧- **معاجم تخصّ مجال ترجمته** كالتخصص الاقتصادي والسياسية والدبلوماسية والسياحية والفنادق.

٨- **الحاسوب:** من الأدوات التي تساهم في المترجم في أداء واجباته.

وهذه هي الأدوات التي تساعد المترجم على أداء واجباته على وجه صحيح.

### خطوات يتبعها المترجم عند الترجمة

- القراءة الأولى للنص المترجم، تتميز بالسرعة لأخذ فكرة عامة وسريعة عن الموضوع.
- القراءة الثانية: هي أكثر بطيء من الأولى لتوضيح المعنى بشكل عام.
- القراءة الثالثة: لل فقرات كي يحدد الكلمات، والمصطلحات التي يصعب فهم معانيها إلا باستخدام المعاجم، والقواميس للوصول إلى المعنى المراد.
- القراءة الرابعة: لتحديد الجمل مع إعادة تراكيبها المناسبة، وموافقة أسلوب اللغة المنقول إليها.
- القراءة الخامسة للنص كله: لإيجاد الأدوات المناسبة التي تربط الجمل ببعضها لكي يعطي النص اتصالاً، ويمنعه تفككا، ولا بد من تجويد النص حينئذ ليكون على أحسن صورة.
- القراءة الأخيرة: لإصلاح النص من الأخطاء النحوية والإملائية والأسلوبية.

### أثر الترجمة في تنمية الثقافة العربية في نيجيريا

كانت للترجمة مساهمات كبيرة في تطوير الدراسات العربية في هذه البلاد، ومن هذه المساهمات؛ ما يلي:

- إنَّ الترجمة هي العمدة في نظام تعليم اللغة العربية بالمعاهد العلمية (الدهليزية) التقليدية. وهذا النظام عبارة عن قراءة أحد الطلاب للنص العربي من الكتاب المقرر فيقوم المرشد بترجمته ترجمة فورية إلى لغة: الهوسا أو الفلاتي أو الكانوري حسب المعاني النحوية للجمل، وقد يضيف الشيخ أو المرشد شيئا من الشرح أو التمثيل إلى الترجمة باللغة المحلية. وبهذه الطريقة يتلقى الطالب من مرشد سلسلة من الكتب في فنون شتى، ابتداءً من الكتب السهلة. وإلى هذا أشار صاحب الثقافات العربية - رحمه الله - بقوله: " أما طريقة الدراسة فهي عبارة عن الابتداء بالكتب الدينية السهلة، ثم قراءة بعض كتب اللغة، ثم بعض كتب النحو، ثم



الحساب، ثم التفسير، ثم الحديث، ثم الصرف والبلاغة، ثم التاريخ والمنطق والعروض<sup>١١</sup>. فالمنهج بهذا النظام يتمثل في دراسة الكتب المقررة الآتية:

أما في اللغة والأدب فيقومون بتدريس الكتب الآتية:

- بردة المديح والهمزية، كلاهما للبوصيري، والعشيريانيات للفازازي، ومختار الشعر الجاهلي، ج ١، ومقامات الحريري. وفي النحو يتم تدريس الأجروميّة، فملحة الإعراب، فألفيّة ابن مالك. وفي الصّرف يدرّس: كتاب الحصن الرصين للشيخ بن فودي.

وفي البلاغة يدرّس: عقود الجمان، وشرحه للسيوطي.

والطريقة الوحيدة المتبعة في إنجاز هذا المنهج هي طريقة النحو والترجمة القديمة، وذكر وليامس (١٩٩٠) مميزات هذه الطريقة كالتالي:

- ترجمة الجمل المتعلقة بالأجنبيّة إلى اللغة المحليّة.

- أداء عمليّة التعليم باللغة المحليّة مع عدم أكثرات كثير بممارسة اللغة المتعلّمة.

- تدريس القواعد النحويّة، وشرحها على ضوء أمثلة اللغة المحليّة.

- عدم الاكترات بعنصر التدريب الصوتي.

- عرض القواعد قبل الأمثلة.

- هناك لا مبالاة في جانب التجربة التعبيريّة.

- شرح معاني الجمل باللغة المحليّة على ضوء الرّوابط النحويّة بين أجزاءها<sup>١٢</sup>.

هذه هي طريقة النّحو والترجمة القديمة بالرّغم من أنّ علماء التربية عابوها لاقتنارها، واكتفائها بأحد شقّي الهدف الأساسي من تعلّم اللغة، وهو الجانب الشكليّ للغة فقط، وأهملت جانب القدرة على التعبير الصحيح بها، إلا أنّها في معاهد العلميّة لهذه البلاد نجحت في تمكين طلاب العربيّة ثروة ضخمة من مفردات اللغة، وزوّدتهم بمهارة ترجمة النّصوص من اللغة العربيّة إلى اللغات المحليّة، ومهارة الإملاء، مع تقوية استظهار للقوانين والنّصوص. وبهذا نجحت تلك المعاهد القديمة في تخريج عباقر من العلماء الذين تبخّروا في الثقافة العربيّة والإسلامية. ولا تزال المعاهد - حتى الآن - تواصل جهودها في خدمة الثقافة العربيّة، وتطويرها في نيجيريا.

- إنَّ الترجمة قد ساهمت عن طريق الكتب التي نقلها العلماء من العربية إلى اللغات المحليّة، وبالفعل إنَّ العلماء قد قاموا بترجمة الكتب العربية والإسلاميّة الآتية:

- القرآن الكريم: كما فعل المرحوم الشيخ أبوبكر محمود جومي، بترجمته لهذا الكتاب العزيز إلى لغة هوسا. وكما قام مجلس إمارة آدموا بقيادة المرحوم أمير ليمن الحاج الدكتور عليّ مصطفى بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفلاتيّة. وسمّوه " توضيح معاني القرآن باللغة الفلاتيّة

(Wanginoore maanaaji Qur,anu Nderfulde.)

- الأحاديث النبويّة الشريفة: قام بعضهم بترجمة الأحاديث، ككتاب الأربعين حديثا للنووي، وكتاب رياض الصالحين، وكتاب حصن المسلم.

- المتون الفقهيّة: وقد قام بعضهم بترجمة متون الفقهيّة كالأخضريّ، والعشماويّ، والعزيّة، والرسالة، وحتى المختصر للخليل.

وكم ساهمت هذه الكتب المترجمة في تطوير اللغة والثقافة العربية بمساعدة الطلاب، وحتى بعض الأساتذة في معرفة مدلول المفردات اللغويّة وغيرها.

- أدّت الترجمة دورا محوريّا في تطوير الثقافات العربية لدى الطلاب والأساتذة الذين تعلّموا اللغة العربية في هذه البلاد، وكثير من هؤلاء - بمساعدة الترجمة - استطاعوا إزالة عنهم الصعوبة في فهم كثير من مدلول المفردات الحديثة، لأنّ كثيرا منهم يحبّذون التحدّث ببعض هذه المفردات الحديثة بالإنجليزيّة، ولعلمهم يجدونها بالإنجليزيّة أسهل من العربية، لبعدهم عن الدول العربية.

**الخاتمة:**

قد عرفنا فيما سبق أنّ الترجمة قد أدت دورا مهمّة عبر التاريخ في نقل المعارف والثقافات بين الأمم والشعوب، وقد ذكرنا أنّ الترجمة كانت لها النشأة الأولى قبل الميلاد بقرن تقريبا، في أراضي الشام ومصر القديمة. وبلغت الترجمة ذروتها في العصر العبّاسيّ في خلافة الرشيد وابنه المأمون. وأما في نيجيريا بدأت الترجمة - فعلا - في القرن الخامس عشر الميلادي حين أسست

المعاهد التقليديّة القديمة. فعالجت الورقة صورة الترجمة العلميّة بذكر أسسها، وأنواعها، وأثرها في تنمية الثقافة العربية في نيجيريا.

### التوصية:

يوصي الباحثون بما يلي:

- ١- تسهيل المشاكل والعقبات التي تحول دون نجاح التعليم العربي في هذه البلاد، ولا بدّ من توفير وسائل سمعية ومرئيّة لتدريسها مثل الأفلام والصور والكتب الكافية التي لها علاقة وثيقة بالبيئة النيجيرية.
- ٢- إنخفاض عدد من المتخصصين في هذه الدولة بتأليف ما يناسب المحليين من الكتب والأدوات الدراسيّة.
- ٣- إنشاء مراكز الترجمة في الكليات والمعاهد والجامعات.
- ٤- رفع مستوى اللغة العربية في هذه البلاد بأن تكون لغة ثانوية رسميّة.

## الهوامش والمراجع

١. إبراهيم أنيس، عبد العليم متنصر، عطية الصوالجي، حلف الله أحمد: "المعجم الوسيط"، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ  
١٩٧٢م/
٢. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8٢>.
٣. محمد موسى صالح(د) ومصطفى محمد يوسف(د): منهج دراسات اللغة العربية العليا في جامعة عمر موسى يرأدوا- كشنه عرض ومناقشة...
٤. اللغة العربية وآدابها والتعليم العالى في نيجيريا، الكتاب الثاني، ١٤٣٦هـ/٢٠١٠م، ص: ٤٠٧.
- ٥.
٦. [https://www.btsacademy.com/blog\\_det.php?page=593&title](https://www.btsacademy.com/blog_det.php?page=593&title)
٧. <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

## أثر الترجمة في تطوير اللغة العربية

**Abubakar Ahmad**

**GSM +2348136862804**

[abubakarahmed2048@gmail.com](mailto:abubakarahmed2048@gmail.com)

And

**Hajja Rukaiya Aminu Bamanga**

**Department of Arabic Education**

**Adamawa State Polytechnic Yola**

### المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى اله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فتعتبر الترجمة هي اللبنة الأساسية لكل العلوم الأدبية والعلمية والثقافية والاقتصادية وغيرها ، لكونها الآلة الوحيدة التي بواسطتها يمكن للفرد أن يقوم بتبادل الآراء والمفاهيم من أمة إلى أمة ومن لغة إلى لغة أخرى .

إن للترجمة في حياة الفرد والمجتمع أهمية بالغة لا يمكن لأي دارس الاستغناء عنها ، لذا خصصت الجامعات والمعاهد العليا أقساما خاصة للترجمة ، يفد إليها الطلاب وينحلون من معيها ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهميتها وصلتها بجميع العلوم المدروسة في الجامعات والمعاهد العليا .

والدافع الأساسي لكتابة هذه المقالة هو إبراز الدور الذي تلعبه الترجمة الذي لا يستطيع أي طالب علم أن يتغافل عنه ، ومنه نقل الآراء والمفاهيم من لغة لأخرى ومن أمة إلى أمة أخرى ، ومن ثم تعتبر الترجمة كالجسر الأساسي لتبادل الآراء والعلوم وغيرها .

واتخذت المقالة المنهج التاريخي الإستردادي لأنه يعتمد على استرداد ما كان في الماضي لمعرفة حقيقة مجريات الأحداث والمشكلات التي شكلت الحاضر وساهمت فيه . يعتمد كاتبها

المقالة في المنهج التاريخي على استرداد المسببات للمقالة وتفصيلاتها و جمع البيانات وتحليلها للوصول الى ما اتت الي المقالة في الحاضر.

### تعريف الترجمة

الترجمة : الترجمة على وزن فعلل مصدرها "ترجمة" , وجمعها "تراجم" , والتاء والميم أصليتان. وجعل الجوهرى التاء زائدة و أورده في كتاب "رجم" و يوافقه في نسخة ما في نسخة من التهذيب من باب "رجم" أيضاً .  
ولها في اللغة ثلاثة معانٍ :

- ١ . الترجمة تعني التحويل, فيقال مثلاً " أرغب أن تُترجم الأقوال إلى أفعال " أي " أرغب أن تتحول الأقوال إلى الأفعال"
- ٢ . الترجمة تعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى. فقولنا " ترجمت النص العربي إلى الإنكليزية" أي " نقلت النص من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية."

٣ . الترجمة تعني التبيان والتوضيح . و"ترجم فلان كلامه" إذا بيّنه ووضحه .

واسم الفاعل "ترجمان" ويلفظ بأشكال مختلفة.<sup>(١)</sup>

لمحة تاريخية موجزة عن الترجمة

ظلت طرائق الترجمة يتجاذبها، على مر التاريخ، قطبان متصارعان. يتعصب أنصار القطب الأول للترجمة الحرفية، أي الأمانة، ويرفضون الترجمة الحرة، أو ما كان يعرف باسم الترجمة الحسنة الخائنة. ويجعل أنصار القطب الثاني الأولوية للمحتوى على الشكل. وليست هاتان المعادلتان بالمتطابقتين، برغم ما يلوح من شبه بينهما، بما أن الأمانة والخيانة يمكن أن تتجليا في المحتوى تجليهما في الشكل<sup>(٢)</sup>. ولقد ظهرت هذه التجاذبات، على مر التاريخ، في نوعين رئيسيين من الترجمة هما الترجمة الدينية والترجمة الأدبية. فقد اتسم النوع الأول بالحرفية حرصاً على تبليغ ما اعتبر كلام الله، المشبع ألباغاً والمفعم أسراراً، تبليغاً أميناً). فقد جاء في التلمود أن حذف حرف أو إضافته يمكن أن ينجم عنهما انحساف العالم.<sup>(٣)</sup>

وبقي شأن الترجمة الدينية كذلك في العصور اللاحقة. فقد ظلت الترجمة الحرفية هي وحدها المقبول بها في ترجمة النصوص المقدسة. فكان الخارج عنها يرمى بالهرطقة والابتداع، على الرغم من تأكيد القديس بولس، في وصيته إلى الكورنثيين (الرسالة الأولى، ١٤ : ٢)، على أن من يتكلم لسانا أجنبيا لا يخاطب الناس، بل يخاطب الله. ويبلغ هذا الأمر مداه عند المسلمين، في قناعتهم الراسخة بتعذر ترجمة القرآن. ولذلك لا يزالون في جميع أقطار العالم، إلى يومنا هذا، يجدون لزاما عليهم، إذا قاموا إلى الصلاة، أو قرؤوا القرآن، أن يقرؤوه بلسانه العربي.

أما الترجمة الأدبية فقد ظلت تتراوح بين التصرف الحر (كما تجلى في ما سمي بالترجمة الحسنة الخائنة في القرن السابع عشر) والمطابقة الحرفية للنص الأصلي (كما كان حالها، على سبيل التمثيل، عند مترجمي القرن التاسع عشر)، التي تعكس حاجة جميع المترجمين إلى النظر من "وجهي المرأة" (٤).

أما القرن السابع عشر فقد كان عصر الترجمات "الحسان الخائئات". فقد سادته الترجمة الحرة، وأصبح فيه أدب الخدلة يتحكم في الذوق، والأكاديمية تلقن "الاستعمال السليم". ويأتي على رأس المشتغلين بهذه الترجمة بيرو دابلاكور، الذي منحه الأكاديمية عضويتها في عام ١٦٣٧. (٥)

وقد كان القدامى يلتزمون في ترجماتهم، ولا يخرجون عنه". وكان أبلانكور يعتبر "الفصاحة والبيان أمرين بالغي الدقة، بحيث يكفي، في بعض الأحيان، إضافة مقطع لفظي واحد أو حذفه لإفسادهما" فكان يؤثر الاستعمال الذي يقره "اللوfer" على الاستعمال الذي تفرضه المجامع الدينية (٦). ويتجلى هذا الأمر في أتم وضوح في مسرحية موليير (Femmes Savantes) وبذلك يصير من اليسير علينا أن ندرك كيف أن الترجمات "الحسان الخائئات" كانت تبدو عند كثير من معاصري أبلانكور ترجمات "أمينة".

لقد شهدت القرون السابقة وفرة في الدراسات النقدية التي عنيت ببحث الطرائق المعتمدة في الترجمة. لكنها دراسات كانت تغلب عليها التقييمات الانطباعية لما ينبغي أن

تكون عليه الترجمة الجيدة. وظلت الدراسات الترجيحية على حالها تلك، إلى منتصف القرن العشرين، حيث ظهرت أولى الدراسات اللسانية التي اهتمت بالترجمة. وهي دراسات لم يعد أصحابها يعتبرون الترجمة مجرد فن، بل أصبحوا يعتبرونها، كذلك، بمثابة علم من العلوم، ويسعون، من ثم، إلى منهجية سيرورة عملية الترجمة

### الترجمة عند العرب

عرف العرب الترجمة منذ أقدم عصورهم، ولقد أشار الدكتور عبد السلام كفاي في كتابه "في الأدب المقارن" إلى أن العرب كانوا "يرتحلون للتجارة صيفًا وشتاءً ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة، لقد عرفوا بلاد الفرس، وانتقلت إليهم ألوان من ثقافتهم.. وانتقلت بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية، وظهرت في شعر كبار الشعراء، وكان الأعشى من أشهر من استخدموا في شعرهم كلمات فارسية. كذلك عرف البعض جيرانهم البيزنطيين. (٦)

إذن احتك العرب منذ جاهليتهم بالشعوب الثلاثة المحيطة بهم، وهي الروم في الشمال والفرس في الشرق والأحباش في الجنوب، ومن الصعب قيام مثل هذه الصلات الأدبية والاقتصادية دون وجود ترجمة، وإن كانت في مراحلها البدائية.

وفي زمن الدولة الأموية، تمت ترجمة الدواوين، واهتم بحركة الترجمة الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

الترجمة في العصر العباسي : كانت بعد الفتوحات العربية، واتساع رقعة الدولة العربية نحو الشرق والغرب، واتصال العرب المباشر بغيرهم من الشعوب المجاورة وفي مقدمتهم الفرس واليونان ولا سيما في العصر العباسي، ازدادت الحاجة إلى الترجمة، فقام العرب بترجمة علوم اليونان، وبعض الأعمال الأدبية الفارسية، فترجموا عن اليونانية علوم الطب والفلك والرياضيات والموسيقى والفلسفة والنقد.

وبلغت حركة الترجمة مرحلة متطورة في العصر العباسي زمن الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون، الذي يروى أنه كان يمنح بعض المترجمين مثل حنين بن إسحق ما يساوي



وزن كتبه إلى العربية ذهباً، ومن المعروف أن المأمون أسس دار الحكمة في بغداد بهدف تنشيط عمل الترجمة، ومن المعروف أن حنين بن إسحق ترجم وألف الكثير من الكتب وفي علوم متعددة، وتابع ابنه إسحق بن حنين بن إسحق هذا العمل.<sup>(٧)</sup>

ففي القرن التاسع الميلادي، قام العرب بترجمة معظم مؤلفات أرسطو، وهناك مؤلفات كثيرة ترجمت عن اليونانية إلى العربية، وضاع أصلها اليوناني فيما بعد، فأعيدت إلى اللغة اليونانية عن طريق اللغة العربية .

### أهمية الترجمة

تبنى الترجمة جسوراً بين الجماعات البشرية المختلفة، فتيسر التواصل والتفاعل بينها، سواء أكان هذا التفاعل اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً. فالترجمة هي البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر أو يقتحم الآخر الذات.

تعمل الترجمة على تيسير التنمية البشرية، فهي حاضرة دوماً في التبادل التجاري، وإشاعة المعرفة العلمية، ونقل التكنولوجيا أو استنباطها وتوطينها، وغيرها من العمليات الضرورية للاستفادة من علوم الآخر وتقنياته في تحقيق التنمية الهادفة إلى ترقية حياة الإنسان.

### أثر الترجمة

ولعل أثر الترجمة أشد ما يكون وضوحاً في التفاعل الثقافي. فهي تكمن في منظومة المفاهيم الثقافية مثل التبادل الثقافي، والمثاقفة، والتغلغل الثقافي، والإفراغ الثقافي، والغزو الثقافي، والاستلاب، والانفتاح على الآخر، والانغلاق على الذات، والعولمة، إلخ. باعتبار أن الترجمة هي السفينة التي تنقل الحمولات الثقافية المتنوعة من مرفئ إلى آخر.

ولكي يكون التفاعل الثقافي مع الآخر فاعلاً ومؤثراً ومنتجاً، ينبغي لنا أن نعرف الذات بالإضافة إلى معرفتنا للآخر. وإذا كانت الترجمة تساعدنا على معرفة الآخر عن طريق

نقل فكره إلينا، فإنها تساعدنا أيضاً على إدراك الذات بطريقتين متكاملتين. الأولى، تقوم الترجمة بتسليط الضوء على الآخر لتتعرف عليه، وتعرفنا عليه يساعدنا على معرفة أنفسنا، لأننا لا يمكننا أن ندرك الذات ما لم نعرف الآخر، فبالآخر يتحدد الأنا. والثانية، هي أن ندرك ذاتنا عن طريق إدراك الآخر لنا. وتقوم الترجمة بنقل تصورات الآخر عنا إلينا. وبعبارة أخرى، فإن معرفة الذات يتم بالتقاط صورتين متكاملتين: صورة ذاتية نلتقطها نحن لذاتنا، وصورة غيرية يلتقطها الآخر لنا. ومن خلال المقارنة بين الصورتين يزداد إدراكنا لذاتنا وضوحاً. ولهذا كثيراً ما يقرأ المثقفون العرب بعض نصوص الثقافة العربية وهم يقارنونها بنصوص الآخر. فيقارنون بين حي بن يقظان لابن طفيل وجزيرة الكنز لروبنسن كروزو، وبين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتي، والمنقذ من الضلال للغزالي ونظرية الشك لديكارت، وهكذا.

ومن طريف المصادفات أنّ لفظ " الهوية "، في اللغة العربيّة، الذي يدلّ على حقيقة الذات التي تميّزها عن غيرها، مشتقٌّ من لفظ " هو " وليس من لفظ " أنا "، وكان معرفة "الهوية" تتطلب معرفة رأي الآخر في "الأنا".<sup>(٧)</sup>

### أثر الترجمة في الثقافة المنقول إليها

تعمل الترجمة على إحداث نهضة ثقافية واقتصادية. فعندما تقوم الترجمة بنقل مفاهيم ثقافة من الثقافات وعلومها وتقنياتها إلى ثقافة أخرى فإنها تهيئ الأرضية لتلاقح الثقافة المتلقية وغيرها ومن ثم نموها وازدهارها وغناها. ولذلك يلاحظ الباحثون تناسباً طردياً بين التقدم الحضاري وكمية الترجمة. فالبلدان التي تترجم أكثر هي التي تحقق تقدماً أكبر، وأن أغنى عصور الفكر هي تلك التي تزدهر فيها الترجمة وتتوسع. وأن اللغة العالمية هي ليست تلك اللغة التي يتكلمها أكبر عدد من الناس، بل هي تلك اللغة التي تُرجم إليها أكبر عدد من الأعمال من مختلف اللغات.

تعلمنا دروس التاريخ أن الترجمة كانت وما تزال الوسيلة الأساسية في التفاعل الثقافي مع الآخر واكتساب المعرفة منه، وهي قاعدة انطلاق النهضة الحضارية الكبرى. فعندما سيطر البابليون بقيادة ملكهم حمورابي حوالي عام ١٧٥٠ ق.م. على بلاد سومر، وجدوا أن للسومريين ثقافة تفوق ما لديهم بكثير، فالسومريون هم الذين ابتدعوا الكتابة المسمارية، وفتحوا المدارس، واخترعوا العجلة، وابتكروا المحراث، وقسموا الزمن إلى وحدات، وسنوا القوانين والتشريعات. فراح البابليون يعلمون أولادهم العلوم السومرية. ولكي يساعدهم على استيعابها بلغتها السومرية، حرروا لهم قوائم بالرموز السومرية ومقابلاتها البابلية. فكانت هذه القوائم بدايات المعاجم الثنائية اللغة التي ظلت حتى يومنا هذا أداة رئيسية من أدوات الترجمة.

لا يتوقف دور الترجمة عند إثراء الثقافة المتلقية ولغتها واقتصادها، وإنما يتعدى ذلك إلى التأثير في الحركات الاجتماعية والسياسية، خاصة عندما تُترجم أعمال ذات صلة بفكر إيديولوجي معين. ويمكن أن تمثل لذلك بتأثر الحركات الاجتماعية والسياسية خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين بالترجمات الكثيرة من الفكر الماركسي الاشتراكي. كما أدى الاحتكاك بالغرب عموماً وترجمة الفكر الغربي إلى تحولات بنوية في المجتمعات العربية، وتحولات في العلاقات الاجتماعية ومكانة المرأة، وتطور في أساليب المعيشة وعادات العمل والأكل وفي الطرز المعمارية وغيرها من الأنشطة الاجتماعية.

ويذهب بعضهم إلى أن مكانة الترجمة قد ترحلت في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال ليتعزز دور الصورة. بيد أننا نرى أنه على الرغم من أن الصورة تساوي ألف كلمة، كما يقول المثل الغربي، فإن الصورة عادة ما يصاحبها شرح مكتوب أو منطوق، لإبلاغ مضمون الصورة بصورة أقرب إلى الكمال. وهذا الشرح بحاجة إلى جوازٍ ترجمة عند عبوره الحدود الثقافية أو اللغوية.<sup>(٨)</sup>

### دور الترجمة في تطوير الدراسات العربية

تعدُّ الترجمة أحد أهم عوامل النهضة العربية الحديثة، التي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر. فقد كانت الترجمة أداة الاتصال الثقافي والفكري بالحضارة الغربية الحديثة. ومن المعلوم

أن معظم رواد النهضة العربية قد مارسوا الترجمة وأسهموا في تطويرها. ففي عهد محمد علي باشا، قام رفاعة رافع الطهطاوي بتأسيس مدرسة اللسن في القاهرة عام ١٨٣٥، وترجم نحو عشرين كتابا منها رواية: (مغامرات تليماك، ١٨٤٨). وترجم تلامذته ما يربو على ألفي كتاب في مختلف الاختصاصات. واتسعت حركة الترجمة في مصر وبلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر، إلى درجة أن بعض المؤرخين يرى أنها كانت أنشط من حركة الترجمة في تلك الأقطار اليوم.<sup>(٩)</sup>

### كيف أسهمت الترجمة في تطوير اللغة العربية في العصر الحديث؟

١. تمكين اللغة العربية من التخلص من سلبيات لغة عصر الانحطاط:

من المعلوم أن الكتابة العربية كانت، في نهاية القرن الثامن عشر، تميل إلى الاهتمام بالصنعة اللفظية، والمبالغة في استخدام المحسنات البديعية، دون الاهتمام بالمعاني والأفكار، كما اكتظت نصوص تلك الفترة بالألفاظ الأجنبية والعامية.

وبما أن الترجمة، في الأساس، نقل للمعاني والأفكار من لغة ما إلى لغة أخرى، فهي أجبرت المترجمين بشكل خاص، والكتاب بشكل عام، على التخلص من قيود السجع والمحسنات اللفظية، والتركيز على المعاني والأفكار، وذلك منذ بداية عصر النهضة. ومن اللافت حقا أن نجد، في نصوص رفاعة الطهطاوي، المترجمة مثل (مغامرات تليماك)، أو المؤلفه مثل (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، صفحات من النثر التقريري، الخالي من جميع أنواع البديع، لاسيما تلك الفقرات التي يقدم فيها بعض أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية في فرنسا، مثل الصحف، والكليات، والمتاحف .

باختصار، يمكن القول إن الترجمة هي العامل الأول في إزاحة أسلوب السجع والبديع،

وترسيخ الأسلوب المرسل في النثر العربي الحديث في نهاية القرن التاسع عشر.<sup>(١٠)</sup>

٢. إدخال المصطلحات الحديثة في اللغة العربية:

عند قراءتنا لنصوص رفاعة الطهطاوي نلمس الصعوبة التي يمكن الكتاب والمترجمين عند البحث عن كلمات أو مسميات عربية مناسبة للكلمات الهائل من الظواهر المرتبطة بالحياة الغربية،

التي تتوزع بين شتى العلوم والمعارف. وقد رُفد المترجمون اللغة العربية بكثير من المصطلحات والتعبيرات الجديدة، عن طرق الاستعارة، والاقتراض، والاشتقاق والنحت، أو التوليد اللفظي، والتوليد الدلالي. ويتضمن المعجم العربي اليوم آلاف المصطلحات والمفاهيم التي دخلته عن طريق الترجمة، وقد سجّلها (المعجم الوسيط) باعتبارها جزءاً في المعرب أو من الدخيل، أو ممّ أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولا تزال كثير من المصطلحات (المعربة) اليوم خارج المعجم اللغوي المعتمد. وعلى الرغم من بعض السلبيات التي التصقت بتعريب المصطلحات الأجنبية، فيظل للترجمة فضل تعزيز اللغة العربية العلمية التي باتت تحتوي على جميع المصطلحات العلمية المعروفة .

٣. ظهور أجناس أدبية جديدة في الأدب العربي :

يرى الباحثون أن العرب، حين بدؤوا الترجمة في عصرهم الذهبي، اتجهوا إلى حساب الهند وطب الإغريقية وظلت هذه الأجناس الأدبية غريبة على الأدب العربي، إلى أن نشطت حركة الترجمة من جديد في القرن التاسع عشر.

وهناك إجماع على أن مارون النقاش هو أول من أدخل فن المسرح إلى اللغة العربية، وذلك حينما قدم في بيروت عام ١٨٤٧، مسرحية (البخيل)، باللغة العربية الفصحى، هي في الواقع ترجمة لمسرحية لموليير تحمل الاسم نفسه: (البخيل). وبعد وفاة مارون النقاش استمرت فرقته في تمثيل عدد من المسرحيات المترجمة من اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

ومن المؤكد أيضاً أن اللغة العربية قد عرفت القصة القصيرة مترجمة، قبل أن يكتب محمد تيمور قصته الأولى (القطار)، عام ١٩١٧، متأثراً فيها بقصص جي دي موباسان، الذي ظهرت ترجمات لبعض قصصه في مجلة الهلال في نهاية القرن التاسع عشر .

وفي مجال الشعر، يمكن أن نشير هنا إلى ترجمة سليم البستاني ملحة هوميروس (الإلياذة). وفي نهاية القرن التاسع عشر ترجمت كذلك قصائد لألفونس دي لامارتين وفكتور هوجو، وكذلك بعض المسرحيات الشعرية للفرنسي راسين والانجليزي شكسبير. وفي نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي قام علي احمد باكثير بترجمة مسرحية روميو وجوليت) مستخدماً

لأول مرة في اللغة العربية، شعر التفعيلة، ومنذ ذلك الحين فتح الباب على مصراعيه أمام نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وصلاح عبد الصبور، وأدونيس، وعبد الوهاب البياتي، وأحمد عبد المعطي حجازي ليهدموا عرش القصيدة العمودية، وبينوا في مكانه صرح القصيدة الحديثة، التي تعتمد التفعيلة لا البحر، وذلك بتأثير ما قرأوه من شعر غربي، مترجما أو في لغته الأصلية. (١١)

### نتائج المقالة

تمخضت هذه المقالة النتائج التالية :

تناولت هذه المقالة تعريفات متعددة للترجمة ثم ألق ضوءا بسيطا على تاريخها ، كما تطرقت الى ذكر أهميتها لدى الطالب ، وأبرزت الدور الذي تقوم به الترجمة من نقل الآراء والمفاهيم من أمة إلى أمة ومن لغة إلى أخرى ، ومن ثم يمكننا أن نعتبر الترجمة هي الوسيلة الأساسية في تبادل الآراء والأفكار .

### الخاتمة:

لقد ألقى الكاتبان الضوء على مفهوم الترجمة وتاريخها وأثرها على المجتمع ، ولقد ركزا على الفوائد الجمة التي تنبعث من خلال الترجمة ، والخلفية التاريخية للترجمة منذ العصر الجاهلي ومرورا بالعصر العباسي إلى عصر النهضة الحديثة عندما غزا نابليون بنا بورت مصر . كما أوأصى الكاتبان الطلاب بالسعي الحثيث لمعرفة فنن وخفايا الترجمة لأنها اللبنة الأساسية لكل العلوم .

## المصادر والمراجع

١. حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر جاك تاجر، دار المعارف، ١٩٥٤، ص٣٦)
٢. نشرت هذه الدراسة في العدد الأول من مجلة "تبئين" الصيف ٢٠١٢، بالصفحات (٩٧ - ١١٦). ومجلة "تبئين" واحدة من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
٣. كاري إ. (١٩٦٢) "Pour une théorie de la traduction I" (مجلة Journal des traducteurs، المجلد السابع، العدد ٤. سيليسكوفيتش د. (١٩٦٨): L'interprète dans les conférences internationales، باريز، نشر Minard.
٤. بشير العيسوي، لترجمه الي العربية :قضايا واره . دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٦ -ص... 132
٥. محمد عناني، فن الترجمة، تاريخ النشر: ١/٠١/١٩٩٤. الناشر: مكتبة لبنان ناشرون السلسلة: أدبيات.
٦. محمد هاشم الحديدي، الفريد في الترجمة التحريرية، تاريخ النشر: ١٠/٠٣/٢٠١١. الناشر: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
٧. باسنيث م.ك (١٩٨٠) Translation Studies: (، لندن، نشر Methuen
٨. محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق - الناشر: لونجمان - القاهرة الطبعة: سنة ٢٠٠٣ م ص ٢٥٨
٩. بيرجيتا إنغلوند ديميتروف Expertise and explicitation in the translation process تاريخ النشر / ٢٠٠٥ لندن
١٠. محمد عصفور، دراسات في الترجمة ونقدها، دار الكتب، سنة ٢٠٠٩، بيروت لبنان ص ١٢٥
١١. عصفور محمد حسن تأثير الترجمة على اللغة العربية، الناشر: مؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ٢٠٠٩ م ص ٢٤٣

الترجمة ودورها في تطوير الأدب العربي في نيجيريا: كتاب "أبجو أودي ننوبو أولودمري"  
لمشهود محمود جمبا نموذجاً

محمد الجامع يعقوب

الأستاذ الدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم

[imamjamiuqaub@gmail.com](mailto:imamjamiuqaub@gmail.com)

08067673218

مقدمة

لا يخفى أن الترجمة إبداع حيوي، وتزواج فكري، وتبادل ثقافي، وعطاء أدبي، ومشاركة علمية، يستطيع الإنسان بواسطتها الانفتاح على تراث قوم من الأقسام، وعلى مستجدات العالم ثقافة وحضارة وتعارفاً. ومن هنا تبدو الحكمة الإلهية في خلق الناس شعوبا وقبائل، كما أن في اختلاف ألسنتهم وألوانهم آية يتمّ خلاله التبادل بين بني البشر في معطيات لغاتهم المتباينة. فالترجمة عمل جليل يتطلب كثيرا من الجهد وغزيرا من المعرفة وقسطا كبيرا من الثقافة والموهبة والذوق والوجدان؛ ذلك أنها محاولة نقل تراث قوم وعصارة أفكارهم إلى قوم آخرين مجاوزة حواجز المكان والزمان، ولقد يشهد التاريخ الإسلامي والعربي للترجمة بما لها من الأدوار الجليلة في استجماع ثراوات اليونان العلمية وإدخالها إلى اللغة العربية لحما طريا وثمّارا قطفها دانية، وكذلك الحال عند اليونان تأثراً بتراث العرب.

وفي السطور التالية أسلّط الضوء على دور الترجمة في تطوير الأدب العربي في نيجيريا في

سبعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الترجمة

المبحث الثاني: أنواع الترجمة

المبحث الثالث: أسس الترجمة وعناصرها

المبحث الرابع: مؤهلات المترجم وأدواته



المبحث الخامس: حركة الترجمة في نيجيريا

المبحث السادس: دور الترجمة في تطوير الأدب العربي في نيجيريا

المبحث السابع: مشهود محمود جمبا ودوره في تطوير الأدب العربي في نيجيريا خلال كتابه المترجم "الصيد الجريء في غابة العفاريت".

### المبحث الأول: مفهوم الترجمة

#### المعنى اللغوي:

فللكشف عن حقيقة معنى كلمة من الكلمات العربية لا بد من ردها وإرجاعها إلى جذرها ومادتها. فالترجمة مصدر لفعل رباعي مجرد على وزن فعلل، وإذا قيل: <sup>(١)</sup>ترجم الكلام: بينه ووضحه. وكلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى. ولفلان: ذكر ترجمته. فهو مترجم.

وترجمان بفتح التاء وضمها: المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه، وهو من المثل الذي لم يذكره سيبويه. أما ترجمان فقد حكيت فيه تُرجمان، بضم أوله، ومثاله فُعْلَان كعُتْرَان ودُحْمُسان، وكذلك التاء أيضا فيمن فتحها أصلية، وإن لم تكن في الكلام مثل جَعْفُر لأنه قد يجوز مع الألف والنون من الأمثلة ما لولاهما لم يجز، كعُنُقوان وخِنْدِيان ورِيَهَقان، ألا ترى أنه ليس في الكلام فُعْلُو ولا فِعْلِي ولا فِعْلُو؟ ويقال: قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر؛ ومنه الترجمان، والجمع التراجم مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحاصح. <sup>(٢)</sup>

نسرتخلص مما سبق أن مادة ترجم تفيد التبيين والتوضيح، ونقل الكلام من لغة إلى أخرى، (المترجم منها والمترجم إليها) وذكر سيرة شخص.

#### المعنى الاصطلاحي:

هناك تعاريف متعددة للترجمة حسب رؤية كلٍّ من المعرفين لها، ومنها:

الترجمة عملية نقل للألفاظ والمعاني والأفكار من لغة إلى لغة أخرى، سواء أكان النقل بشكل كتابي أم بشكل شفوي. <sup>(٣)</sup>

الترجمة هي عملية تحويل نص أصلي مكتوب (ويسمى النص المصدر) من اللغة المصدر إلى نص مكتوب (النص الهدف) في اللغة الأخرى.<sup>(٤)</sup>

فبالنظر الدقيق إلى هذين التعريفين يتبين لنا أن الأول أشمل من الثاني، حيث استوعب زوايا الترجمة، وارتقى إلى جميع ما يمكن أن يدخل في الترجمة شفهيًا كان أو تحريريًا أولفظاً أو فكرةً.<sup>(٥)</sup> وهذا كله يقوم به شخص يطلق عليه لفظ مترجم ويجمع على مترجمين، غير أن الترجمان يجمع على التراجمة وهو يطلق عادة على الترجمة الشفهية<sup>(٦)</sup>

### المبحث الثاني: أهمية الترجمة وأنواعها

لا يخفى ما للترجمة من الأهمية القصوى، إذ تبدد في جنبات الانفتاح على الثقافة العالمية بأشكالها وعلاقة التبادل بينها والتأثر والتأثير بين الحضارات، ولقد لعبت الترجمة دوراً فعالاً في عرض ثقافة الشرق على الغرب والعكس، كما أنها جسر للعبور إلى تراث قوم آخرين، والاقتراف من بنات أفكارهم المعجبة الجذابة، ويعكس هذا الدور للترجمة مدى التأثر والتأثير بين بني البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم منذ القدم إلى يومنا هذا. ويمكن إجمال أهمية الترجمة فيما يأتي:

١. يمثل الترجمة قناة التواصل والتبادل بين الثقافات المختلفة والحضارات المتنوعة في أرجاء العالم.
٢. قامت حركة الترجمة على أساس الأخذ والعطاء بين تراث الشرق والغرب.
٣. تمثل دور الكشاف للغة من لغات العالم شكلاً ومضموناً.
٤. تُعين على معرفة تاريخ قوم من الأقباط، كما تنوّه بشرف أبرز رجالهم و دورهم الفعّال في وضع أساس علم من العلوم وفي رقيّ فنّ من الفنون
٥. تعرض الدنيا وتقدّمها كقرية صغيرة يستطيع الإنسان المثقّف السير في صحرائها الواسعة والوقوف على أحداثها وأخبارها بين عشية وضحاها بل ما بين طرفة عين وانتباهتها.

هذا، فالترجمة لها أنواع، سواء باعتبار القنوات أو باعتبار الخطة، أما تقسيمها نظرا لقنوتها فهي قسمان رئيسان،<sup>(٧)</sup> هما الترجمة الشفوية والترجمة التحريرية، إلا أن هناك قسما آخر برز نتيجة التيارات التكنولوجية وهو الترجمة الآلية.

أما الترجمة الشفهوية، فهي أقدم نوعا من أنواع الترجمة، ذلك أنها تفي بحاجات الناس وتلبي رغباتهم في خلق التواصل بينهم سواء أكان بين الدول في أمور السياسة وغيرها أو بين الأفراد فيما تملي عليهم حياتهم اليومية .

أما الترجمة التحريرية، فهي نقل وتحويل النص المكتوب من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.<sup>(٨)</sup> ويجري أثناء هذه العملية ما يلزم من تغيير أو تبديل أو حذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير في النص المترجم.

وتحت هذا النوع تندرج الترجمة الديوانية والعقلية. فالأولى تسبح في فلك الأعمال اليومية أو أنشطة الديوانية أو المصلحية، بما أنها ترتقي إلى إيجاد العلاقة وتوطيدها بين الدول المتجاورة وغير المتجاورة. والأخيرة تتمثل في نقل بنات أفكار أمة من الأمم وتعريف آثارهم أمام الشعب المترجم النص إلى لغته لغرض التأثير والتأثير.

والترجمة الآلية جاءت - فيما يبدو - نتيجة التطورات التكنولوجية المتفجرة كل وقت وحين، وهذا النوع يتوقف سيره على الأجهزة حيث تلعب دور الترجمان بواسطة ما تم تخزينها في ذاكرتها من البرامج .

أما تقسيم الترجمة باعتبار الخطة فهو كما يلي:

١. الترجمة الحرفية

٢. الترجمة المعنوية

٣. الترجمة الاتصالية

أما الترجمة الحرفية فهي التي يعتمد فيها أكثر على الكلمات الواردة في النص المترجم منه (المصدر)، فيفحص عن الكلمات المقابلة لها في اللغة المستقبلة دون اعتبار للمعنى الذي

يقصده مؤلف النص الأصلي ودون مراعاة ما يستفاد من انتظام الكلمات من المعاني ومن هنا يبدو مثل هذه الترجمة باردة ركيكة.<sup>(٩)</sup>

\* أما الترجمة المعنوية فتتمثل في فهم النص الأصلي فهما دقيقا حيث تعقب عملية الترجمة هذا الفهم العميق المنتج، ينقل المترجم أفكار النص الأصلي ومعانيه إلى اللغة المستقبلية مع مراعاة التوازن بين المصدر والهدف بحيث لا يصبح النصّ جديدا بعد الترجمة.

\* أما الترجمة الاتصالية فهي محاولة نقل المعنى المقصود وراء النص الأصلي إلى اللغة المستقبلية بأسلوبها المخالف للأسلوب المصوغ في أفقه النص الأصلي (المصدر)، ومن هنا يبدو المترجم في صورة مؤلف جديد لما احتضن من الأسلوب الجديد في تحويل النص.

### المبحث الثالث: أسس الترجمة وعناصرها

لكل شيء أسس يبني عليها غيره وعناصر يتكوّن منها فهي الترجمة لها أسس وعناصر، وإليك الأسس أولا:

١. الهدف

٢. الأمانة

٣. الطريقة

\* إن الأساس الأول لعملية الترجمة يتمثل في الهدف وراء الترجمة، إذ الهدف يختلف من جهة مترجمة إلى جهة أخرى مترجمة تبعا للغاية المنشودة من كلّ، فمثلا الترجمة الصادرة عن مؤسسة أو هيئة حكومية كثيرا ما تصطبغ بطابع رسالة مؤداة غير أن الصادرة عن الأفراد من الترجمة قد يقصد وراءها إشباع رغبة القارئ أو إمتاعه في طريقة من الطرق. ومع هذا تنوع الهدف فالكمل لا يخلو من الغاية، إذ أي عمل لا يرجى وراءه أي هدف فهو قتل للوقت وتضييع للحياة.

\* أما الأمانة فهي روح الترجمة، إذ بها يبقى النص المترجم قريبا من الأصل؛ لذلك يتوجب على المترجم أن يبذل ما في وسعه للتقريب بين الأصل والهدف، فمثلا الاستعارة والتشبيه

والكناية في اللغة العربية تختلف عن أخواتها في لغة أخرى، ولا بد للمترجم إذن أن يتجنّب الترجمة الحرفية في مثل هذه الأشياء، وإلا أصبح عمله ركيكا مبتذلا.

\* أما الطريقة فلها أكبر أثر في جذب قلوب الواقفين على النص المترجم إلى لغة أخرى مستقبلية، إذ مراعاة أساليب الكلام عند أهل اللغة المستقبلية يعطي النص رونقا وجمالا، وهذا يتطلب من المترجم مهارة فائقة ومقدرة لغوية ممتازة في كلا اللغتين المصدر والهدف. والعنصر الذي يكوّن عملية الترجمة هي: اللغة المصدر، النص المصدر، المترجم، النص الهدف، لغة الترجمة، اللغة الهدف.

\* اللغة المصدر هي اللغة الأصلية التي منها تنتقل الترجمة، والنص المصدر هو ما وقع عليه الاختيار من النصوص للترجمة، والمترجم هو القائم بعملية الترجمة التي هي تحويل نصّ من لغة (المصدر) إلى لغة أخرى (الهدف)، والنص الهدف فهو النص المحوّل إلى لغة مستقبلية ويكون في نظرة أهل تلك اللغة في باكورة حياته، ولغة الترجمة هي الأساليب المتبعة والمصطلحات المستخدمة في الترجمة، واللغة الهدف هي اللغة المستقبلية. فهذه ما يبني منها الترجمة.

#### المبحث الرابع: مؤهلات المترجم وأدواته

ليس من الشك من شيء أن الترجمة صناعة كبرى يتطلب مهارات عميقة وتأهيلات عالية، لأنها أخت التحقيق إلا أن هناك فرقا بينهما في بعض الجوانب لكنهما عبارة عن محاولة إبقاء النص على حالته الأصليّة مع تغييرات يسيرة لا بأس بها في بعض الأحيان، فالترجمة تحويل للنص من لغة إلى أخرى وهو ليس عملا يقوم به كل من هبّ ودبّ؛ وفيما يلي أسرد جملة من شروط يجب توافرها في المترجم قبل مباشرة الترجمة:

١. قاعدة عريضة من مفردات اللغة التي يترجم منها وإليها وكذلك إلمام كامل بالمصطلحات والتعبيرات التي تتميز بها كل لغة<sup>(١٠)</sup> ولا بدّ للمترجم أن يحقق التوازن بين مفردات معجمية، ومصطلحات علمية أو فنية، مع الوقوف على تاريخ وثقافة وطبائع وأنماط أهل اللغة بأنواعها، وإذا ارتفعت كفة منهما على أخرى أصبح عمله لا يسمن ولا يغني من جوع.

٢. دراسة متعمقة للقواعد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، حيث يحاول المترجم التقريب بين اللغة المصدر واللغة الهدف، فمثلاً نلاحظ أن وضع البلاغة من لغة إلى أخرى يختلف وكذلك الحال في القواعد اللغوية، وإذا ما لم يعرف المترجم ما يناسب ويوازي من لهجة إلى أخرى فإنه يفشل في آخر المطاف.

٣. ثقافة واسعة، هذه عمدة من أعمدة الترجمة وأساس يبني عليه المترجم عمله، فبقدر ثقافة المترجم يكون عمله، إذ الترجمة تنبئ عن مدى الثقافة القائم بها، وهذه الثقافة لا تقتصر على لغته فقط وإنما يجمع إليها لغة الهدف.

٤. الأمانة في نقل الأفكار الواردة في النص الأصلي ونقلها بلغة واضحة وسلسلة ومفهومة إلى اللغة المترجم إليها بدون اختصار أو حذف.<sup>(١١)</sup>

أما أدواته فهي ما يتسلح بها المترجم في رحلته الترجمة، وهي:

١. المعاجم والقوامس بأنواعها ٢- دوائر المعارف أو الموسوعة العلميّة بأشكالها ٣- كتب قواعد اللغة ٤- الكمبيوتر، وجهاز الكمبيوتر لا يعتمد عليه اعتماداً كلياً في الترجمة إذ لا يغني عن الإنسان المترجم بحال من الأحوال.

### المبحث الخامس: حركة الترجمة في نيجيريا

إنّ للترجمة في نيجيريا حركةً إيجابية لا يستهان بها، ورتياً ينمّ عن مدى مستوى ثقافة أهل نيجيريا منذ القدم حيث وضعوا الترجمة كجسر قويّ للعبور إلى مضامين تراث الأجنبي أياً كان نوعه، بل ليس من المغالاة في القول إذا قلنا إن الترجمة انطلقت حركتها و انتفضت بدخول الإسلام في نيجيريا، إذ المكتوبات العربيّة وقتئذٍ تترجم شفهيّةً إلى اللغة المحليّة النيجيرية من قبل علماء لهم إلمام قائم على قدم وساق باللغة العربيّة، فعلاقة العربيّة بالدين حدث هؤلاء العلماء إلى أن يدخلوا في خدمة هذه اللغة المتعلقة بالدين أفواجاً تعلّماً وتعليماً وترجمةً بنوعيهما (الشفوي والتحريري)، فتراهم يقرؤون نصوصاً من القرآن الكريم أو الحديث النبويّ الشريف والترجمة قائمة في أعقابها؛ ذلك ليفهم العامة ما تحملها تلكم النصوص من الأوامر والنواهي

وتعتبر من أبرز حركات الترجمة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليوروبابوية التي قامت بها نخبة من علماء جنوب نيجيريا منهم الشيخ كمال الدين الأدبي رئيساً للجنة، والشيخ آدم عبد الله الإلوري سكرتيراً و الشيخ عبد الرحمان صلاح الدين عضواً والشيخ راجي سليمان عضواً والشيخ موسى عضواً والشيخ ألكا (Alaka) الإبادني عضواً، و العمل هذا ما هو إلا تكملة لجهود السابقين إليه أمثال الشيخ تيجاني أكني وغيره<sup>(١٢)</sup> كما ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الهوساوية سنة ١٩٧٩ تحت رئاسة الشيخ أبوبكر محمود جومي. ومازالت ظاهرة الترجمة الفوريّة للنصوص الدينيّة مستمرة إلى يومنا هذا غير أن هناك نوعاً من تطورات العصر لحق الترجمة وأقامها مقاما آخر كريماً، يتمثل هذا المقام في تسجيلات عربية مترجمة إلى اللغة المحلية مسموعةً و مرئيةً، وخطب منبرية في بعض مساجد حيث يتم ترجمة تلكم الخطب ترجمة فورية من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، إذ نجد تسجيلات ووثائق فليمية مترجمة إلى اللغة اليوروبابوية قام بها عدد من أبناء نيجيريا، منهم السيد أونيينيتيسي الذي ترجم فيلم قصة نبي الله يوسف عليه السلام من اللغة العربية إلى اللغة اليوروبابوية ، والسيد لقمان إساليكوتو المترجم لفيلم سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من العربية إلى اليوروبابوية وكذلك فيلم وثائق تاريخية عنوانها أرض القرآن حيث ترجمها من العربية إلى اليوروبابوية وغيرهما من المترجمين لتسجيلات عربيّة. كما أن هناك كتباً ترجمت من العربية إلى المحلية مثل كتاب كيف نربي أولادنا للشيخ جميل زين الذي قام بترجمته الدكتور عبد القادر الجمعة السلطان شولايبو مدير دار الكتاب والسنة إلى اللغة المحلية وغير هذا من الكتب الدينية المترجمة. هذا، فليس من نافلة القول في هذا الصدد أن أشير بالضرورة إلى دور مجالس الوعظ والتفسير في رفع مستوى الأدب العربي في نيجيريا، بل يمكننا القول أن مجالس التفسير -سواء في أيام رمضان أو في غيرها- أكبر قناة للترجمة الدينية التي من شأنها أخيراً تشييد بناء الأدب العربي.

### المبحث السادس: دور الترجمة في تطوير الأدب العربي في نيجيريا

بما أن اللغة العربية لغة بلغت أوج الرقيّ والازدهار بين أخواتها السامية خاصةً وبين لغات العالم عامةً، وهي تتمتع بالمعطيات اللسانيّة الشّيقة المدهشة؛ لما لها من العلاقة المتينة بالدين

علاوة أن العرب أنفسهم لم يهنوا ولم يضعفوا في نشر لغتهم وتوسيع رقعتها بين بني البشر ثقافةً وعلماً وأدباً ليتبدى جمالها أمام الجميع وليشهد لها العالم بما لها من الثروة اللغوية والعلمية منذ العصر القديم. ولقد استطاعت اللغة العربية خرق البلاد طويلاً وعرضاً واستتب أمرها وسلطانها فيها حباً فيها من الناس، وهذا ينعكس في إقبال الناس عليها إقبالا يعجز عنه الوصف والتقدير، وكلّ هذا بفضل ما تزخر بها من ثقافة يخرس أمامها معظم الثقافات إذا احتطنا في القول، ولكنّ هذا الفضل الذي لتنوء بالعصبة أولى القوة قد لا يعمّ عطاؤه وفائدته إلا بتحويله من العربيّة إلى الإنجليزيتة (الترجمة) وبالعكس؛ ذلك أنّ الترجمة سنة الله في الخلق ولن تجد لسنةه تبديلاً، لولاها لتعطلت حركات التبادل بأنواعها بين الناس ولعميت محتويات لغة قوم على قوم آخرين. (١٣) وما من أمة قامت حضارتها أو ثقافتها بمعزل عن الحضارات والثقافات الأخرى سواء كان في العصور القديمة أو في العصر الحديث.

أيقظت حركة الترجمة العرب ودفعتهم إلى إحياء ثقافتهم بالاطلاع على ما عند الآخرين من ناحية، وبقراءة تراثهم القديم من ناحية أخرى، وكما أسهمت الترجمة في إحياء الثقافة العربية وتطويرها وترقيتها وإعادة توجيهها أسهمت أيضا في إعادة الحياة إلى اللغة العربية بتحديث أساليبها وتطوير مفرداتها للأفكار والمضامين المستحدثة وإغناء معاجمها. (١٤)

فما أحوج اللغة العربية وآدابها اليوم في نيجيريا إلى الترجمة لتخرج عن إطار ضيق إلى ساحة كبيرة، حيث إن السواد الأعظم من أهل نيجيريا يقصرون العربية على الدين، ولم يروها لغة تستطيع مساهمة تطورات العصر في شئ، وإذا ما سمعوا العربية ترى حالهم كالمغشي عليه من الموت، حتى المسلمون أنفسهم بعضهم يستصغرون العربية وينظرون إليها بعين احتقار، لكن بمجرد أن نشأت الترجمة - والجهد عليها مكرس إلى حدٍ كبير - بدأ قليلٌ منهم يُفبقون من سباتهم ويفهمون الموضوع على حقيقته. و إذا ما أريد التطوير بالأدب العربي في نيجيريا في العصر الحاضر فلا بد من القيام بأدوار يقظة ممن يشعرون بالحمية والنخوة نحو اللغة العربية في نيجيريا. ومن أبرز هذه الأدوار الترجمة بأصربها، فالترجمة تفتح العيون على مواطن الجمال في الأدب العربي وتُحسّن المستوى وتُرغّب النفوس فيه، وليبدو لنا صدق الروح في الكلام



أعرض على القارئ العزيز طائفة من أعمال الترجمة لبعض أعلام نيجيريا، حيث أثاروا بذلك الطريق لمن يأتي بعدهم من الجيل الصاعد محاولاً تشييداً ما بنوه بقواهم الترجمة، وهذا الجهد الكبير من قبل هؤلاء الأعلام هو عين التبصير للناس وفتح عيونهم على تراث أهل نيجيريا روايةً، كما أنه منهم محاولة على ترغيب النيجيريين على اختلاف أجناسهم في قراءة ما حرّته وأنتجته أفكار رجالهم، إذ نجد أناساً يرغبون عن تليد أهلهم محتجّين أن ليس فيه ما يشدّ النفس والأمر خلاف ذلك، ومن إنتاجهم في هذا الباب مايلي:

- ١- ليلة سمر إفريقية، ترجمة الدكتور أولاليري أديغن لرواية (Night African Entertainment 1994) من الإنجليزية إلى العربية
- ٢- ثقب في ثوب الأسود، ترجمة الدكتور السابق ذكره لرواية إحسان عبد القدوس بعنوان (Holes in Black Garment) من العربية إلى الإنجليزية
- ٣- أعشاب ملتهبة، ترجمة الدكتور مسعود راجي لرواية (The Burning Grass) 1997
- ٤- القصب المخيم، ترجمة الأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام لرواية يورباوية (Ireke Onibudo) 1994
- ٥- الصياد الجريء في غابة العفاريت، ترجمة الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا لرواية يورباوية (Ogboju Ode ninu igbo irumole)
- ٦- كوكب النهار، ترجمة الدكتور عبد الرفيع أساليجو لرواية يورباوية (Irawo-Osan) (١٥)
٧. حصاد الفساد، ترجمة الباحث أكنديلي مجيب أبولوري لرواية (Harvest of Corruption) 2018 (١٦)
٨. الانتخاب مؤامرة، ترجمة عبد الرحيم عيسى الأول لرواية (Oteni Igbo) (١٧)

إن ما سبق عرضه من حركة الترجمة التي قام بها طائفة من علماء اللغة العربية في نيجيريا - ولا يزالون يباشرون العمل حتى اليوم- هو غيبض من فيض، إلا أنه ينمّ نوعاً ما عن مدى

اتساع رقعة حركة الترجمة وقوة شوكتها في تطوير اللغة العربية في نيجيريا، كما أن لجامعات نيجيريا جهداً آخر طيّباً يشكر في مجال الترجمة تطويراً للغة العربية، حيث أوجبت على من قدّم بحثاً للتخرج في مرحلة من المراحل ترجمةً عنوان بحثه وملخصه ليفتح بذلك لغير الناطقين بالعربية باب الاطلاع على مضمون عمله جملةً لا تفصيلاً.

### المبحث السابع: ترجمة مشهود محمود جمبا لكتاب "أبوجو أدي ننو إبو ألودمري"

بحقّ يعتبر مشهود محمود جمبا نجماً لامعاً من نجوم اللغة العربية وأدائها في نيجيريا حيث كان ولا يزال همزة وصل بين الأدبين: العربي والشعبي، ومما يشهد له برفعة الرأس وعلو الكعب بين بني جلدته إثراءه المكتبات العربية بشتى الإنتاجات سواء المترجم منها من المحلية إلى العربية ككتاب "أبوجو أدي ننو إبو ألودمري" الذي هو موضع حديثنا، أو المكتوب بالعربية أصلاً وهذا الجانب من أعماله لا يعدّ على رؤوس الأصابع سواء .

وتعد ترجمة الروايات التي أسهم فيها جمبا إسهاماً حقيقياً في مجال التواصل الحضاري والثقافي بين الأمة العربية والشعوب الأفريقية ذات قيمة، كما تكشف عما تزخر به القارة الأفريقية من كنوز وروائع أدبية، ويرد على الدعاوى والشبهات المشككة في وجود أدب أفريقي والتي تعارض فكرة وجود قدرة إبداعية وتعبيرية لدى الأفارقة قديماً ويبعد الرأي بأن العقل الزنجي عقل متخلف، وإضافة لهذا كله يأتي الكتاب ليؤكد تعاظم دور المستعربين الأفارقة في تفعيل مسار عملية التثاقف الحضاري والنهوض بحركة الترجمة من اللغات الأفريقية إلى العربية.

ولقد وضع المترجم هذا الكتاب في أربعة فصول، تناول في الفصل الأول حياة المؤلف وثقافته وأعماله ومصادره، وتصدى في الفصل الثاني لعرض المشكلات المتعلقة بالترجمة وشرح فيه الأسباب والمشكلات التي واجهها والمناهج التي سار عليها في ترجمته، أما الفصل الثالث الذي احتوى نصوص الرواية المترجمة فقد ضم ثمانية أجزاء هي: الأول "أكرا أوغن ووالداه" وهو الصياد بطل الرواية، والثاني "أكرا أوغن في غابة العفاريت للمرة الأولى"، والثالث "أكرا أوغن في غابة العفاريت للمرة الثانية"، والرابع "أكرا أوغن واللقاء مع لامورن"، والخامس "بعثة

جبل لنغودو"، والجزء السادس من الرواية "اليوم الأول عند إراغيجي في البيت ذي الحجرات السابع"، والجزء السابع "اليوم الثاني عند إراغيجي في البيت ذي الحجرات السابع"، والجزء الثامن والأخير "اليوم السابع عند إراغيجي في البيت ذي الحجرات السابع والعودة من جبل لنغودو"، وتناول الفصل الرابع بالتحليل الفني النصوص الروائية المترجمة من حيث الحبكة الفنية الدرامية وشخصياتها والعنصر التعليمي فيها، إضافة إلى تناوله للتحليل اللغوي من حيث اللفظ والأساليب المستخدمة للتكثيف الدلالي في الرواية كالمبالغة والتشبيه والمجاز والكناية، علاوة على الأساليب التعبيرية والقوالب التي تم توظيفها في الرواية مثل الفكاهة والأمثال والأساطير والحكايات على لسان الحيوانات.

ومما يستحق الذكر أن ترجمة هذا الكتاب تعدّ بلا شك عملاً مضمناً وشاقاً تجسّمه المترجم وخاض غماره نظراً لما يكتنف الكتاب من المصطلحات والألفاظ العقدية المحلية، ولقد أجاد فيه المترجم ليس فقط في إعداد ترجمة تضاهي الأصل إبداعاً وجاذبية بل وفي وصل المستعربين الأفارقة مع التراث والأدب الأفريقي حتى لا يظل حكراً على الباحثين الغربيين والاتجاهات العلمانية التي تسعى إلى قطع كل علاقة بين الإسلام وبين آداب وتراث الشعوب الأفريقية.

ولقد أثّرت قضية نقدية حول الأدب الذي أنتجته قرائح النيجيريين باللغة العربية هل هو أدب نيجيري باللغة العربية أو عربي عام؟ ولالأستاذ الدكتور حمزة إيشولا عبد الرحيم رأي حول القضية حين يقول مخالفاً لرأي الأستاذ الدكتور مسعود راجي في سبب ظاهرة هذه الفكرة إذ ينظر مسعود راجي إلى الفكرة من ناحية العلمانية والحداثة والتحرر من قيود الدينونة من الأدباء وينظر إليها الأستاذ الدكتور حمزة إيشولا عبد الرحيم من ناحية طبيعة اللغة إذ يقول: إن هذه الظاهرة ظاهرة لغوية طبيعية تأتي على اللغات عندما تتسع وترسخ قدمها في غير أهلها كالإنجليزية في الكومنولث، والفرنسية في الدول الفرنكوفونية، والدافع إلى هذا الإنتاج الأدبي من أمثال عيسى ألي أبوبكر وإسحاق أوغنييه وغيرهما إنما هو إظهار مقدرة اللغة العربية لتحمل الأفكار الإفريقية من جهة، وإظهار مقدرتهم اللغوية من جهة أخرى. (١٨) وعلى هذا يمكن القول أن البروفيسور حمزة إيشولا عبد الرحيم ينسب كل ما كان أدبا نيجيريا باللغة العربية

إلى الأدب العربي العام مع نوع من التطور الذي هو طبيعة اللغة، لكن الكاتب الحالي يرى أن كل أدب مكتوب باللغة العربية هو أدب عربي؛ إذ اللغة العربية لم تبق كما كانت لغة مضر كما يرى أحمد حسن الزيات حيث يقول: والآداب العربية أغنى الآداب جمعاء؛ لأنها آداب الخليقة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية. فما كانت لغة مضر بعد الإسلام لغة أمة واحدة، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله أو في كنفه، أودعوها معانيهم وتصوراتهم، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم؛ ثم جابت أقطار الأرض تحمل الدين والأدب والحضارة والعلم، فصرعت كل لغة نازلتها ووسعت علوم الأولين وآداب الأقدمين، من يونان وفرس وبهود وهنود وأحباش، واستكملت على عرك الخطوب تلك القرون الطويلة، فشهدت مصارع اللغات حولها وهي مرفوعة الرأس رابطة الجأش ترث نتاج القرائح وثمار العقول من كل أدب ونحلة، فكانت لغات الأمم على اختلافها كالجداول والأنهار، تتألف، ثم تتشعب، ثم تتجمع، ثم تصب في محيط واحد هو اللغة العربية<sup>(١٩)</sup>

ويمكن أن نستخلص من النص السابق أن كل ما كتب أدباً في اللغة العربية يعتبر جزء من الآداب العربية. ووجود روافد أجنبية في ذلك الأدب لا يخرجها من حيز الآداب العربية العامة، ومن هنا سينظر الباحث إلى الجوانب الآتية لكي يشير إلى ما أتت بها الترجمة إلى الأدب العربي، والجوانب هي:

- الأسلوب
- اللغة
- الفكرة

وبالنظر الدقيق إلى الكتب المترجمة إلى العربية - وخاصة الرواية منها- وعلى سبيل المثال كتاب: "قصب المخيم" لأحمد شيخ عبد السلام وكتاب: "الصياد الجريء في غابة العفاريث" لمشهود محمود جمبا، وغيرهما، نلاحظ فيهما عددا كبيرا من الجوانب التطويرية بدايةً من الأسلوب في كتاب قصب المخيم حيث يتميز بأسلوب جذاب رصين وهو على الأسلوب المتأدب لا صعب فيحوج القارئ إلى اصطحاب المعاجم ولا سهل بارد فيمل منه القارئ وإنما

كان بين ذلك قواما. هذا، بالإضافة إلى خاصية تعلوه هذه الترجمة وتجعلها تختلف نوعا ما عن الأسلوب المتأدب العربي الأصيل؛ ذلك أن طائفة من تعبيرات الكتاب "قصب المخيم" تشبه أن تكون عربية زائدة يشمّ فيها رائحة البيئة الغربية، والداعي إلى هذا محاولة المترجم إبقاء النص الأصلي على صورته بلاغة وجمالا، إذ قد يفقد النص نوعا من جماليّاته لدى أصحابه إذا ترجم ترجمة غير مباشرة (معنى) فإذا المترجم مضطّر إلى أن ينقل النص بجذله ورجله من المحلية إلى العربية وهذا كثير في التصوير البياني مثل: "قصب المخيم صاحب الخلق السمح مثل الحمام" (٢٠) و"وأن جسدها لناعم نظيف مثل جسد الطفل" (٢١) و"لقد تكدرت نفسي مثل الوسخ" (٢٢) فالتشبيهات الواردة في النصوص السابقة تشبيهات أعجمية لكن مع ذلك أضافت إلى رصيد الأدب العربي العام.

وفي كتاب "أبوجو أدي ننوبو أولدمري" لمشهود محمود جمبا ندرك بساطة الأسلوب وسهولة الألفاظ والعبارات يقول صاحب الترجمة: ولا يفوتني أن أذكر أنني توخيت قدر الطاقة بساطة الألفاظ والعبارات حتى أقرب الرواية بما فيها من خيال يورباوي وعقيدة وفلسفة يورباوية إلى القارئ العربي (٢٣)

هذا يدل دلالة واضحة على مدى توخي المترجم الدقة والبساطة كما أنه راعي مستوى القاري مطلعاً إياه على ملابسات النص الأصلي وعلى تأثيره المترجم بالبيئة التي تعلم فيها (مصر) وعلى سبيل المثال قوله: "إن تملكوا نصف قرش أو قرشا واحدا فاعطوه إياهم، أو تملكوا جنيتها واحدا فساعدهم به فأنتم حين تفعلون ذلك إنما تنفقون خير إنفاق وستعوضون بخير من الله" (٢٤) وكقوله: "إن المهسهس هو الذي يعقب البكاء والندامة نهاية المحن اجتمع الكبار ولم يجدوا للندامة حلا اعذروني إنه المثل" (٢٥). وفي الكتاب أيضا صور بيانية متعددة تطبعت بطابع محلي مع جريانها على القواعد العربية إلا أن العرب لم يألّفوها في لغتهم وفيما يلي طائفة من الصور البيانية في الكتاب من تشبيه وكناية واستعارة وغيرها:

"وكان لقدوم الليل تصعب رؤية خطوط الكف..." (٢٦) فهنا كناية عن شدة سواد الليل. وقوله: "وكانت حالي حين صادقتك كحال من دعي السارق إلى بيته ليسرقه، أو كمن ألبس

البدوي نعلًا" (٢٧) تشبيهه مجمل وقوله: "هكذا ماتت المرأة الشريرة كما يموت الكلب، وتعفنت كموز فاسد... " (٢٨) وهذا أيضا مجمل من التشبيه وقوله: "فقد تصير غدا فقيرا ويكون نصف قرش أكبر منك" (٢٩) فهذا كناية عن الفقر المدقع وقوله: "عجب الظليم أن وقع اختيارنا كأكو مرة أخرى" (٣٠) فيه استعارة مكنية حيث حذف المشبه به مع إبقاء أحد لوازمه مثبتا للمشبه.

### اللغة:

هناك عدد كبير في كتاب "أبوجو أدي ننو إبو ألودمري" من المفردات التي تعرفها العرب اسماً دون أن يقفوا على مسمياتها في بيئتهم أو لم يكن لهم علم بها تماما لكونها خارجة عن لغتهم سواء أسماء شخصيات أو أسماء الأماكن أو الحيوانات. فمثلا كلمة الغابة المستعمل: "... أفي بيته أم في الغابة..." (٣١) لم يعهدا العرب وإنما كانت أرضهم صحراء وباستعمال هذه الكلمة يطلعهم على أبعاد معناها، ومنها كلمة لا مقابل لها في العربية مثل إين *iyen* و أوكا *oka* وأوسنين *osanyin* وغيرها من الكلمات أو مالها مقابل من الكلمات لكن لا تعطي المعنى الدقيق المقصود عند الترجمة مثل أدنو *adanu* وإدردبو *idarudapo* وإجنبا *ijamba* وغيرها فترجمتها إلى العربية وشرحها شرحاً يهتدي العرب خلاله إلى ما يقابله في لغتهم؛ فإنه يرفع من شأن الأدب العربي العام نوعا ما. وكما نلمس هذا في "أبوجو أودي ننو إبو ألودمري" كذلك في إريكى أنبدو لأحمد شيخ عبد السلام إلا أنه حاول ترجمتها - وإن لم يكن أدق في التصوير - مثلما فعل في قوله "صاحب الخلق السمح مثل الحمام" (٣٢)

### الفكرة:

فكثير من الأفكار الموجودة في "أبوجو أدي ننو إبو ألودمري" بين الواقعية والخيالية إذ استطاع الكتاب الأول دي أو فاغنوا أن يضع فكرته مُحملاً إياها الحيوانات والعفاريات (الجن) والإنسان، ولقد أحسن إليه المترجم في الترجمة حيث لم يبمحس النص الأصلي حقّه فمثلا عندما يتحدث عن أوجه يحسن فيها الإحسان استطاع تصوير تلك الفكرة حتى خرجت جيدة وأيضا فكرة الفرّ بعد الكرّ التي وظفوها عند القتال مع الحيوانات وغيرها مما يحمل

الكتاب من الفكرة الجيدة الممتازة التي تدل على إضافة جديد إلى الأدب العربي إذ بتحويلها إلى اللغة العربية أصبحت تراثا عربيا يقي على مدار السنين..

#### الخاتمة

تم بعون الله تعالى هذا العمل المتمثل في "الترجمة ودورها في تطوير الدراسات العربية في نيجيريا"، وفيه ندرك أهمية الترجمة ومدى قوة تأثيرها في نشر اللغة العربية وتطوير علومها بحذافيرها طول نيجيريا وعرضها، كما يوحي إلينا معرفة طائفةٍ من أعمال علمائنا خدمةً للعربية بواسطة ترجمة بعض الروايات والكتب والخطب المنبرية والمواعظ الرمضانية، و القصص العربية وغيرها مما ينتمي إلى الدراسات العربية من الأعمال وبالأخص يطلعنا على مدى جهود مشهود محمود جمبا وإسهاماته نحو رقي الأدب العربي في نيجيريا خلاله كتاب المترجم "الصيد الجريء في غابة العفاريت" الذي تعتبر من أبرز الكتب المترجمة إلى العربية رفعاً لشأن الأدب العربي.

وفي آخر المطاف انتهى البحث إلى أن التطور اللاحق للأدب العربي عن طريق الترجمة لتنوء بالعصبة أولى القوة قلبا وقالبا، كما أن ما كتب باللغة العربية من فنون الأدب ينسب إلى الأدب العربي العام. ومن هنا أقترح أن يلمّ دارسو اللغة العربية إلماما فائقا بترجمة الأعمال النيجيرية الأدبية إلى العربية؛ ذلك لتتجلى أمام العالمين العربي والإسلامي جماليات لغتنا المحلية.

## هوامش البحث

١. مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. القاهرة، سنة ١٤٢٣، ٢٠٠٢، مادة ترجم، ص٧٤
٢. ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ج٤، ص٩٢.
٣. عبد السلام، أحمد شيخ. مقدمة في علم اللغة التطبيقي. الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٦ م، ص٢٢١.
٤. جرمي، مندي. مدخل إلى دراسات الترجمة: نظريات وتطبيقات. ترجمة هشام علي جواد، مراجعة عدنان خالد عبد الله، أبو ظبي، ص١٨ بواسطة: [www.ar.m.wikipedia.org](http://www.ar.m.wikipedia.org)
٥. محمد نجيب، عز الدين. أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس. بتصرف كثير، ص١١.
٦. غربا، محمد داري. المبادئ في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس. مذكرة أعدت لقسم الدبلوم بكلية دار الكتاب والسنة، ٢٠١٦م، ص٤ بتصرف
٧. عبد السلام، أحمد شيخ. المرجع السابق بتصرف، ص٢٢١
٨. المرجع السابق، الصفحة نفسها
٩. المرجع السابق، ص٢٢٤
١٠. محمد نجيب، عز الدين. المرجع السابق، الصفحة نفسها
١١. المرجع السابق، ص١٣
١٢. الإلوري، آدم عبد الله. التحدي. شريط مسموع تم تسجيله في مركز التعليم العربي الإسلامي، أغيني، نيجيريا.
١٣. عبد السلام، أحمد شيخ. المرجع السابق، ص٢٣٣
١٤. زيتوني، لطيف. حركة الترجمة في عصر النهضة. ص١٤٥ نقلا عن كتاب مقدمة في علم اللغة التطبيقي لأحمد شيخ عبد السلام.



١٥- ألي، عبد الغني أديبايو. القصة والمسرحية: تاريخ وأصول لطلاب الدراسات العربية في نيجيريا. ولاية بلاتو، نيجيريا: مطبعة وعش، ط١، ٢٠٠٣-١٤٢٤، ص١٢٢-١٢٣.

١٦- أبولوري، أكنديلي مجيب. حصاد الفساد. ترجمة لرواية Harvest of Corruption، بحث مقدم للحصول على درجة ماجستير بجامعة إلورن، ٢٠٠٨م.

١٧. الأول، عبد الرحيم عيسى. الانتخاب مؤامرة. ترجمة لرواية (Oteni Igbo)

١٨. حمزة إيشولا عبد الرحيم. ٢٠١٤م، قضية اللغة في الأدب الإفريقي: نظرة في الأدب

النيجيري باللغة العربية، مقال في مجلة عالم للدراسات العربية، العدد الأول، الرقم ١، ص٧٢

١٩. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي. مطبعة دار نهضة، مصر، القاهرة، ط٢٥، ص٣

٢٠. دي أو فاغنوا، قصب المخيم. ترجمة أحمد شيخ عبد السلام ص١١٥

٢١. المرجع السابق، ص٩٨

٢٢. المرجع السابق. ص١١١

٢٣. دي أو فاغنوا، الصيد الجريء في غابة العفاريت. ترجمة مشهود محمود جمبا، مطبعة

ألي، إلورن، نيجيريا، ط١، سنة ٢٠٠٢م، ص٢٩

٢٤. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص١٧٤

٢٥. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص١٦٦

٢٦. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص٤٣

٢٧. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص٨٤

٢٨. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص٧٧

٢٩. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص١٣٨

٣٠. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص١٢٤

٣١. دي أو فاغنوا. المرجع السابق، ص١٠٢

## الثقافة العربية وأثرها في الشعوب النيجيرية: شعب باتُون نموذجاً

د/ علي أوكتا أحمد

قسم اللغويات واللغات الإفريقية والأوروبية

جامعة ولاية كورا، مليتي، نيجيريا

[aliyu\\_okuta@yahoo.com](mailto:aliyu_okuta@yahoo.com)

+234 8165906330

### مقدمة

الثقافة ظاهرة إنسانية تعكس حياة أمة أو شعب، وهي من المظاهر التي تتميز بها أمة عن غيرها من الأمم الأخرى، وتأتي في صور وأشكال مختلفة ومتنقلة من جيل إلى جيل، يدخل فيها معارف أمة وأفكارها، وعاداتها، ومعتقداتها، وألعاب، ومواسمها، وأعيادها، وحفلاتها، ولباسها، وأدواتها وغير ذلك مما يتكوّن منه حياتها اليومية.

هذا، ويختلف مفهوم الثقافة عند المفكرين على حسب وجهة نظر كل منهم، وجوانب الحياة التي حدّدها لها، وعلى حسب العصور، والبيئات؛ وبهذا تعددت تعريفاتها، منها ما تقول أنّها بمعنى "حداقة"، يقال "ثُفّ الرجل ثقافة" أي صار حاذقاً فطنا.<sup>١</sup> وبمعنى "التعليم والتهديب"، يقال "ثُفّ" أي "علّم وهذّب".<sup>٢</sup> وقد أقر المجمع اللغة العربية في مصر أنّ الثقافة هي جميع العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.<sup>٣</sup> ويرى أحمد مختار عمر في أنّ الثقافة "مجموع ما توصلت إليه أمة أو بلد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة وعلم وفن أو نحوها؛ بهدف استنارة الذهن وتهديب الذوق وتنمية ملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع."<sup>٤</sup> وهذه التعريفات تتماشى مع مفهوم الكلمة في أصلتها العريقة في اللغة العربية؛ أما عبد العزيز عثمان التويجري في تعريفه لها، يقول إنّ الثقافة "بجمل النشاط الإنساني في حقوق الابداع

الفكري والأدبي والفني على تعدد أوجه هذا الابداع وتشعب نواحي هذه الحقول".<sup>٥</sup> ويأتي استعمال كلمة الثقافة ويقصدون بها الحضارة أو المدنية أو التمدن أو التربية والتعليم.

ويقال بأنّ الثقافة وليد البيئة وثمره التفاعل بين الأفراد لبيئتهم، وأنها تختلف في فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى. ويوافق ذلك توجيه محمد الهادي عفيفي حيث يرى أنّ الثقافة هي كل ما صنعه الإنسان في بيئته خلال تاريخه، وتشمل اللغة والعادات والقيم وآداب والسلوك والأدوات والمعرفة والمستويات الاجتماعية. وتشمل كذلك جميع الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية والقضائية وما إلى ذلك.<sup>٦</sup>

ومما سبق يتبين أنّ الثقافة أمر يشمل جميع جوانب الفكرة والتربية والأدب، ويشمل كذلك التطورات التي تطرأ على حياة البشر مما يدفع الشعب إلى أن يغيروا أفكارهم ووسائل معيشتهم ومساكنهم واحتفالاتهم وغير ذلك، وتختلف باختلاف البيئة والموقع الجغرافي وطبيعة النبات والمناخ والطقس.

وبما أنّ ثقافة في طبيعتها ليست منعزلة عن غيرها من الثقافات وليست جامدة راکدة بدون تحرك، فالحاصل أنّها قد تنتقل من موقعها الأصلي وتنتشر وتتلاقح مع الأخرى، الأمر الذي يؤدي إلى التأثير والتأثر والأخذ والعطاء بينها وبين غيرها، وكلما تملك ثقافة قوة الانتشار والتفاعل كلما أثرت وتأثرت. وهذا المقال يهدف إلى دراسة تأثير الثقافة العربية على شعب بَاتُون (Baatonu) الموجود في منطقة بَرْتِين (Baruten) المحلية في جزء الشمالي لولاية كوارا النيجيرية. ومن خلالها يحاول المقال بيان العوامل التي دافعت عملية هذا التأثير وبيّن كذلك نتائجه أو مظاهره.

### ماهية الثقافة العربية

تعد الثقافة العربية من أقدم الثقافات في العالم إن لم تكن أقدمها على الإطلاق؛ وقد أشار المفكر العربي الكبير، عباس محمود عقاد إلى أنّ أقدم الثقافات في تاريخ العالم ثلاثة، وهي العربية واليونانية والعبرانية، وقدّم الثقافة العربية على الآخرين. أكّد ذلك بقوله "وهي حقيقة من حقائق التاريخ الثابت الذي لا يحتاج إلى عناء طويل في إثباته".<sup>٧</sup> وهي ثقافة الأمة العربية

وأكثر الشعوب المسلمة في مختلف أنحاء العالم لإسلاميتهم، إذ الإسلام هو المحرك الأساسي للغة العربية، ولولاه لما تجاوزت هذه اللغة حدود شبه الجزيرة العربية.

### مكونات الثقافة العربية

تتكوّن الثقافة في الأصل من ثلاثة مكونات رئيسية، هي: المكونات المادية التي تشمل كل ما يستعمله الانسان في حياته اليومية من أثاث ومسكن وملبس ومباني وآلة وغير ذلك؛ والمكونات الفكرية التي تشمل اللغة والفن والدين والعلم؛ والمكونات الاجتماعية التي تتعلق بطرق البناء الاجتماعي.<sup>٨</sup> أما الثقافة العربية فإنّها تتكون من مكونين أساسيين، هما اللغة العربية والإسلام، وهذا هو السبب في توسيع مفهوم الثقافة العربية عند العلماء، والسبب أيضا في تسمية بعضهم إياها بالثقافة العربية الإسلامية، ليشمل كلمة الإسلام.<sup>٩</sup> وبما أنّ الإسلام منهج كامل للحياة الإنسانية، فإنّه يتضمن جميع المكونات الثلاثة المذكورة أعلاه، فلم يدع شيئا عن الحياة ولا في الحياة إلا قال فيه.

أما اللغة فهي وعاء وعنصر هام لجميع العلوم وأداة للتعبير العادي والفهم بين أفراد الأمة وأداة للتعبير العلمي والفني، فأهمية اللغة العربية وخاصة بين شعوبها مثل أهمية الماء لأيّ كائن حي؛ ولذلك تستعمل الثقافة العربية أحيانا ويراد بها تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي. ومع كون اللغة العربية قد ترسخت جذورها قبل ظهور الإسلام وتجلت عبقريتها في شكل كثير مما أصدرها أدبائها من قصائد شعرية وخطب وحكم، فإنّ ظهور الإسلام أصبح عمدة تعتمد عليها اللغة العربية، حيث أن الإسلام هدّبها وأغناها بالألفاظ الغفيرة وأوسعت رقعتها وانتشرها في مشارق الأرض ومغاربها.

هذا، ويرى عبد العزيز بن عثمان التويجري أن ثقافة أغلب الأمة العربية هي الإسلام، لأنّ العربية إنما اكتسبت صبغتها واستمدت طبيعتها من الإسلام، واحتج على ذلك بأنّ الأمة العربية قبل ظهور الإسلام لم تكن لها كيان قائم بالذات، بل كانت قبائل مختلفة وعشائر مشتتة لا تجمعها عقيدة ولا الإيمان برسالة سماوية قيل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.<sup>١٠</sup> وبناء على هذا، يستحيل الفصل بين اللغة العربية والإسلام الذي هو دين وحضارة وفكر،

وهما وجهي القطعة الفضية؛ وأية محاولة لانفصالهما مثل محاولة الانفصال بين الجسد وروحه أو بين البناء وأساسه، وهي ثقافة عربية لسانا وإسلامية فكريا.<sup>١١</sup> ويشبهه أنور الجندي العلاقة المتينة والارتباط الوطيد بين اللغة العربية والإسلام بصفتهما مكونان للثقافة العربية واستحالة انفصالهما في قوله بأنّ الثقافة العربية الإسلامية "تقوم على أساس مزاج من الروح والمادة، والنفس والجسم، والعلم والدين، والعقل والقلب".<sup>١٢</sup> وبهذا أصبحت الثقافة العربية ثقافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يوحدهم القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء، وأداتها هي اللغة العربية التي أصبحت جزءا من الإسلام والمسلمين لا يتجزأ منه ولا منهم. فكل مسلم يتذوق شيئا من العربية، ويدافعه إلى ذلك العقيدة الإسلامية والإيمان والعبادة.<sup>١٣</sup>

### الثقافة العربية في نيجيريا

إنّ الثقافة العربية في نيجيريا عبارة عن حركة اللغة العربية وآدابها، من حيث تعلمها وتعليمها والبحث عنها والمتقنين العاملين من جانب، ودور الإسلام والجمعيات الإسلامية والطوائف المختلفة والمدارس والمعاهد في سبيل نشرها وتطورها في البلاد من جانب آخر. ويشير على ذلك تركيز العلماء والباحثين في الجانبين عند الحديث عن الثقافة العربية في البلاد. ومما لا مرأى فيه أنّ الباحث علي أبوبكر خلال مناقشته لموضوع الثقافة العربية في نيجيريا تناول الحديث عن التعليم العربي والحياة الدينية في البلاد بذكر جهود المدارس على اختلاف مستوياتها وبيان مناهجها في أداء مسؤولياتها.<sup>١٤</sup> وأشار إلى تطور الثقافة العربية فيها في القرن العشرين بزيادة عدد المدارس والمعاهد، وزيادة في عدد التلاميذ والطلاب فيها على ما كان عليه في القرن التاسع عشر.<sup>١٥</sup> وفي الكتاب (حركة اللغة العربية في نيجيريا) لشيخو أحمد غلادنتي إشارات على أنّ الثقافة العربية في البلاد هي التعليم العربي والديني، ومما يدل على ذلك قوله عن عبد الله بن فودي "إنّ الثقافة التي نالها كانت بلا شك ثقافة عالية..."<sup>١٦</sup> ليدل على توغله العلوم العربية والدين.

ويرجع تاريخ هذه الثقافة في نيجيريا إلى وقت توغل الإسلام في البلاد على أيدي التجار من شمال إفريقيا أولا، وعلماء المغاربة المازنين بالبلاد ذهابا إلى الحج وأيابا منه، والعلماء الوافدين

الوانغريين والزائرين ثانيا. ويقول الإلوري بأن أقدام الإسلام لا تثبت في بلد حتى يغرس فيها ثقافته، ولا تلبث حتى تظهر فيها مدرستان عربيتان، إحداها لتعليم الصغار قراءة القرآن، وثانيها لتعليم الكبار قواعد اللغة العربية وأصول الدين،<sup>١٧</sup> وقد بدأت اللغة العربية بهذه الطريقة تنتشر باتسار الإسلام في المدن التجارية والقرى من شمال البلاد إلى جنوبها وبين الأفراد والمجتمعات، وبالتالي انتشرت الثقافة العربية الإسلامية بين شعوب مختلفة.

### شعب بَاتُونُ في نيجيريا

إنَّ شعب بَاتُونُ (baatonu) المعروف اليوم في نيجيريا شعب شريف له تاريخ عريق بين شعوب نيجيريا بالخصوص وغرب إفريقية بالعموم، له ثقافة فاخرة إلا أنها كانت تتسم بالوثنية والخرافات. وموطن هذا الشعب هو منطقة بَرْتَيْن (Baruten) المحلية الواقعة في الشمال الغربي لولاية كوارا على حدود نيجيريا وجمهورية بنين (Benin) غربا. ويقدر عدد الشعب وفقا لتقرير غير مثبت بـ ٣٠٠,٠٠٠ نسمة، والذي يشير إلى أنه من أقلية السكان في البلاد؛ ولغته "بَاتُونُ" (Baatonum) من أقلية اللغات فيها. وهو شعب يعرف في أوساط شعب يوربا بـ "بربا" (Bariba) أو (Baruba) شعبا ولغة، وعند شعب الهوسا بـ "بَرَّغَاوَا" (Bargawa) شعبا وبَرَّغَانْتَش (Barganci) لغة. ويتكون هذا الشعب - مثل إخوانهم في جمهورية بنين الشعبية - من ثلاث قبائل رئيسية هي:<sup>١٨</sup>

١. الأصليون الذين نزلوا من منطقة النيل العليا إلى منطقة فُولْتَا الشمالية ثم إلى بَرُّو (Baruwu) أو بَرَّتِيم (Barutem) الموطن الحالي، وافترقوا فيما بعد إلى ثلاثين مجموعات مختلفة.

٢. والمهاجرون السياسيون الذين اشتهروا بـ "وَسَانْغَرِي" (Wasangari)، وقيل إنهم من المحاربين الوانغريين، وهم الطبقة الحاكمة الذين وفدوا تدريجيا إلى منطقة بَرُّو من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر الميلاديين، واستولوا على الحكم المطلق في جميع المدن والقرى فيها، وافترقوا فيما بعد إلى تسع مجموعات مختلفة.

٣. المهاجرون التجار، وهم من قبائل شتى في غرب إفريقيا، هاجر أجدادهم من بلدانهم الأصلية من مالي وصورغاي وولايات الهوسا وغيرها إلى "بَرْتِيم"، وسكنوا أولا في ضواحي بعض قُرَى بَاتُونُ ثم اندمجوا بعدئذ مع القبائل الأخرى.

وهكذا اجتمع أناس من أصول متنوّعة ومن مجموعات مختلفة يتعاملون فيما بينهم بالسلم، فتصاحبوا وتعاشروا وتصاهروا حتى أصبحوا شعبا واحدا تحت ظل ثقافة واحدة. فلما كانت لغة بَاتُونُ (Baatɔnum) هي لغة السكان الأوّلين الأصليين وأكثر انتشارا في المنطقة، أصبحت هي لغة التخاطب المشتركة.

### اتصال الشعب بالثقافة العربية

إنّه قد سبق أنّ الثقافة مهما كانت درجتها، لا تنعزل وتبقى منطوية على ذاتها، وإنما تتعامل وتتفاعل مع غيرها من الثقافات، فكلما زاد التعامل بينها كلما زادت درجة الانتقال الثقافي. واتصال شعب بَاتُونُ بالثقافة العربية والتعامل معها لم يكن مباشرا، والسبب في ذلك هو عدم حدوث اشتباك ملموس بين الشعب والعرب، إذ لم يرد في تاريخ العرب والإسلام ولا في تاريخ شعب بَاتُونُ دليل واضح يدل على حدوثه، لعدم وجود أسبابه التي هي: الهجرة من الوطن الأصلي إلى غيرها والحروب الطويلة الأمد والتعايش مع شعب آخر.<sup>١٩</sup> وكان الاتصال عن طريق العلاقات الدينية، والتجارية، والتعليمية، وغيرها، والتي تعتبر عوامل أو دوافع ساعدت في تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ.

### تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ

إنّ من شأن الثقافة أنّها مفتوحة لتأثيرات الثقافات الأخرى كما أنّها تؤثر في غيرها، وعلى هذا الحساب، فإنّ الثقافة العربية لها تأثيرت فعّالة في ثقافات نيجيريا وفي مجالات مختلفة؛ وقد أُجريت بحوث متعددة في أزمنة مختلفة في هذا الميدان، ومن أمثلتها بحث محمد مي أبوبكر في "أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا"، وهو عبارة عن دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، بيّن فيه أنّ شعوب هذه المنطقة تأثروا بالثقافة العربية في مجالات اللغة والتقاليد، التعليم العربي، التأليف والنظم والترجمة، والرسم والكتابة بالحروف العربية، بيد

أنه تركّز على شعوب الهوسا والكانورية والفلانية من بين الشعوب والقبائل المتعددة في هذه المنطقة.<sup>٢٠</sup> وشعب بَاتُونُ مثل شعوب أخرى الذين تعرّفوا بالإسلام بعد أعوام في الوثنية تأثر بالثقافة العربية في ميادين مختلفة منذ بداية اتصاله بالإسلام في حوالي القرن الرابع عشر للميلاد، ولا يزال هذا التأثير بارزا في حياة هذا الشعب إلى اليوم. وفيما يلي بيان لعوامل تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ ومظاهره.

### عوامل تأثير الثقافة العربية

لم يحدث تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ بغتة ولا مصادفة، بل كان إصر عمليات متنوعة ضمن حدود زمن طويل، بداية من أول اتصالهم بشعوب وقبائل مختلفة لأسباب شتى. وتعد هذه الأسباب علل أو عوامل ساعدت تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ، وهي:

#### ١- التجارة

تعد التجارة دافعا هاما قام بدور فعّال في تأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ، فقد كانت بين شعب بَاتُونُ وبعض الشعوب المسلمة - وبخاصة الهوسا وشعوب أخرى من مالي وسُونغاي (جَرَمَا) الذين سبق أن تأثروا بالثقافة العربية الإسلامية - علاقة تجارية منذ زمن بعيد، وذلك ناتج عن موقع بلاد بَاتُونُ عامة حيث تمر بها طرق القوافل التجارية، إحداها تنطلق من أَشَانْتِ (Ashanti) وجُونَجَ (Gonja) إلى جُوجُ (Djougou)، وإلى بلاد الهوسا وبَرْنُو؛ وأخرى من صكتو (Sokoto) إلى بداجر (Badagri).<sup>٢١</sup> وكان التجار يبرون بالبلاد ذهابا وأيابا، ويتوقفون بها أحيانا حتى استوطن بعضهم بمستعمرات مجاورة لمدن البلاد الخاصة للغرباء تُدعى "زانغو (Zango) أو أحياء غَمَبَرِ (Gambari)"، واتصلوا بشعب بَاتُونُ بهذه الطريقة بائعين لهم بضائعهم ومشتريين منهم، وتصاحبوا وتصاهروا. وعندهم عرف شعب بَاتُونُ الإسلام لأول مرة. ويقال إنّ تجار الهوسا المسلمين هم الأوّلون وصولا بتجارهم إلى هذه البلاد في وقت غير معيّن بعد عام ١٣٨٠م، وأنّ تجار المَالِيّين وصلوا إليها عن طريق كَانُو (Kano) - بعد أن مكثوا بها مدة - خلال القرن الخامس عشر للميلاد وبدأوا تعليم القرآن الكريم.<sup>٢٢</sup> وذكر رُوس جُونَز (Ross Jones) بالخصوص دور تجار دَيْنِدِ بقوله: كان



لتجار المسلمين من دِينْدِ أثر بالغ على جميع لغات بَرْغُ (Borgu) على مر القرون، فهناك مئات الألفاظ أكثرها من أصل عربي، تتعلق بالدين، ومواد التجارة، والمفاهيم المبهمة التي دخلت في لغة بَاتُونُمْ<sup>٢٣</sup>.

## ٢- هجرة القبائل المسلمة

كانت هجرة القبائل المختلفة إلى بلاد بَاتُونْ دافعا مهما ساعد في تأثر شعب بَاتُونْ بالثقافة العربية. ولقد هاجرت إلى البلاد قبائل شتى من الهوسا، و"تُرِي" (toure)، و"تَرْوُورِي" (traore)، و"سِسِي" (sise)، و"مَنْدِي" (mande)، وكثيرة أخرى ألحقوا بالتجّار في أحياءهم. ويذكر الباحث هِجْمَانُ (Hegeman) أنّ سقوط مملكة سَوْنَعَاي في عام ١٥٩١م أثر في وفود جماعة من دِينْدِ، وجرّمَا (Jarma) وغيرهما إلى "بَرْغُ"، وأن قيام الدولة العثمانية في بلاد الهوسا في ١٨٠٤م أدى إلى هجرة بعض السكان المسلمين فرارا - مما يروونه "التجديد المتطرف" من قبل الشيخ عثمان بن فودي - إلى "بَرْغُ"<sup>٢٤</sup> فثبت أنّ إسلام شعب بَاتُونْ كان على أيدي رجال الوانغرين، وإليهم يرجع الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية بين هذا الشعب، فإنّ منهم الدعاة والعلماء، فيحتمل وجود ألفاظ من أصل عربي سمعت لأول مرة من أفواه هؤلاء المهاجرين خلال احتكاكهم وتعايشهم مع شعب بَاتُونْ الأصليين وتفاعلهم اليومي.

## ٣- الإسلام

كان الإسلام -ولا يزال- دافعا كبيرا وقوة دافعة لتأثير الثقافة العربية في شعب بَاتُونْ، لكونه مكوّنا أساسيا لهذه الثقافة. وبما أنّ الإسلام يتطلب من المسلمين تعليم القرآن وتعلمه، والقيام بنشاطات مختلفة من إعلان كلمة الشهادة، والأذان، والوضوء، والصلاة، وغير ذلك من العبادات، أصبح ضروريا أن يتعلم كل مسلم ما يؤدي به واجباته الدينية، وأن يتفوه ببعض الكلمات والعبارات العربية طوعا وكرها؛ والمحاولة في التعبير عن هذه النشاطات في اللغات الأخرى تتطلب مجهودا جديا. قد ينتهي بدون وجود كلمات وعبارات مماثلة في تادية المعاني المتساوية، ومن ثم تبدأ الألفاظ العربية تتسرب إلى لغات مختلفة اعتنق أصحابها

الإسلام.<sup>٢٥</sup> وبهذه الطريقة دخلت بعض الكلمات العربية في لغة بَاتُونُمْ، ودخلت بعضها في اللغة المتلقية بواسطة لغات الدعاة الأولين من دَيْنِدِ، والهوسا وقبائل أخرى.<sup>٢٦</sup>

#### ٤ - التعليم العربي الإسلامي

بدأ افتتاح المدارس القرآنية أو الكتاتيب مبكرا في منطقة بَرْتَيْنِ وخاصة في أمهات القرى مثل أُوْكُتَا (Okuta) وِيَاْسِكِرُ (Yasikiru) وغيرهما على أيدي العلماء والدعاة الذين وفدوا إليها واستوطنوا بها. وكان الذين اعتنقوا الإسلام يرسلون أبناءهم دون البنات إلى هذه المدارس لتعليم قراءة القرآن ومبادئ الإسلام، وزاد عددها في القرن العشرين للميلاد، فتخرج في هذه المدارس عشرات تلاميذ أكثرهم بمستوى ضئيل بناء على مستوى المدارس نفسها؛ فأصبح بعضهم فيما بعد أئمة لبعض القرى والبلدات وفتحوا الكتاتيب هناك. وخلال النصف الأخير من القرن نفسه افتتح المدارس العربية الحديثة في پارُك (Parakou)، وِنِك (Nikki)، وكَانِد (Kandi)، وفي بلدات أخرى في جمهورية بنين لتعليم اللغة والدين؛<sup>٢٧</sup> تعلم فيها كثير من أبناء بَاتُونُ النيجيريين، ولا يزالون يتعلمون إلى اليوم بهذه المدارس. وقد ساعد هذا التعليم كثيرا في تأثير الثقافة العربية على شعب بَاتُونُ، حيث يلحظ أن العلماء أو المدرسين بهذه المدارس يدخلون في لغة بَاتُونُمْ بعض الألفاظ العربية التي اشكلت عليهم ترجمتها أو التي لم يجدوا لها مرادف في بَاتُونُمْ عند التدريس، وتبعهم في ذلك طلابهم.<sup>٢٨</sup> ومع استهلال القرن الحادي والعشرين، تعددت المدارس العربية الحديثة في بنين وازداد عدد الطلاب فيها، ونال التعليم العربي رواجاً وانتعاشاً في هذه المنطقة خلال أربع سنوات مضت، بعد افتتاح أربع مدارس في كل من بلدات عُري (Gure) وِتَشِكَاَنَدَا (Chikanda) وِبُورِيَا (Boriya)، وأُوْكُتَا (Okuta) على التوالي، يلتحق بها الأبناء والبنات والكبار.<sup>٢٩</sup>

#### مظاهر تأثير الثقافة العربية على شعب بَاتُونُ

إنّ التفاعل بين ثقافة وأخرى لا يخلو من التأثير والتأثر، والثقافة الأفضل أو الأقوى هي التي تؤثر أكثر على الثقافة الأقل قوة، وهذا يحدث فعلا بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى.

ومن خلال اتصال الثقافة العربية بشعب باتون، تأثر السابق في اللاحق في المجالات ثقافية مختلفة، ومن مظاهر هذا التأثير ما يلي:

### الاقتراض اللفظي:

تأثرت لغة باتونم إلى حد لا بأس به باللغة العربية في أمور لغوية مختلفة ومن بينها استعارة الألفاظ العربية في مجالات مختلفة مثل الدين والتجارة والأمور الاجتماعية والتعليم وغير ذلك، كما هو الحال للشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، أمّا تتخذ من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، كما أمّا أدخلت الكلمات العربية في لغاتها.<sup>٣٠</sup> ففي المجال الديني مثلاً استعارت لغة باتونم كلمات: أدين وألولا وكبر وسجد وبادي وركو وركا وكُنوت وساري سور وتيمم وتواف، وهي مأخوذة من: الدين والوضوء وكبر وسجد وبعدي وركوع وزكاة وقنوت وسحر وسورة وتيمم وطواف على التوالي.

وفي المجال التعليمي كلمات نحو: وَلَا تَكْرُنْ وَكَلِمَ وَفَسَلِ وَمَدْرَسَ وَمَالَمَ وَتَدَوَّ وَفَسَّرَ وَهَدِيسَ، وهي من الكلمات: لوح وتقرأ وقلم وفصل ومدرسة ومعلم ودوات وفسر وحديث على التوالي. وفي المجال الاجتماعي كلمات مثل: وَلِمَ، سَدَاكِ، نِكَاءِ، سُونَا، مُنَا فِكِرُ، أَلَا دَ، سَاوَرَا، لَدَبِ، وهي من الكلمات العربية: وليمة، صداق، نكاح، سنة، نفاق، العادة، شاور، الأدب على التوالي.

وهناك مجالات أخرى استعارت فيها لغة باتونم الألفاظ العربية. وقد أورد الباحث أكثر من ثلاثمائة لفظ مستعار من العربية في بحث آخر له؛ وكذلك استعارت اللغة ثلاثة صوامت من العربية من خلال الألفاظ المستعارة، هي /ج/ و/ز/ و/ش/.<sup>٣١</sup>

### استعمال الألفبائية العربية:

تأثرت شعب باتونم كذلك بالثقافة العربية في استعمال بعض الأفراد وخاصة العلماء منهم وطلبة العلم الحروف العربية لضبط ما يهمهم في لغة باتونم. وقد كان الشعب قبل اتصاله بالإسلام واللغة العربية قوماً أمياً، لا يعلمون الكتابة ولا القراءة، بل ليس للشعب نظام الكتابة؛ فما بدأ بعض الأفراد منهم تعليم مبادئ الدين الإسلامي حتى شرعوا في تعليم كتابة

الحروف العربية في الألواح كما هو المعروف في المدارس القرآنية أو الكتاتيب في القرون الماضية. فأخذ الذين أتقنوا هذه الكتابة يضبطون معاني بعض الكلمات في الكتب المدروسة من الفقه والتوحيد وغيرهما بلغة باتونم؛ ومنهم من استخدم الحروف العربية لكتابة أسماء بعض الاحشاش، والاشجار، والبقول، والثمار وغير ذلك مما يستعملونه في عملية التداوى. ولا يزال بعض العلماء يمارسون هذا الاستعمال إلى هذه الآونة.

### التخاطب والمراسلات:

اعتاد بعض الشبان من بين طلبة العلم وبعض خريجي المدارس العربية الإسلامية في هذه الأيام التخاطب فيما بينهم باللغة العربية عند المقابلة مع الغير تأثراً بها وتقديراً لشأنها. ويتكلمون ويتبادلون الرسائل النصية القصيرة والصوتية عن طريق وسائل الاتصال الاجتماعي. وإضافة إلى ما سبق، يلاحظ ما يُعرف عند اللغويين بالتداخل اللغوي، حيث ترى بعضاً منهم لا يتكلمون بلغتهم الأصلية إلا ويدخلون فيها كلمات أو تعبيرات عربية.

### التسمية:

هذه جانب لغوي تقليدي يظهر فيها تأثر شعب باتونم بالثقافة العربية، حيث يقوم الوالدون باتخاذ الأسماء العربية الإسلامية لأبنائهم وبناتهم عندما انجب لهم مع ادخال شيء من التحريفات الصوتية وصرفية فيما بعد، مثال ذلك: مؤمد، سمان، جبرن، أمد، سلي، أود، مأمُدْ سُبَيْرُ للأبناء وسناب، ألم، فاتم، أو، برك، زوير للبنات، فهي محرفة عن أصولها العربية: محمد، عثمان، جبريل، أحمد، سليمان، عبد الله، محمود، زير، زينب، حليلة، فاطمة، حواء، بلقيس، جويرية على التوالي. وبهذا أغفل بعضهم عن الأسماء التقليدية، حتى التي لا تضاد الدين. والمعروف أنّ من أسلم ومعه اسمه التقليدي الوثني، ينصح باسقاطه والأخذ بلاسم الإسلامي العربي. وليس هذا فحسب، بل إنّ بعض الذين تثقفوا بالثقافة العربية الإسلامية يتخذون لأنفسهم كُنى يكتنون بها مثل أبو محمد، أبو عبد الرحمن أو أم حفصة، أم ميمونة وغير ذلك.

## الأعياد والحفلات:

هذه ميزة من مميزات أمة أو شعب، تشكل جزءا من حياته اليومية. فشعب بَاتُونُ مثلا تأثر بالثقافة العربية في هذا الجانب، فإنّ جميع الحفلات والأعياد لدى هذا الشعب لها علاقة متينة بالثقافة العربية الإسلامية. ومن هذه الأعياد والحفلات العيدان: الفطر والأضحى، وهما عيدان إسلاميان بحنة، والزفاف والعقيقة، ومع وجودهما في ثقافة بَاتُونُ قبل اتصالها بالثقافة العربية، فالظاهر أنّهما صبغتا بعد الاتصال بصبغة إسلامية. وإضافة إلى تلك المذكورة، توجد عيدان آخران لدى هذا الشعب ينسبونها إلى عيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ويوم عاشوراء، وهما مشهوران في عرف بَاتُونُ بـ"غاني" (gaani) و"دون كونر" (donkonru) على التوالي إلا أنّهما مشوبتان بشيء من الوثنية.

## الملابس:

كان لشعب بَاتُونُ ملابس تقليدية للرجال والنساء تُنسج من قطن، يصبغ أحيانا بصبغ أسود أو بأبيض ومشوب أحيانا ومصمم تقرّ بها الأعين، وذلك قبل اتصالهم بالثقافة العربية. وما أن بدأ هذا الاتصال وتوافر الملابس الصادرة من بلاد العرب عند التجار حتى بدأ بعض الأفراد شراء واستعمال هذه الملابس إلى أن أبدلت بها الملابس التقليدية. ومن أمثلة هذه الملابس جلابية، جُبّة للرجال والحجاب، الخمار والجلباب للنساء. هذا، ويوجد بين الشعب من تأثر بثقافة غير عربية أو من جمع بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية. ويلاحظ في مثل هؤلاء مظاهر الثقافتين في ملابسهم.

## الخاتمة

حاول هذا المقال خلال صفحات قليلة دراسة أثر الثقافة العربية في شعب بَاتُونُ في ولاية كوارا النيجيرية، مركزا على العوامل التي ساعدت شعب بَاتُونُ على التأثر بالثقافة العربية، وعلى الأمور التي تتجلى فيها الأمرين. وقد اكتشف المقال أنّ الثقافة العربية أثّرت على شعب بَاتُونُ في ميادين مختلفة، وأنّ هذه العملية لم تكمل صدفة، وإنما دافعتها التجارة والإسلام وهجرة القبائل إلى أرض الشعب ثم التعليم العربي الإسلامي. وانتهى المقال إلى أنّ تأثير العربية على الشعب بارز في أمور مختلفة من حياة الشعب، هي: استعارة المفردات، واستعارة الأسماء، والتخاطب باللغة العربية، واستعمال الملابس العربية.

## الهوامش

- ١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، المجلد ٩، (د.ت)، (مادة ثقف).
- ٢- روجي بعلبكي، المورد: قاموس عربي-إنكليزي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥م، (مادة ثقف).
- ٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤م، (مادة ثقف).
- ٤- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨م، (مادة ثقف).
- ٥- عبد العزيز عثمان التويجري، التنمية الثقافية من منظور إسلامي، الرباط، منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط ٢، ٢٠١٥م، ص ١٣.
- ٦- محمد عفيفي، خصائص الثقافة، (خصائص الثقافة / <https://mawdoo3.com/>)، تاريخ الإضافة (٢٧/٦/٢٠١٨م)، تاريخ الزيارة (١٥/١٠/٢٠١٨م).
- ٧- عباس محمود عقاد، الثقافة العربية، القاهرة، مؤسسة الهندي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص ٧.
- ٨- حنى عيسى، الثقافة: خصائصها مكوناتها وفوائدها، (<https://pulpit.alwatan.com/article/2014/341886.html>)، تاريخ الإضافة: ١٥/٩/٢٠١٤م تاريخ الزيارة: ١٥/٠٨/٢٠١٨م.
- ٩- فرحان السليم، الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، ([www.saaaid.net/minute/158/htm](http://www.saaaid.net/minute/158/htm))، تاريخ الزيارة: ١٤/٩/٢٠١٨م.
- ١٠- عبد العزيز عثمان التويجري، التنمية الثقافية من منظور إسلامي، المرجع السابق، ص ١٦.
- ١١- أنور الجندي، الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعبوية، طنطا، مطبعة الرسالة، (د.ت)، ص ١٥.

- ١٢- أنور الجندي، المرجع نفسه، ص ١٣.
- ١٣- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليم وغدا في نيجيريا، ليغوس، دار النور للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ١٦٦.
- ١٤- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، كانو، دار الأمة، ط٢، ٢٠١٤م، ص ١٨١-٢٥٣.
- ١٥- علي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ٢٥٤-٢٧١.
- ١٦- شيخو أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٧٤.
- ١٧- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، ١٩٧٨م، ص ٥٢-٥٣.
- ١٨- علي أوكتا أحمد، الاقتراض اللغوي للألفاظ العربية في لغة باتونم: دراسة وصفية تحليلية، رسالة دكتوراه مقدمة في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أحمد بلو، زاريا، نيجيريا، ٢٠١٦م، ص ٢٢-٢٦.
- ١٩- أحمد شيخ عبد السلام، اللغويات العامة (مدخل إسلامي وموضوعات مختارة)، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية، ط٣، ٢٠٠٩م، ص ١٩٠.
- ٢٠- محمد مي أبوبكر، أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا: دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، مقالة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية في مدينة دبي، بين ٧-١٠ من مايو، ٢٠١٤م، ص

21 - Jones Ross. *Borgu History*. p. 12.

22 - Benjamin, L. Hegeman. *Between Glory and Shame, A Study of Education and Leadership Training Models among the Baatombu in Northern Benin*. Zoetermeer, Boeken Centrum Publishing House. 2001. pp. 146-149.

23 – Ross Jones, *Ethnic Groups in Present day Borgu*, p. 16. Retrieved from

[www.members.optusnet.com.au/~rossjones1...](http://www.members.optusnet.com.au/~rossjones1...) 7/10/2018, at 8:25am.

24 – Benjamin, L. Hegeman. *Between Glory and Shame*, Op cit pp.148–152.

25 – Benjamin, L. Hegeman. *Between Glory and Shame*, Op cit. p. 164.

<sup>26</sup> – *Ibid* p. 176.

27 – *Ibid* p. 189.

٢٨ – علي أوكتا أحمد، المرجع السابق، ص ٩٥.

٢٩ – هي: مركز الفردوس في غُورِي (٢٠١٦م)، ومركز الأخوة في الله لتأهيل الدعاة والأئمة والمعلمين في تُشِكَاُنْدَا (٢٠١٧م)، ومركز ابن سعدي لتأهيل الدعاة والأئمة والمعلمين في نيجيريا في بُوْرِيَا (٢٠١٧م)، و مركز لولوه محمد عبد العالي للدراسات الابتدائية والمتوسطة في أُوْكُتَا من قبل الجمعية الخيرية للتنمية الاجتماعية بالتعاون مع الجمعية الخيرية للتنمية والتكافل الاجتماعي في نيجيريا.

٣٠ – عبد العزيز عثمان التويجري، *الثقافة العربية والثقافات الأخرى*، الرباط، منظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة، ط٢، ٢٠١٥م، ص ١٥-١٦.

٣١ – علي أوكتا أحمد، المرجع السابق، ص ٩١-٩٢.



## المسرحية العربية في ولاية بوثي: دراسة تحليلية لمسرحية ملامح وظلال

الدكتور عبد شبح محمد

كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية والعربية، ميسو

٠٨٠٣٨٠٣٥٨٠٩

[shehuabdu49@gmail.com](mailto:shehuabdu49@gmail.com)

و

الدكتور عبد الله آدم عمر

كلية النهضة للعلوم والدراسات الإسلامية، ميدغري، ولاية برنو - نيجيريا

٠٧٠٣١١٩٩٥١٢

[abdullahiadam23@gmail.com](mailto:abdullahiadam23@gmail.com)

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ولاعدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد

الخلق أجمعين، وبعد:

فهذه المقالة بعنوان: "المسرحية العربية في ولاية بوثي دراسة تحليلية لمسرحية

ملامح وظلال لمحمد تكرر إنوا" في حدود النقاط التالية:

- المقدمة
- تعريف المسرحية
- المسرحية في الأدب العربي الحديث
- المسرحية في الأدب العربي النيجيري

- دراسة فنية لمسرحية ملامح وظلال للكاتب تُكْرُ محمد إنوَا
- الخاتمة

### تعريف المسرحية:

هي قصة نثرية تعرض فكرة أو موضوعاً أو موقفاً من خلال حوار يدور بين شخصيات مختلفة، وعن طريق الصراع بين هذه الشخصيات يتطور الموقف المعروض حتى يبلغ قمة التعقيد، ثم يستمر هذا التطور لينتهي بانفراج ذلك التعقيد ويصل إلى الحل.

والمسرحية هي شكل من أشكال الأدب، ونوع من أنواع الفن النثري الذي يروي قصة معينة، تُعرض أحداثها من خلال أشخاص معينين (الممثلين)، وتعتبر مشاهدتهم، وأحاديثهم، وأفعالهم عن أحداث القصة، حيث يتخذ كل ممثل دوراً خاصاً به، يتقمص خلالها شخصية من شخصيات القصة، ويمثل تصرفاته بطريقة تنقل للجمهور الفكرة العامة عنه.

### تطور فن المسرحية في الأدب العربي

لم يعرف العرب فن المسرحية قديماً وإنما عرفوا أشكالاً بسيطة (بدائية) من التشخيص المسرحي أبرزها ما عرف بخيال الظل الذي شاع في مصر خلال القرن الثالث عشر على يد ابن دانيال، وقد منعت عوامل مختلفة من ظهور المسرح في الأدب العربي القديم يمكن إجمالها في:

### عامل حضاري:

يتمثل في تأخر ظهور الاستقرار في الحياة الاجتماعية والمدنية للعرب حيث إن المسرح لا ينمو إلا في ظل حياة اجتماعية مستقرة و معقدة.

### عامل عقائدي :

يتجلى في امتناع العرب المسلمين عن ترجمة المسرح اليوناني لتعارض مضمونه الوثني مع العقيدة الإسلامية.

### عامل أدبي :

يتجلى في الطابع الغنائي الوجداني للشعر العربي القديم وإحساس العرب بالتفوق الأدبي الذي جعلهم يعتقدون أن الشعر والبلاغة فضيلتهم وحدهم.

### المسرحية في الأدب العربي الحديث :

كان ميلاد المسرح العربي سنة ١٨٤٧ بتأثير الآداب الغربية على يدي الأديب اللبناني مارون النقاش الذي ترجم مسرحية (البخيل) لموليير، ثم مسرحية (السليط الحسود) سنة ١٨٥١ والمقتبسة من ملهارة الأمير الغيور لموليير أيضا، ثم سار على نهجه رواد آخرون أمثال أبي خليل القباني والقرداحي، يعقوب صنوع ، سلامة حجازي، وخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر قدمت إلى مصر مجموعة تمثيل سورية من بين أعضائها سليم النقاش، ويوسف الخياط، وقدمت منذ سنة ١٨٧٦ أعمالا مسرحية مترجمة منها (أندروماك) لراسين و(هوراس) لكورناني و(زنوبيا) لدومينيكا.

وفي هذه الأثناء ألف خليل اليازجي مسرحية شعرية سماها (المروءة والوفاء) وقد

تميزت الأعمال المسرحية في مرحلة الترجمة والاقتباس بجملة من الخصائص:

- ١- الاعتماد على المسرح الفرنسي الكلاسيكي ثم الرومنسي وبدرجة أقل المسرح الانجليزي ٢- الترجمة إلى الشعر والنثر ٣- مراعاة الذوق الشرقي بالخروج عن الأصل
- ٤- الجمع بين الغناء والتمثيل والرقص ٥- استلهام التراث الشعبي في بعض الموضوعات

حيث ألف مارون النقاش مسرحية أبو الحسن المغفل مأخوذة عن ألف ليلة وليلة ٦- اعتماد العامية إلى جانب الفصحى ٧- الجمع بين الجد والسخرية . ثم أعقبت مرحلة الترجمة مرحلة الإبداع المستقل بظهور المسرحية العربية على يد أحمد شوقي سنة ١٩٢٧ حيث ألف مجموعة مسرحيات شعرية منها : مصرع كليوباترا-مجنون ليلى-عنتره-على بك الكبير، ولقد كان لنجاح مسرحيات شوقي وظهور دور المسرح والفِرَق المسرحية الأثر الحاسم في تطور المسرح العربي الحديث؛ والاتجاه نحو الإبداع فيه، ففي المسرحية الشعرية ألف عزيز أباضة: قيس ولبنى، والعباسة أخت الرشيد، وغروب الأندلس، وكتب عبد الرحمن الشرقاوي: مأساة جميلة، الحسين شهيدا، ووطني عكا. أما في المسرحية النثرية فقد كتب محمود تيمور: صقر قريش، وحواء الخالدة، وحفلة الشاي، وكان توفيق الحكيم أكبر كاتب مسرحي عربي من خلال أعماله الرائدة التي من أبرزها : الملك أوديب، وأهل الكهف، وبجماليون، وسليمان الحكيم، وأغنية الموت، ... وتميزت أغلب أعماله بطابعها الذهني الرمزي.

### المسرحية في الأدب العربي النيجيري

كان ظهور المسرحية النثرية نتيجة لتطور النثر الفني في شكله ومضمونه وحجمه، فالمسرحية منها ماهي نثرية ومنها ما هي شعرية، والذي يهمنا في هذا البحث هو المسرحية النثرية، فأول مسرحية نثرية منشورة في ديارنا النيجيرية هي (العميد المبجل ١٩٩٤) للكاتب الأستاذ الدكتور زكريا حسين، وتلتها (أستاذ رغم أنه ٢٠٠١م) للإمام مسعود عبد الغني، ثم (غارت النجوم ٢٠٠٥م) للسيد عبد الغني ألي، و (العجيب والنجيب ٢٠٠٥م) للسيد أحمد سعيد الرفاعي، ثم (زارع الشوكة ٢٠١٠م)

للدكتور عبدالرفيع عبد الرحيم أسليجو، ثم المسرحية التي نحن بصدد دراستها (ملامح<sup>١</sup> وظلال ٢٠١٥م) للدكتور نُكُزُ محمد إِنْوَا.

### المسرحية في ولاية بوثي

مما أدى إلى تطور اللغة العربية وثقافتها في ولاية بوثي قيام بعض المدارس الثانوية العربية في ولاية بوثي بإعداد مسرحيات قصيرة تمثل أمام الجمهور، وخاصة في الحفلات السنوية، لتكريم الفائزين في الامتحانات عند نهاية العام الدراسي، ثم تطور هذا العمل إلى مسرحيات كتبت من قبل مجموعة الأدباء البوثيين ولكنها لم تنشر، بل كانت على شكل مذكرات تدرس في المدارس العربية مثل مسرحية مرآة الحاضر للسيد محمد محمد سعد، وهي خطوة بناءة في تطوير الفن المسرحي في ولاية بوثي، إلا أنها لم تخل من بعض التراكمات والعبارات غير الفصيحة. ثم خُطت المسرحية خطوة أخرى وهي ما يمكن للباحث أن يسميها خطوة الازدهار لهذا الفن حيث الخطوة بالتقريظ، والفوز بالنشر والقبول لدى القراء والطلاب في هذا البلد العزيز، فمن هذه المسرحيات مسرحية " ملامح وظلال" للسيد تکر محمد إِنْوَا، نشرها عام ٢٠١٥م وإنها لأول مسرحية-غير تلك المسرحيات البسيطة التي يقدمها التلاميذ والطلاب في المدارس العربية- كتبها بوثوي، على حد علم الباحثين. ثم تلتها مسرحية " وشهد شاهد من أهله" للسيد آدم عثمان كُوْبِي، والتي تم نشرها عام ٢٠١٦م، وثمت مسرحية أخرى كتبها السيد تکر محمد إِنْوَا بعنوان: " تحت المجهر" والتي نشرت عام ٢٠١٦م.

وإن المطلع على هذه المسرحيات يعلم ما وصل إليه هذا الفن من الازدهار والتطور في ولاية بوثي، والآن إليك نموذجاً من هذه المسرحية.

دراسة تحليلية لمسرحية ملامح وظلال للسيد تُوكر محمد إِنْوَا :

يتكون تحليل هذه المسرحية من العناصر الآتية:

عنوان المسرحية: التعريف بالعنوان:

العنوان: يعرفه لِيُوهُوْكَ بقوله: " مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل حتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتشير إلى محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف ، " فالعنوان تارة يعيّن تارة يعين الكتاب، وطوراً يحدد مضمونه، وقبل ذلك يجذب القارئ إليه فتكون أمام وظائف عدة للعنوان، في مقدمتها التعيين والإغراء، في النظرة إلى عنوان هذه المسرحية: (ملامح وظلال) نجد أنه يتكون من كلمتين ملامح وتعني في اللغة: (المشابهة) قال الجوهريّ تقول: "رَأَيْتَ كَمَحَّةَ الْبَرْقِ، وَفِي فَلَانٍ كَمَحَّةٌ مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ قَالُوا: فِيهِ مَلَامِيحٌ مِنْ أَبِيهِ، أَي مَشَابِهٌ. وَمَلَامِيحُ الْإِنْسَانِ (مَا بَدَأَ مِنْ مَحَاسِنِ الْوَجْهِ وَمَسَاوِيهِ) ، وقيل: هو ما يُلمَحُ منه، ( جُمِعَ كَمَحَّةٌ )، بالفتح، ( نَادِرٌ ) على غير قياس، ولم يقولوا : مَلَمَحَةٌ . قال ابن سيده : قال ابن جَبِّي اسْتَعْنُوا بِمَحَّةٍ عَنْ وَاحِدٍ مَلَامِيحٌ . " فكلمة ملامح هنا تعني المشابهة أما كلمة الثانية فهي "ظلال": والظِلُّ معروف، والجمع **ظِلَالٌ**. والظِلَالُ أيضاً: ما أَظْلَكَ من سحابٍ ونحوه. وَظِلُّ اللَّيْلِ: سَوَادُهُ. يقال: أَتَانَا فِي ظِلِّ اللَّيْلِ ، وفي جمع هاتين الكلمتين معا فإن المقصود بالعنوان: أن المسرحية تعني أن الناس ينخدعون باللمح وإن لم يكن عين الشيء، وينخدعون بالظلال وإن لم تكن دائمة، فالناس يغترون بتلك الملامح وتلك الظلال، ويحسبونهما حقائق، ثم بعد انكشاف الحقيقة وذهاب الظل يدرك أنه سراب لا وجود له في أرض الواقع.

فالعنوان يدل على موضوع القصة، وهو انخداع الناس بالمظهر وشدة طمعهم فيحسبون الملمح حقيقة والظل ثابتا ولكنه سرعان ما يزول فتظهر الحقيقة.

فالنص يتلائم مع العنوان حيث يعود إلى مراوغة الخُداع والماكرين لذوي الجاه والطمع من المجتمع، وقد شكل العنوان حضوره في نصوص الكاتب بوصفة بنية كتابية تعلق النص وتتعلق معه دلاليا.

**موضوع النص:** إن الحدث المعالج داخل هذه المسرحية هنا هو استعراض أمراض اجتماعية في بيئة سادها الزيف والغش، والخداع، والتبجح، وجمع حطام الدنيا والأرباح الفاحشة عن طريق إنشاء أسواق سوداء في داخل المجتمع النيجيري، ولقد تميزت به بعض الطبقات من الشباب الذين يدعون الرقي والثراء، ويعرون بذلك بعض الأسر الطموحة والطماعة والتي لايهمها الشرف، بل كانت تجري وراء المادة فتتهوي في الهاوية.

### هدف المسرحية:

الهدف من هذه المسرحية هو تنبيه المجتمع النيجيري وخاصة في الإقليم الشمالي على التريث في شئون الزواج، والتثبت من حقيقة الخطباء، حتى لا يقع الآباء وبناتهم فرائس، ولقم سائغة لِسَلُوْ وأمثاله من أهل ال٤١٩، حسب المصطلح النيجيري.

### شخصيات المسرحية

إن الشخصيات التي عبرت عن هذا الموضوع والحدث قد انقسمت إلى شخصيات رئيسة هم:

- سَلُوْ محبوب نائه، وهو من الشبان البارزين في بلدة ميسو، وسيماه التظاهره بالترف أكثر من واقعه.

أبًا وكرمبًا شريكان للحاج سَلُوْ يشاركانه في سلوكه من التظاهر بالترف ويرافقانه في بعض أموره.

- بَا بَانِي: من زملاء سَلُوْ لكنه فتي يبدو عليه الرزانة البالغة

- بابللي: والد نانه ذو مال ورجل أعمال.
- سَابُؤَا وَلَارِيَّيْ زَمِيلَتَا نَانَهْ، وصاحبها في البيت وفي الكلية وفي حال الحل والترحال.
- حَجِيَا نَفِيْسَهْ حَرِيْمُ الْحَاجِ بَابِلِي وَالِدَةُ نَانَهْ.

### الشخصيات الثانوية

- الْحَاجِ قِفَافِيْنْ عَرِي بَطْلٍ وَرَاءَ سِتَارٍ، هُوَ السَّرُّ وَرَاءَ رَوَاجِ سَلْعَةِ سَلُوْ وَزَمَلَائِهِ، يَعْبِرُ لَهُمُ السِّيَارَاتُ وَالرَّبْوَعُ فِي تَنْفِيْذِ أَعْمَالِهِمُ الشَّرِيْرَةَ، وَلَهُ مَعَهُمْ أَوَاصِرٌ وَدِيَّةٌ وَمَشَارِيْعٌ سَرِيَّةٌ وَعَقُوْدٌ.
- فَوَزِيَّةٌ: هِيَ بَغِيَّةٌ مِنْ بَغَايَا مِيْسُوْ، لَعِبَتْ دَوْرَ الزَّوْجَةِ لِسَلُوْ.
- إِيَّاهُ هِيَ عَجُوْزٌ مَعْرُوْفَةٌ فِي مِيْسُوْ، لَهَا مَطْعَمٌ بِمَحْطَةِ السِّيَارَاتِ وَتَحْتَضِنُ الْبَغَايَا وَالْمُتَحَنِّثِيْنَ، قَامَتْ بِدَوْرِ الْأُمِّ لِسَلُوْ.
- آدُوْ عَامِلٌ بِمَحْطَةِ الْبَنْزِيْنِ
- الْحَاجِ سُلَيْيْ صَدِيْقٌ لِلْحَاجِ بَابِلِي وَسَاكِنٌ بِلَدَةِ مِيْسُوْ
- السَّائِقُ: سَائِقُ أُسْرَةِ الْحَاجِ بَابِلِي يَسُوْقُهُ فِي أَسْفَارِهِ وَأَسْفَارِ عَائِلَتِهِ.
- الْفَاكْهِي: رَجُلٌ يَبِيْعُ الْفَوَاكِهِ وَالْخَضْرَوَاتِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَحْطَةِ الْبَنْزِيْنِ.
- الْقَاضِي: الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ.
- الْكَاتِبَةُ: مُوظَّفَةٌ بِفَنْدَقِ كُنُوْ الْمَرْكَزِي
- نَجِيْبٌ حَسَنٌ: رَجُلٌ يَدْعِي أَنَّهُ مَدِيْرُ شَرِكَةِ النَّهْضَةِ، الَّتِي يَقَعُ مَقْرَاهَا الرَّئِيْسُ فِي دُبَيِّ

### .Dubai

- سَامِي الْقَبِيْسِي: رَجُلٌ يَدْعِي أَنَّهُ مَدِيْرُ الْمَبِيْعَاتِ لِلشَّرِكَةِ.
- مَحْسَنُ نَجَارٍ: يَدْعِي أَنَّهُ الْمَسْتَشَارُ الْقَانُوْنِي لِلشَّرِكَةِ.
- وإِنَّا نَجِدُ كَذَلِكَ الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْمَسْرُحِيَّةِ سِوَاءِ الرَّئِيْسَةِ مِنْهَا وَالثَّانَوِيَّةِ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ صِرَاعٌ اجْتِمَاعِيٌّ وَأَخْلَاقِيٌّ!، وَإِنَّمَا مَلَائِمَةٌ لِلْبِيئَةِ الْهُوسَاوِيَّةِ، حَيْثُ اخْتَارَ اسْمَ سَلُوْ، وَنَانَهْ، وَأَبَا، الْخُ، وَهَكَذَا فِي قَدْرِ نَجْحِ الْكَاتِبِ فِي اخْتِيَارِهِ لِلْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ سَامِي، وَمَحْسَنِ.



والبطل في هذه المسرحية هما "سلّو" الذي استطاع أن يخدع نائنة ووالدتها وصواحبها ويظفر بها في آخر المطاف، إلا أن الكذب بابه مسدود، فانكشف أمره وفُزّق بينه وبينها، والبطل الثاني هي نائنة المسكينة التي خدعها سلّو وغشها بكلامه المعسول وبمظهره الخدّاع، الذي يشبه السراب، ولم يحصل لها ذلك إلا بسبب الطمع في الزواج من رجل غني ورجل أعمال، ولكنها أخيرا انتهت وأفادت بعد غفلتها، واستطاعت أن تستأنف الحياة من جديد.

### ملخص المسرحية

تدور أحداث هذه المسرحية حول الطالبات في المدرسة الثانوية الحكومية بمدينة بؤثي، حيث تم لقاءهن ببلدة ميسو وهن في طريق عودتهن إلى المدرسة - بشاب ماكر خداع، ومن بينهن فتاة من أسرة غنية يخدعها هذا الشاب بكلامه العذب وصوته الخدّاع، وعقله الماكر، وكان خبيث الطوية من سفلة القوم، إلا أنه يدّعي الوعي والثراء، ويتظاهر بما ليس عنده، وهذا الشاب هو الذي اختار له المؤلف اسم "سلّو" وهو البطل في هذه المسرحية، ومعه صاحبه أبا وكرمبا، شريكاه في سلوكه الماكر الذي يدل على أنه ثري، وقد استعان في هذه اللعبة الخبيثة بالحاج قفّافين غري، الذي يلعب من خلف الستار، وهو الذي يعير سلّو سياراته ومنازله وبعض ممتلكاته، وقد استطاع البطل أن يتخذ من البغايا اللاتي في المدينة زوجة له وأما مزورتين ليستعين بهما في إقناع نانه، وقد اقتنعت من خلال تصرفه ورضيت به زوجا رغم إباء والدها وتحسسه من أحوال سلّو التي لم تعجبه، وأخيرا تنازل الحاج بابلي لرأي ابنته وأمها، وقبل سلّو زوجا لابنته، رغم بعض الشكوك التي تساوره بين الفينة والأخرى، وبعد زواجهما اكتشفت نائنة أنها مخدوعة وقد جرّها الطمع إلى الوقوع في فخ سلّو، ولكن دون جدوى، فعاشت مع زوجها حياة مرة وتبين لها فيما بعد أن البيت الذي ادعى سلّو أنه يملكه كان للحاج بابلي، وبعد برهة من الزواج وبعد اكتشافه أن زواجه من نائنة لم يؤهله لنيل ثقة والدها، فكّر في خطة

أخرى ليوقع صهره في فخه، ولكنه نسي المثل العربي القائل: من حفر حفرة لأخيه وقع هو فيها"، فلقد أخذته الشرطة قبل إتمام هذه المأمرة، ونجا صهره من هذه الخديعة، وحُكم لِسَلُّو بالسجن، ولكن صهره يتدخل بعد أمره بطلاق ابنته أمام المحكمة، وتبرع له بالأموال التي طُلب بها في المحكمة، وتحررت نائنة بعد طلاقها، واستأنفت الحياة من جديد، حيث سافرت إلى الولايات الأمريكية المتحدة في جامعة ميامي وذلك لتحقيق أمنيتها وقت أن كانت في الثانوية.

### قطعة من المسرحية

"سَلُّو: سامحوني أخلو مع نائنة على انفراد

سَابُؤَا (تبادل النظر مع زميلتها لَارِي) لامانع تفضلا....

[يتنحى سَلُّو ونائنة إلى مكان خافت الضوء تحت الدوح، تسترهما أزهار مركبة على شكل رائع، يجلسان على عريكة جديدة معدة لراحة الطلبة....وعلى نفس المنوال خلا كل زميل إلى زميلته].

سَلُّو: (يتألق في حلّة خضراء من قفطان مطرّزة الصدر والأكمام والأرجل، وعلى وجهه نظارة بيضاء، مستديرة العدسات) أريد قبل كل شيء أن أعتذر إليك من حادثة محطة البنزين إنها حادثة مؤسفة جدا ومؤلمة.

نائنة: تعني الضجة التي حدثت بيننا بين العامل في المحطة؟.

سَلُّو: نعم

نانه: تلك قضية ميتة، لم تعد تجول في خاطري..... لا!..... لا! ألقيتها في سَلَّة المهملات، وراحت ذكرى قد طواها النسيان.

سَلُّو: وقد سبق أن قررت إبعاد الفتى عن العمل، وأنفذت القرار بالفعل.

نانه: أأنت صاحب المحل؟

سَلُو: (ضحكة مصطنعة) ما لي بصفقة تافهة كهذه طبعاً أنشأت المحطة قبل التحاقني بالجامعة منذ حوالي ثماني سنوات، ثم أهديتها لزوجتي بعد العودة من الجامعة، أما أنا أجري وراء مؤسسات ضخمة، تدر لي أرباحاً مضاعفة." ٣

### نوع المسرحية:

هذه المسرحية تراجمية أو مأساوية، فقد انتهت بنهاية مأساوية أدت إلى التفريق بين سَلُو وزوجته، وتحرر لتستأنف دراستها من جديد.

### الزمان والمكان

أما الزمان فإن الكاتب قد حدد لهذه المسرحية زمناً معيناً وهو إبتداء من العام الدراسي الجديد عام ١٩٩٩\٢٠٠٠م، وإلى العاشر من فبراير عام ٢٠٠٣م. حين غادرت نانه البلاد.

أما المكان فقد اختار الكاتب له مابين مدينة بوثي عاصمة ولاية بوثي، التي حصل فيها طرف من أحداث المسرحية بما فيها المدرسة الثانوية الداخلية، وفندق زَرْنَدَا الذي تمت فيه حفلة الزواج، وفندق هيلْتُونُ بمدينة جُوسُ الذي قضى فيه العروسان شهر عسلهما، ومدينة ميسُو التي تم فيها التعارف بين سَلُو ونانه، ومدينة كَانُو التي حاول سَلُو أن يخدع فيها صهره، ثم عادت الأحداث إلى مدينة بوثي التي تمت فيها محاكمة سَلُو، وتطليقه لزوجته، ثم تنتهي الأحداث بمدينة كَانُو وبمطار أَمِينُو كُنُو تحديداً حيث ودّعت أسرة نَانَةَ ابنتها وهي على وشك الركوب على الطائرة التي ستقلها إلى الولايات المتحدة للدراسة هناك.

### الأحداث:

تدور أحداث هذه المسرحية عن طريق الحوار بين شخصيات المسرحيات الرئيسية منها والثانوية، وهو صورة للصراع بين طبقات المجتمع النيجيري وخاصة في القطر الشمالي.

**الحوار:** الحوار هو عمدة العناصر الأدبية في النص المسرحي ومن خصائصه أن يتسم بالوضوح والصحة والإيجاز، وقد وفق الكاتب في هذه المسرحية لصوغ الحوار صياغة واضحة سهلة لا تعقيد فيها ولا تكلف وما أورد الباحثان في النموذج دليل واضح على ذلك.

### العقدة: / الحبكة

إن المقصود بالعقدة في الفن المسرحي: هي ذلك الجزء الذي تشتبك فيه الظروف وتتعد إلى درجة تجعل المتفرج يسابق الأحداث، ويتطلع بفارغ الصبر إلى الحل الذي يريح نفسه المتلهفة وقد بدأ الصراع في مسرحية "ملامح وظلال"<sup>٢</sup> التي بين أيدينا بين سلّو ونائنة، وبين أسرة نائنة وخاصة والدها الذي لا يرى في سلّو الرجل المثالي لابنته، والصراع في داخل أسرة الحاج بابلي، بينه وبين زوجته التي وقفت في صف ابنتها، وأخيرا يتراجع الحاج بابلي عن رأيه على مفض منه؛ ثم الصراع بين سلّو وزوجته نائنة التي اكتشفت مكره وخداعه، وتزداد العقدة إحكاما حين يحاول سلّو نصب فخ لصهره.

### الحل:

ويأتي الحل بعد اكتشاف المحكمة أن سلّو فتح حساب مصرفي مزور، وذلك بتعاون منه مع رجال أجنبية، ووقتئذ يسلم والد نائنة من الفخ الذي نصب له ويطلب سلّو بتطبيق ابنته، ويتبرع له بتسديد الرسوم التي طوبى بدفعها في المحكمة، بعد

تسريح ابنته، ويهيئ لها أسباب السفر من أجل الدراسة، وتنتهي المسرحية نهاية مغلقة حيث تم التفريق بين سلو وزجته لما افتضح أمام المحكمة.

اللغة:

تعتبر اللغة هي الأداة الكلامية فبعض النصوص تكون على هيئة شعرية وبعضها على هيئة نثرية أو حوارية كالتالي بين أيدينا، وقد اتسمت هذه المسرحية بألفاظ سلسة وأسلوب رشيق شيق مستعملة مصطلحات حديثة، وتعابير واضحة، مراعيًا في كل ذلك الصراع والعقدة والحل في نهاية المطاف، وموظفًا في ذلك الخيال الواسع مما أكسب هذه المسرحية رونقًا وجمالًا، وخير شاهد على ذلك هذه القطعة من المسرحية " يتنحى سلو ونانه إلى مكان خافت الضوء تحت الدوح، تسترهما أزهار مرتبة على شكل رائع، يجلسان على عريكة جديدة معدة لراحة الطلبة.... وعلى نفس المنوال خلا كل زميل إلى زميلته" سلو: (يتألق في حلة خضراء من قفطان مطرزة الصدر والأكمال والأرجل، وعلى وجهه نظارة بيضاء، مستديرة العدسات) أريد قبل كل شيء أن أعتذر إليك من حادث محطة البنزين إنها حادثة مؤسفة جدا ومؤلمة.

نانه: تعني الضجة التي حدثت بيننا وبين العامل في المحطة؟.

سلو: نعم

نانه: تلك قضية ميتة، لم تعد تجول في خاطري..... لا!..... لا! ألقيتها في سلة المهملات، وراحت ذكرى قد طواها النسيان.

سلو: وقد سبق أن قررت إبعاد الفتى عن العمل، وأنفذت القرار بالفعل.

نانه: أنت صاحب المحل؟

سلو: (ضحكة مصطنعة) ما لي بصفقة تافهة كهذه طبعًا أنشأت المحطة قبل التحاقني بالجامعة منذ حوالي ثماني سنوات ثم أهديتها لزوجتي بعد العودة من الجامعة أما أنا أجري وراء مؤسسات ضخمة، تدر لي أرباحًا مضاعفة.

[ يخرج دفتران جيبه ويشق منه بطاقة تكلمة مزورة ويدفعها إلى الفتاة؟ ]

[ تتناول نانه البطاقة فإذا فيها ما يلي: ]

الحاج سلو، ك/ الميسوي بكلوريوس (في الاقتصاد ١٩٩٤) جامعة أهيو، الولايات المتحدة. عضو مجلس إدارة شركة الأسهم والسندات (لاجوس). عضو بنك التمويل لأصحاب الحرف والزراعة البسيطة أبوجا

نانه: (تقلب البطاقة بين راحتها وتنظر إلى سلو بدهشة) يبدو من هذه البطاقة أنك تسكن في كنو.

سلو نعم، أسكن كنو في معظم الأوقات، إلا أنني كثير الورد إلى ميسو لأن زوجتي تسكن بها، وجميع الأسرة تسكن بها، أنا كثير التنقل في الداخل، وإلى ما وراء البحار، لذلك فضلت أن تكون زوجتي مع الأسرة في ميسو.

نانه: (تسلم البطاقة والابتسامة ترتسم في وجهها) جيد! جيد والله!

سلو: خذها فهي لك.

من خلال هذا النموذج يتبين أن اللغة المستعملة في الحوار المسرحي لغة سهلة مناسبة للطابع المسرحي.

### أسلوب المسرحية

الغالب على المسرحية أن الكاتب اتبع أسلوب الحوار المباشر حيث يُنطق شخصيات المسرحية، في أكثر أحداث المسرحية ولا يسرد ويتدخل إلا عند الوصف أو المبالغة.

### التعليق العام

تمثل هذه المسرحية نموذجاً حياً واقعياً لجملة من المسرحيات التي كانت وما زالت تعتبر بمثابة المرآة العاكسة لصورة المجتمع النيجيري إلا أن الباحثين يريان أنها لا تخلو من بعض المآخذ مثل:-

١. ومن المآخذ قوله في صفحة ٤٦: " الحاج بابلي: وهل ولآه الحاج بابلي خدمة أمواله" والصواب وهل ولاه الحاج مَيْتَلَا خدمة أمواله: لأن الحاج بابلي هو المتحدث والباحث عن حقيقة خطيب ابنته الذي ادعى بأنه ابن للحاج ميتلا.
٢. التضارب بين الشخصيات، وذلك في العلاقة بين سَلُو الساكن في ميسُو وبين نجيب حسن، وسامي القبيسي، ومحسن نجار، الذين قدموا من الدول العربية، ولم يذكر لنا الكاتب كيف تمت العلاقة بينهم ولا كيف يتم التخاطب فيما بينهم، لم يذكر لنا الكاتب أن البطل يجيد العربية، وصهره الحاج بابلي كذلك، إذا فكيف يتم التعامل بينهم، أبالإنجليزية يتحدثون؟ أم بالعربية؟ أم بلغة هوسا الشمالية؟.
٣. من المآخذ أيضا: كيف عرف سَلُو أن صهره بمدينة كَانُو وبالفندق المركزي تحديدا، والحال أن العلاقة بين سَلُو وزوجته نَانَة قد تكدرت وتوترت.
٤. لم يأت الكاتب بما يدل على سيمائية الغلاف لأن صفحة الغلاف ملونة بلون بني ويتوسطه عنوان الكتاب مكتوب بلون أسود .

#### الخاتمة

- تناولت هذه المقالة تعريف المسرحية ولحمة عن نشأة المسرحية مع ذكر عناصرها ثم الحديث عن المسرحية في العالم العربي وفي نيجيريا ولاية بوئي من حيث تعريف المسرحية ونشأتها وعناصرها مع الإشارة إلى حالتها في العصور القديمة والحديثة وتطورها في ولاية بوئي وعرض نموذج للمسرحية فيها وهي مسرحية ملامح وظلال للدكتور تكرر محمد إنوا، وكانت مسرحية تحكي ظاهرة اجتماعية كانت منتشرة في المجتمعات النيجيرية، وقد أجاد الكاتب في صياغتها وفي أحداثها. والنتائج التي توصل إليها الباحثان هي:
- نشأت المسرحية نشأة غربية ثم تحولت إلى العالم العربي.
  - تاخر ظهور المسرحيات العربية في نيجيريا إلى بداية التسعينيات بمسرحية العميد

- تطور النثر الفني في ولاية بوثي وخير شاهد على ذلك ظهور المسرحيات والتي من ضمنها مسرحية ملامح وظلال للدكتور إنوا محمد، والتي تعد هي اول مسرحية بوثوية منشورة على حد علم الباحث.
- يتميز الإنتاج المسرحي للكتاب في ولاية بوثي بالوضوح والسهولة.
- ركز الكاتب على ظاهرة اجتماعية منتشرة في المجتمع النيجيري وخاصة المنطقة الشمالية.



## الهوامش والمراجع

١. نجم، محمد يوسف المسرحية في الأدب العربي الحديث، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٥٦م، ص ٢٣
٢. موقع موضوع بعنوان: "<http://mawdoo3.com/%D9>" بتاريخ ١٢-١١-٢٠١٦
٣. "[www.goodreads.com/book/show/10023143](http://www.goodreads.com/book/show/10023143)" بتاريخ ٢٥-١٢-٢٠١٦م.
٤. الدسوقي، عمر (الدكتور) المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، (دت)، ص ٥
٥. المرجع نفسه ص ١٢
٦. مقالة بعنوان: الأدب العربي النيجيري تطور وازدهار ٢، من الرابط الآتي: <http://www.afrikaar.com/8313>، بتاريخ ١٢-١٢-٢٠١٦
٧. عبدو شيو محمد "صور من النشر الفني في ولاية بوئي"، بحث مقدم إلى جامعة ولاية نصراراو كيني، لنيل درجة الدكتوراه، عام ٢٠١٨م، ص ٣٩
٨. الكاتب هو السيد الدكتور تكمحمد إنوا (الدكتور) المولود في تُدُنْ ودَنْ رِنَا في منطقة تُورُو بولاية بوئي، حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٨٦م، والثانوية ١٩٨٨م، ثم التحق بجامعة بايرو كنو، وحصل على الليسانس في اللغة العربية عام ١٩٩٤م، ونال درجة الماجستير في اللغة العربية في جامعة جوس ١٩٩٩م، والدكتوراه بجامعة عثمان بن فودي سكتو عام ٢٠١٤م، ويعمل حاليا محاضرا في مدرسة اللغات بقسم اللغة العربية كلية أحمد الرفاعي للقانون والدراسات الإسلامية ميسو، ولاية بوئي، وله آثار علمية أدبية منها (١) إيضاح الحق في حكم الصلاة خلف أهل البدعة والفسق، "في العقيدة" كتاب مطبوع بجوس عام ٢٠١٣م. (٢) مهنة الدعوة وقضايا وحدة المسلمين في نيجيريا،

- في "الفكر" مطبوع بجوس عام ٢٠١٣ م. ٣) مسرحية بعنوان "ملامح وظلال" مطبوعة بجوس عام ٢٠١٥ م. ٤) مسرحية بعنوان: "تحت المجهر" مطبوع بجوس عام ٢٠١٦ م. ٥) وله أعمال أكاديمية غير هذه
٩. رماش، عائشة يوسف، (الدكتورة) "شعرية العنوان في القصص الموجهة إلى الطفل" مجلة جامعة دمشق، مجلد ٢٥، العدد الثاني، ٢٠١٢ م، ص ٢٣٧
١٠. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د:ت) ج٧، ص ١٠١
١١. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٧ م، ج١، ص ٤٣٧
١٢. نُكْرُ محمد إِنْوَا، (الدكتور)، ملامح وظلال، ط١، إيمدي بريس جوس-نيجيريا، ٢٠١٥ م، ١٦-١٧

مجهودات قاسم بدماصي في دراسة أصول النحو العربي من خلال كتابه:

أصول النحو العربي: تاريخ وتأصيل

**Dr. Abdulrasaq Katibi**

المحاضر بجامعة ولاية كوارا

قسم اللغويات الإفريقية والإروبية

٠٨١٦٦٥٢٢١١١

&

**Khalilulahi Mohammed Bashir Soro**

طالب الدكتوراه بجامعة ولاية كوارا

قسم اللغويات الإفريقية والإروبية

٠٧٠٦٧٧١٦٩٢٩

[muhammedbashirkhalil@gmail.com](mailto:muhammedbashirkhalil@gmail.com)

مقدمة

الحمد لله الذي علم الأشياء كلها، ووصف نفسه بالكمال، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً. فإن النحو علم عظيم سخره الله تعالى للعربية وجعله وسيلة لمحافظةها. فهو المنظومة التي توصلنا إلى معرفة أحوال الكلمات وإعرابها وما يجب أن يكون في آخرها من علامات الإعراب فأصبحت معرفته ضرورية لكل كاتب في شتى المجالات إذ وضع لتصحيح الألسنة من الخطأ.

فقد برزت جهود علماء نيجيريا في أصول النحو العربي الذي يعد من أهم علوم اللغة العربية، وهذا الأمر يعم المتقدمين والمحدثين أمثالهم: محمد بلو محمد بن فودي، والشيخ الناصر

الكبرى، والدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام، والدكتور عمر ثاني فغي، الدكتور السيوطي شعيب أولوغيلي، والدكتور قاسم بدماصي الذي تهدف هذه الورقة إلى تسليط الأضواء على مميزات كتابه " أصول النحو تاريخ وتأصيل " طبعاً فكتابة أصول النحو بين الكتاب المعاصرين شاذة اعتقاداً منهم أن المتقدمين النيجيريين لم يشاركوا في كتابته فهذا خلاف الواقع لذلك يأتي العمل تقديراً أو إثباتاً لمجهودات هؤلاء وبيان كيفية مدى تعمقهم تجاه هذا الفن قبل أن يشرع الباحث يشرح مجهودات قاسم بدماصي إظهاراً للتطور الذي أدرك ذلك الفن من قبل الكتاب المعاصرين. وألف قاسم بدماصي كتابه لمن له قدر السباحة وطول الباع في ذوق النحو العربي، لذلك يبسط الباحث القول هنا أكثر من دراساته لإنتاجات المذكورين آنفاً، لأن هذا الكتاب أول كتاب أصول النحو درس جميع الأدلة الإجمالية دراسة وافية فيما يعلم الباحث، ويمكن أن يلخص الباحث مضمون هذه الورقة فيما يأتي:

١. نشأة أصول النحو
٢. بداية التصنيف في أصول النحو
٣. نظرة العلماء النيجيريين القدامى حول الكتابة عن أصول النحو
٤. جهود قاسم بدماصي في أصول النحو
٥. مميزات الكتاب
٦. محاولة الكتاب في أصول النحو بعد كتاب أصول النحو تأريخاً وتأصيل
٧. الخاتمة

### نشأة أصول النحو:

مما لا يختلف فيه اثنان أن أولية أصول النحو ترجع إلى أولية النحو العربي، لأن أصول النحو كما أشار الباحث إليه سابقاً "هو أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعها وفصوله. كما قال ابن الأنبار بأن "أدلة النحو عند علماء الأصول عبارة عن القياس والسمع والإجماع واستصحاب الحال<sup>(١)</sup>، وهذه العناصر الأربعة هي التي اعتمد عليها النحويون الأوائل في تقعيد القواعد النحوية، وتعتبر أوليته هذه من أوائل القرن الثاني الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي

إذ إليه يسند معظم الروايات على أنه واضع علم النحو، يستحق بحق أن ينسب إليه كذلك أولية القياس الذي كان واحدا من الأدلة الإجمالية التي أصبحت فيما بعد أصول النحو، ومن تلك الروايات قيل إن: "أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنحج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي،<sup>(٢)</sup> وغيرها من الروايات كما نسب السماع" الذي كان بالمنزلة الثانية من أدلة النحو إلى أبي عمرو بن العلاء حسب ما أفادنا الدكتور قاسم بدماصي في كتابه أصول النحو: "فالنقل والسماع الذي كان الطريق إليه الرواية كتابة أو سماعا لم يجرز مثل ذلك الاهتمام الذي ناله القياس بحيث يعتبر دليلا نحويا، وإنما اهتم بذلك اللغويون، وإن تعذر أن يوجد هناك لغوي لا يكون له إلمام بالنحو، إلا أن الرواية التي يمكن أن تعد بدورا أولية للنقل والسماع الذي استفاد منه النحو لم تكن نشطت إلا في أوائل القرن الثاني الهجري، والذي ظهر حسب البحث على يد أبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ<sup>(٣)</sup>

وكما أفادنا في حالتنا الإجماع والاستصحاب لم يكن لهما ما يمكن أن يثبت به بدايات علمية واضحة إلا وجود لمسات يسيرة أثناء تقرير بعض المسائل النحوية أو الصرفية، كل هذا وذاك من خلال قرن واحد في تاريخ النحو، أعني من النصف الثاني في القرن الأول الهجري إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري"<sup>(٤)</sup>

وكل ما ذكرنا هنا لم يخرج عن دائرة وجود لمسات الأدلة الإجمالية من النحويين المتقدمين وليس أنهم وضعوها كعلم مستقل. وسيوضح في السطور القادمة - إن شاء الله - أول من صنف كتابًا في هذا العلم، وفصله عن النحو بعد ما كان رتقا.

### بداية التصنيف في أصول النحو:

بتتبع الروايات السالف ذكرها قبل القليل لم يجد القارئ في كتب النحاة المتقدمين سوى لمسات تؤيد أن هذا العلم قديم العهد وتنصب على أن المتقدمين عرفوه. ولولا إيثار لإيجاز وخوف الخروج عن مقتضى الموضوع مما يؤدي الباحث إلى أن يكتب فوق ما يراد منه لأملى هنا مواقف هؤلاء المتقدمين تجاه هذه الأدلة الإجمالية ابتداء من أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه الذين بسطوها بعده أمثال: نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر، وعبد الرحمن بن

هرمز<sup>(٥)</sup> حتى يصل الأمر إلى أمير وإمام الطبقة الخامسة الخليل بن أحمد الفراهيدي. لكن يجب على كل باحث أن يراعي حدود بحثه، ومن أراد أن يطالع مواقفهم هذه فليراجع كتاب أصول النحو تأريخ وتأصيل، فيه ما يحتاج إليه من التفصيل.

ولقد بدأ التصنيف في هذا العلم عند ما جاء ابن جني بكتابه "الخصائص" حيث تضمن الكتاب مسائل في أصول النحو وهو أول من دعا إلى هذا العلم قبل أن تقبل منه يد البشر كما صرح بذلك من خلال مقدمته للكتاب حيث يقول: وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلزم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً، أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول في معناه<sup>(٦)</sup> وأما الزجاجي قد سبق ابن جني بكتابه الإيضاح في علل النحو إلا أنّ الكتاب لم يستوعب جميع الأدلة الإجمالية فهو مقصور على التوضيح علل النحو فقط.

وتناول الكتاب جميع الأدلة الإجمالية بدون الاستثناء، وليس كما وهم بعض المؤلفين، وجاء بعده ابن الأنباري بكتابه لمع الأدلة في علم أصول النحو. وأتبعه بكتاب آخر أسماه الإغراب في جدل الإعراب. ثم السيوطي صاحب الاقتراح في علم أصول النحو<sup>(٧)</sup>.

### نظرة العلماء النيجيريين القدامى حول الكتابة عن أصول النحو:

فالعلماء المتقدمون عرفوا أصول النحو إطلافاً، ولم تقتصر مهمتهم آنذاك على الإتقان في النحو العربي فحسب، بل وجدنا منهم لمسات أولية من ضمن مؤلفاتهم لأصول النحو العربي، طبعاً فهؤلاء المتقدمون ألفوا الكتب المتنوعة على عدة الفنون مما يدل على مهاراتهم وإجاداتهم لهذه الفنون إلا أن الباحث لم يعثر على مؤلفاتهم التي ناقشوا فيها أصول النحو سوى منظومتين قرضهما محمد بلو محمد بن فودي والشيخ الناصر الكبرى وسيكتفي الباحث بدراسة واحدة منهما وهي الأولى إذ هما تنصان على شيء واحد وهو العوامل النحوية، والمعلوم أن العوامل هذه من مسائل أصول النحو أصلاً ليست لمجرد النحو العربي ودراسة الكتاب تجري على النحو الآتي:

تقع هذه المنظومة في خمسة وسبعين بيتاً وقد قسمها صاحبها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: للعوامل، وهي ستون عاملاً، ثم القسم الثاني للمعمولات وهي ثلاثون، والقسم الثالث للإعراب وهو عشرة. ثم فصل المنظومة في أبواب وفي كل باب أنواع، الباب الأول ينقسم إلى قسمين رئيسين هما العوامل المعنوية واللفظية، ثم قسم اللفظية إلى سماعية وقياسية والسماعية إلى خمسة أنواع، فوضع في النوع الأول حروف الجر، بالإضافة ويقال إنها عشرون في العدد. وأما النوع الثاني: فقد تناول فيه "إن وأخواتها" التي تنصب الأسماء وترفع الخبر حيث أتى بالحروف التي تعمل عمل "ليس من رفع المبتدأ أو نصب الخبر في الثالث، وفي النوع الرابع تحدث عن نواصب الفعل المضارع، واختتم بجوازم الفعل المضارع في النوع الخامس من العوامل السماعية وذكر فيه ما يجزم فعلاً واحداً وما يجزم فعلين. ثم أوصل القياسية إلى ستعة:

وأما الباب الثاني فهو القسم الثاني من هذا الكتاب وقد أورد فيه المعمولات، وقسمها إلى ضربين هما: المعمول بالإضافة والمعمول بالتبعية، وأما الباب الثالث والأخير فقد تناول فيه الإعراب حيث قسمه إلى الإعراب اللفظي والتقديري والمحلي وأورد لكل نوع بياناً شافياً.<sup>(٨)</sup> وبإمعان النظر نرى أن هذا الكتاب لم يستوعب جميع الأدلة الإجمالية فأين استصحاب الحال في الكتاب؟ وأين الإجماع؟ لكنه أشار إلى القياس والسماع إشارة لم تغن من جوع، وبهذا ندرك أن حالة كتابة حول أصول النحو عند القدامى النيجيريين كانت ضئيلة.

### جهود قاسم بدماصي في أصول النحو

مؤجز عن حياته:

ولد قاسم بدماصي في مدينة إبادن ولاية أويو عام ١٩٥٦/٨/٢٢م وعند ما أدرك سن المتميز اتصل بالمدرسة العربية المنورة بحي أريما إبادن للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ١٩٦٨م. وبعدئذ التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي نيجيريا وحصل فيه على الشهادة التوجيهية عام ١٩٧٢، وحصل على الشهادة الابتدائية في اللغة الإنجليزية بالمدرسة الحكومية في ولاية لاغوس الجزء الرئيس لتعليم الكبار ١٩٧٧م، وحصل على الثانوية العربية

بالمعهد العلمي في الرياض ١٩٧٩م، ولعنايته بالعلم نال شهادة الدبلوم في شهادة اللغة الإنجليزية عام ١٩٧٧م.<sup>(٩)</sup>

وقد يَسَّرَ الله له طريق العلم حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وادابها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٨٣م ثم الماجستير في النحو والصرف في تلك الجامعة عام ١٩٩٠م بدرجة الامتياز. ثم واصل السير قدما وحصل على الدكتوراه في النحو والصرف بتقدير ممتاز عام ١٩٩٨م<sup>(١٠)</sup>. وهو الآن محاضر بقسم اللغات كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.

ولقاسم بدماصي إنتاجات نحوية ولغوية ما بين مطبوع ومخطوط، منها ما يلي:

أصول النحو: تأريخ وتأصيل ٢٠١٠م.

كيفية تأصيل الأصول وتفعيد القواعد عند التحويّن المطبوع ٢٠١٠م<sup>(١١)</sup>

#### مضمون الكتاب:

هذا الكتاب عبارة عن محاولة الدكتور قاسم بدماصي حول أصول النحو العربي، صدره في ٢٠١٠م وطبعه بالمطبعة الهضبة الوسطى المقطم بالقاهرة. والكتاب يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ثم خاتمة وفهارس فنية، أما المقدمة ففيها أسباب تأليف الكتاب، وفي التمهيد تحدث المؤلف عن البواكير الأولى لعلم النحو وتعريفات لأصول النحو العربي. ويشتمل الكتاب على ثلاثة فصول وخاتمة.

فالفصل الأول يتضمن علم أصول النحو من البداية إلى أوائل القرن الثاني الهجري. وفيه عرف المؤلف بالقياس والسمع والإجماع والاستصحاب. وكذلك عالج في الفصل الثاني مسألة أصول النحو خلال القرن الثاني والثالث الهجريين وتحدث عن آراء الخليل ويونس بن حبيب وسيبويه وأبي علي الفارسي فيما يخصّ القياس، وأتى بنماذج كافية من مؤلفات النحاة القدامى المذكورين. وكذلك تناول المؤلف مسألة السماع عند سيبويه واستشهاده بآيات القرآن الكريم وعدم إكثاره من الاستشهاد بالأحاديث النبوية. وإضافة إلى ذلك تناول الكتاب مسألة الإجماع والاستصحاب عند مشاهير النحاة مركزا اهتمامه في كتاب سيبويه.



أما الفصل الثالث فيحتوي على الكلام عند بداية تصنيف الكتب في علم أصول النحو كمادة مستقلة في القرن الرابع الهجري. ومن الرواد في هذا الصدد ابن جني الذي حلل موضوعات شتى في كتابه، وفي الفصل نفسه تحدث الكتاب عن أشهر المؤلفين في علم أصول النحو ومنهج ابن السراج وابن جني وابن الأنباري. وكذلك تحدث الكتاب عن مشاهير النحاة الذين ألفوا الكتاب في هذا الفن بعد ابن جني. منهم محمد صديق حسن خان بهادر، ومحمد الخضر حسين، وأمين الخولي، وخديفة الحديثي، وسعيد الأفغاني، وعباس حسن، عبد الحميد الحسن، وعبد الحميد الشلقاني، وغريب عبد المجيد نافع، وفؤاد حنا ترزي، ومحمد عيد ومنى إلياس. (١٢)

### مميزات الكتاب:

يقصد الباحث بهذا الصدد توضيحا ما عن مميزات الكتاب المدروس ومن قرأه من البداية إلى النهاية يرى هذه المميزات ثانيا مناقشته لآراء النحاة ويعارضها بحجج مقنعة كما سيتضح جليا فيما بعد من خلال السطور الآتية أن المؤلف تارة يعارض وطورا يؤيد من خلال بحثه مما يدل على مدى تعمقه وإتقانه لمعرفة أساليب العربية الصحيحة ويخلص الكتاب عن مجرد النقل ولو تصفحت الكتاب صفحة بعد صفحة ترى عجائب، ولعل ذلك أدى الباحث إلى أن يذكر بعضا منها ليكون القارئ على بصيرة.

### ومن مميزات الكتاب:

١. ولقد تميز الكتاب بتقديم "القياس" على الأدلة الإجمالية خلافاً لما اعتاد عليه العلماء الأصوليون في تصنيفاتهم حيث يقدمون السماع على غيره من الأدلة والإجمالية كما فعل السيوطي رحمه الله بكتابه "الاقتراح" (١٣)، وابن الأنباري بلمع الأدلة (١٤) وغيرهما من المؤلفين المتقدمين لهذا العلم. يظهر في قوله: أقدم دليلا من الأدلة الإجمالية المذكورة سالفا هو القياس، لأنه أقدم ظهورا في التطبيق لدى النحويين الأوائل، ويدل على ذلك ما يرويه لنا ابن سلام الجمحي المتوفى سنة (٢٣١هـ) وهو أقرب أسس العربية وفتح بابها، وأنجز سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدولي، "وهذا يعني أن أبا الأسود لم يكن مؤسسا للنحو فقط وإنما

وضع له أيضًا قياسًا يوسع دائرته، وإن لم يكن لدينا أمثلة توضح عمق هذا القياس أو سطحته، فإنني لم أجد ممن أرخوا تاريخ نشأة النحو من أنكروا هذا الخبر بل يؤيدون ويزيدون عليه. (١٥)

٢. عارض الدكتور قاسم بدماصي في هذا الكتاب هؤلاء الذين قالو إن سيوييه لم يحتج بأحاديث الرسول عليه وسلم أمثال: الدكتور حسن عون فيؤكد أنه "ليس في الكتاب كله حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم" (١٦). وممن اتبع مذهبه الشيخ الطنطاوي (١٧). والدكتور محمد بدري عبد الجليل (١٨) ووافقهم على ذلك الدكتور محمد عيد الذي يقول: إن كتاب سيوييه لا يوجد فيه كما يقول أحد الدارسين. غير حديث واحد فقط ورد على سبيل التوكيد لغيره من النصوص لا الاحتجاج حيث يقول: وقد يستشهد ببعض ألفاظ الحديث ليثبت أوجه أساليب العرب في الإعراب فلا يعتني بالإشارة إلى كونه حديثًا نبويًا كما فعل في الحديث الصحيح عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه - أن رسو الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: "سبوح قدّوس رب الملائكة والروح" استشهد به سيوييه في باب المفعول المطلق الذي يحذف عامله بقوله: "وأما سبوحا قدّوسا ربّ الملائكة والروح, فليس بمنزلة سبحان الله, لأن السبوح والقدوس اسم... (١٩)

ومن هنا يتضح موقف قاسم بدماصي في شأن سيوييه في الاستشهاد بالحديث الشريف أن الحديث الشريف عند سيوييه مع قلة وروده في محل الاستشهاد في "الكتاب" فهو مصدر تال للقرآن الكريم, ويكفيك دليلًا ما أورد الباحث من كلامه خلال السطور.

ولعل الدكتور اعتمد في معارضته على هؤلاء ما قالت صاحبة دراسات في كتاب سيوييه على أنه احتج بالأحاديث الشريفة حيث تقول: "من هذه الأحاديث التي أوردناها من شواهد سيوييه أن نستنتج أنه استفاد من بعضها واحتج بها على تفسير عبارات وردت عن العرب، أو توضيح شاهد قرآني جاءه في مسألة من المسائل (٢٠).

٣. في الكتاب معارضة آراء الذين ينكرون عدم تناول ابن جني أصل الاستصحاب في كتابه "الخصائص" كما فعل السيوطي في الاقتراح، وهو يرى أن أدلة النحو عند ابن جني ثلاثة

وهي: السماع، والإجماع والقياس<sup>(٢١)</sup>، ولم يذكر الاستصحاب من ضمن أدلة النحو التي درسها ابن جني في الخصائص ويرى الدكتور قاسم بدماصي خلافه لذلك ساق هذه المسألة وأقر له ذلك من خلال قوله: هل تناول ابن جني أصل الاستصحاب بالدراسة في خصائصه؟ ثم يقول: "ذهب بعض من كتبوا عن ابن جني، أو عن مجهوداته في أصول النحو إلى أنه لم يدرس الاستصحاب ضمن مسائله التي تناول في كتابه الخصائص، وهذا وهم منهم يخالف الواقع، لأنه عقد له باباً مستقلاً عرفه فيه، وعقد أبواباً أخرى درس فيها ظواهر نحوية وصرفية بقواعد متصلة الاستصحاب بأصل الاستصحاب عن طريق غير مباشر، على أن ابن جني عند ما أفرد عنواناً لدراسة هذا الأصل لم يذكر بهذا الاسم، وإنما جعل تعريفه عنواناً للباب حيث قال: باب في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول، ما لم يداع إلى الترك أو التحول وهذا مؤدى مفهوم تعريف الاستصحاب المصطلح عليه فيما بعد عند علماء أصول النحو بدون تأويل"<sup>(٢٢)</sup>.

وكل ما جرى في السطور شهيد على أن ابن جني عالج "الاستصحاب" في كتابه "الخصائص" كما قاله الدكتور قاسم بدماصي ولعل هذا من ابتكاره الجديد في هذا الفن على حسب علم الباحث.

### محاولة الكتاب في أصول النحو بعد كتاب أصول النحو تأريخ تأصيل:

ولقد انبثقت مقالات متعددة من أيدي الكتاب المعاصرين تناولت أصول النحو بطرق مختلفة بعد تصنيف أصول النحو للدكتور قاسم بدماصي، منهم من درس القياس كما يأتي في سطور القادمة، ومنهم من عالج جميع الأدلة والإجمالية من خلال الفصول ثانياً كتابه ومنهم من فصل القول في استصحاب الحال والباحث سيميل إلى توضيح ما لكل من هذه المقالات.

ومما يؤيد على أن أصول النحو بعد كتاب الدكتور قاسم بدماصي أصبح منتشرًا في نيجيريا فيما يعد من جملة تجديد أصول النحو مقالة الدكتور عمر ثاني ففي التي تمضي على ظاهرة الاستصحاب في أصول النحو وتطبيق قواعدها في أي الذكر الحكيم ونشرت هذه

المقالة في مجلة دراسات عربية جامعة بايروا كانو وتضمنت هذه المقالة نحو أربع نقاط بعد مدخل والخاتمة وهما مضمونها فيما يأتي (٢٣):

أولها: التعريف بالاستصحاب لغة واصطلاحاً. ولم يقتصر الكاتب على مجرد التعريف بل تحدث عن منزلة الاستصحاب في الأحكام الشرعية فيرى أنه أحد الأدلة التي يستدل بها الفقهية في استخراج الأحكام الشرعية. وهذه الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسله والاستصحاب وما شاكل ذلك. ثانيها: الفرق بين الإعراب الأصيل والتطبيق وبين في هذا الصدد علامة الإعراب بجميعها بدون الاستثناء. ثالثها: العلاقة بين علم النحو وعلم أصول النحو، رابعها: تطبيق قواعد الاستصحاب في بعض أي الذكر الحكيم. وضرب له نماذج وافية.

ومما يدل على تجديد أصول النحو في نيجيريا مقالة الدكتور السيوطي شعيب أولوغيلي فعنوان البحث القياس اللغوي وسيلة من وسائل نمو اللغة العربية واستعزق الموضوع ما لا يقل عن ست نقاط بعد مقدمة والخاتمة وإليك مضمونها:

النقطة الأولى: تعريف القياس لغة واصطلاحاً وتطرق القول حول أوليته ويرى أن أول من وضع أسسه أبو الأسود الدؤلي محتجا برواية ابن سلام السابق ذكرها في أول البحث. النقطة الثانية: الحاجة إلى القياس في اللغة. النقطة الثالثة: أنواع القياس وهي:

١. حمل العرب أنفسهم لبعض الكلمات على أخرى وإعطاؤها حكمها لوجه
٢. أن تعمد إلى الاسم وضع لمعاني يشتمل على وصف يدور معه الاسم،
٣. إلحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها بواسطة الاستقراء لكلام العرب
٤. إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها

النقطة الرابعة: ما يقاس عليه، والنقطة الخامسة: موقف البصريين والكوفيين من القياس، والنقطة السادسة والأخيرة: موقف المجمع اللغوي في القياس (٢٤).

وهذا الدكتور عبد الرحمان بن أحمد الإمام الذي درس جميع الأدلة الإجمالية في الفصل السابع من كتابه الخطيب الشريبي وجهوده النحوية والتصريفية"، وقسم هذه العملية إلى أربعة مباحث في المبحث الأول عالج قضية السماع واندرج تحته أربعة أنواع:

النوع الأول: القرآن الكريم وقراءته، وذكر شيئا ما عن أثر القرآن في اللغة عامة وفي النحو خاصة الذي تركه القرآن في اللغة بصفة عامة وأثر القرآن في استحداث القاعدة، إثبات قاعدة، تقتضي القاعدة، تفرع القاعدة، تعليل القاعدة. وفي جانب القراءات تحدث عن أثر القراءات في النحو ومنهج البصريين في الاحتجاج بالقراءات، ومواقف نحاة البصرة تجاه القراءة والقراء، والمقالات في تخطيط القراءة، وتخطيط القراءة أو تضعيفها، وتضعيف اللغة التي قرئ بها، والمتوسطون المعتدلون، ومنهج الكوفيين في الاحتجاج بالقراءات. وأما النوع الثاني من المبحث الأول فهو بيان موقف النحاة في الاحتجاج بالحديث الشريف، وبسط المؤلف القول في القياس من حيث تعريفه وأركانه، في المبحث الثاني والمبحث الثالث اشتمل على توضيح الإجمال من حيث التعريف قديما وحديثا، وأنواعه، وحجة الإجماع وعدمها، وخرقة وموقف الشريبي فيه، والمبحث الرابع والأخير الاستصحاب الأصل.

#### الخاتمة:

- بعد هذه الجولة التي تتركز على توضيح أصول النحو في مؤلفات علماء نيجيريا قديما وحديثا بقدر الباحث أن ينحصر نتائج هذه العلمية فيما يلي:
- تساهم هذه العلمية في إبراز أولية أصول النحو وبداية تصنيف وتقرر على أن ابن جني هو أول من درس جميع الأدلة الإجمالية في أصول النحو.
  - تكشف الغطاء عن نظرة القدامى النيجيريين في أصول النحو حيث يرى الباحث أن أصول النحو من العلوم التي عرفها المتقدمون وضرب لذلك نموذجا.
  - وتثبت أن أول كتاب درس جميع الأدلة النحوية في نيجيريا هو كتاب أصول النحو تأريخ وتأصيل للدكتور قاسم بدماصي.

- ويرجو الباحث لدى الكتاب المعاصرين خاصة المتخصصين في النحو وأصوله أن يبدلوا قصارى جهودهم في تطوير هذا العلم وذلك يتحقق بأن يولوا وجوههم تجاه تأليف فيه إظهارا لأهميته في لسان العرب كما ينبغي لجامعات نيجيريا وكلياتها أن تلحقه بالمواد اللغوية التي يدرسها الطلاب في جميع مراحلها. ويشجعهم هذا عندما يريدون إعداد البحث التكميلي.

## الهوامش

١. ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين، **لمع الأدلة في أصول النحو**، تحقيق الدكتور عطية عامر، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دون ذكر الطبعة ولا العام، ص ٢٧ .
٢. الجمحي محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، نشر مطبعة المدني - القاهرة، ١٢/١ .
٣. قاسم بدماصي، **أصول النحو تأريخ وتأصيل**، نشر شمس بالقاهرة، ط١. سنة ٢٠١٠، ص ٣٥-٣٧ .
٤. قاسم بدماصي، **المرجع نفسه**، ص ٤٧ .
٥. الطنطاوي، الشيخ محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، نشر دار المنار، دون ذكر الطبعة ولا العام، ص ٢٠ .
٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، نشر دار الهدى بيروت لبنان، ط٢، ٢/١ .
٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، **كتاب الاقتراح في علم أصول النحو**، نشر إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية، دون ذكر الدولة، ط٢، ص ٤ .
٨. د. المتبولي شيخ كبر وأبو بكر نوج فندا، **نظم العوامل النحوية بين أمير المؤمنين محمّد بللو والشيخ محمد الناصر الكبري** تصدر جامعة بايرو-كنو، نيجيريا، العدد التاسع أكتوبر، ١٢٦ .
٩. قاسم إبراهيم، **مساهمات قاسم بدماصي في تطور النحو العربي**، مجلة النور تصدر عن قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية يولي دمتر، المجلد الاول العدد الثاني، ٢٠١٣ م ص: ٨٣ .
١٠. قاسم إبراهيم، **المرجع نفسه**، ص: ٨٥ .
١١. قاسم إبراهيم، **العقد الثمين في تراجم النحويين في بلاد يوربا**، مطبعة مركز اكيوا دميلولا لخدمات الحاسوب والطباعة، ط ١، ٢٠١٨ ص ٤٣ .

١٢. قاسم بدماصي المرجع السابق، ص: ١٣.
١٣. السيوطي، المرجع السابق، ص: ٥١.
١٤. ابن الأنباري، المرجع السابق، ص: ٢٧.
١٥. قاسم بدماصي المرجع السابق، ص: ٢٥.
١٦. حسن عود، تطور الدرس النحوي، نشر معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، سنة ٩٧/م، ص: ٤٥.
١٧. الطنطوي، المرجع السابق، ص: ٥.
١٨. محمد بدري عبد الجليل، تاج الدين، الأسفراييني ومنهجه في درس النحو، نشر دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص: ٦٢.
١٩. قاسم بدماصي المرجع السابق، ص: ٦٠.
٢٠. خديجة الحديثي، (الدكتورة)، دراسات في كتاب سيبويه، نشر وكالة المطبوعات. الكويت، دون طاء، وع، ص: ٦٦.
٢١. السيوطي، المرجع السابق، ص: ٥١.
٢٢. قاسم بدماصي، المرجع السابق، ص: ٦٠.
٢٣. فغي، عمر ثاني، ظاهرة الاستصحاب في أصول النحو وتطبيق قواعدها في ذكر الحكيم، المجلة تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو ع: ٩، ٢٠١٤، ص: ٥٦.
٢٤. أولوغيلي، السيوطي، شعيب، القياس اللغوي وسيلة من وسائل نمو اللغة العربية، تصدر جامعة الحكمة، إلون، نيجيريا، العدد الثالث، الجزء الأول، سنة ٢٠١٢، ص: ١٤-١٥.



## THE ROLE OF TRANSLATION IN THE DEVELOPMENT OF ARABIC STUDIES IN NIGERIA

**Afolabi Olatunji Ramoni**  
**Department of Arabic Studies**  
**Federal College of Education, Okene Kogi State**  
**08035531194**

### **Introduction**

Translation is not a new thing to the human learning as it has played important roles in the social, education, religious and literacy lives of people among other things. Katibi (2003) and Louis (1998) defined translation as a simple act which the translator performs through the conversion of linguistic signs of the Source Language (SL) in to other linguistic signs in the Target Language (T.L). He further states that translation is not a serious business because anyone who has a smattering knowledge of two languages in contact can engage himself in translation.

Translation opens the door to a deeper understanding of another culture, through the exchange of ideas, theme and books. The translator must first and foremost understand the meaning of text of the source language (SL) in order to look for its equivalent in the target language (T.L). The comprehension of the text is very important because he is not just translating words but he is translating a message. If translation is the rendering of a source language text into a target, it therefore means that the translation has to reflect the author's intention, the norms and the tradition of the source language.

Ismail (1982) (21) opines that to translate means to re-shape, to recreate an original text in another language. In the process of reshaping and recreate an original in another language, part of the original including its sound, is inevitably lost and something new which was not in the original is added in compensation.

At this juncture, it is important to ask the question. To what extent is it permitted for a translator, to reshape his materials, to discard certain elements and to add others in compensation? The solution of the problem must depend upon the relationship between the languages concerned. If these are languages of people who share a common cultural heritage and hence a common psychological pattern that is reflected in their modes of thought and if, as a result, their language have a great deal of vocabulary in

common derived from a single source, then provided the translator is competent, the technical problems are very few, it becomes largely a matter of transposition of idiom in which very little actual reshaping is involved.

The simplest categories of translation are therefore those in which there is a coincidence of cultural background, language family and historical period. (Afolabi 2002).

### **Brief History of Translation in the Arab World**

Translation is a necessity of life since Allah in His wisdom created human being and made them to different race and tribes with different languages and in the Glorious Qur'an, He made us to realize that it was not accidental but rather so that we may know one another. He says: "O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other ...." (Q. 49: 13). This knowledge of one another will definitely engender interactions in various aspects of human endeavor, however differences in language will actually constitute a barrier. In order to overcome this barrier, it has become imperative to employ the service of translation.

Further still, from the Islamic religion position, Muslims are directed to spread Islam across border, the prophet S.A.W was reported to have said "spread of me even if it be a verse (Narrated by Bukhari). This religious assignment wouldn't have been easy to carry out of the Arab world without resulting to translation, therefore translation exercise in the history of Islam could be traced back to the time of the Prophet. Translation received attention during the time of the Prophet as the desire to spread Islam and transmit it to communities which did not speak Arabic such as the Jews or the Romans prompted him to find translators and encourage the learning of foreign languages. On this premise, Zaid IbnThabit became one of the famous translators of the time. He played a crucial role in translating the letter which Muhammad sent to the leaders of Jews as well as the authorities in Persia, Syria and Rome.

Translation efforts continue to receive a boost from this period through Umayyad period until the Abbasid period the golden era of Islamic knowledge when it was taken to a greater height. Worthy of mentioning is the efforts of the Abbasid caliphate (750-1250) popularly known as "The golden age of Translation". Caliph Mansur who built the city of Baghdad improved translation techniques. In addition, caliph Al Ma'mum opened a small translation agency -Baytul - Hikmah - The house of wisdom, where in Greek Philosophy, Indian science and Persian literature were translated

into Arabic. Other prominent translators include -Al -Jaliz (776-868), Ibn al-Naima, Batria, Ibn al Hums, and Huhayn Ibn-Ishaq.

In the beginning, the difficulties confronting the translator were enormous, mainly because of the state of the language. The translator faced the problem of finding or coining Arabic equivalents for foreign technical terms. By trial and error, he had to improvise methods and techniques for meeting his needs Chejne(1969). Two methods of translation were used. The first consisted of rendering each Greek word by a simple Arabic word which gave a literal translation of the Greek. The other and more acceptable method was the one used by Hunan and his school. He tried to grasp the meaning of a whole sentence and then render it by a corresponding sentence in Arabic.

The burden on the translator was probably lightened somewhat by the work of philologist who has already established criteria and procedures for coining new Arabic words, for giving new meaning to old and existing expression and for incorporating foreign words into the language when either of the other methods failed.

The translation of foreign works into Arabic assisted by philosophical studies resulted in extensive borrowing of foreign terminology to convey the many foreign ideas and concepts hitherto unknown in the language.

Examples of some Arabic words that entered the western vocabulary;

Al-Jabr- Algebra

Al-Kuhl- Alcohol

Laymu- Lemon

Al-qahwa- Coffee

Sukkar- Sugar

### **Types of translation**

There are three types of translation

- 1. Intralingual translation:** This has to do with recording of something within the same language by using verbal sign to interpret another verbal sign. In which case, one has to give the meaning in the same language.
- 2. Interlingual translation:** This is the interpretation of verbal signs of one language by merging words for words but also equivalent of both symbols and arrangement.
- 3. Intersemiotic translation:** This is also called transmutation i.e. transferring of the message from one kind of symbolic system to another .e.g. sign language for the deaf or Braille language or coded language used in electronic communication .e.g. P a T army signs.

There are two approaches to the first two types of translation; these are literal translation and literary translation.

1. Literal translation which is intended principally, as a guide to the original and aiming at no literacy merit in their own right.
2. Literary translation is for the purpose of persons who have interest or linguistic access to the original which are intended to stand as readable and elegant texts in their own right. The choice of category has to be made at the onset, and it can only depend upon the purpose for which the work is intended. If it is intended to assist students to read the original language then a literal and exact translation is generally called for and is necessary to be accompanied by grammatical notes of the original. Afolabi (2000).

### **Importance of Translation**

Translation, of whatever nature affords us the opportunity of deeper understanding of other people's culture and language through the exchange of ideas, theme and books. In other words, it opens way for a greater horizon beyond our own experience (Afolabi 2005).

People of different linguistic experience and culture are brought together for translation and it is an integral part of foreign language teaching. It thus shapes our ways of thinking and to some extent our use of the foreign language pronunciation, choice of words tone, word order etc.

Translation also helps us to understand better the influence of one language on the other and to correct errors of habit that creep in unnoticed. It equally involves contrasts, as such it enables us to explain the potential of both languages, their strengths and weaknesses. Language competence involves communication both to the target language and from the source language, it is by its nature invites speculation and discussion.

Translation develops three qualities essential to all language learning, i.e. accuracy, clarity and flexibility. It trains the learner to search flexibility for the most appropriate words (accuracy) to convey what is meant (clarity). This combination of freedom and constraint allows the translator to contribute his own thought to a piece which has a clear focus.

Translation also helps in films, festivals, advancement in medicine, religion, science, engineering, international law, Olympic games and Nobel prizes (Alan Duff 1989).

### **Who is a Translator**

A translator according to Oke (2000) is he who translates a language into another one. In other words he is somebody who translates a message

of whatever form literary, scientific or philosophical from a language into another language.

The role of translator is very important because he passes message across individual's tribes or nations across the world, where different languages are spoken. He has high level mastery of both the source and the target languages. A translator should ideally be a man of virtue and some humility, for he is required to retain his linguistic and literary sensibility on the one hand and on the other, to sacrifice his own ego to the point of faithfully transmitting ideas from one medium to another without imposing his own notion and mental colouring.

The translator should be a master of his native tongue, well versed in its various literally modes and grammatical and expressive possibilities. He should ideally be well versed in the subject with which he is dealing and should favourably be disposed towards it.

A translator should familiarize himself with the entire work which he intends to translate. He must also get himself acquainted with the style, quality and historical period of the original text. He has to choose the appropriate form of language for translation and adhere strictly to it consistently. He should also know the purpose for which the translation is intended to ascertain whether there is need for specialized knowledge or terminology. Afolabi (2005)

### **Techniques and Problems of Translation**

The work of translation is not done without having a grip of certain methodologies or techniques which will lead to a successful translation exercise and will equally assist the translator to combat any emergent problems.

- **Meaning:** The translation should reflect accurately the meaning of the original text. Nothing should be arbitrarily, added or removed, even though occasionally part of the meaning can be transposed.
- **Form:** The ordering of words and ideas in the translation should match the original as closely as possible especially when translating legal documents contracts and guarantees.
- **Source language influence:** One of the most frequent criticism of translation is that it does not sound natural (Alan Duff 1989). This is because the translator's thought and choice of words are too strong molded by the original text. A good way of shaking off the source language (SL) influence is to set the text aside and translate a few sentences from memory.

- **Style and clarity:** The translator should not change the style of the original but if the text is full of tedious repetitions, the translator may for the reader's sake correct the defects.
- **Idiom:** idiomatic expressions are sometimes untranslatable = e.g. jargons, slang, metaphor, proverbs e.t.c if the expression cannot be directly translated, the following means could be adopted.
  - Retain the original word in inverted commas
  - Retain the original expression with literal explanation in brackets
  - Use a close equivalent

### **Problems of Translation**

On the account of the problem involved in translation especially in the intralingual translation, there are always opposition to this kind of translation, the opponents have various liking translation meddling with inspirations and they concluded that it is a worthless exercise. Some of them have even in fact declared that one can never have a good translation. They equally claim that it is time consuming and wasteful. It was also noted that in the process of transferring the message from one language to the other, the translated version always invariably loss much of the flavour of the original.

It was also claimed that language differ radically from one another and consequently a translator is under pressure arising from the conflict between form and meaning if he attempts to approximate the stylistic quality of the original document he is likely to sacrifice much of the meaning. On the other hand, strict adherence to the literal content usually results in a considerable loss of the stylistic flavor or quality.

### **Why do we learn Arabic in Nigeria?**

Rivers (1968) says that the knowledge of one or another of the acknowledge language of international communication can be useful in many careers, in commerce, international agencies, diplomacy and certain areas of science and engineering. Arabic readily comes in here.

Galadanci explains that the people of Nigeria came in contact with Arabic language through trade and commerce require a language of communication. The Arab traders whose language is Arabic used the language as the medium of communication. The quest to transact business with Arabs, who penetrated into Nigeria through the northern part, made the people of this area to learn the language of the Arabs. As trade and commerce were going on, the Arabs on their own part introduced Islam.

The cordial relationship that existed between the host community and their guests enhance the ease of business transaction and at the same

time encourage the host community to accept the religion and got convert into Islam.

Arabic is a language of the Quran from which every Muslim is expected to recite some verses in the course of his daily prayer. And since the prayers are said largely in Arabic, so the desire to learn Arabic on religious ground is peculiar not only to Muslim but also oriental who are in quest for Islamic knowledge for the purpose of articles or attirjar, Ogunbiyi (1977). And in view of the large percentage of Nigerian who are Muslim, better understanding between Nigerian Muslims and their counterparts elsewhere is enhanced.

The importance of learning Arabic and its translation to local languages in Nigeria is not limited to the religious sphere as opined by Ogunbiyi (1977) almost all the written records of our history and literature in the pre-European era were in Arabic or in local languages written in the Arabic script. These Arab Muslim traders or scholars in any area were not only a teacher of Arabic language and Islamic religion but were also more often in good standing with local rulers for who they acted as a scribes.

The imperative of Arabic language in Nigeria is based on the geographical position, international relations, religion affiliation and cultural affiliation. Arabic has also occupied the status of official language in EU and OPEC which are popular international organisations.

#### **Translation- What For?**

**Religion:** Early scholars of language in Nigeria engage themselves in literary activities for the sake of better understanding of Islam. And the only way of teaching and learning was through translation to local language. Religious sermons especially Idulkabir, Idulfitri and Jumat prayer sermon are delivered in Arabic and later translated into local languages.

In addition to this many text books on Islam were written in Arabic language, it thus become very necessary to get its message across to the Muslim populace who neither read nor speak Arabic. The only means to achieve such is to translate these books to the local languages as such some Islamic scholars have thus translated some of these works into local languages and English language which is the official language. Fiqhu books like Al 'Ashmawiyyah and Al Ahdariyy have been rendered into English language.

The Holy Quran has also been translated into Yoruba by a committee headed by Shaykh Muhammad Kamlud Deen Al Adabiy and into Hausa by Shaykh Abubakri Gumi. The Ebira translation of the Holy Qur'an also emerged early this year (2019), for easy understanding by the speakers of these languages.

**Literary and Academic Purpose:** it is a well known fact that Arabic language is primarily learnt in Nigeria for the purpose of understanding Islam, so in the past little effort was given to *Adab* (literature). However when creative subjects like drama and Novels were introduced into Arabic discipline in the universities and colleges of Education, there arose the need for creative works as textbooks and in order to satisfy the need some Nigeria Arabic experts result to translating some works either from the local languages to Arabic or from English language. Some of these efforts include the followings. The Burning Grass by Cyprian Ekwesi is translated into Arabic language by Mas'ud Raji, with the title *A'Shabun Multahibah*, Ireke Onibudo by D.O Fangunwa, received translation into Arabic by Ahmed Sheik Salam under the title *Qasbul Mukhyyam* while Ogboju Ode Ninu Igbo Irunmole by D.O Fagunwa has also gained translation into Arabic through Mashood Jimba titled *As-Sayyadul Jaree' fi Ghabatil 'Afarit*. Ruwan Bagaja a Hausa novel is translated to Arabic by Ateeq Abubakr Balarabe as *Ma'ul Hayat*. The play of Sa'eed Sulayman White Rope in Stained Hand is translated into Arabic by Adam Sirajud Deen as *Al Hablul Abyad Fi Aydin Mulawwatha* (Alabi, 2015).

In southern Nigeria some Yoruba and people of Auchi who learnt Arabic also composed poems in their language using Islamic character Nasiru (1981). Many Muslim scholars have made some contributions towards translating books written in Arabic into English or local languages and vice versa. Some manuscript of Sheikh Uthman bn Fodio and his brother and works of Sheikh Adam Abdullah al Iloriy and some other renowned Islamic scholars have been translated into local languages and English.

### **International Conference and Symposium**

Any gathering involving organization like OPEC organization of petroleum exporting countries, A.U African Unity naturally consist of leaders from different part of the world who by the status of these organization would have to interact, the only way the barriers of language could be overcome is by resulting to translation. Three official languages of these organization are English, Arabic and French. There are translators for each of these languages. Translation and transmission of information across the globe is enhanced by the presence of translators of Arabic language and other languages of business in these types of gathering.

**Trade and commerce:** as a member of OPEC, organization of petroleum exporting countries, Nigeria has access to discuss easily and freely with the Arab nation who are also members of this body for commercial and



economic transactions through translation. Media house like radio and television houses i.e. electronic and print media make use of translators in Arabic for the coverage of tours made by Nigeria head of state to Arabic speaking countries. More so, in sport and international tournament translator in Arabic is required in the dissemination of information.

### **Conclusion**

There is no doubt that the future augurs well for further development of Arabic studies in Nigeria. Translation has assisted Arabic language to have considerable impact on the linguistic, social, religious, educational and cultural life of Nigerian Muslims. It has also widened the scope of their connections and enriched their political and commercial words and expressions. Literacy in Arabic, through Islamic education has exposed the Nigerian Muslims not only to Arabic Islamic literature but also to new ideas and the Arabic literary world.

While commending the efforts of those who have, day and night devoted their time to translating Yoruba, English and French text books in to Arabic for use in tertiary institutions, effort should be made also to take care of the lower levels of learning like primary and secondary schools.

## References

- Abdul Rahman and Peter Canham. *The Ink of the Scholar, the Islamic Tradition of Education in Nigeria*: Macmillan, 1978.
- Abdulraheem Abubakar (IPEDR) “Arabic language and culture in Nigeria: the Journey So Far” (58) 20 department of Arabic university of Ilorin, 2012.
- Abu-Shquer M.A Word Agreement and Ordering in English Arabic Machine Translation: A Role Based Approach PhD Thesis, Malaysia, 2019.
- Afolabi Olatunji R, “Translation in Foreign Languages Problem and Methods” *Journal for Promotion of Studies in Religions, Education and Languages* (JOPSREL, 2005)
- Alabi, G. A. *Al-Qissah wal Masrahiyyah: Tarikhun wa Usulun*. Al Maktabul Alabiyy lil Masrahiyyatil Arabiyyah, 2015.
- Chejne A.G. *The Arabic Language: Its role in History*. University of Minnosotapress, 1969.
- Galadanci, Ahmed Sheikh *Harakatu Lughatil Arabiyyah wa Adabiha fi Nigeria*. Al- Maktabat al Ifriqiyat, 1993.
- Katibi Abdulrazaq. *The Role of Translation in the Development of Arabic and its Literature in Nigeria*. A paper presented at Nigeria Association of Teachers of Arabic in Colleges of Education and Allied Institution (NATACEDA) Held at Federal College of Education Okene, 14<sup>th</sup>-18<sup>th</sup> October, 2003.
- Louis Onaghise. *Towards Teaching Translation Skills in Foreign Languages*. A paper presented at the First National Conference on the Teaching of Language in Educational Institutions in the New Millennium held at the Federal College of Education Okene 4<sup>th</sup>-7<sup>th</sup> November, 1998
- Mahmud, K. *The Arabic Literary Tradition of Nigeria*. Nigeria Magazine No. 145 by Department of Culture, Federal ministry of Social

Development Youth and Culture Lagos. Zaria: Gaskiya cooperation Ltd, 1983.

Mohammed, E and Aziz M.J.A English to Arabic Machine Translation Based on Reordering Algorithm, 2011.

Nasiru Wahab O. "Impact of Islam on the Development of Education in Nigeria." *Al Fikr Journal of the Department of Arabic and Islamic Studies*, University of Ibadan, Nigeria, 1981.

Ogunbiyi Isaac, "Teaching Arabic Language Skills in Nigeria" Proceeding of Kaduna Language Symposium, 1987.

Ogunbiyi Isaac, "Language Education in Nigeria, "Proceeding of the Kaduna Language Symposium, Vol. 11 October 31 November. 4 organized by the National Language Centre, Federal Ministry of Education Lagos, 1977.

Oke Olarewaju *Aayan Ogbifo Eko Ede ati Asa Yoruba Fun Ile Eko Olukoni*. Ilorin Matanmi and Sons Printing and Publishing Ilorin, 2000

Rivers, W.M. *Teaching foreign languages skills*. University of Chicago press, 1968.

**ISBN: 978-978-49000-1-2**

**ARABIC CULTURE IN NIGERIA AND  
PROSPECTS OF DEVELOPMENT**

**BOOK OF READING OF THE CONFERENCE  
PROCEEDINGS OF THE ACADEMIC SOCIETY FOR  
ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE (ASALLIN)**

**14<sup>TH</sup> ANNUAL NATIONAL CONFERENCE**

**EDITOR**

**SALIH M. JUM'AH ALASO**

**2019/1441**